

جان بول سارتر

دفاتر الحرب الغريبة

المترجم: عبد الوهاب الملوّح

صفحة



Carnets De La Drole De Guerre

Jean-Paul Sartre

مكتبة | 1159
t.me/soramnqraa

استيقظا .. بعض الأعلام تتحقق

دفاتر الحرب الغريبة

تأليف

جان بول سارتر

المترجم: عبد الوهاب ملوح





الكتاب

دفاتر الحرب الغربية

المؤلف

جان بول سارتر

الطبعة الأولى: 2021

التّقيم الدولي:

978-603-91551-9-5

رقم الإيداع:

1442/6051

مكتبة

t.me/soramnqraa

13 5 23

Copyright © 2020 by page-7.com

حقوق التّرجمة العربية محفوظة

© صفحة سبعة للنشر والتوزيع

E-mail: admin@page-7.com

Website: www.page-7.com

Tel.: (00966)583210696

العنوان: الجبيل، شارع مشهور،

المملكة العربية السعودية

تستطيع شراء هذا الكتاب من متجر صفحة سبعة

www.page-7.com

دقائق الحرب الغريبة

سبتمبر 1939 - مارس 1940

قامت بتوضيها وعلّقت علي حواشيها:

أرليت القيم-سارتر

21/08/20

الفهرس

7	تقديم
13	تحذير
15	الدفترا الأول
167	الدفترا الثالث
297	الدفترا الخامس
351	الدفترا الحادي عشر
403	الدفترا الثاني عشر
481	الدفترا الرابع عشر
563	ملاحق
563	الملحق الأول
567	الملحق الثاني
569	الملحق الثالث
581	الملحق الرابع



تقديم

مكتبة

t.me/soramnqraa

من بين الدفاتر الخمسة عشر التي كتبها «سارتر» خلال الفترة الممتدة ما بين سبتمبر 1939 ويونيو 1940، نُشرت خمسة فقط في طبعة أولى سنة 1983؛ وهي الدفاتر الوحيدة التي عثرنا عليها إلى حدود ذلك الوقت. أما فيما يخص بقية الدفاتر فمعلوماتنا تكاد تنعدم حول ملابسات ضياعها، هذا إن لم يخف بعضها خلال الحرب نفسها، وربما ضاع بعضها سنة 1961 أو 1962 بين عمليتي هدم بيت سارتر الواقع في رقم 42، نهج بونابرت، واللّتين نفّذتهما المنظّمة السّريّة المسلّحة، خلال انتقاله إلى بيت آخر إثر هذه الواقعة. بيد أنّه في يونيو 1991، ظهر الدفتر الأوّل من جديد، واتّضح أنّه ضمن مجموعة يمتلكها أحد جامعي الكتب النّادرة منذ ثلاثين سنة خلت. وبفضل جهود المكتبة الوطنية التي حصلت على هذا الدفتر، تقدّم اليوم طبعة جديدة من دفاتر الحرب الغربيّة⁽¹⁾، مزينة بهذا الدفتر الجديد الذي يميّط اللّثام للقارئ عن الحالة الذهنيّة لسارتر لحظة انطلاقه في الأيام الأولى للحرب، ويكشف

1. نقرأ في الصفحة الأولى من الدفتر الأوّل:

يوميات حرب

سبتمبر - أكتوبر 1939

إلى العزيز كاستور

توقيع ج.ب. سارتر

على نفس الصفحة الأولى من بقية الدفاتر دفتري 3، دفتري 5، إلخ... تتبعها فترة الكتابة والمواقع التي كُتبت فيها: تختفي عبارة يوميات حرب، كما هو الشأن بالنسبة لسارتر على الأقل ظلت الحرب شبحاً إلى أبعد حد، وهو ما لم يكن يعلمه طبعاً حين شرع في تدوين هذه الكلمات يوم 19 أكتوبر 1939 (رسائل إلى كاستور وبعض الآخرين غاليمار 1983)، وبعد ذلك عنون يومياته بكل وضوح دفاتر الحرب الغربيّة وقد حافظنا على نفس العنوان كما ورد في الطبعة الأولى.

عن طبيعة الأسئلة الحيويّة التي دفعته إلى كتابتها، بالإضافة إلى أنّه يشير إلى الأدوار المتعدّدة - سئرى أنّها متناقضة أحيانا - التي خصّ بها دفاتره هذه، ويبرز الطّريقة التي بها تشابكت، شيئا فشيئا، حياته الشخصيّة بالفلسفة.

في الـ 2 من سبتمبر 1939 يحاول المجنّد، وسط القطار الذي يحمله مع عدّة غرباء نحو جهة غير معلومة، استعراض الموقف الذي من المفروض أن يواجهه، دون أن يحمل في ذهنه سوى مرجعيّة واحدة، لكنّها مدمّرة، إنّها الحرب العظمى المرعبة التي واجه فيها إخوته الكبار نفس الأعداء قبل 25 سنة. كيف يجب أن أنصّر؟ هل سأبقى على قيد الحياة؟ ربّما ليضمن قبل كلّ شيء إجابة مشرّفة عن السّؤال الأوّل، شرع «سارتر» في كتابة «يوميات الحرب»، وبالنّسبة إلى السّؤال الثّاني فهو لا يستدعي إجابة؛ أليست الكتابة في حدّ ذاتها جوابا؟

وبينما يتصفّح «سارتر» دفتره الأوّل، سجّل ما يلي:

كنت أخوض حربا على صوريّ: بورجوازيّا كما أنا، مكنتي توصية من اختيار سلاحى؛ مسالما، لقد اعتبرت الحرب سلميّة؛ ولأتني كنت مناهضا للحرب، أردت أن أخوض الحرب بوصفى جنديّا عاديا (أنا الذي كنت مناهضا للحرب بما أنّي مثقف). ولأتني كنت غير قادر على الجهد الجسديّ (أعاني من الحول)، فقد خضت الحرب ضمن قوآت الاحتياط. شاركت في الحرب وعمري أربع وثلاثين سنة رفقة مجنّدين محافظين؛ أي أنّهم كانوا رجالا متزوّجين وآباء عائلات. ومن جهة أخرى، كانت الحرب تعكس إرادتنا العميقة في عدم خوض القتال بما أنّ «هتلر»، مدركا لمشاعرنا، لن يهاجم كي يترك هذه الحرب تتعقّن. وهذا يعني أنّي كنت أرى نفسي في هذه الحرب، التي بدورها تنعكس فيّ وتعكس فيّ صورتها. كانت النتيجة أن أكتب في البدء عن الحرب، وفي النهاية وجدتني أكتب عن نفسي. وهكذا تحوّلت الحرب بالنّسبة إليّ بمثابة خلوة⁽²⁾.

والحقيقة أنّ سارتر، ومنذ الدّفتر الأوّل كتب في الآن نفسه عن الحرب وعن نفسه

2. التأكيد هنا من سارتر. فهذا المقطع مأخوذ من صفحة مُسوّدة لا بقية لها. كان ينوي في تلك الفترة استعادة تاريخ علاقاته مع السياسة.

أيضا. لقد فاجأه إعلان الحرب في فترة غير مناسبة من وجوده. لقد كان في فجر حياته بوصفه كاتباً؛ فجر مشع ومتألق؛ حيث كان قد نشر بنجاح الغثيان، والجدار، وكذلك بعض الكتابات الفلسفية: التخيّل، ونظرة إجمالية لنظرية الانفعالات، والتخيّل الذي كان في طور النشر. لقد كان يمثل بالنسبة إلى النّاشرين والمجلّات التي تنشر كتاباته كاتب المستقبل الشّاب. كان قد شرع في سلسلة روائية طموحة، ظلّ يشغل فيها على المجلّد الأوّل خلال فترة هذه التعبئة الشّاغرة⁽³⁾. كان يفور بمشاريع أدبية وفلسفية، بيد أنّه بالرّغم من هذا التّوسّع الإبداعيّ، وجد نفسه فريسة ضيق أبكم. حبّ مُشوّش، طيش، كوميديا مغرية، تمثلك وعدم وفاء، هكذا كانت علاقته بالآخرين، وبنفسه أيضا التي لا يحبّها في حياته العاطفية «الثلاثية في جزء منها». وبوصفه مواطنا أيضا، رأى «سارتر» نفسه في حال «قدارة» أخلاقية: فرغم أنّه لم يبارك معاهدات ميونيخ، هو الذي رضع منذ صباه الحليب السّلمي لـ «آلان»، فإنّه لم يُعيد النّظر جيّدا في أسلوب الحقيقة المطلقة للحجج التي وضعها هذا الفيلسوف في مارس أو محاكمة الحرب في مستهلّ العشرينيات [من القرن الماضي]، لم يعرف كيف يفكّر في هذه الحرب، لا باعتباره محتجّا [عليها]، ولا بوصفه مقتنعا أنّ الاقتناع بضرورتها. لقد كان سلبياّ إزاء عملية تجنيده. ثمّ وجد نفسه بغتة ملقى في عالم من الرّجال من مختلف الأنواع، هو الذي منذ نهاية دراسته ظلّ يعيش محاطا بنساء جيّلات وعاشقات، وهاهو يكتشف فجأة أنّه لا يعرف كيف يتصرّف في محيط ذكوريّ؛ وهو ما أحيا في نفسه ذكريات حارقة تعود إلى مرافقته المبكّرة في معهد لاروشيل، خلال الحرب العالميّة الأولى؛ ممّا جعله يقاسي ألما موجعا، بلا أب، بين مرافقين غلاظ.

كان من الضّروريّ تمحيص كلّ هذه النّقائص التي أتاح البعد إمكانيّة تشكيلها أو إمطة اللّثام عنها واكتشاف أسبابها - للتّغيير؛ وآلا كيف لا يمكن الارتياح في الذات حين تبدأ المعارك؟ في الانتظار، وبما أنّه لم يكن واثقا من العثور في داخله عن المنابع الأساسيّة ليكون رجل حرب نافع، لجأ إلى أخلاق كانت إلى ذلك الوقت محلّ اهتمام عنده؛ ألا وهي الفلسفة الرّواقية ووثق بتعليقاتها التي غلبها. من الرّواقية إلى الأصالة،

3. المقصود هنا عصر العقل المجلّد الأوّل من دروب الحرية منشور سنة 1945.

من سوء النية التي يؤاخذ نفسه عليها إلى سوء النية اللازمة لكل ما هو واقع بشري، من الوعي الذي هو بمثابة نقصان في نظريته حول العدم، من إرادته في الالتزام بما عليه عليه ذاته في تصوّره الفلسفي للحرية، من أخلاق الكائن إلى تلك الخاصة بالفعل، ها نحن ذا من خلال هذه الدفاتر، أمام ما يمكن اعتباره منابع إنجازاته الفكرية القادمة: التفلسف والتقدّم، كتابة عصر العقل واكتساب عصر العقل؛ هذا هو المشروع الوحيد، الذي يتخذ شكل نذور الموت: فضياعه الجسديّ ممكن، ولكن خاصة ضياع عالم بدأ يبرز فيه بوصفه كاتباً مشهوراً كان يريد أن يؤثر فيه ويسعى لتوثيره، ينازعه أو يثريه بأفكاره أو بمشاعره الخاصة. فخلف تفاؤله الحادّ، ثمة أثر لكابوس مطلق: انغلاق أوروبا في الإيديولوجية النازية: التي سوف تثبت ملاءمتها من خلال انتصاراتها العسكرية، وإسباغ الصبغة النازية على الأذهان. إنّ موته هنا هو بقاء ابتدائيّ من خلال يومياته، مكثفة في شخص وفي أعمال لم يكن من الممكن أن يكون لهما وجود، وفي يوم ما، يوم بعيد للغاية، ربّما...

لكن إن كان سارتر يتوقّع الخسارة، فهو لا يتعلّق بهذه الفرضية المدمّرة، بل إنّه يتركها معلّقة؛ لأنّها متناقضة جدّاً مع مهمّة الكتابة التي استولت عليه منذ الصّغر، والتي تثير بين الفينة والأخرى حماسه الشّديد. مختزلاً في العجز، يريد أن يجعل من هذا الزمن الضائع تجربة شخصية، كما لو أنّها فرصته تقريباً، من خلال هذه الفترة المقطوعة من عمره والمفروضة على حياته القادمة. فهي بالنسبة إليه بمثابة استباق، متّبعاً في ذلك المبدأ الرواقّي القائل: لا تطلب إطلاقاً أن تأتي الأشياء كما ترغب فيها أنت، بل اربح في حدوثها كما سوف تحدث. استعادة الذات في شموليّتها من خلال الوعي ليست بطبيعة الحال سوى إحدى توجهات إرادته، وليست إنجازاً مكتملاً: تقاوم كينونته الحساسة المتألّمة الاستبطان، و«الكائن المنخرط في الحرب» اليومية يستحوذ على أمزجته، وأفكاره، وقراءاته. ويعيد عن أن يبحث عن الاستغراق في نفسه، يُعوّد ذاته على أن يأخذ بعين الاعتبار الذوق الجمعيّ لهذه الحرب الغريبة؛ ذلك لأنّه يشعر بعمق أنّ هذا الحاضر «المسطّح وعديم الشّكل» هو في الأخير حدث تاريخي. يتحدّث عمّا يحيط به باعتباره كاتباً ومجنّداً - يمرّ الأدب في صمت لكن ليس

متغياً - يُدوّن أحداثه وحركاته العسكرية، وتلك التي يقوم بها «رفاقه»، مساعدون حزاني لحرب غير موجودة، يكتب بين تأليفين فلسفيين آراءهم حول الحرب، مشاجراتهم الصّيبانية، ملل أيام الأحاد، أخبار اليوم، خطابات «هتلر» المذاعة أو خطابات «دالديه» التي تثير في داخله انفعالات شبيهة بما يردّده رفاقه. كان احتساء الخمر يداعب أحاسيسه، وذلك ليحتمل الإهانة - لقد أعلنوا الحرب لكننا لن نقوم بها - والإحساس المتعاضم بالخسارة الأخلاقية الذي يسبق الكارثة؛ أحيانا يترك أحدهم يتحدث مطوّلاً. لقد كان «سارتر» كاتب يرسم الملامح البارزة لمنجزه، وفي دفاتره هذه هو أيضاً جنديّ من الجنود الشّاهدين على هذه الحرب الغريبة.

آرليت القيم-سارتر

تحذير

عادة ما يُعلم «سارتر» «سيمون دي بوفوار» في رسائله المعتادة إليها بما يكتبه في دفاتره. فبالنسبة إلى الفترات التي اختفت فيها الدفاتر، اخترنا ذكر أو تلخيص ما ورد في هذه الرسائل فيما يخص الدفاتر، وبالأساس ما يتعلق بها. هكذا لا ينقطع خيط عمل «سارتر» على ما يكتبه عن نفسه وعن روايته، وعن توجهات تفكيره التي ستقوده نحو تأليف كتاب الوجود والعدم، حتى وإن كان لا يقدم هنا سوى تخطيط أولي. سوف يجد القارئ هذه الإضافات في الملحق.

على أنه لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الرسائل المذكورة هنا انطلاقاً من المخطوط الأصلي، وليست مأخوذة من الطبعة التي أعدتها «سيمون دي بوفوار». فبعض المقاطع التي حذفتها «سيمون» لم يعد لها أثر منذ اللحظة التي أصبحت فيها هذه الرسائل ويوميات الحرب منشورة.

أنقدم بالشكر إلى «موريسات بيرن» من المكتبة الوطنية، ولـ «أني صورناغا» لتعاونها معي، كما أشكر «كلير بولهان» التي مكّنتني، بكلّ ودٍّ، من بعض رسائل «سارتر» لـ «جان بولهان».

الدَفْتَرُ الْأَوَّلُ

سبتمبر - أكتوبر 1939

مارموتيه - إيتينهايم - برومات

مارموتيه، الخميس 14 سبتمبر 39⁽⁴⁾

عجيبه تلك العلاقة بين الرواقية والتأوّل. ذلك أنّنا نجدُها عند الرواقيّ القديم الذي هو في حاجة إلى أن يؤمن أنّ العالم طيّب. فهي آليات نفسية أكثر من أن تكون مجرد علاقة نظرية. بل إنّها خدعة لتهدئة النفس، أو فتح لآ أصالة. لقد انطلقت «رواقياً»، وهو ما يفترض من جهة أن أنحلي عن كلّ ما شكّل حياتي الماضية، وأن أقبل من جهة أخرى مستقبلاً تنعدم فيه كلّ إمكانيّاتي الذاتية؛ أي ما يسمّونه هنا «متفجراً حيوية». ولقد قبلت أن أكون كذلك، غير أنّني لم أضع بعين الاعتبار أنّ جوهر هذه الحالة يتطلّب شكلاً من أشكال الانقياد الإعجابي بالسلطة العسكرية التي أخضع لها. فمنذ اللحظة التي سلّمت فيها نفسي إلى هذه السلطة، صرت أثق فيها، وأتوقّف عن كوني شخصاً حقوداً⁽⁵⁾ كلّ هذا يتأتّى بشكل بديهي بما تصوّرتَه استقالته حرة من نفسي. فقدت ذهني الناقد، واكتشفت منذ الأيام الأولى كم يشعرني انتقاد الضباط أمامي بالحزن بشكل غير لائق. من المؤكّد أنّ الموقف الشهير «أن تقول لا» يتضمّن في

4 سارتر المجنّد في 2 سبتمبر وصل مرموتيه (باريس) يوم 11.

5 هذه العبارة التي سوف يستعملها سارتر كثيراً في كتاباته، أخذها من عند الفيلسوف الألماني ماكس شيللر الذي عالج في كتابه (إنسان الحقد) الصادر عن دار غاليمار سنة 1933 أهمية الحقد في ولادة المسيحية حسب نيته.

حدّ ذاته الارتباب والتّحفّظ. وعلى العكس من ذلك، فمن حيث المبدأ ينجم عن الانخراط الإعجاب؛ وهو أكثر شيء أمقته. منشغلا كثيرا بأن أكون كما أنا، لنفسي، أي بلا يأس ولا جبن، لم أستطع الحسم بين أن «أقول نعم»، أو أن «أقول لا». لم أولّ الوضع المنطقي أيّ اهتمام. لحسن الحظّ أنّي وجدت نفسي على تواصل مع «العريف بول»؛ ولأنّه كان اشتراكيا فقد كان غاضبا وثوريا. لا، ليس من أولئك الذين يقولون «لا»، لكنّه من الذين يفقدون عقولهم، أحيانا خشية من القيادة العليا، وأحيانا أخرى يلقي بالشتائم. والنتيجة أنّي بدأت أرى الوضع الحقيقي. ناهيك عن أنّ هذا التّنقل المحزون من سانتراي إلى مارموتيه قد فتح عينيّ: لقد بقي الجيش على حاله في الحرب كما في السّلم. لا بدّ إذن من تفكيك ذلك القبول بالإعجاب؛ وهذا ما حدث الآن. يبقى في الوقت الرّاهن ضرورة النّظر في الوضعية الموضوعيّة.

محنة رواقّي

إنه لمشهد مضحك قدوم ذلك الشّخص (المتفجّر حيويّة) وسط مجموعة من الحتّالين، الأذال، الكسالى الذين منهم من يكاد يقضي نجه خوفا من الموت، ومنهم من يبحث عن استغلال الوضع لصالحه. في الأثناء، لا يهتمّ النّوع الثالث منهم بأيّ شيء عدا التّفكير في احتساء كأس نبيذ صباح مساء. يشعر الرّواقّي أنّه مدعاة للسّخرية، ثمّ أنّ كل هذه الحيل تشدّه، حتّى أنّه أصبح شريكا فيها. لكن، حين نفكّر جيّدا في الأمر، هناك شيء ما في داخلي يبرّر اندماجي مع هذه المجموعة. لقد كنت رواقيا متّخذا من ذلك حيلة. تقوم رواقيتي أساسا على ضياع حياتي التي عشتها إلى حدّ الآن، وليس على مخاطر الموت التي تواجهني. لقد انطلقت في مغامرتي الجديدة عازما على العودة مرّة أخرى إلى الرّواقية، وفكّرت منذ البدء أنّ اختصاصي في أحوال الطّقس سوف يسمح لي بالتخلّص من عدّة التزامات (فيما يخصّ الأشغال الصّعبة، والإقامة في مقصورات مع آخرين، إلخ). ليس لي إذن إلّا ما أستحقّه. لقد وقعت ضمن مجموعة من الأشخاص الذين يتقاسمون معي نفس اهتماماتي الأساسيّة، لكنّهم لم يكونوا معنيين بالأدب والصّلصة الفلسفيّة للرّواقية. كانوا يريدون أن

ينفذوا جلدهم؛ وهم يعترفون بذلك بسذاجة. أنا، كذلك، أريد أن أنقذ جلدي، غير أنني أريد «الارتفاع بمستوى النقاش»، انحراف مهني. أليست هذه الطريقة الرواقية التي اعتمدتها هي بدورها شكل من أشكال الدفاع النفسي؟ في جميع الحالات لن أكون ذلك الشخص «العاري» الذي أردت أن أكونه، لكن وبكل بساطة سأكون شخصا مكبوتا، ولكي أخفف من ألمي قليلا، قمت بكبت ذكرياتي المدنية وصادقائي وعلاقتي العاطفية، تماما مثلما يكبت آخرون رغباتهم الجنسية. وطبعاً، فعبارة «كبت» هنا رمزية؛ فالمقصود بها إقامة حاجز واع. والمؤكد بطبيعة الحال أنني أقل شقاء بكثير مما لو قبلت أن أنا لم فعلاً. من المؤكد أيضاً أن «بول» الاشتراكي، عكسي أنا تماماً، يعتبر أن الأصالة تكمن في التأوهات والبكاء. يريد أن يرثي وضعه؛ لأنه يظن أن يظفر منه، وهو يتأوه، بصورة أقرب للحقيقة. لكن، لو أنه اختبر وغيه بشكل طبيعي، سوف يرى هو بدوره أصالته تفقد وعيها؛ لأنه يبرر في تأوهات امتداداته التأؤمية.

عالم الحرب

لم أر الحرب وبدت لي غير قابلة للإمساك بها، غير أنني رأيت عالم الحرب؛ وهو بكل بساطة العالم مُعسكرًا. لقد تغير معنى الأشياء.

يظل الفندق هنا جاهزاً حقياً غير أنه يستقبل الفراغ. أي أن هذه الإمكانية تدمر نفسها بنفسها وتصبح اعتباطية. يستقبل الفندق مقابل المال ويستحضر حرية بورجوازية؛ الحرية مقابل المال. غير أن عالم الحرب هو عالم بلا أموال ولا حرية. هذا الفندق صادرة إدارة الجيش. يقيم فيه جنود لا يدفعون أي شيء ولا يقيمون فيه بحرية. فالفندق بالنسبة للذي يقرأ ما كُتب على بابه: كلمة «إدارة»، تثير معنى جديداً: القسرية المجانية. لقد أصبح في نفس الوقت أداة شغل صرف - يعني مهما كانت الرفاهية القديمة للشيء، يتم ترتيب الأمر ليعمل ما هو أساسي فقط. فالغرفة المتأنقة التي يجب أن تغري المسافر لا تصلح الآن سوى لمبيت للجنود الذين يحتلونها، ينامون فيها، ولكن على القش. أما السرير فقد تم نقله أو لا يُستعمل البتة. هكذا تم تدمير المعنى الإنساني للشيء قبل أن تدمر القبلة الشيء الذي صنعه الإنسان. في الحرب

نتجول في عالم -أداتي، كما في الثكنة تماما. غير أنه بما أن نَعَم الأشياء المتأنقة تظل باقية، ينتج عن ذلك في كل لحظة نداء متلاش لعالم مفقود؛ وَهْم متواصل.

ليست مسافة الأشياء عن الإنسان في الحرب هي نفسها المسافة زمن السلم. لقد شعرت بذلك ذلك اليوم بأرزويلر: كانت هناك غابة صنوبر على صخرة حمراء تبعد قرابة خمسين مترا عن الطريق. نمنا على حافة الطريق، مُثقلين ببنادقنا، وحقائبنا، ومعاطفنا مثل جعلان مستقلية على ظهرها. أحبيت، ليس الذهاب إلى تلك الغابة، ولكن التفكير في إمكانية أن أذهب، غير أن التفكير في ذلك كان مستحيلا، لم يكن في حدود إمكانياتي. كانت خمسون مترا كافية لجعل ذلك المكان في منأى منّا، فتحول إذن إلى مجرد ديكور. هكذا أصبحت مارموتيه بالنسبة إليّ خالية من الضواحي بما أنه ليس بإمكانني الخروج منها. ثمّة في عالم الحرب دروب ثقيلة وخطيرة، وهناك أيضا ديكورات. وحتى أتوقف عن أن أكون في حدود إمكانياتي، تفقد كل الأفاصي حقيقتها. هذا ما يردّه الجنود حين يُعبّرون عن مشهد رائق في قرية بديدة: «سنعود إليها زمن السلم».

الحرب اشتراكية؛ فهي تحتزل الممتلكات الفردية للشخص في اللاشيء، وتعرضها بالممتلكات الجمعية. لم تعد ثيابي، مرقدتي، أو أغذيتي ملكا لي. لم يعد لي مسكن. كل ما أستعمله هو ملك للمجموعة، ولا يمكنني أن أتعلّق به لأنّ هذا الجمعي لا شخصي، بالتحديد لأنه جمعي. للحقيقة، كان الدخول في حرب، بالنسبة إليّ، لا يرتبط بسلب ممتلكاتي الشخصية بما أنه لم تكن لديّ ممتلكات شخصية؛ لم أكن أملك مسكنا، ولا أثاثا، ولا كتباً، ولا مكتبة. كنت أتناول أكلي في مطعم، وعندني من الثياب ما أحταجه فقط. لكنّ الحرب غمرتني بمجموعة من الأدوات التي هي في ملك المجموعة، وليس لي إلا أن أستعملها: خوذة، قناع، حزام، حذاء، بندقيّة، إلخ. هاأنذا في الاشتراكية طوعا أو كرها. ومتعافى من الاشتراكية، إن كنت محتاجا فعلا إلى التعافى.

في الحرب كما في السلم، نُحيل كلّ هذه الأشياء - الأدوات إلى معنى أولي: المطرقة لطرق المسمار، المسمار ليُثبت سقفا، إلخ. غير أن المعنى الوحيد هو نفسه في السلم:

حماية الحياة البشرية. أما المعنى الوحيد لهذه الأدوات في زمن الحرب فهو التدمير؛ وهذا واضح بالنسبة إلى المدفع أو البندقية. غير أن ما يلفت الانتباه في عالم الحرب أن هذه الأشياء التي تصلح لحماية الإنسان هي هنا سليمة، ومعناها الأخير في الوقت الحاضر هو التدمير. هذا الفندق، هذه المطرقة، هذا المسار، هذا السقف، كل هذا يصلح في الأصل للحماية، غير أن هذه الحماية لم تعد الهدف النهائي. الحماية في حد ذاتها ليست هنا إلا للتدمير. ليس كل هذا استدلالا منطقيًا؛ فهذا يشعر به من خلال الأشياء، وهو أحد أسباب الالتباس الجوهرية للأشياء في زمن الحرب: أشياء فاخرة تصبح مجرد أدوات، محافظة في الوقت نفسه على أمتها، أشياء هي في الأصل للحماية تواصل دورها في الحماية، مكتسبة معنى كارثيًا وسريًا للتدمير.

يكمن لا يقيني الأخلاقي في أنني في حرب لأنني بالأساس ملزم بعقد تجنيد - وهذا كل شيء. يبقى السبب الأخلاقي الذي أصبح أساسيًا جرأً رغبتي في أن أكون حرًا؛ أي أن أقوم أنا بتسيير الأحداث. فبالنسبة إليّ، أن أقول «أقبل بالحرب»، تشبه تمامًا إعلان «بورلاب دوكونتريوان»⁽⁶⁾: «أقبل بالعالم». لقد خنت ذلك وانطلقت على غير استعداد. لقد كنت في مارس أقول: «تتيح لي الهلالية سببا لخوض المعركة»، ولكن في سبتمبر 1939 قلت: «أتحمل الحرب وأقبلها مثل وباء الكوليرا». غير أنها وجهة نظر مخطئة، كما تؤكد ذلك الكاستور⁽⁷⁾. ليست الحرب وباء، بل هي فعل بشري ابتكرته إرادة حرة. من المستحيل اعتبارها شبيهة بمرض موجه تتصرف الرواقيّة البسيطة ضده بشراسة. وبما أنني طبعًا أمل أن تنتهي هذه الحرب في أسرع وقت ممكن، انتهى بي الأمر - كما سبق وقلت ذلك - إلى أن أضع ثقتي في القيادة العسكرية كما يضع المريض ثقته في الطبيب. من هنا جاءت القذارة. هي في الحقيقة لا يقينية عميقة فيما يخص موقف من الحرب. لقد كنت هشا.

6 رواية الدوس هكسلي، بلون 1930.

7 للتذكير فإن سيمون دي بوفوار يسمونها المقربون منها الكاستور.

فجأة؛ وجدني أفكر في «زيورو»⁽⁸⁾، و«غيي»⁽⁹⁾ اللذين تمّ تجنيدهما مثلي. ما الذي يفعلانه؟ إلى حدّ هذا الوقت لا أفكر إلّا في «آرون»⁽¹⁰⁾ -بشكل ساحر- وفي «بوست»⁽¹¹⁾ لأنني اعتبره جزءاً من عالمي. عجزت عن التفكير في حيوات الآخرين بالتزامن لا يساعدني على تصوّر أنّ هناك حرباً ما فوقنا قليلاً في جهة فورباخ، وأنّ الألمان لا يبعدون عني سوى أربعين كيلومتراً. كما قال ذلك الجندّي يوم الإثنين، أعيش المناورات الكبرى فقط دون الحرب. هل يوجد فعلاً أناس يستطيعون «التفكير بشكل متزامن»⁽¹²⁾؟ تلك السيّدة⁽¹³⁾؟

السبت 16

لا أستطيع التعميل على الآخرين. هذا لم يحدث لي أبداً من قبل، وبإمكانني إثبات ذلك؛ فذلك يُشعّرنِي بالجزع، وها أنا ذا هنا أنعم بالهدوء وأنساءل إن لم تسقط ساربروك. وهذا يعني أنّي أمل أن تكون القيادة العليا قد استطاعت بذكاء، بمعية

-
- 8 لقد عرف سارتر مارك زيورو في الحي الجامعي وهو يستعد للمرة الثانية لمناظرة تخرجه (1928-1929) هو صديق له لكنه ليس بالصديق الحميمي. أصيل الجزائر. أوجي لسارتر ببعض ملامح شخصية دانيال في دروب الحرية التي يكتب سارتر جزأها الأول خلال هذه اليوميات.
 - 9 بيار غيي زميل دراسة في المعهد الأعلى للمعلمين. بدأت صداقتهما قوية في السنوات الأولى. لكنها خلال كتابة هذه الدفاتر قترت قليلاً.
 - 10 رايمون آرون زميل دراسة أيضاً. أقام الثلاثة آرون، سارتر، غيي في نفس الشقة بالمعهد الأعلى للمعلمين (إثر سفر بول نيزان إلى عدن) تولى آرون تدريب رفيقه عسكرياً.
 - 11 جاك لورين بوست تلميذ سارتر في معهد الهافر وظل صديقه وصديق بوقوار
 - 12 ورغم ذلك هو يحاول من خلال تأليف عصر العقل، والإرجاء كتباً إثر ذلك ب ثلاث سنوات بشكل منظم في توازيه: الناس الأثمد اختلافاً، عبر أوروبا في انتظار الحرب أو السلام، يعيشون ساعات طويلة دون انقطاع من 23 سبتمبر إلى 30 سبتمبر والتي انتهت ب اتفاقات ميونيخ.
 - 13 كنية لمدام موريل. صديقة لبوقوار وسارتر الذي أعطى دروساً خصوصية لابنها. نعت في هزيمة وهي رواية ألفها سنوات الشباب نعت فيها على وضعية حيث أوحّت هذه السيدة بعواطف حب له (كتابات الشباب أعدها كونطاً وربالكا غاليمار 1990).

الجنود وشجاعتهم، السيطرة على ساربروك⁽¹⁴⁾. لم نكن بعيدين عن قذارة الخلف [مؤخرة الركب]: تلك العجوز وهي تُعَوِّل فعلا على «جنودنا الصغار الشجعان» وتتلذذ بأنها محمية.

أحس من حين لآخر أنني تخلصت من هاجس الانشغال بالآخرين (فاندا⁽¹⁵⁾ - بيانكا⁽¹⁶⁾)؛ لأنني أقر أنني الأشد ضجرا (أدفع ذلك من شخصي)، لكن لاشيء مضمون جدًّا، ورغم ذلك فهو سرّ هدوئي الحالي.

الذي أثر في موقعي الحالي الآن (رغم أنني نسيت في الأوقات الأخيرة وعوّضته بشكل من التعميم الأحق جدًّا: تحمّل الحرب باعتبارها وباء) كما قال ذلك دو غي: «مجموعة من الناس فقط منشغلة خلال حرب 1914 بالتصرف مثل الرجال، مثل الحراس المطاردين لبواز⁽¹⁷⁾». تُرغيني هذه الصياغة بما أنها تعوّض التعليمات الجمعية بالزامية الشخص تجاه نفسه. غير أنّ غي إنساني كثيرًا، وجملته التي استحضرتها في دواخلي فقدت كلّ معناها. دون أدنى شكّ هي الأصل في الفكرة التي كانت عندي منذ البدء، ومازالت، والقاضية بأنّ الحرب مغامرة لتكملة قدرتي؛ «هكذا أكون عرفت الجنون، والشغف، والفنّ، والحرب». تجارب نبيلة أو أدعي أنها كذلك. كنت فيما مضى أتمثّل الحرب كما لو أنّها التجربة الأساسية لأتمثّل حياتي كإنسان، وهاهي ذي الحرب قد جاءت ولست أدري إن كنت سأظفر منها بشيء من الهدوء. وكالعادة،

14 احتل الفرنسيون حوالي 9 سبتمبر بعض قرى في لافار. وحسب الجنرال غاملين فلقد توقف الهجوم في 12 سبتمبر لا يبدو إن الاستمرار في هجومنا يفرض سلطة ما بما أنه لا تأثير لها إطلاقًا على الأحداث في بولونيا ("ذكره بول رايون في مذكرات فلانماريون 1963) تواصلت المناوشات المدفعية بين الطرفين في هذا المحور إلى حدود 16 أكتوبر.

15 الأخت الصغرى لأولغا كوزاكيفتش التي كانت تلميذة لبوفوار في معهد روان. تنادىها هذه الأخيرة باسم وهي "تابيا" في كتاب رسائل إلى الكاستور وإلى بعض الآخرين (غاليماز 1983) من هنا ظهر اسم العائلة للأختين "زازولينش"

16 سابقة لبوفوار والتي سمّتها "لويز فيدرين" في كتاب رسائل إلى الكاستور وإلى بعض الآخرين وقتها مازلت طالبة فلسفة.

17 قرية قرب دانجير حيث المسكن الريفي لمدام موريل.

كان الأصل في هذا التصوّر تمثلي المسبق لحياة الرجال الكبار التي تتوفر حسب اعتقادي على مرحلة تجربة⁽¹⁸⁾. وكنت أعوّل قليلا على هذه الحرب للتعويض عن سهولة نجاحاتي الأدبية الأولى التي (دائما من خلال تمثّل مسبق) بدت لي منذ البداية مربية ومشبوهة. وفي جميع الأحوال، كانت هناك فكرة قدر الإنسان (مأخوذة من غمي، ومطوّعا إياها حسب المعنى الذي أريده) متدخّلة في مصير شخص ذي أهميّة (وأنا الذي اصطنعتها من خلال قراءات قديمة، وليس من خلال الحيوّات الحقيقيّة لـ «ستندال» أو «بودلير»، ولكن انطلاقا من الأصناف التي من خلالها يرى كتاب السّير هذه الحيوّات). وفي كلّ الأحوال، ترسّخت بشكل عميق في داخلي فكرة المصير: ها أنا أمتلك مصيرا؛ وهو ما يساعدني-وبشكل تصوّقي- على اعتبار أنّ كلّ ما يحدث لي من مراحل أساسيّة من مصيري، عليّ أن أحوّله إلى غسل. وهكذا، سوف أكرّر أنّ الحرب التي تُخيل من كان سببا في اندلاعها، لن يمنعني ذلك من اعتبارها منبعا للتجربة؛ وهي تمثّل بالتالي تطوّرا بالنسبة إليّ. ذلك أنّ فكرة التطوّر مكتملة لفكرة المصير، وهي أيضا جوهرية عندي. وهذا ما تسمّيه الكاستور تفاؤلي.

من ناحية أخرى، فما دمت قادرا على الكتابة فأنا هادئ، بل وسعيد؛ وهو ما لا يغيّر من طابعي المدني؛ حيث كانت الكاستور تقول لي إنني لا أتمثّل الزّمن الضّائع طالما أنّني أشتغل؛ إذ يمكنني أن أقضيّ ثلاث ساعات هائلا بين أغبياء. ليس عندي خشونة طباع مع حياتي؛ لذلك سوف أكتفي بغرفة «مدام غروس» التي نحتلّها نحن الأربع هنا ديكورا، أو قاعة مدرسة مارموتيه. وأستمتع حين أفكر أنّه بإمكانني في بحر ستّة أشهر الانتهاء من كتابة روايتي القادمة. وفي المحصّلة، لا تكلفني روايتي الشّيء الكثير⁽¹⁹⁾.

18 في الكلمات (غاليمار 1964) يبحث سارتر عن أصول هذا العرض في أيام صباه. انظر دفتر 3

19. في نفس ذلك اليوم كتب لبوقوار "إنني مطمئن غير إنّه ليس ذلك الاطمئنان المتأسس على أسباب قوية وأنا أحقق في شأنّي الخاص على دفترتي الأسود الصغير. من سيقرأه بعد موتي -لأنك لن تنشره إلا بعد موتي -سوف يعتقد إنني كنت شخصا ندلا إلا أن أرفقته أنت بتعليقات جيدة وشروحات (رسائل إلى الكاستور وإلى بعض الآخرين).

عالم الحرب

الإنسان - أقصد إنسان القطيع. نتج الفوضى في مفهومها العسكري، واللُّبس في الطَّبع العسكري من جرّاء معاملة الإنسان كما لو أنّه آلة تماماً، وكما لو أنّه كائن حسّاس تجاه الاحتفالات.

(1) شبيه بالآلة: مثله مثل العامل ينجز الجنديّ عملاً، لكنّه عمل غير منتج؛ فمهمّته أن يدمّر، وحين لا يدمّر بشكل دقيق فهو ليس إلّا ظلاً - إطلاق نار فارغ، مناورات كبرى، تكرارات بلا نهاية. لا يمكن إذن التعويل على عمله بما أنّه لا يحقق أية قيمة بالمعنى الماركسيّ. إنّ جهد عارٍ، لن يسلب شيئاً، غير أنّه في المقابل هو أكثر من عامل. بما أنّه يُعامل باعتباره آلة، ولا يتطلّب الأمر أكثر من توفير ما به يتحرّك كآلة: ثياب، وأغذية، وأغطية. من هنا ينبع الطّابع التمثيليّ والتّصوّري لهذه الأدوات، والذي أشرت إليه يوم الخميس؛ فلم تُصنع هذه الأشياء لتثير الإعجاب، ولا أثر «للاحتفال» البشريّ بها بما أنها سلع صيانة. لا نصقل الفحم لإثارة إعجاب الآلة. وفي نفس الوقت ما إن يتعلّق الأمر بالاستعمال، تتمّ معاملة النّاس كمواذٍ. مثال ذلك نقلنا الطّويل من سانتراي إلى مارموتيه. لقد احتججنا لأنهم تركونا ننتظر أكثر من ثلاث ساعات ونصف السّاعة، واقفين ومحمّلين مثل الأحمر، بعد أن أيقظونا من النّوم منذ السّاعة الثّانية فجراً. هذا لأننا لا نستطيع أن نعتبر أنفسنا بشراً، ولكن لنفترض أنّنا صفائح معدنيّة أو براميل خمر كان من المفروض أن يتمّ تكديسها مسبقاً بشكل يتمّ فيه الشّحن بالشّكل الملائم.

(2) مثل إنسان احتفاليّ: لقد أصرّوا بالأمس على التّقرير المتعلّق بـ «رمزيّة التّحية العسكريّة العالية». هكذا نرى أسلوب الفكر المتحفّظ: التّحية موجودة بوصفها احتفالاً، ولا نبحث بعد ذلك عن منحه دلالة عالية؛ هذا هو نمط تفكير «ميتسر» و«بونالد». يشدّوننا باحتفالات ورقصات، وإذا بنا أسرى التّهذيب العسكريّ. كما هو الحال مع جنود «فردين» الذين يفرضون عليهم التّمارين خلال فترة استراحتهم، ليكونوا «جاهزين تحت الطّلب في كلّ لحظة». لذلك فإنّ تحليل «ألان» لهذا السّلوّك

العسكريّ سليم جدًا. غير أنّ هذا السلوك سوف يبدو جزئيًا. فاللّبس يكمن في أنّ القيادة العليا من خلال تمثيلها للإنسان القطيع، تُكَدِّس ما هو مادّيّ على الاحتفاليّ، وما هو احتفاليّ على ما هو مادّيّ؛ وهو ما سيؤدّي طبعًا إلى تكديس الإنسان على نفسه وفقًا لتمثيل القيادة العسكريّة العليا له.

والمحصّلة:

1) انعدام أيّة كرامة إنسانيّة: وهو من حيث المبدأ ليس سيّئًا على الإطلاق؛ لأنّنا أولاً لا نملك حتّى مجرّد كرامة العمل، بما أنّ هذا العمل لا يحقّق أيّة قيمة؛ فإمّا هو مُدَمَّر أو مجرّد كوميديا عمل. لا يمكن الابتهاج إطلاقًا بالعمل العسكريّ؛ لأنّ معناه العميق هو العدم والموت. ليس بإمكان الإنسان النّجاة من خلال فكرة العمل. وبقدر ما يسمح لنفسه أن يعاملوه بوصفه آلة، فهو يهين نفسه في نفس الوقت مثل مازوشيّ يسمح لعاهرة مدفوعة الأجر أن تجعله سلّمًا صغيرًا لتصعد على كرشه أو لتدعسه. فعريّنا الآليّ هو إذن عريّ بشريّ؛ هو عريّ مُهان. ومثال ذلك أنّهم يجبرونا على التغيّط جماعيًّا، غير أنّ تفرّغ هذه الآلات هو إهانة للإنسان. وهو ما يتّج عنه تهاون متميّز: انتفاخ وضراط في وضوح التّهار؛ يضطر متصبّبا ويتمنّم في لامبالاة: «أعتذر». يعتذر لأنّ الضّراط يمكن أن يضايق الآخر. ولكن لا شيء يبدّل أنّه مضطرب لأنّه كشف عن مثل هذا الضّعف. ألم يتبرّز بالأمس معي في نفس الوقت وفي نفس المكان؟ فنحن بالنّسبة إلى الآخرين في عريّ مستمرّ. وليس عريّ الرياضيّ، بل عريّ الحلزون أو البُرّاق. العريّ - الضّعف القدر والفاحش. وشيئا فشيئا، يتحوّل الفحش إلى أمر عاديّ. ولا يجب أن تأمل في الإفلات، من خلال التّرفّع إلى عالم الذّهن؛ فعالم الذّهن يتطّرك وهو مُهيّأ بإتقان؛ إنّهُ عالم الاحتفالات والرّقص، عالم التّحيّة العسكريّة، وحمل السّلاح، والمقدّس. وفي النّهاية، بالاستعمال ندرك من هو ذلك الإنسان العظيم الذي تحدّث عنه «أوغست كونت» وعلماء الاجتماع وعلم وظائف الأعضاء؛ إنّهُ إنسان القطيع.

2) انفراد دون عزلة: نحن وحيدون لأنّ لكلّ واحد منّا حياته الخاصّة. وكلّ واحد منّا هو عند أعلى النقطة من الهرم، كلّ شيء بالنّسبة إليه ذكرى وماض. وهو ما

لا ينطبق على عموم الشباب الفتى الذي يؤدى واجبه العسكري، لكنه يخص الاحتياطين؛ فلا أحد منهم بإمكانه القطع مع حياته المدنية التي يحرقها خلفه مثل عبء ثقيل، غير أن كل شخص هو في نفس الوقت محاصر بالآخرين؛ يجدهم في كل مكان، يشتغل برفقتهم، هم هنا في المراحض يحيطون به، وفي غرف النوم ينامون جنبه ويشخرون. فالبشرية هنا فضاء انغلق عليه ومخنقة، ولا مجال إطلاقاً للكيرنسيا⁽²⁰⁾، لا وجود لمكان مفضل ليعيش عزله ولو للحظة؛ ففي كل مكان هنا التراب، والجدران، والأسرة، والطاولات. كل شيء هو ملك مشترك بين الجميع، وكل مكان هو جماعي. وسيشعر الفرد بنفسه مراقبا في كل مكان - بل وبلا مبالاة - وسوف تتم مضايقة عزله في كل مكان، ومنعها من أن تتحول إلى منبع إيجابي للكسب والابتكار. سيبقى مجرد اغتراب سلبى لن يستطيع إدراكه بوصوح؛ فالانفراد هنا مغطى بغياب العزلة، والناس فوق بعضها؛ الواحد على الآخر دون أية مسافة بينهم.

3 الانتظار وانعدام الإمكانات الذاتية: ما يميز الواقع - البشري كما يقول «هايدجير»⁽²¹⁾ هو إمكاناته الذاتية. لقد ذكر «دي رولي»⁽²²⁾ في مرض أن المريض يتحول إلى شيء ما تُتزع إمكاناته الذاتية منه، ويصبح تابعا لمشئته الآخرين. يشبه الجندي كثيرا المريض: هو أيضا يعاني من انعدام الحيلة؛ لم تعد هناك إطلاقاً إمكانية ذاتية. إنه ينتظر، غير أنه انتظار شديد الخصوصية وعسكري [صرف]. ففي

20 عبارة اسبانية من معجم مصارعة الثيران: في حلبة الصراع يرى الثور نفسه في المكان المربع لسارتر ميل شديد نحو هذه الكلمة التي اكتشفها في أحد أعمال همنغواي. وكثيراً ما يعود إليها شفاهياً أو كتابياً.

21 واقع بشري، أصالة، إمكانات ذاتية، تاريخية، أدوات الخ. هذه العبارات الهيدجارية (كما ترجمها هري كوربين) يستعملها سارتر بشكل شائع في الدفاتر. يبدو إن سارتر يريد أن يختبرها لكي يحصل من خلالها على فهم حميعي. مازالت عرقته بهيدجر حديثة العهد لاحقة على هوسرل وربما أقل ثقة انظر في الدفتر الرابع حكاية لقائه بتفكير هذين الفيلسوفين.

22 ليوئيل دي رولي تلميذ سابق لسارتر في الهافر، أصيب بالسلي، كتب عن تجربة مرضه وأقامته بالمستشفى حسب يوفوار أوت كتاباته بمقطع نقل المرضى في الإجراء (قوة العمر 1960 ص 358 فولبو غاليمان)

العادة من ينتظر، إنها ينتظر شيئا ما من الآخر، وبطبيعة الحال من نفسه. أما الجندي فهو لا ينتظر شيئا إلا من الآخر. هذا الانتظار السلبي، والذي يميّزه مزاج ذو طبيعة عسكرية - وجه خشبي، وعينان فارغتان - هو تحول بطيء نحو التسيؤ. بل ويكون مصحوبا بصمت داخلي؛ صمت من المؤكّد أن يستمتع به كثيرا «بريس باران»⁽²³⁾.

4) اللا استخفاف: إذا كان في الإمكان بالنسبة إلى الواقع - البشري أن تُسمّى الإمكانيات الذاتية، كما يطمح «هايدجير»، انشغالا، فإن الاستخفاف العسكري هو انعدام الاهتمام؛ وهو ما يعني تجريد الإنسان من إنسانيته. لهذا الاستخفاف قرابة شديدة الصلة بالاستخفاف عند متعاطي الحشيش الذين تحدّث عنهم «ليونيل». إنها براءة الأشياء. كلّما زادت الإمكانيات زاد القلق. وإحقاقا للحق، فجنود الاحتياط في مأمن بحياتهم المدنية من هذا الاستخفاف، غير أنّه ينخر حياتهم ببطء. حياتهم التي أصبحت من الماضي. ما ينتظرونه، لم يعودوا في حاجة لانتظاره، فالانتظار في حدّ ذاته فقد معناه. ذلك أنّ دخولهم للحياة العسكرية شبيه بالموت؛ لأنّ هذا الدخول مصحوب بجثّة حياة فقدت معناها، وظلّت معلقة في العبيّة. ومن هنا يمكن أن نلاحظ استعدادا للأسفل دون أية بطولة للموت الحقيقي. تذكر أبطال فولكنر (أد أسترا)⁽²⁴⁾ الذين عادوا من الحرب، ورغم ذلك كانوا قد ماتوا فيها. حياة في الحاضر بأقلّ ما يمكن من استمرارية؛ حتّى تلك الاستمرارية الجيدة (نسبة لأندريه جيّد) للأغذية الأرضية، بما أنّ الإنسان الحرّ لن يستطيع أن يتعامل مع الجبل إلا إذا كان بالنسبة إلى قابلا لأنّ أتسلقه، في حين أنّ العسكري، الذي يعيش اللّحظة فقط، يعتبر الجبل شيئا ميتا، مجرد ديكور.

5) المقدّس: ليس هذا العالم دون ديانة بما أنّ الإمكانيات فيه متوقّرة ويمكن سحبها متّا. غير أنّها إمكانيات - أشياء؛ أي أنّها لا توجد حتّى في حركة حرّيتنا، لكنّها

23. بريس باران (1897-1917) محرر في المجلة الفرنسية الحديثة، نشر محاولات حول البؤس البشري وعودة إلى فرنسا (غراسيه 1934 و1936) أين يتابع رد فعل حول اللغة. خصص له سارتر بعد ذلك بوقت طول مقالا طويلا: نهاب وإياب (1944) في وضعيات غاليملر 1947

24 "أد أسترا" هي جزء من مصنف قصص قصيرة عنوانه 13 قصة نشرت في غاليمار في افريل 1939.

مُثَمِّلَةً، تطفو قدامنا، غير متاحة لنا، ونحن ننظرها. وهو ما سوف يؤدي بطبيعة الحال إلى الختمية والعبادة. هذه الإمكانيات يجسدها أشخاص، وأقصد الضباط هنا، فقدوا خصائصهم الفردية ليتحولوا إلى مجرد ومضات إمكانيات. فالفائد، هو قبل كل شيء إمكانية أن يتقلك، أن يُسترك، أن يلقي بك إلى الدّاخل. ولو غامرنا بقراءة نفسيته، فهي نفسية مقدّمة تهدف أساساً، من خلال التجربة، إلى امتلاك طريقة لاستهلاك إمكانياتنا. إنّه «شخص جيّد»؛ أي أنّه يومض أقل من آخر فيما يخص إمكانية أن يلقي بنا إلى الدّاخل. ونضيف لكل هذا الرّئي العسكري، والاحتفالات الروتينية، وهذا المقدس الخاص جداً: دفاع الاتصال. لا يجب أن نلمس القائد. أنا نفسي أحسست عدّة مرّات أنّ الضباط الذين أتبعهم مقدّسون، خاصّة خلال فترة تفاولي الإعجابي. يملؤني هذا غيضا، ولكن ما باليد حيلة؟ كلّ شيء انتهى الآن، غير أنّهم يظلّون بالنسبة إلى سحرة عنيدون ومؤذنين، بجباه منخفضة.

6 رفقة خاصّة للغاية: ليست ثمة صداقة شخصية، ليس هناك خيار. أثناء اللقاءات في المقاهي، في الشارع، يخاطب كلّ من التّطفل والتّودّد الإنسان؛ الإنسان المُجَنَّد: «من أين أنت، ما هي كتيبتك، أين هي؟ إلخ.» فنغتاظ ونشفق على ذلك الإنسان لما تعرّض له من مغامرات. بالكاد نتعرّف إلى وجهه، ولا نكاد نهتمّ. نحفظ بأسرارنا خلال الحياة الجماعية. لكلّ واحد منا وطنه الشّخصي ولا يُحدّث عنه أحداً إلّا في لحظات الكرب أو الحيويّة المفرطة — لكننا نتواصل من خلال العري والضعف البشريّ. هكذا نحن، مشدودون بعضنا إلى بعض من خلال الاحتياجات الطّبيعية، حزام الفتق، والرائحة، والشّخير إلخ. إنسية للجسد شبيهة بما يكفي بتلك التي عند الألمان. ثمّ ينضاف إلى ذلك رابط الشراكة والتضامن الذي يفرضه الظّرف. ثمّ هناك هذه القهقهات المباحة اللامبالية الجماعية. رفقة صامتة وغير مهذّبة. لا نرى أنفسنا مجبرين على الحديث؛ لأنّنا لم نختر رفقتنا.

اجتاحت روسيا بولونيا⁽²⁵⁾. علمت بذلك في تمام السّاعة الخامسة عن طريق

25 مطابقة للبروتوكول الميري للاتفاق الميري الألماني — الموفياتي بعدم الاعتداء المضي في 23 أوت 1939 والذي يحدد مناطق تأثير الطرفين في بولونيا خاصة في حال تغيير سياسي جغرافي

«بول»؛ فهو الذي يأتي، أيضا، برسائل (الكاستور، وفاندا). رعب حقيقي. لا أقبل بالحرب إلا إذا كنا متصيرين فيها. فكّرت أنني افتتعت أن الحرب سوف تنتهي خلال سنة دون إحداث أيّ تغيير. تلتصق بي حياتي الماضية مثل السّعفة. لم أقبل بتركها بلا أسف إلا من أجل أن أجدها مجدّدا كما هي. روّحت رسالة «فاندا» عن نفسي قليلا، غير أنني أعتقد دائما أنها لن تتطرنني إلى آخر لحظة. سأكون هادئا، لو فقط أستطيع أن أقنعها بالمجيء إلى باريس⁽²⁶⁾. أحبّ أن تكون خائنة على أن تكون شقية في غيابي. في المحصلة كان هذا يوم مشاعر. فمنذ مدّة طويلة لم يحدث لي هذا؛ وبالضبط منذ يوم الإثنين الماضي، عندما كنت مكتبا. تُربكني رسائل الكاستور؛ حيث يعتريني انطباع أنني أنا الذي ينعم بالجزء الأفضل. أعاتب نفسي لأنني لم أتألم معها ومن أجلها. يبدو لي أنني أسرق منها كل لحظة من اللامبالاة. لن أفكر أنني مأنشغل وأهتم كثيرا كي لا يعفني هذا من الانشغال بالآخرين.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الإثنين 18

تقادمت ملصقات التجنيد إلى درجة أنها تمزّقت بفعل الرّيح والمطر، وهاهي تتبعثر الآن مرّقا مصفرة مبتلة في مجاري المياه بالقرية.

ليس هناك رصد للأحوال الجوية اليوم. يشعر رفاقي الثلاثة بالضجر. [يقول] «بيتر»: «ما الذي يمكن أن أفعله إذا يا إلهي؟» أما «كيلر» فقد كان يجلس حذوي واضعا يديه على فخذه ومرفقيه في الهواء: «آه كم نصجر هنا». كان يتأبني شعور خفيف بالتفوّق لأنني لا أضجر إطلاقا؛ شعور بالتفوّق أيضا إزاء «جيراسي»⁽²⁷⁾، والذي، وفق ما تحدّثني عنه الكاستور، يعتقد نفسه بطلا لأنه سيعود إلى الرّسم بإيجاز، هو رضى، بتعاطف متواضع، عن نفسي.

26. تعيش فاندا عند عائلتها بالأغل.

27. الرسام فرناندو جيراسي والذي عرفه مارتر قبل عشر سنوات، شارك في حرب إسبانيا مع الجمهوريين. جرد كبير من شخصية غوميز في دروب الحرية يعود بأصوله إلى جيراسي (مذكرات شابة مرتبة وقوة العمر سيمون دي بوفوار غاليمار 1958 و1960)

أنا الذي كنت بطبيعتي غير نظيف، صرت منذ تجنّدي أواضب على الاغتسال، خلق ذقني، فرش أسناني بدقّة. كنت أتبع عادات «ستاندال» الذي يخلق ذقنه يوميا منذ انسحاب روسيا. كانت عزيمتي قويّة غير أنّها كانت تتخذ لها خلسة نهاذج.

بداية من الـ 14 من أغسطس شرعت في قراءة يوميات «أندريه جيد»⁽²⁸⁾. كانت قراءة باذخة عموما. في البداية كنت مُتعبا، قرأت من أغسطس إلى سبتمبر، ومن سبتمبر إلى أكتوبر. كنت أعيش اليوم بيومه. كنت أحسّ أيام هذه الحرب مع أيامي في الحرب. وهامي فجأة مذخراقي للأيام تتناقص وما زال لـ «أندريه جيد» أربع سنوات ونصف من الحرب ليعيشها. كم كان ذلك مرعبا. ولكن، شيئا فشيئا أعادت لي المتاجرة بذهنيّة «حصتي»، شكلا من الحفّة الثقافية التي كنت قد فقدتها منذ الأول من سبتمبر. ثمّ هناك دائما هذا التلّفيق المطمئن: أن تتطابق هذه الحرب مع حربي الشخصية. يخرّصني على ذلك أكثر من فصل أو ردّ فعل، جعلت من هذا المستقبل الغامض والمجهول، وغير المحدّد، شيئا عشته سابقا وله آت. أنا نفسي منحت لهذا العالم الهائل الحاضر حيث أركد أفقا «للآتي». وما أنا أعيش هذا اليوم بما هو وجهة نظر الآتي.

جهود «أندريه جيد» مستمرة لاستعادة آثار الآم الحرب على نفسيّته، لتركيز أفكاره حولها. تأملات مفرغة وتريد أن تكون مفرغة - ذلك أنّه سيكون إثما أن يبحث عن الظفر بمكسب منها، حتّى ولو كان مكسبا فكريّا. حالة وحدة شعور دينيّة؛ فهو يرى أنّ من واجبه أن تكون الفكرة منحصرة في الحرب فقط. أمّا واجبي فهو على العكس تماما - بسيط جدّا: أن أحفظ بفكرتي متيقّظة، أن أفكر وليس أن أتأمل. وبما أنّه

28 بين يدي سارتر الطبعة الأولى الكاملة لهذه اليوميات التي تفتّح في 26 جانفي 1939 (مكتبة البلاط عاليمار). أيام قليلة قبل اندلاع الحرب قبل سارتر المشاركة في عدد تكميلي تزمع المجلة إصداره مخصص لأندريه جيد بمناسبة عامه 76 بالكتابة حول اليوميات وحول ما ما يعنّيه موقف اليوميات عموما في الأدب عموما. غير إن الظروف أجبرت بوليهان مدير المجلة الفرنسية الحديثة على التراجع عن هذا المشروع لكن سارتر الذي يولي اهتماما كبيرا باليوميات منذ أن شرع في الكتابة في دفتره مازال مصرا على الكتابة حول يوميات جيد (انظر رسالة إلى الكاستور بتاريخ 14 أكتوبر)

مدني، فمن واجبه أن يتحد شعورنا مع الآخرين. وبما أنني جندي، فمن واجبي أن أفكر بصفاء، وأمتلك رخصة أن أكون الفارس الوحيد. وإثنا لفرصة جيدة أن أمتلك هذه الرخصة، لكن كيف كنت سوف أتصرف بها لو كنت في الجبهة الحربية وليس في مارموتيه؟ فهناك من الأفضل أن أكون محل تقدير لو أحسنت استثمار هذه الرخصة.

تتأبني خفة شعور بأهميتي؛ لأن الكاستور اعتقدت بالأمس أنني في خطر. شيء ما من قبيل «هاي! هاي! من الممكن أن يكون ذلك حقيقة ذات يوم، إلخ».

الحرب الشبح. الحرب على طريقة «كافكا»⁽²⁹⁾. لا أستطيع أن أشعر بها، إنها تفلت مني؛ فالمناشير لا تذكر خسائرننا، ولم أر جرحى. تحدث «الريب نودان» أمس عمن تعرضوا للغاز السام، غير أن آخرين كذبوا ذلك. بعض المعلومات المقتضية. لا وجود للألمان على أرضنا، وليس هناك قصف في الخلف. العمليات الحربية محددة في محور ضيق جدًا. ما منحتة الحرب للجنود في مارموتيه هو حرية أوسع من وجهة نظر قوادهم؛ أي أنهم أشبه بمدنيين. يجب لكي أشعر بالحرب، أن أتلقى رسائل من الكاستور؛ فهي التي تخوض الحرب وليس أنا. أعتقد أن الكثيرين يشاركوني هذا الانطباع. ربما هي نتيجة مناورة ممكنة للألمان: البقاء على خط الدفاع في الغرب لإنهاء حربهم على الجبهة الشرقية، ثم يأتون إلينا ليمنحونا السلم بعد ذلك. لعلنا سنخوض الحرب الحقيقية الكبرى فجأة حين يتم رفض مقترحاتهم للسلم.

اليوم، هناك المزيد من التفاؤل متعلق بموقف الروس. نريد أن نأمل أن اجتياحهم

29 وصل سارتر إلى مارموتيه متأثرا شديدا بالتأثير هذا الكاتب: في 2 سبتمبر في قطار المجندين الذي سوف يحمله عبر مراحل لنيفة من محطة الشرق إلى ثكنة ديساي-ليم-نانسيكان وقتها قد قرأ القضية وفي السجن (المستعمرة العقابية). كما حمل معه أيضا القلعة التي قرأها في سانتراي، مورث اي منزل أين سيكون بعد أيام متروكا مع "رفاقه" الثلاث لمركز الاستخبارات، كيللر العريف بول - والذين سوف يسميهم فيما بعد "مساعدون" نسبة للمساعدين المعرفين لجوزيف ك. في القلعة. ولئن جعل سارتر من كافكا قراءة منتظمة في تلك الفترة، ذلك لأنه وعد بكتابة مقال حول هذا الكاتب لمجلة ماهضة للسلم يمارية المتطوعون، قام ببيعها بعد ميونيخ روناردي جوفنال وفيليب لامور (توقفت عن الصدور أثناء الحرب).

لبولونيا هو من قبيل اتخاذا الاحتياطات، أو هو مناورة للمزايدة ضدّ الألمان⁽³⁰⁾. بالأمس قال «العريف بول» متثاقلا: «إنّ دخل الروس في اللعبة فعلينا أن نقبل بأيّ سلّم مهما كانت».

دائما هي محن رواقّي. حين تركت الكاستور في الـ 2 من سبتمبر، كنت قد رحلت من أجل ما هو أفسى وما هو أفضل من هذه الرّداءة الساكنة؛ وها أنا ذا الآن مُصاب، متعقّن.

في المحصّلة، وهو موقف بورجوازيّ: أحتمل الحرب، غير أنّني أرغب في الإفلات منها واستعادة حياتي ما قبل الحرب. أليس هو نفسه موقف سكّان ميونيخ الذين يتحمّلون الحرب ولا يحتمّلون موت الرّأسماليّة؟

قرأت في باري صوار أنّه تمّ إيقاف «جيونو» بسبب نزعته الانهزاميّة⁽³¹⁾.

الثلاثاء 19

انطباع الحرب الشّبح عند الآخرين. يتمّم «العريف أوّل حلما»: «هي حالة حرب غريبة». يفكّر لحظة ثمّ يردف: «إنّها حرب سياسيّة».

هناك أشخاص وجدوا أنفسهم صغارا جدّا بالنسبة إلى حرب ما، وشيوخا طاعنين في السن بالنسبة لحرب أخرى (1870-1914)؛ أمّا أنا فكنت صغيرا جدا لما بعد الحرب، وأخشى كثيرا أن أكون شيخا متهالكا بالنسبة لحرب أخرى وأنا أقرأ صفحات من يوميات «أندريه جيد» حول مونتيّر لان أو دريو، تأسفت كثيرا لأنني لم

30 لسانر وجهة نظر سليمة حول نوايا الألمان ف"هجوم السلم" ليس مستبعدا غير إنه منظره مثل الجمع يجهل إن اقتحام الجيش الأحمر لبولونيا تم بفضل بروتوكول سري لاتفاق جرمي-سوفياتي، وليس ضد ألمانيا

31 كشف جيونو عن قناعاته السلمية بإمضائه على منشور الفوضوي لويس لوكوان سلم فورية! نُشرت في بداية سبتمبر 1939. وحين حضر في 16 سبتمبر للمركز الذي يتبعه في التجنيد في مارسيليا تم إيقافه على الفور وإيداعه بالسجن النيفادره بعد شهرين.

أكن في سنّهم سنة 1922⁽³²⁾. وهكذا استعدت فوراً ذكرى الحانة الصّغيرة في الإسكادراي التي تلخص لي كل مراحل تلك الفترة؛ فترة «مابعد الحرب» التي لم أعرفها إلا من خلال الحديث عنها، والتي ظلت بالنسبة إليّ العصر الذهبيّ. في سنة 1944 سأكون وقتها شيخاً، ولن يكون بإمكانني إدراك ثمالة التّغيير، هذا إنّ تغيّر شيء ما؛ ليس لأنّه ورائي سنوات عديدة، ولكن لأنّي أمتلك حياة، ولأنّني كنت فعلاً. إنكاراتي للحظة الحاضرة ولكلّ هذه التحوّلات التي ألاحظها فيّ؛ كل هذا هو داخل هذه الحياة. الكاستور، وفاندا، وبيانكا، وروايتي هذه هيكل اهتماماتي الأساسيّة. وإن كنت سوف أتميّاً للموت فسأتميّاً له في قلب هذه الحياة التي أعددتها. ولن يكون ما بعد الحرب مرادفاً للموت؛ أن أتبخّر دخاناً وسط الحياة، وأترك هذه الحياة مفرغة منّي نهائياً، بل سيكون العكس تماماً: سأواصل الحياة، وحياتي سوف تمّحي من حولي. في مثل سنّي نقبل موتنا بسهولة على تدمير حياتنا.

يبدو أنّ «ستالين» يتحرّك باتّفاق مع «هتلر»⁽³³⁾.

السّاعة الخامسة، يلعلع صوت الرّاديو في البيت المجاور أنّ هتلر سيتحدث. كنت منكباً على كتابة روايتي في القاعة الكبيرة لمدرسة الصبيان، وتناهي إليّسمعي «هايل» من الحشود الألمانيّة. تدافع الجنود الألمان نازلين لسماع الفوهرر⁽³⁴⁾.

كلّ فترة حياتي شاباً ورجلاً، والتي أظن أنها سوف تعانق حياتي عجوزاً بل ستجاوزها لتواصل طويلاً بدوني، هاهي الآن محبوسة بين حربين تاريخيتين. كان لها مبتدأ ونهاية. لقد بدت لي مطلقاً، شيء شبيه بالهواء الضروري لأحيا. وفي الوقت الحاضر أراها عن بعد، أقيّمها وأستغرب من نسبيتها التي تجلّت فجأة: بمستطاعي أن أحيأ بدونها. هاهي تقع مني كما لو أنّها جلد قديم. هكذا، وبعد أن كنت قضيت سنة

32 1922 بلغ سارتر من العمر 17 سنة موتيرلان 27 سنة ودريو لاوشيل 29 سنة

33. في ذلك اليوم علم سارتر باتصال القوات السوفييتية والألمانية البارحة في برسمت-ليتوفسك

34 في نفس هذا اليوم ألقى هتلر خطاباً في نزل مدينة دانتريغ يخفي نفسه بانتصاراته في بولونيا والتي تجعل من مواصلة الحرب أمراً لا داع له: "تعاطفي مع الجنود الفرنسيين الذين لا يعرفون لماذا يحاربون" (ذكرها شيرر في الرياح الثالث ستوك 1961)

في برلين⁽³⁵⁾، لم أستطع تقييم باريس. كانت باريس مزاجا عصريا، وحين عدت من برلين لم تعد باريس سوى مدينة عادية مثل بقية المدن. طبعاً هي مدينتي المفضلة، غير أنني أقيمها من الخارج. الفترة «بين الحربين» شيء مهم في حد ذاته. وانطلاقاً من هذا التصور، عوض أن تكون التظاهرات الفنية مثل السريالية، والتزعة السلمية إلخ...، بشائر عصر جديد بدت كما لو أنها إيديولوجيات مُوجَّهة بتحويلات العصر، وستندثر باندثار هذا العصر. لقد فقدت آفاقها. أظنّ أنه لكي تكون حاضراً بالنسبة إلى عصر ما، أن تمتلك آفاقاً، والعبور يعني انعدام هذه الآفاق.

على جنديّ الجبهة وجندي المشاة أن يواجهوا الموت. أمّا أنا فعليّ أن أواجه البقاء على قيد الحياة.

الأربعاء 20

الثامنة صباحاً: طقس ذهبي جميل. قليل من الضباب، طقس سبتمبري جميل وخفيف جداً. «نييار»، الذي كان يتغوط قريباً، يستقيم واقفاً بعد صوت انبعاث ورق ويقول بصوت متدين وهو يضع تباذه: «الطقس الجميل!». صمت ثم أضاف بنفس النبرة: «لكم هو مثير».

أمام هذا الاضطراب الحربي، هناك تصوران للحرب والجيش: تصور متفائل أحاول المحافظة عليه منذ أيامي الأولى، غير أنه يبدو لي غيبياً كما هو الشأن في الفيزياء؛ فهناك نظام إحصائي بكتل كبيرة ولا تحديد ذري. والتصور الآخر الذي يبدو أقرب للحقيقة: كلّ شيء هو غفل وفوضى؛ حيث اللحظة وحده يحدد الانتصار. يكتب «أندريه جيد» في 25 أكتوبر 2016: «كلّ شيء يحملني على الاعتقاد أكثر فأكثر أن مسائل هذه الإستراتيجية التي يجعلون منها لغزاً كبيراً، وأنّ الحل الذي يعتقدون أنه يستوجب معارف خاصة جداً وضروري، هي مسائل ذات معنى جيد وسليم جداً، إلى درجة أن مجرد ذهن بسيط، وسليم، صاف ويقظ هو أسرع في حلها من هذا

العدد الكبير من الجنرالات العجزة». ليس هناك مؤسسة مدنية واحدة، حتى ولو كانت مفلسة، تقبل بهذا الشكل من الفوضى، وبهكذا تهاون. ليس هناك أية إدارة مهما بلغ تمجرها مسمومة بهذا الشكل من البيروقراطية. إن أردت أن أكون منصفًا، أقول لنفسي إننا دون أدنى شك في فرقة عسكرية حثالة، وأن التقدم في اتجاه جبهة «صار» يبدو أنه يمضي بشكل منهجي كفاية. لكن ماذا يعرفون؟ فليس بخطوط التواصل الثلاثة اليومية يمكن اتخاذ القرار.

كم هي عجيبة هذه الفوضى العسكرية، التي هي بالأساس نقيض الفوضوية، والتي نجمت عن أن التعليمات يتم إيصالها بشكل صارم تمامًا من القائد الأعلى إلى العرفاء، مرورًا بكل درجات الرتب العسكرية. التعليمات المختلفة لا يمكن إطلاقًا تجزئتها؛ ذلك أنها تتداخل.

قال «جيد» في الأول من يونيو 1918: «أفكر أحيانًا، برعب، أن انتصار فرنسا الحقيقي الذي ترغب فيه قلوبنا هو انتصار الماضي على المستقبل».

يقول «النقيب لو مور» للرئيس «تیبو»: «عزيزي، عليك أن تعلم أنه في الخدمة العسكرية قبل أن تنفذ أمرًا، انتظر أمرًا مخالفًا».

يُضحك القائد البدين «تیبو» الجنود بما تكتبه له زوجته من رسائل. حين يتسلم رسالة منها، يضرب فخذه بيديه ويتكلم بصوت عالٍ: «اسمعوا ما تكتبه لي: ها قد مضى خمسة عشر يومًا منذ أن رحلت، أرجو أن تحصل على إجازة الأسبوع المقبل». يشرع الجنود في الضحك: «طبعًا هي تتوهم». مدفوعًا بهذا النجاح يستمر «تیبو» في تلاوة ما جاء في رسالة زوجته: «اسمعوا هذا: لقد مر يومان لم استلم فيها رسالة منك. من المؤكد أن إدارة البريد لا تنجز عملها بشكل جيد». يومان! يحتاج كل هؤلاء الجنود الذين ظلوا منذ خمسة عشر يومًا أو ثلاثة أسابيع بدون أخبار جديدة، ويصبحون بشكل جماعي: «يا للنساء! النساء والحرب! الحرب كما تراها النساء!»، وينفجر القائد البدين ضحكا. لكن بعد ساعة أخرى، وأمام جمهور آخر، يرد على تساؤلات بعض الجنود الذين يتذمرون من تأخر البريد فيقول بصوت جاد ومستاء: «تكتب لي زوجتي أنها لم تتلق رسالة مني منذ ثمانية أيام».

أما «بول» المنساق الذي يتابع كل شيء، يصبح مُدققًا وأستاذيًا حين يتلقى رسالة من زوجته. سمعته يتحدث أول أمس ويقول بصوت جاف شديد العتاب: «زوجتي امرأة خارقة للعادة، تريد أن تأتي بابني إلى بارلودوكو أنا لا أريد ذلك إطلاقًا». وهكذا، في لحظة خاطفة برز رب العائلة من تحت شخص الجندي.

لطالما سمعت رد الفعل هذا عدة مرات (خاصة من فم «بيتر»): «سيان عندي لو كانت لدي زوجتي فقط، لكن ثمة أيضا ابني». هناك انطباع أنهم تركوا خلفهم عوائل مدعاة للرثاء، وأنهم يتداركون ذلك من خلال التفكير في أبنائهم.

كانت المنازل مغلقة بإحكام من أجل الحماية، ينبعث من خلال الستائر وميض مائل للزرقة، وفي بعض الأماكن الأخرى كان يشبه الضوء. يسبغ كل هذا على القرية جوا ناعما تحت نور القمر. يزداد الفرق بين الخارج والداخل حدة. وحرّت العادة أن تشيع المنازل أضوائهم على العتبات في شكل برك. والآن يحتفظون بذلك في الداخل؛ إنهم فعلا الداخلون. يحاصروهم الريف من كل جهة فيبدو كل هذا شعريا، عجيبا شيئا ما، يجذب ويدفع فينا الرغبة لمعرفة ما يحدث بالداخل.

الخميس 21

هذه الأنواع الثلاثة من الناس لا يمكنها أن تتحمل الانفراد. ما أن يكون هناك شخص يرفض القيام بشيء ما، حتى يندفع الاثنان الآخران ليقولا: «نحن أيضا لن نفعله أيضا». أفقت هذا الصباح على عجل راغبا في أن أتناول فطور الصباح وحدي. كنت أعرف أنني لو بقيت ربع ساعة فقط بمفردي، سوف أكون في حالة نفسية رائقة وشعرية. غير أنه من المستحيل أن تظفر هنا بالعزلة. اندفع «العريف بول» يغادر سريرته بدوره وهو يراني واقفا. من حسن الحظ أنني سبقته؛ إذ لم يضع حذاءه في قدميه بعد، في حين كنت أنا قد شرعت بأبارح المكان. استطاع أن يلاحقني بكلمات قائلا: «سألتحق بك في المقهى». منطلقا وحدي، كنت فعلا أمشي بسرعة إلى درجة أن لفاتي ساقِي غير المشدودتين جيدا انزلقتا على كعبي. بان لي التزل بين منحفضين في

المكان. وقتها أمسكت بتلك اللحظة الأثيرة عندي. لن أستطيع أن أسميها نشوة أو أسفا، وإنما هي شكل من أشكال النوستالجيا السعيدة والشاعرية لما هو ضروري ولما هو سُمو. نوستالجيا لأنَّ السُّمو والجمال (باعتبارهما ضرورتان في مجرى الحياة) هناك دائما وراء ما يحيط بنا؛ سعادة لأنها - لا شك في ذلك - حالة تأمل. في العادة ليس من السيئ أن يكون في الجوار حاك تنطلق منه موسيقى، ولكن، وبما أنني لم أسمع موسيقى منذ 1 سبتمبر، ولأنني أهتم عند سماع الموسيقى، كان يكفي أن يرفع جندي صوته القوي البشع في الطاولة المجاورة بمقطع موسيقي بطيء. في تلك اللحظة الغامرة بالأحاسيس، غمرني شعور أبكم إنني محروم من السُّمو والجمال، وأنني أرغب فيهما بشكل مُلِحٍّ وأستحقهما وسيأتي يوم وأناهما. طبعاً لا شيء من كل هذا يتشكل من حولي؛ غير أن ذلك تراءى لي من وراء الأشياء التي تحيط بي، ولا يظهر من خلال هذه الأشياء نفسها قدامي. وحين يغيب كل هذا أجدي فارغاً تماماً. أعترف أن هذا الشعور عادة ما يتتابني انطلاقاً من مذاق سيء للأشياء؛ فعادة ما يجب أن تكون الموسيقى حزينة لتهنيئاً لمثل هذا الشعور. قرأت في إحدى المجلات السويسرية خبراً عن حماقة عاطفية أغاظتني ومازالت تغيظني كلما أعدت قراءة الخبر. لا أخفي أبداً أن السهاد العاطفي الذي من خلاله يتشكل هذا الانطباع المهم جداً عندي لا يعني شيئاً، غير أنني لا أعتقد أن قيمة تلك الحالة في ذاتها مرتبطة به: يتحرر منه ولا يبقى متعلقاً به. في تلك اللحظات أحس أنني كائن شعري؛ وهو في الحقيقة حالة استراحة وليس حالة إبداعية - من النوع الحدسي (أقل من الامتلاء). سأقول إنني معطر؛ غير أن هذه الكلمة تدعو إلى للسخرية.

قدموا لنا معلومات جديدة عن الألغام الألمانية؛ حيث تُفجَّر بالجذب. المفتاح الذي يفصل قاذح الذخيرة متصل بخيط إلى شيء موضوع على الأرض: منظار، أو رفش، أو فأس، إلخ... ما أن نلتقط «الشيء المرغوب فيه» حتى ينفجر كل شيء. نصحونا أن لا نمس أي شيء في ساحة المعركة. وطيلة كل هذا الوقت تولد لديّ انطباع أننا كنا أطفالاً يشرحون لهم أن لا يلتقطوا ولا يحملوا إلى أفواههم الحلوى الملقاة في الطريق.

شادن فرويد⁽³⁶⁾ التي كنت أتابع معها تقهقر الحزب الشيوعي الفرنسي؛ لأن هذا الحزب الذي لم يكن في الحقيقة شيئاً مهماً، كان بالتدقيق يضايقني. كنت من أنصاره في وقت مضى، وحلّ وقت آخر أعطيته بظهري أسفاً. وبصفة عامة، لم أكن أريد أن أكون شيوعياً؛ لكن كنت أريد أن أكون يسارياً أكثر من الشيوعيين. خلال إحدى حواراتي مع «بيانكا» قالت: «لا أنت ولا أنا نمتلك الشجاعة لنكون شيوعيين». هنا جرحتني البردعة وأجبتها قائلاً: «نعم، ولكن من جهة أخرى ليس الحزب الشيوعي بهذا القدر الذي يجعلنا نمتلك هذه الشجاعة⁽³⁷⁾». يبقى أنه عليّ أن أقرّ أنني لا أمتلك تلك الشجاعة، ومن الجيد أنني لم أكن أمتلكها. ويبدو لي أنني حين رأيت هذا الحزب ينهار ويتسخ⁽³⁸⁾، فكّرت أنه لم يكن هناك من سبب ليتأسس هذا الحزب؛ فشجاعتني لم تكن تغري إطلاقاً إلا في الظاهر. غير أنّ هذا غير حقيقي إطلاقاً. وكيفما أصبح عليه الحزب الشيوعي، فقد سألوني فيما مضى أن أختار فاخترت أن أكون ضده. هذا بالإضافة إلى أنّ الشيوعية ليست الماركسية.

يتلقّى «كيللر» ثلاث رسائل هي الأولى منذ تجنّده. دسها في جيبه مغتازاً وانتحى مكاناً منعزلاً ليقراها وحده بعيداً عنا. وما أن وجد نفسه وحده حتى استلها من جيبه، وقبل أن يخرج الأوراق من داخلها، تشمم الأغلفة جيداً، ثم تأمل الأختام، والتواريخ، والخط. كان لا بد أن ينقضي ربع ساعة ليقرّر إثرها فتح تلك الرسائل. لم تنقض لحظة من الزمن حتى ضحك وحده وقال لي: «زوجتي مستشاة غضباً ضد حارنا. تمّ تجنيده في نفس الوقت مثلي، ولكن في ظرف أربعة أيام أعيد إلى بيته، وهو يقضي كامل اليوم يُغني».

36 بهجة لنهمة.

37 تذكر سارتر هذه المعادثة وهو يكتب حوار ماتيو-برونر الفصل الثامن من عصر العقل

38 علم سارتر عن طريق الصحف اليومية الاستقالات العديدة لشخصيات شيوعية بواب، رؤساء بديات، الخ للتذكير فإن الشيوعيين في اضطراب شديد منذ الاتفاق الجرمانى- السوفياتي التي حاولت الأحزاب الشيوعية أن تبرره. لم ير الحزب الشيوعي الفرنسي من الجيد أن يعدل في موقفه حين اقتحم السوفيات بولونيا في 17 سبتمبر. خمسة أيام بعد ذلك، سوف يُدافع قرار حل الحزب

يوميات «دايت»⁽³⁹⁾: صراخات، استجابات خطابية، كل شيء غامض، كل شيء فارغ. «أريد أن أحيأ لكن دون أن أبحث كثيرا عن الأسباب؛ أحب أن أصدق في، أن أحللي». تشبه قليل يوميات كوليت⁽⁴⁰⁾. قذارة مضيئة للأرواح البريئة. ساخرة بعض الشيء: كان خائفا جدا من الحرب، غير أنه مات بالحمى القرمزية، وأنا قارئه الذي عشت حربه وأنا أقرأه.

حول الصرامة العبيية للأوامر والفوضى التي تتج عن ذلك: نحن في حاجة إلى بارومتر، والعقيد يبحث عنه في كل مكان. وفي النهاية قال للعرىف «بول»: «لدينا أمر بالمصادرة؛ بها يعني أنه لا يمكننا الحصول على هذا البارومتر إلا بمصادرته من عند أحدهم. أرادوا أن يعطونا واحدا، لكننا كنا مجبرين أن نرفضه».

إن نفسية «جول رونار» و«لاروشفوكو» والهناات الأدبية لـ «دايت» وملاطفات «أندريه جيد» ليس لأنها ليست في داخلي ولكن لأنني أخفقها. لا أريد أن أقول إنني أجعل لها قناعا، لكنني أدق عنقها بكبرياء. يبدو لي دائما أنه يكفي أن لا تصغي لها لتسقط مستنزفة الدم. هي تتغذى من الانتباه الذي نوليها إياها. لكن رغبة الكبرياء التي تدفع إلى تجنبها، إلى رفضها، هي عندي أقوى إلى درجة أني أعتبر مثل هذه الأمور عبثية. يحدث لي أن أحدث نفسي برضى إنني أفلت من هذه الطبقة البشرية؛ لأنني أريد أن أحيأ وفق مخطط آخر، وأن هناك علم نفس آخر يعنيني؛ ذاك المتعلق بالحرية. غير أنني أتساءل أحيانا هل النكران هو المحو؛ بيد إنني أعتقد أن هذه الحيرة غير عادلة. هي تصدر عن وهم أن هناك طبيعة بشرية. لكن، هل كل هذه الظلال المجردة التي تعبر فوق حياتي الحقيقية هي التي تتيح لي إمكانية كتابة رواياتي؟ ليس لي إلا أن أعبئ هذه المخططات لبناء نفسية شخصياتي.

39 أوجين دايت (1898-1936) مؤلف نزل الشمال (دينوال1929) ومؤلف وجع الحياة (غاليمار 1939)، يومياته التي تبدأ من 1928 إلى مماته، نشرتها غاليمار، قرأ منها «سارتر مقاطع في مجلات متنوعة حين طلبها من بوفوار في رسالته 12 سبتمبر 1939».

انتشرت على صفحات الجرائد هذا الصباح إحدى تلك الصيغ التي يعرف الفرنسيون سرها: «فترة انتظار إستراتيجية على الجبهة». (راجعوا صيغ 1914 التي يذكرها «أندريه جيد»: الجيش الألماني ابتلعت فرنسا)، عكس خطاب «دالاديه». لم استمع له، لكن الموظفين يتحدثون عنه بمزاج سيئ. يبدو أنه ارتكب جريمة بقوله إن الحرب ستدوم طويلاً⁽⁴⁰⁾. يقول سكرتير: «لا أريد أن أسمع، في كل مرة يتحدث فيهاييت في الكرب». ويقول آخر: «إنه أول الانهزاميين، يجب رميه في السجن». يحافظ الجميع على ذلك الأمل المعتم في أن الحرب سوف تنتهي بسرعة. بالنسبة إلي، لا أمل في ذلك على الإطلاق. حاولت هذا الصباح - كما لو أي أعذب سينا مريضة - أن أأمل، كي أرى نهاية سريعة للحرب، لكن هذا لم يُثّرني على الإطلاق. ليس لدي أي أمل في أي شيء، لا أنتظر أي شيء. أبقى هادئاً في كابوس مع الحرب من حولي.

السبت 23

تقول الكاستور إنني أعتقد نفسي خالداً. نعم، فلربما ذلك صحيح شيئاً ما؛ لا أفكر في إنني سوف أموت. لكن هناك شيئاً آخر: لقد وضبت كتاباتي ليس بوصفها إنتاجات منعزلة عن بعضها، لكن كما لو أنها تنتظم ضمن مؤلف شامل. وهذا المؤلف الشامل ترتبط نهايته بنهاية حياة الشخص. والأفضل، توقيا من الشبحوخة، إنني أفكر دائماً في أن الأساس سيكون فيما سأكتبه في عقدي السابع. تبقى هذه الصبانية العينية، لكن العميقة، المتمثلة في أنني لا أرى نفسي أموت قبل أن أبلغ السبعين من عمري. والمحصل من كل هذا شبيه بكم فارغ يفصل نهاية حياتي عن موتي. وبشكل آخر يمكنني أن أقول إن حياتي لها نهاية قبل أن أموت بوقت طويل، تمام مثل بدايتها بعد ولادتي (في جزء منها طبعاً لأنني لا أمتلك الكثير من ذكريات طفولتي). وهو ما نتج عنه بالنسبة لي وجود واع، مكتمل ومُنجز، شبه دائري؛ حيث الانتظارات كانت

40 "نحن مطمئنون ومصممون. لسنا موسوسين، مثل أعدائنا، خشيّة من حرب طويلة. نحن لا نفكر، لا في شيء واحد الانتصار الشامل.. "خطاب مُذاع لإدوارد دالاديه رئيس الحكومة 22 سبتمبر 1939

مُتدثرة دائما بالنتائج، بما أنَّ اللاحد من هنا وهناك هو حياتي الحقيقية. فالمهم في كل هذا ليس أن تكون خالدا، بل إنَّ الأساسي هو أن يكون للحياة منجز. في سانتراي، فذلك اليوم الذي احتاج فيه «بول»، ظننت أنهم سيأخذوننا إلى خط الهجوم غدا، في سانتراي واجهنا الموت لأول مرة كما يواجهه أغلب الجنود؛ مثل حدث ينشق وسط الحياة ويوقفها دون أن تكتمل إنجازا؛ لقد شرحت هذا بالتفصيل في الفصل 13 من روايتي حول لولا⁽⁴¹⁾. غير أنني أحسسته وتقبَّلته للحظة على جسر سانترى وأنا أتأمل النهر. لا يدل هذا على الانهيار الكلي لوعمي، ولكن على اللامعنى الكامل لكل انتظاراتي: انتظار حياة أكثر احتمالا مع فاندا؛ انتظار أن اكتب كتابا أجمل؛ انتظار أن أؤلف منجزا فكريا؛ إلخ. وفي نفس الوقت، وعكس ما يقوله «هايدجر»، لا يجعل هذا من وعمي أكثر ذاتية؛ فهذا يُحوِّله إلى شيء، بما أنني أشعر أنه يمكن القول: كان ثمة وعي. كل هذا سهلا لتحقيقي درجة إنني «ميت في حياتي» مادمت قد تخلَّيت عن كل شيء. والحقيقة إنني أفكر أغلب الوقت في أن حياتي مُعلَّقة. لكن في أحيان أخرى أراها متوقفة. أشعر بالموت في تلك اللحظات وأقبل به. ليس هناك إلا اتصالاتي مع الكاستور التي تفلت من عبثية الموت لأنها تفاعلات جيدة، بل إنها كل ما يمكن أن يكون في كل لحظة. لا أنتظر من هذه التفاعلات أي شيء سوى استمراريتها اللانهائية. لكن في الجملة، في الوقت الذي أنا فيه، وفي مكاني هذا مواجهها للموت المباشر، يمكنني أن أقول إنه الشيء الوحيد الذي نجحت فيه حياتي. والباقي في طريقه للنجاح بدرجات متفاوتة. لقد كان هذا الحدس بالموت مقتضبا جدا ولم يعاودني. للإمساك بجوهره، عليَّ أن أعتقد أنه يهددني، يجب أن أكون -سواء كنت مخطئا أو على حق- في وضعية موت. كل هذا فقد وعيه هنا.

مساء أمس، وصف لنا سائق شاحنة عسكرية عائد من ستراسبورغ -بشكل سيئ-

41 "فكر في لولا: لقد ماتت وحياتها كلها كانت انتظارا مثلها مثل ماتيو... لم يكن هناك ما يمكن انتظاره: لقد عاد الموت إلى الخلف عاد ليحصد كل الانتظارات وأوقفها، ظلت هذه الانتظارات ساكنة وبكماء، بلا هدف عبثية..." لو أموت اليوم فكر ماتيو بفتة. لن يعرف أحد إن كنت قد انتهيت فعلا أو إنني ما زلت احتفظ بفرص النجاة. "عصر العقل الفصل السابع من النسخة النهائية غاليمار 1945"

هذه المدينة المؤثرة الميتة. لا أثر لقط هناك. خلال أكثر من ثلاث ساعات تسكع، لم يروا سوى أربع بنات يدخلن مركز البريد (ومن المؤكد أنهن من العاملات). حافظت أرصفة المقاهي على كل طاولاتها، لكن الستائر الحديدية تغطي النوافذ والأبواب (مثلها هو الأمر في البندقية ليلا في ساحة سان مارك). من الممكن رؤية مجلات وصحف عبر واجهات الأكشاك بتاريخ يوم الجلاء. لقد كان منذهلا فقط من سكك الترامواي «هذه السكك التي لا تنتهي»، تتم بذلك بصوت خافت. أتخيل أن هذه السكك تشير من خلال خطوطها الطويلة متوازية الطول، أكثر من أي شيء آخر، إلى الطول اللانهائي للشوارع الفارغة. لقد ذهب «بول» صحبة القائد «مونييه» هذا الصباح إلى هناك. أردت الذهاب عوضه. في جميع الأحوال سوف يأتيني بتفاصيل جديدة.

قرأت هذا الصباح هذه السطور من يوميات «دايت» ولم تعجبني (بسبب «فاندا»):

قالت له البائعة: «لقد عرفت خلال الحرب نساء محترمات جدا، لكن حين عاد أزواجهن قالوا لهن: إن لم تضاجعي شخصا فذلك لأنك لم تستطعي»⁽⁴²⁾...
طبعا.

أخرج «المساعد كورتو» طرف خيط من حافظة نقوده: «انظروا، إنه حبل مشنقة أحمله معي منذ خمس سنوات. نسيبي في الشرطة قام بمعاينة لعملية انتحار وأتاني به».

أنفّس في حاضري من وجهة نظر الموت؛ فهو يتزعزع معناه حثيماً إدراكي، من أفكار، من رغبات الطارئة؛ فكل هذا هو في الحقيقة انتظار. أكثر تمثلاتي المؤقتة إنني كنت موجودا. كل حاضر يُعوّل على المعبر المؤدي للماضي ليجد عزاءه. يُجرّده الموت

42 تشبه الارتبايات العاطفية لسارتر في تلك الفترة تلك التي عانى منها دايت والتي أسرّ بها في يومياته؛ غير إن هذا الأخير كان يعيشها بطريقة الملائناخوليا وأعزل بينما كان سارتر يأمل السيطرة على حياته من خلال دهاثره.

من حق أن يصبح ماضيا. يتزع منه الموت حق أن يكون ماضيا، فيرقُّ إذا ويصبح شفاقا وغير مُحدَّد؛ تنقصه القدرة على الربط بين العناصر. كتبت لي الكاستور تقول: إن لديها انطبعا أن المكان الوحيد الذي يمكن أن يسعها هو اللامكان. انطبعا مماثل من وجهة نظر الموت. يصبح الحاضر بمثابة اللامكان واللازمان اللذين يعيشهما أي شخص كان. شعرت بكل هذا، اليوم، في شكل انفعال عبي. من زمن بعيد افتقدت حدسي في سانتراي (تمت مرقته، أو بالأحرى لم يكن يفني بالغرض). فكرت للحظة أن أكتب لـ «بولهان» تأملاتي حول الموت⁽⁴³⁾، لكن من المستحسن إرجاء ذلك إلى وقت آخر حين أرى الموت مجددا.

لا يمكن أن نمسك بالموت جيدا إلا بالنظر إليه من خلال الحياة، في كل لحظة من هذه الحياة كما في التجمعات الحيوية والعاطفية، وليس فقط في اللحظة التي يظهر فيها كحدث زمني. فهم رائع لـ «هايدجر». لكن الموت ليس احتمالا من احتمالاتي: إنه الانبيار القادم من خارج كل إمكانياتي، بما فيها تلك التي كنت عليها. هذا الانبيار يستمر دائما، إنه الفراغ العميق الذي في قلب كل إمكانياتي، إنه حضور الخارج في أبعد أعماقي. إنه اللا — أنا فيَّ أنا، أو، إن أردنا، إسقاط لإحاطة العالم بي في قلبي أنا نفسي. إنه يعد لنا إن لم نأخذ حذرنا ضده. وهذا الحذر يستوجب أن نحدد أنفسنا في كل لحظة بشكل يقضي أن حياتنا إن توقفت هنا، فستمثل وقتها كُليَّة مصحوبة بنهاية. يتعلق الأمر هنا بتحديد وجودي طبعا.

43 كتب سارتر في ذلك اليوم إلى جان بولهان مدير المجلة الفرنسية الحديثة: "ها أنا ذا الآن جندي ملتزم لكن لست محاربا. أطلق الكرات مثل يمامات، في نواحي القطع المدفعية، وأنبعها بمظار لأحدد اتجاه الريح. لدي متعة الاستمرار في كتابة روايتي (...). أفكر أيضا في خدمة الإعلام من أجل "ردود فعل حول الموت" والتي أحب أن أعطيها للمجلة الفرنسية الحديثة. هل سوف تقبلها؟ لقد عرف سارتر بولهان في افريل 1937، في الوقت الذي قبلت فيه غاليمار نشر روايته الغتيان. في جويلية 1938 دعاه صاحب رواية المحارب المستخدم لكتابة مقال شهري ثابت في المجلة بداية من نوفمبر ما بين جويلية 1937 إلى مارس 1940 نشر سارتر عددا لا بأس من المقالات في هذه المجلة لكن مشروع "ردود فعل حول الموت" لم ير النور.

عادة ما يُعدّل الضابط أو ضابط الصف الضحك باشمئزازية خفيفة من خلال تباعد الشفتين، لكن عوض أن تمتد بشكل مكشوف على كامل الوجه، تقع في الوسط تقريبا، بشكل تبدو معه الضحكة من خارج الشفتين. ويأخذ الضابط ذلك بعين الاعتبار. لن ينخدع إطلاقا بقيمته؛ فليس المقصود بإيائية الاشمئزاز الجنود، بل إنّ هدفها الأول هو التقليل من قيمة الضحك.

إيائية العين الكايبية: مُحَصَّصة لتدمير جندي في عينيه من خلال النظر إليه. هو في الحقل البصري للضابط، غير أنه لا مرئي.

إيائية الصمم المرتجل: تقع فجأة على الضابط فتعزله. في اللحظة السابقة كان ينصت لمحدثه، أما الآن فلم يعد يسمعه إطلاقا. من الممكن جمعها مع إيائية العين الكايبية.

اهتزازات مزلزلة ترج رقة ورأس الضابط وضابط الصف من الأعلى إلى الأسفل، ومرصودة للتعبير بالإيحاء عن قناعة راسخة. مستخدمة بالخصوص أثناء التوجه بالكلام إلى جندي ما والنظر في عينيه. تسمح بانتزاع خفيف للنظرة (التي تظل ثابتة) من الوجه الذي يتماوج مثل حقل قمح ويعني بذلك فكرة مُسَبَّقة.

على الصوت أن يكون خافتا، بعيدا ومحايذا، لإعطاء انطباع دائما أننا نتحكم فيه. بمثل هذه الاحتياطات يمكن لضابط الصف أن يمزح مع جنوده، وجنوده يقولون: إنه ليس متكبرا.

اكتشفت في داخلي طبقة من الصور المُطمئنة والشعرية؛ التي تنزلق من حين لآخر في أفقي؛ هي صور ما بعد الحرب الأخيرة. هي فترة كانت دائما عزيزة عليّ، ولكن أصبحت الآن أحبها أكثر لأنها تصلح أن تكون رمزا لما بعد حرب أخرى لا أستطيع ولا أريد أن أفكر فيها. بالأمس، مثلا، استعدت صورة عدة مرات بشكل خفي ومُعزّز

لي. هي ذكرى غامضة لفيلم أمريكي قديم عنوان هيموريسك (موسيقى هزلية) (44) كنت شاهدته مع «بيرون»، و«بروسوديه»، و«نيزان» (45) سنة 1925، في قاعة سينما صغيرة بشارع أزدنير، ويظهر في أحد مشاهد عودة الجنود الأمريكيين إلى نيويورك؛ حيث تستقبلهم نساء عاشقات منذهلا في فساتين طويلة. هذا رمز[طبعاً]، وهناك مشاهد أخرى أيضاً. وذلك السحر الذي انطبع في داخلي وأنا أقرأ يوميات «أندريه جيد» 1919-1921، بصعوبة يمكن تمييز تلك الفترة بما بعد الحرب. عكس يوميات «دايت» 34-33-1932 التي تركتني بارداً [غير متحمس]. إنها الموت.

من ذكرياتي الحديثة التي أستعيدها دائماً أمسية قضيتها رفقة «فاندا» في حانة الإسكادراي (46). ولست أمتعيد هذه الذكرى بسبب «فاندا»، ولكن بسبب الرسومات الجدارية الضخمة على جدران الحانة، والتي تستعرض أبطال الطيران الذين كانوا ياتون لتناول كأس فيها بينستي 1917 و1919. وبنفس الطريقة أفكر دائماً في قصة «فولكنر» أد أسترا التي تقع أحداثها يوم الهدنة. كل هذه الأشياء الرمزية تمثل جزءاً من موكبي الحالي. بل لا يجب استعمال كلمة صور لتمييزها؛ فهي حضورات مؤثرة. وبما إنني في الحقيقة لا أنتظر أي شيء، فإن نهاية هذه الحرب، حربي، ماثلة دائماً أمامي. وهذا أيضاً شيء آخر بما إنني دوتته؛ فإزالت أمتلك الوقت كي أغامر بالتنقل من وجهة نظر هذه النهاية لاعتبار حاضري الراهن كما لو أنه ماض. مجرد حيل. يبقى أن هذه النهاية غير المنتظرة، وغير الممكنة، هي أحد أهم شواغل وقتي الآن. بل لا أتخيلها قريبة. إنها بعيدة جداً، لكنها محسوسة، تُسبغ، بشكل ما، على هذه الحرب التي أعيشها كلية منتهية.

44 فيلم أمريكي لفرانك بورزاج (1920) ميلودراما يدور شطره الثاني حول الحرب العالمية الأولى (يعود البطل بعامة).

45 بول نيزان -أفصل صديق لسارتر في تلك الفترة -القرى بيرون، سيلفان بروسوديه كانوا جميعاً في المعهد العالي للمعلمين.

46 خلال الحرب العالمية الأولى صار بار دي فوكيهيم (البنية الشهيرة في جادة الشان البزیه) مكاناً يرتاده طياروا الجيش الجوي وأصبح اسمه "يار المرب الجوي".

هي الحرب الشبح دائما. يرفع جندي كتفيه في المقهى أمام أحد المناشير: «لن يجعلوني أعتقد... هناك أشياء تحدث...». أنا: «أية أشياء؟». هو، غامض، لكنه ظل إلى أخص قدميه ذلك الشخص الذي لا يمكن خداعه بأي شيء: «مفاوضات...! لقد أكدوا لي حين رحلت: سوف يتم تجنيذك لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر ليس أكثر، وسوف ينتهي كل شيء». ثم يواصل حديثه وهو يضغط على الكلمات: «ودون حرب». ثم منزعجا، وببرة متسائلة في غموض: «كل الجنود هنا يوافقوني الرأي». لقد تعود الجمهور على الأكاذيب الرسمية، إلى درجة أن خطابات لـ «دالادي» و«شامبرلان»⁽⁴⁷⁾، التي تؤكد «حلولهم الحاسمة للخ» تتركه باردا. يغمز الناس بأطراف أعينهم ويقولون: «إنهم يقولون هذا للأمريكان، ويقولون هذا لنا نحن، الخ».

هناك حذر شديد إزاء ما تصدره الجرائد، حتى تلك البريئة، من أخبار جديدة لدى الجنود الأذكياء (أو الأدعياء جدا). وهذا الحذر متأث من غسيل دماغ تعرضوا له سنة 1914، إلى درجة أن هذا الحذر أصبح تقريبا علامة التقاء بينهم. اليوم، أحد الجنود، كان يقرأ، وهو يحمل تعابير وجه سافونارول، [جريدة] باريس صوار. انحنى «بيتر» عليه يقرأ ما في الجريدة وناداني: «إنهم يقولون إن ربح الجيش الألماني بسيغفريد مريض». تمتعت قائلا أنا الساذج في العادة: «فليقولوا ما يشاؤون». رمقني صاحب وجه سافونارول الذي لم يقل أي شيء إلى حد الآن بنظرة وُد وتقدير وفتح النقاش. شبيها بأولئك الذين «يتخففون من حقاقتهم» في تلك الثانويات التي تتبنى الجدد الذين يبرهنون من خلال حواراتهم على امتلاك معرفة كافية بالفعل الجنسي.

الكثير من (بورجوازيين صغار أو بورجوازيين) يواصلون في قول أنتم.

كثير من الحماسة. غير أنهم مصدومون. «علينا أن ننتهي من هذا الأمر». أغلبيتهم

47 للتذكير إن نيفيل شامبرلين الوزير الأول البريطاني. وادوارد بالادييه رئيس الحكومة الفرنسية - ومنذ 14 سبتمبر وزير الجيش والدفاع الوطني والشؤون الخارجية - أمضوا مع هتلر وموسوليني اتفاقات ميونخ 1938 التي تسمح لألمانيا الفائزة بالدخول إلى الأراضي التشيكية للسودات وتشرع في تقسيم تشيكوسلوفاكيا.

كانوا سيصابون باليأس - وأي تهمة! - إن تمت إعادتهم إلى ديارهم غدا بعد سلام ودي؛ وأنا من هؤلاء. ليست هناك أية كراهية ضد الألمان، بل لم يعد هناك من يتحدث عن «هتلر» إطلاقاً. مصدومون، مرتجئون، مغتمون في أعماقهم؛ فأغلبهم تقريباً يعرفون دون شديد عناء أنهم سيختبئون إن كان بمستطاعهم؛ غير أنهم بمجرد ما يلمحون مدنيا ما من سنّهم، تكون نبرات صوتهام لامبالية، غير مهتمة؛ ثم يهتف أحدهم فجأة بصوت حاد: «هاهو ذا شاب؛ لماذا لم يتم تجنيده؟».

الحرب الشبح. قدم أخ مُضيفتنا من بيتش بدون رخصة لزيارة أهله في مارموتيه. قال إن الهدوء التام يعم محور بيتش: «البراحة فقط أطلقت المدافع الألمانية بعض القذائف لمدة خمس دقائق بدون أن تصيب أي شيء. طبعاً ردت المدفعية الفرنسية لمدة خمس دقائق، وانتهى كل شيء». جلب «بيتر» الشيء إلى الطاولة أمام عشرات الجنود. قال أحدهم: «الوضع نفسه في كل مكان، ليس هناك أي جريح ولا رصاصة واحدة ألمانية طائشة. كل الجرحى بسبب الألغام. لا يطلق الألمان النار». قال آخر: «لا يرغب هؤلاء في خوض المعركة». تمت آخر: «وهو ما يعني أنه بهذا الأسلوب سنظل هنا لعشر سنوات أخرى».

يؤكدون أن فرقتنا العسكرية هي فرقة نذالة.

الاثنين 25

المشاة. أمسية غريبة بالأمس وانطباع غريب. كنا نتناول طعام العشاء على الطاولة العائلية الكبرى بالطابق الأول (إنها طاولة الخبّاز التي قاموا بتمديدتها) على ضوء معلق مغلف بجريدة: كما لو أنه ضوء مصباح زيتي. كان خلفي صوان ألزاسي، وفي أحد الأركان كرمي أطفال. صور ولوحات على الجدران (كنيسة مارموتيه منسوجة). تخلق حول هذه الطاولة أربعة جنود: أنا وثلاثة جنود إلى يميني، من بينهم ملاكم بأنف مجدوع ونظارات معدنية؛ جاف الطبع ومسود الوجه، أدرد الفم. على يساري ستة صيادين قدموا إلى مارموتيه بشكل حر وبدون رخصة رسمية. كان

الجميع بصدد الأكل، وفجأة بدأ الحديث بيننا، وشيئا فشيئا وجدت نفسي بين مجموعة من الناس الضائعين؛ فالصيادون قد نزلوا في الحقيقة أوترسفييلر على بعد أربعة كيلومترات من هنا. كانت التغذية سيئة، وليس هناك ما يمكن شربه ولا أكله. أما أولئك الذين كانوا هنا وعددهم يبلغ العشرين نفرا، فيقضون ليلهم في مخزن البلدية، ولا يقدرّون حتى على التقلب في مراقدهم لكثرتهم. ينامون على البلاط؛ فلا وجود حتى للقش، وحين تمطر السماء يتبللون بالكامل. يقضون اليوم برمته بين التمارين واستعراض الأسلحة، إلخ. ومع إمكانية أن يتجهوا نحو «جبهة النار» قريبا، مجرد التفكير في هذا يرعبهم، يفضحهم، يملؤهم ببطولة نقاد الصبر. يقولون: «لماذا يرهقوننا بكل هذه التمارين؛ لن نكون بحاجة إليها حين نكون في الجبهة». وهو ما لا يتوانى أن يقوله المتعبون جدا لضباطهم؛ فأحدهم قال للضابط المشرف عليه: «يتعبنى هذا كثيرا سيدي الملازم، أريد أن أصعد إلى هناك»؛ وهو ما نتج عنه أربعة أيام في حبس الشرطة العسكرية، وفي التقرير وبخه التقيب كثيرا؛ مما دفع هذا الجندي ليقول: «وماذا عن حرية التفكير، سيدي التقيب»؛ ما نتج عنه عقوبة لثلاثين يوما في الحبس، وتم إلحاقه فيها بعد بكتيبة على الجبهة. قال للعقيد مستهزئا: «لا يهمني سيدي العقيد، بالعكس أنا أبحث عن الالتحاق بجبهة النار». الكثير من الجنود اعتبروه بطلا؛ لقد قال للضباط ما لم يجرؤ هؤلاء على قوله، لقد عبّر بشكل واضح عما لم يفكروا فيه، كانوا كلهم مهزوزين في نفسياتهم، مجروحين في كرامتهم بسبب هذه التمارين الشاقة، لا ينتظرون إلا شيئا واحدا؛ وهو الصعود إلى الأعلى حيث جبهة المعركة. وخلال هذا كله كانوا يعتقدون أنهم سيموتون؛ وهو ما يرعبهم، أحدهم قال: «علهم يتعمدون إرهابكم كي ترغبوا في الصعود إلى الجبهة». كان الجو غريبا في قاعة أكل العائلة؛ هؤلاء الناس الهادئين ويروون حكايات الضباط على غرار كل العسكريين، كما لو أنهم من الجانب الآخر. تدخل هنا الملاك السابق بصوته الأجش وقال: إنهم يمينون أنفسهم أولئك الضباط، لقد شاهدتهم يمينون للمعركة في 1914 ولم يعد منهم الكثيرون. لقد سمعت بعض الجنود يتحدثون عن ذلك في المخزن. دخل أحد النقباء ليزعجهم، وما إن خرج حتى تمت أحد الجنود قائلا: «سنكون غدا في الجبهة

وسوف أصيبك برصاص بندقيتي اللويل⁽⁴⁸⁾. و«بيتر» المتعقل دائما والمهذب: «نعم، ولكن لا يجب المبالغة...». لكن الملاكم قاطعه: «قد قلت ذلك لزوجتي؛ لا يجب أن يبالغوا في إزعاجي، لقد خضت حرب 1914، كما أدت واجبي العسكري في المغرب، وكنت مع ذائع الصيت (اسم لا أعرفه). لقد انتقص من شأني؛ كان يرى أن شعر رأسي أطول من اللازم، ولما أراد ذات يوم أن يقصه لي في قلب الصحراء، قلت له: من سيء إلي فإنني أحتفظ دائما برصاصة له، وأخرى لي». لقد كان ما سمعته أمرا قاس جدا ووحشيا، أعاد النظر عندي في النحيب الشاق والمتواصل لـ «بول» وشطارة «بيتر». كل ما سمعته جعلني أشتم الدم من حولي.

حرب شبح. قال «الريب تيو» هذا الصباح: «لقد رأيت رائدا يأتي من ستراسبورغ. يحاول ألمان كيهل التعاطف معنا، ويرسلون إشارات وعلامات تناول الطعام. يقولون إنهم يريدون أن يعبروا».

هذا الصباح كانت المدرسة ملتبة؛ رأينا الجنود مصطفين بانتظام خلف قطعهم العسكرية، كل قطعة حولها جنودها مثل لعبة. نصف القذائف لم تنفجر. فرقة النذالة. يصلنا الضجيج بصم الأذان؛ وهو ما يصيب «بول» بالإسهال.

صار الصعود إلى الجبهة وسواسا عند الصيادين؛ فهذا الركود اليومي وعدم معرفتهم لوقت رحيلهم أصبح يمثل بالنسبة إليهم تهديدا قائم الذات وثقلا عليهم، غير أن الضباط أبلغوهم قائلين: «لو تصرفتم مثل أولئك الذين يتمتعون بحظوة، فسوف نرسل خلفكم الفريتر [الألمان]».

لن يستطيع «بول» و«كيلر» أن يفتحا فهمهما دون أن يرفع كل واحد منهما حاجبيه بشكل عشوائي؛ وهو ما يجعل وجهها يبدو أخرق؛ متعجل ومستغرب، فاقد للصواب ومنذهل بما يتم حشوه في الفم. كما لو أن هناك منظومة عضلية موحدة عملت التربية على تفكيكها. من شأن هذا الارتفاع في الحاجبين أن يكون مصحوبا بشكل طبيعي بانفتاح الفم؛ بما يعني أن ثباتها أمر مكتسب.

عندما يكون «كيللر» بصدد القراءة، يكون تركيز انتباهه حاداً جداً، ولا يمكنه أن يحافظ على هذا التركيز لأكثر من دقيقتين. تتقد عيناه خلال هذا الوقت ثم تفرغ، نرى شيئاً ما كما لو أنها موجة زرقاء تسيل من الحديقة، ثم تصبح العين فجأة صافية؛ صافية إلى درجة تثير الاستغراب، ثم يستريح للحظة في غبابة سعيدة. وقتها يعود «كيللر» مرة أخرى للقراءة، كما لو أنه يزدد طعماً بعينه.

لم تصلني أية رسالة من «فاندا» منذ أربعة أيام. وصلتني هذا الصباح رسائل وصور من «ب». طريقة تفكير غريبة في ذلك اليوم لـ «أظهار أنني قوي»: لقد كنت مقتنعاً أن «ب» تريد الانفصال عني، وأني لن أعثر عليها بعد الحرب. فباعتبار لامبالاتي الكاملة، فهو أمر عادي وسيان عندي. ومن خلف كل هذا يختبئ الخيال: فقبولي انفصال «ب»، أدفع ديوني لما هو محتمل (والذي يقضي بأن تتخلي عني واحدة على الأقل من أعرفهن) وأضمن في نفس الوقت وفاء «فاندا» الذي أنا في شديد الحاجة إليه الآن. علاوة على ذلك، فلقد كنت أعالج هذا الانقلاب النفسي بحوارات هادئة حول «التجارب العاطفية»: لقد تخلت عنه تلك التي كانت تتظاهر أكثر بالوفاء له، إلخ. وهذا الشبه في الانقلاب مع انقلابات أخرى مشابهة ومؤكدة يبعث في النفس الطمأنينة؛ بشكل يجعل كل ما أريد أن أحدث به نفسي لأثبت أن «ب» سوف تنساني، يصلح أن يجعلني أعتقد أن «فاندا» ستجني إلى أبعد حد. غير أن الرسائل الغرامية التي وصلتني من بعد من «ب» نسفت كل هذه الأكاذيب.

الثلاثاء 26

مزاج رائع: حصلت على راتبي؛ وهو ما يعني أن «فاندا» ستأتي من باريس. رسالتان من «فاندا». كلمة من «ب»: «نحن سعيدات جداً»⁽⁴⁹⁾.

إن كنت لا أعتقد دائماً إنني سأموت خلال هذه الحرب، فذلك لأن عزيمتي مشدودة ضد الموت كما لو أنه مجرد غثيان بحر. لم أنتبه من قبل إلى أنني انطلقت في

49 نحن ويقصد بها "الكاستور وأنا". مما يعني ان بوفوار وبانكا ب كانتا على علاقة جيدة.

الحياة للقيام برحلة طويلة، لكن بمسافة معلومة ونهاية محددة؛ الآن أدركت ذلك. لا بد من الوصول قبل المساء. لا أريد أن أشعر بتعب، كما لا أريد أن أتوقف. عزيمة متقدة. ليس هناك مكان للتعب ولا للهو؛ لا أتخلى أبداً؛ وكل شيء يخدم هذه الرحلة. يُجبنني هذا كل رعب غيبي - تماماً كما يفعل الآن ويعد عني الحرب - وهو ما يجعلني لا أشعر بها على الأقل؛ فلا وقت لي للموت الآن. هكذا أشعر بالأشياء تقريباً؛ وهو ما يرسخ بشكل محوري يقينا في داخلي؛ يقينا إنني لن أموت قبل أن أصل إلى آخر هذه الرحلة. ولذلك تتأكد فكرة القدر عندي على أنها الرأي المعاكس لهذه التوتر المستمر. هناك جملة غبية وقذرة لـ «يلصور»⁽⁵⁰⁾ - بلهاء وساقطة - أذهلتني بشدة في ما مضى (حين كان عمري 18 سنة): «هل حدث ورأيتم نقيامات وتم تكريمه في حين أن هناك معارك أخرى سوف تنتهي بالانتصار؟» هذا هو سر تفاؤلي. عكس «دايت»، الفاكهة الناضجة، الذي بدا في يومياته ذابلاً حد الموت. يقع، سيقع، يستسلم، وليس للموت إلا أن يمد يده لقطفه. كما لو أنه مات لأنه لم يُرد كفاية أن لا يموت. غالباً ما ساد عندي انطباع أننا نموت إما بسبب الإهمال، أو بسبب اللهو، أو بسبب الشيخوخة، أن نكون أحراراً ضد الموت (وليس كما يقول «هيدجر» أحراراً من أجل الموت). لا أقصد أن أقول إنه بإمكاننا أن لا نموت إطلاقاً، لكن أردت أن أقول ببساطة: نحن متتهون - لكن مهامنا أيضاً متتهية. علينا أن نكون قادرين على الابتعاد عن الموت حتى تبلغ مهماتنا تمامها. أما بعد هذا، فما علينا إلا أن نستسلم للأبدية.

البارحة، خلال وجبة العشاء، خُصّ اثنا عشر جندياً من سلاح الهندسة بأقداح من التارامينار المعتق [نبذ عطري من العنب]؛ وذلك لأنهم سيرحلون. كلهم قدموا من أورليان. في رحلة تنقلهم التي دامت ثلاثة أيام وثلاث ليال، استبدلوا القطار لخمس عشرة مرة. ينزلون في كل محطة، لكن وجهتهم ظلت سرية (غامضة بما أنها في النهاية كانت مارموتيه). بل حتى رئيس المحطة كان لا يعرف وجهتهم؛ فهمته تقتضي أن

50 كان الكاتب أندريه بيلامبور (1866-1942) أستاذ سارتر في التأليف الفرنسي لما كان هذا الأخير تلميذاً في الصفوف التمهيديّة [بالإنجليزية في الأصل] بمعهد لويس-لو-جران.

يضعهم في قطار يوصلهم إلى المحطة المجاورة ليستقلوا قطارا آخر وهكذا دواليك. لقد مروا بديجون، عانوا من البرد؛ بينما القطار يتقدم بارتجاجات مزعجة، حقائب وخوذات ملقاة في عربات الحيوانات بشكل عشوائي، والجنود يركضون خلفها. توقف القطار بغتة، ترجل منه سائقه، ثم أخذ دراجته وانصرف. أما الميكانيكي، فقد نزل بعد قليل، أشعل سيجارة وجلس على حافة حفرة يدخن، وحين التفت كان القطار يسير لوحده؛ لقد غفل عن شد المكابح. الميكانيكي ذاته بعد ردهة من الزمن كان يشد شعره ويصيح قائلاً: «لقد وضعوني في ماكينة دون أن يأخذوا رأيي وأنا لا أعرف قيادة القاطرات». إثر ذلك توقف القطار بشكل مفاجئ؛ ما أحدث ارتجاجاً؛ لقد كاد هذا القطار أن يصطدم بقاطرة متروكة على نفس الخط الحديدي. في الليلة الأخيرة توقفوا عند الساعة الواحدة، وهرع إليهم الملازم المشرف عليهم يرتعد برداً وهو يقول: «أتشعرون بالبرد أيها الجنود؟» وفي الآن نفسه ألقى ببصره ناحية مقدمة القطار قبل أن يطلق صيحة: «يا إلهي، صار القطار بلا قاطرة تجره». لقد انطلقت القاطرة وحدها وتركتهم وسط العربات على الخط الحديدي، دون أن يعرفوا السبب. وظلوا على تلك الحال لأكثر من ثلاث ساعات إلى أن قدمت قاطرة أخرى. كان الجميع يتذمرون قائلين: «أيّ تجنيد هذا!».

كان من الطبيعي أن يسود لدى الجميع انطباع أنّ هذه الحرب حرب شبح؛ وهو أمر طبيعي. كان جميع هؤلاء الجنود بمستوى ثقافي أرقى من صيادي الأسماك، وكانوا يُعبّرون عن هذا الانطباع بعبارات حكيمة، غير أنّ الأساس هو نفسه: «ما الذي يفعلونه بنا؟ أية كوميديا هذه! تخيلوا: جبهة بعشرين كيلومتراً. وأحدهم، مستغرباً من طول كلماته التي ينطق بها، قال: «ليست حرباً فعلية، إنها حرب إيديولوجية». قاطعه جندي آخر قائلاً: «لم أستطع أن أستوعب المعاهدة الروسية الألمانية. هناك أمر في هذه المعاهدة، ربما كانت مناورة من قبل «شامبرلان» و«دالاديه» اللذين دفعنا بالروس كي يضعوا الألمان تحت أيديهم؛ لأنني في الأخير أقول إنهم إن أرادوا إنقاذ بولونيا فعلاً، لكان بإمكانهم أن يرسلوا لها جنوداً». قفز «بول» من مكانه مندفعاً وهو يصيح: «جنود؟ من أين؟ ليس عن طريق دول البلطيق أو رومانيا». رد الآخر بشكل مكرر

ولهجة وقار مصطنع: «أوه! لو كانوا فعلا يريدون ذلك...!». .

علامة فارقة: كانت يُطلق على الألمان في الحرب قبل الأخيرة كنية البوش [البوش كنية أطلقت على الجنود الألمان في الحرب الفرنسية الألمانية 1870]، أما اليوم فكنتيتهم الفريتز نظير للتومّي [وهو كنية كان يطلقها الألمان على الجنود الإنجليز]، دون محتوى عاطفي؛ وهي على ما أعتقد الكنية التي يطلقها الألمان فيما بينهم.

كيف تشكل الأقوال: بالأمس انحنى الجندي «صافونارول» علينا قائلا: «أيها المتشفون جدا، أيها القادمون من القيادة العليا، ماذا هناك؟ ما رأيكم؟ هل بالفعل يتفاوضون؟». أجبتنا كلنا: «طبعاً، لكن لا تفه بحرف!». ردّ وهو يحدث الجميع بنبرة اهتمام: «أعرف من مصادر رسمية أن هناك مفاوضات جادة مع الألمان».

الحالة النفسية العامة: شبيهة بحالة المتفرج الذي يشاهد بمزاج سيئ ملاكمين بصدد تقتيل بعضهما البعض، فيتمتم: «ثمة توليفة هنا». لا أحد يثق في التصريحات الوزارية، ربما لأنهم تعودوا على الشعارات القديمة للسلطة المخفية للماسونية [البنائون الأحرار]؛ بحيث يعتبرون كل ما هو مرثي، من قوات متشعبة، وتجنيدات، إلخ مجرد إسيناريوهات؛ ديكور يجب على أعينهم أن تحترق كل هذا لتكتشف ما يحدث فعلاً في الكواليس. هناك اهتمام لدى الجميع: أن لا يكونوا أغبياء.

المدرسة تشتعل: تطلق المدافع قذائفها، كما لو أننا في الـ 14 من يوليو.

من خلال رسائل أمي ورسائل «ب»، يبدو أنهم في الخلف هناك أبعد من أن يعتبروا هذه الحرب حرباً شبحاً. لكن لا شيء يدعو للثقة تماماً فيما يحدث (إخفاء المعلومات والحقائق، إلخ...). بل هناك تعايش عند كل هؤلاء الناس بين عقيدتين؛ العقيدة الظاهرة: خديعة، مفاوضات... وهناك عقيدة مخجلة في حرب شبيهة بحرب سنة 14. مثال ذلك: من أجل إثبات وجود هذه المفاوضات السرية، يشرع أحدهم في الحديث: «انظروا إلى بولونيا التي يبلغ تعداد سكانها ثلاثين مليون نسمة، كم أثاروا من ضجة حول الجيش البولوني العظيم (؟). في الحقيقة، هو لم يصمد لأكثر من خمسة عشر يوماً». «خمس عشرة يوماً!» هكذا صاح أحدهم كان يتابع المحاجة

عن كُتب: «خمس عشرة يوما وثلاثين مليون نسمة. ونحن الذين نعدّ أربعين، لن نستطيع مقاومة أكثر من شهر واحد». بالإضافة إلى أنّ هناك أحاديث تتناقل منذ أيام عن استعدادات الألمان لمهاجمة هولندا وبلجيكا.

الأربعاء 27

يقول «بريس باران»: «إن خُصّت الحرب وقبلتها؛ فهذا يعني أنك شريك فيها»؛ وهو ما ليس صحيحا بالضرورة فلا بد أولا من التمييز بين أن تخوض الحرب وأن تكون في الحرب. فإن تخليت عن سلاحك وتركت موقعي بين الجنود وهربت أو كنت في مؤخرة الجيش، فذلك يعني أنّني لن أخوض الحرب، ولكن يستحيل أن أتجنب أن أكون في الحرب. لا أستطيع قبول هذا الأمر أو رفضه؛ فهو مثل شيء أمتلك الحرية في إبعاده قليلا عني: هو تحوير للعالم ولوجودي الخاص في هذا العالم. ليست الحرب مغامرة تحدث لي وأنصرف إزاءها بشكل أو بآخر؛ بلا حرب طريقة وجود بالنسبة للعالم. ولأنني في هذا العالم، فمصريي الشخصي يبدأ من هنا. بمعنى آخر، لا تتدخل الحرب في تحديد مصريي كما هو الحال بالنسبة إلى المرض، أو الزواج، أو الموت بالعكس، إنّ مصريي يولد من الحرب، وهو لا يتميز عن الآخرين لأنه يحتوي على الحرب بينما لا تحتوي مصائر الآخرين عليها، بل على العكس تماما، أنا مع الحرب بقدر ما أنا إنسان. لم يعد هناك أي فرق بين «أن تكون في حرب»، و«أن تكون إنسانا». أقول هذا لأنني لا أستطيع «أن أقول لا» للحرب، تماما كما لا أستطيع أن أقول ذلك للشرط الإنساني. تتمثل لي كما لو أنها تحوير لوجودي مع الآخر؛ لوجودي من أجل الموت... ليس بإمكانني أن أفعل شيئا إزاءها. هل سأكون ذلك الهارب من الحرب؟ لا أستطيع فعل ذلك الآن. ما يمكن أن يحدث هنا هو أنّ كثيرا من الجنود يقررون ما يحدث في الحرب. وبالفعل، فإنّ ما يحدث في الحرب يحده الجنود، لكنه يتحقق من الخارج. يقلت التنوع الشديد للمصائر الشخصية في الحرب من أيدي أولئك الذين يخوضون الحرب، كما هو الحال بالنسبة إلى هيئة العالم (الأشجار، السماء، المنازل)؛ مثل الحرية البشرية للجنود في الحرب؛ ذلك أنّه من المستحيل

لشخص ما أن يرفض وجوده في الحرب، فالفروقات الفردية والحرية يلتقيان في الطريقة نفسها في الوجود - من أجل - الحرب. كل قدر هو منسوج بقماش جديد هو الحرب، لكن كل حرب مختلفة عن الأخرى، مفصلة بشكل مختلف تماما؛ وهو ما غاب فيال 3 من سبتمبر، ليس فقط السعادة والسلم، بل هو عالم بسائه، فصوله، حيواناته ونباتاته: عالم آخر برز لجميع الناس. من أهم ميزات الناس خلال الحرب هي البقاء قيد الحياة في عالم مُتَنَلِّج. الناس خلال الحرب هم أولئك الذين نجوا في السلم. يبقى السؤال قائما: هل من الضرورة القيام بالحرب؟ أتمساءل بدايةً هل كل شخص يساند بكل حرية الحرب عليه أن يخوضها؟ فحين تكتب الكاستور لي، حين تتخذ موقفا تجاه «بوست» أو تجاهي أنا، حين «ترفض السعادة»، كما تكتب «ب»، أو أيضا حين لا ترى في السعادة، كما تكتب لي، إلا أسلوبا متميزا للإمساك بعالم السلم؛ حين تقوم بكل هذا إنما تخوض الحرب. كل من لا يترك نفسه يرتج في الاضطراب والحرية، ويخوض الحرب في حقيقته الإنسانية فهو يقوم بحرب. حتى ذاك المتخلي عن موقعه في الجبهة؛ فلا بد من المتخلين عن مواقعهم في الجبهة خلال أي حرب؛ ذلك أنه يؤدي دورا معينا. وكلما أخذ وقتا في التشاور مع نفسه قبل القيام بأي فعل، زاد من تدعيم الحرب ووجوده من أجل الحرب. كل تصرف منسجم ومُحْطَط له بحرية تجاه الحرب هو «قيام بالحرب». لن نستطيع الإفلات من ذلك إطلاقا؛ فالمتخلي عن موقعه في الجبهة لا يستطيع أن يأمل في إلغاء الحرب بفعلته تلك. يكفي بتصديقها فقط. منذ اللحظة التي يهرب فيها منها، إنها هو يؤكد لها ويهجم فقط بالطريقة المثلث التي سوف يتصرف من خلالها تجاهها؛ أي كيف يخوضها بشكل آخر. من خلال وجهة النظر هذه؛ أنا أخوض الحرب فيما اخترته بين التخلي عن موقعي في الجبهة والخضوع؛ وهو ما يتلاءم مع قَدْرِي الشخصي في الحرب. ليست لدي أدنى شراكة مع هذا العالم مثل المتخلي عن موقعه في الجبهة. لكن بدا لي على الأقل أن مصالحني وهدفي الشخصي سيكونان في وضع أفضل، رغما عن وجودي في الحرب، إذا لَبَّيت أمر التجنيد.

ما كنت بصدد قوله بشكل سيئ ومُطَوَّل هو أن الحرب ليست موضوع تفكيري فقط؛ بل هي قماشه. أفكر في الحرب من خلال كل ما أدركه، هذه الطاولة أو الغليون؛

الطريقة التي أفكر بها أو أدرك بها هذه الطاولة أو هذا الغليون هي «طريقة حربية». أخيراً، إنَّ الطريقة التي تمنحني فيها الطاولة نفسها أو يمنحني الغليون نفسه هي طريقة حربية. لا يتعلق الأمر بتقييمات صافية أو بفهم واضح: ففهمي ما قبل وجودي، ووجودي الراهن جدا بالنظر إلى إمكانياتي الحالية؛ كل هذا هو من الحرب. ورغم ذلك فأنا مرتعب من الحرب، غير أن هذا الرعب هو بسبب حرب تقع فعلاً؛ وهي نفسها وجود من أجل الحرب؛ موظفة من الحرب؛ حالة ثابتة وغير متغيرة لا تهدف إلى تجنب الحرب، ولكن إلى التوجس خيفة منها؛ وعلى أساس هذا الرعب يتطور هدوئي الراهن، سعادتي وابتهاجاتي.

موجوداتي⁽⁵¹⁾ [بالألمانية] «هيدجر»: إذلال الرعب.

من الواضح أنَّ الصحف اليوم تجامل روسيا.

ما الذي تغير في داخلي منذ الـ 3 من سبتمبر. لقد استغربت من هذا التغير منذ اليوم الأول. لقد خشيت أن يتج عن توتر داخلي لن يكون بإمكانني الاستمرار فيه، ولكن ها هو شهر كامل ينقضي دون تعب، دون إزعاج. لا أعاني في الواقع من أي توتر؛ وهو ما يعني مقاومة متني ضدي، ولكنني غيرت مما أنا عليه، بما يعني أيضاً أن حالة الحرب أصبحت حالتي الطبيعية. لقد كانت هذه التحولات دليلاً وتأكيداً لحريتي؛ فلا أحد بإمكانه أن يكون أقل تجاهلاً لهذا النوع من التغير، لا أحد كان متعلقاً بالحياة بجشع مثلي أنا. لقد كانت لدي دوافع تجعلني أرحل يائساً، ما لم أكن قد تغيرتُ فيما يتعلق بحياتي. وبالعودة إلى ما قلته آنفاً، فإن ما تغير هو وجودي - في - العالم. لقد بقي أسلوبِي في الوجود هو نفسه، غير أنني أطبقه الآن على وضعيات مستحدثة. يظل أسلوب الحياة ثابتاً، لكن على أساس طبيعة متبدلة؛ وهو ما يعني أنني بمثابة إمكانيات أخرى. ولا يمكنني أن أتأسف على حياتي الماضية إلا كما نندم على عصور قديمة جداً: كما لو أنها حلم.

القمر بدر ورائع هذا المساء. من الممكن قراءة جريدة في الشارع. ألوان المنازل

تظهر بوضوح جلي: الأزرق، الوردى الذابل - لكن متحفظ وفضي. الألوان البيضاء عجيبة. عالم غريب. بالإمكان سماع الصوت المُسمَّر لأحدثتنا العسكرية في الشوارع المقفرة. أفكر في مساءات سانتراي⁽⁵²⁾. كان الليل أسود بهيميا كما لو أنه فرن. تبدو الطبيعة أقل تزييفا منذ أخفوا الأضواء؛ إنه لحدث حقيقي اكتمال القمر.

هذا المساء، وبينما كان «بيتر» و«بول» يلعبان الداما ولعبة المتاهة، تولد لدي انطباع مبالغ حول ما لا يمكن إصلاحه. يتحدث جنود وهم يتفكهون عن خمسة عشر عاما من الحرب. شرعت في حساب العمر الذي سوف أبلغه في ذلك الوقت حين يعم السلم: تسع وأربعون سنة، ثم فكرت فجأة في ثلاث سنوات فقط من الحرب؛ وهو احتمال ممكن، فكرت: ليست لدي إلا حياة واحدة. انطباع سيئ في الأول أصبح ثميناً فيما بعد؛ لأنه شبيه بانعكاس الموت، غير إنه أفلتت مني. ما أن شرعت في الكتابة حتى انطفأ إحساسي بذلك الانطباع. غير أنه من المؤكد أن الحرب في جميع الأحوال - لأن لها ألف طريقة لإهدار كرامة الإنسان - تضعه في مواجهة مع شرطه الإنساني بشكل محسوس. ودون أدنى شك أن هذا الانطباع «ليست لدي إلا حياة واحدة» انطباع تافه عند الآخرين؛ غير إنه استثنائي عندي. لدي إحساس مستمر أن عندي الكثير من الوقت، واللحظات التي أخسرها سوف يتم تعويضها بوفرة إلى درجة لا يمكن أن أخسر معها وقتي. ثم فجأة، في خضم هذه البطالة العسكرية، انحسر وقت وحياتي.

لقد تم تأهيلي منذ سبتمبر - مثل الآخرين - لاحتمال هذه الحرب. هاهو عام قد مضى وأنا أعيش في هذا الوضع المؤقت. أكتب روايتي بحماس بالغ، محاولاً أن أنهيها في أقرب وقت، معتقداً بذلك أنني أقاوم اللاجدوى، وأنتي لن أنهيها أبداً. تبدو لي حياتي في تجزئتها الثلاثية⁽⁵³⁾ غير عادية، يغمرني هذا الانطباع الغريب بأنه «سوف تمرُّ

52 حيث كانت تقيم وحيدته ما بين 4 سبتمبر إلى 10 سبتمبر.

53. يتعلق الأمر هنا بحياته العاطفية. إضافة لعلاقته بسيمون دي بوفوار كان لسارتر علاقتان: واحدة مع فاندانا كوزاكيفسكي ذات أسلوب شغوف وبنار إليها هنا في دفاتره بتلميح مخنصر، الثانية مع بيانكا ب. علاقته البريئة مع فاندانا سرية غير ثابتة، عرضية: أما عن الثلاثي سيموندي بوفوار سارتر

سنة، غير أن الحرب سوف تعيد ترتيب كل شيء». هذا التبذير المجاني لوقتي ومشاعري كان بالنسبة إليّ مثل نذير شؤم. ثم هناك هذا الحشد من المتع الظرفية المتميزة على طريقي في عشق شارع بياريس، مقهى، إلخ... كل هذا اندثر في سبتمبر وما عاد له أثر.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الخميس 28

قال «بيتر» أثناء تناول وجبة الإفطار: «سارتر مثلنا أضرت به بنيتة الجسدية. حين رأيت أول مرة قلت لـ «بول» - غير معقول يا «بول»؟ - قلت: إنه نصف نائم هذا الشخص». لقد لاحظت بالفعل أن بيتر في سيان تري يميل إلى معاملتي مثل كتلة غير ذات قيمة، أما الآن فقد صنفني ضمن فئات أخرى: موظف، أعزب، حالم، بوهيمي. «أخ زوجتي نسخة طابق الأصل منك. كتبت له قائلا: لدينا هنا بوهيمي مثلك، فرد قائلا: أنت محظوظ». غير أن هذه النعوت هي بالنسبة له فئات حقيقية. يُفكر في من خلال تصورات؛ فأنا عنده الحالم، البوهيمي، إلخ؛ يعني أنني أساهم في ماهيات ثابتة. هذه هي الفكرة التي عنده عن التنوع البشري: نحن كما نحن، ليس بإمكاننا أن نتكلف. إلخ. غير أن هذا يعني أيضا: توجد ماهيات متعددة للإنسان غير قابلة للتواصل معها وثابتة؛ فما يعطي قيمة للماهية لا يعطيها للأخرى. مزيج عجيب - بل ومنتشر بكثافة - لنسبية ذات أصول تجارية، مع ميل نحو المطلق. إنه علم نفس الزبون الذي يجرها نحو هذه العموميات: يتقدم الزبون بما هو مجموعة من المطالب الثابتة أو التي تتبدل ببطء. نطلق على طريقة ما اسم مجموعة المطالب. وانطلاقا منها، يتم تشييد أليات مُفسّرة. ويتم في نفس الوقت ترتيب هذه المجموعات للحصول على «عائلات»؛ وهنا يتدخل الإحصاء ونحصل على تصنيفات حسب نوع الأشخاص: أولئك المختلفون بطبعهم، والآخرين والذين هم على العكس تماما؛ متشابهون

ببإمكانك فلقد كان بصدد التفكير: إذ إن مشاعر الكاستور نحو هذه الأخيرة صارت مزبوجة وتناقضاته وجدانيا (رسائل إلى سارتر ويوميات حرب لمسهون دي بوفوار غاليمار 1990) وسارتر نفسه ما عاد يعرف كيف يتصرف مع الشابة.

بشكل فائق. حين أتحدث مع «بيتر»، يغمرني انطباع دائم إنني أجسد في عينيهِ شخصا آخر؛ فبالنسبة إليه كل «البوهيميين المثقفين» في العالم قابلون لأن يحلوا مكان بعضهم البعض. وهناك نوع آخر من الناس مستعمل بشكل كثير: أصيل. فلقد اكتشف منذ وجوده أكثر من خمسين ضابط صف وضابط «أصيلين». «أنت تعلم، الفتى الجيد... فتى أصيل».

حكمة «بيتر»: «من مصلحتنا دائما أن نخالط من هو أفضل منا».

فرصة ثمينة لأرى تأثير ما أنتجُه من الخارج: أحد الجنود قال ذات يوم: «هل أنت «بول»؟ لا؟ دائما ما أخلط بينك وبين الآخر». وجندي آخر قال هذا الصباح: «ألستما أخوين أنتما الاثنان؟ تشابهان بشكل عجيب». هكذا صار بإمكانني تأمل «العريف بول» بشكل مكثب وأفكر: كما أراه يراه الآخرون؟ وهو ما ليس دقيقا تماما؛ لأنه يتعلق بتشابه عام بالنسبة إليهم؛ هؤلاء الذين قليلا ما يروننا ويدركون بشكل غريب. في حين أنني أنا أدرك «بول» بشكل تفصيلي، فمنذ شهر أراه كل دقيقة في اليوم. ولكن وعلى كل حال، هناك ثقافة ذابلة، ذكاء بدون ملامح أراه على محياه وأعتقد أنه يطبع وجهي كذلك. وإحقاقا للحق، فـ «بيتر» يحتاج أحيانا قائلا: «مستحيل، إنها لا يتشابهان».

هناك بين الأساتذة، أفتخر بأني متفرد. ذلك ما تقوله «أولغا» عادة: «أنهما متفردان، الكاستور وأنت». لكن هنا، وعلى العكس من ذلك، فأنا مختلف جدا عن «بيتر»، و«كيللر»، والجزار، و«تیبو»، مختلف عن «المساعد كورتو»؛ أحس نفسي نموذجيا. الآخرون أيضا نموذجيون أكثر منهم عاديين. هناك نزوع في الحرب لنسف الاختلافات الفردانية (من الخارج) لتظهر النماذج. شيء لا يصدق ما دفعني خلال أداء واجبي العسكري، إلى كثير من الذلة الخشنة. أما اليوم فلا أثر لتلك الذلة، ولا أثر أيضا للكبرياء. وعمي هادئ وعارٍ بالذات، كما لو أن كل أفكاره، كل مشاعري تنمو في حالة من المجهول البدائي: مجهول الوضعية (هذا الوجود في الحرب المشترك بين الجميع)، ومجهول الموقف (في أي مكان، مهما كان)، وقابلية تبادل الوظائف (في أقل من ساعتين يمكن لأي شخص أن يصبح سابرا)، واشتراكية الملكية (ثيابي

إلخ...). وفي نفس الوقت، العنف البدائي لزمن السلم. سخرية الاقتراب التي نشعر بها بين الجنود («سيلين» الذي لم يحلم بقتل جاره وهو يلتزم بالطابور أمام شبك تذاكر المترو؟) كل هذا اختفى هنا. غموض متبسم.

بدأت أشعر في يومالـ15 أوالـ16 أنني «مهم». رسالة من الكاستور تحدثني فيها عن التواضع اللطيف للصغير «بوست» الذي أرجعها متواضعة⁽⁵⁴⁾. من المستحيل أن تشعر أنك مهم حين «تكون في حرب»؛ إن رفضنا مبدأ الشعور بأهمية الذات حين نكون «أناسا عاديين». أن تكون في حالة حرب فذلك يدخل ضمن الشرط الإنساني في الوقت الراهن، وليس ثمة من داع للافتخار بذلك سوى أن تكون موجودا من أجل الموت أو من أجل أن تتناسل، إلخ...

تسرعني قراءة يوميات «أندريه جيد» دائما أنني لا أعرف ما معنى أن تكتب بشكل جيد؛ وهو ما يذكرني بجملة «ماهو»⁽⁵⁵⁾ (1926 أو 27): «سارتر أيها البئيس، ليس هناك من شخص يهول باضطرام خلف الجمال ولا يقدر على الإمساك به». ثمة في كتابتي ما هو صلب وجرماني، وهناك في جملي شحوم تُسَمَّنُها بخفة. مع الوقت تصبح لا تُطَاق. لا بد من إزالة الشحوم، غير أنني أعتقد دائما أن الفكرة أو الشعور تـ/ يفقد فروقاتها/ ه الميزة. عادة ما تحور عزيمتي بعد كتابة مُطولة. بالنسبة لي يمتلك أسلوبِي رائحة عضوية؛ يشبه الأمر النَّفس المرهق لمريض؛ يشبه رائحة بطن. من الممكن جدا ألا يحس الآخرون بنفس الإحساس. أحب كثيرا الجدار [عنوان رواية لصاحب اليوميات] لأنها خالية من هذه الرائحة، غير أن الغرفة⁽⁵⁶⁾ [رواية أخرى لسارتر]... وروايتي، حسب ما يبدو لي،⁽⁵⁷⁾ متعفنه إلى درجة الغثيان. الجمل الحميلة لـ «أندريه

54 تم تجنيد جاك لورين بوست صديقهما. حول المشاعر التي تكتها ديوفوار تجاه هذا الفتى في تلك لفترة (يوميات حرب لسميون دي بوفوار غاليمار 1990).

55 رنيه ماهوزميل دراسة لسارتر في المعهد الأعلى للمعلمين. تسميه دي بوفوار "هرو" في مذكراتها

56 الجدار والغرفة أقصوصتان من خمس قصص صدرت عن دار غاليمار سنة 1939 الجدار هو عنوان الكتاب

57 عصر العقل كان سارتر يباشر كتابته أثناء هذه اليوميات.

جيد» ليس لها رائحة.

يمكن القول أيضا إن جملي الأروع لها طابع أثاث ثقيل، مع هشاشة سرية، انسيابية غير مكشوفة، تبرز خلال القراءة الثانية. نعوت كثيرة، علامات من الممكن تقليدها. تغيير نحو الأفضل منذالـ2 من سبتمبر. حالتي الراهنة، التي تطلبت توترا في البداية، أصبحت عادية الآن.

هناك تطورات جيدة حول الحرب منذ الأمس إلى اليوم، غير أنني في الحقيقة أنسى تماما إنني في حرب، واحتاج إلى بذل جهد كبير لاتذكر ذلك.

نور القمر مذهل هذا المساء أيضا، غير أنه يحدث نفس تأثير ماء البحيرة الشاطئية للبندقية: نور ميت وآسن. تحتفظ الأشياء بألوانها تحت نور القمر كما هو الحال بالأمس، غير أنها كانت أشياء أكثر من المعتاد، مُغلقة بجمودها، ملتحمة وصامتة. الشارع وردي، والأزرق الشاحب الذي يميز مارموتيه بسقوفها المنخفضة، مينة وساكنة تحت القمر، شبيهة بتلك الأشياء التي ظلت لمدة طويلة تحت تأثير حركة المنابع المتحجرة؛ حَجَّرها القمر، استعراض صخري.

الجمعة 29

يشمل الطبيب البيطري كل مساء، يريد أن يقبل كل النساء اللواتي يعترضنه، فإن قاومن يصيح: «سوف أجس مؤخرتك بالقوة». ومن جهة أخرى معركة في نادي الضباط، ما ينتج عنه إجراءات مُشددة يتم اتخاذها ضد الجنود العاديين.

عثر أحد الرقباء على وسيلة لتمرير عنوان مكانه في رسالة موجهة لزوجته. قدمت هذه لتلتقي به في إحدى قرى الأكراس، ونامت بشكل خفي في النزل الوحيد. لكنها حامل وقد أجهضت: دم في كل مكان؛ مما استوجب نقلها في سيارة إسعاف عسكرية.

قال النقيب للقيب: «ولكن من أين عرفت عنوانك؟». «لقد أعطيته إياها قبل أن يصدر أمر منع ذلك».

لكي أكون - صادقاً - في - هذه - الحرب، عليّ أن أتخلص من تفاؤلي الدفاعي. لقد رحلت لقضاء سنة من الحرب وليس للأسباب أي دخل في ذلك. مازلت أومن بشكل غيبي في حرب من سنة واحدة، يعتبر «كيللر» أنها سوف تنتهي مع احتفالات نويل السنة القادمة. الأخبار سيئة اليوم من روسيا؛ لذلك انتهزها من أجل أن أهرب. ست مقتنعا بانتهاء الحرب بسرعة ولا بالانتصار النهائي لفرنسا⁽⁵⁸⁾. وطالما أنا مقتنع بذلك، فسوف أحتفظ حولي أعضاء في صفي: الكاستور، و«فاندا»، و«ب»، وكتاباتي، وحياتي. وكل هذا سينهار إن لم أكن مقتنعا: فراغ أسود، ولكنني في المقابل لن أحقق الحرب. ستصير حياتي فعلاً من الماضي؛ تغيب عني نهائياً الفترة الممتدة خلال سنتين 1918/1939؛ تموت. حاضري سيء، المستقبل غير متوقع، وكل إمكانياتي معدومة. لا يمكن لكل هذا أن يتحقق إلا في الرعب وبواسطته. وإن حدث هذا فسوف يتزع في نفس الوقت كل صلابة عن حاضري، يصير أعزل مثلما يفعل به موت، بما إنني هنا وبالتحديد لمقاومة أية قطيعة مع الماضي. الآن فقط أدركت وأحسست المعنى العميق للحرب ولمعنى «أنا» في حرب.

ليس من الممكن بلوغ الأصالة إلا من خلال اليأس. ربما هناك من بعد شكل من نهضة الهادئ والقاتل؛ وهو ما يتحدث عنه «أندريه جيد» و«دوستوفسكي». تلك لحظة الغامضة من السعادة التي شعرت بها يوم 10 سبتمبر في قطار سافيرن؛ حين ربح الفجر الرمادي ليكشف عساكر بخوذاتهم نائمين في المقطورة. الحرب دعوة لكي نصيح، لكي أتخلي عني نهائياً، أتخلي عن كتاباتي؛ أتخلص من كل ما أمسكه بجشع.

58 نفهم لماذا لم يكن سارتر متفانلاً في ذلك اليوم بالذات: بما إن الاتحاد السوفياتي وألمانيا استكملا لتعابير السياسية-الجغرافية التي يرغبان فيها، أمضيا البارحة اتفاقاً جديداً منسجماً مع الاتفاق الأول من خلال بروتوكول سري. وإن كان الجميع وقتها يجهل وجود هذا البروتوكول في ذلك الوقت، لكن كان من الممكن التعرف على ملامحه من خلال تأثيراته على الأرض: بخلاف إن الدكتاتوريتين تشمتا بولوبيا، فلقد ضغط الاتحاد السوفياتي في نفس ذلك اليوم على أستونيا لتمضي اتفاق عدم مهاجمتها وفي المقابل تمنح الاتحاد السوفياتي قاعدة بحرية وجوية ومن حق الجيش الأحمر أن يستغل هذين القاعدتين في الدفاع عنها. وبالتالي فإن مصير أوروبا بأكمله أصبح بين يدي ألمانيا والاتحاد السوفياتي

لكي لا أكون سوى وعي عارٍ متأمل مختلف حيواتي المتقطعة: الحرب، ما بعد الحرب، ما قبل الحرب، الحرب الأخرى، ما بعد الحرب الأخرى مثل تجارب متتالية لست ملتزما بها.

الأحد، 1 أكتوبر

أستنتج أنني لطالما تصورت الأخلاق كما لو أنها كائن وليس فعلا. وهي عموما حكمة لكن ذات طبيعة وجودية. لقد تمثلت الحكمة دائما في أن لا تفعل أي شيء، بل في إسباغ بعض التدابير الداخلية في بعض الظروف: اعتبار هذه التدابير الداخلية تعديلا وجوديا، ولديكم أمر مشابه تقريبا لطموحي الأخلاقي الوحيد، الرواقية والأصالة. رواقية؛ لأنه يجب الوقوف بصلاية وتحمل الوضعية (وهو أيضا رفض ومقاطعة) - أصالة لأنه يجب أن أكون في خضم الحدث؛ ومن هنا فهم الوضعية وفهم نفسي في تلك الوضعية؛ وهذا الفهم ليس إلا طريقة - هي نفسها أكثر أصالة - لتكون في وضعية. غير أن مظهرها من الطمأنينة يتبدى في كتاباتي نتاجا لكل هذا. فليس من باب الصدفة أن «روكتان»⁽⁵⁹⁾ لا يفعل أي شيء: فهو ليس منشغلا إلا بأن يكون. كذلك «بابلو» في الجدار لا يفكر سوى في «أن يكون بشكل منفرد»، وأن يفهم الموت. بهذا المعنى عبرت عن هواجسي الشخصية وعن الموقف الذي يجب أن اتخذته في مواجهة الموت؛ وقد فعلت ذلك بشكل عفوي. وكذلك شخصيات أخرى، رغم أنني نشيط في الحياة اليومية. هنا لدينا أخلاق الفعل؛ كيف يجب عليّ أن أتصرف تجاه «فاندا»، تجاه «ب»، إلخ... نقاش مع الكاستور حول ما كان يجب عليّ أن أفعله، ما يجب عليها أن تفعله، غير أن أخلاق الفعل - والتي هي أكثر منها أخلاق واجبان لم تنبع بشكل تلقائي من الوجودي - تبدو لي دائما أخلاقا دنيا، مؤقتة؛ أخلاق أصحاب الخطوة. وربما هذا متعلق بأن أفضل أنشطتي تمتصه الكتابة. ونتيجة لكل هذا، فإن الموقف الذي اتخذته بشكل عفوي تجاه الحرب هو موقف سلبي. رواقية وأصالة: لا

نُظر للحرب إطلاقاً باعتبارها واجبا: لا أفعل شيئا بنفسى؛ بلا أجر جسدي، أقوم
 بروحي العسكري ليركوني وشأني. لكنني لا أرفض الحرب على طريقة «آلن».
 اعتبرها ظرفا وجب تحمله و«تحقيقه»؛ أن أعرف الحرب وأعرف نفسي من خلالها.
 عبر إنني توصلت إلى أن أسأل نفسي (منذ بدأت أكتب هذه اليوميات) إن كانت
 روائية والأصالة في سياق منسجم. أليست الرواية رفضا للقلق؟ أليست هناك
 جيل للروائي، تفاؤل روائي؟ وعكس ذلك، ألا ترتبط الأصالة بالتأوهات؟ «أندريه
 حيد» الذي بحث دائما عن الأصالة؛ أليس هو العدو للردود للرواية؟

ليست الحرية التي يبحث عنها «ماتيو»⁽⁶⁰⁾ حرية للفعل، وإنما هي حرية أن تكون.
 عليه ببساطة أن يوجد-حرا. لقد حللت مطولا الانفعالات، والمشاعر، والوعي
 خالص بشكل مميز أفضل مما هو في علم النفس⁽⁶¹⁾، واكتشفت في نهاية الأمر أنني
 عملت عن تحليل العزيمة والأفعال.

يشير «هجوم السلم» عند كل من «هتلر» و«ستالين» شكلا من أشكال الهرج.
 يمتنى أغلب الجنود الذين التقيت بهم اليوم أن يتم قبول مقترحاتهم. بعضهم جاءت
 ردود أفعالهم في شكل مُوبِّخ: «وستكتشفون أن الحرب سوف تعود بعد سنتين!»
 والآخرين يأملون صائحين: «إن اقترحوا شيئا جيدا...»

اليوم يوم كآبة؛ لا رغبة في الحياة. الطقس بارد، أتسكع مُطاردا من كل شيء.
 ولأنني كنت في حاجة إلى الضجيج التحقت في آخر الأمر بثلاثة من رفاقي عند «مدام
 غروس»، لكن ما إن وصلت المكان، حتى انتابني رغبة شديدة في الانصراف مجددا.
 به يوم الأحد. يلاحقني يوم الأحد المدني حتى في المدن اللامتحضرة. كانت هناك
 جنازة بالمكان، ثم طواف بأشياء مقدسة خارج الكنيسة. تدلت راية حمراء بحروف
 ذهبية من نافذة إحدى شقق الطابق الأول. دخلت نسوة بقبعات إلى قاعة الطعام
 يضعن قفازات ويضحكن. تنقصني الكتب، كنت أشعر أنني مُطارد.

60 بطل عصر العقل (والجزآن التاليان من الثلاثية القادمة دروب الحرية).

61 محاولة تحليلية غير مكتملة تأثر فيها سارتر كثيرا بهوسرل وقد شرع في الاشتغال عليها من خريف
 1937. نشر منها مقطعا، مخطط نظرية الانفعالات (هرمان 1939).

لقد أمكن لهذا الأحد الأصم القدر أن ينال من الجميع فقد تكلم «بيتر» لأول مرة وغمغم: «ليس كربا غير إنني أشعر بالملل». عند منتصف النهار خرجت، فغمرني انطباع رائق وأنا ألمح في زقاق ضبابي امرأة رقيقة تنزل بحذر وهي ترفع بإحدى يديها تنورتها؛ لقد كانت امرأة سوداء بقبعة.

عند سكريتارات أ. دي⁽⁶²⁾ سمعوا كلاما عن شخص الزاسي من إي. دي⁽⁶³⁾. إنه مجنون باليأس، لا يتركه أصدقاؤه وحده، وعددهم خمسة من حوله، غير أنه يطردهم. لا ترغب السلطات العسكرية في اتخاذ قرار بشأنه: «حاولوا تسليتي»، قال الرائد. لقد شعرت إزاء هذا اليأس أن في الأمر خدعة سحرية للوعى، تلقي بنفسها في تعزيبات لأنه لم يعد يحتمل أن يحتمل⁽⁶⁴⁾. يبدو لي أن لكل واحد منا يأسه الخاص الذي يلاحقه مثل ظل شعورنا بالأمان، هدوؤنا الحالي. وفي كل لحظة هي محاولة - نشعر بها ونتجنبها - أن نقع، ليس لأننا نأسف على حياتنا الماضية أو لأن ذكرى طاعنة جدا تعاودك، ولكن لتستريح. إنه لأمر مُنفر ومرهق أن تكون هادئا، جاف ومرتعج؛ فلكم نشعر عادة أننا لا إنسانيون، وتستولي علينا دوخة حين نفكر أن غدا أو بعد غد سنكون دائما جافين، أرض قاحلة بلا ماء، دائما هادئة، دائما صحراء. ورغم ذلك أعلم جيدا أنني لن أقع في اليأس؛ فلن أقبل أن أرويني بالدموع؛ وذلك عن كبرياء. بل لا أستطيع أن أقبل حتى الكرب؛ فأنا أفكر أنني مهتز بسبب طول الحرب (أو ربما إلى أن أحصل على أول رخصة للاستراحة).

إن سمعت عبر الاتصال اللاسلكيا أحد تلك الأصوات المحترقة والمظيعة التي كانت ترافقني السنة الفارطة أثناء عملي بمقهى راي، سوف أبكي بدموع حارة.

للمرة الثانية اليوم، ذكرى شعرية ومؤثرة في حكايتي مع «أولغا». كان ذلك في أحد تلك الأيام التي لا تحصى ولا تُعدُّ بـ «رووان»، عندما كانت تقول لي لا أحبك. أرى مجددا هضابا منحدرية يكسوها عشب قليل، ومن حولنا صية يلهون، وكان

62 مدفعية الفرقة

63 مشاة الفرقة

64. وهو ما أراد سارتر توضيحه في مخطط نظرية الانفعالات.

هاك أيضا عشاق. كان ذلك على ما أذكر في ماي 1936. يتزامن مع هذا انطباع بوجود غبار فحمي اللون في السماء. أدت هذا الامر مرارا وتكرارا في رأسي، وفكرت أن أكتب لها بشكل عام رسالة صداقة حقيقية. مشروع لم يبارح طبعاً مجال خيال. أتخيل أن هذا الحنو يتأتى مما يلي: مادمت لدي حياة في طور التحقق، فإن صبية «أولغا» التي أحببتها ذات يوم في ريوان هي الآن مغطاة بـ «أولغا» التي صارت امرأة ناضجة، والتي صرت أسمع عنها الكثير. لقد فتحت لي خيالي في سنة 1937 عيني. لم يكن هناك إلا «أولغا» واحدة - ولم تكن مُحبّة كثيراً. ولو استعدت ذكرياتي في سنة 1936 ليس إلا لكي أعزلها تماماً كما أراها أنا الآن بوصفي ناضجاً. غير أن حياتي توقفت اليوم، إنها ميتة خلفي. فهذه الأولغا لم تعد حقيقية، لم تعد موجودة للشخص الذي أنا هو الآن موجود في مارموتيه غير تلك التي عرفتها في سنة 1936⁽⁶⁵⁾. هتان الأولغتان مجرد ذكريات، وكل واحدة منها تأخذ مظهرها خاص بها، ولكل واحدة منهما قوتها في مكانها الخاص. لا أنتقل لوجهة النظر خاصة بسنة 1939 كي أقيم حياتي وآمالي في سنة 1936؛ غير أنني أقيم سستي 1936 و1939 من مكاني هذا، هنا في هذه المدينة التي أنتظر فيها نهاية الحرب. ومن وجهة النظر هذه، تكون 1936 و1939 هي مظاهر متوازية متقاربة.

يبدو لي أن كل ما كتبه في هذا الدفتر لا إنساني، غير أنه ليس خطئي. نحن في حرب، لا يمكنني أن أتحمس، لا عليّ ولا على الآخرين. برضى بالغ تقبلت خبر أن عيي و«زيورو» في أمان؛ أحدهما في ديجون والآخر في قسنطينة؛ فهذا يعطيني من تفكير فيها.

65 كان سارتر مغرماً بأولغا كوزاكيفسكي أخت فاندا وتلميذة سابقة لدي يوفوار (عصر القوة) سوف يخف سارتر في هذه الدفاتر لهذا الحب العنيف الذي امتد من سنة 1935 إلى سنة 1937 وقد حشي سارتر من الوقوع في الجنون بسببه. كانت أولغا تفضل جان لورين بوست على سارتر ولم تعلن ذلك، ومن هنا نشأ حقد سارتر عليه حيث دفعته أولغا أن يكتشف تعلقها وحده بـ بوست لأولغا دور كبير في بناء شخصية إيميش في رواية عصر العقل في رواية الضيف التي كتبها سيمون دي بوفوار في نفس الفترة تستوحي هذه الأخيرة الطرف الثلاثي الذي عاشوها جميعاً في ذلك الوقت وشخصية كمافياري في رواية هي إحدى قربيات أولغا

وأنا أكتب «إن سمعت عبر اللاسلكي...» صفحة 58، و«كل ما أكتبه في هذا الدفتر» صفحة 59⁽⁶⁶⁾ وجدنتي معها. شيء من الكوميديا. لم يحدث لي مثل هذا منذ مدة.

زوج مُضَيِّقنا، وهو عسكري في هندسة البناءات، يأتي مباشرة من الحدود عند ضفاف النهر ممتطيا دراجته النارية. على الضفة الأخرى هناك الألمان يتبادلون الحديث من ضفة إلى أخرى. تحدث عن الضباط الألمان الذين قالوا له: «لقد قام هتلر بحماسة كبرى». لا مجال لإطلاق النار: ملاطفات ودعابات. لقد تلقوا الأمر بتفجير الجسور. قاموا إذن في اليوم المعلوم بحشو عُقد الجسور بالمتفجرات، وتراجعوا كيلومترا ونصف الكيلومتر وتفجر الجسر. حين عادوا في اليوم الموالي إلى مخيمهم الأول، التقوا بالضباط الألمان الذين قالوا لهم مرتعين: «ولكن ما الذي فعلتموه؟».

الاثنين 2

أعتقد جازما أن «دانيال» يكره نفسه ويرفض أن يكون لوطيًّا⁽⁶⁷⁾، لكنني لا أعرف لماذا يرفض ذلك؛ لأنني لاحظت الحركات البهلوانية لـ «زيورو» للإفلات من تلك الصفة، غير أنني لا أعلم أسباب تلك الحركات. لقد قالت هذه المرأة بحسن نية («ماتيو»⁽⁶⁸⁾ سيقولها أيضا): «أنا لو كنت سحاقيّة فلن أستحي إطلاقا من ذلك»، دون أن تأخذ بعين الاعتبار أنها تقول هذا لأنها بالأساس ليست مثلية.

مصير عجيب لهذه الرواية: لقد اقتنعت أنه طالما نحن في حالة سلم، فإنني لن أنهيها (على الأقل الجزء الأول) غير أنني لست واثقا تماما أن يتم نشره⁽⁶⁹⁾.

الذهن خال، أو هو بالأحرى مشغول بتلك الأنشطة اليومية المعتادة. روايتي كما لو

66. مقصود هنا طبعا صفحات الدفاتر في الأعلى نفس اليوم.

67. إحدى شخصيات عصر العقل.

68. بطل عصر العقل.

69. لن يعلم بذلك إلا بعد الحرب.

أما احتياج بيروقراطي، صبورة وروتيية. «أندريه جيد». رسائل. ليست هناك أية فكرة ولا مجرد محاولة لتأمل الأشياء عن قرب. اليوم فقط بدت لي الحرب الشيء الأكثر طبيعية، إنني في خضمها ولا أستغرب ذلك. ومن المؤكد أنه انعدام الاستغراب الذي عطل تفكيري. وبالرغم من ذلك، هناك شهوة ما فيمواصلة كتابة هذا الدفتر كل يوم دون انقطاع. بل لقد اقتنيت دفترين من نفس النوع، غير أنها شهوة كاتب سيئ لا يتوقف عن الكتابة، شهوة مُجمِّع كتابات. اجتاحتني رغبة صيبانية لامتلاك أربعة أو خمسة دفاتر ممتلئين، كما كنت أرغب في طفولتي أن أمتلك مجموعة الكاملة لمغامرات «بوفالو بيل». بالإضافة إلى أن حجم يوميات «أندريه جيد» قد أغراني. أريد أن تكون «يومياتي للحرب» ضخمة مثل يوميات «جيد»؛ لأنني أنوي نشرها طبعاً. وللأمانة فقد بقيت متردداً؛ أولاً لأنني أُعبرُ بدون موارد في كلام ولا مراوغة بشأن علاقتي بـ «فاندا» و«ب»؛ تبعاً لذلك لا أتصور أن هذه كتابات سوف تظهر وتُنشر على شكلها الحالي طالما أن حياتي «المدنية» ستكون ما ستكون عليه. ثم هذه الكتابات مدونة بشكل سيئ جداً. تتنابني هواجس لإعادة صياغة إحدى الجمل من حين لآخر، لكن أحياناً أخرى لا أهتم بالأمر وأكتفي بكتابتها سطحية كما هي. لا بد من الإصلاح والتدقيق إن كنت سوف أسلم هذه دفاتر للقراء. ولكن أليس هذا نوعاً من الغش؟ أليس إصلاح التراكيب والنحو بمثابة خيانة لروح هذه اليوميات؟ وأخيراً فإن ظروف هذه الحرب وتعييني هنا عبراني على الحديث عن نفسي فقط. كل ما أعلمه عن هذه الحرب أعرفه من خلال سماع فقط. فإن نظرنا إلى أشياء من الخارج، فيمكن القول إن هذه اليوميات هي يوميات اللاشيء. شخص وحيد منفصل عن الآخرين، يقضي أياماً كاملة فارغة في صيغة إلزامية، ولا يعرف متى ينتهي هذا المنفى، وليس هناك في هذا الأمر موجب معبرة يستدعي التوقف عنده. كان الأمر سيكون مختلفاً كثيراً لو كنت عند خط محينو. وبالتالي، لا أرى أي موجب لنشرها الآن؛ فقد يتغير كل شيء بسرعة، إلا إذا كن هناك من سيهتم بي أنا شخصياً وليس بالحرب؛ وفي الوقت الراهن لا أحد يهتم

لأمري. وإن كنت سأنشر هذه الدفاتر فسيكون ذلك بعد وقت طويل جداً⁽⁷⁰⁾.

هذه التدوينات التي لا تتحدث إلا عني ليس فيها إطلاقاً ما هو حميمي ولا اعتبرها كذلك. كل ما يحدث لي، كل ما أفكر فيه أنوي في التو أن أتقاسمه مع الكاستور؛ فما أن يحدث لي شيء ما، أرويه مباشرة. كل ما أشعر به أحلله للآخر في الوقت الذي أحس به، وأفكر أن استعمله هنا وهناك. لو لم أكتب هذه اليوميات، ولو لم تكن هناك المراقبة العكسية لكتبت جزءاً كبيراً من يومياتي في رسائلي إلى أصدقائي، وسوف أنسى الباقي فوراً. لا أعرف شخصاً آخر غيري قارئاً. إن كنت أفكر أغلب الوقت فذلك بفكرة الانتصار على شخصية مميزة، وإن أعملت العقل فذلك بالطريقة البلاغية لأقنع أو أدهش⁽⁷¹⁾. ليس هناك إلا مشاعري والطعم الخاص لجسدي اللذين بقيا حميمين لي؛ ذلك أنها لا يمكن التواصل معها. لا يبدو لي أن هذا الدفتر سوف يقع تحت طائلة النقد الذي تتعرض عادة اليوميات؛ علماً أن بعض الكتاب يلعبون على ثنائية: الحميمية والإشهار (حميمي، حميمي إلى أبعد حد، لكن لئتم تسليمه لضوء النهار من بعد). مهما كان مصير هذه التدوينات، وسواء نُشرت ذات يوم أو لا، فقد كتبها بتوجه جماهيري - وبالأساس كي أريها للكاستور⁽⁷²⁾.

يبدو أنه من اللازم أن أعترف أنها لا تقدم لي أية مساعدة. فعلى أفكاري أن تتحدد لحظة الكتابة، غير أنه منذ خمس عشرة سنة وأنا أفكر، تمكنت من ترتيب نفسي دون

70 في 16 سبتمبر لم يكن سارتر يفكر في نشر هذه الدفاتر إلا بعد موته.

71 حين كان سارتر في عمر 18 سنة كان يكتب في دفتر صغير يدون فيه قراءاته وأفكاره "كل الناس في حاجة إلى شاهد ودونما أدنى شك فتلك ضرورة اجتماعية. بعضهم يبتكر الله، آخرون يبتكرون الوعي "مشحصن" يبدو آخرون في هذا العالم لا يستطيعون التفكير دونما أن يعيروا عن أفكارهم. آخرون لا يستعملون العقل يتخيلون بشكل معتم نساء ينظرن إليهم" دفتر ميدي "كتابات الشباب

72 دون معارضة ما يقوله سارتر عن تنوقه للكتابة الشعبية. أليس من الممكن التفكير إنه بقيم ضرورة خاصة وأنه يسارع بتشبيه الكاستور بالجمهور العادي؟ بالفعل، فذلك أحد الأهداف المصريح بها في هذه الدفاتر وهو أن يتطور في معرفة نفسه بنفسه، أن يوضح الأساس دوافع تصرفاته العاطفية. "هذا التحذير للعواطف" الذي يرمقه، هل ينتج في ذلك تحت أنظار المقربين منه والمعنيين به؟ يبدو إنه استوعب هذه الصعوبة: يمكن تأويل الجملة الأخيرة في الفقرة على أنها تحذير ملتبس للقاريء

مساعدة مفكرة. أفكر وأعبر في داخلي؛ أحفظ أفكارى بدون أن أدونها، حتى إن كل ما أذكره هنا كنت قد فكرت فيه وصيغته مسبقاً في رأسي.

وهنا يظهر مآزق آخر في اليوميات: هل يجب أن نكتب ونحن نفكر أو نفكر أولاً ثم نكتب ما فكرنا فيه؟ أن نفكر ونحن نكتب بما يعني تدقيقاً وتحريراً لموضوع والقلم في اليد: نخشى وقتها أن نجبر أنفسنا ونصبح غير جادين. أن نكتب ما نفكر فيه: لم تعد وقتها إذا يوميات؛ لقد فقدت ما هو عضوي فيها مما يشكل حميمتها. في الحقيقة لا أرى إلا فائدتين لهذه الدفاتر: أن تصلح بوصفها مذكرة - عرض تاريخ الأفكار - جب الأفكار.

ولنكن واقعيين: هناك شيء آخر يتعلق بانشغال داهمني خلال شهر يوليو الأخير؛ وهو التالي: أعالجني - ليس من أجل منفعتي الشخصية، بل لأني موضوع نفسي غوري - بشكل متساو ومتواز مع مختلف النظريات في آخر مباحثها الحديثة: في تحليل نفسي، في علم النفس، في الظاهراتية، في علم الاجتماع الماركسي أو القريب من الماركسية؛ كي أعرف ماذا يمكن أن أستفيد من كل هذه النظريات. هذا بمناسبة لاكتشافات الحقيقة التي قمت بها في تلك الفترة والتي تخص كبريائي. لقد أغراني تطبيق الذي يمكنني أن أنجزه حول وجودي في الحرب، غير أنني أرى نفسي ابتعدت عن هذا السياق. سوف أرى وضعيتي بوضوح في الغد؛ أي كيف لي، من خلال حياتي المدنية، أن أرى كل هذا.

الثلاثاء 3

أعتقد أنني في هذه اللحظة أميز نزقاً شهوانياً وتبكيك ضمير لدى زوجة «بيتر» يشبه ما يجعل الأرامل النادمات ينحنين على نعوش أزواجهن. نزق أخلاقي، مطلوب، غريب عندها؛ مصحوب بعنف أخرق - مشاعر جميلة وقوية غير معتادة سوف تعرقل كل شيء فيما بعد حين تراه: «إذا، هل كان كل شيء بسبب هذا فقط؟» لا، لم يكن بسبب هذا فقط - على الأقل فيما أعتقد - كان من أجل التعلق بالأخلاق.

ثم إن هذا يشغل البال فعلا.

تؤكد الجملة التي قالها «أندريه جيد» في 8 أغسطس 1905، والتي تلخص نظريتها حول المشاعر: «بما أن الدراما تنتهي في الدم، لا أعرف شعورا يمكن أن ينحدر من الارتياح مهما كان إخلاصه»⁽⁷³⁾، أنه عاش شيئا من جوهر المشاعر - وأن يكون مرتابا - ولكن ليس كل هذا فقط؛ لأن هذه الشكوكية في المشاعر لا علاقة لها إطلاقا بالإخلاص. إنه أسلوب في وجودهم: يوجدون - مرتابين (من هنا تتابع نفسية «أندريه جيد»، والشيطان، إلخ.)، وإذا لم يكن لديهم إخلاص، فلن يختلفوا عن الصخرة التي تنقصها الرؤية، وليس مثل الأعمى. يبقى أن هناك عواطف مزيفة وأخرى حقيقية، غير أن العواطف المزيفة أكثر من الحقيقية. التعارض بين العاطفة والإحساس صحيح إلى أبعد حد: «فالإحساس صادق دائما، وهو الضامن لأصالة العواطف»⁽⁷⁴⁾، بشرط أن نفهم من عبارة إحساس التجربة المعيشة⁽⁷⁵⁾ [بالألمانية في الأصل]؛ ونقصد من خلالها أن الوعي الفوري والمطلق يتميز بطبيعته من خلال الشيء - العاطفة. غير أن جيد يقع في المبالغة المادية، ويبدو لي أنه تغافل عن حداثة فكرته الخاصة حين كتب: «عواطفنا مضمونة من خلال دَوِّها الفيزيولوجي»⁽⁷⁶⁾. ها نحن نعود إلى جيمس⁽⁷⁷⁾ حين يكتب «قريبا يصبح الإنسان متطابقا مع الصورة التي نستعرضها نحن عنه»⁽⁷⁸⁾، كما نعود إلى بوفارية [نسبة إلى مدام دي بوفاري، رواية لـ«غوستاف فلوبر»] نافهة.

إن أردت البحث عن أي موقف أخلاقي يجب أن أتبناه إزاء هذه الحرب، فأخشى أن أبنيه على أساس واهٍ، وأن أزيغ [دون قصد] معطى الواقع بأفكار مسبقة. لا

73 يوميات أندريه جيد.

74 يوميات أندريه جيد.

75 من الألمانية بما يعني أن تحيا، عبارة معيشية.

76 يوميات أندريه جيد.

77 ويليام جيمس (1842-191) والذي كتب بالأساس: البراغماتية من تقديم هـ برغسون فلاماريون

1911

78. يوميات أندريه جيد.

يرتبط أول ما يجب فعله بإرادة اتخاذ موقف من الحرب، ولكن بمعاينة هذا الموقف الذي سوف أثبتناه بشكل عفوي في مواجهتها وشرحه. ليس من العدل اتهام عالم النفس، كما فعل «آلن» بالـ «تفكير الجبان»، بل أجد فيه على العكس ديمومة لا يمتلكها الأخلاقي، وأخيرا أخلاقا أشد قسوة؛ وهي أخلاق الحقيقة. يبدو لي دائما نسي حين أعيش وأفكر مثل اخلاقي، فإن هناك في داخلي شيء من البطولة المتنفخة، وألف حيلة تفلت مني بما أنه لا بد أن أكون عالم نفس لأعثر عليها. بل بالعكس، يبدو أنني حين أعالجني كعالم نفس، أدنو كثيرا من الأصالة. هناك وبدرجات متفاوتة تصور للخطأ المفيد عند الاخلاقي كما هو مستحب عند «باريس» [إشارة للروائي الفرنسي «موريس باريس»]. هناك دائما لحظة يعلن فيها الإنسان الاخلاقي بحركة من دقته: «ليس مهما، فمن الجميل أن نخطئ بمثل هذا الحماس». وفيهذه اللحظة بالذات، مدفوعا بشهوة «الفعل»، ينسى أن «يكون»؛ أي الأصالة. وعلى العكس من هذا، سوف يجعلنا امتحان قاسي، نخاطر بأن نتوجه رأسا نحو هذا الرعب، إلى هذه إهانة التي لا أحبها إطلاقا، لكنهما يعلنان الأصيل. سأحاول إذا أن أحدد هنا بعض تفاعلات وضعتني في هذا الموقف الذي أتخذه اليوم حول الحرب.

تمثل الحرب أولا جزءا من ذكريات طفولتي، ومن هنا فهي تبدو كما لو أنها مرتبطة بالعائلة. لقد عشتها في عائلتي ومن خلالها. لقد بدت لي أولا شبيهة بحدث عائلي، رغم أنني لم أعشها مباشرة مثل الكثيرين: فلا أحد من عائلتي ذهب للجبهة؛ كان زوج أمي مريضا جدا، ولم يكن لدينا أصدقاء كثيرين ذهبوا إلى الحرب؛ لأن حلقة علاقاتنا كانت متكونة بالأساس من أساتذة جامعيين في عمر جدي. بعدها غادرت إلى الريف في نهاية سنة 1916، لم أعش الحرب في باريس: الإنذارات، والقصف بواسطة طوب [طائرة حربية كان أول استعمال لها في سنة 1912]، والبيرتا الثقيلة [مدفعية ثقيلة من نوع ألماني]. أخيرا، بعيدا عن أن الحرب حرمتني من أبي وأسلمتني لنفسي مثل آخرين كثيرين؛ فقد منحتني - على العكس من هذا - أبا بما أن أمي تزوجت مجددا في مارس

سنة 1915⁽⁷⁹⁾. لقد عرفت من هؤلاء الأيتام «كلافو»، الذي كان يركض خلف أمه في الشارع- يحمل سكيناً - لأنها تطبخ له أكلاً لا يعجبه. كم كنت أغبطهم على حربتهم التي لم أكن استمتع بها. هل كان هناك تطابق بين «صدق» الحرب و«صدق» زوج أمي؟ أو أنها بدت لي مجرد تجهم بسبب الأجواء في ذلك الوقت، كما لو أنها فروق مُفخّمة، جليدية، وخاصة مُملة - مملة بشكل مرعب - حطت بثقلها على الأشياء. لا أعلم إن كنت أنا ورفاقي قد تحدثنا كثيراً عن أحداث ذلك الوقت. لاحظت ما يشبه قطيعة في هذه الحرب، تتوافق وزواج أمي من سنة 1914 إلى سنة 1915. لقد تدرّبت على شيء من انقياد الممثل في إيهاء العواطف الكبرى، والذي كان جدي، وهو في حد ذاته ممثل، يستعرضها. في أغسطس 1914 بأركاشون، كنت فخوراً بخفتي التي من خلالها كنت أمهد لي مسلكاً وسط الزحام لأحصل أنا الأول على إحدى تلك الورقات المرقونة التي كانوا يبيعونها على أساس أنها مناشير. أعيد كتابتها قليلاً، غير أنه يبدو أنني كنت أعتقد أنني بذلك الشكل كنت أؤدي واجباتي في اللغة الفرنسية، وأتعاون مع «الجنود» [والمقصود بهم الجنود الفرنسيون الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى]. كتبت بعد ذلك بزمان طويل بباريس في كتاب من الجلد وهبتي إياه «مدام بيكار»⁽⁸⁰⁾ أن رغبتني القصوى تكمن في أن «أكون جندياً وأثار للقتل»؛ ومن هناك عرفوا شهواتي وميولاتي. لا أتذكر الواقعة دون خجل: كان ذلك في شارع لوغوف في القاعة -المكتب. جاءتني «مدام بيكار» بالكتاب ووضعت أمامها. كان صقيلاً ممتلئاً بالأسئلة. جلست إلى مكتب جدي (مازلت إلى الآن أرى جيداً مرفقة الورق، والنشأف الأخضر الملطخ بالحبر الأحمر)، وكنت أكتب بينما

79. يحلظ سارتر بعض الشيء في التواريخ: لقد كان بيلارس خلال السنة الدراسية 1916-1917 في الخامسة بمعهد هنري الرابع: خلال 1914 أقام بعض الأشهر في في أركاشون صعبة عائلته. وفيما يتعلق بالرواح الثاني لأنه فلقد تمت مراسمه في أبريل 1917 وليس 1915، لكنه ربما لم يعرف الطوب وهي طائرات ألمانية صغيرة حلقت خاصة في بداية الحرب كما إنه لم يعرف بيرطا الضخمة مدفع طويل المدى والذي لم يقصف باريس إلا في 1918 وفي ذلك الوقت كان صعبة عائلته في لاروشيل

80 صديقة العائلة من ناحية أم سارتر

أولئك النسوة يثرثن، واع بواجباتي، واثقا من أن ما أكتبه سوف تتم قراءته، متعاطفا بشكل استباقي في مشاعر كبرى. حين انتهيت من تحرير أجوبتي، انذهلت النسوة، ومررت من يد إلى أخرى أتلقى التهاني والقبلات⁽⁸¹⁾. في نفس تلك الفترة كتبت رواية حرب؛ حيث استطاع البطل أن يسجن «كرونبريتز» [نعت لولي العهد في ألمانيا] وأشبعة ضربا متواصلا وسط حشد من «الجنود»⁽⁸²⁾. أخيرا أديت دورا في مسرحية طويلة ألفتها جدي، وقدمت عرضا خيرا في مدينة نواريتابل لفائدة الجنود: كنت أؤدي دور شاب ألزاسي طرده «البوش» من قريته، وانتهى الأمر به إلى أن يعثر على أبيه؛ جندي فرنسي في فرقة مطاردين قاموا بالاستيلاء على إحدى القرى. وفي اللحظة المؤثرة، مددت يدي قائلا: «الوداع، الوداع أيتها الألزاس العزيزة»، وكانت نبرتي شجية إلى درجة أن «السيد سيمون»، محافظ كاتدرائية ريمس، قبلني بقوة. مازلت «مي تحتفظ إلى الآن بهذه اللوحة الأكوارييل»⁽⁸³⁾.

تبنى قسم السادسة أحد «الجنود»، وتم تعييني أمين المال. كانوا يأتونني بالفرنكات فأضعها في حصالة. قدم ذات المتبني ذات يوم إلى جدي؛ كان ضخما بشارين غليظين، شاحبا وحزينا. تصورت أنني أحدثه بلطافة، وكان الجميع سعداء. وعلى أية حال وجبت الإشارة إلى أن قسم السادسة، ولأسباب نسيتهما، ما عاد يهتم في نهاية السنة لأمر هذا الجندي. ما تبقى من المال بالحصالة احتفظت به لنفسي. هكذا بدت لي علاقتي الأولى بالحرب ذات طابع بطولي: لم أعش ولم أشعر بأي شيء حقيقي، تركتني

81 لقد استعاد سارتر ذكرياته في هذا المشهد في كتابه الكلمات بداية 1960. لكن السقطة لم تكن هي حسها؛ ولم يكن نفس خجل المراهق في سنة 1939 لكنه خجل الصبي الذي كان عليه وقتها: ماهي «على أمنيائك؟ أجبت دون تردد: أن أكون جندي وانتقم للقتل» ولأنني كنت متأثرا جدا لم أكمل قفزت على الأرض أحمل ما دونته لأولئك الناس الكبار. انتهت الأنظار نحو. عدلت مدام بكار من نظارتها، دلت أمي على كتبها؛ وحركت كل واحدة منهما شفتها بتفكه. ارتفعت كل الرؤوس مرة واحدة تورد وجه أمي أعادت لي مدام بكار الكتاب: هل تعلم يا صغيري. لن يكون مهما إذا لم تكن صادقي عتقت إنني مت (الكلمات)

82 كتاب الكلمات

83 انتهى هذا الاستعراض في كتاب الكلمات بإهانة.

أندثر بأحاسيس متفق عليها، سرعان ما تنزلت مني. وفي الواقع كان الأمر لا يعنيني إطلاقاً. والسبب الحقيقي وراء كل هذه الأعمال الكوميدية أنني كنت أعيش مع أناس كبار وأناألم مع ألعابهم. ما كان بداخلي فعلاً في تلك الفترة هو ضجر ميم ومحدد: كنت أحب قراءة المجلات الأسبوعية، خاصة تلك التي كانت من توقيع «أرنولد غالوين»؛ حيث يروي بالتفصيل إنجازات الشباب ورحلاتهم عبر العالم. منذ تلك الفترة صار عندي نفور من تلك الروايات التي تحكي عن مغامرات الكشافة، أو عن شباب يتمي إلى تشكيلات منظمة. في المقابل، كنت أقرأ سلسلة «الكتاب الوردى» التي كانت تقدم قصصاً عجيبة وساحرة (أليس في بلاد العجائب، حكايات جزيرة آل مان...) ⁽⁸⁴⁾. غير أنه الإعلان عن الحرب، اختفت هذه المنشورات (خاصة بيفالوبيل ونيك كارتر اللذان كان ناشرهما ألمانياً). بعض المنشورات الأخرى تحولت: صار الكتاب الوردى ممتلئاً بإنجازات الشباب البلجيكي أو شباب فرنسا الشمالية. أصبح «أرنولد غالوين» يروي مغامرات شباب الفوج. كانت هذه القصص تضجرتني إلى أبعد حد ممكن. أظن أن ذلك يعود أولاً إلى نمطيتها: فكل أحداثها تدور خلال معارك بين الألمان والفرنسيين. ثم إن كل الغرابة التي كانت تحقق شعرة جولة حول العالم في طائرة ⁽⁸⁵⁾ (الهند، الأدغال، الكونغو، سلسلة جبال الأنديز) اختفت كلها. لقد تم تغيير القماشات الملونة المتوحشة بزي الحقل الرمادي الألماني [بالألمانية في الأصل]، ومثلت الأرياف الشمالية الموحلة المتشققة ديكوراً ثابتاً. إضافة إلى أن تقززي من التشكيلات المنظمة - وهو ما جعلني لا أقبل أبداً على قراءة مغامرات الكشافين الثلاثة لـ «جان دي لا هير» ⁽⁸⁶⁾ - يجد هنا ما يرضيه. لقد كان هؤلاء الأبطال الثلاثة من الضعف إلى درجة لم يكن بإمكانهم القبض على جندي وحدهم، وكانوا مجبرين على الاستعانة بنقيب أو رائد من قوات الجيش الفرنسي. كانوا مدعومين، مهيكلين،

84. "الكتب الوردية" سلسلة كتب للأطفال لاروس. اقتباس لكتاب أليس في بلاد العجائب صدر في

1910: أساطير الجزيرة مان 1914.

85. أرنولد غالوين حول ذكريات قراءاته الكلمات.

86. فيريسزي 1913 من خلال الكلمات قرأ مارتر مغامراته في مصنف بالرسوم.

مأمورين: ما عادوا يثيرونني إطلاقاً. وكل هذه القيم التي يتم التفكير فيها جيداً، والتي كنت من قبل أتبناها وسط أولئك الناس الكبار صارت تضجرتني بشكل مرعب، دون أن أقدر على الاعتراف بذلك. أعتقد أنه منذ ذلك الوقت وُلِد شعوري بالتفرز من الحرب؛ فقراءاتي في تلك الفترة تمثل أهم الأنشطة عندي وأفضلها. كنت طيلة اليوم أقرأ دون توقف. وهكذا يبدو أن تعدد مغامرات الحرب هذه استطاع أن يحزنني بشكل عميق، وإن حدث وصادف أن كتبتُ بداية رواية حرب، فأخال أن ذلك إنما بمثابة تقليد مُزعج؛ كما لو أننا نستهلك أنفسنا بعبارة تزعجك في قم شخص آخر.

حين وصلت إلى لاروشيل، عانيت من اضطراب في مفاهيمي الأخلاقية⁽⁸⁷⁾. انتقلت في البداية من تحت سلطة جدي إلى سلطة زوج أمي، ولم يكن بين الرجلين أية نقاط تلاق على المستوى الأخلاقي. بعد ذلك صارت لي صلات بالغة الأهمية مع ترابي. وإلى حد هنا، كانت علاقتي مع رفاقي تتم تحت الحماية الساهرة لعائلي. وأي رفاق: وقحين، شرسين، داعرين، منشغلين بالجنس قبل كل شيء. أتذكر أنني ذات يوم أخذت دفتر استجواب «مدام بيكار» وملأناه بوقاحات وتفككات؛ فلم يعد الأمر متعلقاً بالثأر للقتل. تبنيتُ وقاحة رفاقي كي يقدرُوني، وفي نفس الوقت نسيت العواطف النبيلة لعائلي. شيئاً فشيئاً بدأت أبتعد عن «حالة الحرب» التي كاد روج أمبيرد أن يجسدها في. هذا التطابق بين الحرب وزوج أمي كان كافياً لجعلها كثيفة، مضجرة، ومكدره. لم أعد أهتم بها على الإطلاق. لم أعد أقرأ الجرائد، وكانت في داخلي ثقة عمياء أننا سننتصر. لا أذكر أبداً أنني تحدثت مع رفاقي حول الحرب. لم تحتاجني الهدنة ولم تخلف بداخلي أية بهجة؛ كان مجرد حدث مر في لامبالاة تامة. لذلك شغلت ذهني بالمسألة الجنسية أكثر فأكثر. في الـ 11 من نوفمبر، عندما كانت

⁸⁷ تتوقف أحداث سيرة سارتر في الكلمات حين استقر بلاروشيل والتي تمثل منعطفاً في طفولة سارتر

[مدافع] الـ75⁽⁸⁸⁾ تطلق النار عند الشاطئ، دربني «بيلوتيه»⁽⁸⁹⁾ في الأحراش على ألعاب غير بريئة إطلاقاً. في سنة 1919 شغلتنى حالات تبكيت الضمير أكثر من السلم. كان لابد أن تتحمل لسنوات طوال خطبا رسمية حول أجدادنا القتل والواجبات التي علينا القيام بها؛ أصبح الأمر مبتذلا وتافها. كلنا يعرف بتقزز تلك العواطف التي نحمسنا كي نكون شركاء في لحظة ما، ومثال على ذلك أنا خلال سنتي 1914-1915. وكما هو الشأن في كل وقت، كان أساتذتنا مكلفين بهذه المواعظ؛ يتحالفون علينا من جهة للتعظيم الرسمي للأخلاق اللاتينية الإغريقية، ومن جهة من أجل نصائح الفضيلة التي ينشئنا عليها أهاليها. ابتداءً من سنة 1920 لم نعد نحلم بالحرب إلا بوصفها شيئا ميتا ومنتها كما كنت أراها دائما. أستطيع أن أقول، دون مبالغة، إنها لم تكن حدثا تاريخيا واماويا، بل كانت أسطورة جماعية ولازمنية، مصحوبة بخدوش دينية. وفي المحصلة، هي خلاصة أخلاق الناس الكبار. لطالما كانت هذه الأسطورة سببا في إخفاء التاريخ بالنسبة إليّ. ذلك أني لم أفتح أبدا بعد ذلك كتابا يعالج تاريخ الحرب، عدا كتاب تاريخ الحرب لـ «كرابويو»، وكان ذلك منذ خمس أو ست سنوات؛ لأنني كنت أعرف أنه يستعرض، وبشكل دقيق، محاولة لتجسيم هذه الأسطورة. والحرب لم تكن بالنسبة إليّ عموما سوى باقة فضائل للناس الكبار. وهي تلتبس مع كلمتي الواجب والوطن اللتين استهلكناهما بشكل فاحش سنة 1919-1921؛ ووفق هذا الطابع لم تتحقق. لقد رفضت قراءة النار لـ «باربوس»⁽⁹⁰⁾؛ حيث يعالج موضوعه من وجهة نظر مختلفة تماما؛ لقد كان مصابا بالعدوى. لم أقرأ صلبان الغابات لـ «دورجليس»⁽⁹¹⁾، ولم أستطع إنهاء لا شيء جديد في الغرب⁽⁹²⁾. كل هذا يثير ضجرا لا يُحتمل: ما إن أحاول تخطي حاجز الفضائل

88 مدافع فرنسي يطلقات سريعة، تم ابتكاره سنة 1897، تم استعماله بكثرة خلال حرب 1914، وتم استعماله أيضا في حرب 1939.

89 أحد زملاء الدراسة.

90 النار، يوميات زمرة فلانماريون 1916.

91 ألين ميشيل 1919.

92 رواية إرج ماريا ستوك ديالمان وبوتيلو 1929.

الذي أقمته قدامي، يواجهني هذا الواقع الذي لم يحدث وأعجبني: انضباط التشكيلات المنظمة، وهضاب سهول الشمال الموحلة. في الجملة، نفس رد الفعل تجاه كتب الحرب الموجهة لأطفال 1914. وفي المحصلة النهائية، ظلت الحرب بالنسبة لي، ولمدة طويلة، أسطورة مجسدة بالضبط مثل المسيح لـ «كوشو»⁽⁹³⁾؛ أسطورة قبل أن يتم إضفاء طابع الحدث عليها في الماضي. ولقد ذهلت عندما رأيت أناسا من عمري، مثل «فريدمان» في جاك آرون⁽⁹⁴⁾، يتذكرون أحداثا محددة؛ صوراً تحيل على الحرب. وحتى اليوم أيضاً، حين أستعيد أيام صباي ومراهقتي في لاروشيل، أحتاج إلى الكثير من الجهد لأستعيد أن ذلك كان «خلال الحرب»؛ حتى أن رد فعلي الأول ضد الحرب لم يختلف عن رد فعلي ضد أخلاق الناس الكبار. لا يشبه في شيء الرعب الذي عاشه الكثيرون في لحظة ما عابرة. وبما أن هؤلاء الناس الكبار الذين يتحدثون عن الحرب، وخاصة أولئك الذين خاضوها، هم الذين أعلنوها، صرت أرغب بسرعة من محاربين القدامى. يُغضبونني لأنهم يزعمون أن لديهم حقوقاً عليّ. إنه جمع من نضجر، والواجبات، والفضائل المتفخخة، والخطايا التي يجب عليّ أن أزعرعها. خروج من الحرب هو الخروج من الفضيلة المزيفة، بالضبط كما نخرج من الدين أو من التزمت البروتستاني حين نفقد العقيدة. ما أريد أن أقوله هنا هو تفاهة الأسباب لأولى التي جعلتني أكره الحرب، غير أنه في تمرد متفرد كرهت الحرب أولاً. فمثلاً في سنة 1923 حين كنت مسكوناً برعب مقدس، كنت في أول السنة التمهيدية لمباراة مدرسة العليا للأساتذة، ورفضت أن أوقع بيانا اشتراكياً ما، في جزء منه لأن الاشتراكية كانت تبدو لي «منظمة»، وفي جزء آخر من خلال ميل لا واعي لأفكار زوجي. في مواجهة الحرب كنت إنسان الشاعر، أكرهها لأن سلطة الفضيلة تستولي عليّ. هكذا هو الوسط العاطفي الذي تطورت فيه أفكاره حول الحرب. أفكار تلقيتها

93 قرأ سارتر في المجلة الفرنسية الحديثة لعدد سبتمبر مقالاً لبول لويس كوشو «المسيح، إله أم حسان»

94 جاك آرون 1 ("سوف يأتي دورك") وباك آرون 2 ("الوداع") روايتا جورج فريدمان في منشورات عالممار 1930 و1932

كلها من الخارج. مفهومة وأتحمّل تبعاتها دون أدنى شك، ولكنني تلقيتها. في سنة 1924 صرت ضد الحرب بتأثير من الرفاق («بروساديه»، «غبي» الذي كان يقول: «أفضل أن يعدموني رميا بالرصاص على المشي»). ثمة كتاب هام: مارس أو الحرب المُحاكمة⁹⁵. لم تكن معارضتي للحرب يوما بناءة، كما أن ارتعابي منها لم يكن سليما. فلم أفكر يوما أن أُنْخَرَط في حركة مهما كانت ضد التسلح، ليس أكثر من القيام ببعض الحركات التي تُلْزِم (رفض أداء الواجب العسكري باعتراض وإع، إلخ). لقد كررت مثل الآخرين الحجج السلمية: «لا يمكن لانتصار، مهما كان، أن يغيّر قيمة حياة بشرية» - أو أيضا: «ولنفترض أن الألمان قد اجتاحتونا، وماذا بعد؟». نردّد كل هذه الشعارات دون أن نكون مقتنعين بها كثيرا، مصحوبة بشكل من الاستياء؛ لأنه لم يكن لهذه الشعارات أي تأثير على السياسة العامة. لم أكن أو من أيضا بالقابلية البشرية للكمال ولا للتطور، لقد كان من الصعب عليّ حمل عبء أمل أن «لن تكون هناك حرب على الإطلاق». لا أعتقد أنني عشت هذه الحالة سابقا. ففي الحقيقة، كان موقفي الطبيعي مَقْنَعًا بأفكار على موضوعة العصر، تهدف إلى رفض الحرب والجيش بصورة كلية، رغم الاقتناع الكامل بضرورة الحرب والجيش دائما. نفس الأمر عندما كنت أردد: «لا شيء يساوي حياة بشرية»؛ كنت مقتنعا جدا بما أقوله، لكنّ قناعتي كانت تقف بأرجل طينية لأنني لم أكن إنسانيا. كان الكثير من أصدقائي يعانون من رعب القتل، غير أننا كنا نتحدث، «بول نيزان» وأنا، عندما رحل الآخرون: ليس لدينا أي نفور من القتل، غير أننا نخشى أن نُقْتَلَ. في الحقيقة، ما تعلمته من دروس التحضير العسكري الأعلى، ثم فيما بعد خلال أداء الواجب العسكري، يتمحور حول إذلال الإنسان عن طريق الجيش. لقد أحسست بذلك بصدق في داخلي، وأغرقتني في اليأس خلال وجودي بحصن سان - سير. لقد أدّيت واجبي العسكري بكل السلبية التي كنت قادرا عليها. لهذا السبب كانت تلك الفترة من أتعس فترات

95. تدوينة 1 ص 28.

حياتي⁽⁹⁶⁾. غير أن هذا أوصلني إلى التعامل مع الحرب من وجهة نظر أخلاقية: فصيلة مُزيفة، إذلال حقيقي للإنسان؛ بل هي في واقعها تدمير رهيب. ومن هنا بدأت أرتاب من موقعي الشخصي في مواجهة حرب ما وخلال الحرب. ليس أكثر من ردّ فعلي ضد حرب ممكنة علماً أنني لم أفكر إطلاقاً في التخلي عن موقعي في الجبهة. عندما فكر «بروسوديه» و«غبي» في ترك مواقعهما والفرار كحل ممكن، كنت أجيها متضايقا: «أنا مجرد مساعد، وبالتالي لديّ الكثير من الفرص للخروج سالماً من هنا. بينما لو تخليت عن موقعي، فحياتي كلها سوف تنهار». كنت مرغماً، إذاً، على الرواية - اعتبارها الموقف الأخلاقي الممكن، وكانت الرواية الكامنة - بالنظر إلى أن الحرب كانت تلوح في أفق احتمالاتي - في حالة الحرب إمكانية افتراضية وثابتة لوجودي. غالباً ما كنت أزينها بـ «رفض آلان». أن تكون رواقياً وتقول لا. وبطبيعة الحال، حين أتمياً قول لا في المستقبل، فإننا أقول لا لحرب 1914، لا لنفوذ الفضيلة لا للتفاهات والتهافتات، لا للإذلال.

وبطبيعة الاحال، كنت واعياً بهذه الفكرة وليدة امتحان الحرب «الكبرى»: لا وجود لحرب دفاعية؛ فليس هناك مسؤول واحد عن اندلاع الحرب - وهو ما يجعلني مطمئناً لفكرة رفضها. كانت حالة الفقر غير المريحة جداً التي تعيشها ألمانيا بين سنتي 1924 و1930 تشجعني في نفس الوقت على الاعتقاد أنه في حال اندلاع الحرب ستكون فرنسا هي المعتدي الأول. كان من السهل، إذن، الرفض على قبول أن أكون شريكاً في الاعتداء. لكنني لم أربط، من جهة أخرى، أية صلة بين الحرب والإمبريالية - رأسمالية، خشية، أولاً، من عمليات إعادة بناء التفكير الماركسي، ثم لأنني كنت تحت تأثير «آلان» الذي كان يرى الحرب هوية وليست لعبة منافع. كنت أراها إذن كما لو أنها جنون عابر؛ حيث يجب عند اندلاعها، كي أعبر عن رفضي لها؛ أن أترفع، وليس مثل النتيجة النهائية لتطور سياسي واجتماعي كنت أحاول في كل لحظة أن

96 بروي رمون آرون مدرّبه العسكري في حصن سان-سير قاتلاً تلك الأشهر لاسباب القاهرة لم تترك في ذكريات راتقة لم يحدث أي شيء، لكن العلاقة بيننا مقارنة بما كانت عليه في المدرسة تدهورت معكرات جولييار 1983.

أوقفه. وهو ما يتطابق مع وجهة نظري ويناسبني لعدة أسباب أخرى - فالنشاط السياسي لم يستهوني يوما، كما أنني لم ألتخب أبدا. هو إذن موقف سلبي على جميع الأصعدة، بل إنه لم يدر بخلدي إطلاقا أن أموت في الحرب؛ على الأقل قبل سبتمبر 1938⁽⁹⁷⁾؛ وهو أمر معقول جدا، لأنها لم تكن بالنسبة لي سوى انتشار الضجر، والحقاقة، والفضيلة. هي فترة بالنسبة لي يكون فيها تفكيري في حالة خول، وعليّ أن أتحمّل ذلك رغم أن لها تبعات في المستقبل. ووضعت في الحسبان أن أعيش حالات كآبة عند عودتي (خاصة منذ سنة 1933)، لكن هل كنت فعلا أعتقد في ذلك؟ ألم يكن مجرد خوف تنبئي؛ مالاناخوليا؟ في جميع الأحوال، ينضاف إلي هذه الكآبة موقفني كإنسان حساس؛ وهو ما جعلني لا أنحرف بسبب أخطار الحرب في 1937، 38، 39. مناصروا السلم الذين كانوا إخواني وجدوا أنفسهم سنة 1928 في بلبلة أخلاقية. بالنسبة إلي وجدت هذا الأساس القديم للرواقية، والذي كان مهيباً لي سلفا.

أصل إلى سنة 1938-1939 في لحظة الأنشولوس [عملية عسكرية سلمية تم بوجبها ضم جمهورية النمسا إلى ألمانيا في 12 مارس 1938]، وفي ماي 1938 ارتجفت (ضغط ألماني على تشيكوسلوفاكيا). فما زال واقع الحرب بالنسبة لي محجوبا. لم أكن أرى فيه سوى قطيعة داخلية لحياتي الشخصية: وأقصد بذلك توقف كتاباتي، وخاصة قصف باريس. أتذكر أنني خرجت في ماي صحبة الكاستور للتنزه، وشعرت وقتها بكل هذه البناءات الأنيقة وهيكلها الخردوات وعوارضها، تخيلت خردوات مقصوفة وعوارض محترقة. ومن وقتها لازمتني صورة باريس «الهشة»، خاصة بعد سبتمبر. وشيئا فشيئا بدأت أنفصل عنها، فبشكل لامبالٍ بدأت أعشقها. ثم حلّ سبتمبر: أحداث في كل من الرباط والدار البيضاء. انتظار كثيب في مرسليليا⁽⁹⁸⁾. كان

97 خلال الأزمة التي سبقت اتفاقيات ميونيخ: بدت الحرب تقريبا حتمية.

98. سافر سارتر خلال صائفة تلك السنة إلى المغرب. اندلعت أزمة السودان حين عودته إلى باريس في منتصف سبتمبر. للتذكير إن هتلر هدد بضم مرتفعات السودان أراض تشيكية تقطنها أغلبية ألمان. يستعرض سارتر في إحدى رسائله لدي بوفوار تحليلا معمقا للوضع العالمي متوقعا كل التطورات

ذلك في المارتينغ حين خمنت طويلا أنه يمكنني أن أكون مُشوها. كنا نجلس على ضفة القنال، كانت صافرات البواخر تدوي في أذنيّ بشكل مريع، بينما الرذاذ يتطاير. كنا نتحدث عما إذا كان من الأفضل أن نعود مشوهين أو عميانا. من تلك اللحظة وإلى أغسطس سنة 1939، عشت ما يمكن أن نسميه اعتقادا تخيّليا للحرب؛ أي أن كل التخييلات والمشاريع، كل هذا يأتمر وفق ما تخليه حالة الحرب، لكن العمق غير ملتزم، أو ملتزم تخيّليا فقط. أنا منزعج لأن الكاستور لا تستطيع متابعتي في مثل هذا الاعتقاد التخيلي: أو هي لا تعتقد في ذلك إطلاقا، وتعيش بامتلاء في عالم سعيد من السلم - أو هي تعتقد تماما (وهو مستبعد)، وتتجاوزني لأنها تعاني قلقا حقيقيا. لكن ما يخفي عني وجه الحرب الحقيقي هو واجباتي نحو «فاندا»؛ لقد وعدتها أن أجعلها تأتي إلى باريس، لذلك فأنا أرْتَجِف من أن لا يكون بمستطاعي الوفاء بوعدتي. هذا هو ما شغلني بالأساس خلال شهر سبتمبر. يعودني إلى باريس، كنت بين أمرين اثنين: إما أن أكون ميونيخيا أو معارضا لهم، وعليّ أن أعترف، هنا، أنني لم أمتلك البتة الشجاعة الثقافية لأكون هذا أو ذاك. أقرف من الميونيخيين لأنهم بورجوازيون وجبناء، خائفون على جلودهم، على أموالهم ورأسالياتهم. لكن يبدو لي معارضو الميونيخيين مثيرين للرعب؛ لأنهم يحبون الحرب. لم أعود بعد على فكرة هذه الحرب لأفهم لماذا يريدونها. لطالما كان المشكل الوحيد عندي يتمثل في هل من الممكن تحملها أو تجنبها بكل ما يتطلبه ذلك من قوة (إلى درجة تحلي الجنود عن مواقعهم في الجبهة، أو إلى عمود الإعدام)، وإن كنت فضلت الانقياد الرواقي، فلن أعاني على الأقل من حالات تبكيت الضمير. وفي مقابل كل هذا يظل الوضع مريبا: وفي آخر الأمر فإن ألمان السوديت [البوهيميون الألمان، من الألمان العرقيين الذين يعيشون في بوهيميا، وصار جزءا لا يتجزأ من تشيكوسلوفاكيا] يريدون أن يدخلوا ضمن ألمانيا،

لمكة (رسائل للكانستور سبتمبر 1938 الجزء 1 ص 210) سوف يكون الأسبوع الأخير من هذه الأربعة إلى حدود اتفاقيات ميونيخ موضوع روايته الإرجاء والجزء الثاني من دروب العربة

وفي آخر الأمر لم تف تشيكوسلوفاكيا بوعودها نحوهم⁽⁹⁹⁾. في نهاية الأمر، لم نكن على أهبة الاستعداد.

في جميع الأحوال، في تلك الفترة استقرت في ذهني حالة الحرب بشكل دائم. لوحدي مع «سي إكس» في سبتمبر⁽¹⁰⁰⁾، ثم بعد ذلك مع الكاستور، أدركت الحرب وحررتي إزاء الحرب، ولكنني سوف أشرح ما يعني ذلك. في جميع الأحوال، هناك شغل بطني يعمَل في داخلي، يجعلني أشعر أكثر بوعي حر ومطلق بأن حياتي أصبحت أكثر التزاما، وأكثر محتملة، وأكثر عبودية إلى درجة أن أظهر حياتي الراهنة والتي أتعلق بها جدا، والتي أعتبرتها وجودي الخاص، على أنها تجربة ضمن تجارب أخرى ممكنة، مسنودة ومُدعمة ومُتَجَاوِزة بوعي. كم من مرة خلال هذه السنة جَعَلْنَا أفق الحرب، أنا والكاستور، «وجوديين»، وبالخصوص ذات مساء من مارس، بعد إلحاق التشيك، في ذلك المطعم الصغير بساحة دي فيكتوار. على هذا، فإن قراءة «هايدجير» التي كانت مشروعا بالنسبة إلي، تُخضعني كثيرا. ذات مساء، خلال عيد الفصح ونحن نهبط جبلا بنيس إثر اجتياح الإيطاليين لألبانيا، فهمت الظرف البدائي للوجود - خلال - الحرب، وشعرت به، واستعرضته أمام الكاستور. لا يُفَكَّر تقريبا في هذا الظرف بسبب تعقيد: يجب في نفس الوقت أن نذكر: (1) * أننا لا نعرف ما الذي سوف يحدث للأنا في العالم (تشوه، أو موت، أو مجرد إرهاب)؛ (2) * أننا لا نعرف ما الذي سوف يحدث للعالم حول الأنا (هزيمة - ظهور إيديولوجيا جديدة - اضطرابات اجتماعية). لكن مادام التغيير في النهاية يفترض أن شيئا ما يستمر، والأنا والعالم يوشكان هنا على التغيير في نفس الوقت، ولكن كل واحد على طريقته، فمن الممكن تصور هذه الحركية الشاملة واللامنتقية. بعد ذلك بوقت في أفينيون، ثم مؤخرا في كركاسون فيال 16 من أغسطس، كنت مع الكاستور نناقش إمكانية أخلاق وأصالة من أجل الحرب ومن خلالها. سوف أتحدث عن ذلك هنا أو في وقت

99 ربما هو تلميح للضمانات التي قدمتها الحكومة التشيكوسلوفاكية الجديدة لأقليتها إثر الحرب العالمية الأولى.

آخر، فالحرب التي عرفتها بوصفها نفوذاً أسطورياً للفضائل المحافظة، ثم، من خلال قراءاتي، كما لو أنها زلزال لا بشري ومُرَوِّع الأحشاء، مثل شيء قاس جداً على الإنسان، والذي في النهاية يُذَلُّه، تصبح، على العكس من ذلك، قلقاً يمكن استشهاده بشكل جيد لصالح إمكانية فهم وجودها في العالم. تعلقت كل أفكارى هذه السنة بحياتي الموزعة ثلاثياً، هشاشتي الغربية، وسعادي الغامضة، كل هذه الأشياء التي سيرتها الحرب. هكذا هي تفصح عن نفسها كما لو أنها طريقة وجود في العالم، وهي الفرصة السانحة للإحساس وفهم هذا الوجود في العالم. وبما أنه شيء طبيعي، قمت ببعض الجهود البسيطة لقبولها كحدث مستقبلي محتمل ومستثار من خلال قرارات شرية، بما أنه يمكن استثمارها جيداً كظرف عام للواقع البشري. شرحت للكاستور أن هذه الحرب مثلاً لن تكون شبيهة على الإطلاق بحرب 1914؛ حرب كسل ستكون كل الأمم مسؤولة عليها، لكن سوف يكون لي هذه المرة ما أدافع عنه، ومن ذلك حريتي ككاتب ضد الأيديولوجية النازية. وقد ردت الكاستور على هذا فوراً قائلة: «أنت، نعم من الممكن، لكن ما الذي يمكن أن يدافع عنه راع السيفان؟ وهل يمكنك أن تقبل هذه الحرب من أجله؟»⁽¹⁰¹⁾. وهو ما لا يمكن الجدال بخصوصه. قلت في وقت آخر ونحن بخوان لي بين، بعد أن ألقيت نظرة على هذا الحشد شبه النعاري والمُبْع، أنني اعتقدت دائماً أنَّ الناس جاؤوا إلى هذا العالم من أجل السلم، لكن عند تأمل هذه البشرية لا أراها تستحق السلم أكثر من الحرب؛ وهو ما لم تقبله مني أيضاً. كانت هذه المحاولات تهدف في العمق إلى أن أتخلص من رفض الرواقية لـ «لاشارتيه»⁽¹⁰²⁾؛ لأن هذا الرفض لا يبدو أنَّ الظروف التاريخية قد تثيره، ومن جهة أخرى بمنعني أن أعيش وأفهم الحرب باعتبارها أصالة. وفي الأخير، من الجيد جداً أن نرفض الحرب؛ غير أنَّ هذا يعني كذلك الوقوع فيها بشكل أعمى. يتحدث «آلان» في مارس عن المنظومة العسكرية، ولكنه لا يتحدث عن الحرب. لقد وجدت

101. وهو يستعيد "راعي سيفان" اختلق سارتر في الإرجاء شخصية لويس الضخم مُجَنِّداً خلال أزمة السودات.

102 كنية الفيلسوف آلان.

نفسي إذن في مفترق طرق، بين الرفض الرواقي الذي علمتني كل مفاهيمي الأخلاقية أن أرغب فيه، والأصالة. كنت أبحث عن كيفية التخلص من أحدهما لحساب الآخر. أعتقد أنني بدأت أفهم الآن: تكمن طبيعة الحرب في أن تكون كريها والرجال الذين يعلنونها هم مجرمون. من ناحية أخرى هي حادث تاريخي؛ احتمال من الممكن دائما تجنبه. لكن ما أن يتحقق هذا الاحتمال حتى تصبح وجهة نظر مُفضَّلة كي يُحقق الإنسان ويفهم وجوده في العالم (لأن هذا الوجود في العالم أصبح مهددا). وأفضل مما قتلتهان الحرب هي الوجود في عالما الإنسان، إنها الواقعية البشرية نفسها كما يمكن رؤيتها من زاوية المشاشة، والعبثية، واليأس؛ ولكنها من هنا بالذات ظهرت وبرزت. يجب أن نعيش الحرب بلا رفض، وهو ما لا يعني ألا نكرهاها؛ فطبيعتها تجعلها كريمة. علينا أن نعيشها في الكراهية والأصالة. في المحصلة، ارتبط تغير وجهات نظري بالآتي: أتعامل مع الحرب باعتبارها فوضى لابشرية تنهار على الإنسان. أنا أدرك الآن ما معنى حالة كريمة، ولكنها مرتبة وبشرية؛ إنها طريقة للوجود في عالم الإنسان.

يُعلموننا هذا الصباح على الساعة الحادية عشرة أننا سنغادر مساء اليوم. إلى أين؟ دون أدنى شك إلى برومات على الحدود. حركية لافتة. موزع البريد البدين صاحب الحاجبين الغليظين الأسودين بادرنّا بالحديث قائلا: «ولو يا صاحبي! فنحن سنصعد حيث الخط الأول؛ هذا كل ما في الأمر». حدث صغير مبهج ومهم: لم أتصور الأشياء بهذا الشكل، كنت دائما أغبط مصير أولئك الذين «يصعدون نحو الخط الأول»، لكن لم أفكر أن ذلك ممكن أن يحدث لي. قلت له متعمدا شيئا من التزاوة: «نعم ولكن سنكون على بعد عشرة كيلومترات من الجبهة»، «نعم، وهو ما لن يمنع أن تقع علينا من حين لآخر شظايا». كان بعضا من الاهتمام البطولي الذي هدأه «مستلر» قائلا: «لا داعي للاحتياج، فنحن لا نعرف أصلا إن كنا سوف نغادر. أنتم مستشارون جدا». زد على ذلك أنه حسب ما نقله إلينا جوال على دراجة نارية من معلومات، سنذهب فعلا إلى عطالة، وإنما نحن نترك مكاننا للإنجليز⁽¹⁰³⁾. (في الحقيقة سنذهب إلى

تبنهايم على بعد 12 كيلومترا من ستراسبورغ، والسبب وضع القيادة العليا في مكان محمي بقرية لا تكون على الطريق الرئيسية. لكن إيتنهايم هي في الأساس على الطريق الرئيسية). إحساس بالمغامرة مازال متواصلا. ليس هناك رسائل من «فاندا»؛ وهو ما شعرتني أنني منسي وقاحل. استولى علي هذا الإحساس لأكثر من ثلاث ساعات: مغامرة وتخل. انطباع قوي ومعتم. ثم جاءني «بول» فجأة برسالة ساحرة منها. ستارة مبهجة. في هذه اللحظة أنا سعيد جدا. لا رسائل من الكاستور.

حرب شبح: أعلمنا أحد صانعي المتفجرات أن الجنود الذين يمدُّون الأسلاك حديدية الشائكة عند مدخل جسر كاهل سمعوا الألمان خلال الليل يقولون لهم بلغة فرنسية سليمة: «ما الذي تفعلونه؟ لا لارغبة لنا في القدوم إليكم». وبما أن الجنود فرنسيين واصلوا عملهم، قام الألمان بإثارة المكان لهم بواسطة أضواء كاشفة. ومن يؤكد أن كل هذه المحادثات تمت تنفيذا لأمر ما؛ دائما نفس المخطط، فصل الفرنسيين عن الإنجليز. بل إن البرنامج الفرنسي بشتوتغارت⁽¹⁰⁴⁾ بالأمس انتهى بهذه الكلمات: «يا الفرنسيون، لقد أمر «هتلر» جنوده بعدم الهجوم، وعدم إطلاق النار عليكم. نحن في وضع دفاعي، لا نريد الحرب ضد فرنسا».

إلى حد الآن تبدو لي الحرب نقائص لكل ما أحبه، لكل ما أسمىه شعرا. ثم كتشفت بشكل خفي شعرا في الحرب. في البداية، وبينما أنزلتنا سيارة قديمة وصغيرة في حقول زيتون ليلا بدلف في إيتيا، كان عندي إحساس أنها سيارة مُصادرة ونحن صاط بصدد القيام بمهمة ما⁽¹⁰⁵⁾، لم أستطع معرفة أسباب هذا الإحساس، لكنني مسكت من خلاله بالروابط الجديدة بين مشهد عمزق محروم من معناه الهادئ وتأمل، وهذه الشاحنات المملوءة بجنود سوف يقومون بتدميره. شكل من الارتباط في الموت والجثمان. منذ هذه الواقعة، أصبحت عبارات: البندقية خلال حرب - ليالي الحرب في ستريزا-باريس الخلفية (والمقصود طبعا حرب 1914)

104 تم إنشاء (راديو شتوتغارت) منذ إعلان الحرب من طرف غوبلز وزير الدعاية. كان يث برامج -ساعة الفرنسية يوميا.

تتنفس شعرا بالنسبة إليّ أنا: كل هذا يثير في داخلي لذائذ خفية في المدن المغطاة بملاحف، وشبيهة بتلك الزوارق المتقلة شبه المفككة غداة المعارض وتحت سماء خريفية. في محصلة النوع: رسومات تجريدية، مشروبات دافئة من نوع رمبو⁽¹⁰⁶⁾، كل هذا مصحوب بمعنى هادئ، حزين ولا بشري، استعادة الهدوء. أرى في هذه اللحظة مدينة على ضفة بحيرة الماجور، في البرد أوراق شجر ميتة تحت أقدام قلة من المتزهين في السواد، كل الفنادق الكبرى مغلقة ومقفرة، الماء رمادي وبعض الجنود المنتصبين عند منعطف الشارع.

لم أتحدث بصوت عال من شدة الخوف الرهيب (لكن في الخيال) الذي تملك بي ذات يوم في غرفتي بلاون؛ لأنني قرأت مرة عندما كانت الحرب تبدو قريبة جدا، كتاب هيلينا زينا سميث ليس أكثر هدوءا. كان وصفها [رهيبا] لجنود احترقوا بقاذفة لهب: وجوههم شبيهة بطراوة عجل مشوي.

السابعة والنصف - الانطلاق نحو إيتانهايم.

إيتانهايم، الأربعاء 4 أكتوبر 1939

عند السادسة والنصف اجتمعنا صحبة موظفين في ساحة الكنيسة في انتظار الشاحنة التي سوف نُقلنا إلى إيتانهايم. لم تأت أية شاحنة. كانت هناك حافلة متوقفة في الساحة، غير أنها مخصصة للضباط. مر بجانبنا ملازم وألقى سؤالا دون أن يتوقف: «هل تنتظرون الشاحنة؟»، ثم أرسل ضحكة شخص يعرف أنفي الأمر كله خدعة ثم، قال: «إن لم تأت الشاحنة عند السابعة إلا عشر دقائق، عليكم أن تصلوا إلى المخرج الجنوبي، ومن هناك سوف يسلكون بكم الطريق نحو إيتانهايم على القدمين»، ثم اختفى. استولى على الموظفين ومرافقي الضباط وجوم، وانتفض «بول»

106. تلميح لفصل في الجحيم لرمبو (هنيان1): "أحبّ الرسوم الغبية، على الأبواب، ديكورات، أقمشة مهرجين، لافتات مخطوطات شعبية مزخرفة.. أحبّ المصّحاري، البساتين الملتهمية، الدكاكين الذابلة، المشروبات الدافئة.."

غاضبا وهو يقول: «يجب عليهم أن ينقلونا على متن الشاحنة، لن أتحرّك من هنا». غمغم «بيتر» من شدة الارهاق: «أعاني من فتق، لا أستطيع المشي أكثر من 20 كيلومترا». كنت قرفا منها، رغم أننا كنا نرى قوافل عديدة من الجنود المطاردين يقطعون 35 كيلومترا في غبش الظلام مشيا على الأقدام، ويطرقون الأرض بقوة. كنا محمّلين [بالأثقال] بشكل مرهق جدا إلى درجة أنني شعرت بيهجة غريبة إزاء الجهد الذي يجب أن أقوم به. هذا الالتزام الغريب: علي أن أقوم بأكثر مما ينبغي لأشعر بالحرب أكثر مما يمكن. غير أن رفاقي في العادة يكبحون جماحي (كما لو أنهم مساعدو قلعة «كافكا»). ولعلني فرح لأنهم كبحوا جماحي. قدم الملازمان «مونو» و«بيناتو» والنقيب «مونييه»، وشرعنا في التفاوض معهم، فأرسلوا «العريف كورسي» ليرى تعقيد. في تلك الأثناء قال «النقيب مونييه» بود: «بإمكانكم أن تصعدوا حافلة ضباط». صعدنا من الباب الخلفي في الحافلة المعتمدة وتكدسنا في خلبيتها، وسمعنا صوتا ساخرا هتف: «هوهو! أعتقد أن هناك من أخطأ في العنوان». واتضح أن نصوت للملازم قصير بشارين، وعلى ضوء مصباح كهربائي رأيته: كان له وجه قدر، بضع نظارتين بإطار حديدي. كان يقف مع ملازمين آخرين يتهامون بشكل منضوح. قال أحدهم متحيرا: «إن لم نكن نحن الذين أخطأنا العنوان». وارتفع صوت غليظ آخر يقول: «ولكنها حافلة الضباط؟». شرح لهم «بيتر» أن «النقيب مونييه» هو الذي أمرنا بالصعود فيها. هتف صوت: «أي نقيب؟ مونييه أو برونويه؟». لقد فهمت... ثم سلموا بالأمر في حرقه وقال أحدهم للآخرين: «هل أخذتم على الأقل أفنعتكم؟»، ثم قال بنبرة مقررة ارسطراطية: «وبما أنهم سمحوا للجنود بالصعود في الحافلة، فلماذا لا يصعد فيها مرافقوننا؟». حيثئذ صعد نقيب وهو يقول متسما في وجه أحد الملازمين: «هاهو الجانب الودود لوجه بيير». هتف «بيتر» شكل صاحب: «قائدنا يجامل دائما (رغم أنه في حقيقته يدمدم ضد الملازمين) هناك أماكن شاغرة في مقدمة الحافلة». رد النقيب الفض المحسن: «المقدمة؟ لماذا مقدمة؟». أردف «بيتر» موضحا: «لقد حشرنا أنفسنا في مؤخرة الحافلة كي لا نصابقكم». قاطعه النقيب متأففا: «لسنا هنا في الكوميديا الفرنسية، ليس هناك رخام

ولا قن دجاج». ضحك الملازمون الثلاثة بشكل ساخر. وفي الأثناء، أطل الملازم «ز» بمزاج غريب قائلا: «أصدقائي، هناك أماكن في حافلة فرقة المشاة». تنهد الملازمون الثلاثة في ارتياح، واندفعوا يغادرون الحافلة متسارعين كي يفلتوا من الجنود. يؤكد إننا لم نشعر بوجودهم. جعلني هذا أفكر في أولئك الأثرياء الأمريكيين الذين غادروا شارعاً بأكمله في نيويورك؛ لأن عائلة من السود استقرت في أحد المباني. دمد «بيتر» مصدوماً من شدة الشعور بالإهانة: «أوه لا! كنت أرجو أن أقول لهم: ربما نشعر بأنفسنا في حياتنا المدنية أفضل منكم سيدي الملازم». ثم استقر في آخر خلفية الحافلة ليحس بارتياح أكثر. كنت قد جلست على مقعد، ظهري إلى السائق، ومددت ساقي على الكرسي الصغير المتحرك قبالي. بعد انتظار طويل، تحركت الحافلة ببطء شديد وسط الظلام. إنها لبهجة. تجاوزنا ببطء قوافل الظلال السوداء المتحركة؛ إنهم الجنود المطاردون. هنا وهناك التماعه حراء لسيجارة؛ رأيت خلفنا الأضواء الكاشفة لسبع أو ثماني سيارات تسير متقاطرة. توقفات متعددة. في إحدى هذه التوقفات، أرسلت إحدى السيارات أضواءها الكاشفة، فعكست على ميكاً النافذة الخلفية ظلاً متقافزا لشخص يمشي، ثم أخذ هذا الظل يتعاضم، يتعاضم إلى أن أصبح عملاقاً غير قابل للقياس.

وصلنا إيتاينهايم على الساعة التاسعة صباحاً. أنزلونا رفقة ثلاثة مرافقي ضباط في مخزن بالطابق العلوي، مفروش بالقش وبه سريران كبيران. أخذنا السريرين؛ إثنان في كل سرير. النوافذ مهشمة، كلب ينبع، الشارع يغلي بصخب وقع خطى الفرق العسكرية، أوامر، ضحكات. من حين لآخر نور ضوء كاشف يباغت نافذتنا. قفز «بول» إلى جانبي، أما «بيتر» فقد كان يسعل، يعطس، يكشط حنجرتة. ثلاث أو أربع مرات يدخل علينا جنود وبأيديهم مصابيح كهربائية يضيئون المكان مطالبين بأمكان لهم فنطردهم. بهجة مصبوغة بالاناخوليا متكدره قليلا، تصاحب عادة التنقلات العسكرية. كل شيء شديد البرودة، شديد الحزن، هل سيأتي غد «الاشتياق والتعلق» [بالإسبانية في المصدر]. لكنّها بهجة عدم الارتياح. نمت جيداً.

قالوا لنا هذا الصباح: «أهالي إيتاينهايم من أسوء الناس سمعة في كل الراين

نسفلي؛ فمن المستحيل أن تجد شيئاً ما». ورغم ذلك، على الساعة الحادية عشر، حصلنا في نزل العجل الذهبي على «التعلق والميل» [بالإسبانية في الأصل]، رفقة ثلاثة أفراد من مصلحة البحث العسكري. قمت بنقل كل صناديقنا على نقالة (8 رحلات). استمتعت بالتفكير: لو فقط رأي «غبي»، من المؤكد سيكون لديه شعور مكر، أن يراني بهذه السحنة العسكرية أدفع نقالتي. في منتصف النهار، تفرغت نكتابة في قاعتنا الصغيرة بينما كان رفاقي ينتظرون المرق. مكتبة .. سرّ مَر قرأ

الخميس 5

قرأتها في آخر الأخبار [بالألمانية]⁽¹⁰⁷⁾:

«بالنظر إلى الظروف الحالية، هناك خشية من انتشار وباء الكَلْب بسبب الكلاب عديدة السائبة».

«ويجدر التذكير هنا أن القانون يُلزم كل من يملك كلباً مصاباً بالكلب، أو هناك شكوك حوله، أن يقتله فوراً ويحرر تقريراً في ذلك يودعه بالبلدية أو مركز الأمن. وتُعلم هذه الجهة بيطري المصلحة القضائية، ونيابة المقاطعة. على أنه لا بد من نحافضة على جثة الكلب إلى حين قدوم البيطري. ومن جهة أخرى، فإن كل كلب مجهول في الجهة غير مرافق بسيدته يُعتبر كلباً سائباً ولا بد من القبض عليه. وإن كان هذا الحيوان صعب الترويض، فلا بد من القضاء عليه فوراً». أتخيل هذه الكلاب السائبة في ستراسبورغ المقفرة (تدوينه 13 أكتوبر: رومانسية. فما زالت في ستراسبورغ شرطة ومصلحة طرق).

بالأمس عشت كامل اليوم في شكل من أشكال الغمّ وانحراف المزاج. كنت أشعر بالبرد. لم تبد لي هذه القرية الغنية والمُجففة بالطريق الرئيسة التي تشقها مُضَيِّقة. رغم ذلك استغربت عند الصباح لأني شعرت بها غير معنية بالحرب، بل شعرت غياب الحرب؛ بضيعاتها البيضاء والثرية، بساحاتها الشاسعة وشرفاتها الخشبية، بكرومها

¹⁰⁷ جريدة الراسية: آخر أخبار ستراسبورغ.

العدراء. غير أنه لم يكن ثمة داع إطلاقاً للاستغراب؛ فتحن من جئناها بالحرب. نحن المصابون بالطاعون نحمله معنا حيث حللنا، شُرُّنا معنا ونصيب الجميع بالعدوى. لقد غيرنا فجأة معنى هذه القرية الأنانية الغنية، الحادثة. هذا المخزن الذي نقطن فيه نحن الثمانية من مختصي الأحوال الجوية، وأربعة من مرافقي الضباط، لقد دمرنا معناه فجأة، قطعناه عن امتداداته اليومية (فلقد كانت، ودون أدنى شك، غرفة خدم أو عمال الضيعة). لقد جعلنا منه مبيئاً. كل هذه الامتدادات هي عسكرية صرف، مع ما سوف تأخذه في صبغتها النهائية من كونها أداة للوجود في العالم بهدف التدمير. وحين سنغادر هذه القرية سوف تستعيد هدوءها المورس، وليس هذا الأقل استغراباً في هذه الحرب الشبح: يشعر الجنود في هذه المنطقة أنهم متطفلين وناقلين للعدوى. لم تدمر الحرب أي شيء. نحن لا ندافع عن أي شيء: نحن نفرض حرباً على قرى ثرية لا تطلب منا أي شيء.

حدَّثني جندي يرتشف قهوة بجانيبي قائلاً: «هل تعلم يا صاحبي، أنا أبلغ من العمر 39 سنة ووضعتني مع أناس أعمارهم من الـ 29 إلى الـ 30 سنة؛ ليس من العدل في شيء هذا التصرف، لا يجب أن أكون في الخط الأول؛ أبو زوجتي في الخلف بمصنع للذخيرة يقبض أجرته كاملة؛ من 15 إلى 1800 فرنك في الشهر، أما أنا فلا أقبض سوى 10 وحدات من الفرنك في اليوم. لا أقول هذا من باب الغيرة، ولكن حين أرى هذا أقول: هذا ليس عدلاً، ألا يجب أن يقبض عمال الخلف مثلما نقبضه نحن في اليوم الواحد».

باقية من موسيقى سنو هويت والأقزام السبعة في راديو نزل العجل الذهبي، صرير، ضجيج طفيلي. لكن حين انبعثت تلك الموسيقى (التي كنت أعتبرها ذابلة وتافهة)، وصلتني الآن كالتماعة نور في الليل، وعد بانتهاء كل شيء وأني سأعود كائنًا إنسانياً. لقد تطلب الأمر خمسة عشر إيقاعاً، ثم توقف كل شيء⁽¹⁰⁸⁾.

108 تم أول عرض لفيلم بلانش نيج والأقزام السبعة إنتاج والت ديزني بفرنسا سنة 1938 انتشرت أغاني هذا الفيلم عبر الإذاعة في كامل أنحاء فرنسا وصارت على كل الشفاه. الفغمة التي سمعها سارتر ذلك الصباح هي لأغنية سوف يأتي أميري ذات يوم.

لقد عرفت لحظات بهجة عارمة منذ أن تم تجنيدي، ورغم ذلك كل ذكرياتي في سانتراي، مارموتيه... مسمومة كما لو أن كل اللحظات التي عشتها تظهر سمومها حين تمضي؛ فكلها تنصف (حتى بهجة مساء الثلاثاء) بلمعة مزيفة ومرتفعة الحرارة - شيء ما جاف وملعون.

مزاجي اليوم رائق فاق الروعة. هناك حديث عن قرب رحيلنا إلى صاروبروك. عليها مجرد مزحة. ربما حقيقة أيضا: قد نحتشد مع الجميع هناك في انتظار الضربة القاسية⁽¹⁰⁹⁾. ها نحن ذا، إذن، سأكون عند الخط الأول. مجرد شعور بالتطفل ولكن في الحقيقة هو فرح مشوب بشيء من الغم. فلم أتعذب بعد من الحرب جسديا. أفكر في هذا وأنا أستمع لـ «هانتزيغار» مساء أمس وهو يقول لي إنه كان بدورية حراسة في شحنة ليلة الأربعاء إلى حدود الرابعة صباحا: «لم يكن من الممكن أن أمد ساقِي، كنت محمدا من البرد». لا بد لي أن أعيش هذا: أن أشعر بالبرد الحقيقي. عذاب الجسد وفي نفس الوقت تحرره؛ ذلك أن التعذب لا يعني أي شيء. أقصد أن إحساسي بالبرد شعر لا أهمية له بالنسبة إلى الحياة. ثم ماذا بعد؟ قد أصاب بالتهاب رئوي وبذات رئة، ثم ماذا من بعد؟ ليس مهما ذلك. يتخذ الألم والمرض في الحياة المدنية أبعادا نستوجب التوقف: كالعجز عن الوفاء بوعودي والذهاب لمواعيدي، لا أستطيع نهباب لعملي، لا أستطيع القيام بما قررت فعله... لكن المرض في الحرب لا يدمر أية مكانية عندي؛ ذلك أن كل إمكانياتي تدمرت. الحرب مرض أحمله في داخلي منذال 2 من سبتمبر. ولن يكون التهاب الرئة سوى مرضا دخيلا. في الحرب أنا في أي مكان، لا أحد، وفي أي زمان. وجسدي يؤس مجهول. لكن كل هذا (على جسدي)، أخنه فقط؛ حالة سيئة أتدرب من خلالها أن أحس بها: أعاني منذ أمس من برد متواصل وفقر؛ نزلة برد قوية.

109 هناك بالفعل جهة بجهة لاصبار لكن لم يكن هناك أي هجوم اقتحامي. تداولت الصحف خبر إن نعبوش الفرنسية تنوي اقتحام المنطقة.

كان من المستحيل عليّ أن أفتعل التعاضم: يبدو أننا سنرحل لمحو هادئ أبعد قليلا عن هنا. وفيما يخص البرد فلقد انتهى -أنا نفسي ذهبت للبحث عن الفحم لإشعال المدفأة.

تم التخلي عن ترحيل السكان الألزاس، فاستقبال اللاجئين كان بدرجة من السوء لا توصف. تم عزل والى الدور دوني.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الجمعة 6 أكتوبر

كل الفرقة العسكرية رحلت هذا الصباح. ضجيج أصوات ومجموعات تمشي. حلم «بول» أنه صعد قلعة تنهار وشرع في الصراخ بجانيبي. بقيت هذا الصباح وحدي في إنتهايم. جندي وحيد أحرس الآلات التي سوف تأتي شاحنة عند المساء لتنقلها. شعور غريب بالمتعة والأمانة؛ فقدري مرتبط بشدة بالقسمه لكي أشعر بالحرية. يبدو لي أنني بقيت في الخلف. غير أنني بعد قليل، وحين يتم إجلاء آخر جندي، سوف أذهب للقيام بجولة في الشوارع تحت رذاذ المطر لأرى كيف يعيد الهدوء تشكيل هذه القرية ببطء بعد اضطراب صورتها السلمية. الآن رحلت عنها الحرب، ستذهب بعيدا إلى برومات. لم يكونوا زنوجا الذين أخذوا مكاننا في «مارموتيه»، بل مبتهجون⁽¹¹⁰⁾.

مما قرأته في يوميات «جيد» تعليقا على كلمات «باريس» التالية: «ما الذي أحبه إذن في الماضي؟ حزنه، هدوؤه، وخاصة سكونيته. فما يتحرك يضايقني» ردود الفعل التالية: «هل من الممكن أن نتخيل اعترافا مثل هذا؟ فكرة تطور ممكن للإنسانية لا تمس تفكيره. بالتواصل مع هذه الصفحات، فهمت بشكل أفضل كيف اجتاحتني فكرة التطور واستولت عليّ». (13 يوليو 1931).

أما أنا، وخلال قراءتي لملاحظات «جيد»، فهمت وشعرت مرة أخرى أن فكرة تطور هي بالنسبة إلى رسالة موت كبرياء لاشك في ذلك. بهذا المعنى أقبل النسبية في أعضاء؛ في شكل تبادل- لكن ليس النسبية الزمنية. أتخيل جيدا هذه الرؤية الجيدة لعالم: أن يرى المرء نفسه من خلال زاوية نظر فترة زمنية مستقبلية، مثل شيء نسبي، تقريبية لكن - ضمن تقريبات العصر - كما تلك التي اقتربت أكثر من كل سنكتشفه، وما سنفكر فيه من بعد. ثمة هنا إهانة أساسية، طريقة في الضياع أيضا، نسمح بالتواجد في المكان المناسب. ولقد أصاب في ذلك من جهة ما. لكنني لم أعد أشعر أبدا أن زمني يشبه المطلق، لا أتخيل هذا المستقبل الذي لن أكون موجودا فيه. ثم بدأ التطور دائما كما لو أنه كلام فارغ، ثم جاءت، بطبيعة الحال، الحجج الفلسفية من بعد - إضافة إلى أن هذه الفكرة تغلف تناقضا شكليا. من المؤكد أنني أتصور شكل معتم أن هناك ما بعد سيقظ إنسانيا، لست مثل بعض اليهود الذين يتعاملون عم سيحدث لهم بعد حياتهم. بيد أن الأمر يبدو مثل وسط بشري غامض وغير محدد؛ حيث يمكن أن يتردد الصدى لبعض الوقت، وإلا ذاكرتي على الأقل؛ ذكرى تلك الأشياء التي أحببتها، المبادئ التي آمنت بها. إذا استوجب الأمر أن يموت كل الناس في نفس الوقت الذي أموت فيه، سيكون ذلك موتا لمرتين. لكن يكفي أن تستمر إنسانية لمرمن غير محدد، وأن يكون هناك، بعدي أنا وقبلي وحولي، نوع من شئك - رجال. لن أتساءل أبدا عما يفعلون. ولهذا السبب بالذات أفكر قليلا في تغيير الحالة - رة للأشياء عرض معاناتها، وهو ما يبدو لي آخر كلمات الحكمة، معاناتها وفهمه. في الحقيقة لا أريد لي أن أضيع. هذا النفور الذي سوف أشعر به لما أتعاطى حدرات، هذا الذعر الذي استولى عليّ حين اعتقدت أنني جُننت⁽¹¹¹⁾، هذه

1- حقن سارتر نفسه في بداية 1935 بحقنة مسكولين لمجرد التطفل العلمي. كان بصدد دراسة صورة الذهنية وفق هوسرل (يوضح من خلالها إن الصورة ليست "محتوى وعي" لكنها "حركة صر في جسديتها على شيء مفقود أو غير موجود") تخشى أن يتم النظر إليها من خلال الخصوصية خاصة للصورة المهلوسة والتي تقسطن على الوعي (انظر التخيل الحوليات الجامعية بمرسا 1936) - هوسات التي تنتج عنها مربعة وحادة القسوة؛ لقد اعتقد سارتر نفسه لشهور عديدة أنه مجنون - سوف يأتي ذكر ذلك في دفتر الثالث من خلال التأويل الذي يقترجه بخصوص هذه الأرمه

الاستحالة أن أكون فعلاً شيوخاً، كل هذا يتأتى من استحالة أولى: لا أريد القفز على الخطوة، أية خطوة؟ سيكون هذا واضحاً وجلياً إن قلت إنه من السهل علي أن أحتمل الخنادق والمخاطر المستمرة للموت، على أن أتخلى عن موقعي في الجبهة. أن أتخلى عن موقعي في الجبهة فذلك يعني نكران عالم وفترة وحقة زمنية - أن أحارب في الخنادق فذلك يعني قبول تلك الحقبة الزمنية؛ معاناة زمني. المتخلي عن موقعه في الجبهة يستنجد بالمستقبل، وأنا لا أريد أن استنجد سوى بالحاضر. في الحقيقة، ورغم أنني مسكون بعمق بفكرة المجد، فلا شيء أشد غرابة عندي من فكرة «أن أربح قضيتي عن طريق النجدة»⁽¹¹²⁾. ولا شيء يكون أشد قسوة عليّ من عزلة ما؛ من ما وراء ما. وهذا هو تفسيري لموقعي من الحرب: أعتبرها مرضاً، بل هي المرض ذاته. لكنني لا أخطط لاجتثاث هذا المرض من جذوره؛ فليس لدي سوى أن أعانيه. يحتاج «بول» يومياً وهو يجانبني ضد هذا المرض، إلى درجة أنه يتلذذ حين يسوء الوضع. إنه متمرد على الحرب، وأنا أريد أن أعانيها وأفهمها، خشية أن أضيع، خشية أن أستنجد بالمستقبل للتخلص منها. أنا شخص محافظ، أريد أن أحافظ على العالم كما هو، ليس لأنه يبدو لي جيداً - بالعكس إنني أراه نذلاً - ولكن لأنني داخله ولا أستطيع أن أدمره إلا إذا قمت بتدمير نفسي معه.

«جيد»، يوميات، 2 أغسطس 1931

«ما أن نقبض على الإنسان باعتباره مسؤولاً، وليس الله، لن يكون من الممكن الظفر بحصتنا من اللاشيء».

صائب جداً. ولهذا السبب شبهت الحرب بمرض لا بد من معاناته وأنا أرحل في الـ 2 من سبتمبر. إنها عبثية. لقد نهتني لذلك الكاستور وقالت لي، بل وتقريباً بهذه الكلمات بالضبط، إن كل ما تعلمته من وقتها هو أنه بما أن الحرب تحدث من خلال

112 حسب عبارة انفريه جيد: كم من فنانيين كبار لا يربحون قضاياهم إلا من خلال طلب النجدة

ناس للناس، فهي إذن واقع بشري، وليس شيئاً يهوي على الناس من الخارج، مثل رعد غبي، لكنه تمحوير منظم وخفي لوجودهم. إنه أحد الوجودات الممكنة للواقع بشري. لا يجب معاناتها كما لو أنها مرض جرثومي يعذبني دون أن أكون شريكاً له، ولا يجب اتهامها كما لو أنها نتيجة الإرادة النحسة لبعضهم. لا بد أن أنظر إليها، ليس -عبارها مرضاً أصابوني به، ولكن أنا هو المرض. الحرب هي أنا⁽¹¹³⁾؛ هي وجودي - في - العالم، هي العالم بالنسبة إلي. هي وجودي - من أجل - الموت، وجودي - من أجل - الحب... هذا لا يعني إطلاقاً أنه من الممكن أن نلغي إمكانيتها، لكن أن نسفي فقط إمكانية واقع بشري معين.

البورجوازيون ضباط. القرويون وكثير من العمال جنود. أنا لا هذا ولا ذاك؛ على هامش في الحرب كما في السلم. فأنا، إذن، أقرب مني للبورجوازي. لا تدمر الحرب طبقات الاجتماعية، بل بالعكس تقويها.

متروك من فرقتي على الطريق مثل غائط؛ يولد احترامي البشري من جديد ما أن أكون وحدي. ويغيب طيشي العسكري في غموض شخصيتي؛ لأنني لم أعد مجهولاً، وأنا الجندي الوحيد الآن في القرية. ويبدو لي أن كل القرية تدفع عنها بعيداً وبكل قواها هذا الشاهد الوحيد عن الحرب.

بالأمس قلت لـ «بيتر» و«بول»: «بما أننا في الحرب، لم لا نعيشها إلى أبعد حد، سيكون ذلك ممتعاً». رد «بول» بسرعة: «لو تفوهت بهذا في ثكنة كليبر بنانسيلهشموا نك وجهك. لقد أراد أفراد الزاد11 إنزال «ماكسيم دوكمب» المذيع لأنه كان يردد

113 يريد سارتر مواجهة الحرب ربما لأنه يريد أن يستبق ذلك فلا تقع عليه مثلما حدث لجبونه سنة 1935 كابوس غريب عنه لا يستطيع إلا الإفلات منه وعدم مواجهه لم يكن التوارن الذي استعاده كاملاً في جملته لم يكن قد نجا نهائياً من اضطراباته في أوت 1939 (رسائل للكاستور) ولقد أدرك في مناسبات عديدة أزمات داخلية (رسائل 29 فيفري و19 أبريل 1940) وبالتالي فإن شيئاً ما مثل حرب 1914 يمكن أن تندلع في داخله شبهة بهزال أو تقهّل. هذه الحرب المرعبة بالنسبة لهؤلاء والصحف التي تقوم باجتارها حسب الرغبة كل هذا لا يتيح له فرصة نسيانها. يجب الاستعداد منذ الآن لتحمل الصدمة

علينا أن نتظر من الحرب انفعالات نادرة». أقول ذلك هنا لأن هذا الدفتر سوف يصبح مشاعا بين القراء، و«ماكسيم دوكمب» هذا غبي أحمق، وأتمنى لو أن خازوقا يخرق أعماقه ويمنحه الانفعالات النادرة التي يستحقها. لم أكن أريد أن أقول هذا، لكنه لا جدوى من رفض عيش الحرب بما أنها في كل مكان، أو سنكون شبيهين بـ «بول»: فرار مضطرب وتدقيق أمام واقع يضغط علينا من الجهات.

أثارتني بالأمس رسالة الكاستور الممتعة إلى أبعد حد (أحب أن أراها عند هذه السيدة⁽¹¹⁴⁾)، كنت أعيش معها). بعض خمر أبيض أتى عليّ، كنت شبه ثمل. عندي حيتان؛ التي أحياها هنا، وتلك التي أحياها هناك بالوكالة. مهمة الكاستور أن نحيا من أجلي، وهي على وعي شديد بذلك. الكاستور هي الكمال.

ما أريده (تبعاً لردود فعل سابقة): أن أكون الأكبر مع وسائل العادية. أعرف أن هناك كبراً آخر يبتكر وسائله الخاصة. وأحياناً أمام هذه الحرية المتناهية المعطاة لي كأني إنسان، أحس أنني متهم؛ لأنني لا أستعمل هذه الحرية بشكل جيد. ما أن نقتنع بوسائلنا البسيطة نصبح رواقين.

يبدو لي وأنا أكتب كل هذا أنني أتخلى عن وجهة نظري النقدية في الصفحات الأولى للمتابعة مجاملة نلاطف نفسي. وجب الحذر.

في يومياته لـ 18 مارس 1936 التي غفلها «ف» يكتب «داييت»: «لقد سحبت بعض الخيوط وراحت؛ يجب أن أدفع الثمن، سارق مسروق، غشاش مغشوش». هذا ما يجب أن أقوله إن صفعتني «فاندا» خلال هذه الحرب.

أغلق هذا الدفتر، سوف أخرج للتزهر أنا المصاب بالطاعون في هذه القرية، يجب أن أحمل أجراساً. أشعر أنني ویش نجس؛ وهو ما يهيجني. بالمناسبة يبدو أنه تم إعدام مُبتهجين اثنين رمياً بالرصاص قبل يوم أمس. قبل لحظة الدخول إلى مارموتيه؛ وهو ما يعد أهالي مارموتيه بالكثير من المتع. أتخيل أنه مع شيء من السادية فهذه المدينة الصغيرة الجميلة التي أحسنت استقبالنا، أصبحت الآن مرتعبة ونوافذها مغلقة.

خبية: بقي بعض الجنود الذين تم تعبتهم في شاحنات. الجنود عنيدون مثل 'نقمل، لكن لا نرى في الشارع الرئيس سوى النسوة على عتبات بيوتهن. في المارشال فيران، أصبح من السهل مشاهدة مدنيين ورجال بدينين في مآزرهم، يركبون صفيحة حصان وهم يلقون بشتاتهمهم. صاحت الديكة (بدا لي أنها لم تفعل ذلك بالأمس). نها عيناى التي تتصفح كل شيء بطيء في الحرب. بهجة. توقفت بالقرب من الكنيسة تأمل النصب التذكاري للموتى: مُحَيَّب للآمال. عدت مُلَطَّخًا بسيارات المدنيين. يُعاد تشكيل معنى القرية في تردد: لقد استشعرت ذلك فجأة، غير أن ذلك كان متأخرا.

استأنست بهذا الدفتر. كنت في الأيام الأولى أضع قفازات حين أكتب فيه.

«المساعد كورتو»، فتى جميل هزيل بوجه قاس مُرَوَّع كما لو كان راهبة متدينة؛ فمن يمكن أن تقرأ على ملامح وجهه أنه لا يفكر في نفسه إطلاقا. من أقواله: «كل الذين يذهبون للحرب على أمل العودة منها ليسوا رجالا». (لكنه قال أمامي: «أريد أن تكون في خط الهجوم الأول وسأعود؛ لأنني سوف أمر من خلال طلقات نرصاص»). من أقواله الأخرى وهو يمر مع «التقيب تيبو» البدين أمام حصان ميت فيغنمُ قائلا: «آه، هذا يفطر قلبي! من الممكن تعويض الرجال فلدينا الكثيرون منهم، ما الحصان فإنه يُكلِّفنا خمسة آلاف فرنك». ومع هذا حساس، انفعالي مثل امرأة، قلق في علاقاته مع الضباط الآخرين: مستعد أن يُصعَّد الجدل معهم لأبسط مزاج سيئ. صحته جيدة دائما؛ فلديه دائما لثام.

خدعة مكشوفة: كل فترة تجنّدي ضاعت هباء لو انتحيت على الحرب. الوسيلة الوحيدة لتجنب هذه الفكرة غير المحتملة للوقت الضائع، هو أن أرى في الحرب مكانية تطور؛ أي أن أبحث عن إمكانية العيش في أصالتها. فكل موقفني إذن سوف يكون دفاعيا؛ وهذا الوجود للحرب يقع اختراعه لحاجيات السبب الأول، وهو ما نر يعني من ثمة فكرة مزيفة.

في الطريق إلى برومات، ضوء الأرض كاشف ينير السماء من خلال الأرض في فجر غربية متقلبة وجليدية في السماء، ضباب ملتمع تنعكس الأشجار عليه منكسرة

كما لو أنها ظلال، ثم يمتصها فجأة في أنوارها. في الوسط قريبا من الضوء الكاشف دوران آلي وفظ لباعث الضوء مهتاجا تقريبا، وفي الأثناء كانت شاحنتنا تتجاوز على الطريق المعتمنة مئات المدفعية المتوقفة بأضوائها المطفأة ومغطاة بطرايين الأشجار الغليظة، إلى درجة أن هذه الطرايين كانت تחדش غطاء شاحنتنا. توغلنا في غابة صغيرة، ومن خلفنا في البعيد عند كل التماع من كاشف الضوء تبيض الجذوع وأطراف الغابة. أما أوراق الأشجار فظلت سوداء بلون الخبز الأسود.

ما أفكر فيه أحيانا: لم آمل من حياتي أي شيء سوى السعادة. لقد جلبت لي الحرب تجديدا. ليس من الممكن أن نأمل شيئا آخر سوى أن نشكرها.

مارموتيه: تنأسف علينا. اثنان من المبتهجين اغتصبوا وقتلوا صاحبة محل جزارة. تم إعدامهما رميا بالرصاص.

السادسة والنصف مساء: رحيل إلى برومات.

برومات، السبت 7 أكتوبر

قرأت في يوميات «جيد» بخصوص باعث الوعي (4 يناير 1933): «هناك القليل من الشجاعة في دمج خطوات على ترك المجموعة». لتطبيق ذلك في حالتي: سوف أظل في «المجموعة» إن كان المقصود من هذا ليس فقط المجتمع بل العالم كما هو. بالنسبة إلى المجتمع، أفكر دائما ضد هذا المجتمع لكن ضمن آفاقه.

أهمية استعمال هذا الدفتر: يخلصني من الراهن. لعلني بدونه كنت سوف أكتب شيئا آخر غير روايتي. لكن يكفي أن ألقى فيه أول انطباعاتي الناضجة جدا كي تظل روايتي هي اهتمامي الرئيس.

الأحد 8 أكتوبر

بول اشتراكي مناهض للعسكر، لكنه موظف أيضا، والجانب البيروقراطي في

ضبعه يلتصق بجانبه البيرواقراطي في الجيش. حبه للأوراق والوثائق، انعدام المبادرة عنده، خشيته من المسؤولية في الحياة المدنية التي قد تعرضه للسخرية؛ كل هذا أصبح هنا ما يشبه الفضائل. هو أيضا يساهم في التجمد الجثثي للأوامر؛ يطبقها خشية مع كل الغباء الممكن، ومن هنا، رغم أنه مُتَحَجِّجٌ ضد الحرب والجيش، يحمل في داخله ضاعة عمياء. فعروض أن يطيع يوما بيوم، فإن خضوعه استبصاري-على الطريقة العسكرية. ويتعلق الأمر هنا بميزة مدنية: فرعا، متشائما، ملازما للبيت. يفكر في كل تبعات خرجة عائلية، إفطار بالخارج، مشي. يحتاج من كون عدائي. يصبح هذا نكون العدائي في الجيش مبعث حيرة وونزوات عند المشرفين. يخشاهم كما يخشى عصر الهضم أو الإدارة المدنية للمعهد الذي يدرس به: باختصار كما النخب. هكذا يرغبون أن يتم التصرف معهم. ولهذا صارت هذه المناهضة للعسكر أهم شيء مُنظَّم بالنسبة للأعراف.

لكن هذا الاستبصار يخفي فيه، في نفس الوقت، الطابع العميق للوجود في الحرب؛ وهو أن لا يكون له مستقبل. يدفع قدامه مستقبلا نحيفا بعض الشيء في إمكانياته نفلقة التي هي أقل من إمكانياتي، والتي هي تحذيرات عليه أن يتوقَّى منها: فإذا كان عليه أن يمر بغرفة الغاز عند الساعة 14 فعليه أن يتناول غداء بخفة، ويسأل في كل مرة أن سيأخذونه؛ إن عرف اسم مكان التخميم، يندفع نحو الخريطة وقيس بعده عن الحدود. لقد ظل مدنيا من خلال شكوكه، رغم أنه فقد (ربما لم نمتلكها إطلاقا) إنسانيته المدنية. من المؤكد أنه شخص مرعب بالنسبة لزوجته. رغم أنه اشتراكي، إلا أنه ينحرف (هذه الحرب انهيأ لتوقعاته الدقيقة، رغم أنه رفضها خمس سنوات متشائما)، لا يدري بمن يلوذ: تواضعه الشرس البيروقراطي مثله وشكه اللامتناهي يمنعانه من أن يتخذ موقف رفض اشتراكي. مقتنعا، يبحث بحرقه عن تناقضات الصحف، مشككا في الخسارات في أعداد الجنود والطائرات، معتبرا أنها أخطر بكثير من المصرح به. يعيش في حالة من التوتر الذي ليس سوى مبالغة موجهة لتوتره المدني. لم يستطع أن يتأقلم مع الحرب، لا من خلال رفضها ولا من خلال قبولها. يُطَوَّف، يخشن طبعه. لا يفكر في تصرفه إطلاقا، يرضيها دفعة واحدة ويشجعها: إن

كشفناها له، بصَّرْ عليه، يتقلت، يغتاز أو يعترف بتواضع أنه متشائم؛ وهو ما يعفيه من محاولة التغير طالما أنه أمر واقع. لا يريد أبداً أن يعيد تركيب نفسه مجدداً أو يعترف. ناهيك عن العقد المرعبة التي يعاني منها في داخله (مشيه خلال النوم، أحلامه - وهي نفس الأحلام دائماً - أحلام اختناق، انهيار، حياؤه قدام النساء، طابعه المراوغ - بيتر يسميه طالب لاهوتي). دونية، تواضع، خشية من العالم. يعاني من صمم في إحدى أذنيه؛ وهو ما يجعله بصَّرْ على صممه؛ فلا يسمع إلا ما يشاء. يستحوذ عليه جسده، ليس لأنه هزيل، ولكن ذهنه منغرس بعمق في لحمه: شهياته المتشاقة، مشيته التي تشبه مشية الإوز، القدمان إلى الخارج، رائحته الحامضة، رائحة قدميه التي يعترف بها ببساطة. كل هذه الحركات تخفي جسده المتطلب، وتكبح توتره: تنطلق بفخامة شفوية ودقة مزيفة، لكن عند بداية بلوغ الهدف، تتغير إلى شبه انحرافات وتتفكك. لا شيء أكثر دلالة من مشاهدته وهو يجلس إلى الطاولة يتناول كأسه. في الأول يتعلق الأمر باستعراض رياضي: يمتد ذراعه استعراضياً بالتركيز على وقفات في وضعيات مختلفة كما لو أنه يفكك حركة ما أمام تلامذته، ثم، وحين تقترب اليد من الكأس، تظهر اهتزازات متدافعة وتحسسات تائهة لأعمى. لا تُظهر حركاته المتعددة خلال المحادثات مع الآخرين أي شيء، هي حركات تدرب عليها من المُخاطَب الذي يركز على خطابه. وهي في الأخير تخفي وتغطي تفكيره بتوجيهه نحو التهذيب. إيائيته، ابتسامته المتفهمة والمائلة لا تتزحزح إلى الأبد: تعبير أستاذ يصغي إلى شكوى أم تلميذ. شيء ما لاحظته أيضاً عند الكثيرين ممن يتوترون بسرعة، ولكن فهمته فقط عند «بول»، بإمكانهم أن يثيروا توتر الآخر لأنهم يؤدون بشكل دائم إيائية الهدوء. لكن في اللحظة التي تتحقق فيها هذه الإيائية؛ هاهي مُتضايقة. لقد تم تجريبيها بالآلاف الاحتياجات المحلية الصغيرة. وبالتالي يستعيدون إيائيتهم بدون أي يأس أو تعب؛ مثل سيزيفالذي تهدئ الصخرة متمرداته المحلية. يُفرغون أعينهم من كل نظرة، بل يذهبون بعيداً ويفتعلون الهدوء السعيد، يضعون أياديهم على سيقانهم - وشيء ما في وجوههم يقول: فلنكن عقلانيين، شيء من الهدوء، عند هذه اللحظة بالضبط تشرع قدم في الرقص وأعناقهم تنتقل بهم، تتقاذز أجسادهم وكل شيء يبدأ

من جديد. وللأسف يعيدون الكرّة مرة أخرى.

حين يمنحون لـ «بول» -الذي يمتلك شهية متوحشة - إمكانية تناول طبق آخر يرد بنبرة لا يمكن تقليدها: «نعم بودي المزيد، أرغب في ذلك». ها أنا ذا أرى ريبته في إخفاء رغبته الحيوانية وجعلها بشرية؛ فلقد نطق الجملة بطهر وتخلص، كما لو أنه لا يعلّق أهمية كبرى على هذا المناب الثاني - لكن وكما لو أنه أيضا من الطبيعي جدا أن ينال هذا المناب الثاني وتقريبا بنفس النبرة. وفي نفس الوقت يعمّ وجهه نوع من الهدوء، كما لو أنه يتخذ مسافة تجاه رغبته ويتأملها بهدوء. ما أن ينطق بجملة حتى يلقي بنفسه على إنائه ويشرع في ملته بكميات كبيرة. إن لم يمنحوه أي شيء فسوف يتساءل بنفس هذه اللامبالاة الكيّسة: «هل مازال هناك القليل من الكرب؟». عثرت في موقفه من التغذية على هاوية عميقة في أسلوبه: لأن هذه الحاجة الكبرى التي تُقرّفه شيئا ما، هو لا يقبلها تماما ولا يكبحها نهائيا: هو يقوم فقط بتغطيتها، ويُرّهرها.

عاجز على التأقلم: يتحدث مع جزار القرية الصغيرة بدقة معلم.

عاجز علم النفس: هو نفسه يعترف أنه يرى الوجوه بشكل عام ولا يستطيع التمييز بينها، لذلك غالبا ما يخلط بين الأجساد.

يجذب الشقاء برائحة بؤس حامضة غريبة قد تُبهج الكوارث كما الكلبة الشهوانية التي تتناسل. يعاني من ست أو خمس مصاعب في حياته.

لم أره على الإطلاق مبتهجا، لم أسمعُه أبدا يمنح جملة نبرة ضاحكة. يُفزع كل ما هو جديد، يربعه، يظهر عنده متكدرا بغلاف غامض من الشقاء. يسجله عنده بـ: «آه!» المخصصة للوم أو الخوف. رغم أنه توقع الأسوأ، لكن الحاضر لا يُطمئنه إطلاقا: يصلح له وسيلة لتوقع الأسوأ.

حلمت هذه الليلة أنهم كلفوني بترويض كلاب، وقد جلبت معي للغرض حزام معطفي المصنوع من شعر الجمال. أنا نفسي وجدت هذا السلاح غريبا، حتى إنني في عمليات ترويض السابقة كنت أستعمل سوطا. دخلت دون أي خوف لأنني أعرف الكلاب. لاذ الأول وهو ينبع بحجرته. فكرت: «هذا قد فهم الأمر». تقدم الثاني

مني مبرزا أنيابه؛ لقد كان كلب الحراسة هو الأشد توحشا. عاجلته بضربات بحزامي على أنفه فاستكان. وفي نفس الوقت انتباني إحساس غريب أنه ليس وديعا فعلا؛ لأن هناك شيئا آخر يتم إعداده، إنه يتظر لي يجعلني في وضعية سيئة - إضافة إلى ذلك فقد انتبها (أوقيل لي) إلى إنني أخطأت في استعمال الحزام؛ حيث إنني ضربته بطرف الحزام القماشي، وكان من المفترض أن أضربه بالطرف الذي ينتهي بحلقة حديدية. انزعاج. في تلك الأثناء خرج من المخزن حيوان ضخم ومهتاج سوف أسميه ضبعا، رغم أنه بدا لي أكثر توحشا وألقى بنفسه فوقي. ألقيت على أنفه سلاحه العاجز، لكنه ظل يتقدم مني وسط الانتصار الساخر للكلاب. خفت كثيرا إلى درجة أنني أفقت من نومي.

تأويلي الوحيد لهذا الحلم هو: الكلاب المروّضة - في العادة أقل إثارة للذعر - تمثل مختلف مضائق الحياة العسكرية التي بلغت حدّها الأقصى. لكن الظهور المفاجئ للضبع، والذي تنطرحه بفارغ الصبر كل شخصياتي حلمي، هو عموما الحرب: قصف، مجازر لم أرها بعد وسوف تأتيني وتنال مني. وفي المحصلة، رمزية هذا الحلم: تعتقد أنك خبيث لأنك لم تفقد توازنك إلى الآن، غير أن هذه ليست سوى حربا للضحك. انتظر قليلا الحرب الحقيقية وسوف تموت خوفا. إذن هي خشية من أن أفقد موقعي الأول من الحرب. هنا أيضا، رغم «فرويد»، أجده حلم خوف وليس فقط حلم متعة. وبالفعل، فهذا الخوف كامن في داخلي ليس بشكل لاواع، ولكن غامض غير واضح: (1) بطابع من اللامبالاة وعدم الثقة في نفسي؛ (2) لأنه إجمالا وليس نسبيا لن أرى أبدا ساحة الوغى وسأكون دائما على مسافة من القصف. أما استعمال الرديء للحزام فهو يرمز، حسب رأيي، إلى تقاعسي في أداء واجبي العسكري. انعدام الترتيب عندي هو الذي أدّى إلى سخرية رفاقي مني. شاهد «بيتر» متاعي الأمس وقال لي: «إنه لشيء مخجل!». هو دون أدنى شك شعور بالإثم مُعْتَم: «ذلك أنني أتصرف بشكل رديء جدا؛ لأنني قليل الالتزام - لا أستطيع تحمل الوجه الحقيقي للحرب». بالمناسبة، أتذكر أنني قمت بحركة غضب ضدي حين لمحت الضبع: فلو كنت أشد حزامي من الطرف الحقيقي، فمن المؤكد سيكون الحزام

سلاحاً جيداً ضدها - لكن في الوضع الراهن فالخزام لم يكن سوى لعبة تدعو للسخرية، وكنت عاجزاً عن شدها من الطرف السليم للمواجهة⁽¹¹⁵⁾. أتذكر أنني لما استفتت -مازلت في منتصف الحلم- كان «بول»، الذي ينام بجانبني، يشخر بصوت هائل؛ شعرت بتفوق حاد عليه: فأنا حين أكون خائفاً في الحلم أستطيع الاستيقاظ والخروج منه، بينما هذا المريض بالسرمنة يظل حبيس كوابيسه ولا يستطيع الخروج منها. وتساءلت أليس من الممكن أن يكون المسرمن دائماً في كابوس -أو شقاء.

اليوم تضايق الضباط. التقيت أولاً بـ «التيب مونييه»، ثم كان لي لقاء بعد ذلك بـ «الملازم أولريخ» في النزول. كان الاثنان يشتكيان من انزعاجهما. قال أولريخ: «الأسوأ أننا لا نعرف لماذا نحن هنا؟»، غير أنه أردف بعد قليل وهمس في حذر: «طبعاً، طبعاً، نعرف لماذا نحن هنا، ولكننا كالواقع في الفخ». غريب أن هذا يحصل أيام الأحاد فقط (انظروا الأحد الماضي)؛ كم يشتكي الناس ويشعرون بالضجر. لم أشعر اليوم أنه الأحد؛ مجرد صباح مثل بقية الصباحات.

الاثنين 9 أكتوبر

الرأس ثقيل. الذين ضيفوني (الزوج مجنّد في الهندسة المدنية، وحارس مستشفى مجانين في حياته المدنية، رجع إلى بيته بدون رخصة لأنه يوم أحد). جعلوني أحتسي الكثير من النبيذ الأحمر. وصلتني بالأمس رسالة من «فاندا». توقفت عند هذه الجملة التي تركت في داخلي إحساساً سيئاً: «رغم كل شيء أحبك بقوة، لكنك تجعلني كوكبية قليلاً». أفكر أن تضيق مني. ما بعد حرب بدونها. بطبيعة الحال فالوجود بالحرب يستوجب فقراً شاملاً. مرة أخرى هذا الصباح «قطعت أخلاقياً معها». انفصال. دائماً هو نفس الغش. سوف تتحمل شخصيتها انكساراً شاملاً منذ اللحظة

115 هل إن الرغبة غائبة فعلاً عن هذا الحلم وفيما وراء الانشغالات العسكرية، أليس هو في علاقة مع الحياة العاطفية " في تجزئتها الثلاثية". للعالم. وهو ما كان موضوع سؤال لمرتين في هذا الدفتر الأول

التي شعرت فيها أنها لا تحبني، إلى درجة أن لا انتظرتني. ولأنها منكسرة، فأنا لا أتعلق بها ولست أسفا على ذلك. يبقى أنه يساورني انطباع أنه يتقصني أفق، لقد ضاق أفقي، وحاضري فيقاعة هذه المدرسة واقعي جدا. سلم معتمة. انتهيت للتو من الفصل العاشر. لا رغبة لي في بدء الفصل الرابع عشر. يتعلق الأمر بـ «بوريس» و«إيفيش»⁽¹¹⁶⁾؛ وهما يتطلبان مني خفة مزاج غير متوفرة لدي الآن.

ما ينفرنني أكثر في هذه الحرب هو العزلة دون وحدة، كما أرى ذلك بالضبط في حالة عامل في مصنع. أستخلص من ذلك أنه عندي نفور بورجوازي. امتلاك اشتياق، أو الرغبة في امتلاك ذلك لتأسيس حرية، ذلك ما يتبقى مني من عاطفة بورجوازية التملك. يلزم مني بعض الأمتار المربعة لأكون حرا ولأكون أنا نفسي.

في الحقيقة أنا لم أر شيئا من الحرب: هذا ما فكرت فيه بالأمس. كل ما أكتبه هنا هو بفعل القوة، إنها أحلام و فراغ.

سوابق موروثية: الأب توفي من أجل فرنسا: هذا ما وجدته مكتوبا في السجل الشخصي لـ «بول».

«مهارة كبيرة أن نقول لأنفسنا إن ما يضرنا يربينا»؛ هذا ما قرأته اليوم في يوميات «أندريه جيد» (اليوميات 1902، ص 130) وما حاولت أن أقوله يوم الجمعة ص 96.

رسالة غرامية من «فاندا». «أضع هذا جانبا» بما أنني أعرف جيدا أنها ليست مغرمة إلا بتبكيك ضميرها.

116 شخصية بوريس مستوحاة من جاك لورين بوست، وشخصية إيفيش من أولغا وفاندا كوزاكيفيتش (بوريس وإيفيش أخ وأخته في الرواية) بمزاج من يشعر بنقصه مقدورا ولهذا نفهم لماذا صُغِب على سارتر. هذا الصباح، أن يجد في الأختين كوزاكيفيتش رؤية رومنطقية خلال ذلك وحسب الرسالة التي أرسلها في نفس اليوم لسيمون دي بوفوار كتب صباحا وعند الظهيرة حول بوريس وإيميش: "إنه لأمر سهل وممتع".

هناك سبعون جنديا من فرقنا في المصححة بسبب التعقبة [سيلان ناتج عن تعفن في الأعضاء الجنسية].

أعتقد أنني غير محتمل مع رفاقي لاستحالة أن أعاملهم باحترام. عادة ما أنفاعل معهم بازدراء. تصنع أخلاقي: أعتقد أنني مكروب شيئا ما. سأحاول أن أكون أكثر لطفا. في الحقيقة لن أغفر لهم أنهم ليسوا بورجوازيين مثلي. سأكون ذائبا في التواضع والبساطة مع عمال.

أفكر أن شخصا كاثوليكييا يبحث عن خلفيات تقطيب الوجه «عمقا يتعذر سبره» سوف يؤكد مصرا على بساطة «بول». ناهيك عن أنه يضرب على تصرفه ما أن يتم انتقاده؛ فهو من خلال هذا التواضع، من خلال هذا الاعتراف بحرقة بؤسه يمكن إنقاذه. اليوم ظهر «هانترايغر» عاريا، أو شبه عار، عند الصنبور الذي نجلي بواسطة مياهه أواني الأكل. «أنا أيضا مثلك»، قلت له ذلك بشيء من الحيوية لإخفاء ضيقي من ظهوره العاري اللاواعي والشاحب جدا، «لا أستطيع أن أغتسل إن لم أبق عاري الجذع إلى حدود الحزام. لا أستطيع فهم هؤلاء الناس الذين يزججون رقبة القميص ويغتسلون بطرف الغسيل» (كان يمكن أن أضيف أنني لا أغتسل كل يوم، رغم كل ما قلته الآن). أما «بول» الذي كان يتابع المشهد وهو يغتسل في كامل ثيابه فقد قال بلطف: «مسموح لك؛ لأنك فخور بجسمك الجميل، أما نحن المشوهون...»، لكنني لا أراه مشوها كثيرا. من المؤكد أنه يعاني من بنيتة الجسدية، وانتهى به الأمر أن يقبل التعايش معها. من المهم الإشارة لصيبانية «بول» نادرة الظهور؛ فهي لا تبرز إلا عندما تتمكنه انهمايمته من هذنة. وقتها، يشرع في رمي قطع أوراق ملفوفة علينا، أو يخفي عنا أحزمتنا. غير أنه غالبا ما يكون كيّسا في طلب الغفران. لقد وبخته لأن أواني الأكل لم تكن مغسولة بشكل جيد. لم يعرف كيف يقترب مني مجددا، وفي الأخير انتهى بالوقوف خلفي خفية، وقام بقلب جفنة مملوءة بالماء على رأسي.

في رد لي على سؤال الكاستور: تستغرب كيف أن عالم الواقع البشري هو بهذه

الشساعة في آفاقه. ألم يكن من الممكن أن تكون في عالم بنسب بشرية؟ الرد⁽¹¹⁷⁾:
النسب البشرية هي تلك المتعلقة بالنشاط البشري، وليس بالووعي. إنسان الووعي
يدافع عن هذا الووعي مثل العالم، وهناك وجود في إنسان الووعي في نفس وجوده في
العالم. لكن تخلي الإنسان -وهو ما أثار استغراب الكاستور- يتأتى من الووعي يبتكر
مثالا نهائيا في عالم لا متناه. ومن الممكن أن نبرهن أنه لا يكون إلا بهذا الشكل.
وبالفعل، فالووعي كما نحن نتصوره حدسيا بعد تخفيض ظاهراتي⁽¹¹⁸⁾ يغلف بشكل
طبيعي اللامتناهي.

هذا ما يستوجب فهمه أولا. لا يمكن للووعي أن يوجد إلا إذا أحوال على نفسه
(قصدية: إدراك منفضة، ذلك يعني إحالة على لاحق لهذه المنفضة)، ويقدر ما تحيل
على نفسها تسمو بها. لا يمكن لها أن توجد إلا من خلال سموها، ولا يمكنها أن
تسمو إلا من خلال اللامتناهي. لكن في نفس الوقت، كل تجربة [بالألمانية في المصدر]
هي ووعي ملموس وحاضر متته. وفي المحصلة هو شبيه رقم مخصوص في سلسلة
الأرقام، لا يوجد إلا من خلال هذه السلسلة التي تغلف فيه السبب، ورغم ذلك فهو
ليس سوى رقم محدود في السلسلة اللامتناهية. بمعنى آخر لا يمكن للووعي المحدود
أن يوجد إلا من خلال تساميه اللامتناهي. هنا يكمن الأصل الأول للتخلي. لا يمكن
أن يكون هناك تحلّ عن الإنسان المتته في عالم متته، لكن هناك فقط تخصيص. يصبح
الإنسان متملكا لعالمه كما يؤمن بذلك الرواقي. أشك أنه تم فهم فيزياء الرواقيين كما
ينبغي (أي ما قبل الأنطولوجيا مُدركة كما لو أنها إمكانية أساسية) من قبل المعاصرين
والرواقيين أنفسهم. أتصور أنها ظلت معلقة في الهواء كما هو شأن كل فيزياء متتهية
للعالم الإغريقي (إضافة إلى أن هناك في كل وقت فيزيائيون لا متتهون عند الإغريق:
أبيقور مثلا. ولهذا السبب، فالأشياء المنتجة عن طريق التفكير تتطور بشكل مواز مع

117 أعاد سارتر كتابة التحرير الفلسفي التالي مع شيء من التحويرات في رسالته بتاريخ 11 أكتوبر

118 في مصطلح موسرل هو: "إخراج وضعية الوجود التي تنتمي لجوهر الموقف الطبيعي من اللعب
"كي يكون رد الفعل حول البنيات الجوهرية للوعي المحض المتسامي ممكنا.

التفكير⁽¹¹⁹⁾ ليس ثمة شيء الا يغلف اللاتناهي وعالم الأشياء اللامتناهية. من غير الممكن تصور شيء مهما كان منته؛ فذلك توقف للوعي. كل شيء منته في عظمتها يصبح لامنته في تصاغره... غير أنه في هذا العالم اللامنتهي، كما أشرت إلى ذلك في تحليل نفسي، يحتاج الوعي إلى وجهة نظر منتهية. وجهة النظر هذه هي الجسد: لامتناه إن نظر إليه الآخر بوصفه شيئاً، منته إذا أحس جسدي أنه لي. نجد إذا على مستوى الأشياء تناقض المنتهي واللامنتهي، لكن هنا لم تعد مبتكرة بل مُتَحَمَّلة؛ فهي تناقض بين أشياء والشيء نفسه. بمعنى أن المنتهي واللامنتهي يتعارضان هنا، وأحدهما يدفع عن نفسه الآخر عوض أن يتكاملاً كما يفعلان ذلك على مستوى الوعي المتسامي. وبالتالي، فالإنسان الذي هو أنا هو في نفس الوقت الوعي الأسير في الجسد، والجسد نفسه والأفعال - الأشياء للوعي والثقافة - الشيء وعفوية ابتكار أفعاله. وبما أنه كذلك، فهو في نفس الوقت متخل عنه العالم ومبتكر لتساميه الخاص اللامتناهي. كل أفعال الإنسان يقوم بها الجسد عن طريق الجسد تتسجّل في لامتناه مزدوج: لامتناه الكبر، ولا منته الصغر. ومن هنا فإن اعتبار الأشياء أدوات يؤدي إلى اعتبار التخلي عنها. فما لم ينتبه له «هايدجير» هو أن لانهاية العالم تمتلئ أدواته. من هنا جاء استغراب الكاستور في بوانت دي راز: فعندما تدرك جبلاً، فذلك لأنك استعملته، تفكر في استخدامه؛ أن تتسلقه لمجرد المتعة أو لتذهب للجهة الأخرى... لكم يبعث فينا ابتعاد النجوم من دهشة - المجاورة لذعر «باسكال». ذلك أن إدراك النجوم يتضمن حتماً محاولة استعمالها، والتي تصطدم بأن هذه النجوم «خارج الاستعمال» - وهذه الفكرة الأخيرة متأية من تسامي اللامتناهي للوعي اللامتناهي. لم ينتبه «هايدجير» إلى أن عالمه من أجل الإنسان - والذي هو أداة ما قبل الوجود - طافح تماماً وأعزل بسبب العالم من أجل الوعي غير المعد لاستقبال الأدوات؛ وعليه تنزل الأدوات. والصراع بين الأدوات وغير الأدوات؛ أي بين اللامتناهي والمتناهي، هو سبب

119 نواز (في اليوبانية) فعل التفكير: نوام (في اليونانية) موضوع التفكير.

التخلي الإنساني. فمن خلال الوعي المتسامي تمّ التخلي عن الإنسان في العالم⁽¹²⁰⁾.

بخصوص ما كنت أكتبه: نفتقد أحد سعاة البريد، إنه الموت إذن. إن لم يوجد الوعي إلا من خلال تساميه، سيحيل إذن على لاتناهي الخاص. غير أن حدث الموت يجر إلى توقف في الإحالة اللامتناهية. في كل لحظة، لا يكتسب الوعي معناه إلا من هذا اللامتناهي، لكن حدث الموت يوقف هذا اللامتناهي ويجرد الوعي من معناه. إلا أن حدث الموت لا ينظر إليه بنفس الطريقة التي ينظر بها إلى التسامي اللانهائي للوعي. فهذا الأخير يعاش؛ أما حدث الموت فيتم تعلمه. نحن لا نعرف إلا موت الآخر، وبالتالي فإن موتنا موضوع عقيدة. وهكذا، ولأختم هذه النقطة، التسامي هو الذي ينتصر.

اليوم هو اليوم الثالث على التوالي الذي لم تصلني فيه رسالة من الكاستور. لحظة كرب أخرج منها بالحسابات: الرسالة الأخيرة منها وصلتني يوم كذا ونحن في يوم كذا إلخ... انزعاجاتي بسبب تأخر رسائل «فاندا» هو مجرد حلم. أما انزعاجي من تأخر رسائل الكاستور فجدي. العالم كما أحسه بدون الكاستور هو صحراء (ليس لأنني اعتقد أنها ماتت، ولكن ببساطة ليس هناك رسائل، وأنا أعيش عالمها وعالمي من خلال الرسائل).

في هذا العالم الاشتراكي للحرب (ملابس اشتراكية، نوم جماعي في غرف صغيرة، أكل جماعي) نتعلق بالحيز الفردي للأشياء التي نملكها فعلا. أعشق غليون، قلمي، ولاعتي، سكيناتي، مصباحي الكهربائي. هذه هي الأشياء التي أملكها بمفردي. ورغم ذلك، لا أمتلك الكثير أيضا في حياتي المدنية.

أخشى أن نشاطي الأخلاقي لا يتطلب أن أعثر على كثير، بل فقط في أن أغير؛ أوظف كل حماسي لـ «رؤيتي قادمة»، غير أنني لا أتخذ الكثير من الحلول معتقدا أنني،

120 يحاول سارتر وضع مخطط مصالحة بين هوسرل وهابدار حول علاقة الإنسان والعالم وهو ما سوف يتابع الاشتغال عليه في دفتر القادم الذي لا أثر له للأسف (رسائل إلى الكاستور بتاريخ 30 أكتوبر)

عبر الشيطان، سوف يكفي أن أعاكسني كي لا أقع في نفس الخطأ مرة أخرى. غير أن هذا غير صحيح. وكما قال ذلك «أندريه جيد» في مكان ما: لا يكفي الاحتجاج ضد الحرب لإيقافها.

معارضة شيطان «أندريه جيد» ضد حيل اللاوعي الفرويدي. إثبات أن تفوق «أندريه جيد» على «فرويد» ينبع من أنه نهائي هنا؛ في حين أن الآخر آلي.

«بالنسبة إلي - قال بيتر بافتخار - ليس هناك أية امرأة أحببتي لنفسي. لقد نلتهم كلهن بأموالي».

سوف أقول بصوت عال إن رفاقي بورجوازيين؛ وليس هذا صحيحا تماما: «كيللر» ليس بورجوازيا. وأعتقد أن صراعنا الداخلي الذي يجعلنا في تعارض معه هو صراع طبقي (رغم أنه كان ذكيا ولطيفا ورفيقا جيدا... ولكن بالضرورة عليه أن يكون كذلك، وفي المحصلة نطلب منه أكثر من أي شخص يتسمي إلى طبقتنا). أمّا بخله - والذي قد يكون مجرد ادخار وتوفير - والثقل في طريقة كلامه، وشهيته لما هو دسم في الأكل وللخمر الأحمر السميك، كل هذا يصدنا أولا، ثم إنه يرتبط بالفروق الطبقية.

أعود على حالتي الراهنة ولا أفكر كثيرا بشأنه.

الأربعاء 11 أكتوبر

اليوم كتبت الصحف تفسيراً عن الأخوة النافهة بين الألمان والفرنسيين على الحدود. لقد كان ذلك تبعا للأوامر (يردد «بانكارت» في غابة فارندت: نحن لا نخوض حربا ضد الفرنسيين. وقد نقل مباشر عبر الإذاعة لخطاب «هتلر» عبر مضخمات صوت هائلة).

الحجة الشهيرة لـ «أبيقور»: لا تدعروا من الموت، لا يهم إن ظلت أشغالكم غير مكتملة بما أنكم لن تكونوا هنا للتألم منعهم إكمالها - هذه الحجة التي نالت رضاي زمنا طويلا لم تعد تعني أي شيء. هو يقترح العودة إلى الأنا الأناثية لـ «روشفوكو».

ولهذا السبب فحب الأنا هو أساس علم النفس الأبيقوري. ولكن حين نباشر عملاً معيناً، فما يهمنا هو نجاحه «في العالم» وليس نجاحه بالنسبة إلينا نحن. وللحقيقة، فإن كل مشروع الغاية منه وعملية متابعته إنما تتم من أجله هو على أساس العالم. والموت توقف المشروع، كل مشروع. غير أن موتنا نفهمها على أساس العالم. فليس تفكيراً فقط - كما يرغب في ذلك أبيقور - مثل فناء العالم بالنسبة لنا (مرفوقاً بفنائنا الذاتي)، ولكن مثل فنائنا في العالم الذي يستمر. وليس هذا مجرد وهم، ولكنه موقف طبيعي. وبالفعل فلا يمكن للوعي المتسامي أن يستمر إلا إذا وضع بعين الاعتبار لا نهائية العالم، وفي الأثناء فطبيعة معلوماتنا حول الموت تستوجب أن ندرك أن الإنسان هو الذي يموت، وبالنسبة هي أنه كائن متداخل اجتماعياً في العالم. لهذا السبب فإن نظرية «هايدجير» لتحديد الموت صحيحة: «لا يجب تحقيق أي حضور في العالم»؛ فهي تبقي الأبواب مفتوحة لاقتراح استمرارية العالم، بشكل تُلغي معه فكرة الموت - أو بالأحرى حدس الموت - الإنسان بين الوعي والعالم، على طريقة الاختزال الظاهراتي. ويبقى وعي عارٍ بدون وجهة نظر في مواجهة عالم عارٍ. الموت حدث على مستوى الإنسان وليس على مستوى الوعي (وهو ما لا يعني أن هذا الوعي لا يجب أن يفنى، لكنه فناء غير مُدرك).

صحيح أننا نموت في كل لحظة، غير أن هذا الحدث الأرتلي لحياتنا مخفي - أو بالأحرى هو افتراضي. ليس بإمكاننا أن نحقق موتنا إلا عبر تحول وجودي، والذي هو حقيقة وجود من أجل الموت.

أحاول رسم «كيلر» وهو يقرأ للعثور على حوافز هذا التعبير الخارق للعادة للغباء. لا تنجح يدي في رسم ذلك، لذلك سأحاول أن أصفه: الحاجب مرتفع، والتجاعيد على الجبين حائر، العين الصغيرة شبه مغلقة، تقريباً ضاحكة، تسرها الرموش الطويلة حيث التعبير الشهواني المعاكس لاندعاش الجبهة والحاجبين العصي على الوصف: عين تخفي نفسها. الأنف الإغريقي الجميل، منحوت جيداً وخال من أي تعبير، مع شواطئ ضوئية مثل بيانو عتيق مهمل في سقيفة. مقطع من اليمين للفم وهو يتذوق في تأمل، ويجترأ أحياناً، يقوم بحركات خفيفة. الغليون مغروس في الفم،

وشبيه بأنبوبة في المؤخرة - والحذُّ مَدَوَّر أوه! إنها مستديرة بشكل جميل وفاحش بأنافة بل داعر أحيانا والذي شطب كل هذا الجهد في الاهتمام. ثم هذه العطفات الرخوة للعنق. خلف العظمتين أيمن الرقبة. قبعة عسكري تغطي الجمجمة وتنزل إلى مستوى الأذنين ولا تشارك في هذا العناد الثخين الذي يُلوّن الحبرة الضاحكة والشهوانية الفاحشة للمظهر عموما. هاهو، قلبي صاف الآن: أن تكتب يعني لا شيء على الإطلاق. لا يمكن أن نبيّن بالكلمات سوى ما هو متحرك خلال الفعل من خلال إشارة خفيفة. هل نكد إذا إننا نصف: «يقول كيللر بمزاج غبي جشع...» هاهو ما يمكن أن يكون أفضل من كل الأوصاف.

محادثة مُطَوَّلَة مع «ميسترل»، أَلزاسي ضخم وهزيل، تجاعيد مقطبة ونظارات. رأس صلبة وقوية على الطريقة الأَلزاسية. تتفق حول نقاط كثيرة بشكل جيد؛ تتفق على فرضية أننا سنكون «ملاعين» إثر هذه الحرب الشبح. نتفق أننا نعيش في ظل نظام فاشستي - وما يكبح الحرب هو الثورة التي سوف تعقبها. غير أنني بمجرد ما أتجد وأكتشف الحقيقة، أشعر بهذا الاشتزاز الخفيف؛ هذا الانطباع بالفحش اللطيف الذي يستولي علي كلما ولجت قليلا في الحياة حميمة شخص ما. لا أحب إلا العلاقات السطحية والمتوترة قليلا؛ فقد أشعر بالرغبة في التقيؤ ما أن يكون ثمة تفاهم وتعاطف. أتذكر ما يقوله زيورو: «سارتر مناهض للمثلية». في جميع الأحوال، أتحمل الحميمية الجسدية للرجال (يتغوّط «بيتر» بجاني، يضطر «كيللر» بالقرب مني - يتعرون، إلخ) أفضل من حميميتهم الثقافية والأخلاقية، رغم أني كنت منجذبا دائما إلى جمال الرجال وذلك بكل شرف. يقول «بيتر»: «هناك نساء نخرج معهن لأننا فخورون بذلك، وهناك نساء أخريات نضاجعهن ونحن نستحي من ذلك». وهؤلاء الرجال الوسيمون الذين أنجذب إليهم إنها لأخرج معهم: «غبي»، «ماهو»، «نيزان»، «زيورو»، «بوانافيه»⁽¹²¹⁾. هنا بالذات هناك شخص جميل، ضخم، بشعر أبيض يثير دائما تطفلي. لكن مع كل هؤلاء تبدو لي الحميمية غير متوهجة؛ أليس هذا الخوف الغشائي من الصداقة نوعا من المثلية المُقنَّعة والمغلقة؟

121 رميل قديم لسارتر أصبح من أصدقائه.

يقول «ميستلر»: «لشدّ ما يُنفّرني هذا الشيء الذي يضعونه في القهوة أو الخمر لتهدئة مشاعرنا». متفاجئا سألته: «من الذي قال لك هذا؟»، رد قائلا: «كل الناس تشتكي من البرد». قلت له أشعر أنه لا بد من هذا الاضطراب الكلي الذي هو الحرب كي يقطع الناس مع الأمل والذكريات، ومع الرغبات الجنسية. قال: «لا بد من القيام ببحث في الأمر»؛ لم أصدقه في الحقيقة. لكن أن تتجنّر هذه الأسطورة يثبت كم أن الناس تشعر أنها جريحة. لقد فقد الناس الكرامة الإنسانية لدرجة تخيلهم أنهم لا يمكن تسوية مشاكلهم الجنسية إلا من الخارج على هوى القيادة العليا. هاهم مفتصبون حتى في حميتهم الأكثر سرية، يرون أنفسهم محتقرين، وخاضعين جدا بما أنهم يواصلون احتساء الخمر مع العصير: «لا بد من ذلك». لسنا بعيدين كثيرا عن الشعور بالاحتقار الناتج عن الهلوسة بتأثير المضطهد حتى في الذهن. «يسرقون منه أفكاره»، ولكن «يسرقون منا رغباتنا». مجرد التفكير فيه هذه الثانية يرعيني بقوة؛ رغم أنها قائمة الذات. المتبّهات التي يتم خلطها بالقهوة خلال حرب 14 أثناء الهجمات. حين يشعر الرواقي أنه بالإمكان النيل منه فيها «يخصنا»⁽¹²²⁾.

الأكثر مدعاة للحزن هو بلا شك أننا نعيش حياة كسولة مُقرزة ونحن نتأقلم معها؛ كسالى كما الأبطال.

لا رسائل من الكاستور اليوم (أربعة أيام ولا أية رسالة). تاته إلى اليوم الذي أعلمني فيه ساعي البريد بوصول حوالة بريدية لي بمبلغ 500 فرنك. هي الوحيدة التي يمكنها أن ترسل لي ذلك؛ فهي بخير إذن.

خزي آخر - توصلت وحدي إلى استنتاج هذا الخزي. الورقة التي تمت تلاوتها علينا خلال التقرير، والتي تدعونا بكل بساطة إلى الوشاية: تسجيل أي كلام انهمازي أو مناهض للحرب أو مشبوه نسمعه وإيصاله إلى السلطات، مع وصف الشخص

122. "الرأي. الميل، الرغبة الاشتراكي كل هذا يتوقف علينا وفي كلمة واحدة كل الأعمال الداتية؛ الجسد، الثراء، شهادات الاحترام، المسؤوليات الكبرى، هذا لا يتوقف علينا، وفي كلمة واحدة كل الأشياء التي ليست هي أعمالنا الذاتية. "إبيكتيت ترجمة بيبان الرواقيون مكتبة لا بلباد غاليمار

الذي تفوه به، «والندوب التي على جسده» يضيف التقرير بكل بساطة. وقد تمّ تلقي هذا التقرير بسخرية بالغة، غير أنه - دون شك - تم استيعابه بشكل جاد. ما الذي نحسد عليه الألمان؟

وصل «ميستلر» هذا المساء مع «كورسييه» إلى مكتب الضباط؛ حيث تناوبتي للحراسة أثناء كتابة هذه الكلمات واستعدادي للعمل. ردد عدة مرات: «فلنذهب، نحن نزعجه!»، فههنته عاليا بصوت أحق وبهذه اللامبالاة في الإجابة التي لاحظتها عند أُمِّي. (في بعض الظروف أقول أنا أي شيء أو نلفظ أصواتا غير منسجمة؛ إذ يبدو لنا من المهم أن نملأ وقتنا ما بضجيج أصواتنا)، غير أنني لم أعثر على الكلمات المناسبة للرد على «ميستلر» الذي غادر بتحفظ ملحوظ؛ إما بسبب سيري، أو بسبب عادثة بعد الزوال؛ نوع من أنواع استعادة التحفظ والكتان.

شعرت اليوم أن كل شجاعتني، وهذه الرغبة في تجربة الحرب يتأنيان أساسا من ثقتي في أنني مفهوم، ومدعوم، ومقبول من الكاستور. وإن حدث وافقدت هذا الرضا، فكل شيء سينهار، وسأتجه نحو الانحراف، حتى هذا الادعاء الأخلاقي الذي تحدثت عنه أول أمس، والمتأتي مما أعرف أنها تقاسمني فيه وجهات نظري.

الخميس 12

«كان لديه ذلك النوع من الكبرياء الذي يجعلك تكشف الحركات الجيدة كما السيئة، تبعا لشعور بالتفوق مُتَخَيِّل». لم أجد عبارة في مقدمة كتاب أكثر ملاءمة عدا هذه. عثرت عليها وقد ذكرها «ألبير موسيه» في مقدمة [رواية] الأبله⁽¹²³⁾. هي لـ «بوشكين» (عبارة لاوجين أونغين).

مزاج سهاوي هذا الصباح. يبدو لي كل شيء خفيفا وعميقا، وشعريا. كنت معطرا من الداخل. أتساءل إن لم تكن هذه الحالات التي تتابني بشكل طبيعي - والتي لا تظهر لي تابعة للمجال الأخلاقي - في عمقها عاثلة لتلك التي يراها «أندريه جيد»

123. رواية دوستويفسكي ترجمها وقدم لها ألبير موسيه (بوصار 1930 ثم غاليمار 1934).

بمناسبة «الأخلاق العليا». إنها لسعادة وبهجة بريئة في الفقر. إن كان لا بد من البحث عن دافع نفسي، سأرى فيما عشت هذا اليوم تأثير الأسباب التالية: توتر مرده لقضاء ليلة البارحة في مناوبة الحراسة؛ إذ أزعجتني العطايات ولم تتركني أنام، كما أنها شكل من التحرر يرتبط بما وصلني من أخبار الكاستور- لكنه تحريري بقي متلهفا لأن هذه الأخبار غير مباشرة، مرفقة بأمل أن تأتي أخبار أخرى عند ظهيرة هذا اليوم، فرحتي لا توصف باستلاك كتاب الأبله. انطباع بهشاشة هذه الحالة، اضطرابات خفيفة: ترتعش يداي، وهناك ضبابية فضية في عيني. أخشى أن أقع بعد الإفطار في قذارة ثخينة وكثيبة كما يحدث عادة إثر الحالات شديدة الحيوية، متحركة وحادة عند الصباح.

من خلال عبارة «بوشكين»، قررت أن أتحدث هنا وبشكل واضح عن فكري حول كبريائي.

لم أكن يوما عند «خط الجبهة»، وقد لا أذهب هناك إطلاقا. غير أنني أعرف عن ذلك الكثير جدا لأثبت هنا ما يلي: الحرب أفضل مئة مرة من احتمال البؤس. ولا يأتي أحد ليقول لي بعد الحرب: «لقد خضت الحرب وأنا معتاد على القسوة. لقد عرفت من هو أشد صلابة من هؤلاء البؤساء. في صارا بروك، حين كانت كتيبتني...». هذا ليس صحيحا؛ يعيش رجل الحرب في مجتمع؛ بينما يفرض البؤس العزلة. لرجل الحرب خمسون أسطورة تحت إمرته كي يزين صدره بالنياشين؛ أما البؤساء فليس لديهم أي شيء. يمتلك رجل الحرب الأمل، أما اليائس فيأس. لقد فقد الاثنان الكرامة الإنسانية، غير أن رجل الحرب أضاعها بشكل جمعي، واليائس أضاعها لوحده. هناك منفذ وحيد لرجل الحرب: الحلم الكسول والمُلحَّ أن يكون بطلا، وليس لليائس أي شيء سوى الموت. وأخيرا، فالبورجوازي الذي يخوض الحرب يظل بورجوازيا. ليس هناك إلا الجنون يمكن مقارنته بالبؤس.

شهتي للعظمة لا يمكنها أن تتكيف إطلاقا مع كبريائي الغيبية؛ لأن هذه الأخيرة، كما سوف أشرح ذلك من بعد، ليست سوى استراحة، ليست سوى يقين بلا بهجة أو حزن دون اعتبار وضعي البشري.

إنها كبرياء على مستوى وعي المتسامي. عوض أن تكون هناك عظمة بشرية فقط. العظمة تخلّ مُستحوذ. كنت أعلم ذلك حين كنت صغيراً؛ كنت أرسم التخلي الذي يخصني - في حكايات أعرف فيها نفسي من خلالها - جراء ابتكاري لوضعيات أكون فيها منهاراً، غير معروف، متهما جزافاً، مهملاً من الجميع. أحتفظ في هذه الظروف بصمت كريم، رافضاً الدفاع عن نفسي. ويالها من فرحة حين تتم تبرّتي. العظمة مُتأصلة في طبيعة الإنسان، وليس له من معنى إلا في الوجود- المُتخلّي - عنه -في- العالم. هذا هو معنى فكرة «باسكال»: «الإنسان شبيه بنبته البوص؛ الأضعف في الطبيعة، إلخ» وتحتفظ في تألقها بالضعف كعنصر جوهري. يتعلق الأمر بتصور تجسيمي بالأساس؛ ومن يرغب في العظمة، فعليه أن يُلبس الطبيعة البشرية بأفضل ما يمكن. الله ليس كبيراً، غير أن المسيح كبير. حين أحلم بالعظمة، يبدو لي أني أنحط من هذا السلم اللابشري للوعي المتسامي، لكي أجسد الإنسان الذي أنا عليه.

عندما كتبت ملاحظات حول الحرب والبؤس، كنت أفرك يديّ (من الممكن فهم ذلك أخلاقياً) راض عن نفسي تماماً. شيء ما مثل هذا الإحساس البشع: «رغم أنك في الحرب، فما أنت تمتلك من القوة غير المستعملة لتشتكي بؤس الآخرين؛ أنت شخص شجاع». بعد ذلك بقليل راودتني فكرة (حيادية) لأسجل هذا التفاعل في دفثري، لا لشيء إلا لأهميته النفسية (وهو ما أسميه وعياً مسموماً)، غير أنني خشيت منه واضطرت لتجنبه. ليس لأنني كنت خجولاً أمام الكاستور أو خجولاً مني، ولكن هذا الدفتر للعموم. ثم إنني قررت أن أفعل ذلك. لكن كلما راجعت هذا القرار ظهرت لي أن فكرة العودة للرواية ليست غريبة عني، بل سيكون رائعاً ومثيراً لقارئ مجهول لهذا الدفتر، كما لو أن هذا القارئ يقول: «هذا معطى». أخيراً، أودع هذه التفاعلات بكل صدق مع ارتياحي الوحيد في أن تكون صحيحة تماماً.

الجمعة 13

هذا الخجل العجيب الذي يستولي عليّ كلما دخلت مطعماً. هذا الانطباع الثابت والمستمر بأنه لا يجب أن تكون ضالاً لأنها الحرب. ليس هو تيكيت الضمير تجاه

الكاستور التي ترسل لي المال، ولكنه الزهد. نفس الشيء حين أستفيق صباحاً فأنظر بازدياء إلى «بيتر» الذي يظل في فراشه إلى الثامنة. دون أدنى شك هي نتيجة غريبة لهذه الرواقية التي لا أعرف اليوم هل مازلت أفضلها أو عليّ أن أتخلص منها لحساب الأصالة.

بإمكانه أن يتخلص من رفاقه الآخرين في أية لحظة، إنه تحريض وضيع على التضامن. غير أنني لا أستطيع: كم هم حقيرون، ربما كنت سأفعل ذلك مع آخرين، لكن هؤلاء يجعلوني أخجل بسبب هذا التضامن غير المقبول: مركز الإحصاء. بسبب عدم قدرتي على مساعدتهم، أعيش مغامرتي وحيدا في الحرب؛ وحيدا وبلا رفاق.

الآن يتضح ما أفكر فيه حول الحرب؛ إنها قذارة لا بد من رفضها، لكن يجب رفضها حين نكون في السلم (القيام بكل شيء من أجل تجنبها)، وليس ونحن في خضمتها. حين تندلع، يجب الغوص فيها؛ لأنها تسمح بأن نحيا وجوديا. هي طريقة لتحقيق الوجود. حقارة الإنسان «تحرير الوعي المتسامي» قطيعة مع «الحياة»، حضور الموت، وغموض الفرد والمكان. أن نحياها بهذا الشكل، يعني أن نحياها وكأننا لسنا أبطالا. لكن ليس فقط معرفتها، خوضها وخوض الحرب مع أنفسنا؛ أن نكون من أجلنا. من الطبيعي أنها تجربة بالنسبة إلي؛ ولكن لأي غرض؟ أحتفظ بالأسطورة المدنية للحكمة «الصفاء الملتزم»، إلخ، ووهم «لا بد من أن تكون قادرا على تجاوز هذا الأمر». ولكن، أليست الحرب وحدها تكفي؟ ليس بإمكانها أن تندمج ضمن حكمة سلم لاحقة. ليست هناك حكمة حرب. لقد جلبت الرواقية السلم معها إلى الحرب. وبالأساس، لا يمكن للحرب أن تصلح لأي شيء بما أنها تدمير صاف. إنها تجربة متميزة، وتقتصر على نفسها فقط. ومثال ذلك أن الشجاعة في الحرب - وهي شجاعة مؤطرة - لا يمكن أن تكون إطلاقا دليلا على شجاعتي في حال السلم. (مثل ما يحدث في حريق بصفة عامة: في تلك اللحظة أنا وحدي). وعلى العموم، فالوجود في الحرب من وجهة نظري هو حياة ثانية أتبحث لي في عالم آخر، والتي يجب عليّ أن أعيشها بامتلاء دون الارتباط بالآخر (أقصد عالم حياتي الأساسية المدنية)، والرواقية بالأساس هي أخلاق سلم، من المستحيل تطبيقها في الحرب؛ لأن الرواقية تتضمن

الوهم المخادع للكرامة الإنسانية: كيف يُمكن للمرء أن يكون رواقيا في حال انعدام هذه الكرامة؟ وكل هذا ليس حقيقيا إلا بالنسبة للجندي، وما الضابط سوى حشرة للافتراس، معدوم الوعي نهائيا.

إنني أرى جيدا ما أطلق على هذين الشهرين بعد مدة: سأم مزعج.

لا أعرف التواضع، وبالرغم من ذلك أعترف بأخطائي بدون مراوغة؛ لأنه ليس لي أي تضامن وقتي مع نفسي. هناك شيء ما - عميق وحيوي في نفس الوقت - في التواضع مصدره أنني أعيش أناي التي في الماضي. هذه الأنا المتهمة هي بالأساس هذه الأنا التي ترى الخطأ. ربما ثمة هنا صدق أكثر وشجاعة أقوى، شكل من أشكال استمرار نحن أنفسنا علينا أن نتحملة. غير أن كل لحظة من حياتي تنفصل عني مثل ورقة ميتة. ليس إطلاقا لأنني أعيش في اللحظة الراهنة، ولكن لأنني أعيش في المستقبل؛ بسبب هدفي الذي يكتمل فهو يفترض حياة تامة. بسبب هذا الوهم الحاد للتطور الذي يشغلني منذ مراهقتي، بما يحدثوني عن أناي، أفكر: إنني أفضل منه. هل من أحد يذكرني بغلطة البارحة. سأعترف بها بكل شكر لأنني أعتقد أنني لن أقع فيها مستقبلا. بصفة عامة، لسبب واحد يتمثل في أنه بيني وبينها حاجز زمني. لا أؤمن إطلاقا بتطور الإنسان وعاداته - أو على الأقل ذلك لم يعد يشغلني - غير أنني أؤمن بتطوري الفردي. كما أرى أنه من القسوة التفكير في أنني أقل شجاعة وأقل ذكاء، إلخ. أن أسمعهم يتفوهون بذلك البارحة أو في أي وقت فهو بمثابة الجرح والانقباض. أتحدث عما فعلته بدون أي ود، بدون أي جهد تقريبا لفهمه. أتركه للضحك وأضحك منه. لن أدافع عنه إلا في اللحظة التي أرى فيها من يهاجمه يجدون ملامح مشتركة فيه معي. لذلك أعتبر نفسي دائما إلى هذا اليوم كما لو أنني في أعلى مستوى من حياتي. وفي نفس الوقت، ومن خلال الاعتراف بأخطائي، أسلخ الإنسان بداخلي لأتموقع في الملعب المطلق للمتفرج المحايد، المخصص للحكم. هذا المتفرج هو الوعي المتسامي الذي لا يمكن تجسيده، والذي يشاهد إنسان «ه». حين أقيم نفسي فإنما أقدمها بنفس تلك القساوة التي أقيم بها الآخر؛ فبالفعل كنت

حينها أنفقت مني. بل إن فعل تقيمي لذاتي هو (اختزال ظاهراتي) ⁽¹²⁴⁾ أنجزه بلذة بما أنني بهذا الشكل أستطيع بأقل التكاليف التمتع أعلى من الإنسان بداخلي. أنا أتحين الفرص من أجل القليل. وقد حدث لي أن اعترفت من تلقاء نفسي ببعض الأخطاء التي قمت بها خلال شجار ما، واستغربت بشدة فيما بعد من محدثي الذي رغم هذا الاعتراف مازال مستاء مني. كنت أرغب أن أقول له: «ولكن، لم أعد أنا، لم أعد أنا نفسي». وبطبيعة الحال، فذلك ما يجعل من نظرتي حول الحرية بديهية، والتي هي طبعاً شكل من الإفلات من الذات عند كل لحظة. لم يحدث لي أبداً أن ندمت، ليس على طريقة بعض الأرواح المتشعبة بتضامن شديد -رغم الزمن- معها لتثبت بشكل مطلق ما كانت قد أثبتته سابقاً، ولكن من خلال تدبير «لتركي»، لأنظر لنفسي بازدياد بارد - في الماضي - دون أن أشعر بأنني الحاضر مشغولة بالمسألة. أتركني (من ضميري الداخلي) تماماً كما ترك شريكاً لنا. وإن كنت أتحمّل تبعات أفعالي أمام الآخر - وهذا على الأقل ما أقوم به دائماً، وهو ما أنا متأكد منه - فذلك مع انطباع بأن أدفع ثمن ما يقوم به غيري. مثال ذلك؛ بما أنني أعرف أنني في حرب، أسخر من ذلك الشخص الذي كنت عليه، والذي لم يكن يعرف كيف يتوقعها - والذي كان يرتعب منها دون أن يتوقعها. وإني لأسخر لأنني، بجعل أناي الحاضرة تتمدد في الماضي، أشعر أن أنا الحاضر هذه، والتي تعرف أن الحرب سوف تندلع في الـ 3 من سبتمبر، كانت دائماً تعرف ذلك. وهو ما يمنحها تفوقاً بارزاً على هذه الأنا التائهة بعد الـ 2 من سبتمبر، والتي لا تزال تشك في الحرب دائماً.

من هنا طابع آخر لتواضعي الظاهر: يحدث أن يمدحوني بسبب قيامي بحركة ما أو التفكير بطريقة معينة، غير أنني أحتج قائلاً إنني ففي آخر الأمر لم أكن مؤمقاً بشكل جيد. ذلك أن اللحظات الأقوى أو الأرفع في حياتي السابقة لم تعد تهمني منذ انقضائها. يتجه ميلي الطبيعي نحو الخط من شأنها بما أطمح أن أكون أفضل مما كنت سابقاً. هذا التضامن مع الآخر، المؤثر للغاية عند «ستاندال»، يبعده عن مساره في رسم أفضل لحظاته لأن يُيخسها حين يتحدث عنها؛ وهو ما يجعلني غزولاً. وهذا

كله في جزء منه سبب إشهار حياتي. كل شيء يفصل عني فأعطي الكل للكل؛ لأنني منفصل عن الكل. نوع من العزلة عند جوجو [مقدمة السفينة في معناها الحرفي] ذاتي نفسها. وهو ما نتج عنه أن الكثير من الانفعالات كانت عندي مرفوضة أو هكذا أظن. (125)

يصلح كل ما سبق أن يكون مقدمة لما سوف أقوله عن كبريائي. إنها كبرياء قاحلة جدا، مقفرة جدا، لا شيء فيها يجعلني متكبرا بأتم معنى الكلمة. رغم أنه يختلف بشكل كلي عن هذه الكبرياء البائسة والمكلومة لأولئك الذين لديهم كبرياء وليس لديهم القدرة لدعمه⁽¹²⁶⁾. كبرياء اللاشيء: ليس لذكائي الذي لا أفكر فيه إطلاقا، ليس فيما أكتبه وهو يفصل عني ولا أستطيع ولوجه مجدا؛ ليس بأنني بما أني أرفض التضامن معي أنا نفسي. يحدث لي أحيانا وأنا متأثر بالموسيقى أو الخمر، أو بعض الظروف الاستثنائية، أن أحدث نفسي قائلا: «إنني نابغة» وأسكب دمعة، تماما مثلها كان يحدث في القرن الثامن عشر. غير أن معابر هذه الأحاسيس الزائفة تنتهي بسرعة إلى طريق مسدودة، وهي ليست الأساس الفعلي لكبريائي، بل غالبا ما يخامرنني إحساس أنني دون تطلعاتي بكثير حين أنسب لنفسي هذا النبوغ. بل هو انحطاط أن أفرح بذلك. وليست هذه الكبرياء شيئا آخر سوى افتخاري لامتلاكي وعيا مطلقا في مواجهة العالم. فهذا الوعي هو في حقيقته ليس شيء آخر سوى الافتخار بامتلاكي وعيا مطلقا في مواجهة العالم. فتارة أنا منذهل لأنني وعي، وطورا لأنني عرفت عالما بأكمله، وعي يتحمل العالم؛ وهذا ما أتباهى به. وفي النهاية، فإني حين أطيل

125 في عمر 18 سنة كتب سارتر في "دفتر ميدي": "لقد بحثت عن أناي؛ وجدتني تتجلى من خلال علاقاتي مع أصدقائي. مع الطبيعة. مع النساء اللواتي أحببتن. وجدت في أناي روحا جماعية، روح المجموعة. روح الأرض. روح الكتب. لكن أناي بالمعنى الحقيقي، هي خارج الناس والأشياء. أناي الحقيقية غير الشرطية. لم أعر عليها." (كتابات الشباب).

126 في نفس هذا الدفتر لفترة الشباب كتب سارتر: "ليس من الضروري أن ترى نفسك ذكيا، أو جميلا أو قويا لتكون مفتخرا بنفسك. يمكن للمرء أن يرى نفسه حيوانا ومفتخرا بنفسه الكبرياء ميل يتغذى من نفسه لكن الكبرياء التي لا تركز على الإيمان في قيمة أخلاقية أو ثقافية لاهنة ينتج عنها الحساسية، الحياء، الشر."

محاكمتي بدون انفعال، فإنني أعود إلى تلك الحالة البدائية من تحمل العالم. لكن، هل يمكن القول إن حالة تحمل العالم يشترك فيها جميع الناس. وبشكل أكثر دقة، هل تضطرب هذه الكبرياء بين تفرد كل وعي والعمومية التي يتميز به الشرط الإنساني؟ إنني متكبر لأنني مطلق. فجأة تصبح هذه الكبرياء المحصنة بعيدة المنال. ذاك الذي فقد صفاته «الاجتماعية»، فقد قوته، وجماله، وذكاءه وحتى فضيلته مؤهل لليأس والضعة لأنه يقبل دفعة واحدة مقارنة الآخر وتقييمه. غير أنني طرحت موضوع كبريائي من تقييم الآخر ومن أية مقارنة، طالما أن ما يجعلني فخورا وما يجعلني متفردا بشكل لا مجال لمقارنته (رغم أن كل شخص في نوعه هو متفرد)، وما لا يخضع لتقييم الآخر هو وعيي الذي يجعل من وجود الآخر ممكنا. كبرياء الكوزاكيشتش [الأختان «فاندا» و«أولغا كوزاكيشتش» اللتان كان سارتر مغرما بهما] اليائس، الذي يضعهن في جسدهما، في سحر جمالهما، في لطافتها، مواضيع نافهة وقابلة للمقارنة. ضعة الكوزاكيشتش في مواجهة أخطائهما، لأنها تتحملان تبعات الأنا. أما أنا فلم أكن يوما وضيعا أو يائسا لأنني لم أكن يوما فخورا بنفسي، بل متكبرا بوعي؛ تماما في مقام الكوجيتو الديكارتي. كبرياء غير منفصلة عن الوجود، عن الضمان المطلق للوجود. كبرياء بما هي شكل من أشكال وجودي. وهذه الكبرياء هي التي كانت تهمس لي ببساطة عندما كنت في سن الثامن عشرة أنني لن أموت. وهو ما ترجمته وقتها بقولي: «شخص مثلي لا يجب أن يموت» -وهو خطأ طبعا؛ إذ كان من الأجدر أن أقول: مطلق كهذا لا يجب أن يغيب. مثل هذا الضمان للوجود لا يتضمن خشية ألا يوجد. وليس هذا دليلا؛ لأنه يرجع ببساطة إلى القول إن الوعي لا يتصور فناءه. ولكن قد يقال إن للجميع وعيا، لماذا إذن ليس للجميع نفس الكبرياء؟ أتصور أن وعيي أنا يوجد في قلب وعي مُضَاعَف يتحمل مسؤوليته عوضا أن يضيع في الخارج؛ لهذا السبب أسميه ميتافزيقا. عند هذا المستوى هو لا يختلف عن تفاولي الميتافيزيقي، ولا عن إيماني بمصيري؛ فكل هذا يشكل واحدا فقط.

تبعات كبريائي: ارتياي المتواصل من أن أكون أخلاقيا (حسب مبادئي) لا يهدف إلى تربيتي، بل يهدف إلى أن أستحقني. في المحصلة، لدي إيمان عميق وغامض أنني

بلغت، بطبيعتي، درجة من الكمال الأخلاقي الذي لم يعد متبقيا أمامي سوى أن أستحقه من خلال أفعالي.

استحوذ «بول»، بطبيعة الحال، على ثروات «مستلر»، وادّعي أنهم كانوا يضعون له البرومور [محلول كيميائي مخدر] في قهوته في حصن سانت سير (1934)؛ وهو ما جعله يفقد قدراته الجنسية في أول رخصة عاد فيها إلى زوجته. ونتيجة لهذا، كان يحرم نفسه من القهوة كلما اقترب وقت عودته إلى منزله؛ وهذا ما يجعله شقيا.

الاثنين 16

ليس هناك من «زوايا ظل» عند «دوستوفسكي» كما لو أنه علم نفس جبري بما لا يدع مجالاً للإيمان به⁽¹²⁷⁾. فليس هناك بالفعل تقسيم توبوغرافي للشخصيات من خلال وجود سهول ومرتفعات وعرن. غير أنه وفي قلب كل تجربة يحدث التسمم. يسمي دوستوفسكي هذا التسمم «التفكير المزدوج»؛ بما يعني أنه يتم إنجاز حركة ما لأسباب متعارضة: في نفس الوقت أسباب متسامية، وأخرى خسية. قدم «كيللر» للاعتراف لـ «ميشكين» تواضعا، غير أن هذا التواضع مسموم برغبة استعمال هذا الاعتراف لاستلاف أموال. يبادل روغوجين صليبه مع «ميشكين» ويباركه من خلال أمه، ليوطد صداقة أخوية⁽¹²⁸⁾، غير أنه قرر في نفس الوقت أن يقتله، كما أن مظاهر صداقته هي في نفس الوقت حواجز في داخله تقف بينه وبين القتل. بقراءة جيدة يبدو أن الأول هو المحرض الأعلى؛ أولا بسبب الطيبة الأصلية عند الروسي – والذي هو عند «دوستوفسكي» شكل من أشكال الحد القومي للطيبة الأصلية عند الإنسان عموما – وثانيا لسبب أعمق بكثير ويبدو أنه الدافع الأساس لكل مقارباته النفسية: إن اللا اهتمام شيء طبيعي في الإنسان؛ وهو ما يجعلني أخلص من هذا كله إلى أن

127. التحليل النفسي عند سارتر جزء من علوم النفس الحتمية (نظرية "الآلة النفسية، باستعمال "

الآلهات"، الخ)

128. للتذكير هي شخصيات الأبله لدوستوفسكي.

«دوستوفسكي» هو نقيض «لاروشفوكو». إن الأنانية، والعودة إلى المنفعة ليس محتوي بدائيا في الرغبة، بل إنه يعلوها وإلا ليس هناك تسمم، بل وحدة عميقة. غير أن رد الفعل الفوري للشخصية تجاه رغبته يسممه؛ فما أن يستعيد الوعي برغبته، حتى ينزع عنها صفتها الطبيعية. ونزع صفة الطبيعية عنها يفسح المجال لتعزير الطهارة الأصلية للرغبة؛ لا شيء إلا لأنها ترفق في طياتها في إطار تركيب غير عقلاني، تأويلا آخر لأغراض هذه الرغبة. يتم كل شيء كما لو أن الشخصية حذرة من نفسها، وحذرة في نفس الوقت من الآخر، وكما لو أنها ترى كل شيء فيها شرا. غير أن هذا التأويل للشر نقيض بشكل عميق؛ أي أنه يصبح قادحا للحركة. ليس تماما مثل الرغبة البدائية (والذي هو ليس نيئا ولكن معيش) بل يشبهها تقريبا. بل يُمكن أن يتحول إلى رغبة، كما لو أن الشخصية غالبا ما قول: «وكيف يمكنني أن أظفر بشيء من هذه الرغبة غير المهمة؟». يُثبت لي كل هذا أن «دوستوفسكي»، عوض أن يكون صيادا ما للاوعي، كما كنا نعتقد، فهو أساسا روائي الوعي النفسي. يمسك بشخصياته وقت تفاعل الوعي مع نفسه فقط، في لحظة رد فعل الوعي على نفسه. ولأن رغبة ما لا يمكنها أن توجد إلا إذا كانت واعية بنفسها؛ يعني مضاعفة، فالتسمم يكون موجودا. وما هو طبيعي أن الرغبة تتضاعف ولا يمكنها أن توجد بدون صورة مُحَرَّفة لها. وأخيرا، تنساب الصورة المُحَرَّفة للرغبة (أعترف هنا لـ «ميشكين» لأقترض منه خمسين روبلا) في هذه الرغبة نفسها، وما عادت الشخصية تعرف نفسها. ليس هناك إذن - كما يرى هذا الغبي «موسيه» مترجم الكتاب وصاحب مقدمته - «ازدواجية شخصية»، ولكن هناك ببساطة وعي ولعبة العادي⁽¹²⁹⁾. ولا وجود هنا لما يسمونه «روسي جدا»، هو فقط ضرورة جوهرية. هذا ما يشدني عند «دوستوفسكي»؛ فعادة ما يخامرني إحساس أنني لست قبالة «قلب» أو «لاوعي عميق» لشخصياته، بل بوعيهم العاري مُعَرَّفَل من نفسه ويصارعها بشراسة. وفي هذا السياق، مثلت «أر بي»⁽¹³⁰⁾

129 هكذا وصفها في الوجود والعدم (غاليمار 1943)؛ مقدمة والفصل الأول من الجزء الثاني " الحضور في الذات"

130 رميلة سيمون دي بوفوار يروان مصابة بهذيان الهوس الشبقي لويجيرون في "قوة العمر"

المجنونة بدون أن تدرك «دوستوفسكي» بشكل لافت جدا؛ حيث تقول بكل بساطة: «ها أنا إذا أضع قبعتي وأنزل معكم لاقتناء الجرائد وقراءة الإعلانات الصغيرة» (إنها نُعلِّمنا باستقلالتها من عملها، وأنها بصدد البحث عن وظيفة أخرى). تتقدم بعض الخطوات، تلقي بقبعتها على الأريكة وهي تردد: «لا، لن أخرج، كل هذا كان مجرد كوميديا». ثم، تائهة ويدها على وجهها: «يا إلهي! أين المفرد؟ فما قلته منذ حين هو أيضا كوميديا». ولكن ليس لأنها كانت مجنونة هي تنقص «دوستوفسكي» بهذا الشكل - ولكن لأن جنونها اتخذ مؤقتا شكل احتياج هائل للنقاوة؛ وهو ما جعلها تكتشف التسمم الجوهري للوعي. احتياج هذه النقاوة يتفق مع الذات، مع المجموعة؛ وهو موجود عند «دوستوفسكي» أيضا؛ إنه مثاله الأعلى. ومن هنا يتوقف عن أن يكون روائيا أو عالم نفس، ليتحول إلى مهذار مزعج. فالأمير «ميشكين» مُرهِق، والأكثر إرهاقا منه موجيك الرجل الفاضل في روايته المراهق. وحين يقول لإحدى شخصيات الأبله إنه كان من الممكن أن تفعل أشياء أفضل لـ «ناستاسيا فيليبوفنا»، أفكر ما الذي كان يمكن أفضل مما فعلته هي؟ أي موقع سوف تحصل عليه في روسيا القديسة التي يحلم بها؟ أليست أفضل وهي بهذا الشكل، شغوفة، ممزقة تقاوم ضد شغفها، ضد وعيها التسمم عند كل مستوى من المقاومة، ثم ينتهي بها الأمر أن تموت منتصرة بنفسها (لم تزوج «ميشكين»). بالنسبة إلى هذه هي العظمة والفضيلة. فالخير لا يمكنه أن يكون سوى الشر الخاضع - خاضع بشكل مؤقت، وإلا فإنه مجرد كتاب عاطفي صياني⁽¹³¹⁾.

ذهبت أول أمس رفقة «بيتر» إلى المصور الفوتوغرافي. في الصباح قلت لـ «بول»: «هل تأتي لتلتقط لك صورة؟». نظر إليّ بلطف شاحبا، ساخطا - فهمت أنه يجدي منطلقا ومتأمرا شيئا ما: «لا، طبعاً لا، لن ألتقط صورة لي، لست مبهتجا بالحالة التي أنا عليها الآن لويز بيرون ولا أرغب في تثبيتها. لا أريد أن يكون عندي في بيتي صور جندي». قلت له: «أنا أفعل ذلك ليتفكه الأصدقاء». رد ببرة فيها عتاب وتفوق:

131 اسم أطلق على أعمال تدعى التهذيب وباهنة الأسلوب، على طريقة أربو بيركين (1774-1791) بملف كتاب صديق الأطفال.

«أؤكد لك أنه لا زوجتي ولا أُمي سوف يعجبهما ذلك. هي فترة من حياتي أريد أن أنساها إن عدت إلى بيتي». أجبت: «إنه الحق بعينه، فمهما فعلت ولو حتى استطعت أن تدفن أغلب الفترات لن تستطيع أن تنكر أنها تركت بصماتها عليك، ثم أنت لن تكون نفس الشخص بعد هذه الحرب، زد على ذلك أنك مُجبر أن تعيشها يوما بيوم. سكت. نعم، هذا ما يحدث: لا يريد أن يترك نفسه تعيش هذه الحرب، أن يحققها. غير أنه عاجز في نفس الوقت عن رفضها، تماما مثل «آلان». ولذلك هو ينكرها في كل لحظة؛ ينساها أو يحاول نسيانها. والموقف الوحيد المناسب حسب وجهة نظره؛ أنها بلوى، بلوى مُحطَّط لها وتظهر بشكل جلي. «بول» هو أرمل السلم».

في هذه الأيام الأخيرة أصبح شديد التوتر. قال إن زوجته تعودت أن ترسل له رسائل كل يوم، وها قد انقضى أكثر من اثني عشر يوما بدون خبر منها. قال: «حين يكون للمرء، مثلي أنا، يقين لامعقول بعدم العودة...». قلت له: «أوه إلى أي درجة لا عقلي! لأن كل المؤشرات تشير بأنك سوف تعود». غير أنني أستمتع في أوقات أخرى بمداعبته قائلا بأنه سيكون القاتل الوحيد من بيننا، وأصف له جثته وهو ميت بكل بدقة.

قال لي: «لا شيء يبرر هذه الحرب، لا بد من قبول هيمنة ألمانيا على العالم». كان يجب علينا البارحة أن نضع الحشايا والأغطية على الأرض. (على أن ننام بالتناوب؛ واحدا على خشبة الباب، والآخر على الحشية فوق العارضة). نزعنا حذائي وقلت له: «انزع حذاءك، قد تمشي فوق الأغطية». قال لي: «سأفعل ذلك، لكن بعد قليل». «ولماذا بعد قليل؟» أجابني بكل ضعة: «لأن رائحة قدمي نتنة». «ولكننا استحممنا هذا الصباح». «أوه لن يؤثر ذلك كثيرا: أغسلها جيدا في الصباح، فتتعرق في المساء»، «ولكن في جميع الحالات عليك أن تخلع حذاءك، أن تخلع حذاءك كل مساء». «نعم، ولكن بشكل خفي جدا حين يأخذك النوم».

خلال الليل كانت لديه رغبات قاهرة للتبول. يتحمل آلاما فظيعة لكي لا يوقظ صاحبة المنزل. لكن عند الصباح كان مكتئبا ويخبرنا أنه أصيب بـ «انتفاخ المثانة». نصحته أن يتبول إذن من النافذة. تردد ثم قال: «من الأفضل أن أحل معي حوجلة

الاستبار؛ نملؤها وفي الصباح نفرغها». ردعته عن ذلك فبوله حمضي. استسلم للأمر وتبول البارحة من النافذة. رائحة بوله جعلتني أستفيق من نومي. سمعته يقول بشكل خجول: «لقد نفذت ما قلته لي أنت».

ما يزعجني، حين أتحدث عنه، هو هذا المزيج من العناد الماكر، والتزقية، والتواضع المسيحي - تواضع القديسة «ماري ألاكوك».

أنا و«بيتر» مختلفان بشأن تصرف «كيللر» الذي لا يفعل أي شيء. «بول» متضايق من ذلك؛ حيث يقول: «أرجوكم تحدثوا معه»، «ولأي سبب؟»، «قد نقضي هنا سنوات طويلة معا. وأنا أتفق معكما أنتم بالأساس، ولكنني أفضل الحفاظ على المظاهر».

حيلة معروفة جدا عند «ميستلر»: يستعمل تشاؤمه السياسي ليطمئن نفسه، قال: «إنهم يسخرون منا، يا صاحبي، كل هذا الذي يحدث مجرد تمثيل. سوف يُعدُّون في الكواليس سلما للاستسلام، وسوف يعيدوننا بعد ذلك، بعد ثلاثة أو أربعة أشهر، إلى بيوتنا مثل الملاعين». هل سيظل مشائنا إلى آخر لحظة بهذا الشكل، عابسا ومعتما؟ هل سيستطيع أن يأمل دون أن ييتسم؟ يحتفظ، في جميع الأحوال، بمزايا نظريته للحالة التي نحن فيها.

عبارة ساحرة لـ «فاندا» أدونها هنا لأني أتساءل دائما إن لم تكن تعبر نفس وجهة نظري: «وفي الأخير، حين نتأمل الناس فردا فردا، نتساءل: يا للخسارة، لقد خضنا الحرب معهم».

مكتبة

t.me/soramnqraa

الثلاثاء 17

خرجت هذا الصباح لوحدي على الساعة السادسة من عند مضيفتنا. (بول يقوم بمناوبة حراسة في المدرسة). كان المطر يتساقط، مطر عنيد يعد بالكثير. سماء داكنة بالكامل. رائحة حطب يشتعل في الشارع، رائحة لم أتنفسها إلا في برلين -وهنا. انطباع عن خريف ألماني. ذكريات غائمة عن خريف 1933 ببرلين. خريف ألماني: أكثر قسوة، مسلوخا أكثر، وأكثر قفرا من خريفنا. غابات متجردة أشجارها من

الأوراق، أغصانها صهباء وسط ريف بلون أردوازي أكثر عاطفية أيضا. الخريف الألماني هو بوتسدام. الخريف الفرنسي هو فرساي.

كتبت لي الكاستور بالأمس أن لديها تذمرات عديدة بخصوص «بوست»؛ فبسبب مزاجه السياسي السيء أصبح غير نشط على الإطلاق كما قالت - تقريبا - وهو أمر جيد بالنسبة لنا إن قبلنا الحرب دون أن نشككي منها كما لو أنها بلية. لكن إزاء الشباب الذين سيأتون من بعدنا - وخاصة «بوست» دون البحث عن الجليل بأكمله - فنحن متهمون؛ ففي النهاية لا شيء يثبت أنه سوف يعتمد بنفسه هذا الموقف اللامبالي الرواقي؛ ومن جهة أخرى فهو لا يستطيع أن ينتخب أو يقوم بأية حركة ما. لم أضع في حسابي إطلاقا أشياء مثل هذه؛ فكرت أن تكون لي إزاء «بوست»، و«دي روليه»، و«ليفلي»⁽¹³²⁾ التزامات فردية، ولكن ليس بواسطة ما هو عمومي أو المجتمع - وحتى السياسة أيضا. ورغم ذلك، فهذا صحيح وأقترض أنه من هذه الأفكار التي تأتي مباشرة إلى ذهن أب، لأن الوظيفة الأبوية تدمج الاجتماعي فورا في العلاقات مع الولد.

وبهذا الشكل، أنا واضح جدا فيما يخصني: أكره الحرب، ولكنني منذ سنة 1920 إلى سنة 1939 لم أرفع ولا أصعبا لإيقافها، وها أنا ذا أدفع اليوم فاتورة عدم توقعاتي بأن لا أشككي من أي شيء، رافضا الغيظ الشديد أو اليأس، ومتحملا تبعات ما لم أعرف وما لم أرغب في تجنبه. لكن أنا متهم إزاء «بوست». ومتى أخطأت؟ هنا تكمن المفارقة: ليس الآن زمن هذه الحرب، وليس أيضا طبعا قبل سنوات حين لم يكن من الممكن تجنب الحرب، ولكن عندما كان يبدو حلما مزعجا منذ أن بدأت أستعمل عقلي وأصبح لي رأي سياسي. وماذا يعني هذا إن لم يكن، طالما أن الحرب ممكنة، وخاصة في زمن السلم، وجودا من أجل الحرب عند الإنسان منذ ولادته. سوف يقولون لي هناك وجود - من أجل - الإنقاص، أو وجود - من أجل - العرض النسبي، بما أنها أسئلة يمكن أن تعترض كل واحد منا. غير أنني لم أكن أريد أن أذهب

بعيدا في التحليل، وها أنا سأفعل. نعرف جيدا أن الحرب هي بنظام آخر مختلف، وما أفكر فيه هو أنها من نظام الأشياء العظيمة اللاعقلانية: والولادة، والموت، والبؤس، والألم، ويجد الإنسان نفسه ملقى في كل هذا وهو إزاءها يعترض أو يمتنع، غير أن هذا هو أيضا التزام⁽¹³³⁾. أتذكر محادثة بيني وبين الكاستور في مطعم الكاسكاد بهاريسيليا إثر مشاجرة مدرسية بين «ليفي» و«بيانكا». بعد قراءة بداية عصر العقل، تترك «بيانكا» بعقلانية الإجهاض، وبالعكس فإن إنجاب الأطفال هو اللاعقلي؛ لأننا لا نعرف ماذا نفعل. رد «ليفي» مؤكدا أنه حين نجهض امرأة لا نعرف ماذا نفعل أيضا. فكرت «بيانكا» وقتها في أن التعفف موقف حكيم. واتفقنا أنا والكاستور أن التعفف موقف ملزم تجاه اللاعقلاني الذي هو الولادة، كما هو الشأن بالنسبة إلى الشيثين الآخرين. منذ اللحظة التي نصير فيها مجنسين، يصبح كل موقف - بما في ذلك العفة - بمثابة اتخاذ موقع من المسألة: ومهما فعلنا، فنحن وجها لوجه أمام هذه مسألة ما قبل الخلق هذه؛ فهناك وجود لنخلقه من الممكن إخفاؤه ولكن ليس نزع، وإننا نحن، نحن أنفسنا، مهما كان الموقف الذي نتخذه نصبح مؤلدين. نحن لا نستطيع لا التملص من السؤال ولا عقلته. وكل لحظة من حياتنا، حتى تلك التي نخصصها للعمل أو للعب، هي اتخاذ موقع تجاه المسألة الجنسية، بما أنه متاح لنا أن نخصص تلك اللحظة للحب وللتوالد. ونفس الشيء بالنسبة إلى الموت ولللبؤس. وأرى الآن أنه نفس الشيء بالنسبة إلى الحرب. كل لحظة في حياتي، حتى في السلم، هي وجود - من أجل - الحرب متملصا، مستورا، مختلفا غير أنه وجود من أجل الحرب في جميع الأحوال.

وهكذا، ومثلما قال «ريلكه» أنه لكل واحد منا موته؛ فنحن نقول إن لكل واحد منا حربه. له حربه حتى وإن كان مثل «دايت» الذي مات قبل أن تندلع. الوجود - من أجل - الحرب وضع مستمر للواقع البشري، وهو ما نسميه السلم. هذا الوجود - من

133 بداية ظهور فكرة الالتزام كما يفهمها سارتر وهي في اتصال دقيق مع تصوره الفلسفي للحرية وسيكون لها الدور الذي نعرفه في حياة الكاتب (تقديم الأمانة الجديدة 11 أكتوبر 1945، مستعادة في وضعيات 2 غاليمار 1948).

أجل - الحرب لا يمكن أن يتغير إلا بالوجود-في- الحرب. وهذا الوجود-في- الحرب مرتبط بما هو عليه «الوجود - من أجل». وذلك الذي رفض الحرب، مثل «بول»، ستكون له حربه، وسيتم الرمي به في حرب مرفوضة. وذلك الذي طلب الحرب وغناها مثل «المساعد كورتو»، سيتم الرمي به في حرب مرغوبة، ومطلوبة. وذلك الذي، مثلي أنا خشيها دون أن يعرف لا كيف يدفعها عنه فعلا ولا كيف يتوقعها، هذا سيتم إلقاؤه في حرب -بلية، ثم سوف يكتشف شيئا فشيئا الحقيقة ويعتبر الحرب غلطة بشريا، مثل غلطته الشخصية. أنا خاسر-في- الحرب. من الممكن أن تأتي حقبة تاريخية تكون فيها الحرب من الماضي. لن يبقى منها الكثير، مثل العبودية، مجرد تراث بشري؛ وبسبب هذا التراث لن يكون هناك من معنى للسلم الأبدي إلا من خلال رفض هذا الإرث، مثلما أن رفض الحرب سيكون أيضا وجودا-من أجل - الحرب للإنسان. ومهما يكن الأمر فأنا حاليا ملتزم تماما في حقبة حيث المعنى يحاول ببطء وبمشقة أن يفكر في الحرب. حقبة خاضعة، ممزقة مهمتها ليست إلغاء الحرب، بل وجود يحقق الوجود-من أجل-الحرب. إذن فليس صدفة بالنسبة لي أنا أن أوجد في هذه الحقبة. كل شيء يحدث كما لو أنني اخترته. أريد أن أقول لا يجب الهزل مع ألعاب الذهن هذه التي تشبهها كثيرا أذهاننا الجميلة. نتساءل من سوف يكون «ديكارت» 1939. أولا لم يكن «ديكارت» هو «ديكارت» إطلاقا، ولم يكن ثانيا «ديكارت» القرن السابع عشر. لم يكن شمع عسل مأخوذ من الجبح مباشرة، كما لم يكن مادة بلاستيكية دَوّن عليها اليسوعيون والمتدربون تعليماتهم، لكنه اختار القرن السابع عشر ليكون «ديكارت»، هو صنعة القرن السابع عشر وجوده- في-العالم، وجود-في- القرن. كان قد تشكّل «وجودا - من أجل» القضايا المعاصرة، إمكانياته وطبيعته أيضا كانتا على قياس إمكانيات القرن. وبالتالي، وبشكل مواز، أنا اخترتني في القرن العشرين. وكما أتحدث مثل «هايدجير»، فلقد أعلنت عن نفسي لنفسي من أكون من خلال القرن العشرين وقضاياها. وتبعاً لذلك، لا يمكنني أن أوجد إلا «من أجل» هذه الحروب التي يحيط بها القرن العشرون خاصته. لست مُطلقاً إلا لأنني تاريخي. إليكم ما أريد أن أقوله: إن اعتبرنا أنني أتحمّل التاريخ، فإنني

إذن لست سوى نسيية. وإن فهمنا بالعكس، أنني أتشكل في التاريخ، فهذا أنا ذا إذن - في موقعي - مُطلَق. ولكن هذا يتضمن، بالتأكيد، وجوداً - من أجل - الحرب، وجود - داخل - الطبقة (لإنكاره، لكرهه، أو للقبول به)، إلخ. هاهي الحرب الآن تعلمني كل ما قد غفلت عنه سابقاً.

لو حدث وخرجت هذه السطور للنور، فإنني لا أريد لأولئك الأغبياء سيثي النوايا أن يخلطوا بيني وبين «جوزيف دي ماستر»⁽¹³⁴⁾، أو «هنري لافادين»⁽¹³⁵⁾. أكرر مرة أخرى هنا أنَّ الحرب عار وعبثية لا يمكن أن تحدث إلا من خلال كسل الناس وجبنهم، وما أعاتبني عليه مما جاء في الصفحات السابقة هو أنني لم أفعل شيئاً لدفعها؛ وهو ما لا يعني أن الوجود - من أجل - الحرب هو بنية أساسية للواقع البشري.

الحكمة لازمنية، عكس الأصالة التي لا يمكن أن تُحرز على نفسها إلا في التاريخية ومن خلالها. هذا ما يقوله «هايدجير» تقريباً. لكن من أين يأتي إذن هذا التوقف بين الحكمة والأصالة، بين اللازمية والتاريخ؟ ذلك أننا لسنا فقط واقعا بشريا كما يعتقد «هايدجر»؛ بل نحن وعي متسام يتشكل واقعا بشريا.

يذكر «غرين» (الجزء الثاني ص 120) بشكل سيء وغبي هذه العبارة الممتازة لـ «كوكتو»: «كتبنا تكررنا»⁽¹³⁶⁾.

134 بحسب جوزيف دي ماستر "الحرب رباتية في ذاتها" بما إنها قانون من قوانين العالم " (أمسيات سان بيترسبورغ 1821 للقاء 7).

135 صاحب ملفات خفيفة الروح فانتاستيكية تتخلها حوارات وقطع مسرحية مشهورة (1859-1940)، بدت كتاباته منذ بدايات حرب 1914 جادة وداعية لتهذيب الأخلاق. نشر منذ 1920 رواية في سبعة أجزاء درب الخلاص (داربلون للنشر) رسمت التحولات الأخلاقية للمجتمع ما بعد الحرب عبر مستبعد أن يكون سارتر اختار كعنوان عام لثلاثيته الروائية "دروب الحرية" بإحالة ساخرة من كتاب لافيدان.

136 يوميات جوليان غرين 17 نوفمبر 1937 صدرت في مارس 1939 منشورات بلون

مغامرة ليلية قصيرة. كنت في مناوبة الحراسة بقاعة الضباط، فاستحوذ عليّ النوم. كان رأسي تحت الغطاء ليحميني من العضاضات. أفتت على الساعة الواحدة والنصف على وقع فرقة هائلة خشنه مُحددة، ممسحة تقريبا. أزحت أغطيني عني ولمحت الورق الأزرق الذي يغطي النوافذ يُشع بضوء متقطع. ليل، وضوء أزرق. ليل. خمس أو ست فرقات. قمت ومشيت على أطراف أصابعي إلى النافذة ثم فتحتها. في الخارج مطر ينهمر بغزارة ويلطم بلور النوافذ. ذهب في اعتقادي لوهلة أنه قصف مدفعي. توتر مبتهج. كان ذلك صوت الرعد، ولم يستدع الأمر وقتا طويلا لأعرف ذلك. عدت للنوم مجددا. بل إن العاصفة سرعان ما هدأت كما بدأت. لم تمض على ذلك عشر دقائق حتى سمعت وقع خطوات ثم انفتح الباب في سواد الظلام. دخل أحدهم، لمحت الاستدارة الشاحبة لمصباح جيب. قلت له: «من هناك؟»، «العقيد»، «مساء الخير سيدي العقيد». انتصبت واقفا. في الأثناء، عثر على الزر الكهربائي وعم الضوء المكان. حيوي جدا، مقوسا شيئا ما كما لو أنه خرج للتو من علبة. وينفس عبارته المهدبة قال بصوته المتكسر وهو يعدل نظاراته: «هل من رسائل؟»، «لا سيدي العقيد»، «هل سمعت تلك الفرقعات؟»، «نعم، خمنت أنه الرعد». همهم وهو يرفع كتفيه: «لقد خشيت أن يكون ذلك قصفًا، كنت نائما، ثم ذهبت إلى النافذة...». أضاف بكثير من الطمأنينة في صوته: «لقد سمعت لأكثر من أربع سنوات صوت القنابل التي تنفجر؛ صرت أعرف صوت المدافع الآن». كنت أرتمي قميصا وبنطلونا وجوربين، جلست كمن يتهايا لوضع حدائه. أوقفني: «انتظر، سوف أجري مكالمة هاتفية للاستعلام». أمسك الهاتف وشرح لي وهو يدير الأرقام: «لقد بدأت المعركة، وعلينا أن ننتظر كل شيء». كنت جالسا على كرسي أنتظر أن يردوا على اتصاله. كنت مستمتعا متلهفا، شيئا ما انطباع لا واقعي. صورة انفجار صاروخ أمام العيون. «ألو، هل هو الرعد؟ ماذا (متضايقا شيئا ما، ولكن محافظا على هيئته المهدبة الأولى) أنت تأمل أن يكون مجرد رعد؟ لكن هذا لا يكفي، عليك أن تعرف». قطع الخط ثم أعاد طلب 15-20 (بي سي البطاريات عند الخط): «ألو، هل كل شيء هادي؟». ردوا

عليه بنعم لأنه التفت في اتجاهي بتردد أكثر وقد تقوّس جسده أكثر من قبل وأشد اضطراباً: «فليكن، هذا أفضل، لكن عليك أن تعرف، من الممكن أنهم أخطأوا، لقد بدأت المعركة وغدا يتلون عليكم أمراً من الجنرال «غاملين» يشبه أمر جوفر يوم المارن»⁽¹³⁷⁾. تصاغرت محاولاً التقليل إلى حد الغيوبة من شاهد خيبة أمل هذا العجوز. تغايبت وغمغمت: «ذلك أفضل، ذلك أفضل». وهو ما لم يمنعي أن أروي الحكاية لجميع الناس هذا الصباح. متلهف لمعرفة مشاعر اليوم. في محصلة الأمر، اعتقد الرعد قصفاً. لقد كان هذا الحدث الصغير ثمينا جداً لي؛ لأنه يمثل وعد شجاعة بالنسبة إلي، مثل عندي شكلاً من أشكال الارتياح. هل سوف أظفر بذلك حين يستوجب الأمر؟ يبدو أنه نعم مادمت قد اعتقدت أن المفرقات متأينة من انفجار قنابل أو صواريخ (خاصة أثناء المكالمات التليفونية للعقيد)، غير أنني في الحقيقة كنت أشعر (ليس ودياً كثيراً) بالاستمتاع المهم. غير أنه رغم هذا كله إشارة غامضة.

من «بولهان»، عن المجلة الفرنسية الحديثة، أكتوبر، في «عودة إلى 1914»:

«كم هم حكماء جداً أولئك الذين يرحلون اليوم —وأعتقد بحكمة نيرة، دون أدنى شك أشد نباهة، وأشد صواباً. صامتون: دون صراخ ولا فضول... «هذا وحده واضح، قال أحدهم: حزن أولئك الذين تركهم»، وقال آخر: «يبدو أنه عليّ انتظار مشاعر لن تأتي فيما بعد».

لكم أذهلني رد الفعل الأخير. يشبه شيئاً ما حالتي. أنتظر وأنا أصطاد الحياة، وأنا أفكر في تحقيق الوجود —في— الحرب كما ينبغي. لكن كل فقرة «بولهان» صائبة، كما لو أنها الجزء الأول من مسرحية؛ حيث 1914 هي بروفتها العامة. يعرف الممثلون

137. لا شك إن العقيد الشيخ أخذ مأخذ الجد عبارة الجنرال غاملين "نداء للجيش الفرنسية" التي قالها في 14 أكتوبر (أربعة أيام قبل ذلك): "بين لحظة وأخرى يمكن أن تتدلع حرب يتعدد من خلالها مرة أخرى في التاريخ مصير فرنسا. البلد، العالم كله عيونهم مصوبة نحوكم. شدوا على أنفسكم. استعملوا أسلحتكم بالشكل الأفضل تذكروا المارن وفردون." لكن ذلك ليس في علم الغيب، لأنه ومنذ 16 أكتوبر تراجعت القوات الفرنسية عن مواقعها الأولى ولم يعد هناك مجال لهجوم قريب بالنسبة للقادة العليا.

دورهم، فلا أثر للوجل على وجوههم ولا للحماس. ولم يعد المجهول بالنسبة إليهم كما نلا في التقنيات ولا في النتائج، بل في مشاعرهم الخاصة. إنهم يبحثون عن أنفسهم، وهناك شيء ما يريدون فهمه-لم يعد متعلقا لا بالسياسة ولا بالحياة الاجتماعية-فقط بالحرب؛ وهم أنفسهم في الحرب. يبدو أننا همرنا ولم تعد تناسبنا الحرب، بالمعنى الذي نقول فيه أيضا هذا الأدب تقادم ولم يعد يناسب الحب؛ أي أنها أصبحت فيما وراء جاذبيتها، فيما وراء أيضا الفكرة البارة لبعض الكُتّاب، ولم تعد بالنسبة لها سوى موقعا جماعيا أو مجرد نقطة انطلاق. هناك جاذبية للحرب، جاذبية الرعب التي نعانى اليوم دون أن نأخذ حذرنا منه. كل هذا معروف وتافه. نزيحه لنبحث، في الخلف، عن شيء ما أكثر عربا، أكثر انسلاخا: ألا وهو جوهر الحرب.

للإشارة لهذه الحرب، أو لبدايتها، هناك هذه الكلمة (أكثر سعادة من «حرب شبح») «حرب مفقودة».

لا بد من العودة إلى عبارة تدمير بما أن هدف الحرب هو أن تُدمر. وحتى لا ننخدع: أولئك الذين يدعون أنهم يخوضون حربا دفاعية هم أيضا يهدفون للتدمير. بإمكانه أن يمسك يد خصمه فيشلها عن الحركة دون أن يثير ألمه، غير أنه لا يجب أن نحاكم الدفاع في الحرب وفق هذا التماثل المخادع. يهدف الدفاع إلى تدمير وسائل التدمير التي يستعملها العدو؛ وهكذا هو تدمير شامل. الحرب الحديثة بوتلاتش [كما هي في المصدر، وتعني حفلة يقيمها زعيم من الهنود الحمر في أمريكا الشمالية لإعادة تنصيبها، وتتميز بتوزيع هبات على أتباع الزعيم، ويتم فيها تدمير بعض ممتلكاته]: فذاك الذي بإمكانه أن يتحمل أكثر تدمير ممتلكاته هو المنتصر. بل ومن المكن جدا أن نتصور حربا حيث كل عدو يقوم بنفسه بتدمير رجاله وثرواته. وفي نهاية هذه المجزرة، سوف يقول أحدهم: لم يعد بإمكاننا المواصلة، بينما سيقول الآخر: باستطاعتي أن أكمل؛ وهذا الأخير هو المنتصر طبعاً. وبالتالي، يجب مقارنة هذه الفكرة بمعزل عن التدمير، طالما الحرب أكثر تعقيدا، وطالما أنها مقاومة من أجل التدمير. يجب أن نتبه أولا إلى أنه لا يتم تدمير إلا ما هو مرتّب: حيوات أو أدوات. يجب أن أقصر اليوم على فهم ما معنى تدمير أدوات. لا يتم تدمير صخرة، أو كومة

من الرمل، أو أرض باثرة - رغم أنه من الممكن تذويب صخرة بالديناميت، أو تفجير أرض باثرة بقذائف مدفعية. (وفي نفس الوقت نقوم بتدمير شيء ما؛ سنرى بعد قليل ماذا نُدمِّر) - ولكن يتم تدمير منزل لأنه أداة. ولكن ما معنى أداة؟ إنه مجموع مركب من وسائل مُنجزَة يشير بدوره إلى منجزات وهكذا دواليك إلى آخر طرف الكون، وفيما وراءه نعر على ذلك الذي تشير إليه عموم الأدوات؛ أي الوجود في- العالم للإنسان، وهو قبل كل شيء وبكل دقة الوجود-من خلال- الواقع الأداتي. كل ما يدركه، وكل ما يفهمه يخدم المسألة. والأهم أنه يفهم نفسه أولا فيما وراء الأدوات ومن خلالها. فهو دائما عند أفق الواقع الأداتي؛ يجد نفسه هناك، مثل ذاك الذي يسكن منزلا، ذاك الذي يطرق بمطرقة، إلخ. وفي فعل الطرق بالمطرقة يحقق العالم ونفسه من وراء العالم وفيه. والطبيعة عندما تكون متاحة له -يمسكها باعتبارها أداة. ويرى الجبال «قابلة للتسلق»، والبحار «قابلة للتجاوز»...وفق هذه الظروف، من السهل رؤية مخطط التوقف عن التدمير وهو يحدث انقلابا في الوجود- في- العالم للإنسان. بل إن الجنون المدمر للحرائق لا يهدف فقط إلى الأداة التي يدمرها -مثل كومة الحشيش التي تشتعل فيها النيران- هناك هجوم ضد الإنسان من وراء هذه الكومة، ليس كما يقال عادة رمزيا؛ أي أن تدمير الأداة الهدف منه قتل الإنسان، ولكن بالأحرى هو تدمير للشرط البشري للإنسان. لا يتعلق الأمر بيهجة الانهيار، بل بيهجة اللابشرية؛ بتعرية الطبيعة البشرية الثاوية داخل الأداة. وبالفعل، فاللامستعمل يقترب من الطبيعة العذراء التي يدرسها العالمدون أن يمتزج معها. الطبيعة اللابشرية التي يحصل عليها من خلال التجريد هي اللعب الصافي للحتمية. يحافظ الشيء اللامستعمل، مهما كانت عودته لهذه الحتمية النقية، على عفونة الأدوات. يمتلك شيئا ساحرا في منتصف الطريق بين طبيعة الإنسان وطبيعة العالم. أسلوب ساحر لشيء يحرق نفسه على قارعة الطريق. غير أن الإنسان في الحرب لا يوجد ببساطة في عالم من الأشياء المدمرة، كما لو أنه يتجول في مقبرة سيارات أمريكية، فهو نفسه وسيلة «للتدمير أيضا». الأشياء المدمِّرة التي يدركها يعلم أن نهاية الأنشطة البشرية تتمثل في تدميرها. أما تلك التي مازلت صالحة للاستعمال فهو

يدركها من خلال تدميره لها. يدركها قابلة للتدمير. لكن هذا الفهم وهذا «الانشغال» الجديد هما أكثر تعقيدا من انشغالات الإنسان المسالم: بالفعل فلفهم شيء قابل للتدمير، لا بد من التعامل معه كأداة «لإنكاره-كما-هو». لا يعني هذا أن الأدوات يجب أن نعالجها موضوعاتيا، بل في الفعل التدميري الذي تتصف به التدميرية وليس موضوعاتيا فقط. لا بد أن نشير إلى أنها بنية تتكون من لحظتين: هذا كل ما في الأمر. وبالتالي، إن كانت المعرفة الجيدة بالمطرقة، خلال السلم، تتوقف على الطُّرُق، فأهم معرفة لهذا الشيء الجديد الذي هو المطرقة -في- الحرب، هي تدميره؛ يعني أن تتوقف عن أن تطرق، وهو ما يفترض أساسا فهم الطرق. فقد يكون هناك تدمير جيد وآخر سيء؛ أما التدمير الجيد فيُصيب الأداة في مفصلتها، وأيضاً في وسطها ونهايتها. كذلك يتم استعمال الأشياء في الحرب على أنها زائلة: حيث تصادف معناها في السلم أولاً، ولكن بشكل متخفٍّ وهش، وقريب من التلاشي، وما يكشفه هو فراغ أسود، اللادواتية الشاملة، واللامبالاة الشاملة للطبيعة الحتمية. غير أن ما يُعقّد الأشياء هو أنه لتتم عملية التدمير، لا بد أيضاً من أدوات. هكذا نحصل على ترتيب مُعقّد لوسائلها لها غايات محددة، وفي، الأخير، نحصل على العالم. لكن المعنى الأخير لكل هذه «الإشارات» هو تدمير كل غاية. في الظاهر، نحن نتعامل مع أدوات شبيهة بكل الأدوات: فلها طريقة استعمال، ووظيفة، لكن حين نتبع «إشارتها» بالنظر، فسوف نصل عاجلاً أو آجلاً إلى التدمير. مثال ذلك البريد في الجيش: يعملون على تحسين خدماته ليصبح سريعاً ومنظماً؛ لماذا؟ ليستلم الجنود رسائلهم في أقرب الأوقات من ذويهم؛ لماذا؟ لكي يزداد حماسهم لخوض الحرب؛ أي للتدمير. على غرار ذلك، لنعتبر أن هذه الأدوات التي سوف يتم تدميرها هي نفسها مدمرة وصولاً إلى القائد الأعلى، بما أنهم هم الذين سوف يعمل العدو على تصفيتهم بدرجة أولى (هجوم مضاد، طلقات مضادة للمدفعات...)، وكلما كانوا مدمرين أكثر، كانت طبيعتهم تدميرية أكثر. عموماً، هم مُدمِّرون بأشياء تشبه أنفسهم، بارجة بيارجة، مدفع بمدفع، طائرة بطائرة بشكل تحمل معه في داخلها علامة مضاعفة للتدمير: مُدمِّر ومُدمَّر، أداتيتها بين الاثنين.

لو اعتبرنا الآن أن الحرب تندرج ضمن عالم السلم، سنرى أن كل أشياء السلم تخضع لتحوّل كامل: أغلبية الأدوات تصبح مُدمّرة، أما الباقي فيصبح مدمّراً ومدمّراً (بيت مفخخ، جسر مفخخ، إلخ...). حتى الطبيعة نفسها (الغابات، الأشجار، إلخ...) تخضع لهذا التحوّل؛ تفقد أداتها العامة لتتحول تدريجياً إلى اللامبالاة. وما كان موقعا للتنزه، أو للفلاحة إلخ، يطمح للاقترب من الفضاء النقي، أصبح ملاذا للاختباء، لتموقع المدفوعات، للمراقبة، إلخ. وبالتالي، فأنا في الحرب في أقل حركاتي التنفسية، في أشد دلالات حركاتي، في الطريقة التي أمشي بها، فانحما عينيّ وأشهد، أقوم بتدمير العالم. فمن الجانب الآخر لهذا العالم -الموجهل- التدمير، وجدت نفسي كما لو أن هذا العالم -الموجهل- التدمير وُجد له. أنا موجود في عالم للتدمير وموجود - لتدمير هذا العالم. لكن لو توقفت الأشياء عند هذا الحد، سوف أكون مجرد مُدمّر، بل ولا بد من الاستماع لهذا الوجود المدمّر، ليس كما لو أنه شهوة لحريتي - وليس كما لو أنها نكبة لمزاجي - ولكن لأنه ضرورة أساسية لشرطي البشري؛ وهو ما يعني أنه على هذا الوجود - المدمّر سيتم تطعيم مزاجي الخاص وشهواتي. نفس الشيء في السلم، فإنه على أساس الشرط الإنساني (الوجود - من أجل - الموت، إلخ) يظهر مزاج كل شخص. التدمير لا يتوقف هنا فقط: فالإنسان في هذا التدمير أداة مدمّرة - ومدمّرة. يتوقف عن كونه واقعا - بشريا لأنه يفقد إمكانياته الذاتية (مادة بشرية). لكن - هل هناك ما هو أشد دقة لفهمه - هذا فقدان لكل إمكانيته هو في حد ذاته إحدى إمكانياته. يتعكس وجوده - من أجل - التدمير على تدمير كل الإمكانيات البشرية في داخله. فهذا المدمّر هو هنا للتدمير من خلال تدمير نفسه في عالم - من أجل - التدمير. وهو ما يعني أن شرطه هو أن يكون مجرد شيء. وأسلوب وجود - في العالم كما كل واقع - بشري، هو بالضبط أن يلقي بنفسه في قلب هذا العالم، مثل حجرة أو نهر. وفي النهاية، هو جزء، على مستوى الأداة، من عالم الأدوات التي يرغب في تدميرها؛ لأن موت جندي يُنظر إليه كما لو أنه تدمير أداة.

إلى أين يوصلنا كل هذا؟ إلى العدم؟ لا، ليس التدمير هو القضاء، وإنما هو لا أنسنة الإنسان والعالم. يصبح الإنسان والعالم، أو بالأحرى يجعلان من أنفسهما، أشياء

جامدة إزاء الوعي المتسامي. ها نحن نعثر الآن على الاكتمال العبي للوجود اللفظ
قبالة الوعي اللإنساني والعبي. اكتمال في كل شيء. عالم مُنظَّم يهدف انتظامه إلى إنكار
نفسه بالاكتمال العبي للوجود؛ باعتباره واقعا إنسانيا يهدف إلى أن يكون شيئا، وإلى
أن يصفي، من خلال هذا، الوعي المتسامي. هكذا هما إنسان الحرب وعالمه. لكن لا
يجب الاعتقاد أن هذا التشيؤ للإنسان ولا أنسنة العالم سوف ينجح؛ فهي فقط تمثل
الإمكانات النهائية والثابتة لإنسان الحرب. إنه موجود من أجل التشيؤ حيا لا لوعي
المتسامي، وسط عالم يحتاج إلى إعادة تنظيمه.

تقاصف مدفعي طيلة هذا الصباح، لعله من جهة ويسمبورغ.

من المستحيل عدم التفكير في أنه هجوم ألماني بدأ منذ حين. أحس أنني متعلق بهذا
العالم الذي يريدون تدميره؛ تأكدت أنني أنتمي إليه. من المستحيل عدم الإحساس
بروابطه. هذا العالم الذي تدمره، عالم السلم هذا، فيه كنت إنسانا. كل تدمير جزئي
هو بشكل ما تدمير لي.

غريب: أن نحمل سلاحا للدفاع عن عالم ما (جمهورية فرنسا ما بعد الحرب
بحقوقها وأيديولوجياتها)، ورغم ذلك نعلم جيدا أن حمل السلاح في حد ذاته يدمر
العالم بشكل مؤكد. ما ندافع عنه هو ميت أصلا. أنا هنا للدفاع عن حياتي منذ سنة
1919 إلى سنة 1939، غير أن حياتي هذه ما إن أصبحت هنا حتى انزلقت في
الماضي. إن انتصرنا، نكون قد دافعنا عن عالم سنصنعه فيما بعد؛ عالم سيكون ما
سنكون نحن عليه، عالم ليس بإمكاننا أن نتوقعه. لهذا فإن جنود 1914 دافعوا عن
جمهورية 1920 ضد ألمانيا الإمبريالية. أولئك الذين حملوا السلاح في حرب 1870 -
1914 دفنوا هذه الأسلحة بأيديهم.

[المجلة الفرنسية الجديدة]: «هنري بورا»: «حرب سنقوم بها كما كنا نفعل عادة،
صغيرة، صفحة للكتابة. إنه لشيء مزعج، لكن يجب القيام به. نعم، حرب

لأنه ليس لدينا ما سوف نربحه، بل فقط الدفاع - ضد الأسوأ- عن حالة أشياء لا تُفرح أحدا، نتكيف معها حسب العادة، ولن تبقى حية لترى السلم.

مصادفة: يعتمد مورياك هنا («خسون سنة»⁽¹³⁹⁾...) كلمة «كيرنسيا» هذه التي تأتينا من «هنغواي»⁽¹⁴⁰⁾.

الخميس 19

على إثر متابعتة لاستتبار، جاء «النقيب مونييه» وقدم لنا شرحا دقيقا جدا، أنهاء بهذه الخلاصة قائلا: «مات أربعة جنود». رغم أنني كنت أريد سماع ذلك غير أنه ضايقني. ففي المحصلة لست جتديا بل مراسل حرب، ومراسل الحرب مغلوب على أمره. مررت مزاجي السيئ لـ «بيتر» مفسرا له أنه بالغ كثيرا في إيلاء أهمية كبيرة لواجبه؛ لأننا حين نرى ما يفعله والبساطة الساخرة لواجبه، فإنه يظهر في مظهر الأحق. يتجنب «بيتر» الجواب بنعومة. ثمصرت فجأة وقحا مشمزا وقلت: «لقد وضعوني هنا ولا يهمني، إنني مخفي، وماذا بعد؟». شرح لي «بيتر» كما لو أنه يتحدث مع شخص لامرئي، من خلال تنازلات متفاوتة وتمييزات دقيقة [باللاتينية في الأصل] خلاصات واختزالات تتمحور حول أن الأمر عادة ما يتم هكذا في الجيش. باعتبار سوء الحظ الذي لازم رواقيا بليدا؛ فقد كنت بمزاج رائق جدا هذا الصباح، وها أنا ذا الآن في أسوأ حالاتي. لقد كنت أعرف أنه ليس لي ما أفعله، وأن هذه المؤسسة المعنية بمركز الإحصاءات كارثية، وأنه لديّ غمّا يحسدوني عليه وغير مبرر. كنت أعرف هذا جيدا، وما كنت أريد أن يعرف الآخرون ذلك. وها أنا ذا أتأرجح بين الوقاحة ونبيل روح وجودية. صرت أنقزز من هذا الدفتر كما لو أنه هذيان سكران، غير أنني

138. في ركن "مزاح الشهر" للمجلة الفرنسية الحديثة أكتوبر 1939 بتاريخ 5 سبتمبر نلاحظ عبارة "الحرب الغربية" مستعملة قبل يومين بعد إعلان الحرب، في علاقة مع العفوية التي اتسم بها الفرنسيون في الحرب.

139. نص لمرسوا مورياك منشور في المجلة الفرنسية الحديثة أكتوبر 1939.

140. موت عند الظهيرة غاليمار 1938.

لن أرمي به لأن لدي روح جامع صفحات. صار هناك الآن الكثير من الصفحات المكتوبة لما أفعله هنا وما أراه. من المستحسن لي أن أرى الحرب في الخلف. مع العلم أنني كنت متهيئا فكريا لهذا عندما بدأت كتابة هذا الدفتر. كنت في الصفحات الأولى من هذا الدفتر لا أهتم بنفسني إطلاقا، غير منشغل بهذا الاهتمام الخفي للمحارب الذي كنت أشعر به في داخلي. ثم إن نتيجة الانكباب على هذا الدفتر كانت سيئة، وكان من المفروض أن أتوقع ذلك؛ إذ إنني تعاملت مع الأمر بعجدة بالغة. لقد بدا لي حقا أن علم النفس الكلبي عاجز وأنا أمارسه. لقد كان كله رواقيا؛ وهو ما أوصلني إلى الوجودي. وهو بالأحرى دفاع؛ طريقة في قول: «إنني منخفض»، مثل «ليبيديف» في رواية «دوستوفسكي» الأبله، ويحيى رد «دوستوفسكي»: «كما لو أنه عليك أن تقول هذا لتنجو من القضية». الخلاصة: «خجول لأنني لم أكن جندي مشاة».

لم تكتب الفقرة السابقة بصدق كامل؛ لاشيء فيها غلط، لكن كل شيء متصنع. كنت أشعر أنني أكتب. أمر بيوم هو بمثابة المصيبة، ولكن رغم ذلك واصلت كتابة روايتي هذا الصباح. عليّ أن أعزل اليوم وألا أفكر في أي شيء.

وأنا أتناول فطور الصباح جاءتني فكرة بينما «بيتر» يتحدثني عن أسرته: في جميع الحالات، بما أنك خجول جدا من أنك لست جندي مشاة، لم لا تنخرط في المشاة؟ وداعبتُ فكرة أن أنضم إلى المشاة، رغم أنني أعرف نفسي؛ فلا يمكن أن أقوم بأدنى حركة لتحقيق ذلك. لماذا؟ بسبب روايتي؟ لو ارتكبت هذا التغيير فذلك يعني أنني أفضل الحياة على روايتي، ومن خلال وجهة النظر هذه أشعر بنفسني عاجزا. ناهيك عن أنني أجد الحل دائما: هو إنهاؤها؛ وهو ما سوف يوصلني إلى شهر يناير - فبراير، ثم أنضم بعد ذلك مباشرة للمشاة. لكن هناك شيء آخر: هناك الكاستور. من البديهي أنه ووفق ما يقتضيه ارتباطي بها أن أنقذ جلدي. إنني أتخيلها الآن وهي تقرأ هذه السطور؛ سوف تلطمني صارخة: «أيها الأحمق الصغير، قرد حيوان». من جهة هو واجب إلزامي لأنني وهبتها حياتي، ومن جهة أخرى بشكل غامض: لا أعرف لماذا أنا هنا أصلا. ليس للدفاع طبعاً عن الوطن ولا عن الحضارة؛ بل في أفضل الأحوال للدفاع عن حريتي (خاصة أنني لا أعرف طريقة أخرى لذلك)، ومن

المستحسن في هذه الحال أن أظل هنا. هذا ما يمنحني فرصة التلذذ بحريتي التي أدافع عنها. ثم لست في الحقيقة جندياً متخفياً: لا أفعل أي شيء، إنني سلبي، وهذه حصتي. إنني على بُعد عشرة كيلومترات من خطوط المواجهة، ومن الممكن في كل لحظة قصفنا؛ ثم من الممكن أن أكون غداً بـ «رين». فقط بما أنها حريتي التي أدافع عنها - إن كان لي ما أدافع عنه - مازلت أستطيع - وبفضيلة هذه الحرية نفسها - تفضيل الأصالة وخوض هذه الحرب بشكل أقوى. عموماً هو الغموض في هذه الورطة. لست أرى جيداً - عدا بطولة متلهفة - ما قد يفرض عليّ أن أبحث عن الأسوأ؛ أن أتصرف مثل الآخرين غير أنني لست إنسانياً. ومن الجانب الآخر هناك واجب إلزامي، بما أن الكاستور تفكر في الانتحار إن لم ترني أبداً. طيب. لكن، أأست سعيداً جداً لتحمل هذا الواجب؟ ومهما كان متأصلاً، ألا يصلح أن يكون لي مبرراً؟ (141)

لقد تمنيت أن أكون جندي مشاة. فليكن. لكن لو حدثت وكنت كذلك لوضعتني في معسكر بـ «بار لو دوك»، مثل «بوست». إذن لتمنيت وقتها أن أكون عند خط الجبهة، ولو كنت عند خط الجبهة، لربما يضعونني في محور هادئ وهكذا دواليك. في النهاية، إنني أحلم فقط بمبرر لوجودي هنا بشكل بطولي؛ وهذا في حد ذاته حق. أذكر تلك التوصية الحكيمة جداً للمرأة القمرية⁽¹⁴²⁾ لزوجها المجند في سبتمبر 1938: «افعل ما يأمرونك به وإلا سوف تتعرض لمضايقات، لكن لا تطبق الكثير

141 لم يكن لأزمة الوعي هذه وجود في جميع الأحوال كان سارتر "عاجز عن أداء النشاط" هل نسي ذلك؟ فمعد طفولته كانت هناك ودقة تغطي عينه اليمى. مما جعله لا يبصر بها؛ أما عينه اليسرى فهي قصيرة النظر. بعضهم كان مصاباً بنفس عاهته تمت إعادتهم. نلاحظ كم إن حبه لنفسه متأثر بهذه العاهة: وفق تقييم الجيش. فهو "غير صالح" (انظر لحواره مع جاك لورين بوست في أبريل 1937 رسائل إلى الكاستور .. الجزء الأول ص 95-96) مفارقة الكبرياء : اتهامه لنفسه بالجبن في جميع الأحوال يسمح له بإنكاره أحول. أو نسيان ذلك ربما أخفاه عن "رفاقه" (عينه الميتة بالكاد تظهر كذلك وشلل القزحية لا يمكن اعتباره مجرد حول). وإلا كيف نفسر أن ياتر. الذي لا يفوته شيء لم يقترح عليه لم يعارضه في أنه لا يملك أي فرصة للانضمام إلى إحدى وحدات القتال ؟ لقد رأينا (ص 44) أن سارتر واع جيداً بميله القوي للإنكار.

142. كنية لشابة عرفها سارتر مت سنوات من قبل هي وزوجها بيرلين (ماري جيرار قوة العمر).

من الأوامر». بطولة نفاذ الصبر، الأمل في الأسوأ. الدافع الحقيقي الذي سوف يجعلني أتحرك هو أمل أن أعثر على أصالة حقيقية. وفيما يتبقى فهو ليس سوى حالة ذهنية لمرشح مرفوض-والذي هو أنا عادة: لقد اجتزت اختباري هذا الصباح ووقعت، هذا كل ما في الأمر؛ وهذا ضايقي. هذا ما يتبقى من كل الحكاية؛ هذا وشيء آخر ثمين: فكرة- لم تأتني من قبل أبدا-أنني في النهاية، ومتى أرغب في ذلك، يمكنني أن أنضم إلى المشاة؛ ما سوف يجبرني أن لا أكون جادا كثيرا، وأن أقبل بصراحة وضعي عوض الحلم ببطولة في مكان آخر. لا يجب أن أكون جادا جدا.

كتب هذا في الساعة الواحدة بعد الزوال وخمس دقائق. بشوش. لكن نصف قارورة خمر وكأس مارك ليس غربيين عن هدوني. أيتها الأصالة الجميلة أين أنت؟ حين نكون، نكون بسطاء- همقى شيئا ما- أما حين لا نكون أبدا، فإنه رواق المرايا، نتخدع ونكذب إلى ما لا نهاية⁽¹⁴³⁾.

الجمعة 20

شيء غريب، لقد عشت حالات بهجة متعددة ومتنوعة، وأحيانا طافحة منذ الـ2 من سبتمبر، ولا يكاد يمضي يوم دون أن أشعر بهجة ما. غير أنني حين أتذكر حالات البهجة هذه التي تبدو لي طبيعية حين أشعر بها، حين أتذكرها تبدو لي كابوسية. هي بهجات لكنها محمرة بلهب الجحيم، خاصة أن كل شيء يحدث الابتهاجات والباقي على إيقاع مُهلّوس. غير أنني لم أعش هذا الإيقاع، ربما ينكشف من خلال لحظات مختلة، لكنه بقية الوقت يظل ملطخا، مدهونا بعجينة الوقت المعتادة. هذا ما اعتقدت أنني قلته في الأول من أكتوبر في الصفحة 58⁽¹⁴⁴⁾، حول هذا النوع من التوتر اللاواعي ضد الإغراء المستمر لليأس. هو ما حوّل هذين الشهرين

143. هل فكر سارتر إن المأزق الذي يشغله منذ قليل (الانضمام للمشاة من عدمه) هو مغشوش وعن سوء النية كان موجودا ذلك الصباح - إشارة ستكون لها أهميتها حين يقترح في الوجود والعدم شرحه الفينومولوجي للوعي.

144. يتعلق الأمر بصفحات دفتره انظر الصفحة 70.

الرائعين اللذين عشتهما بشكل رائق، إلى ركض جهنمي (وهي بالضبط مشية إلى محرقه بين حاجزين لأشخاص مكشرين يضربون على الصنج). غير أنني لم أعد أتوتر على الإطلاق. ولقد بدت لي بشكل مماثل كل المواقع مُنْفَرَة (المقصود مواقع عسكري)، رغم أنني لا أفكر في أي شيء إزاءها، أو بالأحرى أفي استمتع بها. دون أدنى شك سوف أقف عاجزا مرة واحدة وإلى الأبد ضد أي إحساس مُكَدَّر، فذر أو كتيب تجاه الأشياء. لم أكن أراها بوضوح، رغم أنها كانت هنا لي أنا. لقد كانت موجودة في فهمي الأول ما قبل الوجودي؛ كل موضوع، كل شيء بدا لي منخرطا في التنظيم المعقد «مُدَمَّر - مُدَمَّر». كنت أفهمها كما هي، غير أنه من الضروري اتخاذ الحذر مما أفهمه. ليس لذلك أي تأثير لجعل الحس الأول بالأشياء لاواعيا، ولكن لجعله بسيطا فقط. كنت في مواجهة هذه المواضيع المُكَدَّرَة والكثيية التي لا تبوح بنفسها كما هي، أجرب رقصات بهجة ومزاج رائق يغطيها بحجاب رقيق ولَمَاع. كل شيء تغير منذ برومات: أريد أن أتأمل عالم الحرب بدون حجاب، غير أنه يكشف عن نفسه بشكل أقل الآن.

هذه الحرب هي حرب حكيمة بالمعنى الذي نتحدث فيه عن موسيقى حكيمة. تشبه فلسفة «برونشيفتش» تفكير حول التفكير⁽¹⁴⁵⁾. لقد قالوا إن حرب 1914 برجسونية، على الأقل في بداياتها. لكن هذه الحرب هي حرب نقدية، يتم خوضها ضد حرب 1914؛ بدءا من تسيير العمليات إلى موقف كل واحد منها؛ كلها في تفاعل ضد حرب 1914. هذا الطابع الجديد، الانتظار المتضايق، الكآبة وبعض الأخلاقية التي قد يتصف بها المحارب، كل هذا هو ضد البطولة المبرقة التي نالها في 1914. هذه الانتظارات الطويلة، هذا الاقتصاد في الرجال، هذه الانسحابات الحذرة وهذه الفخاخ التي تُعَدُّها القيادة العليا، كل هذا ضد المسالك الانتصارية التي أعدها في حرب 1914. كتمان (غير كاف إلى حد الآن)، حشو الدماغ واحترازنا

145. ليو برونشيفتش (1869-1944) من أشهر فلاسفة ما بين الحربين. درسه سارتر في المعهد الأعلى للمعلمين تولى منذ تلك الفترة عن "مثاليته النقدية". حق صديقه بول نيزان كان معارض لهذه الفلسفة، فهي ضامن جيد للنظام المورجوازي (كلاب الحراسة رايدر 1932).

المبدئي ضد حشو الدماغ. وموقف المحترفين المتزعج من طريقة التشجيع التي لم تعد جريئة، والتي تعبر بشكل لا شكل له: نحن لا نشجعكم، هل تعرفون، هم لم يشجعونا. مثال ذلك يقول «بيرو» في غرنفوار عدد 12 أكتوبر 1939⁽¹⁴⁶⁾ [مجلة أسبوعية سياسية أدبية فرنسية تابعة لليمين، كان «جوزيف كيسيل» أحد المشرفين عليها]: «فلنوفر على أولئك الذين يحاربون دروس المثابرة التي آلمتنا كثيرا في السابق». وقد تولد الاستغراب «بورا»، الذي هو نفس استغرابنا: «الحرب الغربية»، من الاستعادة الدائمة لحرب 1914 ومقارنة حرب 1938-1939 بها: حرب 1939 ستكون بالنسب لحرب 1914 كما حرب 1914 بالنسبة إلى حرب 1870 (أفكار مجازر قيامية، 2000 طائفة في سماء باريس، إلخ. جاء بعد الفكرة النقدية: «لن تكون حرب 1939 أشد وحشية من حرب 1914، سوف تكون حربا أخرى». غير أن هذه الفكرة النقدية والتاريخية تأتي مصحوبة بميل دائم لتقييم هذه الجدة من خلال عودة إلى حرب 1914. باختصار، هي حرب مُعادة (1914، حرب إسبانيا، إلخ)، التي تشبه حرب الخطاطين الأولى. نبحث عن هذه المفاهيم (حرب «اقتصادية» - «حرب صناعية») وهو نفس ما قاله «بولهان» (المجلة الفرنسية الحديثة، أكتوبر): «حتى لا يمنعونا من التفكير في الحرب (1914)». هذه الفكرة التاريخية (والفيزيولوجية) والقاضية بأن لحرب 1939 مفاهيمها الخاصة وأصنافها (الأخلاقية وغير ذلك) هي بالفعل فكرة جديدة؛ إذ إن حرب 1914 كانت بالأخص يشعرون بها. والفكرة الحذرة، أيضا، أن مفاهيمها يتم طرقها شيئا فشيئا ويجب انتظارها. (عبارة لأحد المجندين ذكرها «بولهان»). في المحصلة، هو موقف تجريبي لكل شخص إزاء الحرب. نلاحظها ونحن نخوضها.

غير أن طرق المفاهيم صعب جدا. ضد من نحن نحارب؟ ضد النازية؟ ولكن

146. في مقالة بعنوان "ثقل السمع" لهنري بيرو حول خطاب هتلر في 8 أكتوبر. هنري بيرو وهو (1885-1985) روائي وصحفي ومحرر بصحيفة غرنفوار السياسية - الأدبية الأسبوعية وقد كان مهاجم الديمقراطية وانجلترا واليهود في السنوات التي سبقت الحرب.

147. في "عودة على 1914"

هناك فاشية مقنعة تحكم في فرنسا منذ أكثر من ستة. فكرة الحرب الإيديولوجية كانت فيما قبل الحرب. في الحقيقة نحن لا نجد كتلة ديمقراطية ضد المحور؛ نحن لسنا أعداء لإيطاليا. وفي المقابل، نخشى أن نكون أعداء لروسيا السوفياتية. ثم ما معنى النازية اليوم؟ هل هو كتاب كفاحي لهتلر [بالألمانية في المصدر] ⁽¹⁴⁸⁾؟ هل هو روزنبرغ؟ هل هو «ريستروف» ⁽¹⁴⁹⁾ [وزير خارجية ألمانيا من سنة 1938 إلى سنة 1945]؟ هل هي ديمقراطيتنا التي تلغي الغرف [البرلمانية] وحرية التفكير ⁽¹⁵⁰⁾؟ هل نحن نحارب ضد حفنة من الرجال؟ «هتلر» وجماعته؟ في الحقيقة هناك شيء ما من الرحلة العقابية في هذه الحرب: «أيها الألمان، نحن لا نقصفكم أنتم». منشور للقوات الجوية الملكية البريطانية). غير أن هذا سيؤدي إلى الخروج بسلم سريع، بحكومة تعوض «هتلر». ولذا يعتقد الكثير من الناس في فرنسا وإنجلترا أنه لا يمكن تحقيق سلم طويلة المدى إلا بانخفاض القوة، وربما تجزئة ألمانيا. ويرتكزون على حقيقة لا تقبل المنازعة تتمثل في أن ألمانيا هي في نهاية الأمر ديمقراطية اختارت «هتلر» حسب البرنامج الذي اقترحه. رغم ذلك، فكل هذا لا يحدث عندنا إلى درجة الكراهية. وإن نحن دخلنا الحرب للدفاع عن بولونيا التي وقع اجتياحها، فما معنى أن نخوض حرباً ضد ألمانيا التي استحوذت على نصف بولونيا - وليس ضد روسيا

148. كُتبت ما بين 1925 و1927. استطاع الفرنسيون أن يقرؤوا نسخة أصلية منذ 1934.

149. تعلق الصحف الفرنسية بكثرة 'خلال هذه الحرب الغربية، على الاختلافات والصراعات بين كبار الشخصيات النازية، خاصة الفريد روزنبرغ ويواخيم قون ريستروب. للتذكير فالأول ذو أصول جرمانية بلطفية " دليل ثقافي " للحركة منذ 1923، ومن جهة أخرى هورثيس مصالح الحزب الشيوعي للشؤون الخارجية منذ 1939، نصير الامبراطورية الشمالية الكبرى تحت سلطة ألمانيا، أما الثاني فهو وزير الشؤون الخارجية للرأيخ.

150. منح قانون تنظيم الأمة زمن الحرب في تاريخ 18 جويلية 1938 دالاديه إمكانية تسيير الحكومة عن طريق مراسيم: زيادة على ذلك بما إنه كان مرتاباً من فاعلية الحكومة، تولى منذ 14 سبتمبر 1939 الاشراف على عدة وزارات، اتهمه اليسار واليمين باستغلال النفوذ. من جهة أخرى تم إنشاء المفوضية العامة للإعلام في 29 جويلية 1939 يسورها جان جيروود مؤسسة منبودة خاصة لتوجيهاتها الشرهة نحو الرقابة.

التي استحوذت على النصف الآخر؟ لأن حكومة بولونيا لم تطلب مساعدتنا ضد روسيا؟ دعابة: لم تطلب لأنهم قالوا لها ألا تفعل. لأننا نُفَضِّل أن يكون لنا عدو واحد. لكن هذا ما سوف يزيد من توتر الحيرة الإيديولوجية للحرب. بالفعل، لا يمكن أن نقول إننا دخلنا الحرب ضد تقطيع بولونيا، بما أننا نقبل بهذا التقطيع في نفس الوقت الذي نرفضه.

ولماذا نحن نتحارب؟ للدفاع عن الديمقراطية؟ لا أثر لها. للمحافظة على حال الأشياء قبل الحرب؟ ولكنها كانت الفوضى الكاملة. لم يعد ثمة أحزاب ولا إيديولوجيات متناغمة. في كل مكان هناك امتعاض اجتماعي تسيره رؤوس الأموال؟ غير أنه ليس لهم ما يربحونه من هذه الحرب. لقد حاولوا إيقافها بقدر ما استطاعوا؛ ذلك أنهم هم صناع ميونيخ؛ لقد قبلوا بتقسيم تشيكوسلوفاكيا خوفا من الشيوعية. في سبتمبر 1939 كانت مصلحتهم متوقفة على «إنقاذ صورة هتلر»، كما صرَّح بذلك رئيس ديوان في أغسطس 1939. هم يهابون «ستالين» أكثر من «هتلر»، وهاهم الآن في حرب ضد «هتلر» وليس ضد «ستالين»؛ فهل يخوضون الحرب لإلغاء رأس المال؟ طبعاً ليس هذا هو هدف الحكومة. ومن هو الجندي الذي خرج للحرب بهذا الأمل؟ هل نحارب لندافع عن أنفسنا - أي لندافع عن فرنسا ضد ألمانيا - هل نعود للأسس القديمة للحروب القائمة؟ غير أن «هتلر» قال مائة مرة إنه لا يريد مهاجمة فرنسا. ودون أدنى شك، لا يجب علينا أن نفتخر بذلك لأن دورنا سيأتي عاجلاً أم آجلاً. فواقع الحال يقول إنه فقط لا يفكر في ذلك الآن. نعم، ولكن يجب التفكير في المستقبل. مما لا شك فيه، إذن، أننا نقوم الآن بحرب اتفاقية. بعد الإعلان لأكثر من مائة مرة أننا لن نخوضها. «إن لم يعلن هتلر الحرب علينا سنعلنها نحن عليه»؛ عبارة قالها إنجليزي للـ «التيب مونييه»، وها نحن في الأخير قد هاجمنا «هتلر»؛ حباً في بولونيا؟ دعابة كئيبة. لماذا بولونيا؟ حليف غير وفي، خاننا في سبتمبر 1938⁽¹⁵¹⁾. بلد غير ديمقراطي يتبنى أفكار الملحمة الهتلرية؟ وليس تشيكوسلوفاكيا، صديق وفي،

151 للتذكير إن بولونيا دعمت المطالب الألمانية في سبتمبر 1938 وساهمت في تقسيم تشيكوسلوفاكيا إثر اتفاقيات ميونيخ من خلال استحوادها على منطقة سيليزيان في تيشين.

جمهورية اشتراكية. لأنه كان كاف! ألم يكن كافيا حين اجتاحت الجيش الألماني براغفي مارس؟ نعم، ولكن الآن فقط يدخل في برنامجنا إعادة بناء تشيكوسلوفاكيا. هل نحن واثقون من قدرتنا على ذلك؟ ألم يقل الإنجليز أنفسهم سنة 1938 إنه، وحتى في حال الانتصار، فلا قدرة لهم على إعادة بناء هذه الدولة؟ وهل من الممكن في الوقت توحيد السلوفاك مع تشيكوسلوفاكيا؟ وإعادة السودات؟ من الذي بإمكانه أن يتوقع خريطة السلم؟ ثم لا أحد يجب البولونيين في الحقيقة رغم عن مواقف الصحافة. بعضها لا ينشغل بها، وبعضها يقول: إنهم همج نالوا ما يستحقونه. كما يقول مذيعو راديو شتوتغارت: لنخض حرب إنجلترا⁽¹⁵²⁾. لكن لماذا إنجلترا تريد هذه الحرب؟ هل يمكن تنبئ هذه التوليفة الساحرة المشهورة اليوم: نحارب للدفاع عن السلم؟ عدم خوض الحرب تلك هي الوسيلة الوحيدة للدفاع عن السلم. إنهم يحاربون للدفاع عن الثروات، عن الحرية، عن الأمة وليس عن السلم. السلم المستقبلي؟ هذه العبارة مألوفة: فإثر كل حرب هناك دائما سلم. وتظل التوليفات الغامضة: انتفاضة النعمة... وضع حدًا لتهديد العالم... إلخ.. إلخ. ها قد عدنا للعواطف، وبارحنا مجال المصالح والأفكار. «لا تحدثوني بعد الآن عن المصارف أو رؤوس الأموال، عن الاقتصاد، ومقاومة الطبقة كما لو أن كل هذا عقد سياسي. الأمر متعلق بالشراسة، بالحق، بالكذب مثل ما يحدث في رواية. متعلق بالعرب، بالحلفاء، بالوطن مثل ما هي أغنية»⁽¹⁵³⁾. نعم، هو كذلك، غير أن الحرب ليست رواية ولا أغنية. ونتيجة لذلك، ليس لنا غير أن نؤمن صمت أولئك الذين رحلوا دون حماس - فلا يستطيعون أن يفعلوا غير ذلك - تاركين للمدنيين الروايات والأغاني، محاولين أن يفكروا بشكل ذاتي في هذا الواقع القاتم الذي يتشكل من خلاهم ورغما عنهم.

لا يمكن القول إننا نحارب لأننا لا نقبل هيمنة القوة. لو قبل «هتلر» بحل سلمي لقضية دانتزيغ، ما كان يجب أن تحدث الحرب، وكنا صدقنا ملحمة تشيكوسلوفاكيا والنمسا. هكذا تكون القوة الصافية حقا من خلال تصرفنا.

152 " يعطي الانجليز آلامهم. ويعطي الفرنسيون صدورهم "ليتموتيف رلديو شتوتغارت

153 هذا ما كتبه بوليهان " عودة على 1914".

لا يجب المزج بين أصول هذه الحرب، التي سوف تكون جلية بالنسبة إلى المؤرخ، ملحقه بأسبابها غير الواضحة التي من أجلها حاربنا، كما أشرت لذلك سابقا. بالفعل، يجب التفكير في الحرب باعتبارها حدثا، شأنها شأن حقيقة دالة وشأنها شأن قيمة. ما لا يمكن الإمساك به هو قيمة هذه الحرب المتفردة.

قال الملازم مينو أمام السكرتارين إنه في حال طالعت الحرب، فإنهم لن يجدوا مواقعها السابقة عند عودتهم. اضطراب السكرتاريون، سُحَنَات للقيس. هكذا أمضوا السلم خوفا من الحرب-والحرب تخاف من السلم-من هذه الناحية أنا محظوظ لأنني موظف.

رغم ذلك أنا في الخط الأول على مرمى من مدفع العدو؛ على بعد 10 كيلومترات من رين. سوف يطلقون علينا الرصاص فورا إن أرادوا، غير أنهم لا يطلقون أبدا.

السبت 21

الأسلوب التجريبي والتقليدي لهذه الحرب بسيط جدا من الممكن تفسيره: إنه في سنة 1914 حدثت أول حرب شمولية؛ أي حرب تزعزع الأمة إلى حد جذورها وتوشك أن تستهلك رجالها إلى آخر فرد منهم. الحروب الفرنسية في القرن التاسع عشر تمت بجيوش مهنية و-باستثناء الأخيرة- خارج فرنسا: في إسبانيا، في الجزائر، في اليونان، في غريمي، في إيطاليا. لم تتأثر الحياة القومية بالحرب، كانت الحرب محسوبة بتكاليف استعراضية؛ فهي الضرورة الفخمة والاشهارية لأمة قوية. شارك فيها الأفراد ماديا بشكل قوي. لقد كانت بالنسبة لهم مهمة دائمة: ضريبة الهيبة. لا يعرفون أشياء كثيرة حول الحرب، بل لم يكن هناك شيء مهم للتفكير بشأنها: هي وسيلة ديبلوماسية، هي حل يتدخل حين تصل المحادثات إلى نقطة مسدودة، هي فرصة للبطولة بالنسبة للجنود القدامى. لا تتعارض الحرب إطلاقا مع السلم، كما لو أنها نظام اجتماعي أو أي نظام آخر. بل إن الأمة كانت دائما في حالة سلم داخل حدودها وتخوض في جهة ما في الخارج حربا قد تصل أصدائها البعيدة أحيانا إلى الداخل. كذلك، ذكريات

الحروب القومية للثورة، حارقة جدا زمن «لويس فيليب»، ثم شيئا فشيئا ازدادت حِدَّةً وأصبحت ظاهرة طبيعية للمجتمع، تراقق النظام السياسي دون أن تحدث تحويرا عليه. لقد كانت شيئا ما يشبه متوجا ثانويا فخما وبراقا في مجتمع مُنظَّم. لم تُحدث حرب 1870 تحويرا في العرض العام: لقد كانت هزيمة، لكنها هزيمة تشبه تنظيف المكان في هذا النوع من الحرب. ضريبة الحرب التي دفعتها فرنسا من السهل على صاحب بنك أن يقرضها قيمتها. قلة من الموت، حرب وحيدة، حصار طويل للباريس لكنه غير قاتل. بلد سرعان ما يقف مجددا. حقوق لكن غير مُصاب. والحقيقة أن هذا الحقد ذاته والغليان القومي الناتج عنه كان ظاهرة جديدة في فرنسا. لم يكن هناك الحقد في سنة 1815. وربما هو إحساس بالخلاص فقط. والإهانة التيلا يمكن إلا أن تطالنا حين نشعر بها خلال اجتياح ما، تتحول إلى كراهية مكتومة ضد البوربون. لن يغير هذا الحقد بشكل حسي وجهة نظر الرأي العام الفرنسي. في الأثناء، كانت الحكومة تنظَّم جيشا قوميا وتمهيتا، أو توهم بذلك، لحرب شاملة. غير أنَّ الأذهان لم تكن مستعدة. لقد دخلنا حرب 1914 بذهنية 1860. وقد وفرت بورجوازيتنا دون أدنى شك الرجال - بينما في السابق وفرت النقود. غير أن هؤلاء الرجال ذهبوا إلى الحرب وهم ينظرون إلى أنفسهم مثلما كانوا ينظرون إليها قبل خمس وعشرين سنة؛ جنودا مهنيين. ينضاف إلى هذه العواطف البالية خشية ما من الألمان، وكراهية هي بالفعل كراهية قومية. على هذا الأساس ظهرت الحرب وزعزعت كل شيء، غير أنهم لم يجدوا الوقت ليفكروا فيها وهم يخوضونها. لقد بعثرتهم حدائة عواطفهم وقوتها، بالكاد أطلقوا صراخات الغيظ. وهذه الحرب الهائلة، اللامفكر فيها، هي ما بعد الحرب التي بدأت تجترها.

لقد اجترنا هذه الحرب لمدة خمس وعشرين سنة، لقد فكرنا فيها، في كل تفصيلاتها، خضناها من موقع الرعب، وخشنا أن تعود كما هي في المستقبل. وفي نفس الوقت، كنا نعرف أنها لم تنته، وأن سلم 1918 لم يكن سوى هدنة ونحن نُعد أنفسنا ضده: لا يجب تركها تغلت هذه المرة، الانقضاص عليها، التفكير فيها وقتلها. وهاهي هذه الحرب تأتي، آثار الحرب الكبرى (لهذا السبب أنجيلها أقصر مدة وأقل

قتل). من الممكن أن نقول إنها منتظرة لا تباغتنا، وفي نفس الوقت، حالفا الحظ؛ إنها «غير موجودة». سلبية الألمان المؤقتة - نتيجة خطأ تكتيكي - لم تمنحنا فقط الوقت لكي نتجند ضدهم، ولكن أيضا أن نتجند ضد الحرب. لقد وضع «شارلروا» في 14 الأفكار في طريق منحرفة. ليست هناك أية هزيمة يمكن أن تُحرف ذهنتنا: نحن مجندون أيضا للتفكير في أخطر الكوارث. لقد وبخوا كل الذين قاموا بالحرب منذ سنة 1918 إلى سنة 1939: لقد وبخوا القواد، وبخوا من هم في الخلف، وبخوا المشرفين على السلم، وحتى المحاربين وبخوهم ومازالوا يوبخونهم إلى الآن. لهذا تنتفع الحرب العالمية الشاملة الثانية من الأولى. لكن تأكدوا من أنه لن يكون نفس الجنود ولا نفس القواد ولا نفس الديبلوماسيين ولا نفس المحاربين. إنهم بالكاد بعض الناجين من 1914 من أمثال «دورجوليس»، يركض بين صفوف المجندين يفرك يديه وهو يصيح: «لم يتغيروا، لم يتغيروا». علينا أن نترك لهم هذه المتعة⁽¹⁵⁴⁾.

لذلك فإنه مهما فعلت فأنا وُلدت لهذه الحرب. منذ طفولتي كنت -من- أجل - هذه الحرب. ليس لأنني أخوض الحرب (لا أعتقد أن جنود 1914 كانوا «من - أجل - الحرب»؛ لقد تفاجؤوا بها)، ولكن لأنني عشت بكل قواي، بدون مكابح، بدون تراجع الأعوام الخمسة وعشرين الفاصلة بينهما. لقد جعلت نفسي من أجل الحرب. حتى هشاشتي نفسها قبالتها، رفضي السيئ المتحمس الذي أعارضها به، والطريقة التي أستقبل بها، مثلما يفعل الآخرون، كل المناشير التي تعارض حرب 1914، هي طريقة للوجود -من أجل- حرب 1939. ومعارضتي للفاشية وللنازية، ثمرة تلك الفترة، ما كانا هنا إلا ليوفرا لي مبررا ملائما لخوض الحرب، في حين أن رفضي للحرب كان رفضا لحرب 1914 وليس لحرب 1939. في النهاية فإن معنى سنوات 1918-1939 يبرز اليوم: إنه بين الحريين، ولكي أكون شغوبا جدا بتلك الفترة، كنت أنا من بين كل الآخرين، رجل ما بين الحريين. وما أدراني أن

154 " كنت واثقا إنهم لا يريدون التغيير، معطف أكثر سمكا وثوبيا آخر مضحك، لكن هنا أيضا لا شيء يشجع، أرغب أن أعود شابا لأصبح صديقهم. رولان دورجيليس غرنفوار 12 أكتوبر 1939 في مقالة بعنوان "عودة للجهة".

السحر الذي أجده في أنوار باريس، سأجده في هشاشة المنازل والشوارع، ولا يحظى بمعناه إلا من خلال عالم مهدد بالحرب. وجودي - في - العالم يتضمن الحرب بوضفها إمكانية أخيرة وذاتية لهذا العالم: إمكانية أن لا يحقق حضوره أمامي، وأن يتم تعويضه بعالم آخر، وناس آخرين، ومدن أخرى، وأخلاق أخرى. كم من مرة لازمني وسواس رعب التدمير (تدمير بأسراب الطائرات الحربية، بالمدافع الرشاشة، كوارث، اجتياحات)؟ كم من مرة، وخلال التزهة، انتابني مشاعر رعب مفرقة لا لشيء إلا لأن الشوارع بدت لي عامرة، ونحلت ضماير حية تنزف؟ كم من مرة استولى عليّ الرعب قبالة هذا الأسلوب المؤقت لهذا العالم الذي أعيش فيه؟ لقد عشنا كل هذا، فلنقرأ يوميات غرين، أو تلك التي كتبها «دايت»؛ إنها نفس مشاعر الرعب. أعرف جيدا فيما يمكن أن يتقدي الآخرون: لو لم تحدث هذه الحرب؟ هل سوف تفسر الماضي بالمستقبل. لو مات «هتلر» قبل أن يقرر اجتياح بولونيا، لن تخوض هذه الحرب. لن تكون إنسان ما بين الحربين - وعلى الأقل لن تستولي عليك مشاعر الرعب. غير أنني سوف أجيب إنه في التاريخ بالفعل المستقبل هو الذي يشرح الماضي؛ ذلك أن كل ماض لا وجود له إلا إذا كان له أفق لمستقبل ما. معنى مخاوفي هو الحرب القادمة التي كنت أهابها لأنها كانت في أفق كوني كما لو أنها إمكانية الأخيرة. وهذا الخوف من الحرب يساهم بشكل ما من جهته في الإسراع بقدموها - وأن تأتي كما هي. وإن كنت كثيرا ما أدفع عني وجودي - من - أجل - الحرب، فذلك لأنه لا يعجبني تماما، كما لا يعجبني وجودي - من - أجل - الموت؛ غير أنني لا أستطيع الافلات منه: يمكنني أن أحوله فقط إلى وجود - غير أصيل - من أجل الحرب، وهذا الوجود - غير الأصيل - من أجل الحرب هو علامة الفترة؛ لأننا كنا كثيرين في هذه الحالة، ولأنه يساهم في تحقيق الحرب؛ بل يجذبها.

لقد كشفت لي الحرب تاريخي. (لعب طبيعي للمصادفات تمت تهيئتها لذلك في الأزمنة الأخيرة من قبل «آرون» و«هايدجر»، لكن هل هي فعلا مصادفات؟ أليست هي الوضعية الأوروبية التي جعلت من «آرون» رجلا حازما، ودفعته لكتابة هذا

الكتاب وكتابته بذلك الشكل⁽¹⁵⁵⁾، وأنا نفسي أليس الضغط الكبير للتاريخ - كما سماه «بول نيزان» - هو الذي دفعني لقراءتهم، ولأن أرى نفسي وفق طابعي التاريخي؟.

أسلوب عالم ما بين 18-39: لقد وضع نفسه في مقام المُدَمِّر؛ مُدَمِّر الثورة، بالحرب. (عكس الركود السعيد لـ 1900). ولم يكن العالم يقدم نفسه مُدَمِّراً فقط، بل كان يطالب بالتدميرية. لقد كان هذا أحد عناوين انتصاره وشاعريته. كان يعرف أنه عابر ومؤقت، كان يبحث أن يرى نفسه من وجهة النظر التي سوف يقيمونها من خلالها حين يكون مُكَمِّناً. لم يعد يؤمن بنفسه؛ كان موسوساً بذكرى حرب 1914 والخشية من حرب 1939. كان يسمح لنفسه بعادة أشياء لأنه يعرف أنه سوف يموت؛ ولقد عشت هذه المشاشة بشغف بالغ. كنت أعرف، كنا نعرف، أنه سيندثر. يبدو لي أن قلة قليلة من الناس أحببت زمنها في الماضي مثلما أنا أحببته؛ كنت شديد التعلق به. حين كنت في سنة 1921 أتفسح رفقة «بول نيزان» في الشوارع الفسيحة، كان من الأدب أن نعشق الفترة التي نعيشها؛ كنا نقول: «مطالبات بأضواء النيون وكشاف الأضواء والسيارات الصغيرة»؛ كانت كلمات ساحرة، كانت تُكتب بسرعة، وأعرف الآن المقصود منها: كان جهداً غيبياً نحو الحداثة (ألم يقولوا إنه قرن السرعة - كان يريدون لغة خالية من النحو، تتماشى وسرعتنا المائة والعشرين في الساعة). غير أننا كنا سُدْجاً وطيبى الضمائر: لقد تركنا أنفسنا بكل قوانا نعشق هذه الأضواء وهذه السرعات، لقد اكتشفنا الجواز ولكن مثل الفقراء: لم نكن نعرف كيف نرقص. لقد كنا نفكر أنه بإمكاننا أن نعيش مقامرات حب عجيبة علي إيقاع البانجو، غير أنه لم يكن موجهاً لنا؛ كنا صغاراً جداً، شاحيين جداً، فقراء جداً. كان للجواز بالنسبة لنا جمال فطيع وجنسي ممنوع. كنا نسمع بانحرافات فاتنة (كنا نحن نقيمها هكذا) لمن هم أكبر منا سناً، غير أننا لم نكن نملك لا الجرأة ولا الوقت ولا العفو الضروري للسماح لنا بذلك. كانت كل هذه الحياة اللافتة للنظر بعد الحرب بالنسبة لنا ساحرة خارج إمكانياتنا. حلم. رغم أن هذه الحياة نفسها تهب سحرها لكل ركن من أركان

155. المقصود هنا راييمون آرون في مقدمة لفلسفة التاريخ الصادر في السنة المنقضية.

باريس⁽¹⁵⁶⁾. كل حياتي كانت معطرة بما بعد حرب اختلست النظر إليه من خلال ثقب مزلاج؛ ثم لقد ماتت تلك الفترة بكل ما فيها: زنوج، ناطحات سحاب، عريادات جنسية جماعية، جنس حر وتراجيدي، بانجو: كل هذا أصبح مبتذلا وتافها، لكنه بقى راسخا في ذهني لأنني أحببت بشغف في كل مكان في باريس، في مينيمونتان، في مونمارتر، في مونبارناس. كان هذا في تلك الفترة التي انقضت. رأيت كل حياتي من خلالها، كان زمنا ضائعا، ليس بالنسبة إلي، ولكن من خلال رغبتني في استعادته عبر الآخرين. أولئك الذين عاشوه بكل امتلاء نجوا منه (السرياليون، «ميشيل لايريس»، إلخ). ثم ظهر شبان صغار قساة دون رحمة («بيني جان»⁽¹⁵⁷⁾، «ماكسانس»⁽¹⁵⁸⁾، إلخ) سمحوا لأنفسهم أن يكونوا قساة جدا تجاه هذه الرقة المينة. لكن أنا -نحن- كنا من جيل بينهما. صغار جدا على ما بعد حرب، كبار جدا على الحرب التي بعدها. صغار جدا لكي نتلذذ بما بعد الحرب، شيوخ طاعنون في السن لكي نقيمها بموضوعية وقسوة: في النهاية هي ما بعد حربنا. بقيت متأثرا بهذه الفترة؛ فكل حياتي وكل كتاباتي تعكسها وأحاول أن أبعث فيها الحياة مجددا. لذلك، فإن هذا العالم الذي عشته حين كنت في العشرين من عمري، بدا لي أشد هشاشة بما أن لطافته الثمينة ماتت؛ واليوم ماتت مرتين.

أعتقد أنني عشقت زمني كما عشق آخرون وطنهم بنفس الاستثنائية، بنفس

156 كتب سارتر وعمره 18 سنة: كان الاثنان ينهبان معا للأيام الصيفية ذات البهجة الجميلة يبحثان عن جمال الناس وحجارة مفترقات طرق المدينة المعروفة. وكان كل شيء بالنسبة إليهما عجيبا: إشارة ضوئية. المرور الصامت لرولس رويس كل هذا كان يملوهما بالدهشة والحبور مثل الظهور المباغت لمساحرة... "كتابات الشباب".

157. أرمان بيتي جان معلون في المجلة الفرنسية الحديثة أقل من سارتر بـ 8 سنوات رميل دراسة في بيبي انحاز ضد السلميين في سبتمبر 1938 وحاول في كتاباته اليومية أن يحدد نوعا جديدا من النضال: نشر في نفس تلك السنة الحديث وقريبه (غاليمار. سلسلة محاولات) "نعثر فيه على ذلك الحماس وتلك الحدة يمكن من خلالها معرفة صفات الشباب الحقيقي الدائم." (نقد مارسيل أرنو المجلة الفرنسية الحديثة سبتمبر 1938. من الغرب أنه أصبح مناصرا لحكومة فيشي إبان الاحتلال).

158 جان بيار ماكسنس (1906-1956) ناقد في غرينفوار. نشر سنة 1939 حكاية العشر سنوات من 1912-1937. غاليمار.

التزمت، بنفس التحيز. وأمقت الفترات الأخرى بهذا العمى الذي يجعل الآخرين يمتقنون الأمم الأخرى. لقد انهزم زمني.

كثيرا ما انتابتنى فكرة أن شيئا ما كان على وشك أن يولد بين 1920-1925: لينين، وفرويد⁽¹⁵⁹⁾، والسرالية، والثورات، والجاز، والسينما الصامتة. كان بإمكان كل هذا أن يتعلّق. ثم كل شيء تبع مصيره المتفرّق. وطالما صارت الأشياء منعزلة، كان من السهل إذن قصف رقبة كل شيء. هي لم تصنع عالما إلا في ذاكرتي.

في المحصلة، أريد أن أفكر في هذه الحرب (باعتبارها شرطنا) ضد الميكانيكية، ضد الصدفة، ضد المادية. وهي طريقة أخرى لأحي نفسي منها.

الأحد 20

بيتر: «هل هناك كربن مُملّح ومخلل هذا الصباح؟»

كيللر: «لم؟»

بيتر: «كان الأحد الماضي متوفرا».

يرفع «بول» رأسه وببرة أنيقة: «هل تعتقد أن الأشياء هنا تُدار بشكل دوري؟»

كشفت لي هذه الجملة معنى الاستياء الخفيف الذي يصيبني خلال حوارات المهندسين والفيزيائيين. تذهب في الاتجاه المعاكس للغة الأدبية والاجتماعية التي تقوم بالتشبيه. تتمثل الأناقة عندهم في التحدث من خلال الصور- كما هو الشأن عند الكاتب أو الإنسان رفيع التربية- غير أن هذه الصور تركز بالأساس على تقديم العالم البشري تحت طابع العالم الفيزيائي. من هنا: التأثير «المضحك» لهذه اللابشرية للإنسان- إمكانية حفظ دقة مفردات اللغة العلمية وصرامتها في مجال واسع جدا. حرية استعمال عبارات حكيمة بأناقة ساخرة. بطبيعة الحال، تشير النبوة إلى أنهم ليسوا أغبياء، غير أن هذا يجعلهم يشعرون بالفخر.

159 توفي فرويد في المنفى أربعة أسابيع قبل ذلك، قريبا من لندن.

«الملازم مونو»: «قله هم أولئك الذين فهموا. لم أجد سوى واحدا منهم وهو العريف الذي قال لي: لم أكن أفكر بأي شيء يخص الحياة في سبتمبر 1938، لدي زوجة وولدان؛ هكذا دون أن أخطط لذلك. تم تجنيدى وقلت: جيد؛ ها أنا ذا فهمت الآن. خلال عودتي دفعت زوجتي للتدرب على مهنة الحلاقة؛ وقد تطلب الأمر ستة أشهر. بعد ذلك، خصصت كل مدخراتي لأقتني لها محلا للحلاقة. في الـ 20 من أغسطس، قبل إعلان الحرب بقليل، شرعت في العمل فيه؛ والآن أنا مطمئن». يخلص «الملازم مونو» إلى الخلاصة التالية: «وبالتالي فمن يفعل مثل هذا الأمر هو رجل فعلا؛ لن أقول متفوقا، لأنه ليس متعلما، ولكن هذا ليس مهما...».

يتأرجح التمرد من الأسفل نحو الأعلى. لكن الأساليب الضعيفة والمنضبطة تعاني من ضغط حاد جدا، تتنقل عليها السلطات كما لو أنها عبء هائل، يفيض تمردا على الجانبين ومن حولها بشكل متساو. يعلم «المساعد كورتو» أن أباه يحتضر. يطلب رخصة لزيارته، غير أنها ترفض. لا شيء أسهل من تكليفه بمهمة إلى نانسي؛ حيث يقطن أبواه. قالوا له لا مجال لذلك. يعود مقتاضا وهو يصرخ: «حين أرى هذا.. حين أرى هذا». انتظرنا انفجارا لغيظه ضد رؤسائه، غير أنه تردد وقال: «والآن، طالما ليس هناك تكليف مهمة للإتيان بالأوراق النسخة من نانسي، كما حرت العادة في بقية الأيام، سوف أراقب كل شيء، وبالنسبة إلي سوف أقول لهم عفوا فالأوراق النسخة موجود في المحل القريب ببرومات».

هو لا يتصور أصلا أنه من الممكن أن يتمرد على رؤسائه. ينحرف تمرده عن ثوابته. ولئن أحدث فضيحة بخصوص تكليف بمهمة غير رسمية، فإنه يبحث عن تدمير أمر التكليف دون أدنى شك، والمستفيد الوحيد من تصرفه هو مساعد الضابط فقط؛ يحتاج إلى ممثل رمزي في مستوى ما تعرض إليه من ظلم لا يستطيع أن يوبخه في الرتبة التي هو فيها. كما يختار البدائيون تماما ممثلا عن الجريمة لتدمير الجريمة في شخصه. لاحظت سابقا نفس التعامل لدى «الرقيب أول نودين». يبدو لي أن هذه الثورة المُجهضة والمنحرفة للمفكرين الجيدين هي التي استعملها النازيون لتبديل الكره ضد اليهود، عوضا عن أن يكون ضد الرأسمالية. ثورة منزوعة التاج ولا تجرؤ أن تقول

اسمها. «تجذير الجماهير»؛ أي تعليمهم الاتجاه الحقيقي للثورة.

ثلاث ملاحظات مهمة لـ «طارو» (باري - سوار 21 أكتوبر):

«ها قد تم شحننا إلى حرب قد تشبه حرب القرن الثامن عشر أكثر منها حرب 1914؛ واحدة من تلك الحروب بضربات خاطفة وفترات طويلة راكدة أو، بين عمليتين، يتم الاستيلاء على أحياء شتائية...».

«على طول ما يقارب الـ 300 كيلومترا، يقيم خط ماجينو حراسته المسلحة، ويجعل الجنود الذين يؤثثونه وجودا يدفعنا إلى التفكير بشكل أقل (مثلا) في ظروف جنودنا بـ دوؤومون مقارنة ببحار على متن مركب هالك...».

تحليل أحد الضباط: «لا يتعلق الأمر بربح هذه الحرب، بل بربحها دون خسارة كبيرة في عدد جنودنا. لسنا أغنياء جدا لدفع تكاليف مجازر. حرب نخوضها بخسائر متتالية حتى ولو كانت متصرة، فهي حرب خاسرة...».

هذه الملاحظات الثلاث ذكرتها بذلك الشاعر الايطالي (أيام كانت إيطاليا شرسة، محبة للحرب): حتى وإن هزمتنا فرنسا سوف نتصر عليها أيضا؛ لأننا أكثر إخصابا. خبر مهم. نسبة الولادة في الحرب تُعتبر كما لو أنها حقيقة متوقعة إحصائيا.

حرب مفقودة. حرب شبح. أحد الضباط الذين التقوا به الطارو يسميها: حرب صينية.

الإثنين 23

إفطار مع حارس سجن (كليرفو دان لوب) في ملجئنا: جندي قصير أشقر ومجعد بأنف خانس أفتس، وفم ضاحك مغلق. أصدقاؤه (أحدهم قاتل في مسلخ، يشتغل هنا في مسالخ الجيش) يهزأ به لكن دون بغضاء: «احزروا من أية جهة هو!». وبما أننا لم نكن نعرف قال: «هو من جهة قريبة من هنا؛ حيث لا يمكن أن نذهب إلى أبعد»، «من لاغويتين؟» تساءل «بيتر». «لا، قبلها». «عليك أن تكتب رواية، قال الآخر، هل تعرف ديو ديونيه؟»، «ديو دونتيه؟» قال الجندي القصير. «هل تعلم، قال آخر،

منذ ستين! كان ديو ديونيه يقضي الأشغال الشاقة رغم براءته؛ ثم الحكم عليه مع عصابة في بونو». «لا، رد القصير، إنه ليس من جهتنا». غرق الجميع في الضحك: «إذن لقد صافحتهم بحرارة وأنت تغادر المكان!»، «قل! هل جعلتهم يتألمون، أيها الدنيء». رد بجديّة: «عندنا نحن لا يتألمون، يتألمون لأنهم عَمُّوا الحرية». وارتفع أصبع: «الحرية هي أولى الخيرات؛ لأنه الخير الأهم والأفضل عند الإنسان». لم يستغرب، بل انهمك يأكل بنهم بالغ. انتهز قاتل المسلخ فرصة التفات الآخر والتقط شريحة لحم البقر من صحنه. أخذ قطعة اللحم في يده، ليس بكل يده، ولكن بأطراف أصابعه بشكل مهذب وفني يغطي إياها بشكل من النعومة. بدا أن لديه معرفة مخصوصة بها، مثل بحار في البحر. أعلمنا أنه احتفظ لنا بكليّة عجل تركها «على طاولته في المرحاض»، وسوف يعطيها ليتم طبخها في الملجأ. وفي الأثناء، مازالوا يهزئون بالجندي القصير: «هل الجنود الذين يتصرفون بشكل حسن، يصبحون فعلا حراسا بدورهم؟»، «لا تقل له هذا، هكذا صار حارس سجن». يسخر منه بشكل مائع. لكن حين ناداه القاتل بالمسلخ «يا حارس السجن الفائق»، قال له بنعومة: «لاتنادني هكذا»، «ولكن لديك اسم هناك؟»، ورد الآخر بتواضع: «ينادوننا مراقبين».

آنذاك، أوشكت المحادثة أن تتحول خشنة شيئا ما؛ إذ قال أحدهم: «إذن أنت موظّف»، «نعم، أنا موظّف»، «سوف تستلم أجرتك الشهرية إذن بينما نحن نتبرّز من أجل لاشيء»، «طبعاً، أريد ذلك!»، «آه أيها الدنيء». إنهم يرون ذلك شكلاً من أشكال التحايل أن يكون سجاناً، غير إنهم يحسدونه على أنه موظّف. قمت أنا و«بيتر» باستجوابه، قال لنا إن قيمة سجن كليرفو، بمصانعه وورشاته المخصصة للمساجين والأديرة تُقدَّر بمليارين. يوجد به ما يقارب 1800 سجيناً من المساجين العتاة! و180 سجاناً. من بين هؤلاء الحُرَّاس الـ 180، هناك دائماً 60 في رخصة، و40 في العمل، و40 في راحة، و40 في إجازة. «ما الفرق بين الإجازة والراحة؟»، «الإجازة امتياز، إن كان هناك حالة استنفار أو سجانون مرضى يمكن أن يلغوها لك؛ أما الراحة فلا يستطيعون إلغائها؛ هي حقنا. يتنهّد: «يا لها من مهنة! ليس لأنني

حضرت القداس مرتين متاليتين هم هنا؛ وهو ما يعني أنه ليس هناك فقط مرتكبوا الجرائم العتاة. فجأة برقت عيناه شراهة: «إنهم يأكلون جيداً». يحسدكم على تعذبتهم: «كل من يشتغل يأكل جيداً». «هل لديكم كل شيء هناك؟»، «كل شيء»؛ يقول ذلك بفخر. تساءل «بيتر» قائلاً: «بارونات؟»، رد آخر في لامبالاة: «أنت تستهزئ، ولكنها الحقيقة، لقد كان عندنا الكونت دو». بل لقد شيد لنفسه في السجن جناحاً خاصاً من خمس إلى ست غرف. اعتقد «بيتر» أنهم يثيرون غيظه: «وهل سمحوا له بذلك؟ ليس نفس النظام إذن يُطبَّق على الجميع». هنا تدخل قاتل المسالخ بشكل عقلائي قائلاً: «إنه أمر طبيعي يا صاحبي؛ فبمغادرته للسجن يعود ما شيده للدولة». ونحن نغادر المكان، شرعوا في الاستهزاء به مجدداً: «قل لنا، هل صحيح أنه يتم إيلاج الأصعب في دبر السجين للبحث إن كان لا يخفي مدفعاً رشاشاً بجوفه؟»، رد السجن بسداجة: «لم يحدث أن سمعت بذلك».

يشاع اليوم أننا سوف نحصل على رخصة كل أربعة أشهر، وسوف ينطلق الشروع في التناوب بداية من الأول من نوفمبر. أسعدني هذا. شيء من الانفعال المبهج؛ فهذا يجعلني أنتظر شيئاً ما، عوض أن لا أنتظر أي شيء: تسيل الأيام فوقى بركة دبة؛ لقد أغرقني الوقت. ربما من أجل لاشيء - لاشيء إطلاقاً - في انتظار أن يتبدى لي الوقت قصيراً جداً.

بخصوص الشجار الذي دار بيني وبين «الريب أول نودين» هذا الصباح: فكرت في الحوافز والدوافع. سأحاول أن أوضح هذا عند المساء لما أكون في نوبة الحراسة. ينفعني هذا الدفتر لأنه يدريني، إن أمكنتني قول هذا، على التفكير عفوياً. لقد كنت منهجياً إلى أبعد حد. لقد كان بإمكانى أن أكتب نظرية كاملة حول الحرب بسهولة، منطلقاً من المبادئ للوصول إلى آخر النتائج. وعوض أن أضع أفكارى هنا كما تأتيني، لا أخفي أن هناك تناقضات فيما فكرت فيه حول الوجود - في - الحرب في يوم كذا أو يوم كذا. لكن الأمر سيان عندي؛ لا أريد أن أصوغ نظرية حول الحرب، إنها هي اكتشافات. والحق يقال، لم أكتشف أي شيء إلى حد الآن.

حرب مُريحة: تلك هي الكلمة التي لم يتجرأ الطارو على قولها في مقالته.

إشاعة أخرى: سوف نرحل إلى تركيا⁽¹⁶⁰⁾. مصدر هذه الإشاعة أن فرقة مجاورة لنا من المارسييليين تم إرسالها إلى سوريا.

الثلاثاء 24

الحواضر والدوافع

إليك مخطط الحادثة الصغيرة التي جرت بالأمس: وصلت الساعة 7 و30 إلى قاعة المدرسة. أبصرت «الريب أول نودين» (الذين تعودنا أن نتبادل معه سبابا وشتائم بشكل ودّي). قال لي بصوت متحجب ومُهدّد: «انظروا لهذا، انظر إلى متاعك كل شؤونك! وهذا! وهذا يا صاحبي. لا بد من ترتيب كل هذا أو سوف يتم نكاحنا جميعا». أزعجني فأجبتّه (بنبرة بدت لي حادة): «أنت بهذا الشكل تجعلني أفقد عقلي، اهتم بأمورك، إن كان لا يعجبهم متاعيفناهم سوف يسخطون عليّ أنا، ولا شأن لهم بك أنت». عندها أصابه غيظ عظيم ودمدم: «لقد طلبت منك بكل لطف أن تعيد ترتيب متاعك، وهأنت تهينني. يا صاحبي لقد كنت إلى حد الآن طيبا إلى حد الغباء معك، ولكن إلى هنا سيتغير الأمر، وسوف أجعلك تأكل القاذورات». أجبتّه: «أنت تتكلم مثل النقيب نيو». إنه لشيء مفرز أن نكون أصدقاء عندما ترغب في ذلك، وتكون قائدا حين تكف الرغبة في الصداقة. شجار عارم. يؤاخذني الرفاق على تجاوزاتي الخاطئة. ولأنتي وجدنتي محاصرا بهذا الجحود العام، جعلتني في مزاج النادم؛ وبالتالي تميز الدوافع والحواضر في سيرتي وسيرة «نودين».

1. نودين: حافر: يمكن للفوضى في القاعة أن تزعج أحد الرؤساء. سوف نتحمل جميعنا المسؤولية وخاصة المساعد والريب أول؛ فمن البديهي أن الحافر منطقي، بل هو مُدرّك في فوضى القاعة. إنه هنا، خارج علينا، مرئي ومقلق. وبطبيعة الحال، ليس الحافر هو ما يضايقني. أنا بالأساس أعرف ما هو شرعي حين أجبت: «اهتم بأمور كإن كان لا يعجبهم متاعي فإنهم سوف يسخطون عليّ أنا». أعرف أنني سئء النية،

160 أمضت فرنسا وإنجلترا اتفاق تحالف قبل أربعة أيام.

بل إن نظرة واحدة على مكاني تجعلني أرى هذا الحافز بشكل جلي. ما الذي أعنيه إذن على «نودين»؟ بالتدقيق، إنه لم يقل ذلك بشكل «مهدب» كما يدّعي؛ فهو لم يستعرض الحافز بشكل حيادي، ولكن لَوْنُه بعاطفته الذاتية. هكذا ندخل مجال الدافع؛ أي الذاتية. يزعجني الحافز لأنه متّسخ بالذاتية، غير أنه لا بد من أن أسوق ملاحظة في هذا الصدد: ليست الذاتية المطلقة لـ «نودين»، التي لا يراها إلا هو، هي ذاتية لي أنا، بل إنها ذاتية موضوعية أيضا بشكل من الأشكال بما أنه يمكنني أن أستدعي شخصا ثالثا ليلاحظ ذلك («هل لاحظتم بأية نبرة حدثني!») إنها ذاتية ثابتة في الأشياء، في مزاج الرأس، في نبرة الصوت. تُطلعني هذه الذاتية على الدوافع (من الممكن أن أكون مخطئا طبعا؛ فالأمر يتعلق بمعرفة نسبية).

الدوافع: أقرب ملاحظة «نودين» من ملاحظة أخرى تمت البارحة في شأن «بيتر» لأنه عاد متأخرا (وبعض السوابق الأخرى). لن أضيف أشياء أخرى لألخص أنه ذو طبع نَحَاب، متطلب، خواف. أتذكر في نفس الوقت أنه أبدى غيرته البارحة من «بول»؛ بول الموظف الذي يستلم مرتبته الشهري في الحرب؛ ففي الصباح في حدود السادسة وخمس وأربعين دقيقة، وأنا في طريقي لتناول إفطار الصباح، عاب علي بنبرة مداعبة أنني «أعيش عالة على الدولة». أتخيل جيدا أنه أدرك فوضى متاعي بعقلية عدم الحرص. لن يستدعي الأمر المزيد من توضيح أن الحافز، الذي ينخرط إلى حد الآن في الواقع، صار مقطوعا، معزولا، مفصّولا عن الواقع، وتبخر مدعوما بعاطفة «نودين» فقط. في المحصلة أن انزعاجي يتأتى من اتهامي له أنه تحدث عن خوف، وعن غيرة، وعن حرقة، وعن اهتمام، إلخ، وليس من أجل الترتيب الجيد للغرفة، ليتّقي مزاج أسياده السيئ، إلخ. عوض أن تندغم حركة «نودين» ضمن سلسلة النهايات المنطقية، هاهي تلتصق بسلسلة المسببات. لقد بدت لي هذه الحركة أشبه بعبثية وكذب، بما أنه يشير إلى نهاية، لكنها ليست نهاية لهذه النهاية.

منذ الآن، وقبل المرور إلى امتحان الخوافز والدوافع عندي - وهو ما سيكون أكثر تعقيدا - يمكن أن نستخرج بعض الحكم.

ما هو الحافز؟

أستنتج أولا هوية الحافظ وما سوف أسميه الوصف الفني للحركة. ترتكز هذه الحركة على إبراز لحظات الفعل ومعانيها: الطريقة التي تنشر بها الخشب، والتي نقتطع بها الحطب من أجل إعداد طبق في المطبخ، إلخ. يُسمى المصنف في الأوصاف الفنية/ التقنية موجزا فنيا. غير أنه من الممكن أن نسمي هذا الموجز الفني، في النهاية، مصنف الخوافز. بالفعل، كل حافظ يُغْلَفُ الإشارات الضرورية لتحقيق نهاية. مثال ذلك: حين يعتبر «نودين» فوضى متاعي حافظ او من واجبي أن أصلحه، فإنها يعتبره كذلك هو من وجهة نظره الشخصية وبمعناه المخصوص. ليست هذه الفوضى أي فوضى؛ بل هي فوضى في قاعة درس على صلة بالطاولات والمقاعد، على صلة بترتيب بقية الأمتعة، على صلة بالانضباط العسكري. تخطط هذه الفوضى في الجوف لترتيب ما. نحصر فوضى ركام بعض الأشياء على الطاولة من إمكانية أن تكون مرتبة تحت نفس الطاولة. لذلك ليس الحافظ شيئا آخر سوى الإمساك الحتمي بترتيب ما، قبل التخطيط للأشياء، والذي يستطيع أو يجب أن يتحقق فنيا/ تقنيا من خلال النشاط البشري (كيف يمكن النظر لفوضى متاعي من خلال وجهة نظر طرفنا العسكري؛ وهو ما يتضمن وضعها مرتبة، ولكن وفق وصفات فنية/ تقنية مخصصة، وصفات عسكرية...).

لنعتبر أن هذا النظام ما قبل التخطيط للأشياء هو تركيب من عاملين (1) * طبيعة الأشياء وعاداتها، والروابط المنطقية بين طبيعتها. عروق الخشب، مقاومة الحجر، طيات القماش، إلخ؛ (2) * الهدف النهائي من النشاط. لكن يجب الملاحظة أن التركيب صلب بما أن الطبائع المميزة للأشياء تنكشف عند الغاية النهائية في حركة النشاط ذاته. من خلال فعل قطع الحطب، ينكشف معنى أنه يجب شقه؛ وبالتالي شق عروقه. وهذه العروق لن تمنح نفسها معناها الموضوعي بشكل آخر مثل الوحدة الرئيسة لضربات الفأس. ناهيك عن أن الحافظ لن يكون معزولا؛ بل يحتوي في داخله على حوافز أكثر امتدادا، ولأكمل، هو حافظ أخير- أو بالأحرى نهاية أخيرة لم تعد حافظا، بل هي الوجود-من أجل-الإنسان. مثال ذلك: حين يريد مني «نودين» إعادة ترتيب متاعي من حولي، فهذا الحافظ هو في اتجاه وضعية أكثر عمومية. المقصود منها:

إننا عسكريون. لكننا عسكريون في «الحرب»، لأن للحرب متطلبات غير تلك التي موجودة في السلم، إلخ. في النهاية يحيل حافز ما على عالم بأكمله، وعلى وضعنا في العالم. إن الحافز هو القبض الموضوعي على بنية واقع في الوجود-في-عالم الواقع البشري وأيضاً من خلاله. توجد طبيعة الشيء في الحافز، غير أنها، وكما هي عليه، تشير لطبائع هي بدورها تشير أخيراً للشخص ومحيطه والإنسانية. لا يمكن معرفة الحافز من خلال الإدراك فقط، بل يمكن مقارنته حدمياً من خلال الشخص كلية؛ حيث يعرف، ويعاش، ويتصرف، ويتألم في ذات الوقت.

لن نستخلص من كل هذا أنه ذاتي و«في الداخل»؛ لأن التوضيب الشامل والمعقد للحوافز ليس شيئاً آخر سوى العالم كما هو حين يتكشف للواقع البشري-وليس لك أنت، وليس لي أنا، وإنما للواقع البشري. موضوعية الأشياء هي في أن تكون صالحة للاستعمال، أن تشتمل في داخلها على حوافزها؛ أي أن تكشف نفسها كإشارات نحو استعمال ما، وتعامل معه وفق الظرف. من البديهي أن يختلف الحافز حسب الوضعية، لكن الأشياء تكتشف أنواعاً مختلفة ومتكاملة حسب الوضعية. فالحافز إذن هو تركيب للعلاقات الرابطة بين مجموعة من الأشياء المحددة والمملوءة بالطبيعة، تركيب مكشوف في ضوء وضعية ما، ويشير بذلك إلى ما وراء هذه الوضعية. هو موضوعي ومُدرك في الفعل نفسه لعيش الوضعية (المقصود أن أي شخص في مثل هذه الوضعيات يستطيع - أو بإمكانه بعد تربية ما- أن يحصل على نفس الحوافز). لذلك فالحوافز في الخارج حقائق موضوعية مثلها مثل الأشياء نفسها، مثل القيم تماماً. والحوافز الأعلى قيمة هي في الخارج أيضاً، كما الحقائق الرياضية. حين يقول «آرون» مثلاً: «الحافز الذي دفعني للدراسة التاريخ يتمثل في أنني كنت أريد أن أفهم معنى أصول حزبي (حزب اليسار). يتعلق الأمر ببنية موضوعية ومتسامية للثقافة البشرية»⁽¹⁶¹⁾. يصارح نفسه بأن حزبه يجب أن يكون مفهوماً؛ وهو لا يعني سوى إحدى بنيات فعل العيش داخل حزبه. الحزب الذي يمنح نفسه له كما لو أنه والطبيعة التاريخية والثقافية للحزب مكشوفة تحت ضوء الوجود-داخل-الحزب؛ وهو ما

يتضمن أن هذا الحزب مفهوم من التاريخ. لا بد من أن يتم تسجيل هذا موضوعيا في مصنف «لفهم الأحزاب». سيكون بمثابة وصفة فنية/ تقنية. غير أن الصفات الفنية/ التقنية هي حوافز ميتة؛ بينما الحافز وصفة معيشة على ضوء وضعية ما.

ما هو الدافع؟

لا يمكن للتمتع في حال «نودين» أن يوفر لي إشارات كافية حول الدوافع. لا بد من العودة لي أنا، لكن بإمكانني أن أحصل على بعض المعلومات. استتجت في الأول أن انزعاجي لا يقوم على الحافز. في العمق، أجدني متفقا مع «نودين» حول الحافز؛ بل إنني أدرك بوضوح هذه الغوضى. وإن ادّعت أن الخطأ يقع عليّ أنا وحدي، أعرف جيدا، في اللحظة التي أقول فيها ذلك، أي شيء النية. إذن يمكن لمحادثة أن تجعلنا متفقين. لا: فما أقلقني قبل كل تمنع في الحافز، ما أوصلني لوضع إلحاحه في الشكّ هو الطريقة التي أدمج فيها الحافز في المسألة؛ ولتقل بأكثر وضوح: إنها الطريقة التي افترضت من خلالها بسرعة أن الحافز حضر في ذهن «نودين». هي إذن النبذة والظروف التي أحالني على إدراك الحافز، وطريقة إدراك «نودين» لهذا الحافز هي التي وضعت هذا الحافز في محل رتبة بالنسبة إلي. لكن ماذا يعني كل هذا؟ هل يعني هذا بالنسبة إلي أن الحافز مجرد مبرر. يمكن أن نصدق ذلك من خلال جمل من هذا النوع (كان بإمكانني أن أنفوه بها): «لقد فعل هذا لإثارة غيظي». في الواقع، لا أفكر في هذا بما أنني بالأساس أعترف بصلاحيّة الحافز. فقط أحلت أشياء مرئية للعين كي يراها هو. كما لو أنهم يقولون لي: ينظر هذا الرجل إلى زنبقات جميلة، فأجيب: نعم، ولكن لديه عينان نذلتان. وهوما لن يكون عبثيا، حين نفكر فيه، حتى إننا نصدق له للوهلة الأولى (لا نتحدث عن نظرات ملوثة). لذلك، لن يكون الدافع شيئا آخر سوى طريقة إدراك الحافز. في المحصلة، سيجيب عن سؤال: لماذا يرى؟ بد: ولكن لأن له عينين. وعن سؤال: لماذا تمسك بهذا الاتصال الموضوعي بالحوافز؟ بد: لأن له دافعا ما.

غير أنه ما دام بإمكان العين أن ترى ما هو مرئي ولا ترى نفسها، فكذلك هو الدافع؛ طريقة إدراك الحافز لا تتميز عن أسلوب الإدراك؛ فهو إدراك للحافز وليس للإدراك. هل هو إذن غير واع؟ سنرى ذلك من خلال معالجة دوافعي وحوافزي. ما يمكن أن

نراه منذ الآن، أنه يمكن أن يكون الحافزاً بديهاً وصحيحاً لنفس الفعل - والدافع مُوثَّقٌ وتافه. يحدث كل شيء كما لو أن عالم الواقع-البشري هو اتصال لا نهائي للحوافز، لاقطاع أحد هذه الحوافز أو إيقافه والإمساك به في استثناء عن الحوافز الأخرى، لا بد من عضو بصري. هذا العضو البصري لا بد أن يكون مخصّصاً لكل إمساك حدسي للحافز؛ وهذا هو الدافع. ومن هنا تظهر خلاصة فورية صالحة: ليس هناك حافز بدون دافع. من هنا التفسير المزعج لنوع من الجدل الفارغ والمخرج الجدلي: يقدمون حافزاً، ودون التفضل بمعالجته، يُتهم الدافع مباشرة. ومن الأمثلة على ذلك مثل الشيوعيون؛ حيث تقدّم لهم حافزاً بعدم الانخراط في الشيوعية أو الحذر من حركتها، وإن تعدّد دحض الحجة يمجّيون: تقول هذا لأنك بورجوازي. معهم حق: لأنني فعلاً بورجوازي (دافع) لا أريد أن أنخرط في ديكتاتورية؛ لأنها تصنع بروليتارياً (حافز). غير أن القضية ليست هنا. كان يكفيهم أن يكتشفوا ذاتية الدافع ليصلوا إلى الذاتية. (وبالتالي عدم صلاحية) الحافز. لكن، في الواقع تبقى ضرورة إثبات ذلك. هذا هو إذن تقريباً ما فعلته في مشاجرتي مع «نودين».

2. أنا: ما يهمني الآن في المحصلة خاصة، هو النظر فيما هو دافع الداخل. الدافع هو أنا نفسي، متوجساً في مركب عاطفي-نشط - عرفاني لمعيش الحافز. يتعلق الأمر بنوع قصدي، مركب، وخاص. حين أرد الفعل بشكل حيوي على «نودين»، إنها أرد الفعل على موقفه، على نبرته التي تفضح (وفق ما أعتقد) غيرته، حقارته المُدقّقة وخوفه. نفهم جيداً أنني أمسك حدسياً سيرته، ولكن ليس إطلاقاً عبر فهم حياتي وبارد، كما لو لم أكن أنا نفسي معنياً. إنني أفهم سيرته باعتبارها حافزاً لإثارة سخطي، ولأن أردّ عليه بقوة. وهو ما يعني طبعاً -لأنه لا يمكن تخيل أنني قيّمتُ تصرفه بشكل بارد وفيما بعد شعرت بالسخط -أنني من خلال سخطي ومن خلال أجوبتي الغاضبة اتخذت موقفاً يمكن تسميته رداً. طبعاً لم يكن الحافز مدروساً، لقد ظلّ حول «نودين»، بل كان «نودين» ذاته. كذلك هو تصرفي، فقد تفاعل كما لو أنه فُتّانة كاشفة للحافز، يتكيّف معه هذا الحافز بشكل يصبح فيما بعد هو مبرره، بشكل يصبح معه الحافز وحدة موضوعاتية لتصرفي ولدلالته. وإن أردنا بشكل عام العثور على حافز منسيّ لتصرف سابق، يكفي استعادة هذا التصرف في الذاكرة: هو يحمل معناه في داخله. ليس هذا صحيحاً دائماً، لكن

التصرف فقد شيئا ما، إنه كلام مبهم أضعنا مفتاحه. هذا الإدراك لموقف «نودين» من خلال هذا المركب؛ حيث تلعب الحركة أهم الأدوار فيه (من خلال الطرق، ندرك الأفضل في طبيعة المطرقة - «هايدجير») لا يمكن أن تظهر بشيء منه سوى وعي غير مطلق⁽¹⁶²⁾؛ لأنه إدراك لموقف «نودين». ليس هناك في الوقت الحاضر سوى وعي بالموقف لتوخيخه، ومعاقبته، إلخ. هل هذا الوعي إذن هو نفسه دافع حركي نحوه؛ فهي في بنيتها العقلية⁽¹⁶³⁾ إدراك ذاتي للحافز. فليكن. لكن ماذا لو لم يكن للوعي من ذاته سوى وعي غير مطلق، في هذه الحالة لن تعرف نفسها. يبقى ضرورة اللجوء إلى وعي انعكاسي مُسَبَّر وفق الوعي-الدافع. يعلمني هذا الوعي الانعكاسي مثلا أنني حاضر الآن بغضب، إلخ. يكشف لي بشكل ما ذاتيتي. غير أن هذا الوعي غير ممكن دائما، وحين نعمل أغلب الوقت على تقسيم تصرفنا، نجد أنفسنا في حضرة لعب أفعال منقضية لم يكن من الممكن معالجة رد فعلها. وإذن؟ إذن يبدو أن تصرفي ذاته، باعتباره موضوعا مرثيا، يمكن إدراكه عبر الحواس (بمعنى أسمع فيه كلماتي في الوقت الذي أنطقها، أو أرى بعض حركاتي حين أقوم بها) يحمل في داخله معنى ثان، كلٌّ مدروس ثانوي مُعطى لي في نفس الوقت مع الكل الأول أو الحافز. بهذا المعنى نقول لشخص ما: «أنت لا تصغي لنفسك». أو «انظر لنفسك في المرأة». مثال ذلك، هناك الكثير من التحامل أو الشدة في جوابي.

قال لي رفاقي إن نبرتي كانت قاسية وحادة في الشتم. بإعادة النظر في تصرفي، واستعادي لصوتي على ضوء أقوالهم اكتشفت حقا أن هناك قسوة جارحة في نبرتي، بل في كامل موقعي. بل إن بعض الجمل التي تفوهت بها بدت لي (بدت لي منذ أن سمعتها) غير ملائمة. مثال ذلك: «اهتم بما يعنك».

هاهي إذن مجموعة من العلامات التي يمكن تأويلها. ما الذي أمتلكه من أدوات لفك شفراتها؟ أمتلك آراء الآخرين؛ تلك المخزنة في أيامي السابقة («غبي» - «الكاستور») لصالح، وأيضا إعادة النظر في الوضعية بعد حدوثها بقليل. نُقدّم لي إعادة

162 أو بدون موقف (في جهة ما): وعي لا يعود على نفسه لي طرح وجود ما هو واعي به وما هو موضوع السؤال هنا في لا يطرح نفسه بنفسه باعتباره وعيا بموقف نودين.

163 انظر صفحة 114 تبويبة 1.

النظر هذه، الحافز الصافي - لكنه ميت. لم أعد هائجا، لن أدرك الحافز من خلال الحركة، بل سأدرسه ثم سأقيمه. يمكن للمسافة بين الحافز، كما ظهر لي بدم بارد، وما هو بالنسبة لي حين عشته أن تُقدّم لي الحافز⁽¹⁶⁴⁾. كيف يمكنني في هذا الظرف استعمال مجموع هذه المعلومات لإعادة بناء الحافز؟ يجب أولا - أول ما استحضرته في ذهن - أن أستعيد أقوال «غبي» و«الكاستور»؛ أنا سيّ المزاج دائما عند الصباح، فالأمر يتعلق جيدا معلومة خارجية؛ لأنه طالما أنا لوحدي، فهذا المزاج السيّء لن يبدو لي إلا كحالة شعرية شريكة معي. هذا ما أسميه سابقا وجودا «داخليا». غير أن مجرد رؤية أحد الرفاق يُخرجني عن طوري. لكنها في تلك اللحظة، هي بالنسبة لي حدس لأسلوب الرفيق، وليس لمزاجي الخاص. على هذا سوف أضيف، متابعا غوايتي في إعادة بناء الدوافع، أي كنت في مناوبة حراسة البارحة ولم أنم جيدا. ها هو إذن دافع أول: إنني سيّ المزاج كل صباح، إضافة إلى أنني لم أنم جيدا البارحة. غير أننا نرى أن هذا الدافع الوحيد المتوقع يتركب من طبقتين في الدلالة مختلفين جدا ولا يمكن هضمهما. الطبقة الأولى هي تأكيد من «الكاستور» و«غبي». وهي بالنسبة إلي طبعاً معرفة عن طريق السماع، ولها على الأقل معنى نفسي، وترتكز على ملاحظة عامة ملموسة وحدسية تعود «الكاستور» و«غبي» أن يكرراها بشكل متجدد متى أرادا. والنتيجة هي استنتاج بائن (بالمعنى الذي أشار إليه «ياسبرس»⁽¹⁶⁵⁾)؛ الارتباط: نعاس عند الصباح - سوء مزاج؛ وهذا بالفعل نوع يمكن تفهمه. الآخر ارتباط سببي: أن أقول إنني في مزاج سيّء لأنني لم أنم جيدا البارحة لا يستوجب أي فهم، ولكن مجرد مسلّمات فيزيولوجية ونهائية (من نوع: حين لا نأخذ حصتنا من النوم كاملة يسوء الأمر؛ حين يسوء الأمر تسوء علاقتنا بأنفسنا ونصير بمزاج سيّء، إلخ). الإثارة النفسية لـ «غبي» و«الكاستور» قابلة للفهم؛ لأن يقظاتي الصباحية مُدركة بشكل منطقي (عينان متوردتان، شعر أشعث، حركات تأثية وغير متلائمة). يُشكّل هذا كلاً ينضاف إليه مزاجي السيّء (خشونة - عدم تفاعل، إلخ). والجميع يفهم هذا كله. الارتباط بين نوم سيّء - مزاج سيّء (مثل أوجاع المعدة - مزاج سيّء، إلخ) هو استنتاج بسيط (بل هي غرامة بكفالة) لمتتاليات متواصلة. رغم أن الدافع المتكون من

164. يبدو إنه: كنا ننظر هنا دافعا وليس حافزا.

165 كارل ياسبرس هو بالأماس مؤلف علم النفس المرضي العام 1928.

معلومات ذات طابع مختلف واستقرارات متعددة يمكن قبوله كما تم تصوره فيزيولوجيا ونفسيا. سوف يقبل به الجميع؛ وسنرى بعد قليل ماذا يعني ذلك.

لن أقتصر على هذا الدافع الأول فقط، سوف أكتشف أنني خرجت إلى الحرب بفكرة أن أكون رجلا بين الرجال؛ أنا الذي عشت عشر سنوات من حياتي بين النساء ومعهن. أن أكون رجلا بين الرجال يعني هذا بالنسبة إلي أن أكون صلبا. تفكير غبي، لكنني لم أفكر في هذا بعمق أبدا، هي فكرة كامنة في داخلي. أن تكون صعبا فمن الطبيعي أن ذلك يعني: أن لا أشتكي، لا يجب تجنب الضربات القوية بسبب الجبن-ولكن أيضا: أن لا تترك أحدهم يدوسك بقدميه. بل لقد اكتشفت شيئا من الفظاظه بداخلي في سياق علاقتي مع رفاقي الثلاثة. هذه الفظاظه هي التي أظهرتها هنا. ماهي العلامة الموضوعية في تصرفي هذا الصباح، والتي يمكن بناء عليها أن تسمح لي بهذا التأويل؟ في الحقيقة شيء من الاندفاع للتحامل، شيء من فقدان التوازن الفوري، كما لو أن شيئا ما في داخلي كان يتهيأ للانفجار ويتنظر الفرصة. إن بدا لي «نودين» سمج الطباع، كنت سوف أقول: إنني كنت متهيئا للتحامل عليه؛ وهو ما نسميه عادة أن تكون «ساخطا» على شخص ما. لكن، وللتوضيح، ف «نودين» الشيطان الأكبر، الشرس السائب، كان يبدو لي دائما ودودا. أستخلص من كل هذا، إذن، أنني كنت ساخطا على كل الرجال. إن رغبت في ذلك، سوف أكمل هذا اللهو الصغير فأوسع دائرة تأويلي ملاحظا أنني أقصد بهذه القسوة كل علاقتي مع الشباب المحيطين بي في المدرسة العليا [للأساتذة]. كتبت وقتها رواية بطلها اسمه «فريدريك»؛ وهو نيتشوي قاس وكان «غبي» يسميني «فريدريك المهيب»⁽¹⁶⁶⁾. رأيت فيه شيئا ثابتا من طباعي. وإن أردت أن أذهب أبعد من هذا، وللقيام بتفسير من نوع التحليل النفسي، أستطيع ملاحظة ما يلي: 1* إلى حد السنة الرابعة، كنت الطفل المدلل للنساء والابن النابغة، من النوع اللطيف والمفكر، صحبة رفاق صغار مثقفين، ونفس الشيء نوابغ؛ (2* كنت في سن الرابعة أيضا معرضا للضرب والهزيمة بشدة من صغار «أشداء» في لاروشيل. آلام-أوجاع لمدة سنتين. بعد ذلك، حين وجدت نفسي في باريس، تماسكت وشرعت في الدراسة في قسم الخطابة

166 عنوان هذه الرواية: هزيمة؛ مستوحاة من العلاقات بين الشاب فريدريك نيتشه وريتشارد فاغنر كتابات الشباب.

(167)، وتعمدت أن أكون غليظا: «حتى لا يتكرر الأمر». يتعلق الأمر إذن برد فعل دفاعي، ومن موقع كبرياء طفل عانى في وقت ما من الآخرين أنداده؛ وها هو الآن يتصرف بفظاظة، ولسوف يحتفظ كل حياته بهذه الفظاظة الشرسة والمتحدية تجاه الرجال، وهذه العزيمة في أن لا ينال منه الآخرون. فليكن. غير أن هذا التفسير يفقد نسيته وهو يتوسع. في نقطة الانطلاق الأولى هناك علاقة نسيية للفهم بين فظاظتي تجاه رفاقي وتحاملي المندفع على «نودين». فهذا مقبول شيئا ما. لكن يجب ملاحظة أن الحافز «فظاظة» تجاه الرفاق، مع التفسير الذي يوضحه، (أن أظهر لنفسي أنني مرتاح مع الرجال كما مع النساء)، هو نفسه مبنيٌّ باعتباره وحدة موضوعاتية ثانوية لبعض تصرفاتي. هناك إذن هنا بناء من الدرجة الثانية. إن التقارب بين فظاظتي في المدرسة العليا وهنا هو تشابه محض وله قيمة تماثلية محض: تشابه في الوضعيات (المدرسة العليا- الحرب: حياة الأديرة وسط الرجال) تشابه في التصرفات؛ ومن هناك أستنتج عنصرا ثابتا [في سلوكاتي]. لكن الفروق هي أكثر وضوحا (في المدرسة العليا لم أكن في خطر، كنت محاطا بمجموعة من الأصدقاء الذين أحبهم؛ كما أنني كنت لا أزال وقتها في ميعة الشباب. أليس منبع هذه الفظاظة من مجرد تهور الشباب، إلخ). أخيرا، إن عدت إلى مرحلة مراهقتي، سأعادر ميدان وصف الدوافع إلى تفسيرها. ومهما كانت عدواني من حيث المبدأ ضد الأسباب النفسانية، فما أنا ذا أدمج المادة السببية للتحليل النفسي: مركب نقص -دفاع نفسي- تعويض إلخ. (وبطبيعة الحال من الممكن الذهاب إلى الأبعد أيضا). ها نحن هنا مجددا في حضور دافع هو في الظاهر واحد، غير أنه في الحقيقة مركب من عدة طبقات ذات علاقات دالة: الأولى هي ارتباط قابل للفهم -والثانية هي استقرار قائم على التشابه (محض تعميمات لترددات غير كافية أصلا) -والثالثة هي تفسير سببي قائم على نموذج آلي للتفاعلات السيكلوجية (دفع، نقل، إلخ يمكن أن تتشكل من خلال قوى). ليس هناك تجانس داخل الدافع (168).

وفي الأخير، هناك اقتراح ثالث حول الدافع تقدم به «بول» خلال المحادثة التالية

الدفتري الثالث

نوفمبر -

ديسمبر 1939

برومات-مورسبرون

مكتبة

t me/soramnqraa

12 نوفمبر (يتبع)

«... [كما] لو أن مجموع شخصيته تمّ حملها بدون نقلها من مكان إلى آخر. كان الأمر يتعلق بالنظر أكثر منه بالتنفس، بالأفكار أكثر من الأعضاء. لاشيء، لا في الداخل ولا في الخارج يتيح أن يُدرك بنفس الطريقة التي كان يُدرك بها في الماضي⁽¹⁶⁹⁾».

يبقى أن جغرافيته، روحه المجتمعية وطبيعانيته القياسية، يحرانه إلى إفساد هذا التأثير عليه: «الخوف من الخنادق متزوج محلي، مثل قملة الخنادق لا تتكاثر إلا عند الخط الأول». هذا ما يمكن تسميته بالغباء: أية حاجة يمكن أن تدفعه ليُجعل من هذا الخوف جهازا مستقلا بذاته، شبيه بدودة تحتاج إلى ظروف مناخية متميزة لتتكاثر؟ في حين أنه فهم تقريبا -فهم تماما لحظة- أن هذا الخوف كان العضو المعنى الذي من خلاله يدرك الإنسان عالم الخنادق.

169 مقولة لجول رومان (استهلال لفردين الجزء 15 ناس العزيمة الطبية فلاماريون 1938) الفقرة من كتاب رومان تبدأ هكذا: "أظهر جرقانيون تغيرا في حالته. انفعال خاص جدا سرعان ما عرفه لأن له تجربة سابقة معه. كما لو مجموع... بداية هذا النص مذكورة في الدفتري الثاني المفقود

الصفحة 12 (نفس المصدر): «اكتشف الرؤساء أنه لكي نهاجم ونعطي لأنفسنا فرصة الانتصار، فلا يمكن لأية ندرة في المادة، لأي كمال تقني للأداة اعتباره شيئا زائدا، ولن يكون كاف للدفاع. بالعكس، فالمواد الأشد بساطة، والأشياء الملقاة هنا وهناك، وحيل قديمة مثل العالم، وأكسسوارات منحطة في ابتذالها تبرز بوضوح مواردها: الأرض المحفورة برفوش بسيطة، والحقائب، والصناديق المملوءة بالحصي أو بكتل تراب، والأغصان المضغوطة في الصلصال المعروك، والأسلاك الشوكية». بصفة عامة، هذا ما دوّنته في الدفتر السابق: التدمير يدمّر نفسه. إن أردنا تدمير المدمّر (طلقات المدفعية المضادة)، نفع في فخامة الوسائل التي تحمل في ذاتها موتها الخاص. لكن إن أردنا أن ننجز عملنا بوصفنا رجالا؛ أي نتفادى التدمير، فالقليل من الوسائل كافٍ - مثل ذاك الملاذ البسيط جدا الذي يقينا من الريح العظيمة جدا. ينزع التدمير الاصطناعي من خلال نفسه ليصبح شبيها بقوة طبيعية (تبيد القذائف، إلخ)، وينزع مثل الطبيعة نحو تعويض الصدفة واللايقينية بفخامة الوسائل وعدد الحالات. بما أن التدمير أعمى فهو إحصائي.

لكل حاضر مستقبه الذي ينيره ويغيب معه؛ يصبح مستقبلا - ماضيا:

لكن أين هي مستقبلات الزمن الماضي؟

هذا هو معنى العبارة الشهيرة: «كم كانت الجمهورية جميلة تحت حكم الامبراطورية!»⁽¹⁷⁰⁾. بعد 70 سنة، مستقبل الزمن الماضي للإمبراطورية الميتة هو الجمهورية، ولا نقصد بهذا إطلاقا جمهورية «جول فرري» و«غامبتا» [ليون غامبتا]، سياسي فرنسي عن الحزب الجمهوري [1870]؛ بل هي جمهورية أخرى، كانت مستقبلا فقط وحافظت على صفتها المستقبلية وهي تتلق في الماضي. كنت في يوم من أيام الربيع الماضي أتنزه بسانت-كلود على طول السكة الحديدية، فأبصرت محطة القطارات؛ أرصفتها، سككها، وسقف فراغرمادي مرتفع الحرارة لقطارات الضواحي. عشت لمئة زمنا ماضيا: ستان قبل الآن، أصيبت الكاستور بذات الرئة

170 مزحة شهيرة قذف بها الفونس أولامؤرخ الثورة حوالى 1885.

وتم نقلها إلى عيادة سانت-كلود، كنت أذهب لزيارتها كل يوم. كان ذلك عند نهاية شغفي بـ «أولغا». كنت متوترا قلقا. أنتظر كل يوم اللحظة التي سوف أراها فيها، ولم أكن أعرف أي قرب مستحيل فيها وراء تلك اللحظة. ذلك الحب المستحيل، كان هو مستقبل تلك اللحظات التي أقضيها في محطة قطارات سانت كلود منتظرا القطار. وبالتالي فقد عشت ذلك الزمن في هذا اليوم من الربيع الأخير بشكل شاعري طاعن وناعم. غير أن ما أحياء مجددا، هو مستقبله في ذلك الزمن. ما أعيد مشاهدته مجددا هو سانت-كلود في اتجاه باريس، في اتجاه مونبارناس للقاء «أولغا». وها أنا ذا اليوم لدي مستقبل آخر، آمال أخرى، وقصص حب أخرى⁽¹⁷¹⁾. لاشيء أشد إثارة للانفعال من تلك اللحظة التي أتجاوز فيها مستقبلي الحي، باريس والناس الذين ينتظرونني في أفق سانت-كلود، لأتأمل لحظة هذا المستقبل الميت. وبالفعل هو مستقبل ميت أكثر منه متابعة لحاضر مندر، كنا ذهبنا نبحت عنه في روان السنة الماضية أنا والكاستور.

حين رحلت في سبتمبر، كان لكل لحظة مستقبلها اللانهائي والبعيد: نهاية الحرب. وهذا المستقبل البعيد والمتفكك يجعل من الحاضر ثقيلًا؛ فكلما كان المستقبل خفيفا أصبح الحاضر ثقيلًا. ثم يتلاشى هذا المستقبل شيئا فشيئا، لم يعد لي سوى مستقبل يومي ثم بعض العلامات: الزيارات، والرخصة القادمة؛ وهذا كاف لجعل الحياة محتملة جدا.

الاثنين 13 نوفمبر

عبارة رائعة تلك التي نسبها «جول رومان» إلى «مايكوسين»⁽¹⁷²⁾ (ذاك الذي لا يحب الفرنسيين ولكن يعيش بعمق باريس): «الرجال مثلهم مثل النحل، قيمة متوجهم أفضل منهم».

171. رسالة إلى الكاستور بتاريخ ذلك اليوم: الجزء الأول.

172. في استهلال لفردين.

يستولي على كل واحد منا، مساعد كان أو رقيب أو جندي، إحساس خجول عند قراءة رسالة أو استعادة ذكرى؛ حيث يشرع في الحديث عن أصدقائه، عن ماضيه، عن حياته المدنية. يقع كل هذا في صمت قبري. البقية يكتبون، ينظرون عبر النافذة غير مهتمين إطلاقاً. يبدو صوت الشخص الذي يتذكر نحيفاً، ثم ينتهي بالانطفاء تماماً بسبب استهلاكه، أما الشخص فيظل ممنوعاً، ميتاً. ترسم على شفثيه ابتسامة غامضة متضايقة، ثم يلتفت ويعود إلى العمل.

يتحدث كل من المساعد، والرقيب - أول «نودين»، والجندي عن السفر. يتحدث ثلاثتهم عن الرحيل بشكل بطولي؛ وهي بطولة تدفع بداخلهم الحماس. قال المساعد، الرجل العسكري الساخر: «بإمانك يا صاحبي» هانغ «أن تذهب وتعرف في أي وقت شئت». هانغ: «ولماذا أعترف؟».

نودين: «هل تعرف ماذا قالت زوجتك؟».

المساعد: «أنا لا أعترف؛ فلم أرتكب ذنباً».

نودين: «أما بالنسبة إلي إن اشتعلت هناك، فسوف أذهب للاعتراف».

هانغ: «أين ستذهب؟»

نودين: «بالطبع! للاعتراف».

المساعد: «لا حاجة له إلى ذلك». ثم أضاف بلهجة وقار مصطنع محاولاً التحكم في كلماته: «هناك خرق عام لكل شيء أثناء الحرب. لسنا في حاجة إلى اعتراف: مهما كانت عقيدتك أو حزبك فسوف تذهب مباشرة نحو السماء».

هانغ: «أوه! هو فردوس محمد إذا!»

انخرطوا في ضحك عام، ثم استمتعوا بفكرة أن «الرقيب - أول نيبو» البدين استحوذ عليه الخوف

هانغ: «يريد أن يأتي معنا للمراقبة».

نودين: «سترى! سترى!».

هانغ: «آه لو يأتي، أتمنى لو تنطلق الطلقات».

أنا: «نعم، بشرط أن لا يطلقوا عليك أنت - ولا عليه هو لأنه لا أحد يتمنى موته - ولا موت أي شخص».

هانغ: «نعم، على بعد مائة مترا».

نودين، بنبرة حادة: «لا يجب تمنّي الموت لأحد».

المساعد: «سترى أيها البدين: حين تنفر قذيفة على بعد عشرين مترا منك، سوف أقدم له كرسيًا وأقول له: يا «تيبو» البائس، اجلس فإنك تبدو مريضاً».

تحدثوا عن الأعمال الشريرة للبدين، وفسر كل واحد منهم الحيل التي سيفعلها له في يوم من الأيام.

نودين: «أوه، لكن! هناك شخصان أو ثلاثة هنا، لا أريد أن أذكر أسماؤهم؛ هؤلاء، سوف أنال منهم! هناك أوراق ضدهم، كل شيء مدوّن ضدهم. لا يقولون أي شيء لأن في الأمر خطورة بالغة، غير أنهم يضايقوننا كثيرا، سوف ترى! سوف تخرج الأوراق، وما عليه إلا أن يجرد من رتبته ويخلق رأسه».

هانغ: «الأشرا عادة ما ينالون جزاءهم في الأخير».

نودين: «نعم يمكنك أن تقول هذا: حين تكون شريرا فعادة ما ينقلب الأمر ضدك».

الثلاثاء 14 نوفمبر

البارحة شعرت بألم في عيني وتوقفت عن العمل. في تلك اللحظة قال لي «بيتر» إن أحد أصدقائه كتب: «إننا مدهوشون وموجوعون من عدم الفهم ومنغيرة البعض». أزعجني هذا لأنفس الشخص كتب له نفس الجملة حرفيا منذ شهر. إنه تاجر في مركز للدفاعات الجوية على بعد خمسين كيلومترا من باريس في بلد ما. بنام الجماعة في

الوحد. على بعد 500 متر من مدفعيتهم، هناك ما يقارب ستة منازل وبقالة. عشر هذا الشخص وأحد أصدقائه، وهو نادل مقهى بالكوبول، على امرأة جيدة بقيان عندها وتطبخ لهما مقابل مائة فرنك في الشهر؛ فلا يتناولان فطور الصباح، ولا وجبة العشاء، ولا ينمان مع بقية أصدقائهما. إضافة إلى هذا، وبما أنها على مقربة من باريس، فإن أخ نادل المقهى يزورهما مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع جالبا لهما دجاجة وبعض قنينات الخمر الجيد. زارته صديقتها وقضى بصحبته ليلة؛ وهو عادة ما يتلقى هدايا فاخرة. ويعد كل هذا، يستغرب ويحزن لإثارة غيره أصدقائه. أدليت برأيل «بيتر»، ولم أجرؤ على إضافة أن هذا الشخص لو امتلك عُشر المرح المهم والكريم الذي يمتلكه «بيتر»، لو شارك أصدقائه هداياه الفاخرة باحتداد ودي، لو أظهر صور صديقتها واقترح المساعدة، متحدثا عن شؤونه بشيء من الحيادية النقدية، لكان فعلا سيكون مكروها. ردَّ «بيتر» مستغزا: «هل تريد أن يكون هذا الشخص محروما من فراش خاص به، وامرأة، وأكل من أجل سعادة هؤلاء متبلدي الذهن الذين معه؟» أجبت: «طبعاً، نعم»، وأعتقد أن ما صدمه ولم يستطع صياغته والتعبير عنه بشكل واضح هو أن وجود هذا الشخص مع متبلدي الذهن يفترض واجبات إضافية. قال: «نظريا هو شيء رائع، غير أن التطبيق... أنت تعيش نظريا، أما أنا فإنني تاجر؛ رجل عملي». قتلته: «اترك الآن لمرة أخيرة حكايات النظرية والتطبيق، لست عمليا، لا أقل ولا أكثر مني، فأنت في حاجة إليّ». سرعان ما قدم «بيتر» حجة أخرى متوقعة أكثر من الأولى: «في جميع الأحوال أنت لست كذلك». كان بإمكانني أن أجيبه: «ولنفترض أنني لست كذلك وأنني خنزير، لست أتحدث عني، ولكني أتحدث عما يجب فعله». (ومن المؤكد أنه كان سيجيبني قائلا: جميل جدا أن تقول يجب فعل شيء ما، غير أنه من السهل أن لا تفعله، إلخ). غير أنني كنت متعبا وتركت نفسي أُجَرَّ في ساحة الاهتمام والمنافحة - الساحة التي لا أشعر فيها بالارتياح على الإطلاق؛ لأنه ليس من عاداتي الحديث عن نفسي، ولأن كبريائي تثور حالما يضعونني في قفص الاهتمام، أجبت إذن: «لو أتيتحت لي الفرصة أن أكون برفقة جنود المشاة»⁽¹⁷³⁾، سوف

أفعل ذلك بالتأكيد، غير أن الأمر مغاير هنا». «بدأت أعرفك، قال «بيتر»، أنت لا تريد من يزعمك، تقضي كامل اليوم وأنت تكتب، وحين ترغب في الذهاب لتناول الأكل وحدك في المطعم، لا تعلمنا حتى بذلك». قلت له: «لأنني مع بورجوازيين، لا أريد أن أذهب ليضايقني بورجوازيون، وفي النهاية ليس عندي ما يمكن أن تروه». هنا أخذت المحادثة منعطفا مفاجئا؛ فقد تساءل «بيتر» بشيء من الحدة المفاجئة: «لكن مادام نواجهك مع بورجوازيين يقرفك إلى هذه الدرجة، لماذا تبقى معهم؟». بالفعل لماذا؟ أساس المسألة هنا هو دائما نفس المشكل الاجتماعي الذي تحدثت عنه ذلك اليوم؛ دائما ذات لا يقيني العميق. أجبت بالطريقة الأسهل والأشد كارثية: «لأنني في سنة 1929 ارتكبت خطأ بانضمامي لمصلحة الأرصاد الجوية؛ وهذا غباء أعترف بذلك». قهقهه «بيتر» صائحا: «ههههه، أنت نذل إذن!». مغتظا إلى أبعد حد من انتقادهم لخطأ متقدم جدا، ومن طريقتهم لدفعي للتضامن مع الشخص الذي كتبه سنة 1929، أجبت برعونة: «لن تحاكمي بسبب حماقة ارتكبتها سنة 1929!». كانت كبريائي هي التي جعلتني أتحدث، شعوري بالتطور، وتلك الطريقة في عدم التضامن مع ما كتبه في القديم. أتوه في الحيرة كلما بدا أن أحدهم مصدوم باستمرارية أناي. بطبيعة الحال أنجذب للجواب اللاذع المتوقع: «هل تعلم لمن تشبه أنت؟ لذلك الشخص الذي سرق قطعة شوكولاتة، وبعد ثمانية أيام شرع في أكلها بشراهة وهو يقول لنفسه: إنني سارق، نذل وأشعر بتبكيك الضمير. أما أنا فلأني أكثر صراحة منك، اعتمدت على الوساطة [في تعييني]، وأنا راض عن النتيجة وأقول ذلك». أنا: «لا أعرف لماذا تسمي هذا صراحة: أنت تخفي عن نفسك أنك مذلل». بيتر: «لست نذلا. آه! في مجتمع تسود فيه العدالة، إن ارتكبت خطأ لحسابي يمكن أن أشعر بالندم، لكن في هذا العالم - هنا، أحدث نفسي أنني لست استثناء، وأن هناك خمسمائة ألف موصى عليهم مثلي، أي إذا لم أكن هنا في هذا المكان، لاحتله شخص آخر غيري. بينما أنت تقول عن نفسك إنك نذل، وهو أكثر فطنة، لكنك تستغل مثلي مزاي مصلحة الأرصاد الجوية. شخص يقول: «إنني نذل، ثم من سيرفض مثل هذه المزاي، ذاك الذي سينضم إلى المشاة، سوف أقول عنه إنه شخص صادق. لكن ما الذي يثبت أنه

شخص صادق». قال بيتر: «ثم هناك شيء ما يزعجني فيما قاله سارتر: إن سلكت هذه الجهة، عليك أن تضع نفسك في مستوى المعدمين. أنا: «لا، ولكن على مستوى الجماهير». بيتر: ثم هناك شيء آخر؛ أنا صريح بشكل دائم، سعيد أن أعلم أن زوجتي أعادت فتح محلها وهي تشتغل بشكل جيد. فهنا أيضا أنا محظوظ، لكن أنت أكثر حظا مني؛ إذ تستلم راتبك بانتظام. خلال كل هذا، هناك أشخاص لا يمتلكون من أين يتدبرون لقمة العيش، باستثناء «شُر فرنك في اليوم، وليس لنسائهم سوى تلك الإعانات العائلية. لماذا لا تمنحهم راتبك الشهري إذن؟ بول: «أتفق معك تماما». أنا: «هذا أمر آخر، هناك مزايا السلم ومجتمع تم بناؤه وفق هذه المزايا. لا يتعلق الأمر خلال السلم بشخص يتخلّى عن مزاياه؛ وهو ما يعني قطرة ماء في البحر، ولكن أن يقاوم من أجل إلغاء كل هذه المزايا (وأنا أقول هذا، فكرت في أن حضور بول الاشتراكي يدعوني إلى بلوم وزيرومسكي»⁽¹⁷⁴⁾، وعندي خلفية غامضة بخصوص جلب بول إلى صفي). ما أريده هو عدم إضافة مزايا جديدة، مزايا الحرب؛ وهو ما لا يأخذه بعين الاعتبار أي شخص. وما لم ينتبه إليه أحد هو أن المحادثة انحرفت بشكل خطير لغير صالحني بسبب رعونتي: اقتصر على القول إنه في كل وسط عسكري مخصوص، يجب ملاءمة مستوى عيش الفرد مع المستوى المتوسط. غير أن الفكرة خلال النقاش تغيرت. يتعلق الأمر بمشاركة مصير الأقل حظا لكل من ينتمي إلى المجتمع العسكري: أن لا نملك فراشا متنقلا إن كان الآخرون لا يملكون ذلك - عدم استقبال الزوجات إن كان الآخرون على الجبهة ممنوعين من ذلك، إلخ؛ وهذا يرتبط بشكل غير واقعي بلزوجة الفكرة الأولى وعدم صلابتها: فبالأساس هو مظهر فقط. وبالتالي، ولأنني فكرت بشكل سيئ، وصلت للدفاع فجأة عن المبالغة في هذه المبادئ: أن نعيش مصير الأشد بؤسا. أو ربما أنني أدرك بشكل معتم حضور مبدأ هذه الفكرة الجديدة؛ هذه إنسانية «غبي» مدعومة بشكل جيد، لكنني لا أشاركه فيها. لا يقنع هذا التفريق بين مزايا الحرب ومزايا

174 جان ريرومسكي (1890-1975) منشط بترعة (الحرب الاشتراكية) في قلب المرع المرنسي للعمالية العالمية. محرر الصفحة الاقتصادية والاجتماعية في "الشعبي".

السلم «بول»؛ فقد حرك رأسه وسكت. وفي الأثناء، استرسل «بيتر» في إثبات أنني استمتع بعدة مزايا: عندي فراش -وقد وفره لي هو- أتناول إفطاري في المطعم، إلخ، أعرف ذلك طبعاً. استعدت الهجوم مجدداً، لكن ومنذ تلك اللحظة، كنت مصدوماً: أريد أن أنال من «بيتر»؛ لأنني أريد أن أنال منه من خلال غرور مجروح، غير أنني في العمق كنت أعرف أنه نال مني. قلت له: «لقد كنت دائماً أقل قيمة من المسألة، لقد تخليت عما حدثتكَ عنه بخصوص الوعي، وكان ذلك خطأ مني، مدعياً أنها كانت مجرد كلمات وموقف بسيط - نعم. ما الذي يثبت لي أن ما تقوله حقيقي؟ ربما كان ذلك مجرد تفاعل مسرحي». كان قد أعطى ظهره إلى جهاز التسخين، محمراً، فصيحاً، قلت له (كنت جالساً في مكاني): «انظر لنفسك وقل لي من هو الممثل المسرحي هنا، أنا أم أنت؟ (سوء نية؛ فليس هذا هو السؤال، لكنني كسبت نقطة ضده لأنني جعلت «بول» و«كيلر» يقهقهان بصوت عالٍ). كان بإمكانك أن تشير إلى أنه لا شيء يثبت مصداقيتي، ولكن ليس أن تتوقف عند هذه العبارة؛ لأن حوارنا لا يقف عندها: ليس بإمكانني أن أثبت لك ذلك، وهو ليس أكثر من أنك لا تستطيع أن تثبت أن وعيك الطيب صادق. لكن، إن كنت تريد فعلاً أن تناقش مسألة، فبالعكس عليك أن تقبل بفرضية هذه المصادقية ومناقشتي على هذه الأرضية؛ فلا تنقصك الحجج». ذكرت له بعضها، واثقاً أن هذه الحجج سوف يخدمني بها ثانية بما أنني أنا الذي وفرتها له: يعتقد أنني أمتلك أجوبة جاهزة. في حين أنني لا أمتلك أية أجوبة جاهزة. أضفت: كل ما في الأمر أنك غير قادر على فهم ما معنى: التفكير في نفسك. لئن قلت لك في ظرف معين إنني تصرفت كذلك. اكتفيت باختزال كل هذا في مجرد كلمات. ألم تركم وفرت من جهد لتقييم نفسي. سأفسر لك طريقتك في التفكير: أنت ترى أنني لست ندلاً خمسمائة ألف شخص هم أنذال مثلي، أنت تفلت منك وترى نفسك شخصاً وحيداً متفرداً، تطمئن لمجرد أنك ترى نفسك ضمن طبقة اجتماعية بعينها. أنت أقل من اختبار الوعي. أليس هذا صحيحاً؟ ألم أفحمك؟ هو: «أنت فطن، طبعاً، ها قد أفحمتني». أنا: «لا يتعلق الأمر بالفطنة؛ ففي ذلك اليوم كان النقاش بنفس المستوى حين كنا نتحدث عن الزواج: كنت أتحدث من موقع القيم والتفكير، أما

أنت فكنت تتوقف دون انقطاع عند مستوى الكلمات والأفعال». بيتر: «من الآن فصاعدا سأتحاور معك سوف ألعب على الكلمات». هكذا، أجهز عليه تدخل الأخير وأسقطه: لفتُ انتباه بول و ميستر للذين دخلا القاعة قائلا: «ألا ترونه! لا يمكن التفاهم معه». ضحكات من هنا وهناك. «أوه، قال لي، أنت دائما على حق». إنها التاسعة ليلا، لذلك غادرنا المكان. تحدثنا عن شيء آخر. كنت متوترا ولم أكن على سجليتي؛ لأن انتصاري على «بيتر» كان ظاهريا فقط؛ ذلك أنه في العمق قد نال مني في الحقيقة. وهو يقف على عتبة مكان إقامته، قال لي بمكر: آه! سوف تجد الآن فراشا وثيرا؛ هذه امتيازات رائقة». قلت له: «أنت تعرف جيدا أنني نمت على القش ولا يهمني الأمر، وكم من مرة عوضتك في مناوبة الحراسة - وكنا في مارموتيه ننام جمعا على الأرض». ورغم ذلك، حين عدت و«بول» إلى الغرفة التي ننام فيها، شعرت بنفسي مثيرا للسخرية وشيها بأحدى شخصيات «دوس باسوس» (ريشار)⁽¹⁷⁵⁾، واستعدت الحكاية بأسلوب الكاتب: وتحامل سارتر قائلا إنه من الضروري أن نعيش في الفاقة لأننا كنا في حرب، واتهم بيتر لأنه حصل على ترقية. ثم أعلن أنهم كلهم أنزال بمن فيهم هو نفسه، وأنه يجب أن ينام على القش أو في الوحل مثل الجنود في الجبهة. دقت الساعة التاسعة بالضبط وكل واحد عاد إلى مرقده. حيا سارتر مضيفته واستلقى على فراش جيّد بلحاف ريش على القدمين. وسيكون ذلك ثقيلا على دوس باسوس. بقيت أجوب الغرفة، متزعجا قليلا أريد أن أستعيد المسألة مع بول لأنه يمتلك أفكارا؛ وهو ما يمنحني فرصة أن أخذه وأطمئن بخداعي له. يصغي إليّ مترددا، مجاملا، غير مقتنع، فالمسألة تعنيه في الحقيقة شخصا؛ فهو اشتراكي مناهض للحرب؛ وبالتالي ينعم بامتيازات من خلال الحرب (موظف، أرصاد جوية، إلخ). أطفئت الأنوار وبقيت مدة غير قصيرة مستيقظا قبل أن أستسلم للنوم.

يقدم هذا الفصل الفكاهي أكثر من معلومة عني وعن كل من بيتر، و بول.

عن بيتر. يبدو، على ضوء هذه المحادثة، شيها بأجل نموذج للعقلانية اللا أصيلة،

175. كتب سارتر سنة 1937 مقالة يوافق فيها هذه الرواية في صدر في المجلة الفرنسية الحديثة بعدد أوت سنة 1938 في علاقة مع ما كتبه جون دوس باسوس 1919.

هو شبيه تماما بـ«نحن» [غير المحددة] الهيدجرية. نموذج مكتمل لدرجة أنه ليس غبيا، ولديه الرغبة في الحديث والتفكير بعقلانية. إنه ثرثار لكن يشبه في ذلك اليوناني: يضع مبادئ ويستخلص منه نتائج، يعالج المسلك مقدما فرضيات ثانوية، ويرفع الاعتراضات على أطروحته التي سرعان ما يدحضها، ثم يقدم تنازلات لمنافسه المفترض ليحيد به عن منهجه ويخرج بخلاصة في الأخير. هو ليس المثل الذي يمكن أن لا نفهم ما يريد تحليله قبل أن يشرع في الحديث، بل يحدث أن نعبّر عما يريد تحليله في ثلاث كلمات، بينما يستغرق هو ربع ساعة لطرحه ولا يهيمه ذلك كثيرا؛ فهو غير معني بالإقناع أو التعليم، بقدر ما يريد أن يستمتع أطول وقت بالتوافق مع طريقته في التفكير. يبدأ أطروحاته دائما بـ: لا، لكن هذه اللا ليست بالفعل استنكارية لجملة منطوقة سابقا من أحد المنافسين وتمثل تعارضا مع تفكيره؛ بل هي لا عدمية مخصصة لنسف كل ما قيل سابقا؛ سواء كان صحيحا أو خاطئا، لإعادة المحادثة إلى نقطة البداية والبدء من جديد. بل يحدث أحيانا أن يكرر ما قيل له ويحلله مبتدئا بلا قطعية، كما في هذا المثال الذي احتفظت به لأنه نوعي: أنا: بول فوضوي، هو: «لا، فما يميز بول أنه من النوع الذي يخاف، الفوضوي...». يستمتع بالأخص في استخدام عقله التطبيقي: مبادئ الحركة، المخطط، المشاريع، التفاصيل، إلخ. يفسر مشاريعه، وعادة ما ينهي كلامه قائلا: «هل فهمت؟ هل فهمت... المسألة!»، مع وقفة مختصرة بين فهمت والمسألة. لكلمة مسألة هنا معنى مضاعف لـ كلمة لطمة، ومشروع، والأشياء المتناقش حولها؛ فهي مادة معقولة، كما نرى في عبارة «معالجة المسألة». ذلك أن هذا العقل اليهودي، الذي يتزع نحو الشجار، هو عقل اجتماعي: يحتاج إلى جمهور يسمع. هذا الجمهور ضروري؛ فهو وحده يمكنه أن يُحوّل التعرّين الصافي والبسيط للمنطق إلى «مسألة» هناك. ثمة لعب واهتمام وتهذيب في الخطابات المنطقية. كما أن صفة الاجتماعي مبرره من خلال المادة التي تنطبق عليها: عادات وتقاليده، وعلم نفس إشهاري، وتهذيب. وهو عقل بورجوازي يفكر في الناس لا الأشياء، رغم أنه ليس غبيا ولا عاجزا أمام أداة يقوم بإصلاحها أو يستعملها.

يبقى أنه ليس عقلا يعود إلى نفسه، ليس لأنه يجهل التجريد، بل لأن كل ما يشبه

فكرة أو تقييما غير معروف عنده. ليس لأنه لا يفكر أو لا يقيم، ولكن حالما يشرع في تقييم تقييماته أو التقييمات عموما، ينسف فيها المبدأ الكوني والصفة المطلقة. هذا ما تدل عليه خطابات بالأمس. بدايةً فتفكيره يختزل في مجرد كلمات. أقول إنني نادم. نعم، إنني أقول ذلك، لكن ما الذي يشته؟ إنني أفهم هنا - وهذا ما شئت تفكيرى - أنه يُقدَّر أن هناك أفعالا قد تثبت ذلك. لئن طلبت الانضمام إلى المشاة، فإن فكري صلبة وصالحة قانونيا. لكن هذه الحركات حين تحدث بدورها، فإنه يفسرها حسب مزاجه. فالشخص الذي ينجز عملا ما بأي شكل كان، من الطبيعي أن يتصرف كما يشاء. لقد صدمني في البدء من خلال طريقته التي حاول من خلالها الاستدلال على أن البطولة مسخرة: أولئك الذين نسميهم أبطالا مزاجهم هو الذي دفعهم للممارسة أفعال ما- أو لأن المناسبة أتاحت لهم. ليس للحجة أية قيمة، غير أن ما يهمني هو الميل لاختزال أي إلزام أو إجبار في ظاهرة طبيعية. بطبيعة الحال فإن الأمر هنا متعلق بأخلاق المنفعة؛ فيها أن كل واحد يتبع مزاجه، فذلك يعني أن كل واحد يبحث عن مصلحته. لكن المشكلة أنه لا يريد أن يعترف بالمزاج الفردي لكل واحد، فهو مطلق مرة أخرى، وهو معقد جدا بالنسبة إليه. فلا يوجد بالنسبة إليه إلا أشخاص. والأشخاص تم تكوينهم من خلال تقاطع الطبيعي الموروث والنشاط المهني. لن يقول هو هذا: «بول» خائف - لكن: «بول» هو الشخص الذي يخاف. ليس انطلاقا من فظاظة أصيلة فيه تجعله يختار الحيل الأكثر فظاظة بشكل غريزي، ولكن من خلال حاجة داخلية فيه تجعله يتموقع ضمن أصناف بيئة. لذلك أنا بالنسبة إليه «البوهيمي»، المونبارناسي، إلخ. ذلك أنه يفسر ردود أفعالي برمتها من خلال طبيعي البوهيمي، ومهنتي الثقافية. هذا الصباح، وبالعودة منه إلى محاورة البارحة، فسّر لي كيف يفهم وضعيتي، حيث قال: «عليك أن تفهم، أنا وأنت لسنا من نفس الفصيلة، أنا تاجر، وأنت كذلك تاجر، غير أنني أغلق دكاني عند الساعة والنصف، ولست مدينا لأحد مهما كان بحياتي الشخصية، بينما أنت يظل دكانك مفتوحا ليل نهار؛ ولهذا السبب أنت مدين للجميع بحياتك الشخصية. من جهتي، يمكنني أن أبقى في الأرصاد الجوية وأقول إنني فرح، وهذا لا يهم به أي كان. أما أنت إن دَوَّنت هذا في

كتبك، فلن يقبل عليها أحد. ولذا، مفروض عليك أن تقدم توضيحات للأفكار، كما أقدم أنا توضيحات في ما عندي من مدخرات بضائع». هكذا، فإن التفكير والأفعال، بما أنها منبثقان عن المزاج الذي ينتج أساساً عن الوراثة والمهنة والمحيط، فكل شيء غارق في نسبية كونية. تُختصر الحجة الصادمة بالنسبة إليه في نجاح فني. قد نهى عاملاً، لكن النهائي نفسها تتحول إلى نجاح عرضي وفردى. لن يقول أبداً إنه اقتنع بحجة ما وأنها حجة جيدة، غير أنني فطن جداً. يضع هو نفسه متقصداً في هذه النسبية، يذوب في الاجتماعي. شبيهاً بالكائن اللا أصيل عند «هايدجير» الذي يقول: نحن نموت، كي لا يقول: إنني أموت. ليست له من علاقة مع نفسه إلا عبر المجتمع: يتحدث عن نفسه بنفس النبرة التي يتحدث بها عن الآخرين، لكن بحنان أكثر. يقول: أنا الشخص الذي... كما لو أنه يتحدث عن «بول»، وهو ما يفترض دائماً أنه يتحدث عن نفسه عبر الأصناف. إن دافع عن نفسه ضد تهمة - لأنه لا يتصور إطلاقاً أن يتم اتهامه - يستعبد بالصف الذي ينتمي إليه، والذي يتلون حسب الوضعية قائلاً مثلاً: «هناك خمسة آلاف شخص غتبي مثلي، وإن لم أكن أنا هنا لكان شخص آخر مثلي هنا». هذه التبادلية لـ «غتبي» تقلل في عينيه، في نفس الوقت، خطأه ولامسؤوليته باعتباره فرداً. وعلى العكس من هذا، يعتبر نفسه، وبشيء من الفظاظة، كما لو أنه صاحب حق. غير أن الأمر يتعلق بحقوق اجتماعية في مجتمع ما، والقانون في يده لضمان حقوقه - وتلك الحقوق التي يمنحها له القانون. لا يحلم أن تكون له حقوق أخرى: وإن لم يعثر عليها حيث يعتقد أنها موجودة، فلن يلجأ، غير أنه يرجع كل عصارته إلى أولئك الموجودين، هو دائماً عند منتصف الطريق بين المستغل للقانون والمواطن في واجباته. يترافق كل هذا مع العمى الكامل للقيم: فهو عاجز عن تمييز الأمر الواقع للشيء. إن حدثناه عن قيمة العلاقة الحرة فهو يجيب قائلاً: «كل اللواتي عرفتهن انتهين إلى الزواج أو...». وحين أقول له إن على صديقه أن يضع نفسه في مستوى الحياة العادية لرفاقه، يردُّ: «أنت لن تفعل مثل هذا الشيء». وهذا لا شيء لأن هذا النوع من الجواب عفوي عند الجميع. لكن ما لا أحتمله هنا إنه، رغم كل جهودي التي أوفرها من أجل أن أوضح له قيمة الأمر ورغم أنه يفهم بشكل

عقلانيّ التمييز الذي أقوم به أثناء التحليل، فهو لا يستطيع تبني ما وضحته له في خطاباته ويعود بعد دقيقتين إلى نفس الحجج القديمة. فردانية ضائعة في «النحن»، نسبية اجتماعية وتسامح كوني. عقلانية التهذيب، عمى القيم عنده، وهذا هو أساس لا أصالته. ينضاف إلى اهتمامه اليهودي، إلى حاجته للمصافحة بحرارة، إلى أن يقدم خدمات بكرم حقيقي ليعتر ذلك بعد مدة مزية، إلى تطفله للثرثرة، إلى حاجته للاحتكاك بالكل وخاصة أصحاب المراتب العليا، تمثّل هذه الملامح ما أسميه دون تردد «الرايديكالية - الاجتماعية». ما يصدمني أكثر إن لا أصالته خالية من الثغرات، عكس أغلبية الناس. هي منظومة لعالم متناغم ويلا نقائص. هنا يُطرح بشكل جيد سؤال الكاستور: «لكن بما إن هذه الأصالة متناغمة، ما الذي يثبت إنها أقل قيمة من الأصالة؟» والحقيقة أنّ مقاربتها النفسية على طريقة روشفوكر تنتهي لتحوّل مربكة، ليس منها هي ذاتها، لأنها كبيرة جدا ولكن لأنها تقترح عليك مقاربة أخرى بنفس المنهج. بعد كل هذا ألسنت أكتب هذا الدفتر لأنني مفكر محترف، إلخ. دوخة التفسير باعتماد الأسباب. وبالفعل لقد تلقيت رسالة من ب تقول فيها إنّ أحدهم واسمه أولمان ولا أعرفه ولم أسمع به إطلاقا مُبرّز في الفلسفة قال: «تُعَفَّن رواية الغثيان لسارتر أستاذ الفلسفة».

حول بول. إنه لاشيء، لكنه فتنتي. على إثر محادثة الأمس. كان يحاول الزحف المتواصل داخل فراشه المتنقل، كنت قد استلقيت على خشبة الباب. كنا نثرثر فقلت له: «حين يكون المرء ضابطا، حتى وإن كان اشتراكيا، حتى وإن كان طيبا مع جنوده إلى درجة الضعف»، فذلك يعني أنّه شريك. أبدى لي موافقته بخصوص ما قلته، وقال مفكرا: «حتى وإن كان عريفا!» قلت بشكل مُهذَّب: «أوه! عريف..» - «نعم! نعم! حتى وإن كان عريفا. هل تعلم أنّي صرت عريفا رغما عني، ولم يكن هناك إمكان آخر في نانسي وقد كانت زوجتي معي. قبلت برتبتي العسكرية الجديدة وأخفيت ذلك عن زوجتي. بقي إنه لما قدم رجال الأمن لتغيير عقد تجنّيدي، كنت بالبيت وقتها. فاستلمتها زوجتي. ولك أن تتخيل ماذا فعلت بي حين عدت إلى المنزل!».

هذا ما يمكن الحديث عنه مطولا حول مرآاته وعلاقاته مع زوجته. طلب مني عنوان المجلة الفرنسية الحديثة، كي تستطيع زوجته مراسلتهم لاقتناء الجدار والغثيان لكن هذا يضايقني بشناعة لأنني أرى فيها مجاملة من زميل. قلت بارتباك: هل تعرف، لست ملزما. .. فقال لي هانتا جدا: بل نعم، بل نعم! سيسعدني كثيرا أن تقرأ لك زوجتي، وأقرأ لك خلال حصتي القادمة. أخبرني خلال هذه المحادثة أنه اشتراكي من لما كان عمره 15 سنة، وانخرط في الفرع العالمي للعمالية العالمية [حزب سياسي فرنسي تأسس سنة 1905 على إثر انصهار الحزب الاشتراكي الفرنسي والحزب الاشتراكي العمالي الثوري] سنة 1920 أمتعني ما قاله لأنه كان قد أخبرني منذ شهر ونصف قائلا: «ايه. أنا متعاطف فقط ولست من الحزب». أتوقف عند هنا اليوم، لم أعد أستطيع التفكير لأن عينيّ تؤلمانني. اليوم، عندي أفق ضيق واستحالة تركيز أفكاري، لأنه أصبح من المستحيل عليّ التركيز في شيء ما. يتابني إحساس أنني بين جدارين معتمين على يميني وعلى يساري وبين هذين الجدارين انبهار بصر المشاكل. إحساس بأن أفكاري لا تمنحني سوى سطحها وتزلق وتغوص قبل أن أمسك بها. رغم ذلك فمزاجي رائق جدا.

الخميس 16

بالأمس؛ لم أكتب أي شيء في هذا الدفتر لأن عينيّ تؤلمانني كثيرا. من حسن الحظ أنني أرى بأكثر وضوح ما سوف أقوله عني. سوف أقوله حالما يتيسر لي ذلك. اليوم سوف أدون مغامرة بول⁽¹⁷⁶⁾. لقد كان عليه أن يوصل رسالة على دراجة هوائية. كان منشغلا ومغتا. قلنا له: «ضع قبعة واحمل معك بندقيتك». ذلك ما يفترضه النظام. ما إن سمع عبارة احمل معك بندقيتك؛ انفجر في هياج متوتر، وذلك من عاداته التي لا تصدر عن شر ولكن عن خوف. قال: «آه! بندقية، لا! لن أذهب إذن. أرفض

176 الفقرة المتعلقة بالحديث عن بول تحدث عنها سارتر في رسالة إلى الكاستور في نفس ذلك اليوم الذي قال فيه سارتر إنه لم يكتب أي شيء بسبب آلام عينيه.

الذهاب». وفُسر أنه يعاني من اضطرابات في القنوات الهلالية، ولن يستطيع أن يتمالك توازنه على دراجة هوائية وهو يحمل بندقية. في النهاية أعطاه العقيد مسدساً قديماً. لا يفوتني أن ألاحظ هنا أن هذا المسدس غير ملقم بالرصاص وغير صالح للاستعمال. وهو ما أوحى لـ «بياتر» برعب حقيقي: «هاي هاي! لا يجب أن تلعب بهذا!».

انطلق بول واضعاً خوذته على رأسه. بعد انقضاء ساعة. عاد، وهو يدخل رأيت أولاً الخوذة والنظارات ثم وجهه رمادياً متسخاً كثيباً. جانب كامل من جهازته وينظرونه ملطخ بالوحل. كانت يده اليسرى تتزف دماً، أما يده اليمنى فبانّت متورمة. أراد تجنب سيارة فانخلعت سلسلة الدراجة وسقط إلى الأمام على وجهه ويديه. بدأت أفهم دور الرهاب من نفسه في كره الحرب وفي اضطرابه. إنه لشيء هائل فعلاً أن يحتفظ المرء بتوازن روحه ويامتلاك جسد وديع لا يقول أي شيء. غير أنه وهو يمضي في مهمته تملكه انطباع أنه تم التخلي عنه لجسده فقط، هذا الجسد الذي ليس بإمكانه أن يتحكم فيه إلا أثناء السلم، في الظروف المتاحة جداً والذي ما إن تم رميه في الحرب وسط أشخاص ذي طبائع خشنّة، تشقلب وقام بحيل كارثية وانتقم من الشخص الذي كان يتحكم فيه أثناء السلم.

«ليس هناك ضحايا أبرياء في الحرب» جول رومان.

استمتعت بالأمس لاستلام بطاقة بريدية من بول نيزان.

الجمعة 17

مازلت عيناى تؤلماني. أستسلم للحيرة والتوتر لأن هذا الضيق لا مبرر له. لا يتعلق الأمر بتصنع موقف إزاء اضطراب اجتماعي بل بتحمل ألم يومي معتاد دون حيرة. إنه لأمر صعب. ظلت أفكارى ضبابية شيئاً ما تفتقد للوضوح؛ بسبب خطأ إقدامى على تجميد عينيّ. ضروري هذا الوضوح بالنسبة إلى للتفكير في ألمي بشكل أشد وأصفى، كما يجب أن أفعل مع ألم في اليدين أو في الكبد. عندي انطباع أن حقلي البصري ضاق بسبب ستائر حديدية مزعجة. رغم ذلك أعتقد أنني اشتغلت على

روايتي. بعينين مغمضتين، أكتب مسودات. لكنني أنفر من الكتابة في هذا الدفتر بأحرف صغيرة - كما هو الشأن في تغيير الأحرف الكبرى ولفضاء بين الأسطر (هوس الناشرين). وهو ما ينتج عنه نوع من كسل التفكير والعجلة المتحمسة لإنجاز الاحتياجات اليومية، تلميع الحذاء، كنس قاعة المدرسة؛ إلخ. .. مما من شأنه أن يعفني من التفكير والكتابة. ها أنا ذا، أثرت أكثر من اللزوم. رغم أنني أعلم أن لدي أشياء متأخرة في هذا الدفتر. خاصة الملاحظات التي يجب أن أدونها بخصوصي فيما يتعلق بمحادثة يوم 13، وبخصوص تعريف الوجود- في - القسم وخلاصة ردود فعلي السياسية. لكن اللامبالاة العسكرية التي ينغمس فيها كل الرفاق تساعدني على الكسل، من السهل أن تعيش هنا دون الشعور بالضجر الناتج عن عدم القيام بأي شيء، فلا شيء يستحق الانتظار، بسبب الحرب. وجع العينين لا يطاق، والحيرة طاغية، بعد أن توهمت التخلص منها، وفضلا عن منغصات الحرب، هناك انشغالات الحياة المدنية: الخشية من فقدان البصر، الخشية من عدم القدرة على الكتابة، إلخ. كل هذا على نمط الاعتقاد الخيالي، طبعاً، أنا لا أجلدني غير أن مزاجي غير معتدل كعادتي به.

ما رغبت أن أقوله تحديداً، هو أنني بمناسبة يوم 13، قد تسنى لي وأنا في بروماث كونت أن أرى موقفاً لمهزج أخلاقي، أمراً هو أشبه ما يكون بإصلاح الأخلاق عبر الضحك، عدت يومها إلى بيت مضيقتي بحماسة منقطعة النظير، جاداً إلى أبعد حد، وأنا أحدث نفسي: يجب أن أنضم إلى صفوف المشاة. ولكنني اعترضت على هذا القرار المبالغ فيه، إذ لا ضير مما أنا عليه، إني أقوم بالتهريب، وهذا كل ما في الأمر. إني أجيد الأمر- وأبرع فيه.

لم يكن ما مرّ بي أكثر من تعارض أخلاقي، وضرباً من التمزق بين ما أنا عليه، وما أصبو إلى تحقيقه، بدأ الأمر بتقديم لائحة من الملاحظات، رميت بها إلى نقد رفاقي وإلى تقويم سلوكهم، لعلني كنت حاداً بعض الشيء لاذع اللسان والعبارة، ولم يكن من ذلك بد، لم أستطع أن أصد نفسي، فأطلقت لكلماتي العنان، لم أكن في محصل أمري أكثر من ذات صريحة، واجهت الآخرين بحقائقهم، دون مصانعة، أو تهيّب من ردود

أفعالهم، ولم تكن غايتي الإصلاح بالمعنى الحقيقي للكلمة، فأنا أبعد ما أكون عن تلك الغاية، بل إنني أبعد ما أكون عن أن أصلح نفسي، غير أنّ أمرين لم أكن أستطيع أن أصمت إزاءهما، أو أن ألزم الحياد، لقد صارا يزعجانني بشكل عميق، بتعلّق أوّلها، بما يطبع شخصية «بول»، من تشّتت، تجاوز كلّ الحدود، ومن خوف غير مبرّر، وأمّا الثاني فيتعلّق بشخصيّة «بياتر»، وما يطبعها من عجب بنفسه، بطريقة ظاهرها ناعم، وباطنها جشع وتضخّم في الأنف، جعله يرى في كلّ ما يأتيه من أفعال، عظمة موهومة، ويرى أنّه في كلّ ما يفعله، يحدث فانتازيا مثيرة. لك أن ترى ذلك حتّى في وقفته منتظرا أن يتزوّد بالخبز. فهذا الرّجل البدين يلحق نفسه مثل قط. وليست الطّرفات الدّقيقة لفمه أثناء المضغ سوى أدلّة على انقياده دون ضابطة إلى نفسه، فلا شيء يقيّد حركته أو ينظّمها. سأكتفي بهذا القدر من الملاحظات حول بياتر، وإن كان ما جئت على ذكره غيضا من فيض عميم، ومحصل ما أردت التأكيد عليه، هو أنّ سلوكاتهم لا تروقي، بل إنّها تثير حنقي واشمئزازي، وليست توجيهاً ناجمة عن أحكام مسبقة، وإنّما هي توجيهات جديرة بالاعتبار، فدوافعها نبيلة، وهي لا تتقصّد سلوكاتهم الظّاهرة للعيان، وإنّما تتقصّد أسبابها العميقة ودوافعها الكامنة، إنّها تروم الاستئصال، والاجتثاث، إذ أريد لها أن يواجهها نفسها، وأن يذهب بعيدا في مواجهة حقيقتيهما، دون أقنعة. هكذا إذن أسمح لنفسي أن تتماهى في التّفريع، مستمتعا بالأمر، رغم ما يحيط به من حرج، قد يسيء البعض فهمه وتقديره.

وخلافا للآخرين فإنّ ما يصدر عني من ملاحظات قاسية، يجد القبول من لدن ميستر، بل إنّّه لا يخفي استمتاعه، ولا يجد حرجا في التعبير عنه، إنّّه يجد في سخريتي عمقا لا ينتبه إليه الآخرون، وينظر إلى مضامينها فيما تحمله من أبعاد، ومثل هذا الاستحسان يشعري بالغبطة، وبأنّ ملاحظاتي لا تخلو من عمق جوهرّي، [عبارة استعملها رابليه في كتابه غارغانتيا 1534] وربّما أصبحت فظّة، عبر ضرب من الانحراف الجماليّ.

أنا مهرّج أخلاقيّ، هكذا يمكنني أن أخترل نفسي، وأن أتصالح معها دون رفض أو نفور، أستطيع بما أنا عليه أن أتحدّث دون قيد، متخلّصا من كلّ أشكال الخوف

التي تترىص بكائن مثل «بول»، إني واثق من نفسي، وواضح معها، أعرض أفكاري وأعرب عن غضبي، أستي الأشياء دون مدهانة بأسمائها، ربما كنت شرسا في نظر بعضهم، ولكنني مطمئن إلى الدور الذي أؤديه. لقد جعلني الضجر كائنا اجتماعيًا، وكوميديًا، ولعلني أحتاج إلى استفراغ شحنتي من الهيجان، حتى أبدو في مقام آخر ذلك الكائن الوديع الطيب والأليف، الذي يحظى برضا الناس. وقد وجدت فيها أنا عليه شكلا من أشكال الاستمرارية بين رفاقي، فلأنهم قد أصبحوا مصدر إزعاج فقد صار من الضروري أن أتسلى بوجودهم، أي أن أؤدي أدوارهم بعبارة، «مونتاني». أحول حضوري رفقتهم إلى عرض كوميدي، متذرعًا باستحسان «ميسنر»، أمنح نفسي مبررًا للذهاب بعيدا في الأمر، فأصنع منه احتفالا دائما في حياة بلا احتفالات.

لا أشعر بالذنب، ولست بصدد تقديم اعتذارات، فأنا أفسر، وأحاول استيضاح الأمر، إني أوصف ما يحدث، دون دوافع أو غايات، ولا أجد أن ما حدث يوم ال 13، كان خطبا جسيما، لقد استطعت أن أندارك تناقضي بسرعة، وأن أرى الأشياء بوضوح أكبر. إن ما أنا عليه هو عين الصواب، وقد عدت بحماسة أكبر إلى ملاحظاتي أوزعها دون قيد أو شرط، أقصف بها الآخرين عشوائيا غير عابئ. وأعتقد أنهم قد استأنسوا الأمر، ولعلهم يردون ما يصدر عني إلى حدة في طبعي، لا إلى ما أبشر به من أفكار.

شاركني اليوم إفطار الصباح جندي مطار، قادم من الخط الأول. حدثني أن الألمان على بعد 250 مترا، وأضاف: «كانوا في الأيام الأولى يلعبون على العشب، يعزفون الأكورديون والهارمونيكا، غير أنهم بعد أن أطلق مغربي متا الرصاص على أحدهم منذ ثمانية أيام، فأرداه قتيلا، كفوا عن اللعب، وعن العزف، وصاروا لا يغادرون مخابثهم إلا ليطلقوا علينا وابلا من الرصاص».

ختم قائلا بمرارة: «ثمة دائما من يرتكب الوقاحة ليدفع الآخرون الثمن» هي جملة كثيرة التردد كلما اقترب جندي سكران أمرا يحمل صاحب البار على إغلاق محله، لفظاعته.

لدي فضول أن أحيط علما بمعدل أعمار المجندين، لا لشيء ولكن لأنهم بدوا لي

أكثر عددا من أولئك الذين شاركوا في الحرب الأخيرة، وأنّ معدّل أعمارهم أكثر ارتفاعا. وعلى أية حال فإنّ ثلثي فرقنا على وجه التّحديد، من فئة ال 23، فيما يتكوّن الثلث المتبقّي، من فئات تعود إلى جيش الاحتياط منذ 1912، و«بول» من بين هؤلاء هو الأصغر سنّا إذ يبلغ ال 29، وبناء على ما تقدّم فإنّ المعدّل العمريّ لكامل الفرقة هو ال 36، إذ تتراوح الأعمار بين ال 30، وال 47، وقد عرفت بأنّها فرقة المتقدّمين في السنّ مقارنة بغيرها، ومن المتاح أن تتعرّث بشخص منها خاض الحرب السّابقة. ومن هؤلاء ساعي البريد صاحب الحاجبين الغليظين.

خلافًا للآخرين فإنّ النّهاية المحتملة للحرب خلال شهر، ستكون بالنّسبة إليّ مصدر يأس وإحباط، ولأنّني قد انخرطت في أجوائها في رغبة أن تأتي على الأخضر واليابس، أن تشهد أوجها وعنفوانها قبل أن يأفل نجمها.

السبت 18

عبادة طبّيّة في مشرب الجمعة هذا الصّباح، اصطلحوا على تسميتها بالإلحاق، تعرّيت شأني في ذلك شأن الرّفاق جميعهم، لقد ألزّمونا بأن نتبوّل في كؤوس البيرة. وبينما كنت في ذلك الوضع المريب أحاول الامتثال للوضع، وأنا أتقدّم ستّ جنود، يتنبّون في السّجّلات، انتابني انطباع أنّ هناك من يرمقني من الخلف. لم يكن عري الرّفاق بالأمر العاديّ، ورغم ذلك فقد وجدته مألّوفا، مؤخّراتهم وفقراتهم، انحرافاتهما، وتعرّجاتها، الكرّش الضّخمة بينا النقيب يُملي على مساعديه: سُمّنة س-م-ن-ة. انتابني فناعة أنّني كنت أراهم عراة دائما، وسكنتني اعتقاد أنّنا نعيش في عري تامّ نواريه بسترّات وتبانات زرق متّسعة. كانت الأعضاء الذّكرية تُلقى بظلالها الكثيرة في هذا الجمع الشّيقيّ. متجعّدة، لاغبة، خجولة. تحاول دون جدوى الاختفاء بين الشّعيرات. والنقيب يمسّها بإصبعه الأنيفة وهو يردّد: «اسعل». وقتها فهمت وأحببت جملة أندرية بروتون، وأحببتها: «سوف أكون خجولا جدّا أن أظهر عاريا أمام امرأة، وذكرى غير متّصب» ليس هناك مجال لمناقشة مثل هذا الأمر، فهي مسألة لياقة.

قمت بجولة في الرّيف مباشرة بعد العيادة الطّبيّة، ولا أدري كيف تسلّلت إلى ذاكرتي جولة الدّكتور فاوست حين التقى الباربيت. كنت أتقدّم رفاقي. شعرت بقرف خفيف لكثرة ما شاهدت من بساتين. لكن ما المقرّف في هذا؟ أعتقد أنّ الأمر متعلّق بها هو جنسيّ. في الحقيقة كنت أبالغ في اتّهام نفسي، لقد كان مجرد تفكير عفويّ وعرضي. ربّما كان لرائحة البول تأثيرها في هذا المقام. كان بول «بول» يفوح بالحموضة وقد انتبعت لذلك. هو نفسه كان كامدا ورماديا غير أنّ أساليب جسده ميّنة.

الاثنين 20

قضى كلّ من الجنديّ هانغ والرّقيب نودين كامل الصّباح في معاناة نفسيهما، لم يكونا في الجبهة وقد تمّ التّعامل معهما باعتبارهما محتفيين.

كاسو 48⁽¹⁷⁷⁾: متحدّثا عن أجواء 48: «ما يمكن اعتباره هنا في بدايته هو، الإيمان، فبه ينفصل الإنسان عن عقائده، وعن أديانه، حتّى تتمّ له القناعة بالدّين الذي من خلاله يكشف نفسه لنفسه كنوع، وكإنسان كونيّ، على حدّ عبارة المتصوّف اللبونيّ بالانش»⁽¹⁷⁸⁾ أو «كوجود جمعيّ» بعبارة سان سيمون. «الإنسان كما يقول السان -سيمونيين كائن دينيّ يتطوّر. للبشرية مستقبل دينيّ» مصلحة الجنس البشري (يؤكد لامارتين) مرتبطة بالجنس البشريّ نفسه». (صفحة 43)

هذا هو أساس الإنسانيّة: الإنسان يعتبر نفسه نوعا. أحاكم هذا التقليل من قيمة الطّبيعة. نوع مصيره متوقّف على اجتياح العالم وإعادة تربيته: الإنسان الكونيّ كما يحذّده بالانش. قبالة، أولئك الذين يعرفون الإنسان باعتبار العادات والتقاليد، ملامح عن طبيعته. يقوم الإنسان بالحروب دائما، العدالة هي قانون الطّبيعة، بعبارة موراس [شارل موراس صحفي (1868-1952) شاعر ناشط سياسي متأثر

177 صدر في ذلك الوقت عن كتاب 41 لجان كاسو (غاليمار سلسلة تحليل الثورات)

178. بيار سيمون بالانش (1772-1847).

بالفلسفة الوضعية منظر للوطنية الكلية] ووضعيته الزائفة التجريبية. وفي الأخير يُزج به في كل حالات الوعي السياسي: الإنسان باعتباره نوعاً بيولوجياً مع مصيره كنوع - الإنسان باعتباره حقيقة وضعية يمكن تعريفها من خلال التجارب.. لا شيء يظهر مدى أهمية المحاولة عدا ما قام به هايدجار، واهتمامه السياسي؛ تحديد الطبيعة الإنسانية كبنية جمالية، كشمولية تفقد للجوهر. من المؤكد أنه في زمن ديكرات، كان من المستعجل تعريف الذهن عبر طرائق خاصة بالذهن ذاته. لكن وحتى بهذا الشكل يتم عزله أيضاً. وكل المحاولات اللاحقة لتكوين الإنسان الكامل من خلال إضافة شيء ما إلى الذهن باءت بالفشل لأنها لم تكن سوى عمليات تجميع. طريقة هايدجار وأولئك الذين سيأتون بعده هي بالأساس طريقة ديكرات: مساءلة الطبيعة البشرية بطرق تختص بها الطبيعة البشرية/ معرفة أن الطبيعة البشرية تعرف نفسها من خلال السؤال الذي تكونه عن نفسها. يبقى أن ما نضعه دفعة واحدة لا يتمثل في الذهن وليس هو الجسد ولا ما هو نفسي، وليس هو البعد التاريخي، أو السوسولوجي، أو الثقافي، وإنما هو كل ما تقدم مجتمعا، إنه الشرط الإنساني باعتباره وحدة لا مرتبة، يتوطن فيها سؤالنا، وتتحدد ماهيته، تكون موضوعاً له. وإذا كان من خطأ أو قصور في المثالية فهو تفريطها منذ البداية في البعد الذهني، وانشغالها عن أسباب حضوره بالكمليات، شأنها في ذلك شأن المادية والطبيعانية، اللذين، سلماً باعتبار الإنسان كائناً متمحضاً لطبيعته، وقصراً النظر إليه على أساس أنه جزء من تلك الطبيعة.

إن تصور الإنسان كنوع طبيعي، يعد خطأ جسيماً، باختزاله الكينونة الإنسانية في بعد واحد، دون الانتباه إلى حقيقته الجوهرية، لقد كان من الضروري التركيز على الحقيقة الإنسانية، باعتبارها شرط الوجود الإنساني، سواء في العالم، أو فيما يعيشه من وضعيات خاصة. لقد كان لفكرة النوع البشري، آثارها السلبية، فقد أحدثت ضرراً لا يصدق، كانت له تداعياته، ومن ذلك أن «ألكاستور» نفسها، قد نهت في إحدى المحادثات إلى انبثاقها في السلسلة اللامتناهية للزمن على مرجعيتين، في علاقة بظهور النوع البشري في الماضي، أو في المستقبل، وبغايه في المقابل، وفي علاقة بما يشهده العالم من فتوحات علمية كبرى، ومن تيارات فكرية ومدارس أدبية، غيرت نظرتنا إلى

العالم وإلى الإنسان، وبما هو قائم من احتمالات مزعجة باعثة على الضجر، من قبيل، انطفاء الشمس، واصطدام أحد المذنبات بالأرض.

يعاني «بياتر» من الإسهال، إنه يخلق بعينين كبيرتين بائستين، كلما نظرت إليه، وهو كثير التذمر، يفعل ذلك بكثير من الجشع، ويجد فيه نوعا من المتعة، التي حرمتها منها.

رسالة من بولهان: «يستوجب القائد مارشا آلن في بيته، بشكل مهذب جدا»⁽¹⁷⁹⁾، بمجرد أن وقعت عيناى على عبارة «سلم» في المنشور، وقعت دون أن أقرأ البقية.

لم تشهد الحرب انفلاتا، يضاهي ما هي عليه الأيام، أفتردها بحدة، لأنني في غيابها لا ألوي على شيء، ولن يبقى من معنى لوجودي هنا.

صدر في الجريدة الرسمية قرار يخص المعتقلات في فرنسا، ومن المرجح أن يتم عزل الموظفين دون محاكمة. فما الذي يريدون لي أن أدافع عنه، إذا لم يكن الحرية؟ (14).

كتبت ل «بولهان» رسالة غيبية، لم أرسلها، ولكنني قررت أن أنسخها من باب الشجاعة هنا، فقد وجدت ذات طابع روحي. أستقر اللحظة بقرية صغيرة، حيث أشتغل على روايتي: إنني حر تماما ووحيد جدا: قد يضايقني في خلوتي أن يطلق الألمان نيرانهم علينا، ولكن سيكون في ذلك إيذان بانديلا حرب جديدة، وسيكون سارتر على حدّ عبارة فوديل، سارتر آخر⁽¹⁸⁰⁾. إن هذا الأمر لشبيه بقضية أوستريك⁽¹⁸¹⁾ وبفلسفة برونشيفيغ⁽¹⁸²⁾. ليس هذا من باب التكريم لشخصه، ولكن

179 مثل جان جيونواتهم آلن بتوقيع منشور داعية السلم لويس لوكوان الذي تم توزيعه في مستمير 1939 كان عنوان هذا المنشور سلم فورية.

180 تلميح لجملة وردت في مقال نقدي لجان فوديل حول قصة الجدار صدر في عدد أكتوبر 1939 بالمجلة الفرنسية الحديثة: "وماذا لو لم يضحك رغم ذلك (إبيطلا)؟ [إبابلو إبيطلا الراوي والشخصية الرئيسية في قصة الجدار لسارتر] كيف يمكن الشك في ذلك إذا سيكون حتما إبيطلا آخر وتكون الجدار قصة أخرى وسارتر سارتر آخر."

181 فضيحة مالية حدثت في الجمهورية الثالثة (1929).

182 تم تفسير هذه المقارنة في الدفتر الأول ص 151.

لكل فترة حربها التي تستحقها. لقد بلغني أنّ بيتيجان قد أصيب، وقد منحت الخطب ما يستحق من العناية، ولم أكن أتصور حدوث الأمر بشكل مغاير، ليكون بيتيجان، بيتيجان آخر. ولو أخذنا بعين الاعتبار عدد المصايين يوميًا، لأدركنا كم هو محظوظ، ومثل هذا الأمر يعزّز إيماني بالقدر⁽¹⁸³⁾. بحب كبير استلمت المجلة الفرنسية الحديثة التي أرسلتها لي. وبدهشة كبيرة قرأت حوليّة كايردال [حوليات كان يكتبها الكاتب والشاعر أندريه سواريس، صدرت في كتاب عن دار غاليلار أعيد طبعه عدّة مرّات]. وإني لأتساءل ألا يوجد من بإمكانه أن يلتبس عند السيد سواريس؟ هذه الحرب صغيرة جدًّا ومتفنة جدًّا، وساذجة قبالة مثل هذه اللعنات. لقد مررت مثله ناحية روتنبرغ وبدالي أنّ الصّبية الصّغار يسخرون منّي: وهو ما يتعلّق بنوعيّة النّاس⁽¹⁸⁴⁾."

رسالة عبثية وسمجة، ولكنها ليست بسيطة، أو غير ذات أهميّة، متى نظرنا إلى الأمر، في سياق ما يذيعه عني من أخبار مهينة وما يسبّه لي من أذى، فمن الطّبيعيّ أن أخلع عني طيبي وبساطتي، في مقام الرّد على بولهان. أحاول أن أكون مختصرًا وقاطعًا بشيء من التّهذيب. مسأيرا ما تدّعيه المجلة الفرنسيّة لنفسها في علاقة بالمتلقّي، مانحا إياه ثقتي المزيّفة. وأعتقد في هذا السّياق جازما أنّ بولهان لن يدرك من

183 في نظر جان بولهان، سارتر وبقي جان هما كتاب المستقبل كتب في أوت 1938 لروجه غالوا. "بودي لو يتكون في المجلة الفرنسية الحديثة ما يمكن تسميته لجنة: سارتر، بقي جان وأنت "يرز سارتر هنا شعورا غربيا للنفاس الأخوي إزاء بقي جان وهو ما يوحى أنّه يعتبر بولهان في تلك اللّحظة بمثابة أبيه

184. لم يكن سارتر القاري الوحيد للمجلة الفرنسية الحديثة المجند الذي تثيره حوليات أندريه سواريس في 18 نوفمبر كتب جان غرينيه لبولهان: "إن ما يكتبه سواريس هو دون أدنى شك صائب التعبير أخرق ويدعو للاعتقاد أنّ كاتبه أحق. "يشتم سواريس هتلر بنبرة هيجان نبوي ناعنا إياه بالحيوان القهامي وكذلك جميع الألمان صغارا وكبارا و" شعب الضباع والقمور ". يشعر غرينيه سارتر وآخرون أنّ " حوليات كايردال "هي أشبه " بعشو دماغ "خاصة وأنّ المعركة لم تندلع بشكل رسمي. وانتهى الأمر ببولهان - الذي لا يشارك الآخرين نفس الرأى حول الحوليات - إلى تحذير سواريس من الاحتجاجات التي أثارها الحوليات بين قراء المجلة: " لا أستطيع أن أخفي عليك. ما يكتبه بالخصوص أصدقاؤنا في الجهة؛ فمنذ الأمس بلفتني ثلاث رسائل تقول: نرغب أن يتحدث سواريس بأقل حدّة عن هتلر وعن الحرب... "كارانس جان بولهان غالهامار 1987 رسالة 22 نوفمبر 1939)

الوهلة الأولى المقارنة التي أجريتها بين الحرب وفلسفة برونشيفتش. يستوجب الأمر شرحاً مبسّراً لبعض الكلمات والإحالة على ما تنقّصه من دلالات، ولكنني أترفع عن ذلك، لأنني أثق فيه بشكل مزيف، مراهنًا على أنّه سيفهم شيئاً ما، وأنّه سيعتمد بالتوازي على تفسيرات متعارضة، من شأنها أن تمنح جملتي أثناء كتابتها عمقاً شهياً وضرباً من الغرابة. يدخل هذا الرّهان في باب تعميم منظومة تزييف الثقة وإبصاها إلى كلّ القراء الممكنين، التي تروّج لها المجلّة الفرنسيّة الحديثة، مع ترك حريّة التصرف في صنع الحواشي النقديّة. صار يزعجني الحديث المتكرّر لبوهان في كلّ رسائله عن بيتيجان، فقد أكّد لي في رسالته الأولى ما كابده فيلقه من صعوبات، وأنبأني في الثّانية بإصابته، إنّهُ بطل المجلّة الفرنسيّة الحديثة ولا أحسده على ذلك أو أغار من نجاحه. ولكنّه يحرص في رسائله على نوع من التشويق، الذي زاد عن حدّه، يدفعني إلى مواجهته بكثير من التّهكم والسّخرية، سلاحَي الوحيد في معركة لا رابح فيها، ولا خاسر.

ثمة ما هو أشدّ ممّا تقدّم، فأنا أشعر عميقاً بولادة حقوق أريد أن أخنقها. هي حقوق جديدة. حقوق المحارب، ولنقل بكلّ تواضع إنّها حقوق المجنّد. هناك شكلان لحقوق المجنّد: -متعارضان. الضرب الأوّل منها هو تلك الحقوق الصّافية وهي أبعد ما تكون عن شخصي المتواضع، من قبيل، المطالبة بإعجاب المدنيّين واعترافهم، بما يشعر المرء بأهمّيّته فيخيّل له أنّه بطل. الجندي الذي تمّ استدعاؤه قبل الحرب، لقطع رخصته في 15 أوت يمدّ ساقيه على مقعد في عربة القطار ويردّد: «نحن الذين سيقتلوننا». وفي مقابل ذلك نجد الشّعور بباهية أخرى، ذلك أنّ المدنيّين ينكرون عليهم حقّ الحديث عن الحرب، سواء ذكروها بسوء أو بخير، فلا يحقّ لأحد الحديث عنها إلّا إذا خاضها. ولأنّها حربيّ فم حقّي أن أقلّل من قيمتها، وأن أترك المجال للآخرين حتّى يروها مرعبة، لأنّهم لم يخوضوها، من حقّي أن أقلّب نظام اللّعبة، أن أضع نفسي في صفّ الضّعفاء ضدّ الأقوياء، فقد كان يفترض بالنظر إلى قناعاتي أن أكون بينهم، أن أكون في صفّ الزّوجة ضدّ الزّوج، في صفّ الطّفل ضدّ العائلة، في صفّ التلاميذ ضدّ الأساتذة. وخشية من أن أكون جزء من نخبة متزوّدة

بحقوقها، نخبة «المجتدين»، أشعر بميل يولد في داخلي لأكون في صفّ المدنيين ضدّ المحاربين بما يسعفني لأقول لهم: «لا تكونوا طوباويين، واهمين، فالأمر ليس بالقسوة التي تتصوّرون، ليس عليكم أيّ واجبات نحونا» لن يكون هذا سمجا جدّا لو كنت محاربا بالفعل. لكنني في النهاية، لست محاربا بل مجرد مُجنّد. لو كنت محاربا لذهبت بعيدا في هذا الميل الداخلي، ولكن لأنني لست كذلك تماما، فليس عليّ سوى أن أجم فمي.

الثلاثاء 21

بفضل كاسو أمسكت بالمنطق الحقيقي وبالتطوّرات الجدلية لفكرة الإنسانية التي حدّد ظهورها خلال ملكيّة جويلية. يُذيب الذهن التحليلي للقرن الثامن عشر التجمّعات في الأفراد. الثورة الفرنسية، ثورة تحليليّة نقدية، بمعنى أنّها ترى المجتمع كما لو أنّه عقد بين الأفراد. يعاود الذهن التأليفيّ الظهور مع ماستر وبونالد، في تعارض صريح مع الذهن التقدي، الذي يعتبر التحليل تدميرا للفكرة، ومثال ذلك أنّ الذهن التحليلي الذي يرى في الملك شخصا ما جالسا على عرش. يدمر فكرة الملك، والملكيّة في تقدير الذهن المحافظ، ومن الممكن ترجمة الانتصار النظري للذهن التأليفيّ في السياسة بانتصار التفكير المحافظ على التفكير الثوريّ. يصبح المجتمع تحت سلطة تراتبية الأشكال غير القابلة للانحلال. إن تمكّنت القوة الثورية من قلب المؤسسات الملكية، ذلك أنّ الذهن التحليلي استطاع أولا أن يذيبها بنسف معناها. لأنّه باختزال هذه المؤسسات في عناصرها الأولى، يفرأها من معناها القابع في شموليتها غير القابلة للانحلال. يتشكّل عند المحافظين والثوريين تحت تأثير النظريات الرسميّة الكبرى انفصال بين الذهن التحليلي والذهن الثوري. تظلّ الدوافع لتغيير البنية الاجتماعية وتحتدّ لكن من الضروري تغيير الحوافز.

لقد تمّ تهشيم الذهن التحليلي، وما تبقى منه احتكره الليبراليون الفولتاريون. سوف تطلب المعارضة الجديدة من الذهن التأليفيّ توفير حوافز. يستعمل المحافظون الذهن التأليفيّ حين يعلنون أنّ الكلّ غير قابل للتحويل إلى عناصره - وبالتالي

فالمجتمع غير قابل أن يتحوّل إلى أفراد. لن يفكر الثوري أبدا مثلما كان يفعل سنة 1789 في المطالبة بحقوق الفرد. تخلّى عن هذا التّصوّر الباطل للعالم والتّانخنج⁽¹⁸⁵⁾ التحليليّة التي تمّ إنهاك أداتها الأساسيّة. لن يعارض الكلّ بعنصره، ولا المجتمع بأفراده. بالعكس سوف يبحث عن تأليفيّة أكثر اتساعا تلمّ مختلف المجتمعات بداخلها، بشكل يسمح لهم أن ينقدوا كلّ واحد من هذه المجتمعات لتبرّدها على الكلّ الجمعيّ. لقد تمّ العثور باكرا على الموضوع التّأليفيّ، متمثّلا في الإنسانيّة، غير أنّ عبارة الإنسانيّة هذه تحتل أكثر من معنى. ويتمحور المعنى الحديث على أنّه لم يتمّ إمطة اللّثام عن الشرط الإنسانيّ لكلّ فرد. تبعا لذلك، فالإنسانيّة هي بالضرورة الكلّ التاريخيّ للنّاس الذين عاشوا، والذين يعيشون والذين سيعيشون. وهو ما يسمح للثوريّ والمحافظ، على حدّ سواء أن يتقاطعا في معارضة ملكيّة أو قوميّة، لما يجمعهما من مشترك إنسانيّ.. وما هي الإنسانيّة آخذة في التّموّ بتاريخها، من اللّحظة التي وقعت فيها تسمية الإنسانيّة والتّفكير فيها ككلّ. ليس هناك من تاريخ إلّا في الإنسانيّة. من الممكن أن يفتح هنا أيضا باب على الشرط الإنسانيّ.. التّصوّر الوحيد المتسامي بالتّاريخ الذي عثر عليه هو: النّوع. وهذا المفهوم للنّوع وفّرته له البيولوجيا. وهي مصحوبة بالضرورة بالفكرة الإضافيّة للككرة الأرضيّة، بما أنّ النّوع يتحمّل شرطه الدّائيّ. ويكمن هنا تفهقر مضاعف: ذلك المتعلّق بالشرط الإنسانيّ وبالعالم في الكرة الأرضيّة. غير أنّ ما يؤتس للمفارقة، رغم أنّه مشترك في الجملة، أنّ التّصوّرات المتفّهرة لم يتمّ النّظر فيها بعد. يعدّ التفهقر تاريخيّا سابقا على المفاهيم والمفاهيم المضادّة. فالأصالة موجودة قبل الأصالة. ومن خلال فكرة النّوع، تمّ إلقاء الإنسان خارج نفسه، وليس في العالم وفق المعنى الهيدجيري، ولكن في قلب العالم، وبالتّحديد على الأرض. وخجل ارتباطه بالعالم مُستشعر، لكن تحت شكل متفهقر للتّعاش بين الأرض والكون الفيزيائيّ. بهذا المعنى يمكن لبالانش الحديث عن فكرة «الإنسان الكونيّ»، وما يقع في سلسلتها من تسميات وأفكار، من قبيل فكرة الحيوان الكونيّ، وفكرة الوجود-في-العالم. وفكرة «المصير الأرضيّ للإنسان»، وفكرة

عمل/ أو حركة الإنسان على الأرض. فكرة السان- سيمونين: يجب على فكرة استغلال الإنسان من قبل الإنسان أن تتبدل إلى الإنسانية للكون. كتب كوربون⁽¹⁸⁶⁾: «الأهمّ دلالة على ظواهر الحياة... التأسيس المتطور لأداة العمل والزيادة المتطورة للحركة الإنسانية في العالم». نرى هنا أنّه قد تمّ التعامل مع العمل، وابتكار الأدوات كما لو أنّها ظواهر الحياة. لكن ليست من ظواهر حياة الأفراد: حياة النوع. وفي هذا الصدد يرى رينان أنّه: «لن تبدأ السيادة الكبرى للذهن إلّا عندما يخضع العالم المادّي بالكامل للإنسان⁽¹⁸⁷⁾». ومن هنا يمكن الحديث عن كرامة العمل التي يحوز من خلالها النوع البشريّ في كلّ يوم على المزيد من الكون، فيخضعه لإرادته. وعن قداسة العمل التي عبّر عنها لامارتين بقوله: «أوه أيها العمل، أيها القانون المقدّس للعالم».

لماذا القداسة؟ ببساطة لأنّ فكرة النوع البشريّ لها وجهان: طابع بيولوجي وطابع ديني. بالنسبة إلى الإنسان هو دين لأنّ كلّ فرد هو في الحقيقة «وجود مشترك» (سان سيمون) ويحيّا دائما «في ركن من النوع البشري» (بلانكي). الإنسانية بالنسبة إليه وسط شهوانيّ وذهنيّ. فلا وجود له على الأرض إلّا من خلال الإنسانية. هو النوع المحظوظ المطلق والمتّهي في ذاته. وفي هذا السياق يُصرّ «كاسو» ولديه مبرر لذلك على هذا الطابع الإنسانيّ: «من خلال الفعل الدينيّ ينفصل الإنسان عن عقائده، عن دياناته ليرضى بالدين، الذي من خلاله يكشف نفسه لنفسه باعتباره نوعا...» (كاسو ص 43): «للإنسانية مستقبل ديني» (سان سيمون). غير أنّ هذه الأديان تقهقرت شأنها شأن البقية لأنّ موضوعها نوع. ثمة هنا ما يشبه عنصريّة الإنسانية من خلال تجنّب الاختيارية يصلح الطابع الثاني لفكرة النوع، طابعه البيولوجي. اكتشاف القرن هو تطوّر الأنواع، وبالنسبة هو أوّل من استعمل هذه العبارة. سوف يجد التطوّر الإنسانيّ ينبوعه في القوى الأشدّ صمما، والأشدّ عضويّة في النوع، مستندا على التحوّلية. عوض أن يكون النوع البشريّ فقيرا وسكونيا كما كان عليه في زمن

186 أنهم كوربون عامل توبوغرافي محرر بمجلة الورشة شهرية ذات فزعة اشتراكية دينية تم تعيينه نائب رئيس المجلس التأسيسي لسنة 1848.

187 أرنست رينان مستقبل العلم أفكار 1848 تم ذكره في 48 لجان كاسو.

لينيّ، فهو يحمل في داخله مستقبلا غير متميّز، غير معروف أيضا ولكنه مفعم بشروّة عارمة. سوف نستعيد هذا العدم التميّز والمحّبّ لإله التّصوّف، ونفقده من خلال تفهّم المفاهيم الأولى وعدم أصالتها. وفي الوقت نفسه لا بدّ من تجنّب الهيام والاختياريّة: نحبّ الإنسانية وهي لا تعارض إلّا المجتمعات بأنظمتها السّياسيّة التي لم تتغيّر، إنّها هي نفسها. يقول كاسو في هذا الصّدّد: «قريبا سيكون المستقبل هو المادّة الحيويّة التي نكون منها نحن، بها نحيا ونتحرك».

ينشأ عنّا تقدّم التّحول الجليليّ لفكرة النّوع البشريّ: عبادة المرأة باعتبارها الرّحم الكوني، باعتبارها رمز الخصوبة. فمستقبل الإنسانية منذور لها.

لذلك تتحوّل الفكرة التّأليفيّة لجملة النّاس من خلال جدليّتها الذاتيّة إلى فكرة النّوع البيولوجيّ يسمو بتاريخه. تستدعي هذه الأخيرة الفكرة الإضافيّة لـ «الوسط الأرضيّ»، الذي يتحوّل إلى «كون لغزوه». فكرة غزو الكون باعتبارها المهمّة الحقيقيّة للكائن البشريّ تجد موضعها في مضادّ الطّبيعة عند «كونت وماركس»، تمنح العمل كرامة تجد بدورها موضعها في تعريف «ماركس» للقيمة. تلتحق في الأثناء فكرة التّحوليّة بفكرة النّوع لتحارب الميل الذاتيّ للجنس البشريّ الذي يحتاج ويتشبّه. والفرد ضائع في قلب الجوهر البشريّ مثلما أنّ الإنسان السّينوزيّ ضائع في ربّه اللّامتناهي، لا يجد مشقّة في عشق كلّ هذه التّأليفيّة التي يمثّل هو طرفا فيها.

المذهب لا يثبت لكنّه يترك أثره فينا. المثاليّة الإنسانية ولدت إنسانيّتنا و«أندريه جيد» في حدّ ذاته متأثر بذلك. سوف أنسخ يوما ما إحدى الفقرات الإنسانية الغربيّة التي أوردها في يومياته، حيث يقول إنّ الله في المستقبل⁽¹⁸⁸⁾. وإنّ بحثنا اليوم عن المبادئ السّياسيّة فلن نختار بالأساس سوى أربعة تصوّرات للإنسان. التّصوّر التّأليفيّ المحافظ الضيق: الحركة الفرنسيّة⁽¹⁸⁹⁾، التّصوّر التّأليفيّ الضيق الشّبابيّ:

188. مثلما ورد في 20 جانفي 1916: "ليس الله خلفنا، إنّّه قادم. ليس في البدء بل يجب البحث عنه في نهاية نمو الكائنات إنّّه نهائي وليس أوليا. هو النقطة النهائية والأخيرة التي تفرّج كل الأشياء نحوها كل الطّبيعة في الزمن" انظر أيضا ص 725 أوراق 1921 (مكتبة البلياد).

189 الحركة الفرنسيّة حركة ملكيّة "الوطنية الكليّة" مستوحاة من شارل موراس.

العنصرية الماركسية - التّصوّر التّأليفيّ الموسّع: المثاليّة الإنسانيّة - التّصوّر التّحليليّ: الفرديّة العدميّة. ولن نجد إطلاقاً ما يعود في مرجعيّته إلى الشرط الانسانيّ، كمحدّد إنطلاقاً من «الحقيقة - الإنسانيّة» الفرديّة.

نستهلك هنا كمّيّات كبيرة من أوراق الجرائد (لتغطية بلّور التّوافذ، للاستعمال في المرحاض، الخ) لكنّنا لا نستعمل جريدة اليوم على الإطلاق، وكيلر هو من يدافع عن ذلك. رغم أنّ هذه الجريدة تكون قد قرئت من قبل وأعيدت قراءتها وتمّ التعليق على ما ورد فيها منتصف النّهار - وكلّ واحد مقتنع أنّ لا جديد فيها - وإن افتككناها، ينتزعها منّا عنوة وهو يدمدم ساخطاً: «لا يمكن استعمال هذه، إنّها جريدة اليوم». كلّ جريدة عليها أنّ تنجز تربصاً لوقت عجيب بل ومتغيّر في قاعة المدرسة، في فترة هذا التّربّص تُعتبر هذه الجريدة ذابلة، منكسرة في صفحتها كجريدة سقطت ضمن صنف الأوراق. حركة متقهقرة للمدّة الصّافية والتّقدّم في السّن.

لم يكن كيلر بالخوّاف، وما هو بشاعر، ورغم ذلك فإنّه يظّل ساهراً طول اللّيل، بعد أن يؤدّي مناوبة حراسته في المدرسة، بدلاً عن الاستلقاء على فراش القشّ، والتمتّع بالنّوم، ولم يتسنّ لنا أن نجد تفسيراً مقنعاً فكّلما سألناه في الغد، عن ليله فيم قضاه، تكرّم علينا بالإجابة نفسها، «قرأت الجريدة حتّى منتصف اللّيل، وفي الثالثة سددت رمقي ببعض الطّعام، وفي الرّابعة تغوّطت» ولم يكن إصرارنا يجدي نفعاً، فإذا ألحنا، اضطرب، وغمغم «أووّه هناك أنوار». غداة حصّة مناوبته يلوذ بغرفة وينام في مكانه يززع الصّمت بشخير المتقطّع المتنمّر.

خريف

نقع الأوراق، ونقع مثلها

تموت الأوراق لأنّ الله يريد ذلك

لكنّنا نحن، نقع لأنّ الأنجليز يريدون ذلك

عند الرّبيع القادم لن يتذكّرنا أحد

لا بالأوراق المبيّنة ولا بالعراة المبيّتين

سوف تمر الحياة فوق قبورنا.

عثرت على هذا النّص مطبوعاً على ورق مسنّن شبيه بورق الأشجار، تحترمه التعاريق، واللّون الجميل للصدأ. كان منشوراً ألقته الطّائرات الألمانية على بعد متري من هنا والتقطه فلاح. جاء به إلينا، فتداولنا قراءته واحداً بعد الآخر. تحت النّص رأس ميت في خوخة. وفي الأثناء كان يياتر، من أنّ زوجته تعامله باعتباره رجلاً مفقوداً، وحدث أن كتبت له بشأن رسالة مستعجلة ذات طابع تجاريّ، ما نصّه «اكتب له أنت، بما أنّك لا تلوي على شيء فأنا لا وقت لديّ لأردّ على صاحبها».

الأربعاء 22

جملة ممّا قرأت في 48 لـ «كاسو»: «الدّم لابدّ للدّم الغرائبيّ لفلورا تريستان ومصيرها» المغامر أن يلد في في هذا البطل المهيب للفنّ والعدمية، حفيدها بول غوغان صدمة غير لائقة. أشعر بمرگّب نقص صاف قبالة بول غوغان، فان غوغ ورمبو لأنهم عرفوا كيف يتوهون، غوغان في منفاه، فان غوغ في جنونه وأمّا رمبو فقد كان أكثر جنونا من كليهما لأنّه عرف كيف يتخلّى حتّى عمّا كتبه. أعتقد جازماً أنّه لبلوغ الأصالة لابدّ من أن ينهار شيء ما. هذا هو في المحصلة الدرس الذي تعلّمه أندريه جيد من دوستوفسكي، وهو ما سأجعله ثيمة تدور حولها أحداث روايتي القادمة. غير أنّي بمنأى عن الانهيار. إنني مقيد برغبتني في الكتابة. حتّى في الحرب أقم محدداً على قدميّ لآتني سرعان ما أفكر في كتابة ما أشعر به وما أراه. لو أنّي أضع نفسي محلّ سؤال، فسيكون ذلك السؤال، متعلّقاً برغبتني في الكتابة، غير أنّي أنّ الأشياء التي نضعها على محكّ السؤال تكون أكثر من غيرها مهدّدة بالانهيار، هناك ما يشبه الضّمانة القويّة والمزعجة في أنّ بالنسبة إلى الآخرين، سواء أعلّق الأمر بفاندا، أو بالمرأة القمرية⁽¹⁹¹⁾، وهي ناعجة بالرّغم من كل شيء من أنّي أترك شيئاً ما مني سليماً،

190 في نصّ العبقريّة.

191 دفتر 1 ص 149 التدوينة 2.

تخطر ببالي في هذا السياق حكاية رواها نودين، مدارها أن أحد الضباط الألمان كان على الجانب الآخر من «راهين»، يراقب الجانب الفرنسي بمنظاره، انتبه إليه ملازم فرنسي فأمر أحد الجنود أن يطلق النار عليه، بيد أن لم ينصح إلى الأمر، وأحجم عن الفعل، ولما استفسره الملازم عن السبب أجاب بكل ثقة «إنه إنسان»، ولم يؤذي بأي شيء، لا أريد أن أقصف حياة إنسان. ولما يشس الملازم، وجه الأمر إلى الجندي الآخر، فرفض مثل سابقه ولم يكن ثمة ثالث.

ولما يشس الملازم، من إقناع أحدهما، بأن يطلق النار على الهدف، لم يجد بداً من أن يحتال، فوجه إليهما الجيث قائلاً: «أطلقا النار، في الوقت نفسه، حتى يلتبس عليكما الأمر، فلا يعرف أحد منكما، من أصابه» فأذعنا، وأطلقا النار كلاهما، ليقضي الألماني. أن يكون «نودين» هو الراوي فهذا كفيل وحده، بتكذيب الحكاية، أو بالشك في صدقها، لقد تلاها في كامل هدوئه، دون أن يظهر على ملامحه أي انفعال، لم يكن ساخطاً قط ولا ناقماً، لقد سردها مثلما يمكن أن يسرد أي خطب عادي، وإذا كان للأمر من أهمية تذكر، فهو أنه قد رواها، ولا شك أنه قد نقلها عن شخص آخر، تلقاها بدوره، عن راو آخر. وكان تفاعل المساعد مختلفاً، فقد علّق على الحكاية بقوله: «كم هما محظوظان، هذا الجنديان، لو كنت رفقتها، لمنحتها اثنتي عشرة رصاصة، ولن يتجرأ أحد على اتهامهما بسرقتها، فلم أجد بداً من أن أعترض على رأيه، مبيناً أن لا جدوى من تلك الطلقات، ولا حكمة في إزهاق الأرواح، فردّ مجاملاً، وهو يحاول أن يتخلص من الموقف، لتعارضه مع أخلاقيات القتال، ومضى محرجاً، يشرح لنا على السبورة مبادئ تحديد الصوت، والطباشير في يده».

نودين كثير التشاؤم من التفاصيل بكيفية غريبة، ولعل الأمر ناجم عن عدم نضج، وعن ارتياحه من الحرب وعدم الاقتناع بها في بنيتة اللاواعية، ورتباً قاده مثل هذا الوضع إلى توهم أشياء لا وجوهاً إلا في خياله المريض، فلعله كان ينتظر من الطائرات الألمانية التي ألقت مناشيرها يوم أمس، أن تمطر المكان أفلاماً قابلة للانفجار بمجرد لمسها. ولم تؤت نفعاً كل محاولتنا في أن نفسّر له الأمور بواقعية، إذ

ليس يعقل أن يروج العدو لفكرة السلام، بشكل رمزي، ثم يأتي ضدها، ليخلد في آخر المطاف إلى الصمت المطبق، يجترّ تشاؤمه. وانتهى به الأمر إلى الخروج، بعد أن أوصد الباب بعنف، ليشير المساعد إلى الباب المغلق وهو يردد في أسف: شخص بهذه الطباع سيكون كارثة حقيقية على المدفعية.. فالقائد.. القائد الحقيقي..»، ولم يمهله مقالته، حتى فتح الباب من جديد، ودخل نودين مجدداً، فتوقّف المساعد عن إتمام جلسته، وبدأ أن نودين قد تضايق وشعر بضرب من الاستغزاز الداخلي، فواصل صمته، كأنما غيظه.

إنّ هذه الأشكال المقعّة لتمرّد نودين، تكسبي قدراً غير يسير من الأهمية، إنّه دون شكّ متمرّد كسيح، وحسود متلّولب مغتاط، فلاح مجنّد، طال حسده العمّال، من مكث منهم ومن سعى إلى عمله في المصنع، ورفيق أوّل احتياطيّ، يحسد مساعدي الضباط في الخدمة ممّن يحصلون على رواتب، وهو يحسد الموظفين الذين مازالوا يستلمون مرتّباتهم. غير أنّ هذا الاستياء لا يذهب به إلى حدّ الثورة، فهناك عوامل عديدة تكبحه وتشتته: كاثوليكية، محافظة، امتثالّة ملتزمة، غباوة، طيش، وعوامل أخرى من غير الممكن اختزالها في عبارة واحدة، وله مُركّب نقص إزاء التدريبات. وهو فضلاً عن ذلك جبان متملّق، يصانع الآخرين.

في بداية الحرب قال نودين: «لقد تمّ تجنيدي ثلاث مرّات: في شهري سبتمبر ومارس من سنة 1938، وفي أوت من سنة 1939. لقد سئمت ذلك، لا يجب أن يطول الأمر أكثر من هذا. أريد الدّهاب إلى أبعد حدّ. أريد لهذه الحرب أن تشهد أوجهها، ثمّ تنتهي فنتراح». ها قد مرّت ثلاث سنوات، أصيب بخيبة كبرى بمناسبة صرف رواتب مساعدي الضباط. وفي أوج مزاجيّته الآن، وفي أشدّ لحظات حنقه، ها هو يصّرح في حقد: «كلّ ما أطلبه هو أن أعود سالماً وفي أقرب وقت». عدا هذا، هو شخص متين البنية، متعشّ الجسد. يبلغ من العمر تسعا وعشرين سنة، شابّ جميل بخدّين محمرّين، وصوت خافت رائق. قال عنه «بياتر» إنّه دون شكّ ديك قريته. عضلاته متينة، مع كرش مستفخة شيئاً ما، غمّازة أسفل ذقنه، فما لم يكن أحمر، فهو أزرق، بسبب اللّحية الكثّة. طابع هزليّ ومتشعّم لجرو صغير، ماجن شيئاً ما

يمدّ «كيللر» كلّ مساءً في حياته المدنيّة سلماً على واجهة منزله ويقوم بوصل حيطين إلى المولّد القريب منه، يسمح له ذلك أن يتنفع بالكهرباء بمعزل عن العدّاد. يفعل ذلك كلّ ليلة، فإذا أصبح، يأخذ سلّمه ويقوم بفصل الحيطين، وكأنّ شيئاً لم يكن. وصار طموحه بعد الحرب أن يشتري قطعة أرض ويبنى عليها منزلاً. غير أنّه لن يستطيع الحصول على الغاز في بيته، لأنّ تكلفة الغاز باهظة. وقد أوجد لنفسه حلّاً، فجعل لبيته موقداً كهربائياً يغذّيه بنفس الطّريقة السّابقة. «هذا من أفضل مزايا ضواحي باريس قال بول. هل تعلم أنّ كلّ الخطوط في أنابيب معدنيّة وسط باريس».

مكتبة

t.me/soramnqraa

الخميس 23

جاء الجنود المقيمون في المناطق التي تمّ تهجير سكّانها، على كلّ شيء، فعاثوا في المكان فساداً، حطّموا وهشّموا، وتغوّطوا في الأسرّة، وهشّموا الخزائن بصربات الفؤوس. وقد وجب التذكير بهذه المناسبة بأنّ فرنسيّ الداخل، رغم ما وجدوه من حفاوة من لدن سكّان الألزاس، الذين أحسنوا استقبالهم، ووفادتهم، إذ سمح لهم البورجوازيون أن يقيموا بشكل مجانيّ، فعاملوهم كضيوف معزّزين، ووجدوا من لدن النّساء الرّقّة واحتفى بهم الأطفال، إلّا أنّهم ظلّوا يتحدّثون عن قساوة الألزاس، ويحدّث أثناء تنادمهم أن يصيهم الشّجى، فترشح كلماتهم أسفاً وحزناً، يحدث هذا وهم يترعون كؤوس الخمر الألزاسيّة، ويأكلون الكرنب المملّح والمخلّل.

تساءل رقيب مثقّف في حزن وأسى: «ماذا تريدون، كان بإمكان هؤلاء النّاس أن لا يكونوا بمقدار ما كنّا عليه سنة 1918 من رقّة تجاوزت كلّ حدّ، من الرّائع أن نحترم عقائد الآخرين، وخصوصيّاتهم، لكن وجب قبل كلّ شيء أن يكونوا فرنسيّين». لقد آلم الجنود أن يسمّعوا الأطفال وهم يتحدّثون الألزاسيّة، إنهم يدرسون خلال كامل الأسبوع ساعة يتيمة مخصّصة للفرنسيّة، ويتلقّون فضلاً عن ذلك ضربات السّخّط على مؤخّراتهم. لقد التقوا كلّهم بالأزاسيّ قال لهم: «لست فرنسيّاً،

ولا ألمانيا: أنا ألزاسي، ألزاسي فحسب». في إحدى حانات برومات قال أحد الجنود السكاري مستاء، وهو يرى الكاستور تقدّم اعتراضات: «أنت ألزاسية!»، ثم وهو يعاود هجمته مجدداً: «هل أنت معنا أم معهم؟». يحدث لهم وقد أتحمتهم النقانق، أن يحرّكوا رؤوسهم بحدة متوحّشون! من المستحيل العثور على قطعة نقانق شائخة في كلّ برومات! وفي يوم آخر قال أحد العرفاء، متأسفاً: «ها أنا ذا أقوله لك، إنني جزّار، وتحدّثت مع جزّار من برومات، هل تعلم ماذا يفعلون إذا، يكشطون لحوم الأبقار المصابة بالحمى القلاعية أو السّل ويستعملونه نقانق. إنهم يعدّونها بهذا الشكل نقانقهم المشهورة في ستراسبورغ». يضيف أحد المساعدين قائلاً: «سوف ترون: الأجهل من كلّ شيء في الرّخصة ليس رؤية السيّدة البورجوازية والأبناء، بل سماع فرنسيين يتحدّثون فرنسية فرنسا». نرى أنّ هذا السّخط المشروع يؤدّي بسهولة إلى التّغوّط في أسرة المهجّرين. بل إنّ أمهات هؤلاء الفرنسيين الطّيبين وزوجاتهم، يجعلن الألزاسيين يرون من ناحيتهم أنّه ليس من الضروريّ عليهم أن يعتبروا أنفسهم فرنسيّين. بل يعاملونهم مثل الكلبات. كتبت لي بوبات⁽¹⁹²⁾ إن طال سان-حيرمان-لي-بال يتجول في القرية ليعلن قدوم المهجّرين وينهي خطبته المملّة بهذه الكلمات: «ولا تنسوا إنهم رغم كلّ شيء فرنسيّون».

هذا الصّباح كنت وهانغ وبياتر وبول نتحدّث في السياسة حول تنظيم أوروبا إثر الحرب. قلنا كمّا هائلاً من الحماقات. كان نودين متزويّا في ركن من القاعة يحاول كتابة رسالة، غير أنّ ضجيج محادثتنا منعه عن ذلك فحشرج قائلاً: «لقد أزعجتوني، لقد أزعجتوني». حاول هانغ جلب اهتمامه لمحادثتنا دون جدوى. قلت له فجأة وهو يحاول أن يشدّ رأسه بكلتا يديه ليغيب عن العالم: «ألم تسمع بالخبر، لقد ذبح الألمان سجيناً فرنسيّاً بالقرب من ويسامبورغ». قام من مكانه وتقدّم منّي متشّماً: «من الذي قال لك هذا؟» أجبت بشكل غامض: «أحدهم...» ثم أضفت بعض التفاصيل: «كان ثمة سجينان، أصرّ أحدهما أن لا يعترف بأيّ شيء، فتمّ ذبحه، وأمّا الثاني، فقد تمّ تهديد بأن يسكب عليه الوقود، وتضرم فيه النّار، فاعترف وقد أصابه الهلع بكلّ

شيء». ساخطاً، نسي نودين رسالته ودمدم: «آه الأوغاد! فليأتوا! واحدا ضدّ واحد، أريد أن أراهم، وسنرى إن كانوا سيذبحونني». عاد للجلوس في إحدى الزوايا، ثانيا ذراعيه، وهو لا يكفّ عن تحريك رأسه، مرتعبا، هائجا، في حدة يكسوها الرضا: لقد حصل على وجبته من الرعب هذا الصّباح.

يتحمّل المساعد كلّ المحادثات منزويا في كبره ولا يعطي أيّ شيء.

مستيقظا فجأة هذه الليلة عند الساعة الواحدة صباحا شرعت في التفكير في الإرادة. كان يجب أن أفهم كلّ شيء غير أنني اعتقدت أنني قد تصرّفت قليلا في السّؤال.

أرى أولا أنّ التّصوّر الكلاسيكيّ للإرادة، فعل خاصّ ينبثق من قلب الوعي، ويصطدم بعقبتين.

أولا فعل إراديّ في نظر الوعي - الذي يجب أن يكون وعيا بذاته -، ويجب أن يريد هو نفسه. أريد الذّهاب إلى باريس. حسنا. لكن إن كانت إرادتي مدفوعة من خلال رغبة، فلن تكون إرادة أبدا، أو فعلا متخيّرا خارجا من قلب الوعي، إنها بنية مدفوعة شبيهة ببقية البنى. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فستكون إرادتي المتعلّقة بالذّهاب إلى باريس، لا إرادية. هذا عينه ما رآه «كانط» بشكل جيّد في نظريته لاسقلال الإرادة: إرادة تريد أن تكون جيّدة بمناسبة الفعل الذي تريده. لن ينفع في شيء اشتقاق الإرادة من الأنا، وفقا لرؤيته، لأنّها تصدر عن معطى وليس مهّمّا غيابه، لأنّه يحقّق استمراريّته، على طريقة الأنا العميقة لبرجسون، لتصدر الإرادة في جميع الأحوال بشكل طبيعيّ، فلا يمكن اشتقاق الإرادة من الأنا إلّا إذا تمّ اشتقاق الأنا من الإرادة. كذلك، هي الإرادة، مثل الوعي، تخيل على نفسها. وهي كما الوعي، إلّا إذا وقعت في سلسلة ردود أفعال إرادية مريدة ومُرادة. من الضروريّ القبول بأنّ هذه الإحالة على الذات تشبه البنية التّحتيّة للإرادة. يتعلّق الأمر إذن بشكل من أشكال الحجّة الأنطولوجيّة للإرادة. تريد الإرادة نفسها كما تريد شيئا ما. هكذا نحصل على بنية تحتيّة غير -أطروحاتيّة (كما هو الشّأن بالنّسبة إلى الوعي): إرادة (أن) أريد، والقصدية الإرادية المتعالية: إرادة مُرادة، أي أن أريد شيئا ما. يبقى أنّ التّماثل مع

البنية التوعية للوعي لا يجب أن يكون خادعا: أن يكون وعي ما هو وعي (ب) الذات، لا شيء أفضل، ليس الوعي موضوعا للوعي في الوعي الأطروحاتي: لا يتعلق الأمر هنا بمعرفة تفترض ثنائية موضوع - محتوى، بل بشفافية خاصة بالوعي كما شرطه الوجودي. بالعكس يبدو أن هذا الأريد المريد هو من النوع المعرفي، أي أنه يتكون في جوهره من ثنائية. من المستحيل تصوّر الوحدة المتلازمة للإرادة وموضوعها إن لم نجتزئ الكلمات. وهذا لسبب بديهي، هو أن موضوع الإرادة هو المستقبل. هو نوع من الممكن حيث مادته الأنطولوجية هي المستقبل. هناك إذن مدة زمنية بين الإرادة وموضوعها، مهما كانت هذه المدة. فكرة إرادة مرادة في البنية التحتية لنفس الوعي هي ذاتها متناقضة. بالرغم من أنها تنطلق في منطقتها من فكرة الفعل الإرادي - إن لم نصنع منها تمثيلا محددا بصرامة (لكن يفقد الفعل الإرادي وقتها خصوصيته - يصبح من المستحيل تمييزه عن الرغبة، عن الشغف، عن الآليات، الخ).

العقبة الثانية إن موضوع إرادتي هو على مسافة متني من حيث توقعه في الزمن. وفي المقابل فإن الحرية التي تضعها في الفعل الإرادي، تمنعك من أن تريد عكس الزمن.. تريد أن تتخذ في غدك هذا التمشي، لكن ما الذي سوف يضمن لك أن لا تكون ضدك؟ فإرادتك اليوم سوف تحجب غدا في الماضي، خارج الوعي، سوف تتحول إلى عظم وسوف تصبح بدورك متحررا منها: حرّا لاستعادتها لحسابي أو أن التزم ضدها⁽¹⁹³⁾، فالقسم ليس ضد الذات ولا ضد الزمن. أداء القسم للذات، نموذج لجميع أنواع أداء القسم الأخرى، هو رقية سحرية لا جدوى من ورائها يحاول الإنسان من خلالها جعل حرّيته المستقبلية فاتنة. بل هو لا يقسم إلا عندما يشعر أن هناك أخطارا كي يخطئ أدائه للقسم. أداء القسم اعتراف بالوقوع في ضيق شديد.⁽¹⁹⁴⁾ إن كل فعل إرادي من النوع المذكور، ليس هو في أساسه إلا شيئا آخر،

193 انتظرنا حسب السياق: "لحسابك أو تلتزم ضدها" انظر الدفتر 12 صفحة 450 والتدوين 1.

194 تظهر هذه الجملة بشكل شاذ في هذه الحجاجية ليس كل هذا المقطع ربما مجرد تحليل فلسفي موضوعي ألا يتساءل سارتر خفية هنا حول الأسلوب الإرادي لبعض أفعاله. في حياته العاطفية

وضرباً من الأداء المقنّع للقسم. ما أريده هو إرادة المستقبل. وهكذا نعثر على الثنائية إرادة مُرادة، بالفعل أنا لا أستطيع أن أريد إرادتي اللاحقة. إن أدت العينين.. إن أحكمت قبضة يدي وأطبقت فكيّ قائلاً: «أريد أن أكون وقياً لها»، أريد في الفراغ، أريد زمرة من الإرادات المخصوصة التي توشك أن تفلت منّي. أسميها إرادات فارغة. هذا النوع من الإرادات - وهو النوع الموجود بكثرة - في تشابه مع التّوايا الفارغة لهوسرل. أخشى أنّها لم تصلح كنموذج في التّصوّر الكلاسيكيّ للإرادة. تفصل في مجرى الوعي وترافق بحدة قويّة، وهو ما يجعل منها دون أدنى شك عقيدة ممتلئة. لكن ينقصها اللّحم ليملاًها، هذه الإرادة نفسها التي تبدو ظاهرة أولية ونحن محالون عليها. لقد انتبه أكثر من شخص إلى عدم فاعليّة هذه الارادات الفارغة التي جئناها من خلال الحثية والشكوكيّة، أن لا نمسك بالإرادة إلّا حين تكون وعياً يمتدّ على مدار الفعل كلّها، ومراحل تحقيقه. فليس هناك فرق بين الإرادة والفعل. ليس فعلي فقط هو ما يشهد لي عن إرادتي، لكن ومن جهة أخرى إرادتي يعرفها الفعل، إلى درجة أنّ الفكرة الملموسة في نهاية تطورها وراثتها، تصبح هي الموقف. إنّها الحلقة اللّانهائيّة: لا بدّ من محاكمة الأفعال من خلال التّوايا. لكنّ التّوايا في حدّ ذاتها نظلّ خاضعة للأحكام، مرتبطة بالأفعال ذاتها. الفعل في علاقته بالإرادة يعدّ سنداً مادّياً، ومفسّراً، تماماً مثل العلاقة التي تصل اللّغة بالتّفكير. ومن هذه الجهة فإنّ الفعل يمثّل الطّابع الخارجيّ للإرادة، التي تمثّل بدورها الموضوع الدّاخلّي الموحّد للفعل؛ ومثلما أنّه لا إمكانيّة لوجود إرادة دون فعل، فلا سبيل لوجود تفكير دون لغة. لست هنا

بالخصوص؟ مع الإشارة أنّه في 8 أكتوبر جدد "عقده" مع سيمون دي بوفوار لمدة عشر سنوات أخرى (رسائل للكاستور) وخاصة أقسم على الوفاء ل ب (رسالة 2 سبتمبر إلى "لويز فردين" - بيانكاب الحقيقية) والتي استمر في كتابة رسائل حب إليها رغم أنّه لم يكن متيقناً أنّه يحبها بسماحة لبعض المقربين منه أن يقرؤوا هذه الدفاتر في الوقت الذي يكتبها. امتنع عن تدوين أحاسيسه وما يفكر فيه في هذا المستوى بشكل حر. الحذر من ابعاءاته لمشاعره العاطفية الحاضرة (فاندا) أو المنقصية (أولغا) - يؤكدها وينعما في نفس الوقت - والتحليلات المحرفة التي يطلع عليها الكاستور جعله ينتبه لذلك فيما يخص دور أداء القسم في العلاقات مع الآخر، الجزء الثالث من الوجود والعدم الفصل الثالث انظر أيضاً نقد العقل الجدلي الجزء الأول الكتاب الثاني (من المجموعة إلى التاريخ)

بصدد توبيخ الأخلاقيين في محاكمتهم للنوايا بالنظر إلى النتائج. وإذا كان لابدّ من ذلك، فعلى أن نتوخى الحذر، فوجود هذه الإرادات الفارغة، يحوّل الحذر إلى أداة لكشفها، ومجابتها، وإخراجها من ساحة اللّعب. رغم أنّي أعرف وبشكل بديهي، أنّي إذا دققت الآن في داخلي، فسأجد في عددا من الإرادات المكتنزة والفعالة، وهي ليست مندورة بالضرورة للتحقق، والتجسّد، ومن ذلك مثلا إرادة أن أحافظ على صلابتي، وصرامتي، وأن لا آسف على شيء، أو أن لا أستسلم لليأس، وأن أكون موضوع سؤال على الدوام، أو أن أغادر بعد غد إلى برومات أو مورسبرون، أن أنني روائي قبل أن أشرع في شيء آخر، أن أمسك هذا الدفتر يوميا، أن أكتب إلى الكاستور كلّ ثلاثة أيام⁽¹⁹⁵⁾، وكلّ يومين إلى أمي. هناك قرارات وجب تنفيذها قريبا: الرّد على بولهان، هذا المساء، إثر إغلاق هذا الدفتر، والرّد على الكاستور وفاندا، إلخ، إلخ. وفي المقابل ثمة من القرارات ما هو مؤجل إلى أوقات أخرى، تتعلق بعودتي إلى الحياة المدنية، حين يعود السّلم. قرارات كثيرة لا أكاد أفعل من أجل تحقيقها شيئا يذكر، وليس لديّ ما يشغلني فعلا عن إنجازها. ولا يمكن في تقديري أن نعدّها إرادات فارغة، وما هي في الوقت نفسه بالأفعال الإرادية الممتلئة، بل لعلّها أفعال منقضية في زمن سابق، وظلّت في سبات حتّى تعاود الظهور مجدّدا. وليس الأمر متعلّقا بذكريات إرادات، وإنّما هي إرادات حقيقية، لها وجودها الخاصّ والمستقلّ، وتمثّل فضلا عن ذلك وجودي الذاتيّ. قد يعثر كل واحد منا على إرادات شبيهة شرسة وعنيدة، ولكنها رغم ذلك تأتي أن تتحقّق. هل إنّ الخطأ كامن في أنّنا عادة ما نعتبر الإرادة فعل وعي، مختصرا ومحدّدا زمنيا، أي، وبشكل أدقّ، إرادة فارغة؟ وهو ما يعود بنا إلى القول إنّ الوعي الذي يكون في العادة لا إراديا، يمكن أن يتخذ في بعض الأحيان بنية الإرادة؟ غير أنّني لاحظت في الدفتر الثّاني أنّه من المستحيل إضافة الإرادة إلى الوعي، إذا لم يكن متجسّدا منذ البداية. ربّما يلزمنا الأمر

195 كتب سارتر بشكل يومي طيلة هذه الحرب الغربية وكتب هي له أيضا كما اتفقا من قبل، قليلا ما تخلف أحدهم عن الكتابة للآخر. لماذا هذه الدقة إذا هنا؟ لأنّ فاندا قرأت الدفاتر دون أدنى شك الرقم 3 بخط غليظ مضغوط من المؤكد تمت إضافته فيما بعد.

أن نعود إلى مذهب سبينوزا، حتّى نتعرّف على إرادة الوعي، أو عن الوعي بما هو إرادة. سأعمل غدا على أن أشرح ما يعنيه ذلك.

انتابني هذا المساء شعور مبالغت أنني بائس إلى حدّ ما. لم يدم ذلك الشعور، كان عابرا.

الجمعة 24

يعاني بول من أزمة أرق جديدة هذه الليلة. أخذ في الصّراخ فجأة: «هوه! هوه! هوه! هوه! أووه!»، «الأووه» الأخيرة بطيئة، ارتجاجية، فضائحية. قلت: «بول!»، ردّ بول بصوت نعلان: «ماذا هناك؟»، أنا: «بول!» فردّ وقد ارتسمت على محيّا ابتسامة غامضة، لبقّة، ونبرة مخصوصة: «لا أعرف أين أنا موجود». وبدأ كما لو أنّه مستمتع بما يكابده من ضيق، وواصل حديثه بشيء من الجشع المستتر: «لا! فعلا لاشيء!» ثمّ فقهه عاليا. قلت: «أنت في بروما!». ردّ متضايقا: «إيه! أعلم ذلك». فسألته: «لماذا كنت تصرخ؟»، غمغم بول بسوء نية: «أنا، صرخت؟» عمّ الصمت المكان ثمّ سمعت أناثا يتحرّك، صوت قماشة مدعوكّة، وأشياء ثقيلة يتمّ جرّها.. لهاث.

وجّهت له سؤالي مستغريا: «ماذا تفعل؟»، ردّ بول وقورا، مهانا: «لاشيء.. استيقظت فقط». وسرعان ما عاد يتنفّس بشكل قويّ على إثر ذلك، وتحوّل هذا التّنفّس إلى شخير. حدث فيما بيننا ضرب من الاتفاق، أنّ «بول»، كان ناثا خلال كامل المحادثة التي جرت بيني وبينه.

لنعد إلى الإرادة. تأكّد لي أنّ بنيتها الأساسية هي التّسامي، بما أنّها تهدف إلى الما وراء، وهو ما لا يحدث إلّا في المستقبل. فالإرادة تحتاج إلى العالم، حاجتها إلى مقاومة الأشياء، إنّها تحتاج إلى ذلك لا باعتباره نقطة ارتكاز، لتبلغ أهدافها، ولكن حتّى تكون ذاتها، فمقاومة ما هو واقعيّ يسمح بتمييز الممكن عمّا هو كائن، باعتبار الواقعيّ لاحقا لما هو ممكن. لا يمكن أن نقف على هذا التّمييز في عالم الحلم، وذلك

لطبيعته التخيلية، فما يتم تصوّره في الحلم يظل بمنأى عن الواقعي، وضرباً من الوجود الحالم، فلا فارق بين أن تتمنى أن تشرب في الحلم، وبين الحلم بأنك تشرب. إنّ الدّهن يظلّ في هذه الحالة واقعا تحت سلطة قوّته الجبّارة في أن لا يريد. إنّهُ حتّى لا إرادة له في أن يستفيق. فحتّى يكون الواقع ممكناً عليه أن يقتحم أرض الحلم. ينسحب الأمر نفسه على ما يصل الدّهن بالحدوس الابتكاريّة، حين يذهب قصيّا، فإذا كان مجرد التّصوّر كفيلاً بأن يتجّ الدّهن شيئاً ما بطريقة حدسيّة، متى لم يجد وجهها من وجوه الاعتراض، ففي حوله أن يحلم بالله، متى تبدّد الفارق بين التّصوّر والتّحقّق. ولن يكون عندها من السّهل أن نميّز ابتكاراته من انفعالاته، سيظلّ بما هو قوّة مطلقة أسير نفسه، ولن يكون في مستطاعه أن يريد أيّ شيء، لأنّ الإرادة تتحقّق ضمن المحدوديّة، وتنتهي مع القدرة المطلقة. هكذا إذن تصبح القوّة السّاويّة الجبّارة معادلة للخدمة الذاتيّة بطابعها الكلّي، إذ يندفع الله من ابتكار إلى ابتكار دون أن يقدر على «إحداث مسافة» مع نفسه ومع الموضوع. ليس هناك من إرادة إلّا منتهية وعند كائن منته، وانتهاء الإرادة لا يأتيها من حدّ خارجيّ بل من جوهرها نفسه. تكون المقاومة مشروطة بالإرادة، كما هو الحال مع مبدأ الطّبيعة. وبما أنّه لا يمكن تصوّر الإرادة لاحقة على العالم، الأمر الذي سيضعنا في أحضان المادّيّة، أو أنّ العالم نتيجة حتميّة للإرادة، الأمر الذي سيلقي بنا في الحدوس الابتكاريّة، ويلغي الإرادة، لا بدّ من تصوّر أنّ العالم والإرادة قد جاءا معا دفعة واحدة. فلا إرادة إلّا من خلال وجود ما تمّ إلقاؤه في العالم، من خلال موجود متعين، العالم بما هو محرّر للوعي، وبما هو استثمار لأحلامه الخاصّة، من حرّيته الشّاملة. إنّ الإرادة هي القوّة المميّزة للشرط الإنسانيّ، إنّها شرط الوجود الذي من شأنه أن يدفع الكائن إلى معانقة أهدافه، والظّفر بها، والحلم بتحقيقها ضمن واقع محدّد حتّى وإن بدت مستحيّلة، تتحدّد الإرادة من خلال الفارق التّرمينيّ الضّروريّ بين الهدف وتصور الهدف، وهي مشروطة بالوعي، وبرصد المنطلقات والغايات. تنتفي الإرادة عندما يتكرّم جنيّ بأن يمنحني القدرة على أن أحقّق كلّ ما أرغب فيه، دونما جهد أو سعي، تنتفي بذلك المسافة الواجبة بين الإرادة، والقدرة، ويفقد الفعل هويّته، بل وجوده. هذا ما نجده

في المرويات والحكايا التي تحمّل الرغبات البشرية إلى مآلات تراجيدية تقرّ بالعجز، وتثمن المحاولة. تقدّم الإرادة نفسها كـ «وجود-في» العالم، هو «وجود- من أجل» تغيير العالم. كلّ ممكن مُراد هو في الحقيقة تغيير لوضعية معطاة، لا يمكن له أن يكون محلّ إرادة، إلّا إذا ظهر في أفق هذه الوضعية المعطاة بصفته نتيجة تطوّر ما لها من افتراضات نوعيّة. فالتّغيير لا يكون إلّا من خلال الإدراك، الذي يعمل بطريقة تفاعليّة مع عامل الإرادة، ليحدّد وجهة التّغيير، وسماته. من الممكن مثلاً أن ندرك أنّ النّافذة مغلقة، ولكنّ هذا الإدراك يظلّ أعزل، إذا لم نجعل منه ركيزة نخطّط عبرها لفتح النّافذة، عبر إمكانيّة معدّلة. وإذا لم يتوفّر شرطاً الإدراك، والإرادة، فإنّ النّافذة، ستظلّ لا مفتوحة، ولا مغلقة، لن تكون بذلك شيئاً محدّداً، ستفقد ماهية وجودها. ومتى افترضنا في المقابل عدم وجود النّافذة المغلقة، فلن تكون هناك سوى صور مشتّتة، لنافذة مفتوحة، أو مجرد رغبة متخيّلة، هي ضرب من الانبثاق التّخيليّ للنّافذة المفتوحة، وهو في نهاية الأمر لا شيء. إنّ البنية الأولى للإرادة، أن تكون متسامية، أفاقاً متطلّعة إلى المستقبل، فيما وراء العالم المعطى، فيما وراء اللّحظة الحاضرة. فالمعنى الحقيقيّ للإرادة، هو أن تكون نفسها، بالانسلاخ عن نفسها، بمفارقتها، وبإيجاد مسافة ما، بإلقاء نفسها نحو المستقبل، بأن تعاتب ذاتها، فتقلب عليها، وعلى سلطتها، ليكون المستقبل بناء على ما تقدّم شرطاً لاكتساب العالم هويته ومعناه ووجوده في الحاضر، ويوطّد هذا الأمر التّلازم الحادث بين الإرادة والإدراك. بما يعني أيضاً أنّ الإرادة ليست فعلاً فرديّاً ينبثق في لحظة معطاة من السّلسلة الزّمنية، ولكنّها علاقة الوعي بإمكانيّاته الدّاتيّة.

يبقى أن أحدّد ما هي هذه العلاقة بين الوعي وإمكانياته. فإلى حدّ الآن نحن نتبع آثار هايدجير. لكن منذ الآن لن نستطيع اتّباعه. بالفعل فالدّزاين⁽¹⁹⁶⁾ بالنّسبة إليه هو ببساطة إمكانيّاته الدّاتيّة. غير أنّه لن ينفعه في شيء طرح السّمو إن وقعنا في شكل من أشكال التّلازم. فالإرادة هي بالفعل، تلك القدرة التي يمتلكها الوعي للإفلات من نفسه. كلّ تلازم هو حالة حلم. بما في ذلك التّلازم الهايدجيريّ، بما أنّ الوجود يعثر

196. الواقع-الإنساني (ترجمة كوربين) أوبالأحرى بشكل أدبي أن نكون هنا أو موجود هنا

على نفسه كإمكانيات فيها وراء العالم. وإني أفهم من ذلك جيّداً أنّ هناك زمناً بين الوجود المخطّط له والإمكانات المخطّط لها. لكن بما أنّ هذا الزمن الذي تتمّ قراءته بشكل عكسي، يفقد فضيلته الانفصالية، ولم يعد سوى جوهر وحدة الدواين مع نفسه. إنّ إمكانات الوعي متسامية، فهو يدعمها ويضيف إليها، غير أنّها خارج هذا الوعي، تستخلص موضوعيّتها المتسامية من المادّة، ومن خلال ماهي مشدودة إليه. وهو بالأساس الموضوع القائم والمهيأ للتحويل. أليست في محصل أمرها موجودات خارجيّة لنوع مخصوص جيّداً. فلنسمّه إذن «مطالب».

وتأتي من هنا؛ ضرورة الإصغاء إلى الأشياء التي تطالب بتحقيقها. هي خيارت لنا. لكن ماذا لو طلبت فقط، ألا تكون مُرادة. نستطيع في الحقيقة تصور مطالب غير ممتلئة: ⁽¹⁹⁷⁾ [باللاتينية في الأصل]. وفي المقابل نوقظ فينا الثقة، أتوقع تحقيقها. ويداخلني انطباع أنّي محظوظ بهذا التوقع. يتعلّق الأمر ببديهة تقرب مما هو كامل. الأشياء الأخرى المستقبلية - تلك التي هي غير مرادة - أستطيع أن أتوقعها لكنّ إمكانيتها هي في حدّ ذاتها فرضيّة. وفي المقابل فإنّ إمكانيّة الشيء المراد هي يقين تام. ومثال ذلك أنّي يمكن أن أقلل من أهميّة كلمة «يقين»، فلا أضع تحتها سطرا؛ وهو ما قد يجعلني منزعجا بألف طريقة وطريقة. غير أنّي أعلم أنّ عدم انزعاجي، لن يحول دون ولادته ووجوده. لن يمنعني أحد من تشكيل كلمة أخرى غير هذه يكون لها الوجود نفسه للكلمة التي تمّ منع ولادتها. يمكن أن أفلس إذا وضعت كلّ ثروتي على الماء، في شكل بضاعة، أريد بيعها فيها وراء البحر، إذ يحتمل أن يغرق المركب الذي ينقلها، وتغرق الحمولة كلّها، ولكن قد ينشأ الإفلاس عن التنافس غير الشرعيّ، أو لسوء تصرّف، أو لغير ذلك من الأسباب. هناك عدد كبير من الإمكانات والخيارات، بالمعنى التأمليّ، قابلة أن تتحقّق كلّها. وهو ما يعني أنّها تظهر عند أفق أفعالي مثل معناها. لقد أكّد هايدجير جيّداً على أنّنا لن نحولها إلى موضوع دراسة. ذلك هو واقع الحال، إن حولناها إلى موضوع دراسة فذلك يعني أنّنا قد شتّناها،

197 من مونولوج مهدي في التحولات لأوفيد: "إني أرى الخير، أحبه - وأمشي في إثر الشرّ." (الكتاب السابع الأبيات 20 و21).

وجعلناها مفاهيم أو صوراً. حين نتحرك ونفعل نجعلها تنبثق بأكثر وضوح مهما كانت غير مستمارة.

لذلك؛ فإن معنى وضعيتنا، معطى في كل لحظة، من خلال الإمكانيات- الخيارات، متلازمان مفكر فيها لإرادتنا ومنتظراننا في المستقبل.. وهما ما يثيران ويشكلان إدراكاتنا. مع التذكير أنهما إمكانياتي من خلال معينين: أولاً لأنها خياراتي الذاتية، كما رأيناها - ثم لأنها الصورة الموضوعية المتسامية لوجودي- في- العالم. بالفعل؛ إننا مدينون لهذه الخيارات بسبب حبنا لأنفسنا. لقد أكد هايدجير أن العالم «من هناك يعلن الواقع-الإنساني عن نفسه ما هو». وهو ما يعني بالنسبة إلينا أن هذه الخيارات موجودة، بالنسبة إلينا وبالنسبة إلى الآخر، بالمقدار نفسه، أي أن وجودها متحقق بصيغة واقع إنساني. يبقى أن الخطأ يكمن في الاعتقاد أن الواقع الإنساني ممكن، وأنه انعكاس لما وراء العالم، وهو ليس شيئاً آخر إلا واقعنا الإنساني. وهو لا يمكن أن يكون إلا متسامياً، لأنه من الجهة الأخرى من العالم، فيما وراء الخيارات. الخيارات هي المتلازم المفكر فيه للمشاريع التي تتحقق عبر الأفعال، حين يكون الواقع-الإنساني معكوساً، بما هو الوحدة التأليفية للخيارات لأنها غير موضوعة للدرس، لكن يكفي التفكير أنها وحدة خيارات متسامية لفهم أنها هي نفسها متسامية. لا يمكن للوعي أن يفلت من تلازمه، لا يمكنه أن يكون موضوع إرادته الذاتية إلا إذا عكس صورته بشكل كامل على الجهة الأخرى من العالم. هكذا تتلون الخيارات التي تنتظر في المستقبل بالإنسانية. إنها إمكانيات إنسانية وإمكانياتي، توجد «عند مبتغى الإنسان». لكن من جهة أخرى تغيب ولن يصبح الواقع الإنساني المتسامي إلا شكلاً فارغاً لأنه ليس سوى وحدة هذه الخيارات. هذا ما نسميه إثية أو ظلاً محمولاً بالوعي لما وراء العالم - الذي لاهلاقة له بالأنا، وحدة الوعي الزائدة للفعل.

ينتج عن هذا أنه يوجد في كل لحظة بالنسبة إلى الوعي عدد ما من الإمكانيات التي هي ليست أكثر من حماقات، أي أنها تظهر له تحت الشكل الذي كنت بصدد وصفه. هذه الإمكانيات هي المتلازم المفكر فيه لما نسميه إرادة الوعي، ولهذا ليست هذه

الإرادة شيئاً آخر سوى الوجود- الخاصّ للوعي. يحدّد الوعي نفسه في كلّ لحظة باعتباره وعياً يمتلك بعض الإمكانيّات. يجب الإنصات إلى هذا وجودياً: إنّه وجود الوعي وليس وجود الوعي محاطاً ببعض الإمكانيّات، ولهذا فإنّ وجوده مختلف نوعياً عن وجود أيّ وعي آخر، ومن هنا يكون للإمكانيّات طريقتها الخاصّة لإلقاء نفسها في العالم. ومن الطّبيعيّ أنّه مهما كان هذا الإلقاء واحداً، فالخيارات التي تظهر مفكّراً فيها يمكنها أن تكون متعدّدة بما أنّ هذا الإلقاء كاسر للأشعة، ودليلاً على تنوّع العالم. إنّها تشملنا جميعاً، دون استثناء، بيد أنّها ليست موضوعاً للدّرس. وعليه فكلماً حضر الوعي مثل بالضرورة إرادة إمكانيّات. والصّلة بين الوعي وإمكانيّاته واقعيّة بالأساس، إنّها رابط ملموس، بكيفيّة تتجاوز الصّلة بين الوعي والأشياء المدركة. يتحدّد الوعي في كلّ لحظة من خلال نفسه بالتناول غير المدروس الذي تميّزه تعدّدية ملموسة للإمكانيّات - ويحدث ذلك ضمن ظرف محدّد، تمثّله المقاومة الكاملة للأشياء، في انتظامها، وذلك ضمن تراتبية تختصّ بها الحوافز الأدوات. هذا الظّرف ببساطة هو العالم مرتّباً بشكل كامل لخدمة إمكانيّات خاصّة بالوعي.

وفق هذه الشروط، نفهم أنّ ما أريده في كلّ لحظة هو تحديد طريقيّ للعالم، فأنا ما أريد، وهذا الذي أريده محدود بالقوّة. إنّني وجود مكتمل بالأساس ومسؤول بشكل كامل عني. سوف نفهم أنّ ما نسمّيه عادة فعلاً إرادياً فردياً، هو إرادة فارغة في اتّجاه إمكانيّات هي بالأساس ليست إمكانيّاتي، لكن أرغب فيها لأسباب متعدّدة (حالة أداء القسم) في حالة الإرادات الممتلئة، ولا يعني ذلك دراسة ما هو ممكن بشكل مباغت بما يفقد الدّراسة جدواها. في الحالة الأخيرة، بعيداً عن أن يكون هناك تعزيز بالخيارات، فإنّ ما نسمّيه إرادة ليس أكثر من تشييت لإرادة الوعي. وهو تشييت مؤقّت لا يلغي الخيار المشيّت، حيث التشييت التخيلي لا يلغي الصورة التخيّلة. ألسنت بهذا الشكل إرادة كاملة بما أنّني أريد ما أنا عليه. ولا إرادة محصورة يمكن أن تنبثق على هذا الأساس. أنّ أغبر بعض إمكانيّاتي، فذلك يعني تغيير كلّ إمكانيّاتي في الوقت نفسه، تغييراً ظرفياً، أي أنّني أريدني آخر. يأتي الشّيء باستمرار بل إنّ كلّ

تحويل ليكون مكثفا هو وجودي دائما وكاملا⁽¹⁹⁸⁾.

في المحصلة؛ قبالة الوعي هناك في كل لحظة كلية الواقع، جمعا أو ظرفا. وهذا الوعي يتضمن: الأشياء المدركة - الحاضرة - الخيارات - القيم - الخيارات التي هي ليست خياراتي، الإمكانيات التي هي ليست إمكانياتي-، وقد تمّ تقديم بعض هذه الوقائع بشكل مدروس، وقدم البعض الآخر بشكل غير مدروس، (الأشياء المدركة مثلا) ف ثمة وعي بكلّ هذا.

الخيارات هي المستقبل الواقعي، هي المعني لحاضري. غير أنّ هذا المستقبل، مستقبل العالم، في مقابل مستقبل الأنا المستقبل المتسامي عن الوعي.

سوف أحاكم شخصا بشكل صارم لاستعماله المبتذل للغة ولن أحاكمه إطلاقا بسبب قتله لأمة.

السبت 25

حركة تعليمات في العلم: يوقظني «بول» هذه الليلة ب «هووو هووو هووو» المقولبة. غير أنّه يلتفت بغتة ويثغثغ متلعثما: «أعذر!» يلتفت إلى الجهة الأخرى وينام مجددا. ما هو مثير حقاً للصدمة، أنّه خلال الأشهر الثلاثة التي جمعتها، لم يشكل آخر، غير هذه ال «هووو هووو هوووو! أووه!»، بدا لي ذلك أشبه ما يكون بشكل طقوسيّ مجمّد، هناك شيء ما غير محدّد في هذه ال «هووو هووو هوووو! أووه!»، كما لو أنّه توبيخ صادر عن صاحب سلطة، لا يخلو من التكلف والادّعاء، أو هو ضرب من العجز المقفر لشيخ هرم، أتذكّر أنّ جدّي في خرفه، كان يطلق صيحات مشابهة، حين كنت أساعده وهو يتنقل في غرفته، وكثيرا ما كانت تحذله ساقاه «هووو هووو هوووو! أووه! أمسكني يا صغيري أمسكني!» شيء ما جافّ فيه رجفة ونحيب. هذه الأوهه! ختامية بالعكس تستعرض نفسها بشكل بديهي، كما لو أنّ الصيحات الأولى تلفت الانتباه إلى التوبيخ النبويّ لكارثة قادمة. تتخذ نسقا

198. سوف يحلّل سارتر بأكثروضوح علاقات الفعل الإرادي بالحرة في الكتاب الرابع من الوجود والعدم " أن أمتلك. أن أفعل أن أوجد" الفصل الأول.

تصاعديًا متوترًا، كأنها تأنيب لطفل صغير يلعب بتحفة ثمينة، ولكن الكارثة تسبق التنبيه، لتسقط التحفة على الأرض مهشمة. تتوالى صيحات «بول»، دون انقطاع، صيحات أبعد ما تكون عن البشرية، لا تتوقف إلا بإيقاظه، لتبدأ الحركات فتراها ناهضًا أو واقعا على أربع، أو زاحفا على كامل أرضية الغرفة.

إحدى الظواهر الغريبة لهذه الحرب التقنية، هو إعادة زرع الأكراس الممنهجة. لقد كان هناك سنة 1914 لاجئون، لكن تم انتزاعهم عنوة من أراضيهم تحت ضغط الظروف. وعوض أن يتم تنظيم نزوح الأكراسيين وتوزيعهم في شكل فرق عبر كل الأراضي الفرنسية، اعتقدت الحكومة الفرنسية أنه من الأفضل نقل الناس وفق بلداتهم وقراهم، في إجراء حذر يأخذ بعين الاعتبار التوزيع الترابي والإداري المحدد لهم. كتبت الصحف وهي تتعامل مع ما يحدث بشكل من أشكال الرضا: «سترازبورغ (دوردونيه) هذا ما أورده صحيفة «الأوفر». غير أن النتيجة كانت عكس ذلك تماما، فبعد عزلهم، يقومون بتجريدتهم، ويلقون بهم في وسط اجتماعي غير منسجم مع طبائعهم، وما توارثوه من تقاليد، وأعادوا بمرور الوقت زرع مجموعات صغيرة بممثلها الإداريين، دون أن يوفر لهم المحيط الملثم للممارسة عاداتهم وشعائهم، ودون النظر فيما يحيط بهم من أبعاد، تتعلق بالمناخ، والجغرافية، وبالطابع المعماري للمنازل، وأساسا بالثقافة. أعتقد أن الشعائرية الاجتماعية يزداد سخطها وتصبح مسعورة بقدر ما ينقصها من أسس واقعية. يتعلّق الأمر الآن بمجتمع ما دون أرض، حالما بروحانيته عوض أن يمسك بها من خلال احتياجات الحياة اليومية التي لا تخص. يثير كل هذا الكبرياء، كرد فعل دفاعي وضم مرضي للروابط الاجتماعية. ها هو مجتمع مسعور دونها أي رادع. كان من الجيد في مثل هذه الحالة وضع الناس على اتصال مع أسر من ذوي الثقافة العالية - مع الحضارة الصناعية التي ينعم بها الليونني [نسبة إلى مدينة ليون الفرنسية] - مع مجتمع الجنوب الفرنسي. ألم يكن ذلك ممكنا. لكن ما الذي فعلوه؟ لقد أرسلوا بهم إلى القرويين اليموزيين [نسبة إلى ليموزان إحدى مناطق فرنسا]، آخر الناس، المتخلفون، المتبدلون، الطماعون الجشعون، البؤساء. وجد الأكراسيون المأخوذون بعد بذاكرتهم

الثقافية المنهجية والمنظمة، المسحورون بذكرى منازلهم الجميلة، أنفسهم مهملين في هذه الأرياف، والقرى المتسخة، في ضيافة هؤلاء الناس الحزينين الشاحبين، المتسخين. يكفي مثلاً مقارنة الضيقات المبهرة لإيتنهايم حيث تتجمع البنايات حول ساحة - الشكل المتطور جداً للمتلز الريفي - بهذه المنازل «كتلة على الأرض» و«كتلة على علو ما» لليموزيني، للإحساس بحجم الحنية، وبحجم صدمة مشاعر المجموعات الألزاسية. سوف يزداد اشتداد الفارق أكثر بسبب من اختلاف اللغات، ومن مركب النقص الذي يعانيه الألزاسيون تجاه فرنسا. مركب يجعلهم أشد حساسية. اصطدمت عاداتهم في النظافة بعادات هذه المدن الصغيرة، مثل ما حدث في تيفيه، منذ عشر سنوات الآن حيث تنتشر المزابيل والفضلات في أحواض السفن. أليست النتيجة واضحة دائماً: إن كل الكتاب الألزاسيين يصفون الليموزينيين بالمتوحشين. فللكلمة مرجعيتها في كل الآداب، وهي تمثيل جمعي: «نحن نقيم عند متوحشين». أما الليموزينيون فيردون الفعل بدورهم واصفين الألزاسيين بالبوش. دون أي بغضاء خاصة. وهو ما نتج عنه بطبيعة الحال في البدء مشاجرات إلى أن صدرت مراسيم صارمة تنظيمية في هذا الشأن. وبطبيعة الحال فإن التجمعات الليموزينية مع ما تحمله من أورام منتشرة في داخلها، واعية بطبيعة الصراع، عاملة في السر والعلن على تأجيجه، وهي مجتمعات معلولة تعيش ضربين متناقضين من الشوفينية، والاستعلاء. وقد احتد الصراع وعرف أوجه، فتنامي بسبب عجز السلط عن معالجة أسبابه، وإحاطتها بما يجب من تنظيمات وقوانين. نصف المهجرين في مناطق كثيرة بلا أسرة. المرضى منهم بلا علاج. حدثتنا مضيقتنا عن حالة امرأة مجبرة أن تمشي يومياً إثنتي عشرة كيلومتراً يومياً من أجل الحصول على الحليب الضروري لأبنائها. يركنون عائلتين أو ثلاث في مخزن، فيعانون من الاختلاط: «لم نعد نجرؤ على تغيير ملابسنا، وابن تيريز (14 سنة) دائماً واقف هنا يرمقنا ونحن نستحم. رؤساء البلديات الألزاسيين هم أيضاً متهمون تماماً مثل الولاة، إنهم لا يهتمون بأي شيء. أما السكان، فإنهم يستثمرون بعض المدخرات، فيكترون سريراً من القش، بعشرة فلسات، إلى غير ذلك من المظاهر المخزية. يتنهد ميستلر قائلاً: يفعلون كل هذا كي لا

يشجعوا الاستقلالية. تماما، لكن ما هو أغرب كم ذلك، هو هذا التواصل الفوري بين مقاطعتين بقيتا مكتملتين ومنظمتين. وهو ما لم يحدث على الإطلاق. للتسجيل في هذا الفصل المخصص لإعادة زرع المهجرين الضخم الذي دثته روسيا لأسباب اقتصادية، وتابعته ألمانيا وإيطاليا لأسباب سياسية.

إن الاحتشاد المثير للاستغراب للألمانيين المهجرين (قرية من ألف ساكن تستقبل ألفا ومئة مهجر) ليس له من مبرر سوى إرادة المحافظة على الأطر الإدارية بشكل سليم (البلديات، المقاطعات، الأطر الدينية، المجمع الديني، إلخ) وعدم ترك الفرد (خبرة الثورة) لنفسه.

الأحد 26

لاحظت أنه بسبب حياء خبيث نوعا ما، وغريب، لم أدون شيئا بخصوص تحولات مزاجي منذ سبعة أو ثمانية أيام. لم أقدم على ذلك لأنني لم أمتشعر أهميته. ولأنه لم يكن مختلجا بالفعل. لكن، إن كان هذا الدفتر حكاية شخص يخوض الحرب، ما هو بالأقل حظا ولا هو بالأكثر سعادة، فمن الضروري أن أعمل على تدوين كل تلك التغيرات بدقة متناهية، وأن أكون أميناً في نقلها، ولعل السبب الذي جعلني أترفع عن تدوينها، هو ببساطة أنني لم أجدها ذات بال، فلا أهمية لها، وهي لا تمثل انتصاري. وفي الحقيقة، فإنّ وضعي منذ سبعة أو ثمانية أيام كمحارب يتقل عليّ. ليس هو الضجر، ولا الهيجان، ولا التمرد. هي تحولات غير محسوسة في العالم: لقد اختفى الرفاه الشاعر في برومات. مدينة غادرتها نهائياً. لقد حدثونا كثيرا عن الرحيل. لم أعد هناك، ولم تعد سوى ديكور بلا جاذبية. هي مدينة في جاذبيتها بشكل ما، إلى قربها من خطوط الجبهة. هناك، ما هو ما وراء الشرق، حيث الخطر والغرائبية. كل هذا اختفى؛ كما قال ميستلر بالأمس: «من ذا الذي يفكر في الألمان؟ من الذي يتحدث عن الألمان؟ من الذي يخوض الحرب ضدّ الألمان؟» لعله المساعد وحده، من يعيش ذلك. غير أنه شيء حرق. لم تعد برومات سوى إقامة محرومة من المعنى، مع شيء ما معتم وبارد. فقدت بعض الأماكن تلك الجاذبية الاجتماعية والبشرية التي تتميز بها مثل

حانة الإكريفيس. في هذه الحالة ليس بسبب مزاجي بل بسبب الانكشاف التدريجي للحقيقة. في بادئ الأمر؛ تلك التآكلات العاهرات الجسورات، اللّواتي يحتككن بالجنود ويدعونهن فجأة إلى القبو، ليعدن من هناك وشعورهن مشعثة، وصاحبة المحلّ الماكرة والجميلة التي تشبه جاكلين دولباك⁽¹⁹⁹⁾ ثم حضور ذلك «الشباب الذهبي»، جنود مشاة ومطاردون كانوا فراشات في الحياة المدنية، وكان أحدهم شاباً مدللاً، كثير التحدّث عن عشيقاته، من راقصات تابرين، وكان آخر، ممثلاً سينمائيّاً، غاية في الوسامة، ممتلئ بعض الشيء. أقوم بكل هذا الجهد من أجل إعادة بناء حانة في مونمارتر، تلك النّخبة التي تُدار بأثنان (الأقل ثراء يذهبون إلى الأسفل قليلاً مقهى-مخبزة)، هذا كلّه يمنح ذاك المقهى جاذبيّة غريبة، هزلية وفاسقة شيئاً ما. لكن وبما أنّني أتناول فيه إفطار الصّباح كلّ يوم، أعرف كيف تُدار فيه الأمور: خزي بورجوازيّ للسّباب الذهبيّ، ألعيب شابتين صغيرتين يتصرفان بحفاقة المقيمين، عقلية الرّبح التي تتصرّف بها صاحبة المحلّ. غير أنّ نوعية الحرفاء تغيّرت شيئاً فشيئاً، فعوضاً عن الجنود، صار يزورها مساعدو الضّباط، ويرتدّد عليها بعض القادة في أوقات معيّنة. للحانة الوردية جاذبيّتها الدّائمة عند الصّباح، غير أنّ العادة نهكها قليلاً، لن أعرّ على شاعريّتها الطريفة إلا لاحقاً في ذكرياتي. هامى برومات الآن مجفّفة. قاعة المدرسة أشبه ما تكون بقفص، بقاعة عمليات وبالكاتب التي تصدر اليوم. وفي الوقت نفسه أخذ المستقبل ينحت نفسه ويعدّ بني. اختفت تلك الضّبابية التي رافقت شهر سبتمبر. فهناك بدءاً رخصتي التي انتظرها، والتي تؤثت أيامي بغريب الصّور: إقامة مطوّلة في عربات القطار المعتمة والباردة، باريس المظلمة نجوم بنفسجيّة عند منعطفات الشّوارع، كتلتها المسوّدة عند قدم ساكري كور، الخ. ثمّ إنني رغم خجلي من أن أعرّف بالأمر، بدأت أنتظر نهاية الحرب. أوه، إنّه اعتقاد خياليّ، إنني أنتظر ذلك كما انتظرت في شتاء 1939⁽²⁰⁰⁾ نهاية السّلم، لم أعد أوّمن بحدوث

199 ممثلة مشهورة في ذلك الوقت. من 1936 إلى 1939 وأدّت الأودرا الرّئيسية في كل أفلام زوجها
ماشا غغري.

200 يجب قراءة ذلك 1938 على وجه الاحتمال.

ذلك. ولكنني في مصل أمري أجدي غير مرتاح بالمرّة، لمكوئي هنا في الحرب، مثلما كنت قبلها غير مرتاح لمكوئي في السّلم، بين 1938-1939. لقد خيل لي أنّي خلال شهر أكتوبر، قد حقّقت نوعاً من الاستقرار حيث أنا، ولكنّ زيارة الكاستور أعادت الاختلال إلى توازي. من خلال أملي في السّلم - وهي ليست بعيدة جداً - أشارك في ظاهرة جمعيّة، أو هكذا أعتقد. كلّ هؤلاء الرّجال الذين سافروا معي كانوا في البدء شجعاناً - لقد فسّرت وجهة نظري هذه في الدّفتر الأوّل - كلّهم، باستثناء اللّطفاء والرّقيقين عرفوا المغامرات السيّئة والجارحة للرّواقي. لذلك قرروا أنّ الحرب سوف تستمرّ لسنوات - وكانت هذه طريقة للغرق في رواقية أخرى. ما هو أكثر حقيقة، أنّ الأمر لا يتعلّق ببطولة نفاذ الصّبر لكن بصبر بشريّ طويل المدى يؤدّي إلى احتمال منفي يوميّ. كانت الصّحف تساعدنا إيّان تلك الفترة: والمقصود من ذلك إدخال الرّعب على الألمان. ردّت أنقلترا على الحرب المشهورة الخاطفة المخففة تعلن استعدادها لحرب سوف تدوم لثلاث سنوات. وهو ما ردّ عليه هتلر في الدانتزيغ: خمس سنوات - عشر سنوات إن تطلّب الأمر ذلك. لم يكن الأمر بالطّبع في حاجة إلى ضباط حكماء، يحركون رؤوسهم يمنة ويسرة ويكتبون في الصّحف الموالية: سوف تكون طويلة، أطول ممّا نتصوّر. وكان هذا بمثابة الإشهار. إضافة إلى أنّها كانت طريقة للتفكير عكس 1914. لم يكن يليق بهم الوقوع في الخطأ نفسه منذ ربع قرن، بأن يرسلوا جنوداً في «فسحة حربيّة»، وربّما كان جديراً بهم أن يخطئوا في الاتجاه المعاكس. بسبب هذا هذا الاعتقاد الضّبابي، وجدّني مع الآخرين، ثمّ إنّ تفاؤلي الشّخصي جعلني أمل في حرب قصيرة المدى. كنت قد اتخذت الموقع الأوسط وكرّرت بعزيمة: «لقد تركت لي احتياطياً من الشجاعة إلى ربيع 1941». ثمّ؛ ها هي إشاعة حرب قصيرة المدى بدأت تسري بقوة. أولاً ها نحن هنا، وأحد الكهنة يقرأ في دهان الجزمات ويتوقّع سقوط هتلر في ديسمبر. ثمّ هي ردود فعل خفيّ لحكماء - هم أنفسهم أولئك الذين يتوقّعون حرباً طويلة المدى أو أشياء أخرى - بعضهم يتحدث عن إمكانيّة عجيبة، ستتقلب بها الحرب قصيرة، وآخرون أكثر صراحة يكتبون «عندي قناعة تامّة أنّ الحرب سوف تكون أقصر بكثير ممّا توقّعنا لها». أمّا هنا فالأكثر

تشاؤما يلقون الأسلحة. يعود جزء كبير مما تقدّم إلى ما للبروباغندا الجديدة من تأثير (هل تمّ التخطيط لذلك؟ أليس من قبيل رفع المعنويات⁽²⁰¹⁾) ويرجع جزء آخر إلى أنّ هذا الصبر الطويل كان من الصعب اكتسابه، والجنود يختنقون من الضجر. كلّ هذه الدّهنيات ترسل لي صورة تفاؤلي وهاهو الأمل يعود مجدداً. هذا هو الأقسى في كلّ شيء، لأنّ حياتنا اليومية، صارت عبثية وفقدت عمقها الإنساني. وفقدت الحرب في الوقت نفسه جاذبيّتها الفاتنة. وسيكون السّلم في المقابل، احتيالا يفتقر إلى أيّ قيمة. وسوف نجد أنفسنا، مخدوعين، مكتمّين بعد أن خسرنا سنة من حياتنا. مرّة أخرى لست أريد أن أقدم هنا الأسباب التي من شأنها أن تبرّر مزاجي السيئ، ولكنّ وصف الأجواء العامّة، من شأنه أن يعكّر الأمزجة، وإذا كان من تغيير يمكن أن أميّزه في شخصي، فهو هذا التّرقّ المتزايد، وما يخالجنني بخصوص فائدا، من احتدادات، ومن رعب عاطفيّ. فبالأمس مثلاً استلمت عند السّاعة الثانية رسالة منها هذه نهايتها: «أتوقّف لأتي لمحت جمجمة بلين تظهر، يشدّها بعض النّاس عند الممرّ لكنّ نظرتها مصوّبة إليّ، تتّجه ببطء نحوي، بعناد سلطعون، إلى الغد». هذه النّهاية للمسلسل «الباقى غدا» دفعتنني إلى ممرّ في نبوءة من الغيرة: كنت واثقا أنّه سوف تكون هناك حكاية بينها وبين بلين. على الفور كتبت رسالة لا يمكن إصلاحها، وانتهى بي الأمر إلى تمزيقها. عدت اليوم إلى مشاهد تحتوي أكثر ما يمكن من الفروقات اللّونية. غير أنّ هذه الأزمات العاطفيّة تكشف عن عدم توازن. وهل هو بسبب عضوي في جسدي: عيناى سليمتان ولكنني أشعر أنّي لست بخير. وهذا الصّباح عادت عيناى تضايقني. فها أنا ذا مرّة أخرى لا أعرف حالتي إلّا من خلال هذا الكدر الخفيف، من خلال التّماعاته وكيف يلوّن الأشياء من حولي. هل كان لا بدّ من أن يكون مساء الأمس بالخصوص معتما: كنت أحترق من الغيرة، بينما كان «بول» الذي تلقى حقنة ضدّ الحمى التيفيّة متدنّراً بمعطفه الأزرق، يتجوّل طولا وعرضا

201 أغلب الصحف الفرنسيّة مبالغة في الصعوبات التي تعترض الديكتاتور النازي، خاصة بالحارج، تدفع بأمل " انتصار معجزة": حسب المؤرخ غريميوبريلهاك لم تكن هذه الحملة مخطط لها مع السلط لكن كان مسموحا بها بشكل واسع (فرنسيو سنة 1940 الجزء الأول غاليمار 1990)

عمرا بائسا، وبعض قطرات من العرق تتصبّب من جبينه. وكنت من خلاله أشاهد رثاء قاعة المدرسة. كان كل شيء معتما. لا أعرف ما الذي حلّ بي هذا اليوم، أجدني على غير عاديّ حادّ الطّباع، جافاً، وحيداً، مفرداً، بلا أيّ شغف، انطفأت حماستي نحو هذه الحرب، وانقطع أمني في أن أشهد نهايتها قريباً. عندما أتأمل حالتي في عمقها، يبدو لي أنّها أفضل الطّرق لاحتمال الحرب في الفترة القادمة. إنّ انشغالي بهذه الأمور، يدعوني إلى تدوينها، لأجد بعض التّوازن، منذ أيام معدودات، نحتاجني حالات من الحساسية المفرطة، أو لنقل من الشّاعرية المزيّقة، والعنيفة. وقد أعربت عن ذلك للكاستور في رسائلي الأخيرة، ومن الجدير الإشارة إلى أنّها قد استشعرت من خلالها ما طرأ على مزاجي من تغيّرات، لقد حدث ذلك قبل أن أنتبه أنا نفسي إلى الأمر.

وفي المحصّلة؛ فإنّ الحرب فكرة ملموسة، تنطوي داخلها على فكرة تدميرها، وتحققها، من خلال جدليّة ملموسة أيضاً. وكما أظهر ذلك رومان، في اليوم الذي تأكّدنا فيه من أنّ وسائل التدمير تحتوي في حدّ ذاتها على تدميرها الذاتيّ، وتكفي تهيّؤات محدّدة، بأقلّ ما يمكن من التكلفة، وبيدائية أكثر، لتجنّبها، لتنتهي وقتها حرب الرّجال، وتصبح البضائع محلّ تدمير. من غير المستبعد أنّ تطوّر وسائل النّقل في المستقبل، سيغيّر من طبيعة الحرب، ليكون الحصار غير ذي جدوى، لاسيّما إذا انتعش النّقل الجوّيّ. يتعلّق الأمر هنا بمدّ خطّ جوّيّ بواسطة الزيلين [بالألمانية في الأصل وهو منطاد ألمانيّ تم استخدامه في الحرب العالميّة الأولى بصفته قنّاصاً وأداة استطلاع، يعود اسمه لصانعه فريدناند فون زيلين] لنقل الموادّ الأوليّة بين روسيا وألمانيا) وفي هذه الحالة يمكن القول إنّهُ يمكن احتمال الحرب. ليس هذا بالسلّم ولكنّه الجدليّة الخاصّة بالحرب التي يجب انتظار إلغائها. سوف يتحقّق جوهر الحرب بشكل ملموس في اليوم الذي تصبح فيه الحرب استحالة.

كلّفت «ميسلر» بإنجاز بحث صغير على عين المكان (ميسلر أزراسيّ مقيم عند أزراسيّين) حول ظروف اللاّجئين من خلال رسائلهم. تحمّس للأمر. بعد محادثاته مع مضيقنا وجاراتها قال لي إنّ رسائل اللاّجئين تدور أغلبها حول المتوحّشين الذين

استقبلوهم، وقد أثارت في نفوس الذين لم يتم تهجيرهم مشاعر الأنفة والخوف. بلادهم الغنية، المتحضرة والخصبة، بما تتوفر عليه من رفاهية وترف، تبدو لهم شبيهة بلحم فاخر وشهي عند حدود بلد فظ ومتخلف. يشعرون الآن أكثر من أي وقت برعب التهجير. صارحتنا مضيقتنا مؤخرًا قائلة بلهجة صارمة: «لن أغادر حتى ولو أجبروني على ذلك بالقوة». أما العجائز اللواتي التقى بهنّ مستلر فكنّ يكررن: «نفضل أن يتم قصفنا على أن يتم نهبنا» ذلك أن التهجير بالنسبة إليهنّ هو النهب. يشيعون حكايات أكياس مشبوهة، في محطة سترابورغ صدرها «موخغ» [بالألمانية في الأصل تعني الضابط أو المسؤول] إلى زوجته وقد فتحتها السلطات: عثرت بداخلها على ملابس داخلية نسائية. (الضباط - كبار المسؤولين) هم أكثر خوفًا من الجنود. يتحدثون هنا أن ضابطًا قدّم في مركز بريد برومات ثلاثة صناديق لإرسالها لزوجته. أثار الأمر عاملات البريد وأصابتهنّ الحيرة ففتحن الصناديق: المزيد من الملابس الداخلية والقبعات. هذه الحكاية الأخيرة غير واقعية إطلاقًا، إذ أنه يمنع على الضباط ناهيك على الجنود استعمال البريد المدني. ولنفترض أن جنودًا هنا وهناك أرسلوا صناديق ملابس داخلية لزوجاتهم، ألا يتعلّق الأمر بهؤلاء الستربورجواز الذين سمحوا لهم بالبقاء بعض الساعات في مدينتهم لإرسال أشياء ساخنة لعائلاتهم المهجرة؟ وفي جميع الأحوال إن إشاعات النهب منتشرة بشكل حادّ، والمحترمون الذين يشيعونها متفعلون: «هؤلاء المتوحشون لا يملكون شيئًا من مثل هذا، فالأمر ليس مستغربًا» (مقتطف من كلام ابنة مدير محطة الكهرباء الرئيسية).

من شأن غياب أساس صلب، للأطر الاجتماعية أن يثير، إن لم أخطئ، أزمة تصوّف اجتماعي عند اللاجئتين. ليس هناك غياب للكهنة وللمجمع الديني غير أنهما موجودان لتوظيف هذا التصوّف لحساب الدين. وفي الأثناء بدأت السلطات المدنية بروباغندا معاكسة لفائدة الأكراسيين الباقين في ألزاس. ليس مطروحًا أن يثرثر الأكراسيون (رئيس بلدية، الكاهن إلخ...) اللاجئون، على الهواء، ليشرحوا ما يعيشونه من ترف ورفاهية وما ينعمون به بين عمال البناء. أبدا لا جدوى من ذلك، فالرسائل وما تتضمنه تقف حائلًا دون ذلك.

حين دخل «ميستلر» قرأت له ما كنت كتبت. وجدت تدوينة الصفحة السابقة نوعية جدًا. في الحقيقة لم أقم بشيء عدا إعادة كتابة هذه الآراء، غير أنني أضفت إليها من خلال الكتابة، صرامة ما كان يجب أن تتصف بها. يصحح نفسه ويقول - والذي هو أشد أهمية: المهم أن هناك ذهان التهجير والنهب في برومات. غير أن مميزات هذه الإشاعات التي يتغذى منها الذهان ليست بدرجة كبيرة من الصلابة والقوة. فما هي إلا مسودات. تفتقر إلى الدقة. الأحداث محجبة وغائمة شبيهة بمخطط غامض. من ذلك أنه ليس صحيحا أن يقال: إن جندياً أرسل صندوقاً مليئاً بالملابس الداخلية عبر البريد. لا، الأمر أشد غموضاً وغرابة. فهذا من قبيل: «هناك صناديق ملأى بالملابس الداخلية في مركز البريد». والرابط بين الصناديق والضباط حساس جدًا. هو موجود لكن لن يصل إلى درجة أنهم أرسلوها. ليس لديهم شيء ما هنا، هذا هو. إضافة إلى ذلك فإن الأمر لم يقل بعد، ولكنه ناعم عن سوء فهم. ولو أردنا التدقيق في هذه الإشاعة فلن نجد لها أي أساس. إنه ضرب من الهذيان السري، الذي ينتظر ما يسوغ له التحول إلى حقائق. هذيان مشوب بحذر الألزاسيين وحيطتهم، وبكثير من الخوف الخفي ومن التردد، ومن الحذر.. خوف بلا مبرر.

شرت الصحف اليوم تصرّحاً لروزفلت؛ كأنها تؤكد ما قلته هذا الصباح إذ يُصرّح قائلاً: «أمل أن تنتهي الحرب في الربيع القادم»⁽²⁰²⁾.

يتلقى جندي المراسلة للفرقة 68 الذي يقيم بشكل مدني في ستراسبورغ، العديد من رسائل اللاجئين ببيروغا. تتم معاملة الألزاسيين هناك بشكل سيئ جدًا، والسكان هناك مستنفرون ضدهم بشكل عدائي صريح، ويعتبرونهم السبب في اندلاع الحرب. إن كان هتلر قد أعلن (؟) الحرب فلأنه يريد بالفعل استعادة الألزاس لورين.

202 الصحافة التي كانت بالرصاص لكل ما من شأنه تغذية الأمل في "انتصار معجزة" علّت من قيمة هذه الجملة التي وردت في خطاب الرئيس الأمريكي روزفلت بمناسبة إعيد الشكر الموافق لبوم الخميس الرابع من شهر نوفمبر في الولايات المتحدة الأمريكية).

الانتصار على النفس قبل الثروة. مقولة جيّدة جدّا. لكنّها تبرز بشكل جيد مكر الرواقية. من الضروريّ أنّي إذا تحكّمت بكلّ قواي، لمعالجة مسألة محدّدة، أن أفقد السيطرة على أمرّ ما، ما الذي يعنيه التخلّي، بالنسبة إليّ؟ وإلى أيّ مدى يمكنني أن أثبت قيمة شيء، وأيّ صلة يمكن أن تنشأ بين القيمة المثبتة، وما أحمله من رغبات داخلية؟ ربّما نعمد إلى بعض الدّهاء، في تحديد قيمة الأشياء، وقد تسعفنا الكلمات، في ها الصّد، ولكنّ إثبات القيمة لا يمكن أن ينفصل عن الرّغبة الذاتيّة. ولا شكّ أنّ رؤية الرواقية، لا تعدو في محصل أمرها أن تكون مجرد خداع، لا يصمد أمام واقع العشق والجمال الأنثويّ، في عرج امرأة على سبيل المثال. لكن لا بدّ من أن نعشق تلك المرأة لنكتشف عرجها. عميان وضمّ. هم الرواقيون. من حيث المبدأ، لأنّ النّهاية تبرّر الوسيلة. غير مهمّ إن كانت النّهاية مساوية للروح. في جميع الأحوال الرواقية شخص يلوذ بالعنف والكذب مع نفسه ليلبغ هدفه. ما العمل إذن؟ لا بدّ من التّأمّ والتشكّي والبكاء، وعدم اللّجوء إلى كشف قيمة الأشياء. تفترض الأصالة أن نكون بكّائين شيئا ما. الأصالة هي عين الوفاء للذّات. ما سأقوله عن الحبّ سوف أقوله أيضا عن الحياة. إنّهُ لمن القسوة مغادرة الحياة، وأحقّ هو من يدّعي خلاف ذلك، مصطنعا اللّا مبالاة إزاءها، وعدم الأسف على مغادرتها. بشكل أو بآخر. مقطع رائع في الوصيّة الإسبانيّة لكوستلر⁽²⁰³⁾. «لقد ماتوا في الدّموع؛ الشّرايين، وهي في ضعف شديد تطلب النّجدة، مثلما يجب أن يموت الرّجال. فأن نموت فذلك أمر مهيب، لا يجب أن نحولهُ إلى ميلودراما، زد على ذلك أنّ ييلات لم يقل «هاهنا البطل [باللاتينية في الأصل ecce heros] بل قال ها هنا الإنسان. المهمّ أنّ هذا الضّعف الفطّيع الذي يكشف المعنى الذي يقصده كوستلر من أن نموت، لن يمنعك إذا اقتضى الأمر من أن نموت. أذكر، كم حلمت دائما، في تلك الفترة حين كنت محاصرا برواقيتي، أن أرسم بطلا نحّابا وجباناً، ورغم ذلك يفعل دائما ما يجب فقط، يهلك وهو يتنحب طالبا الرّحمة، دون أن يعترف بأيّ شيء. أمّا بالنسبة إليّ فالحقّ أقول لكم، أنّهم في وضعية

مماثلة، سوف يتزعجون منّي الصّرخات رغما عنيّ. سوف أحاول بكلّ قواي أن لا أبكي- لا أعرف- لكن مهزوما بالخوف والإهانة، سوف يقطع الخوف رواقبتي ويكون مثل العقبة، غير أنني سوف أحاول أن أكون رواقياً دائماً. من مطلق الكبرياء أوبّخ نفسي، وبالأساس ما الذي يوجد في هذه الرواقية الجميلة عدا الخوف من الألم. بموجب الوفاء للنفس، وموجب الوفاء للعالم؛ تفترض الأصالة أن نتألم. لأننا أحرار- من أجل- أن نتألم وأحرار- من أجل- أن لا- نتألم. نحن مسؤولون على شكل آلامنا ومدى كثافتها. من السهل جداً أن تكون مضطرباً- من السهل جداً أن تكون رواقياً. غير أنني خلال كلّ هذه الأوقات الأخيرة أكابد فكرة استحالة أن يظلّ المرء أصيلاً. أفهم الآن خطاب شخص مثل ستيفنسون الذي يقول إنّ الحبّ هو أن تكون ذوّاقاً للخوف، لأنّ الخوف هو الانفعال الأكثر كثافة -أكثر كثافة من الحبّ⁽²⁰⁴⁾. ربّما من الأفضل أن نقول: الأكثر أصالة.

إنّ الدوافع الكامنة وراء كتابة هذه الصّفحة كثيرة، ومن بينها حدث في حياتي الشخصية، لا أهميّة له فيما نحن بصدده⁽²⁰⁵⁾، ومنها ما يحدوني دائماً من رغبة متكبّرة، وغريبة، في أن أكون دائماً في صفّ الضّعفاء ضدّ الأقوياء، فذلك يكسبني شعوراً بأنني أكثر منهم قوّة. ووجب القول إنني أستشعر إزاء الذين يكثرون من الشكوى، والتألم ضرباً من التّفور العفويّ، وغير العقلانيّ. لقد حرصت دائماً على الالتزام بهذا الموقف، بكثير من الحذر، إزاء ما كنت أرصده من وضعيات كثيرة ممّا يعيشه سكّان المدن، وهو موقف يمكن اعتباره وسط جحافل الشكوى، وتنافه الآلام، علامة دالة على ما يميّزني من قدرة على الصّبر والكتّمان في قلب الآلام الأشدّ فظاعة. كنت أعتبر نفسي بشكل سحريّ في أغلب لحظات حياتي كمن ينجز اختبارات، ويعود ليعاني أسوأ الأوجاع، دون أن يتبس بكلمة واحدة، محافظاً على كبريائي. ولست في محضل أمري، مضطراً إلى أن أبرّر اصطفاي الدائم مع أولئك الذين لا يتأوّهون.

204 في نادي -الانتحار قصة ألف ليلة وليلة. يوميات جولين غرين يذكر هذا المقطع في 1 فيفري 19

205 هل لهذا الحدث علاقة بفاندا؟ إذ. تلقى رسالة منها بتاريخ 26 أعادت إحياء شكوكه في خيانتها

(رسالة موجهة إلى الكاستور في نفس اليوم)

وليس اصطفا في مع المتأوهين إلا ضربا من الخدعة والتّمويه، إنني أعضد ضعفهم فيما أزدريه من الدّاخل، وأنبش فيه بشكل حرّ عن قوّة قاء، عن أصالة تفرض نفسها عليهم دائما بسبب ضعفهم. وهذا دليل آخر عن هذه الصّعوبة البالغة لبلوغ الأصالة، فكلّ توق إليها، محفوف بمزالق لا تخلو من أشكال التّضليل ومظاهر الانخداع.

علمت أنّ هناك مشروعا قبلي للتايمز يؤمّن السّلم على اتّحاد فيديريالي بين الشّعوب، «على هذا الأساس فإنّ مختلف الأمم الأوروبيّة سوف تقبل بحدّ لاستقلاليتها في الميدان الاقتصاديّ، الماليّ وحتى السّياسيّ». لقد تمّ تقريبا حجب هذه المقالة في فرنسا، إذ تركوا حرية التصرف لـ جو سي بارتو [صحيفة فرنسيّة مقربة من الحركة الفرنسيّة التي أنشأها موراس بدأت تصدر سنة 1930]؛ وبالعكس فلقد كتب فرانسيسك غي في لوب⁽²⁰⁶⁾.

«لقد سبق أن ذكرنا ذلك، إذ أوصينا الصّحفيّين الدّيمقراطيّين الذين يحاولون التّدقيق في الخطوط الكبرى لأهدافنا من الحرب بالكتمان البالغ. عليهم توخّي التّحفظ ليس فقط من أجل تأييد ما جاء في المقال الحساس للصحيفة الرّسميّة التايمز، ولكن أيضا الابتهاج للتطابقات الملحوظة بين بعض خطابات السّادة لوبرين، دالادييه، بول رينو⁽²⁰⁷⁾ وغير ذلك من التّصريحات الأكثر دقة للسّادة شامبرلين وإيدين، وتصريحات لورد هاليفاكس أو السير نيفيل هندرسون⁽²⁰⁸⁾ ويبدو في المقابل أنّهم يتعاملون بشكل ليبراليّ موسّع مع الكتاب الذين يرون من الملائم تطوير أقوى المصادرات ضدّ اتّفاقيّات 1919».

تبع ذلك اقتباسات في مقالات في بيتي باريزيان، الفيغارو ولوطون، جو سوي

206 في مقالة تحت عنوان "مصادرات اتّفاقيات 1919" (الأحد الاثنيّن 19-20 نوفمبر 1939) يجادل فرانسيسك غي مؤسس الحياة الكاثوليكيّة (1924) ولوب نظريات موراس والحركة الفرنسيّة 207. للتذكير فإنّ البر لوبرين رئيس للجمهورية الفرنسيّة وبول رينو وزير الماليّة وقتها.

208 أنتوني إيدين وزير الدومينيون [الدومينيون دولة مستقلة من دول الكومنولث البريطاني] في حكومة شامبرلين، لورد إدوارد هاليفاكس وزير الخارجيّة. السير نيفيل هندرسون السفير البريطانيّ بألمانيا إلى حدود إعلان الحرب.

بارتو، الخ [صحف فرنسية] لم يتم حجبتها أو تمّ حجبتها بكلّ قوّة. كان الأمر يتعلّق بمبادرات رقابة ثانوية رجعية.

لا توجد اليوم أسباب وجيهة لأكون منسرحاً: حكاية فاند، والألم المخيم على عيني... الطقس مغبرّ ومعتم، ثمّ إنني مفلس تماماً، ولا رغبة لي في الخروج. رغم ذلك كنت عند حدود منتصف النهار والنصف بقاعة المدرسة أتناول خبزاً وشوكولاتة رقيقة «كيللر»، وهو يلتهم بشراهة حبّات فاصوليا، نهضت نحو الجهة المقابلة، أسرّح البصر في السّماء، وفي مصاريع النّوافذ الحمراء للمنزل، وبينما كنت أفكّر في الأصالة وفي الحوار بين ماتيو ومارسيل⁽²⁰⁹⁾، باغتنى فرح صلب ومتناسك، لم أتبيّن سببه. لقد عرفت الفرح أولاً وقلّلت من الفرضيّات، فأنا لا أدين به لأحد غيري. ليس بسبب كبريائي، ولا بسبب ما تملكه الأشياء السّخيفة من شاعريّة، وليس بسبب حنان قابل للنقاش. إذ لم يكن له أيّ احتداد هشّ. كان فرحاً صبيانياً رائقاً، ولأنّه لم يكن ناجماً عن دوافع محدّدة، فهو نقيّ.

إنّني أرى جيّداً نقاط اختلاف عن هذه الأصالة التي أحاول أن أقربها منّي، عن النّقاوة الجديّة [نسبة لأندرية جيّد]. النّقاوة صفة ذاتيّة للمشاعر والإرادة، التي تكون نقيّة بقدر ما تتقدّ به، لا شيء يدنّسها أو يخالط جوهرها، نقيّة ومجانبة. وليس لها من مبرّر إلّا من خلال نفسها وليست في حاجة للبحث عن مبرّرات أخرى فهي نفسها ونفسها فقط. بينما الأصالة ليست تماماً هذا التّوهج الدّائيّ. لا يمكن فهمها إلّا انطلاقاً من الشرط البشريّ، المتعلّق بوجود ما، له وضعيّة الخاصّة، الأصالة واجب يأتيها من الدّاخل ومن الخارج، في آن، لأنّ «الدّاخل» ليس في حدّ ذاته إلّا خارجاً. أن يكون المرء أصيلاً، أن يحقق وجوده - في - وضعيّة ما بامتلاء، مهما كانت هذه الوضعيّة، بهذا الوعي العميق، إنّّه من خلال التّحقيق الأصليّ للوجود - في - وضعيّة نحمل للوجود المطلق الوضعيّة من جهة والواقع - الإنسانيّ من جهة أخرى. وهو ما يفترض تدرباً صبوراً، فالوضعيّة مستطالبتنا، بالطريقة التي نلقّي بأنفسنا فيها،

209. المقصود هنا مشهد التفسيرات: استطاع ماتيو الاعتراف لمارسيل أنّه لا يحبها الفصل 17 من

وتفرضها علينا، لنحدّد أنفسنا «وجوداً من أجل» هذه الوضعية. بطبيعة الحال ليست الوضعيات مصنّفة بشكل نهائي، فديدنها التجدّد في كلّ مرّة. ليست هناك سمة مخصوصة للوضعيات، ولن تكون.

قدم «ميستلر» يبحث عني. أريد أن أسألك بخصوص الآباء الجنود - هات - لقد لاحظت مثلك أنّهم يأسفون على أبنائهم أكثر من زوجاتهم. ما السبب؟ - لكي يخفوا فشل حياتهم الزوجية. منذ إعلان الحرب، وضعوا سطوراً تحت حياتهم الماضية وشرعوا في الحساب. لقد انتهى كلّ شيء، وكلّ منهم يراجع ذاته، متسائلاً: ما عساني أفعل الآن؟ فعلاقاتهم مع زوجاتهم تظهر لهم كما تبدو أنفسهم: بشيسن وفاشلين، تلك خبيثتهم الكبرى. يعرضون عنها ويستعصون بالتفكير في الأبناء. ليس للطفل بعد أي شيء، لا حساب معه. بالعكس، هو المستقبل. مستقبلهم أفضل من مستقبل آبائهم: ما بعد الحرب، التي عاشوها أطفالاً. هي طريقة في التفكير: لم تنغلق حياتي بعد ومازال الحساب لم يكتمل، هناك إرجاء. الطفل هو الإرجاء الوحيد لهذه الحياة الميتة. - لكن، يرّد «ميستلر»، أليس هناك بلايا فردية خلال السّلم بإمكانها أن تحرّض شخصاً ما أن يفكر بهذا الشكل أيضاً؟ - ربّما، غير أنّه ليس هناك تشابه في الأمر. خلال السّلم هناك نظام فرديّ، حياة شخص، ومرجعياته: الفترة التي يعيش فيها. من الممكن أن يتغيّر النظام الفرديّ لكنّ المرجعيّات ثابتة. يتلوّن هذا النظام بحسب المرجعيّات. ليس هناك إذن هذا التوقّف الشّامل للحياة. بالعكس فما أن تندلع الحرب حتّى يتمّ رسم الخطّ، ليس فقط بالنسبة إلى النظام الفرديّ الذي يتوقّف ويتجمّد بل بالنسبة أيضاً إلى المرجعيّات. لقد وقع كلّ شيء في الماضي، وبالتالي يمكن لكلّ واحد أن يحاكم حياته والفترة الزّمنية التي يعيشها، بكلّ ما أنجزه فيها، وما قدّمت يده. هي الفرصة المناسبة ليكونوا أحراراً، غير أنّهم لا يريدون ذلك، إنّهم يخفون حرّيتهم التامة قبالة هذه الحياة المنقوصة، على مستوى الحبّ الأبويّ.

أرض الرجال لسانت اكزوبري⁽²¹⁰⁾ ترنّ بصوت هايدجيرري جدّاً: «ليس لمشهد

أي معنى أبدا، إلا من خلال ثقافة ما، حضارة ما، مهنة ما (الصفحة 14)» تغير الضرورات التي تفترضها مهنة العالم وتثريه. «تظل العاصفة لا مريثة بالنسبة إلى المسافرين العاديين... وحدها السعفات الكبيرة البيضاء تتشر، موسومة بتعاريقه، بانظماستها، مشدودة إلى شكل من الجمد. غير أن رجال السفينة يرون أن أي هبوط بالبحر ممنوع الآن. هذه السعفات أشبه ما تكون بأزهار كبيرة مسمومة، بالنسبة إلي». (الصفحة 33، 34) الطائرة آلة، لكنها أداة تحليل! لقد كشفت لنا هذه الأداة الوجه الحقيقي للأرض. بالفعل لقد خدعتنا الطرقات طيلة قرون... تتجنب الأراضي العاقر، الصخور الكبرى، الرمال... طالما اعتقدنا أن هذا الكوكب طري وحنون، غير أن نظرتنا اخشوشنت، وتطورنا بشكل فظ. تعلمنا عن طريق الطائرة الخط المستقيم... ها نحن نحولنا إلى فيزيائيين. .. ها نحن نقيم الإنسان على المستوى الكوني».

أقرأ «أرض الرجال» بنوع من الانفعال. رغم أن أسلوبه القريب من باراس-مونتييرلان [كاتب فرنسي 1850-1972 عضو الاكاديمية الفرنسية]، لا يغريني، ولا تروق لي تلك الرقة المتكلفة، ولا تلك الصراحة السياسية، وما تنطوي عليه من تضرع جنائزي («لقد قررت أن ترفض عودتك كم أنت بخيل يا غيوميه»)، ومن مدائح للعلوم وللحياة، ومن إنسانية جديدة: «أقسم لك أن ما فعلته، لن يستطيع كائن ما القيام به - هذه الجملة، الجملة الأرقى التي أعرفها والتي تموقع الانسان، تشرفه، وتؤسس وتعيد تنظيم تراتبية حقيقية»، لكنها مازالت تحتوي على مقاطع أخرى رائعة تثير دهشتي. ثم ليس هناك ما يمكن أن يجعل الأعين تدمع من خلال لحظة أسرة، عدا هذه القصص التي تروي أسفارا ممدوخة. لقد تأثرت كثيرا منذ تجنّدي، وأنا أعبر مدنا ومشاهد طبيعية في العالم، لم أكن أعرفها - وكان ذلك مريرا بالنسبة إلي. غير أنني هذا المساء، نادم لعدم زيارتي الأرجنتين، الصحراء، وكل أصقاع العالم التي لم أعرفها، كل الأرض - وهذا الندم أشد رقة، وانصاعية، إنه بلا أمل. إنه «ألم طافح بالحنين⁽²¹¹⁾» يشبه السعادة، يشبه الندم عن حياة كان يمكن أن أحيها، زمن كنت

«ألف سقراط». في الوقت الحاضر لست أكثر من كائن وحيد، أو اثنين أو ثلاث ربّما.

الثلاثاء 28

يواصل «مبستلر» بحثه. هاهي الوقائع التي حصل عليها هذا الصّباح. يبدو أنّ قضية العمل ذات أهميّة بالغة. رد فعل لاجئ (أتى به مسيني [جندي من مدينة ميسين إحدى المدن الفرنسيّة] مجتّد هنا) كان نوعيّا إلى أبعد حدّ: «لعلّهم أرسلونا إلى هنا لنعلّمهم كيف يشتغلون»، ومن المؤكّد أنّ ردّ الفعل هذا كان بسبب الطّابع البدائي للأدوات والأشغال الفلاحية لهؤلاء «المتوحّشين» ها هنا ناس يفتخرون أنّهم يعرفون كيف يعملون، وهم على أتمّ الاستعداد لتعليم الآخرين ما يعرفونه، ولتقديم النصيحة لهم. يبدو إذن، أنّ خيبتهم الكبرى حسب ما جاء في رسائلهم أنّهم لم يجدوا أين يوظّفون طاقاتهم الشّغليّة. فوق ذلك أتخيل، أنّهم لو تمكّنوا من العمل لاستعادوا كرامتهم كرجال، ولن يشعروا أبدا أنّهم «حشد مهجّر»، لكن لا يتمّ توظيفهم أو يتمّ توظيف قلة منهم (رغم ذلك عليّ أن أذكر هنا حتّى أوضح الأمر ملاحظة بيرغوردان [نسبة إلى بلدة فرنسية بيرغورد] مجتّد بيرومات: بضیعة في قريته يتمّ تشغيل عشرة ألزاسيّين، يدّعي أنّهم كانوا مضطّرين بسبب الطّريقة العصريّة والجديدة للأدوات - خاصّة منها العربات المجرورة. لكنّهم سرعان ما تعودوا عليها)، عموما فأغلبهم لا يعملون، يقولون: «في نهاية الأمر هناك مجتّدون أيضا من ليموزين. هناك أناس يجب تعويضهم. كيف لم يتمّ تشغيلنا إذن؟» يتعثّرون في الحذر الليموزينيّ، يفضّل الليموزينيّون أن يهلكوا في عملهم على أن يقوم به شخص آخر بدلهم. ها هنا طعم الظّاهرة الاجتماعيّة: فلاحون كبار متعبون من اللّاعمل، يخطّطون لشراء أراض في ليموزين. من المهمّ رؤية نتائج هذا المشروع إن تمّ.

من جهة أخرى فإنّ عددا من العائلات الألزاسيّة في سانت جونيان قرفت الأكل البريغورديني (بأكلون من القاذورات والفضلات) قرّروا أن يجمعوا مع بعضهم مال اللّجوء. امرأة أو اثنتان من النّشيطات أكثر من الأخريات يتسوّقن ويطنخن. أوّكّد هنا على الميل لإضفاء الطّابع الاشتراكيّ على المال الذي هو من مصدر اجتماعيّ.

يشعرون بألم أقل حين يجمعونه معا لأنهم لا يشعرون أنه مالمهم الخاص. وليس هناك شك أن من حقهم التمتع بمنحة العشر فرنكات يوميا. لكن ليس لهم مع هذه العشرة فرنكات نفس العلاقة الشرسمة والمتحفظة مع أموال ربحوها أو ورثوها. ويبدو لي أنني أرى ولادة مخطط إنتاج مشترك، من خلف هذه الوجبة الجماعية، هذا الميل نحو تصوف اجتماعي كنت قد تحدثت عنه في يوم سابق. يلتقون، يتحدثون. ربما عثرت الوجبة على تلك الطريقة المقدسة التي فقدتها من زمن. عموما؛ ولتعميم هذه المؤسسة استدعى أزراس سانت جونيان التجمعات الأزراسية الأخرى من مناطق أخرى ليلتحقوا بهم. وتتدخل هنا ظاهرة أخرى، تتمثل في أن سلطات التجمعات الأخرى للأزراسيين ترفض التنقل خارج مناطقها لتناول وجبات أكل. قد يكون لهذا الإجراء أسباب مختلفة، من ذلك أنها قد تكون مجرد مبادرة محلية من إحدى البلديات، شديدة الضرامة والانضباط. أو لعلهم لا يرغبون في أن تشكل تجمعات أكبر على غرار المسيحيين البدائيين خارج الأطر التي حددتها الدولة بدقة، وقد يعزى الأمر أيضا إلى عدم رغبتهم أن يعلم الأزراس تجمع ليموزيني ما يحدث في تجمعات مناطق أخرى. مما من شأنه أن يضاعف غضبهم.

وجب التذكير أن ازدراء الأزراسيين لنوعية تغذية اليموزيين يقابله ازدراء جنود المركز لنوعية أكل الأزراسيين - شاهدنا ظهور بعض أنواع اللحوم التي يعدها يهود مهجرون ويبيعون نقائق سترازبورغ، ونقائق كثيرة الدهون.

الأزراس المهجرون بليموج في حالة هيجان لعدم عثورهم على عمل، بينما محلات الليوموزيين تشتكي من كثرة العمل، يقول أحدهم متأوها: «إنه بسبب هؤلاء الأزراسيين، الذين يأتون طيلة الوقت للتبضع ولذلك فنحن نتزود بالسلع كل يوم». هانغ الذي حدثته عن بحثي، أشار لي أنه يتلقى رسائل من البستاني المهتم بحديقته ومن زوجة البستاني، وهما يشكيان خاصة من تعرضهما إلى الاستغلال بطريقة غير إنسانية. والأزراسي محافظ متشدد ولا يريد أن يغتازل. قال لي: «أجبتهم أنهم أسعد بشكل أفضل من لاجني 1914 وليس عليهما أن يشكيا، فقد كان يمكن للحرب أن تأخذ مجرى مختلفا». وفي جميع الأحوال ففكرة استغلالها أزعجته. لكنه رفع كفيه

قائلا: ماذا تريد، هذا إنساني جدًا».

يردّد المساعد مقطبًا حاجبيه: «يحا اليوم بوم! لي حساب لا بدّ من تسويته مع جماعة البوش. كانت هذه العبارة في المرات الأولى ذات طابع ارتجاليّ. وشيئا فشيئا تحوّلت إلى لازمة مكرّرة، وكان لا بدّ من البحث عن أسس لها، وهو ما تمّ. فأثناء تناوله لقهوته هذا الصّباح قال لي: «لي حساب لا بدّ من تسويته مع البوش، سوف أردّ لهم لطيات السّوط التي نلتها منهم، عندما كنت صغيرا. مهتمّا بشكل حيويّ سألته: آه أضربوك بالسّوط فعلا؟» - يعني، لا. أقمت في منطقة محتلة عندما كنت صغيرا. وكان البوش يعطونني الشوكولاتة لأهتف بصوت عال «فرانكرايخ كابوط». لم أكن أعرف الألمانية. كنت أصرخ. غير أنّ جدّي قال لي ذات يوم أمامهم: «لا ترفع صوتك بهذا. وقتها هدّدوني بالسّوط».

بالأمس؛ لام «بول» وهو في نوبة غضب «بياتر» على فقدانه الكرامة بسبب استجدائه الدائم. ذلك أنّ بياتر يحبّ أن يطلب: خدمة، مزيّة، أيّ شيء. غير أنّه من الخطأ الجسيم الاعتقاد أنّ ما يفعله من قبيل الحساسة. بالعكس تماما، يمكن للمرء أن يؤوّل ذلك، باعتباره، ضربا من الجزالة، ومن مهارة الرّجل في التّعامل مع الآخرين. فهو يطلب لأنّه، يتقن الطّلب. يتكلّم، بأسلوب من يهتّى مفاجأة سارة لمحدّثه: «لن تعرفي، سيّدتي ما الذي سوف أطلبه منك؟» بما يثير البهجة في نفس المتلقّي، ويسترضيه. أويقول: «آه! سوف أزعجك مجدّدا. ..». ثمّة نوع من نبل الطّلب عنده. يحدث له أن يشرع في طلب ما، لكن دون أن يعرف ما الذي سوف يطلبه بالتّحديد: يفعل ذلك من أجل الاستمتاع فقط. وليس هذا هو الأهمّ. فالحقيقة أنّ الطّلب عنده شعيرة مقدّسة من الدّيانة الإنسانيّة، احتفال عفويّ وشبه إقطاعيّ يُعَدُّ للحظة المساواة بين الطّالِب والمتلقّي. يضع فعل الطّلب الشّخصين وجها لوجه في عريهما البشريّ. ينخرط «بيار» بكامله في طلبه: «ألا ترى من أنا، إنّي رجل كبقية الرّجال، ذو أنفة». وإن كان يجب أن يطلب من رؤسائه، فإنّها هو إيماء منه أنّه يخاطب إنسانا. هناك شيء من السّريّة في طلبه، ومن الهمس، والالتباس والتّبجيل: «لست أتغافل عن أنّك ضابط، لكن ما أرغب فيه، أرغبه من إنسان» وحين تتمّ تلبية طلبه -ومن النّادر أن لا

يتم ذلك - يكون بياتر سعيدا بشكل مضاعف - خاصة أن لديه إحساسا أن الملازم أو القائد لبيأ طلبه باعتبارهما بشرا لا أكثر. وعليه فإن الطلب عند بياتر وحدة في الشعور الصوفي، متجدد في إنسانيته مع طلبات الآخرين. الوجه الآخر لهذا السلوك أن بياتر معطاء، فالأشياء التي يظفر بها، عادة ما يفوت فيها، بعفوية وسهاحة، دون أن يطلب منه ذلك.

حين استفتت هذا الصباح، ألفتني منشغلا بفكرة سانت اكزوبري المطوّرة بشكل مفعم: «ليس لأيّ مشهد من معنى إلا من خلال مهنة ما». قال بول مقشعرا: «ليس الطقس باردا مثل الأمس». بالأمس هطل المطر. أحس أن هذا البرد الحادّ والحيوي، لا يشبه في شيء ذلك البرد الذي أشعر به أحيانا في غرفتي بنزل ميسترال بباريس، ذلك هو بردي. ماعون عملي هو برد، مهمني أن أقوم بقياسه الآن. هو محتمل بشكل كبير أكثر من البرد الآخر، لأنني لا أتحمّله بشكل سلبي. لا يلسعني. يداعيني بخدشني بلطف. مثلما يلهو سنور صغير معي. وفي الوقت نفسه ليس هو كما في حالات أخرى، بركة جليدية سالت في الغرفة من خلال فرجات النوافذ وتجمّدت هناك: هو دليل على جمال الطقس. يتم غلق مصاريع الشبايك في هذه الغرفة فيتسلّل من خلال النور الأصفر للمصابيح الكهربائية، شعاع شمس، فجر جاف ووردي. لست في حاجة لفتح الشبايك، فأنا أنعم بجمال الطقس واستفاقة هذين الجنديين بعينين ورديتين، لا كدر يشوب ما حولي من صفاء، هي استفاقة في الحقول، لا ولا أثر هنا للجدران. ليس لأنها سقطت فهي مازالت في مكانها، غير أنه ليس لها ما تفعله قدام هذا البعد الآخر للبرودة، محيطي الجديد. سوف يكون هناك الكثير من التغيرات المشابهة التي لا بد من تدوينها، غير أنني متكاسل، سوف أعود لكتابتها إن عاودتني مرة أخرى. وقد فكّرت في إحدى هذه التغيرات مرّة ولم يكن مصدرها مهمني كراصد للأحوال الجوية، لكن من ظرفي كجندي في الحرب. تخفي الآن السماوات الجميلة، الصافية والباردة شيئا وبرتيا مرتجا يمتد بين أطراف الأفق مثل جناح فراشة: هي سهاوات لغارات الطائرات الألمانية. هذه طبيعتهم، ميزة مخصوصة لمشهدهم الطبيعي، نزاها كلّ صباح حين نرفع رؤوسنا. ليس هذا مدعاة للخوف

إطلاقاً، لأنّ الطّائرات ليست شريفة، بل لم يعد هذا مهماً على الإطلاق؛ إنّها هنا، السماء مسمومة بشكل خفيّ، تماماً كتلك السّعفات البيضاء التي تحدّث عنها سانت إكزوبيري. وسماوات الأمطار هي على عكس ذلك حواجز صلبة تعزلنا، نكهة ما قبل السّلم. أمّا بالنّسبة إلى مضيقنا التي تخشى الغارات الجوّيّة، فإنّ معنى المناخ قد انقلب. تفتح مصاريع نوافذها وتبتسم للمطر كما كانت تبتسم في السّابق للشمس.

سهوت عن أن أقول إنّ البرد الصّباحي ليس مغامرة محليّة لي، ولرفاقي. برد يأتي من بعيد، وحاليّاً من الأعلى مُحمّلاً بشاعريّة غرائبيّة مثل تخليق طائر نازح. ودون أدنى شكّ سوف تفكر الكاستور وهي تقرأ هذه السّطور⁽²¹²⁾ في برد رياضة الشّتاء الذي كان رابطاً إنسانيّاً بين النّاس، ومحيطاً إنسانيّاً، ومادّة صلبة في الوقت نفسه، تدركها الحواسّ يمكننا لمسها باليد، بالجلد والوجه. هو أيضاً كان محتملاً، بما أنّنا نذهب للبحث عنه في الجبال، من أجل متعة الغوص فيه والشّعور بصغيره من حولنا، شيها بهواء تنقبه قدائف.

من نوادر هانغ التي يضمن من خلالها الأصالة، أنّ كتيبة فرنسيّة فاجأها الألمان بالقرب من ويسمبورغ، ففرّ الجنود ووقع الرّقيب أسيراً، فتمّ نقله إلى أحد المعتقلات حيث قام ضابط ألمانيّ باستجوابه لمُدّة نصف ساعة بلغة فرنسيّة جيّدة جدّاً. تعتمد الرّقيب الغباوة غير أنّه خشي أن تتمّ سوء معاملته لإجباره على الاعتراف. قال له الضّابط الفرنسيّ بعد نصف ساعة: «طيّب، غادر الآن المخيم وعد إلى بيتك ولا تضايقونا أنت وكتائبكم».

نادرة أخرى: دائماً بالقرب من ويسمبورغ؛ إذ عادة ما يتمّ السّباح للّاجئين بالعودة إلى قراهم لمُدّة أربع وعشرين ساعة، من أجل حمل أغراض ضروريّة. ليستحوذ الألمان عندئذ على القرية. يرون المدنيّين منشغلين بتوظيف ممتلكاتهم فيساعدونهم على شحن الأكياس، ثمّ يتركونهم يغادرون. بدت لي هذه النّادرة الأخيرة سخيّة جدّاً. لكنّ

212 أعاد سارتر نسخ المقطع المتعلق بالبرد مع إجراء تغييرات في بعض التفاصيل (رسائل للكاستور بتاريخ 28 نوفمبر).

واقع الأمر هو أن يتم نشرهم هنا. يتم التأكد أن القلة القتل أو الجرحى في هذا المحور كانوا في الأصل بشكل ما ضحايا، نتيجة لطلقة نارية طائشة.

نادرة أخرى: قُدمت في إحدى الليالي الفرقة 65 للاستقرار في محورها. رفع ألمان في صبيحة الغد لافتة كبرى كُتب عليها: «مرحبا بالفرقة 65».

وفي المحصلة من العادي اعتبار الإرادة وميضا لا يُحوّر الجوهر الذي يصدر عنه. بل بالعكس اعتبرها تحويرا شاملا ووجوديا للواقع الإنساني.

وكما لو أنه تأكيد لما كنت قد قلته بالأمس، هاهو ذا ما قرأته اليوم في الأوفر عن فالوا⁽²¹³⁾:

اعتمدت الأوفر كعنوان لها في نشرتها يوم أمس، عند منتصف الليل، هذه الجملة المقتبسة من خطاب السيد شامبرلين حول أهداف السلم: «لن يتعلق الأمر بإعادة رسم الخرائط الجغرافية وفق أفكارنا نحن كمستصرين، لكن بمنح أوروبا عقلية جديدة». جملة رائعة، في انسجام تام مع تصريحات الحكومة الفرنسية المتكررة لأكثر من عشر مرّات، و«العقلية الجديدة» التي يتحدث عنها السيد شامبرلين هي دونها شك، عقلية الحرّية، العدالة والسلم».

في الأثناء دعت الرّقابة صحيفة الأوفر لحذف جملة رئيس الحكومة الأنقليزي. «وها نحن نبذل جهدا لإضافة أن العنوان المحذوف تمت صياغته بهذا الشكل: لقد تدخل الرؤساء، في العدد القادم من الصحيفة⁽²¹⁴⁾».

خاتمة المقالة التي دون أدنى شك تُجرّم الرّقابة التي يشرف عليها المسؤولون المرؤوسون حذفها الرّقابة.

213. جورج فالوا صحفي وسامي فرنسي أسس حركة الحزم سنة 1925. ترك الفاشية وسوف يتم فيه فيما لمشاركته في المقاومة توفي في معتقل برغن-بيلسن سنة 1945.

214 في خطابه المذاع ليوم 26 نوفمبر، نشرته الأوفر يوم 27 حدد شامبرلين أهداف الحرب "هزيمة العدو"، أهداف السلم "منح أوروبا عقلية جديدة تعالج عن طريقها الأهم التي تكونها الصعوبات التي تتعرض لها بتسامح متبادل".

أنقل هنا هذه الرسالة الساحرة والسّاحرة من فائدة حول الأصالة: «إن أصبحت أصيلاً فلن تكون أفضل ولا أسوأ، بل شيئاً آخر. من وجهة النظر الاجتماعية سوف تريد لحياتك الخارجية نجاحات كثيرة، غير أنك سوف تكون شاعرياً في داخلك ألف مرة، ونقياً بشكل مذهل، وعوض أن تكتب، سوف تكون موضوع كتاب (وهو ما لا يعني لك أي شيء؟) وكما تقول أنت، أعتقد أنه سوف يكون صعباً بشكل مرعب بلوغ الأصالة. كثيراً ما فكرت أننا من عجيبة أصيلة منذ الولادة. هو خطأ تنشئة لا دخل لك فيه. ثم أنت هيأت نفسك، من خلال المعنى المعاكس، فكرت كثيراً، تتعرف على نفسك كثيراً، ثم تكتب. معتبراً نفسك وميضاً للأصالة، والحال أن كل شيء يندثر حين نكتب. يضايقني شيء ما، حين تعبّر عن ندمك من أنك لست ذكياً وأنك تضع، في محاولة منك لتربح شيئاً ما من خلال ذلك. لن تستفيد بشيء من هذا؛ لأنه لا يمكن تعلّم الأصالة. إنني أرى هذا مثل شيء بلا محيط، وأنت تندفع خلاله هاو دون رغبة منك أن تجهد نفسك فيه كثيراً. والنتيجة هي أنك سوف تؤلف كتاباً رائعاً من عدة أجزاء حول الأصالة. وبالأساس عليك أن تتعاطى المخدرات لتتجز هذا. الكتاب الوحيدون الذين بلغوا شيئاً من الأصالة هو سرياليون وأكثر، من أمثال رمبو».

عادة ما أتناول و«بياتر» خبزاً بالشكولاتة أو ببعض المصبرات. أمّا بول و كيللر فيأتيان على ثلاثة أرياع اللحم والخضر. بالأمس اشتهى بياتر أن يأكل شيئاً من البطاطا، قال لكيلر: «سوف آخذ شيئاً من البطاطا. - «طيب»، غمغم كيللر. فانصرف بياتر، وظلّ بول و كيللر يأكلان. عندما عاد بياتر بعد عشر دقائق ليأكل حصته من البطاطا ألغى الطبق فارغاً تماماً. لقد أتوا على كل شيء. تساءل قائلاً: «هل هذا كل ما بقي لي؟» ردّ كيللر قائلاً ببرود تام: «لم يكن هناك الكثير اليوم».

بالفعل أنا لست أصيلاً. كلّ ما أشعر به حتّى قبل أن أشعر به أعرف أنّي أشعر به. ولا أشعر إلّا بنصفه، وأكون وقتها منشغلاً بتعريفه والتفكير فيه. لست هواياتي الكبرى سوى حركات أعصاب. فيما يتبقى من الوقت، أشعر بشكل مستعجل وأكتب ذلك في شكل كلمات، وفي هذا الخصوص فإني أتعجل شيئاً ما، أتقول شيئاً

هنا، وما أنا ذا قد كَوْنْتُ شعورا مثاليًا، جيدًا لتضمينه في كتاب مترابط. بإمكان معرفة كل ما يشعر به الناس، شرحه، ثم كتابته. لكنني لا أشعر به. أقوم بالتلميح لذلك، سوف يبدو للآخرين أنني حساس لكنني صحراء. رغم أنني حين أناقل مستقبلتي لا أجد مدعاة للتفوق: يترأى لي أنني قدام جموع من الأراضي الموعودة التي لن أطأها. لا أشعر بالغثيان، لست أصيلاً، توقفت على عتبة الأراضي الموعودة. وعلى الأقل ها أنا ذا أشير لتلك الأراضي وبإمكان الآخرين أن يقصدوها. لست سوى دليلاً، وهذا هو دوري. يترأى لي الآن أيضاً ومن خلال ما أشعر به، ما أتلّهُ، إنني الآن أمسك بنفسني في تكويني الجوهرية، في طبائعي الخشنة في قفري، ليس من أجل معرفة نفسي، لكن من أجل معرفة كل «الطبائع»، الألم، اللذة، الوجود-في-العالم. هذا هو أنا التضاعف المستمر والانعكاسي، هذا الاندفاع الجموح للكسب من وجهة النظر هذه. أعلم ذلك جيداً - وعادة ما يرهقني هذا الأمر. من هنا تأتي هذه الجاذبية السحرية التي تمارسها عليّ النساء المعتات الغارقات، فاند وأولغا سابقاً. ثم هذه المتع النقية الروح، المعروفة، المكتشفة، المنتشرة في رسائل، التي تلهو بي من حين لآخر. لست سوى كبرياء وتجلّ.

الأربعاء 29

منذ 2 سبتمبر قرأت وأعدت قراءة:

قلعة كافكا، المحاكمة، إلى السجن⁽²¹⁵⁾؛ يوميات دايت؛ يوميات أندريه جيد، يوميات غرين، أبناء ليمون لكيوا، شتاء قاس لكيوا⁽²¹⁶⁾، أعداد المجلة الفرنسية الحديثة، سبتمبر أكتوبر نوفمبر، مارس أو الحرب المحاكمة لأكن، استهلال لفردين لرومان، فردين، 48 لكاسو، الفارسة إلزا⁽²¹⁷⁾ لماك أورلون، تحت النور البارد⁽²¹⁸⁾،

215 عبارة لسان اكروسيري في أرض الرجال.

216 أعاد سارتر نسخ المقطع المتعلق بالبرد مع اجراء تغييرات في بعض التفاصيل (رسائل للكاستور بتارخ 28 نوفمبر).

217 جورج فالوا صحفي وسياسي فرنسي أسس حركة الحزم سنة 1925. ترك الفاشية وسوف يتم نفيه فيما لمشاركته في المقاومة توفي في معتقل برغن-بيلسن سنة 1945.

العقيد جاك، الجزء الثاني من الأعمال الكاملة لشكسبير، أرض الرجال لسانت
اكزوبري، الوصية الإسبانية لكوستلر.

الخميس 30

بما أنني لا أملك أموالا، ولا أرغب في أن أثقل شهر ديسمبر بالتدائين من «بياتر»،
فلم أذهب منذ خمسة أيام لتناول الإفطار في الإكريفيس. لم يعد الطبخ يلهمني أي
رغبة. انتهزت الفرصة لأفطر نصف وجبة: فأتناول عند الصباح خبزا وجبنا، وفي
المساء خبزا وشوكولاتة، بالأمس لم أتناول أي شيء. آمل بهذا الشكل أن أفقد الثلاثة
كيلو اغرامات التي زادها وزني منذ سبتمبر. إلى درجة أنني كسبت ثوبا زائدا في حزام
خصري. إحقاقا للحق كان يمكنني الذهاب لتناول وجبة الغداء، لكن رفيقي
يرصدون بي. لقد انتقدتهم كثيرا بسبب ضعفهم، وكنت غالبا ما أشعر بهم يقرفونني
بقراراتهم التي يتخذونها مئة مرة، ويعيدون النظر فيها مئة مرة! سوف يكونون سعداء
إن قبضوا عليّ بالجرم المشهود. لن أجعلهم يستمتعون بهذا. ولقد أوقع بول بنفسه
حين أسر ل ميسلر ذات يوم بأمر يخصني وأعاده هذا الأخير على مسامعي «إنه
(يقصدي أنا) ما عاد حاذ الطبايع منذ صومه الإرادي»، يروق لي ما سمعته ويعلمني:
إذا لم أكن أضع ذلك بعين الاعتبار. لكن بالعودة للتواريخ والأحداث المزامنة بينها
وبين حالتي النفسية، فهمت جيدا أن حدة انفعالي لها صلة بهذه الأزمة العاطفية
الغريبة التي أقيت بنفسي فيها، والمتعلقة بعلاقتي بفاندا. وهذه الأزمة نفسها سابقة
على الحل الذي اخترته بعدم الأكل. لقد كانت الأيام السابقة ليوم الأمس، شديدة
القسوة عليّ، على المستوى العاطفي. لم أتصل برسائل منها، وحين أجدي دون
رسائلها أفضل الصمت. أشعر بضراوة غيابها، وتتضاعف وحدتي، تبدولي حياتها في
باريس غير واقعية. رسالة ما، هي الانفجار المبالغ لوعي صغير. خائنة ومنطلقة

218 في خطابه المذاع ليوم 26 نوفمبر، نشرته الأوفريوم 27 حدد شاميرلين أهداف الحرب "هزيمة
العدو"، أهداف السلم "منح أوروبا عقلية جديدة تعالج عن طريقها الأمم التي تكونها الصعوبات التي
تعرض لها بتسامح متبادل".

وسط باريس التي أفتقدتها بلوعة. حين أقارن ما كتبت اليوم بما كتبت يوم 26 أدرك جيدا أنني مررت بأزمة يؤس خائفة. لكن ولأنني شديد الاعتداد بنفسي، فقد كنت عنيدا، في إصراري على قراري، أن لا أسف على حياتي السابقة، ولا شكوى من حياتي الحالية. هذا اليأس الضئيل الوقتي ألقي بنفسه عند أول درب عثر عليه: حيرة مرضية غبورة بخصوص فاندا - ليس لأنه ليس لي - بل مازالت لا - أملك أي حوافز للحيرة. غير أنني كنت سوف أنصرف بطريقة أخرى مختلفة في زمن السلم⁽²¹⁹⁾.

في جميع الأحوال لقد أغلقت على نفسي باختيار، وصمت عن الأكل. أول أمس قرأت كتابا ينسجم بشكل رائع مع مزاجي السيئ الذي زادت من حدته الظروف الحالية: الوصية الإسبانية لأرتور كوستلر. الفائدة العاطفية التي أيقظها في داخلي التحقت باطنيا بما أيقظ فردين لرومان.. ثمينة جدا بالنسبة إلي الآن تلك الكتب التي تتحدث عن الفظاعة والبؤس والموت. لست أرغب الآن إلا في قراءة مثل هذه الكتب. أن تغرق في الحرب، فهذا وحده كاف أن يجعل من هذه الروايات المعتمدة حبة وحقيقية. لقد قرأتها السنة السابقة بشعور السخط المناسب، ولم تعني وقتها في شيء، كان سخطي «نبيلًا». لقد كانت حرب 1914 مخفية جيدا ثم إن إسبانيا ليست هي فرنسا. أتخيل أن أغلب البورجوازيين من ذوي العزائم الطيبة لا يستطيعون التعليق بأي شيء وهم يقرؤون الصحف أو شهادات مشابهة لشكل من أشكال الأمن المتحضر: لن يحدث مثل هذا في فرنسا - إسبانيا بلد متخلف - أو أيضا: لقد ضحينا كثيرا في بلاد البلقان، الخ. فالفرنسي دائما ما يعتبر فرنسا تقريبا شبيهة بعالم في قلب كون مختل، مشوّه وهائج. يضطرب الكون وتخرقه عواصف عدّة ولكن هذا لا يعني العالم. لكن اليوم ورغم أننا في حرب وهو ما يدفع هذا العالم لإعادة النظر فيما يحدث

219 في رسالة إلى الكاستور في نفس اليوم (مؤرخة خطأ في 29 نوفمبر): "ماذا بعد () لقد دوت نهاية أزمني العاطفية في الدفتر، المزعج في الأمر، إن أكثرين سوف يعتقدون أنني وضعت قناعا ليس لي ما اضيفه (بخصوص فاندا) فلا يستحق الأمر كل هذا العناء ولأنا أن اقول (بخصوص بيانكا) إن الأزمة كانت أقوى حدة وسبب ذلك أنني منذ سبتمبر إنني جمّلت فاندا وهي تمامكت جيدا بذلك التجميل الخ الج. خلاصة الأمر أنني متذبذب لم أقل سوى الحقيقة ولكن ليس كل الحقيقة

على الأقل، أجدني مفتحا على هذه الكتب الكثيرة فهي تزيل عني شيئا ما هذه الطبقة الرقيقة من التفاؤل المثالي. فالفرنسي هو دائما ذلك الشخص الذي يقبل على أكل لحم العجل وينظر بنقمة شديدة لمن يدعوه لزيارة مسلخ حيث يتم قتل الحيوانات. لقد اقتربت من المسالخ. لقد بعث في اليوم الأول للتطو على مالاغا الشعور بالرعب والفهر تجاه هذه الحرب المتكاسلة والفظيعة، التي كانت تُدار على الأقل تحت الشمس. في اليوم التالي كنت مشغولا بالتعداد المنظم للحيل التي يخفي بها إنسان في خطر الموت الخطر ليشعر بالأمان، ليدو في عيني نفسه شجاعا. لقد أحبيت كثيرا تلك الملاحظة حول تصرف الناس عشية سقوط مالاغا: لدي انطباع مزعج أن كل ما يحدث هو مجرد سينما.. وكل شيء، بما في ذلك أنا نمثل دراما بشكل ساذج مرضي دون وعي بالحقيقة الخادعة للموت. أحس كثيرا نوع هذه الحيلة من خلف هذه اللاواقعية المرضية للموت. ثم حين تنتهي لحظة الدراما، حين يجب العيش مع الفكرة الدائمة للموت، كل قفزة بطولية هي في أساسها خدعة؛ وحده الله يعرف أي طريقة هي للشعور بالأمان. عموما؛ هي تعزية ساحرة، لتتقب بها أبدا في عريها الحقيقي، لكننا من جهة أخرى نتفانى من أجل أن لا نعرفها. هذه هي دائما خدع الرواقي وهذه الطريقة للشد من الخلف، في اللحظة التي نحسب فيها أنفسنا قد انطلقنا نحو شجاعة يائسة. كل هذا يوقظ في داخلي أصداء: ألم أستهلك في بداية هذه الحرب تقنية هذه التعزية، معتقدا نفسي شجاعا؟ ومن هنا تشكلت هذه الملاحظة: منذ صار العالم عالما لا أعتقد، أن هناك شخصا واحدا مات واعيا. حين أمسك سقراط بقذح الشوكران بين أتباعه كان على شبه قناعة أنه يؤدي أمامهم عرضا كوميديا... لقد كان على يقين من اشتعال المشروب على سم زعاف، وأنه ميت لا محالة، لقد كانت رؤيته إلى ما يحدث مختلفة عن رؤية من أحاط به من أتباعه، الذين ظلوا بلا حراك، كان على يقين أن خدعة ما تربص بالامر. لتكون هذه إشارته الأخيرة: «لقد عملت الطبيعة على أن تجعل الأشجار لا تنمو إلى حدود السماء. أما تلك التي تتألم فلا تنمو مثل الآخرين». لا يتعلق الأمر في تقديري بالطبيعة، بل بنا، ونحن مسؤولون بالكامل عن هذه الخدع. بل هناك اعتراف من توفر ساعات من الأصالة: فالأغلبية منا لا تحشى الموت

بل فقط أن تموت، وهناك لحظات تتجاوز فيها خوف أن نموت. نحن أحرار في تلك اللحظات أحرار... رجال بلا ظلال مرفوتون من صفّ الأموات: تلك هي تجربة الحرية المطلقة التي يمكن لإنسان ما أن يعيشها.

وهذه الملاحظة أيضا: قرب الموت الدائم منا ينقل عليّ (حياتنا) وكلّ تجمع يخفف من وقعه. لقد تخفّفنا من كلّ مسؤوليّة، لقد سبق أن قلت إنّ كلّ حرب تصلح كمبرر: تخفّف، تعذر الوجود هنا، والآن أرى الموت كذلك أيضا. طالما أنّه من الصعب أن نحيا، دون أن نجد مبررا لذلك إطلاقا.

في المحصلة، هذه الأزمة العاطفيّة هي مجرد تعرية، حفّرتها ظروف خارجيّة، بكلّ ما في كوني من أفق، ومن مستقبل، وفي الوقت نفسه، هي تعرية التّزامن المرعب، الذي، ولحسن الحظ يظلّ مخفيا عنّا أغلب الوقت. أتخيّل أنّه لو عشنا هذا التزام هنا في كلّ أبعاده، فسوف نقضي أيامنا نتزف مثل قلب مكسور، لكنّ أشياء أخرى من شأنها أن تواريه. ومن ذلك أنّ المدة يتطلّبها وصول الرّسائل إليّ، هي ثلاثة أيام، وهي نفسها المدة التي يتطلّبها وصول ما أرسله، لتكون حياتي في الحالين طوفانا بين الماضي والمستقبل، فما تتضمّنه الرّسائل المرسلّة أو الوافدة من أحداث منقّض قبل أن يتسنى الاطّلاع عليه. الرّسائل التي أتلقاها هي أطراف من حاضر محاط بالمستقبل، حاضر - ماض محاط بمستقبل ميّت. حين أكتب أتردّد بين زمنين: زمن الكتابة، وزمن القراءة، زمن في علاقة بي كمرسل، وآخر ذو صلة بالمتلقّي، لننتقل من اللا واقعيّة، إلى ضرب من اللاّ زمنيّة. بسبب هذا يتخذ حاضري الآن، حاضري المحايد بعض الألوان ويمكنني التمسك ببعض الأشياء، بقراءاتي، بصباحاتي الوردية. ولا تبدو لي هذه الرّسائل علامات مخيّرة لوجود حالات وعي أخرى ولكن كما لو أنّها شكل مألوف اتّخذته الحالات من الوعي لتسافر نحوي. حين أقرأ هذه الرّسائل، أمسك بحالات الوعي هذه أسيرة، في حلقة من حولي فلا يمكنها الإفلات منّي لترحل وتعكس سهاوات أخرى ووجوها أخرى. لكنّ التّزامن يكشف فجأة عن نفسه، وهكذا تصبح الرّسالة خنجرا: فهي تفصح في الأوّل عن وقائع لن يكون بالإمكان إصلاحها، طالما أنّها قد انقضت، ثم إنّها تترك الجوهر يفلت، تمثّل هذه الحياة حالات وعي، حافظت

على حياتها في الرسائل، أفلتت منها وتابعت حيواتها فيما وراء الرسائل الميَّنة، مثل أولئك الأحياء فيها وراء القبور. لا أعرف ماذا ساقول في مثل هذه اللحظات: يترأى لي أنني الذي صرت ماضيا، عاجزا بلا أي تأثير. لا أستطيع التَّشَبُّه بمستقبلي من هنا، إنه يبتلع نفسه. من هنا تأخذ حالة من التوتر شكل الغيرة. لن أندم أبدا على هذه الأيام الكثيرة. إنها الحياة المفعمة؛ لقد جلبت لي هذه الأيام على هامش هذا التوتر العاقر والشاق «ألاما رقيقة»، تلك التي تحدَّث عنها سانت إكزوبري والأمسية الشعرية في 27، وقد جلبت لي أيضا التجلّي الكئيب للوصية الإسبانية. ها أنا ذا ألقى بنفسي في التسلّيات، مدفوعا بلا توازن، باختلائي. لكن هل انشدت إلى هذه التسلّيات على الأقل؛ لمرتين كنت شخصا آخر على الأقل.

تقول لي أمي إنّ مدام ماجدولين تصنع شرائط ذهبية لتزيين سترات الكهنة في الجبهة، وتمت في الأثناء مصادرة ملابس الولاة المطرولة، ملابس الأكاديميين، فساتين الحفلات الرّاقصة، الأقمشة القديمة.

أقام المساعد بشكل ناعم عند إحدى النساء الشابات (زوجها ألماني أسير في إحدى المعتقلات) لكنّه يتعذّب و«لن يغفر لها أبدا لأنها تنادي ابنها ويلي مثل البوش». يؤكّد بشكل جازم أنّ الجنود الفرنسيين في جهة يوسمبورغ قد نهبوا كلّ شيء.

عاد المساعد عند الساعة السادسة وأخبرنا أنّ روسيا هاجمت فنلندا²²⁰. يا له من خبر سيّئ.

الجمعة 1 ديسمبر

تأكّدت الإشاعة: تحدث بياتر مساء أمس مع مالكة غرفته، قالت: أعرف أحدهم ويمكن أن أكشف عن اسمه، وهو حارس في سترازبورغ وقد تمّت نقلته بشكل خاصّ لحراسة منازل المهجّرين. يعود هذا الشخص كلّ أسبوع هنا بصناديق مملوءة بالملابس الداخليّة والثياب.

أما مالكة غرفتنا فقد حدثت المالكة الأخرى أنّها عند رحيلنا لن تقبل بتأجير غرف

220 خلافا للبلدان البلطيقية رفضت فنلندا السماح لروسيا بتركيز قواعد عسكرية.

بيتها إلا لضباط لأنهم يعرفون التعامل معها.

قال لي بياتر : «لقد تحدثت مع بول بشأنك مساء أمس. فلتحذر يا صاحبي، إنك تشتغل ست عشرة ساعة في اليوم، كيف لا تريد مع كل هذا أن لا تكون نزقاً؟» شاعرا بالفخر، فكّرت أولاً أنني لا أستطيع أن أعمل لأكثر من 13 ساعة، وأنا لا أجلس إلى طاولتي إلا عند الساعة الثامنة وأغادر المدرسة عند الساعة التاسعة صباحاً، دون احتساب ساعتني تناول الأكل (من 11 الى الواحدة). دون شك؛ إنني أكتب في دفثري خلال هاتين الساعتين لكن بشكل أقل. بالإضافة إلى ذلك فإن بياتر جنيرال العمل يخلط بين اللحظات التي أقرأ فيها روايات، وتلك التي أردّ فيها على الرسائل. أحسب إذن أنّ عدد ساعات عملي الفعلي هي بين ثمان وتسع ساعات. فليس صحيحاً أنني أقرأ وأكتب لمدة تراوح بين العشر، والإحدى عشرة من الساعات في اليوم، ولعلّ هذا ما يفسّر تعب عينيّ.

وأنا أعيد تصفّح يوميات أندريه جيد اصطدمت بما يسمها من طابع ديني. يبدو الكتاب في بعد منه، معالجة حجاجيّة للوعي، وهو في بعد آخر كتاب تأملات وتضرعات. لا علاقة لهذه اليوميات بمحاولات مونتاني أو يوميات غونكور، أو تلك التي كتبها رينار. فالأثر في عمقه ضرب من المقاومة ضدّ الخطيئة. واليوميات في هيئتها، وطريقة بنائها، تبدو للنّاظر خدعة مبسّطة، وسبيلاً ميسّرة، لمقاومة الشيطان.

مثلاً: «لم أجد من نفسي ذلك القدر من التواضع، إلا حين أجبرني⁽²²¹⁾، على كتابة صفحات، في هذا الدفتر بشكل يوميّ، تمثلي أيّما تمثيل، أشعر بها، وأجدها قريبة من نفسي، رغم يقيني من رداءتها⁽²²²⁾ أتعلّق بهذا الدفتر بشكل ميؤوس منه؛ جزء من صبري، يساعدني على أن لا أفلس». (7 فيفري 1906). و(16 سبتمبر 1916). لن أفلح في ذلك، إلا بجهد دؤوب غير منقطع، أستثمر فيه كلّ لحظة بامتلاء، ولن أبلغ ما أصبو إليه إلا ببعض الحيلة، وبكثير من الدقّة.

221. سارتر هو الذي يؤكد على الكلمة.

222. يكتب أندريه جيد: أعرفها وأحسها.

«لن أظفر بالمراد، إذا توهمت أن كل ما أخطه ذو أهمية، كل ما عليّ هو أن أكتب كل ما يرد على خاطري في هذا الدفتر، أن أودعه نفسي وأفكاري وهو اجسي».

الدفتر مهمّة يومية بسيطة، حتّى أننا قد لا نأخذ ما بين طيّاته، على عمل الجدّ، ونجابهه بشيء من الاستهانة، ويعود هذا الانطباع في بعد منه لشخصيّة «أندريه جيد»، بصفته كاتباً محترفاً، ولما يسم الدفتر من طابع جليّ، يمثّل صاحبه. لكن تبقى العُدّة دينيّة. من هنا تتجلّى صرامة هذا الدفتر وللحظات طابعه المقدّس. وهو في الوقت نفسه، دفتر لكاتب كلاسيكيّ، يكدّ لإخراج كتاب هو في محصله، إعادة قراءة، وتأمّل في إعادة القراءة. فلا طرافة فيه من هذه الجهة ولا إضافة، فضلاً عمّا يسمه تدويناته من حرص على الجودة، حدّ القسوة، فلا عفويّة فيه، ولا يمكن اعتباره انعكاساً تلقائيّاً لحياة ما، إنّهُ بمثابة صلاة التّقديّة والكلّاسيكيّة، كتاب بحسابات أخلاقيّة، بصفحة للديون، وصفحة للمكتسبات. كلّ تدوينة فيه ليست مجرد نقل وفيّ، أو شعور، إنّها في قرارها، فعل تأمّل، فعل صلاة، وطقس اعتراف. وقد اتّضح لي البون بين ما يسم دفترتي من خصائص وبين دفاتر جيد، فبينهما اختلاف بين ومساقة. إنّ دفترتي في قراراتها شاهد، وفيّ وحقيقيّ، بلا أقنعة، أو خلفيّات، وهو شهادة، لبورجوازي مُجنّد في 1939، حول الحرب التي فرضوا عليه خوضها. أنا أيضاً أكتب كلّ شيء في دفترتي، لكن مع يقيني أنّ القيمة التاريخيّة لشهادتي تبرّر لي ذلك. لتتفق: لست كبيراً في هذا العالم، ولست أرى كبار هذا العالم، فلن يكون لدفترتي تلك القيمة التي لجيرودو⁽²²³⁾ أو شمصون⁽²²⁴⁾. من جهة أخرى لست في موقع متميّز مثلاً في خطّ ماجينو أو بالعكس في الخلف في المكتب 2 أو ضمن مراقبي الإعلام. أنا في قيادة - علياً للمدفعيّة على بعد عشرين كيلومتراً من الجهة، محاطاً بصغار البورجوازيين أو متوسطي الحال منهم. ولهذا السّبب بالأساس فإنّ دفترتي هو شهادة ذات قيمة عند الملايين من النّاس. إنّها شهادة رديّة وعامة في الوقت نفسه. هنا تتدخّل خدعة أخرى للشيطان كما يقول «أندريه جيد»: أنجاس من خلال رداءة

223 جيرودو هو المندوب العام للإعلام، مكلف بمهمة الرقابة منذ 29 جويلية 1939.

224 الرواني أندريه شمصون مكلف لدى القيادة العليا للجيش الخامس.

وضِعَتِي، لم أعد أخشى أن أخطئ وأتكلّم بوقاحة عن هذه الحرب لأنّ أخطائي سوف تكون لها قيمة تاريخيّة. إن أخطأت واعتبرت هذه الحرب احتيالا، فهذا الخطأ ليس حاقتي أنا، إنّهُ تمثّل لفترة من هذه الحرب. هناك، آخرون أكثر أو أقلّ ذكاء منّي، أكثر أو أقلّ معرفة منّي تفاجؤوا مثلي، تحرّكوا، دون أن يكتبوا أو يستعملوا كلمات أخرى. لا يتطلّب الأمر شيئا آخر لإقناعي أنّ كلّ ما أكتبه مهمّ، بما في ذلك الاعتراف بكأبتي، وبما أعيشه من حالات كرب، كان «جيد» يعتذر عن كتابتها، سأكتب كلّ شيء، دون استهانة، ومن الضّروريّ أن أُولي العناية بكلّ ما سأكتبه، من شجون، وتفاهات، ومن هواجس، وأمزجة، وتكهّنات سياسيّة، سأعود على تدويناتي موقّعا ومدقّقا، منسّبا لأحكامها، مخفّفا من مصادراتها. لا بدّ من التّنسب، ومن الابتعاد عن الإطلاق، بل إنّهُ لا بدّ من التّسببية في كلّ شيء، في تفاصيل حياتنا، الأشدّ بساطة. لن يكون هذا الدّفتر ساذجا، وسيكون جريئا، دون أقنعة، هو دفتر ملحد ومتكبّر. من وجهة نظر أخرى وبذهنيّة مختلفة تماما هذا الدّفتر إعادة نظر لنفسي. وهنا أيضا يمكن أن يكون قريبا من الاعترافات الجديّة. غير أنّ هذا ليس سوى مظهر. وفي الحقيقة فإنّ إعادة النّظر هذه لا أقوم بها متحبا ويشكل وضع، لكن يبرود وفي حال تطوّر. إنّها تسجيلات، وأنا أكتبها، يسود لديّ انطباع -ماكر- أنّي تركت خلفي ما كتبه. لست خجولا من ذلك، ولست متباها بها. هناك تقريبا دائما فارق بين اللّحظة التي أشعر فيها واللّحظة التي أكتب فيها. وبالتالي فهي بالأساس إعادة توضيح، باستثناء بعض اللّحظات التي يأمر فيها الإحساس بالكتابة دفعة واحدة. وأنا أكتب أحاول تأسيس قاعدة صلبة ومركّزة لمنطقتي. في المحصّلة هناك، عند البدائيين احتفالات لمساعدة الحيّ على الموت، لمساعدة الرّوح على مغادرة الجسد. لتدويناتي «الاعترافيّة» الهدف نفسه: مساعدة وجودي الحاضر على الجريان في الماضي، غرزه قليلا وقت الحاجة.. ثمة هنا جانب من التّلميح، إذ لا يكفي أن تُبلّغ عن واقعة نفسيّة كي نعيد تحويرها. لكن على الأقلّ ترسم خطوط تغيير ممكن.

تقودني كلّ هذا الملاحظات لمواجهة تكويني الأخلاقيّ بالتكوين الأخلاقيّ لـ «جيد». ما أفعله. أنّي أحاول أن أكتب هنا هذا المساء وفي كلّ أيّامي هذه، ما سوف

يكون محاولاتي الأخلاقية المختلفة منذ كان عمري ثماني عشرة سنة وسوف أعمل على تحيين بعض الوقائع الأخلاقية التي اكتشفتها ويمكن تسميتها انفعالاتي الأخلاقية. بالفعل؛ أتخيل أن كل واحد يحدد بشكل حر طريقة التأثير الأخلاقي، من خلال ذلك يتمسك بالقيم ويتصور تطوره. مثال ذلك أنه من المؤكد أنه قد كانت لي ومنذ نعومة أظفاري أخلاق بلا رب - بلا خطيئة ولكن دون شر. سأعود لاحقا لهذا الموضوع..

في سن الثانية عشرة فقدت الإيمان. غير أنني أتصور أنني لم أكن أو من بشكل قوي. كان جدّي بروتستانتيا، وكانت جدتي كاثوليكية⁽²²⁵⁾. غير أن مشاعرهما الدينية كانت محتشمة ومتجمدة؛ كان جدي يكن احتراماً مبدئياً للمسألة الدينية باعتبارها ظاهرة ثقافية كبرى، وكان هذا الاحترام مرفوقاً باحتقار «باربايو [كنية للبروتستاني]» تجاه الكهنة. أعتقد أنه كان ونحن على الطاولة، يتهمكم بالكهنوتية، فتطرق جدتي أصابعه وهي تقول «اصمت يا بابا». أقامت لي أمي أول جلسة وحدة شعور، لكن أعتقد أنها فعلت ذلك، دون قناعة حقيقية، احتراماً لحررتي المستقبلية. كمن يختن ابنه، لأسباب صحية، لم تكن لها ديانة محددة، وإذا كان لها من تدين فهو غاية في الغموض، يعزّيها أحيانا حين يستوجب الظرف، ويتركها بسلام. ليس لي ذكريات دينية على الإطلاق: لكنني أتذكر أنني في الثامنة قد أقدمت على إحراق ستائر القماش الرقيق، والشفاف، للنافذة، بولاعة. وكنت أتصور أن الله الطيب يراقبني، وبارك الفعل الخرافي. أتذكر أيضا أنني قمت بسرديّة في مجال التعليم المسيحي عند القس ديبيلدوس (في مقرّات مدرسة بوسيه) وفزت بميدالية فضية من ورق مقوّى. مازلت إلى الآن ممتلئا فرحة وجورا حين أفكر في تلك القراءة وفي تلك الميدالية. لكن لا علاقة لكل هذا بالدين. ذلك أن أمي قد نسخت بخطها الجميل ما ألفته، لقد تركت رؤية نثريتي مكتوبة في داخلي انطبعا شبيها، بما يصيب الكاتب من إهار، لصدور النسخة الأولى من كتابه البكر. إضافة إلى ذلك فإنّ الميدالية الفضية ذات اللون الرماديّ اللّماع الجميل، قد تمّ

225. المقصود هنا أجداده من جهة الأم الشويثير بالكاد بلغ سائر شهر الخامس عشر لما توفي أبوه جان باتيست سارتر (سبتمبر 1906). عاش مع عائلة أمه إلى أن تزوجت هذه الأخيرة مرة أخرى في أبريل سنة 1917.

تلصيقها على الورقة الأولى من الاختبار. لقد كان لكل ذلك أثره الرائع، والشمين، زد على ذلك أن القس الذي صحَّح لي إنتاجي كان غاية في اللطف، أشقر، في عنفوان شبابه، بيدين جميلتين⁽²²⁶⁾. لقد بحثت مطولا، فلم أعر على شيء آخر بداخلي. صحيح أنهم كانوا كثيرا ما يصحبونني إلى الكنيسة - لكنَّ هذا الذي أستعيده يؤكِّد النوع البورجوازي الذي أنتمي إليه - فقط لسماع موسيقى جميلة، أرغن سانت سوبليس أو أرغن نوتر دام. إنني أرى أيَّ شعور روحاني رفيع تثيره وحدة الأشكال الأنقى في الفن مع الأشكال الأعلى للإيمان عند أمتي وجدتي، والأهمَّ مما تقدَّم، أن جاذبية الموسيقى، هي التي كانت تغري النسوة والفتيات، بما هو ديني، وأعتقد أنهنَّ لم يكنَّ يعلمن إن كانت الموسيقى هي التي تبيجنَّ، باعتبارها دينية أم أن الدين هو الذي يجلبهنَّ، لما في الموسيقى من وحدة، وانسجام. يمتزج احترامهنَّ للدين بتعلُّقهنَّ الأكاديمي بالقيم الروحانية. بالنسبة إليَّ، لم أكن أستمع إلى هذه الموسيقى، إلى هذه الرياح القوية المنتحبة التي تملأ فجأة فضاء الكنيسة. لكنَّ هذه القداسات كانت مرتبطة في ذهني رغما عني بفكرة الفضيلة. وبما أنني كنت متضايقا، عرفت أمتي كيف تهدئني وهي تشرح لي أن صبيًا صغيرا مهذبًا عليه أن يظَلَّ هادئا مثل صورة خلال إقامة القداس. كنت أحقق في داخلي هذا التهذيب بأقلَّ التكاليف خلال كامل الساعة التي يتم فيها القداس، لأستطيع أن أسأل أمتي فيما بعد وأنا متيقن من إجابتها: «أمتي، هل كنت مهذبًا؟»، بل إنني كنت ألترم مكاني دون حراك متفاديا كلَّ ما من شأنه أن يثير أيَّ ضجيج، فلا أحرِّك حتى مقعدي ولا قدمي أيضا. غير أنني كنت أمقت الركوع فلي حذبتان شديدتا الحساسية في ساقي. ها هو ذا. إنه لأمر هزيل. فالله موجود لكنَّ ذلك لا يعني. ذات يوم في لاروشيل، وبينما كنت انتظر الأنسات ماتشادو اللواتي يصطحبني في الطريق إلى المعهد، نفذ صبري من انتظارهنَّ ولماء الفراغ انشغلت بالتفكير في الله، استغرقت في التفكير، وتردَّد في أعماقي صوت «هو غير موجود»، وكان ذو أصالة بديهية، ولا أعلم حتَّى الآن كيف استخلصت تلك

226. تنتهي هذه القصة في كتاب "الكلمات" (1964) بشكل مئى فهذا الانتاج لم يحصل إلا على الميدالية الفضية (ص84-85سلسلة فولبوغاليما).

النتيجة. ثم انتهت المسألة، ولم أعد أفكر في الأمر. لم أعد أنشغل إطلاقاً بهذا الإله الميت، الذي شككت أنه كان حياً. أتصور أنه لا يمكن العثور في داخلي على طبيعة دينية. لقد حسمت تلك المسألة نهائياً منذ كان عمري إثنتي عشرة سنة. إثر ذلك بوقت طويل كنت أعالج البراهين الدينية وحجج الملحدين. أعجبتني الأقدار وتناقضاتها. أعجبتني أن أقول إن اعتراضات كالظلم تبلغ الدليل الأنطولوجي لديكارت، لكن كل هذا لم يبد لي حيويًا مثل الشجار بين المعاصرين والقدامى. اعتقد أنني أقول كل هذا لأنني مصاب بالأخلاقية وعادة ما تنهل الأخلاقية من الدين. غير أن هذا لم يحدث معي. بل لقد نموت وترتبت، عموماً عند أولياء ومعلمين كان أغلبهم أبطالا في الأخلاق اللائكية التي استبدلوا بها الأخلاق الدينية. أتوقف هنا لأدون نادرة فائدة لـ «كيلر». في حصن سانت-سير سنة 1921 حققوه ضد الحمى التيفية وأعطوه ثلاثة قرايطس من الكينين، لاستعمالها إذا ارتفعت عنده الحرارة خلال الشامي وأربعين ساعة القادمة: «لم تؤثر في الحقنة بأي شكل من الأشكال، غير أنني ابتلعت محتوى الأكياس الثلاثة، حتى لا أخسرهما»

أدين هنا شيئاً في صالح بياتر وكنت أريد كتابته من مدة طويلة: فهو لم يتلق سوى تدريباً مختصراً وهو يعرف ذلك. وهو يتهز هذه الفسحة الإجبارية ليدرس الجبر ثلاث أو أربع ساعات في اليوم، دونما ابتهاج كبير ولكن بلهفة. أنا و مستر نسيمه الملاك أو الطفل الجميل. والحقيقة أنه ملاك حقاً، في مهاراته شكل من أشكال البراءة، ولا أنكر أنه يشيع من حوله ضرباً من السحر، وهو خال من أي عقدة ولا يطلب شيئاً سوى أن يكون سعيداً. إنه من مكان آخر. ومداعباته لنفسه تجعله يشبه السارافيم [مجموعة من الملائكة موجودة في الأديان الإبراهيمية] وهو يداعب خديّه بأجنحته - هذه الساعات التي ينهمك خلالها في دراسة الجبر، هي رفض لإضاعة الوقت في الحرب، رفض للاستسلام، إرادة لاستثمار هذه البطالة؛ الرفض الوحيد الممكن لنا للحرب. حين أقارن بينه وبين كيلر الذي يتخم نفسه لأن الأكل مجاني هنا، وبول هذا الجرذ المخفي وكل الآخرين، أجده فريداً، وجديراً بأن أقدره حق قدره.

لست واثقاً من أكون قد خطّطت أكثر من اللازم حين أقول إن المسألة الأخلاقية

التي شغلتنني إلى حدّ الآن، هي في مجملها على علاقة بالفن والحياة. سوف أكتب هذا، رغم أنّه لم يكن هذا ضمن السّؤال، بل لم يكن مطروحا للبحث أصلا؛ هو مطروح في سياق الأعمال الأدبية فقط، هناك ما تبقى، وهو كلّ شيء: الحب، الصداقة، السياسة، العلاقات مع الذات، لا أعرف ماذا آخر؟ ومهما فعلنا فنحن في قلب كلّ هذه المسائل. ما العمل؟ أعتقد أنّه من واجبي، ومن وجهة نظري، في حياتي كشاب وكرجل، أن أظّل وفيّا للحقيقة من خلال تميّز ثلاث فترات. الفترة الأولى ما بين 1921 و1929 فترة التّفاؤل، زمن كنت «ألف سقراط». بقلب مبتهج كنت أفكر في تلك الفترة أنّ الحياة فاشلة وأوتس أخلاقا ميتافيزيقية لإنجاز الفنّ. غير أنّي في العمق لم أكن مقتنعا تماما؛ فما هو حقيقيّ وقتها أنّي كنت على يقين من أنّه يكفي أن أنفّر للكتابة وسوف تمضي الحياة كما هي.. وتلك الحياة التي تتشكّل وحدها، قد كنت خطّطت لها مسبقا في رأسي: حياة كاتب كبير، كيفما تظهر من خلال الكتب. كان هناك في العمق هذه الثّقة العمياء السّحرية: لتكون لك حياة كاتب كبير عليك أن تكون كاتباً كبيراً. لكن لتكون كاتباً كبيراً ليس هناك إلّا وسيلة واحدة: الانشغال بالكتابة فقط. كذلك؛ هذه الحياة المرضية المشدودة إلى خطّة مغرية، حياة ليسزت، فاغنار، ستندال، يُدين القدر لي بها إن صنعت كتباً كثيرة. نسأل لي هذا التّفاؤل من خلال طفولتي، ثمّ من خلال تفكير أرسطوي (تفكير ناتج عن مفهوم قابل للتشاور): الكاتب الكبير له حياة كاتب كبير. ولذا يجب أن أخصّص كلّ جهودي لأكون كاتباً كبيراً. وسوف يأتي الباقي وحده. لو سألني أحدهم الآن ما الذي أرغب فيه الأكثر: أن أوّلّف كتاباً جيّداً أو أن تكون لي حياة رجل مهمّ، لن أجد الإجابة الصحيحة. يترأى لي أنّي كنت ممتلئاً ظلمة تجاه هذه الحياة الرّائعة، غير أنّي كنت سوف أستحقّها فعلا من خلال إنجاز كتب جميلة. لا أقول هذا من وجهة نظر أخلاقية ولكن لتكون هذه الحياة فعلا لي. أمّا من حيث محتوى هذه الحياة، فيمكن تخيّل هذا الشكل: سوف يكون هناك عزلة وبأس، أهواء، مشاريع كبرى، وقت طويل للكرب المؤلم (غير أنّي سوف أقصّره في أحلامي بمكر، حتّى لا أكون شيخا طاعنا في السّن حين تقترب نهايتي) ثمّ الانتصار، بموكبه الإعجابي والكثير من الحبّ. أعترف في

خجل أن جان كريستوف⁽²²⁷⁾ هذا القدر المظهر جعلني أبكي فجأة حين كنت في سن العشرين. كنت أعلم أنه كان تصرفاً سيئاً، وهو يعطي صورة مُنفرة عن الفن، وأنها كانت حكاية فنان كتبها أكاديمي غير مثقف، لكن على كل حال... كانت هناك طريقة لرفع الأصبع، في نهاية الفصل طريقة لقول: سوف ترون! سوف ترون! كريستوف هذا الصغير، يتألم، يتوه. لكن سوف تصبح آلامه وحالات نبيه موسيقى، وتستردُّ الموسيقى كل شيء - وهو ما يجعلني أصرُّ على أسناني انزعاجاً ورغبة. في المحصلة أردت أن أكون فيما بعد رجلاً مهماً كي أعيش شبابي، مثلما يمكن أن يعيشه رجل مهم. بل إنني فرط ثقتي كنت أتصرف كما لو أنني سوف أكون فعلاً رجلاً مهماً، وكنت واعياً جداً من أنني الشاب سارتر، كما يقولون الشاب برليوز، أو الشاب غوته. وأقوم من حين لآخر بجولة في المستقبل، لسبب واحد، هو أن ألتفت خلفي، وأنظر من الأعلى إلى شبابي من هناك بمتعة زائدة، فأحرّك رأسي قائلاً لنفسني: «لم أكن أعتقد أن ذاك الألم سوف يخدمني إلى هذه الدرجة»، ألتفت وأنا شيخ نحو شبابي وأحترمه بشيء من الحنان الممتلئ بالتقدير. تركت هذه الإزدواجية في الشخصية المتصنعة علامات في دفتر كبير لا أعرف أين فقدته بين تدويتين فلسفتين جافتين. كنت أؤنّب سيمون جوليفيه⁽²²⁸⁾ وأنا أصبح: «أنت تؤلميني كثيراً، لكن يضحك جيداً ذاك الذي يضحك الأخير، ذلك لأنني مهم». في تلك الحالة كنت عادة ما أتسلّى بتقييم عذاباتي العاطفية، تحت الرعاية المؤسفة الجامعيّ متدرب من نوع كوزيل، الذي كان يحدثني عن أشجان شيللي⁽²²⁹⁾، ولوفرار الذي كان يحدثني عن أشجان إدغار ألن بو⁽²³⁰⁾. لكن أنخيل أنه كان هناك فوق كل شيء ثقة فتيّة في المستقبل، وكان هناك أيضاً هذا القرار البورجوازي الذي يضع حداً لما هو محتمل حسب رغبته، فيوقفه قبل الرعب، قبل الكارثة. ثم كنت جاهزاً: فكل شيء كان ممكناً بالنسبة إليّ طالما مازلت

227 رواية دورية لرومان رولانتم نشرها في البدء كراسات الكيترانيين 1904 و1912

228. كان لسارتر علاقة بها بين 1926 و1928 اسمها سيمون دي بوفوار (كاميه) في مذكرات.

229 طموله شيللي ل أندريه كوزيل (باريس، بلود، 1910)

230. كتب إيميل لوفرار إدغار ألن بو حياته وأعماله دراسة نفسية مرضية 1904 (منشورات ألكان)

صغيراً. بواسطة هذه الثقة الصلبة في نجوميتي، أستطيع أن أؤكد بكل طمأنينة أن الحياة هذا الجزء المفقود منذ البداية والمُفَكَّر فيه بحماس، هذه الكلمة لأمبال يتحدث عن موسى: لكل شخص أرضه الموعودة، يوم انتصاره ونهايته في المنفى.⁽²³¹⁾ سوف أقبل عن طيب خاطر النهاية في المنفى، هذه النهاية التي مازالت بعيدة، ثم تتيح لي هذه الفروق التشاؤمية أن أقبل يوم انتصاري دون أن أراجع عن رأي. طبعاً؛ الحياة فاشلة طالما تنتهي دائماً بخيبة. هناك؛ فقط يوم الانتصار هذا. مُحْتَفَر، يوم الانتصار هذا لأنه ينتهي بخسارة هو أيضاً. لكن؛ في الأخير إنه هنا مثل شمس لا مرتية، تدفع قلبي.

إنها هذه الخدع، هذا التشاؤم الذي يغطي تفاؤلي الأساسي ويخفيه، ما يسمح لي بمواجهة الفترة الأشد كُرباً والأشدّ خذلاناً، دون أن تتغير مبادئي في الظاهر. مازلت على قناعتني أن هذه الحياة جزء مفقود، غير أنني هذه المرة صرت مؤمناً بذلك تماماً. وأؤمن بذلك لأنني كنت أحتاج إلى أن أؤمن. ثمة كذب هنا أيضاً، فلقد فكّرت دائماً أن رجلاً مهماً يجب أن يكون حراً دائماً. لا يتعلق الأمر هنا بالحرية البرجسونية للقلب، وليست أيضاً تلك التي اكتشفناها مؤخراً في داخلي، وهي ليست مجرد دعاية، بل شكلاً من أشكال كاريكاتور الحرية الهيجلية: أن أحافظ على نفسي حراً لأحقق في داخلي، ومن خلالي، الفكرة الملموسة للرجل المهم. نخشى أن نصطدم برواقي أن نوقع أنفسنا في شرك، لكن لا بدّ من مواصلة الدرب بكل حزم. لقد كتبوا كثيراً حول حرية هذا الرجل المهم - حر - من - أجل - مصيره - الذي يتخذ بطبعه وجه الحتمية لكل من يلتقي به في طريقه. أتذكر مسرحية غنية جداً لمولوخ⁽²³²⁾ تتوسع في طرح هذا الموضوع، باختصار لقد امتلأ بها رأسي وقتها، وبطبيعة الحال كنت أفكر

231 "بأكثر دقة." من ليس له منا أرضه الموعودة يوم لذهوننايته في المنفى؟ "لانصي 28 أبريل 1852 (هنري - فريدريك أمبال شذرات يوميات).

232 على حد علي توجد قطعتان مسرحيتان بهذا العنوان: الأولى دراما غير مكتملة لهرديريك هيبيل (1863-1813) والأخرى قطعة مسرحية من ربعة مشاهد لبوسا كني سانت-مارك تم عرضها لأول مرة في الكوميديا - الفرنسية 21 ديسمبر 1928 وتم نشرها في "أوفر - لير" فيفري 1929 في هذه المسرحية الثانية البطل موسيقار عبقرى يقوم بأعمال شر لعائلته

بالخصوص في تأكيد هذه الحرية ضدّ النساء. وكان من الهزل التفكير أنّهنّ سوف يطاردنني، بل كنت أنا من يطاردهنّ. هكذا، وفي بعض المغامرات التي خضتها، وبعدها راوغت كثيرا، لخداع فتاة، اعتقدت أنّه من واجبي أن أشرح لها بحياء شرس أنّه عليها أن لا تسيء لحرّتي. لكن خلال وقت قصير، وبما أنّني كنت طيّبا بالسليقة، منحتها هذه الحرية الثمينة، قائلا لها: إنّها أجمل هدية يمكن أن أهبها لك. لاشيء تغيّر في علاقاتنا، لكن إن كانت تلك الفتاة ساذجة كان يمكنها أن تدخل بامتنان - وإن كانت مأكرة سوف تتفانى لتكون كذلك. من حسن حظّي أنّ ظروفنا خارج إرادتي تدخلت أفقدتني شيئا من حماسي، وأعادت لي حرّتي العزيزة كنت أترسّع لأهبها لفتاة أخرى. لكنني في إحدى المرّات وقعت في الفخّ. لقد قبلت الكاستور هذه الحرية وحافظت عليها. كان ذلك في 1929 كنت غيبا جدّا لأنّاثر بذلك: عوض أن أفهم الحظّ العجيب الذي حصلت عليه، وقعت في شيء من الكآبة. كنت قد غادرت في الوقت نفسه معهد المعلمين ذلك الوسط المتداعي والعنيف للرفاق لأعيش وحيدا. وتصادف ذلك مع موعد أداء واجبي العسكريّ الذي دفعني إلى أن أكون متواضعا - وهو ما تخلّيت عنه مباشرة بعد انقضاء التدريب العسكريّ. لكنّ هذا التواضع انتهى من تنظيف كلّ فذارة المافوق بشريّ التي مازلت أحافظ عليها. فوق ذلك صرت أستاذا. قلت لنفسي إنّها أعلى من أن تكون ضربة قاسية. ذلك أنّني صرت بغتة سقراطا واحدا. مازلت إلى حدود ذلك الوقت أستاذ للحياة: كلّ لحظة، كلّ حدث يجعلانني أفتّح دون أن أهرم، يتعلّق الأمر ببروفات قبل عرض المسرحية. ثمّ ها أنا ذا أمثل المسرحية. كلّ ما فعلته كان مع حياتي القادمة. لن أستطيع استعادة ضرباتي، كلّ شيء مسجّل في هذا الوجود الضيّق والقصير. كلّ حدث يأتي من خارج حياتي، ثمّ فجأة يصبح حياتي، لقد تشكّلت حياتي بهذا الأسلوب. كنت مثل ذلك الصيّنيّ الذي تحدّث عنه مالرو في الفاتحون⁽²³³⁾، لقد اكتشفت متأخرا أنّ الحياة فريدة. بل أتذكّر أنّني حين قرأت هذه الجملة في «الفاتحون» صُدمت مثل لعب ثقافيّ مستحبّ لكن لا أتحسّس حقيقته في الدّاخل (كان ذلك سنة 1930). لم أشعر بهذه الحقيقة فعلا إلّا

خلال السنوات التي تلت، في 1931/32/33. ما أحسسته بشكل غامض، أنه لا يمكننا أن نُشكّل وجهة نظر حول حياتنا ونحن نعيشها، فهي تأتي من خلفك وتجذ نفسك فجأة بداخلها. ورغم ذلك لو نلتفت سوف نستنتج أننا مسؤولون على كلّ ما عشناه، وهذا غير قابل للتّرميم. كنت أشعر أنني قد انخرطت بقوة في اتجاه يزداد ضيقا، أحسّ أنني أفقد في كلّ خطوة إحدى إمكانيّاتي، كما يفقد المرء شعر رأسه. بالمناسبة بدأ شعر رأسي يتساقط - توقّف مدّة ثمّ عاد للتساقط مجدّدا بإيقاع أكثر بطءا. حين كنت والكاستور بترو دي بوزول [مزار سياحيّ مشهور على هيئة صفيحة حصان جنوب غربيّ فرنسا] وانتبهتُ لذلك - أو بالأحرى لمحت الكاستور ذلك وندت عنها صيحة، كان ذلك بالنسبة إليّ كارثة رمزيّة. بقيت غير معنيّ بفكرة الموت، لكن في المقابل كنت في تلك الفترة أنذوق كل ما في الشّيخوخة من تراجيديا، ومما لا يمكن إصلاحه. ولمدّة طويلة ظللت أُمسّد رأسي أمام المرايا. أصبح الصّلح بالنسبة إليّ علامة ملموسة على الشّيخوخة. بإيجاز، لقد تحمّلت بكثير من العناء، العبور إلى الكهولة. وفي الثّانية والثلاثين من العمر، شعرت أنني شيخ، وبأنّ حياة الرّجل المهمّ التي وعدت بها نفسي، غاية في البعد، ولم أكن راضيا حينها عمّا أكتب، كانت تحدوني رغبة أن يكون لي كتاب مطبوع، وإنّني اليوم لأشعر بمنتهى الحية، حين أتذكّر أنّني في الثّانية والعشرين، قد وثقت بمقالة لتوبفار⁽²³⁴⁾ دوتتها على دفترتي، جعلت حينها دقات قلبي تتسارع: «من لم يشتهر وعمره 28 سنة عليه أن يتخلّى عن فكرة أي انتصار»، بالطبع؛ هي جملة عبثيّة تماما، لكن ألقت بي في الدّعر، فقد كنت في الثّامنة والعشرين مغمورا بعد إلى أبعد حدّ ونكرة، ولم أكن قد كتبت شيئا ذا بال، كان لا بدّ من معجزة لأكتب ما هو أهل للقراءة. قضيت عطلة بسنة في برلين⁽²³⁵⁾، عثرت

234 كاتب ورسام سويسري (1799-1846) مؤلف ردود فعل وقائمة فنان جنيمواي باريس ديوشني

1884

235 كان ذلك خلال السنة الدراسيّة 1933-1934 "أقنع أرون سارتر إن الفيزيمونولوجيا تجيب عن تساؤلاته تجاؤ التعارض بين المثاليّة والواقعيّة (...) تبعا لهذا قرر سارتر دراسة (هوسرل) وبتحريض من أرون قام بالتمشّيات اللازمة ليأخذ مكان رفيقه في السنة القادمة بالمعهد الفرنسي بـرلين" (سيموندي بوفوار قوة العمر غاليمار 1960).

فيها على طيش الشباب، وبعودي، تسلّمت وظيفتي بشكل مرير كأستاذ في الهافر. أتذكّر أنّ ذلك قد كان في شهر نوفمبر، مفتتح السّنة الدّراسيّة الجديدة، كنت والكاستور في الهافر، نجلس بمقهى الموات قبالة البحر، كنّا نرثي أنفسنا مردّدين، أن لا جديد، ينتظرنا، كانت صداقاتنا محصورة في أسماء بعينها، غيبي، مدام موريل بوييت، جيبي⁽²³⁶⁾؛ وقد أصابنا السّأم من امتحانات الوعي المضبوط للمثقف، سئمنا الحياة الفاضلة والمرتبة التي نعيشها، سئمنا ما سمّيناه وقتها بـ«بناء»، لأننا بنينا علاقتنا، على قاعدة الجدّيّة التّامة، بإخلاص تامّ متبادل، وضخّينا بأمزجتنا وبكلّ ما يمكن أن يكون في دواخلنا من اضطرابات متعلّقة بهذا الحبّ الدّائم والموجّه الذي بنيناه. وفي الحقيقة كان بداخلنا نوستالجيا متعلّقة بحياة فوضويّة، تتركّ اللحظّة تمرّ في اضطراب قهريّ، متعلّقة بشكل من العتمة التي تحدث تعارضا مع عقلانيّتنا المستنيرة، متعلّقة بطريقة في الغرق في أنفسنا والشّعور دون معرفة ممّا آتينا نشعر. كان أيضا شيئا من الوجود والأصالة نستشعره بشكل غامض فيها وراء عقلانيّة البورجوازيّ الصّغير. كنّا في حاجة إلى عدم التوازن، كي يمكننا أن نفيس أنفسنا بعد ذلك ولمدّة طويلة. انتهى كل هذا بذلك المزاج الغريب، الذي انقلب إلى جنون خلال شهر مارس من تلك السّنة نفسها. التقيت بأولغا التي كانت تحمل كلّ ما نرغب فيه وجعلتنا نحياه معها. هكذا كانت الحياة متفرّدة، ولم أظفر منها إلّا ذلك الوجود المعجن والمفقود حيث لا شيء من الحياة المجيدة التي حلمت بها، لرجل مهمّ، وانطلق وقتها العمل الصّغير الدّؤوب، الذي اقتنعت خلاله أنّ كلّ حياة مفقودة مسبقا. كان الأمر أكثر سهولة ممّا اعتقدت، وممّا كنت أردّد. لم ينشأ ذلك عن غياب للحجج والمبرّرات التي كان في حولي ابتكارها، وإنّما كان من المرعب أن أتخيل أنّ هذه الحياة المرفّهة، والنشوانة هي حياتي، التي سترافقني مثلها رافقت أناسا آخرين، خاضوها، في أزمنة مغايرة، وفي أمكنة مختلفة. الكاتب يعيش في مستقبله، ومن أجله، قد يتقاطع مع النّاس في حياتهم، ولكنّ له حياته الأخرى، التي يجب أن يدافع عنها، عن فرادتها. لقد كان راسين بورجوازيّا صغيرا زمن لويس الرّابع عشر، لكنّ هذا

236 صديقة هيلي ندي بوفوار (بوييت) والتي من خلالها تعرّفت إليها سيمون ومن بعد سارتر.

البورجوازي الصغير كتب فيدر. لا يمكن إعلاء الإنتاجات الأدبية إلى مستوى الحياة، هي تفلت من الحياة، تسير خارجها وتبقى كذلك في الخارج دائما، وهي ليست ملكا لمن ألفها، بل لقراءتها. ومن هذا المنطلق انتصرت للكاتب، للحياة الأخرى، وتعلقت بالكتابة بشكل شره، فالهدف الوحيد من وجود عبثي هو، إنتاج أعمال فنية بلا عدد، تفلت من هذا الوجود: ذلك هو تبريره الوحيد، وهو أصلا تبرير غير صائب، لن ينقذ بلغمه⁽²³⁷⁾ المتكاثر. بالنسبة إلى الحياة نفسها، لا بدّ من عيشها على طريقة امش-كما-أدفعك- بأيّ شكل كان. سوف أعيشها بشكل جيّد «بأيّ شكل كان» وإن تحجّرت.

خلال فترة جنوبي وشغفي بأولغا كنت في أدنى مستويات حالاتي: عامان من مارس 1935 إلى مارس 1937. لكنّ هذه النكبات كانت مفيدة بالنسبة إليّ. لقد أراح الجنون حدود المحتمل: في تلك اللحظة تخلّيت عن تفاولي البورجوازي، وأدركت أنّ كلّ شيء يمكن أن يحدث لي مثل أيّ شخص آخر. ولجت عالما أكثر قتامة لكن أقلّ شحوبا. لقد أشعل شغفي بأولغا كلّ لوثاتي اليومية مثل شعلة بيك بينزان. صرت هزيبا مثل وقواق ولهان؛ وداعا لارتياحي. ثمّ عانينا أنا والكاستور دوخة هذا الوعي العاري والمتواصل، الذي تراءى لي أنّه يحسّ فقط بقوة ونقاوة. وضعته إذن لأوّل مرّة في حياتي، عند الأعلى. لقد أحسست بنفسي ساذجا وأعزل أمام شخص رغبت أن أعلمه⁽²³⁸⁾. لقد استقدت من كلّ هذا. في تلك الفترة نفسها وبسبب هذا الشغف بالضبط، بدأت أشكّ في الخلاص عن طريق الفنّ. بدا لي الفنّ دون جدوى أمام هذا النقاء الفظيع القويّ والعاري. وبهذا الخصوص جرت محادثة بيني وبين الكاستور حيث بيّنت لي ندالة موقعي، وهو ما أنهى انشغالي بالمسألة الأخلاقية.

وفي تلك الفترة نفسها بالضبط كنت في القاع - بدرجة من البؤس حتّى أنّني

237 استعملها سارتر هنا بصيغة المذكر.

238 يلام حب أولغا الدفاتر. يحاول سارتر تحييد هذا المقطع في رسالته لنفسه اليوم إلى الكاستور: "إدا، يا حبي، فكرت أنّه قدامك أنت، أيّها اللؤلؤة الصغيرة كان يجب أن أشعر بمساجتي في تلك الفترة."

قررت الموت بأي شكل - إثر سوء فهم - فالمجلة الفرنسية الحديثة رفضت نشر رواية الغثيان، لكن تمت الموافقة عليها فيما بعد، كما ظهرت قصتي الجدار في المجلة الفرنسية الحديثة لعدد يونيو 1937. تعرّفت إلى فاندا ومنت تسميتي أستاذًا بباريس. وشعرت فجأة أن شبابًا عميقًا ولائقًا يداخلني. كنت سعيدًا ووجدت الحياة جميلة. ليس بسبب أنه لا شيء فيها من حياة رجل مهم، ولكن لأنها حياتي. سوف أشرح هذا مرة أخرى. استعادت الحياة هذه المرة خطى الفن، لكن بشكل متباطئ، خجول. أفكر الآن أنه لا يمكن للمرء أن يفقد حياته أبدًا، وأن لا شيء يستحق. ورغم ذلك حافظت على كل أفكارتي: أعرف أن حياة ما هي معجزة ورخوة، غير مبررة ولا محتملة. لكن هذا ليس مهمًا. أعرف أيضًا أن كل شيء من الممكن أن يحدث لي، لكنه سوف يحدث لي أنا فقط: كل حدث هو حدثي أنا فقط. لا أريد أن أتمدّد أكثر هنا. هذا التقسيم إلى ثلاث فترات ليس إلا تمهيدًا. أردت أن أوقع تذبذبات أخلاقي في هذا الجوّ العاطفي. كل ما كتبته منذ حين يمثل عموماً وصفاً للدوافع. سأحدث عن الخواطر لاحقاً.

السبت 2 ديسمبر

أردت بالأمس أن أكتب للجوّ العاطفي الذي تشكّلت فيه المسألة الأخلاقية عندي. بمعنى أنني قد كنت عادة ما أجد لها حلاً. يكفي أنني كنت دائم التفكير في إنجاز «عمل» أي سلسلة من الكتب المترابطة ببعضها من خلال مواضيع مشتركة، تعكس كل شخصيتي، فكل المستقبل أمامي. مع أنني فكّرت في مختلف فترات حياتي، أجها بألوان رومانسية أحياناً، وأحياناً أخرى أتصوّرها في ظلال يوم قائم. وكذلك كنت منذ طفولتي الأولى المحرومة. لم أتوقّف عن أن أكون كذلك. حياة ما أي شبكة، حشد من العلامات المتباعدة التي لا بدّ من تطريزها فيما بعد، وكلّاً موجوداً قبل أجزائه يتحقّق من خلال هذه الأجزاء. لا تبدو لي لحظة ما شبيهة بوحدة غامضة تنضاف إلى وحدات أخرى من النوع نفسه، هي لحظة تقوم على أساس حياة. هذه الحياة تشكيل نجمي تلتحق فيه النهاية بالبداية. تمنح الكهولة والشيخوخة معنى للطفولة والمراهقة. بمعنى ما، أرى كلّ لحظة حاضرة على أساس أنها حياة مكتملة، لكي أكون أكثر وضوحاً يجب أن أقول: من وجهة نظر بيوغرافية، ومن موقعي أرى

نفسي كمن يجب عليه أن يرد الاعتبار لهذه اللحظة في البيوغرافيا، أشعر أنه لا يمكن إدراك معناها الكامل إلا من خلال التمتع في المستقبل، وأخطط دائما لمستقبل غامض يتيح لي أن أردد لحاضري كل دلالته. كل هذه «الحياة»، هي طبعاً معروضة قدامي بشكل غير مدروس، ولقد كانت الموضوع الذي سَمَّاه هايدجير «فهم ما قبل أنطولوجي». على الأقل أغلب الوقت: إذ يحدث لي أن أتخيل أحيانا لحظات من وجودي المستقبلي. هذه الطريقة في أن ألقى بنفسي دونها أي تفكير منذ الطفولة في «حياة مهمة» مثلما فعل آخرون ألقوا بأنفسهم في إيمان كاثوليكي أو في الشيوعية، منعني دائما من حالات الحيرة وأزمات الوعي حين كنت أراني أجمال الكثير من رفاقي. كنت مضمونا، كان عندي إيمان الفحام [بما يعني إيمان العجائز]. أصرُّ على حقيقة أن هذه «الحياة» ليس لها من شيء مشترك مع المفهوم الشعبي والبيولوجي للحياة، التي اختلطت فيها بشكل غريب أفكار الوعي، المعيش والقدر. حياتي هي مؤسسة. غير أنها مؤسسة شجعها الأرباب. أخشى فقط بسبب الهشاشة، بسبب الشغف، بسبب الكسل، أن انقلب عليها، أن أتأخر كثيرا هنا أو هناك في بعض اللذائذ المضرة. ولئن أخطأت حياتي فذلك بسببي. وبالعكس فإن مثابرتي وخشيتي من أن أتمادى في حريتي وحاسبي المتوقد، كل هذا يمنحني حقاً لا نزاع بشأنه لتحقيقها. عموماً هي تشبه مسيرة: يدخل الشاب الألمي بنكا حيث يقف حمار أقوياء، ومسيرته تتشكل وحدها. لن يطلبوا منه شيئاً آخر عدا التطبيق - وأن يبرز من خلال كل أفعاله، استحقاقه لذلك. لم أعد النظر في كل هذا، حتى خلال تلك السنوات الكثيرة، كان انهيار شبابي من الداخل، ومن الأسفل، أما الواجهة فظلت قائمة، كل حياة ما هي جزء شائع. لقد تعودت أن أقول: «لقد نلت كل ما أريده، لكن ليس بالطريقة التي أريدها»، وكنت أحاول أن أقول من خلال هذا إن حياتي نجحت كما هو ممكن لحياة أن توحده، لكن؛ حياة ناجحة؛ ذلك لم يكن بالشيء المهم، لقد نلت حقاً كل ما يرغب فيه خيالي الساذج. وكنت حقاً خائبا في كل مرة. لقد أردت للأحداث في حياتي أن تكون معلومة المأل قبل بدايتها. إنها الحيلة التي عبرت عنها بخصوص مغامرة كتاب الغثيان. بإيجاز، كانت فكرة الحياة تلازمي دائما حين كنت في معهد المعلمين،

امتلكت وقتها الإحساس بالحرة واللامسؤولية تجاه الحياة، لم أكن أعمل أي حساب لضرباتي، بل كنت أستعد لها. عوض أن أقع فيها فيما بعد. هكذا يتضح كيف تباعدت عني بعض المبالغات الفاتنة، اليأس السيرياتي، السذاجة المسيحية، الإيمان الثوري. لقد داخلتني مثالية حياة رجل مهم اقترضتها من الرومنطيقية. شيلي، بايرون، فاغنار، هؤلاء هم الذين كانت لهم هذه الحيوانات التي اتخذتها نموذجا. لعلني كنت أرغب من دون أي اعتراض ودون أن أعرف أن أحقق حياة 1830 فيما بين 1921 و1960. لقد كان هذا مخفيا عني طبعاً، فاقترضت أدواتي من هذا القرن: الماركسية، السلمية، ضد الفاشية، الخ. غير أن الشبكة يعود تاريخها إلى زمن أنتوني⁽²³⁹⁾. لم يخطر لي على بال أن أجرب أخلاق المتعة الصافية أو السعادة: لم يكن هذا من نصيبي. بالعكس سوف تتضح وفق هذا البعد أفكار التطور، أفكار المافوق بشري، نصيحة رفع المعنويات الذاتية، تتخذ قيمة مخصوصة. لقد انتزعتها من أخلاقها الذاتية وضممتها داخل إطار حياتي. لم يكن الهدف الأخير ابتكار المافوق بشري، أو تطوير الأخلاق، بل أن تكون لي حياة جميلة. كانت هذه النصائح موجهة لي وغير صالحة إلا لي أنا فقط، لمسيرتي، بما يشبه تماماً ما سوف يقوله أحد حماة البنك الحارسين لذلك الشاب صاحب المستقبل: قم بزيارة لنائب المدير، واخدم فلانا فهو رجل مهم. وإن تساءلت الآن ماهي المعايير التي تسمح بمعرفة حياة جميلة، أرى أن حياة جميلة هي ببساطة تلك التي تغرق عيني قارئ ما في الدموع حين يرويها كاتب سيرة حساس. لقد عرفنا حتى النخاع بما أسميه التلميح البيوغرافي، الذي يتطلب تصديقه، أن حياة معيشة يمكن أن تشبه حياة مروية. من المكان الذي أتموقع فيه هل وجدت كلمة «جميلة» بشكل آخر، في حياة ستاندال، بقصصه العاطفية البئسة وضجره الطويل في سبني طايفيشيا؟ يكفي فقط أن نقرأ آربليه⁽²⁴⁰⁾ أو هازارد⁽²⁴¹⁾ ولا يجب أن يغيب نظرنا عن دير بارما وتنقذ دير بارما حياة كاملة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

239 دراما لألكسندر دوما الأب.

240 بول آربليه ملف شباب ستندال شامبوننسنة 1919.

241 كتب بول هازارد حياة ستندال 1928.

ما جئت على شرحه، لم يكن مجرد قول، بل أمرا ناجما عن إحساس حقيقي. وفي المقابل كانت عندي انشغالات أخلاقية واضحة: لم أكن أريد أن أكون كاتباً كبيراً فحسب، أو أن أحظى بحياة هنية لرجل مهم. كنت أريد أن أكون شخصا ما «جيداً»، كما كنت قد قلت ذلك سنة 1930 مع شيء من الطهر. تنبع هذه الانشغالات الأخلاقية من مورد آخر، وليس بالتأكيد من رغبتى في الكتابة وأن أكون رجلاً مهماً، وهي ذات صلة بحلمي أن أحيى حياة جميلة، وتتقوم عليها. سوف أستحق الكثير من هذه الحياة لو عشتها أخلاقياً؛ وسوف تكون البيوغرافيا أكثر ثراء، أشد غزارة، لو كان هذا الشخص الذي عرف كل شيء وأحب كل شيء بشغف وترك أعمالاً مهمة، لو كان هذا الشخص قبل كل شيء شخصاً «جيداً».

إنّ حرصى على أن تكون هذه الميولات متأصلة وفق رغبتى، جعلها خاضعة لها، مدة طويلة، وتحت سيطرتها: سوف أكون متخلفاً من أجل تحقيق حياة أجمل، وليس من أجل الأخلاق في حد ذاتها. تضيع طبعاً هذه التبعية حين أفكر في المسألة الأخلاقية أو حين أنصرف أخلاقياً. وتظل بقية الوقت في الخلف لا أوليها أي اهتمام. فيما بعد حين تفهقر شبابي أصبحت الانشغالات الأخلاقية ذات أولوية عندي.

إذا استثنيت ما وسم حياتي في التاسعة عشرة من فردانية مدمرة، ومن طابع عديمي، فإنّ ميلي إلى البعد الأخلاقي، قد أجلى عن نفسه، في مراحل لاحقة، بشكل واضح، وفي مستويات متعددة، غير أنّ «الغثيان» و«الجدار»، قد شكّلا لدى عموم القراء انطباعات سيئة عني، لقد أردت فيها أن أكون عاصفاً ومدمراً. كنت أبحث عن الأخلاق وفي الوقت نفسه عن الميافيزيقيا، ويجب أن أقول، بما أنني سبينوزي في هذا الخصوص، إنّ الأخلاق لم تكن عندي شيئاً آخر غير الميافيزيقيا ذاتها. لم تعني أبداً أخلاق الواجب. أولاً للأسباب التي استعرضتها في 5 نوفمبر: لقد كانت في عيني نسخة من زوج أتي، لا سيّما أنهم كانوا يقولون لي إنّ الأمر المطلق هو التعبير عن استقلالية إرادتي، ولم أصدق ذلك. لقد كنت أريد دائماً أن تكون حرّيتي فيها وراء الأخلاق وليس قبلها، أردتها كما نوهت عن ذلك في السابق، في ذلك الزمن الذي كنت فيه طفلاً مدّلاً. ثمّ إنّ أخلاق الواجب قابلة أن تنفصل عن أخلاق الميافيزيقيا،

وهو ما ينزع عنها حسب وجهة نظري جاذبيتها الكبرى. إني أرى اليوم بوضوح أنّ الموقف الأخلاقيّ منذ سنواتي العشرين الأولي كان له في عينيّ فضل أن أضفي على الإنسان كرامة إنسانيّة عالية جدّاً. هذا ما قصده أنا وبول نيزان سنة 1925 من خلال العبارة السينوزيّة «الخلاص»- رغم ما يشوبها من التباس. أن يحقّق المرء خلاصه ليس بالمفهوم المسيحيّ للكلمة، ولكن بالمعنى الرواقيّ: أن يرسّخ في طبيعته تحويراً شاملاً يجعلها تمرّ إلى حالة القيمة المضافة الأساسيّة. لم أكن أعرف وقتها عبارة «الوجوديّ» التي أستعملها هنا، غير أنني كنت أستشعرها. كنت ببساطة أحتاج إليها. لقد عثرت عند سينوزا على فكرة التغيّر الشامل - ويمكن أن نجدها أيضاً عند كانط. أن تكون أخلاقياً فذلك يعني أن تكتسب كرامة عالية في نظام الكائن، أن توجد أكثر. وفي نفس الوقت أن تعزل نفسك. لا أحد يمكنه أن يفهم الحكيم، وهو أيضاً لا يفهمهم. وهذا التغيّر الوجوديّ يرسّخ نهائياً عند الحكيم ولا يتحرّك: «يمكن للحكيم أن يُفلس ثلاث مرّات». إنّ فترة حضانتنا في المافوق بشريّ هي التي أوصلتنا أنا وبول نيزان إلى هنا. ما معنى أن يتحمّل المرء نفسه إن لم يعبر إلى كرامة أعلى مقاماً؟ أرى أيضاً أن ازدراءنا للناس يأمرنا بأن ننسحب من بين صفوفهم، نفقد هكذا دفعة واحدة بشريّتنا. أرى أخيراً أنّ البحث عن الخلاص هو البحث عن مسلك العبور نحو المطلق. هذا البحث عن المطلق كان أسلوب حياة في تلك الفترة. المجلّات إيسبري وفيلوسوفي⁽²⁴²⁾. (مع فريدمان ومورهانغ) كانت السّيربالية تبحث على طريقتها عن كيفة لاقتحام تلك الفترة. غير أنّ هذا يشبه عندنا ميلاً عميقاً. لم أكن أجد ارتياحاً لقراءة حجج عاديّة للنسيّة في مواجهة الفلسفات المطلقة في مجلة فلسفيّة. كنت في تلك الفترة واقعياً، رغبة في الإحساس بمقاومة الأشياء وأساساً أن أعيد لكلّ شيء أسلوبه المطلق اللاّإراديّ. لا أستطيع أن أستمع بمشهد طبيعيّ أو سماء إلّا إذا أدركت أنّها كما أراها بعينيّ تماماً. أستمع إلى أبعد حدّ، بشكل غير قابل

242 كان فيلوسوفي مجلة صدرت في أعداد محدّدة (ماي 1924-مارس 1925) تمثل مشروعها "الاهتمام بالشعر، بالتحليل ونهضة الفلسفة" تلتها مجلة إيسبري صدرت في عددين وتوقفت (ماي 1926* وجانفي 1927).

للقياس، بكلمة حدس، وبكلّ الكلمات التي تشير إلى اتصال فوريّ للذهن مع الأشياء في ذاتها. وهذه الأخلاق الأولى التي قمت بتشبيدها من خلال بعض سطور امتلاك العالم⁽²⁴³⁾ كانت تأمر أن أستمع من خلال الإدراك الحسيّ لأيّ شيء. ذلك أنّ هذا الإدراك الحسيّ المعالج بشكل احتفاليّ محترم، أصبح فعلاً مقدّساً. قلت لنفسي يحدث لي أن أرى طاولتي بشكل معتبر وأردّد: «إنّها طاولة، إنّها طاولة. إلى أن تولد قشعريرة خجولة أعمدها باسم البهجة. من هذا الميل نحو اعتبار الأشياء المدركة بشكل مطلق، أعتقد أنّ هوساً قد أجلى عن نفسه في أسلوب، يتمثّل في تكرار هناك، يسخر منّي غيبي قائلاً: «يقولون إنّ جول رناركان ينهي كتاباته ب: تبيض الدجاجة. أمّا أنت فسوف تكتب: هناك دجاجة وسوف تبيض». بالفعل: من خلال هناك أفصل بمتعة بين الدجاجة وبقية العالم، أجعل منها مطلقاً صغيراً مفصّلاً وثابتاً، وأمنحه فعل التبييض صفة خاصّة به. هناك شيء ما معدّل يعجبني كثيراً في الدجاجة تبيض، يجعل من الجوهر دجاجة متلاشي في تعددية من العلاقات والأفعال. باختصار؛ كنت أبحث عن المطلق، أريد أن أكون مطلقاً، وهذا ما أسمّيه الأخلاق، هذا ما نسّميه أن نقوم بخلاصنا. هكذا تدفع الأخلاق. لم أكن أوّماً إطلاقاً أنّ الأخلاق تدفع. كانت الواقعية، في صراع مع المثالية تسعى أن تثبت الشرّ فيما يخالفها من فلسفات، لكنني أتخيل أنّه كان ينبع من مصدر آخر: ينبع من اندهاشي أمام العالم، وما اكتشفته خلال تلك الفترة. كيف أقبل أنّ الكثير من الجاذبيّة، الكثير من المنع التي سوف أقنحمها، والكثير من الأخطار الجميلة كانت مجرد ظلال، تمثّلات سيئة التجميع. لا بدّ أن يكون هناك شيء ما لاقتحامه. كنّا جاثقين مثل ذئاب ونحلم باقتحامات فظة، باغتصابات. كان العالم أرضاً موعودة وعلى ملحمتنا أن تكون

243 امتلاك العالم رواية لجورج دوهاميل صدرت سنة 1919 بفرنسا عن ميركور انضم للجيش العربي للجيش الفرنسي بوصفه جراحاً كتفاعل مع الرؤيا الكارثية للعالم التي فرصتها الأحوال خلال الحرب كتب محاولة بين سنة 1917 و1918 فقرات من نوع: "ليس هناك من شيء في العالم لا يمكن أن يكون مصدراً للسعادة" أو "قل ما تكتشفه. ما تعرفه. فإنك تجعله يقيناً فعلياً هائناً من خلال تأكيد امتلاكك أن نشغل من أجلك ومن أجل الآخرين. تعطي شكلاً لكذلك. لانقا لمن يريد أن يطلع عليه" أثارت هذه المقاطعة انتباه سارتر.

مطلقة.. كان في هذا العالم الواقعي شيء فقط، لا أخلاقي وعار، يسخر من الأهل والأساتذة. لو لم تكن ألوان الأشياء مجرد مظاهر لكان لها كلّها أسرار، لن يعرفها العلماء. فلاقتحام العالم، ليس هناك من حاجة لاتباع السلسلة والانتظام داخل الطابور خلف الناس في المخبر، يمكننا أن نمتلك ذلك لوحدنا، يمكن أن نفكر حول ذلك وحدنا. كنت أشاهد الأشجار والماء وأردّد في حاس: «هناك ما يجب أن نفعله، هناك الكثير مما يجب أن نفعله». وكلّ «نظرية من نظرياتي» كانت فعلا من أفعال الملحمة والامتلاك. ومن خلال إعادة تركيب كلّ هذا قطعة قطعة تراءى لي في الأخير. إنني أخضعت العالم لي وحدي. إنها كانت فترة واقعية جديدة عنيفة غير أنني حين أعدت قراءة بعض الأعمال الأدبية لتلك الفترة اصطدمت بجفافها الثقافي. غير أننا لم نتعامل معها كما هي في ذلك الزمن. كانت هذه الأعمال تحدّثنا عن جميع أنحاء العالم، عن القسطنطينية، عن نيويورك، وأثينا. يشطب «أندريه جيد» في يومياته الكتاب الذين يبحثون عن صور مهما كان الثمن: "حقّق مخلوق الخضرة. لماذا «مخلوق الخضرة»⁽²⁴⁴⁾؟". لأنّ «مخلوق الخضرة» رقية سحرية، لقد ابتكروا طريقة أخرى لقول «حصد»، ابتكروه قدام الحقل، وهي ابتكار لفظي مساو للتخصيص. كنت أضع صوراً في كلّ مكان، بسكر فقط. في الأسبوع الماضي وجدت هذا السكر عند مدام أورلان حين أعدت قراءة كتابها عند الضوء البارد: «أمسك نورفيجي ورديّ وأبيض بكأسه الصغيرة بين يديه المضموتين، كما يمسك بعصفور يريد تدفّقه». يا إلهي، ما الذي تعنيه هذه الصورة. هكذا يتمّ إرهاب الأشياء بضربات قوية من الصور في بهجة بربرية. وابتكار الصور هو بالأساس احتفالية أخلاقية ومقدّسة.

قلت سابقاً، إنّ هذا البحث عن المطلق سوف يقودني إلى الوجودي، وللحقّ فإنّ فكرة الوجودي في حدّ ذاته كانت شاقّة جداً لأبتكرها وحدها. ثمّ انقلبت عليها لسبب آخر. كان هناك وجودي يتسكّع في كلّ مكان من أنحاء عالمنا الصغير. الاتّصال الأوّل بالفلسفة بالنسبة إلى الكثيرين من الطلبة تمت ترجمته بالكثير من الدهشة الوجودية والأصالة، غير أنّ هذه الدهشة ظلت غيبة جدّاً، قدام الموت،

الزمن، وجود حالات الوعي الأخرى. الكاستور هي بدورها لم تنج لأنها أصيلة أكثر مني. عندما كان عمرها ثماني عشرة سنة كانت تجلس في متحف بالوكسمبورغ على مقعد حديديّ ظهرها إلى الحائط وتفكر: «أنا هنا، يسيل الوقت وهذه اللحظة لن تعود مجدداً». وهو ما يجعلها تقع في اندهال مشابه للنوم. لذا فإن هذه الفلسفة الفقيرة هي في الواقع فلسفة أصيلة جداً، هي اللحظة حيث يغير السؤال السائل. لقد كانت الكاستور وهي جالسة على مقعدها الحديديّ كائنا ميتافيزيقياً صغيراً. لقد تحولت ميتافيزيقية بكل ما فيها، ألقت بنفسها في الزمن، كانت تعيش، كانت الزمن. فقط أثناء اللحظة، كانت الكلمات، الكلمات الفارغة والصاخبة تخون هذا التحول الغريب: «هذه اللحظة لن تعود مجدداً». أجبر فقر هذا التعبير الطلبة الميتافيزيقيين على اقتراض تعبير أكثر ثراء. وجدوا تعبير باريزي⁽²⁴⁵⁾ ضبابياً وعويصاً، وتعبير برونكيفيتش²⁴⁶ الهدام، حاولوا التأقلم معها على قدر المستطاع والدفع بانطباعاتهم تسيل عبر هذه الكلمات الجديدة، لكنهم عجزوا عن ذلك. نتج عن ذلك نوع من البلاغة الفلسفية التي تخفي إعجابات كبيرة، هي طريقة في اجترار القضايا دون إيجاد حلول لها، مجرد كلمات. مما أحدث هوة كبيرة بين هذه الساعات الميتافيزيقية وهذا الخطاب الكوني. أما نحن، نيزان، آرون وأنا فكنا مخطئين جداً بالنسبة إلى هؤلاء الناس البائسين الذين أدركوا معنى الفلسفة لكن تعوزهم الأدوات. لقد كانوا بالنسبة إلينا أشد الناس المكروهين، بسبب تفكيرهم الجبان ونزعتهم اللفظية. وفيما يخصنا فقد توقعنا ضدهم تحت علامة ديكارت، لأن ديكارت كان مفكراً متفجراً. لا شيء يثير اشمئزازنا أكثر من ذلك التفكير الرماديّ، هذه الإحالات، هذه التشويشات والتحويلات، هذه الفشعريّات البطيئة. هناك جمل من نوع «كن ما أنت عليه»، نجعلنا نصرّ على أسناننا. كنا نقضيّ كل وقتنا في عزل المفاهيم، وجعلها بلا أيّ اتصال، وكلّ مفهوم مغلق على نفسه، كما فعل ديكارت حين فصل بين الجسد والروح فما عاد بإمكان أحد اللحاق

245 جان باريزي (1881-1950) مؤرخ الأديان في كولي جدي فرانس كتب بالخصوص كتاب مشاكل

تاريخ الديانة 1935

246 تدوينة 1 صفة 151.

بكليهما. وهكذا نقول ملء إرادتنا: «لا يمكن أن نكون إلّا ما لسنا عليه الآن. ولا يمكن أن نكون ما نحن عليه الآن». لذلك، وتحت تأثير ما أمسكنا به من تعريفات منضبطة، تخليّنا عن الأفكار الأنيقة والرخوة، وشعرنا أنّنا نفكر مثل ضربات سيف. هذا ما كنّا نسمّيه تفكيراً ثورياً. وبالفعل فإنّ ديكارت برفضه الوساطة بين التفكير والامتداد أثبت تحوّلاً عقلياً كارثياً وثورياً، يفصل ويقطّع ويترك المجال للآخرين مسألة الخياطة. وها نحن في أثره نفصل ونقطّع. بقي لي شيء من تلك الفترة: من ذلك أنّني لشدّ ما قهقهت أمام هذا العنوان الخلاب لشاردون: الحبّ هو أكثر من الحبّ⁽²⁴⁷⁾. من المؤكّد أنّ هذا العنوان أحق. خاصّة أنّ سخطي الديكارتّي قد استفاق، فبالفعل إنّ الحبّ هو أكثر من الحب. فقط، كان عليه أن يقول ذلك بشكل آخر. لذلك تعود إدراكنا على عزل الأشياء ليجعل منها مطلقاً مقربة؛ يجرّئ تفكيرنا المفاهيم ويجعلها فاقدة للتواصل، ونعطي لأنفسنا انطباعاً أنّنا نفكر بشكل بربريّ وهمجيّ، إنّنا ندرك بجشع حتّى الثمالة. أن نفكر، أن نفصل بين المفاهيم، كان ذلك يعني بالنسبة إلينا أن نتحرّك باعتبارنا أخلاقين ومنصفين. من خلال هذه الأشكال من الرّفص كنّا نشترع الخروج من المفاهيم، وكان الأمر سيّتهي بنا أن نصبح ميغارين [نسبة إلى إحدى المدن اليونانية القديمة التي سلّطت عليها أثينا عقوبات اقتصادية واجتماعية حوالي 432 ق.م، من شعرائها تيوغنيس ومن شعرائها أفليدس، فيلون وستيلبون] لو أنّنا لحسن الحظّ لم نكن متشدّدين مع أفكارنا الذاتية أكثر من تشدّدنا مع أفكار الآخرين. كان لابدّ أن نتّجه نحو تعدّدية واقعية جديدة، وللبحث عن المطلق في الأشياء أعطيت ظهري للمطلق الوجوديّ بداخلي. رغم أنّي كنت أحسّ في كنف الغموض بوعي مطلق وحرّ؛ بوصفي عاملاً أخلاقياً اعتبرت نفسي لا مشروطاً. إنّ هذا التصلب، مثل نظرتي في الإمكان، التي قادتني لاعتماد أخلاق الخلاص من خلال الفنّ، وقد لخصتها في دفتر 8 نوفمبر⁽²⁴⁸⁾. غير أنّه بالإمكان

247 جاك شاردون الحب هو أكثر من الحب أفكار رواني. باريس ستوك دولامان وبوتيلو 1937

248 8 نوفمبر وهو تاريخ ملائم للدفتر الثاني الضائع يتعلق الأمر هنا أيضاً بأخلاق الخلاص من خلال الفن 1 ديسمبر ص 268.

ملاحظة على كم من مستوى أتحرك: وبشكل رسمي كل شيء هو إمكان وكل حياة هي ضائعة.. لم يكن من الممكن ابتكار أشياء جميلة إلّا من خارج الذات. لكن رغم ذلك كنت مؤمناً أنني سوف أحفل بحياة تعكس كل أعمالي، ولم أكن أبحث سوى عن الصداقة، الحب، كل أشكال الشّغف، كنت أبحث عن جميع التّحارب. ولكي أستحقّ هذه الحياة التي أنتظرها - لكن بما أنني لم ألزم بها بعد، فلأنني مازلت أعتبرني حرّاً- لم أر أنّه يكفي فقط أن أكتب، كان يجب أن أكون أخلاقياً أيضاً. كانت هذه الأخلاق بالنسبة إليّ تحوّلاً شاملاً لوجودي وكانت مطلقاً. غير أنني بالعكس كنت في النهاية لا أبحث عن المطلق في الأشياء إلّا بداخلي، كنت واقعياً، لا أخلاقياً. وفي الوقت نفسه، ومن خلال صرامة النصف البروتستانتّي، اعتمدت تفكيراً قاطعاً وقاس، يبعدني عن هذا المطلق الذي كنته أنا نفسي، ويحصرني في ادّعاء معرفي فقط، يستمتع بديمومته الخاصّة. كانت هذه الديمومة تنمّش على المستوى نفسه مع أشكال العنف التي أسلّطها على رفاقي بالمعهد. يجزّي كلّ هذا إلى تلذّذ عيف لعالم كثير الصّراخ، ملوّن في تناقض كامل مع ما منحه لنفسي من خلال نظرية الإمكان. وانتهى بي الأمر إلى التبشير بأخلاق نيتشوية حول البهجة في حين أنّ كلّ بهجة، كلّ ديمومة يتّضح أنّها مستحيلة في عالم ممكن ومقرف، كنت قد اكتشفته.

خلال هذه الفوضى السعيدة جرت سنواي بمعهد المعلمين. ثمّ جاءت السنوات الكتيبة. وشيئاً فشيئاً باتت الأخلاق الجماليّة التي نسبتها لنفسي كمتشائم نبيل ذات اهتمام في عيني. لم يكن من المستحسن للإنسان الذي عرف نفسه، واهتم بنفسه كثيراً، عليه فقط أن يكتب ويبتكر. رغم ذلك لم أنخلّ عن المطلق غير أنّه ومن خلال انزلاق طبيعيّ حادّ، يعود ويغطّي كلّ أعمال الإنسان. من الآن فصاعداً، ليس الإنسان إلّا مخلوقاً عبثياً، محروماً من سبب الوجود، والسؤال الأكبر المطروح هو مبرّره في ذلك. كنت أشعر أنّي ضعيف الشخصية وغير ذي جدوى، وحده الأثر الفنّي يمنحني المعنى، لأنّ المنجز الفنّي مطلق ميتافيزيقيّ. هكذا ترتّب المطلق مجدداً لكن خارج الإنسان. لا قيمة للإنسان. في تلك اللّحظة صارت معارضيّ النّظرية للتّزعة الإنسانية أشدّ قوّة. أقول نظريّاً، لأنّي في تلك الفترة كما سبق وأشرت، كنت أبحث

بشكل مآكر عن توافقات. وكما هو واضح، لقد كانت دائما أخلاق الخلاص، لكن هذه المرة لم تكن هناك من نجاة إلا من خلال اضطراب في القلب. قلت بأي مزاج مُقْطَب أَدْعِم هذه الفرضية. لم أكن في العمق أوامي نفسي لفقداني «حياتي كرجل مهم». لأنه كان لي أعداء أشداء: بيندا⁽²⁴⁹⁾ لأن هؤلاء المثقفين يشبهون شيئا ما فنان، إلميربورجيس⁽²⁵⁰⁾ فقد دعم نظرية الخلاص هو أيضا، عن طريق الفن. حتى بروسست نفسه حبرني. كنت أكره بالخصوص تينيسون لأن هذا الكاتب الانكليزي - الذي لم أقرأ له سطرًا واحدًا - عاش من خلال علاقات جديرة بالإيمان، متطابقة تماما مع مواعظي: لقد كتب ولم يحدث له أي شيء. قلت للكاستور في هياج: «لا أريد بأي حال أن تكون لي حياة تينيسون»، في المقابل صدمتني الحياة المتكدرة الشاقة لسيزان بهيتها. ودون أدنى شك فهذه هي الحياة التي يمكنها أن تزيّن فرضيتي. غير أنني في الوقت نفسه أجد هذه الحياة قاسية. أن أكون مثل سيزان. نعم طبعًا. إن شئنا. لكن لا أستطيع أن أنجب النظر في طمع، للحيات التراجيدية واللامعة لرامبو وغوغان.

ازدادت المسألة تعقيدا في تلك الفترة، لأنني فهمت من قراءتي لشيلا أن القيم موجودة⁽²⁵¹⁾. إلى حدّ تلك اللحظة، كنت شغوقا بالمذهب الميتافيزيقي للخلاص، دون أن أتبيّن المسألة النوعية للأخلاق. تراءى لي أن «وجوب الوجود» يمثل الأمر المطلق، ولأنني كنت حريصا أن أدفع عني هذا الأمر المطلق، فقد وجدت أنني أدفع عني «وجوب الوجود». وازدادت المسألة تعقدا، حين أدركت وجود طبائع

249 جوليان بيندا (1867—1956) ادّعى انتماءه لطبقة المثقفين (فلاسفة، كتاب، فنانين وعلماء). حيث كانت الحركة معارضة شكلية لواقعية التعددية "منعوا من خلال نموذجهم أوكتاباتهم الأهواء الجماعية - السياسات، القوميات، الديانات، الخ- أن تكون شرعية حتى ولو انتصرت بشكل مؤقت من أهم كتاباته خيانة المثقفين غراسيه 1927.

250 إلمير بورجيس (1852-1925) مؤلف " السفينة الشراعية" باريس ستوك 1904 إعادة طبع 1922

251 ماكس شلر (1847-1928) فينومونولوجي ألماني كتب بالخصوص طبيعة وشكل الود(بايو 1928) شكلانية علم الأخلاق وعلم الأخلاق المادي للقيم صدر عن دار غاليمار 1955 ولعل سارتر كان قد قرأه في الطبعة الألمانية(1913-1916).

مخصوصة، نسميها القيم، من شأنها سواء طالبنا بها أم لم نفعل، أن تعدل ما آتبه من أفعال، وما يصدر عني من أحكام، فضلا عن أنّ طبيعتها هي «وجوب الوجود». أجبرتني الكاستور في تلك الفترة نفسها على التخلي عن نظرية الخلاص عن طريق الفن. لقد تخلّيت من مدة طويلة عن التفكير الديكاري، ولم أعد أعول من زمن طويل على «حياتي كرجل مهمّ» لقد انهار إيماننا الموحد في قيم البناء بسبب حكاية كوزاكيقتش⁽²⁵²⁾. ولم يبقَ لنا من خيار سوى أن نبدأ كلّ شيء من جديد⁽²⁵³⁾.

الأحد 3

قال لي «مستلر» هذا الصّباح بتعجب: «إنّه لأمر مضحك، فلطالما اعتبرت الحرب حماقة كبرى، وها إني أستمّر، لأجدها على العكس من ذلك، فرصة من أجل تطوّر كبير».

مسحت أغلب الصّفحات من يوميات «جيد»، فترة بعينها، تراوح بين سنّي الأربعين والسابعة والثمانين، تمّت يجعلها يوميات كهولة. يذكّرني هذا الكرّاس بغلاف مُرّين بالزّهور أطلعني عليه جدّي ذات يوم. سجّل عليه والده: الأحداث الرئيسيّة للعائلة (التواريخ، الأموات، الزّيجات، إلخ) -حكما أخلاقية ورعة - إرشادات يوجّهها لنفسه. ألا يمكن أن نسمّي هذا كتاب العقل؟ يبدو أنّ هذا الكرّاس قد تمّ انتقاؤه بأبهة - وأرى أنّ «أندريه جيد» شديد العناية بانتقاء كرّاساته. فنشعر بدور سحري للكتابة: تثبيت الصّيف والتواريخ، والحفاظ عليها من النسيان، منحها صفة العظمة. هذا النوع من الدفاتر مشتقّ من اللّافئات التي يثبتها ابروتستان على الجدران، مزينة بحكم ورعة، مثلما أنّ فنّ العريب، مشتقّ من فنّ آخر، هو زخرفة زجاج الكنائس. نجد في كلّ ما تقدّم، حضورا لفكرة النّقش، وللشعور الصّوقي

252. المقصود هنا أولغا كوزاكيقتش، "البناء" يقصد به سارتر علاقته مع سيمون دي بوفوار

253. للإشارة فإن سارتر قال صفحات مكتوبة في ذلك اليوم: "لم أفعل شيئا مهما اليوم (...). كنت متعبا شيئا ما فمت ببعض الخريشات فقط. للأسف فاللوضوع كان مهما جدا؛ هي تلك تغلبات نظرياتي الأخلاقية" (رسالة للكاستور بتاريخ 2 ديسمبر).

العميق، الذي يعود إلى أصول الكتابة. وأجد لهذا الشعور حضورا مبالغا فيه، في يوميات «جيد»، لا يخلو من واقعية رغم تحضره. وأعتبر أنّ هذا الشعور السحريّ المتدين هو أصل الكلاسيكية: يحفر الكلاسيكيّ حكمة على الجدار. يغرزها في المادّة، ثم ينتصب أمامها متأقلا. الكلاسيكية هي فن التأمل الموجه.

ومن وجهة نظر أخرى تعدّ اليوميات تدريبا عفويا على الكتابة. التدرّب على الكتابة دفعة واحدة. بما هي تطلّ على النفس، ورغبة في أن نراها مفكّكة، حيث لا يجب أن يكون القلم عائقا بين الكاتب وبين الورقة. سر ستانندال الأعظم.. هو الكتابة فورا... كما لو أنّ فكرته لا تأخذ وقتا لتتعلّ حذاء ولتركض⁽²⁵⁴⁾. هذا الدرب نحو التفكير المسترخي والمجاني، يُمكن لهذه القيمة المكتسبة عن حق أن تقود إلى الكتابة الآلية -لقد قادت كتابا آخرين. لكن يجب الاستسلام للضيق و«جيد» لا يضع أبدا. لا يتطلّب الأمر أكثر من الإرشاد. يريد تثبيت الفكرة عند الحد الأدنى، فلا تتجاوزه. فهو يشتغل ضدّ الكلمات وليس ضدّ الفكرة. بطبيعة الحال ففي الجانب المعارض لهذا الهاجس، هناك الانشغال المتواصل بالعمل، بالكتابة الدقيقة والمنضبطة. هامو ما يكتبه يوم 27 جويلية 1914 بخصوص مخطوط لجاك إيميل بلانش: «كتب هذا الصّباح ثلاث صفحات كاملة (من هذا المخطوط) -دون تغيير أيّ شيء، مكتفيا بترتيب بعض الكلمات والجمل التي تشبّت مصادفة. هنات أسلوبه الخارقة للعادة أضاءت لي هناته في الرّسم: لا يعانق موضوعه؛ صفاته نافذة الصّبر: يرضى بسرعة. ما أن ينسخها يجعلها في أربعة مواضع، ويعتقد أنّه اشتغل عليها كثيرا». لكن أليس نفاد الصّبر هو الصّفة الأساسيّة لستانندال، وهذه الفكرة التي تركض حافية؟ لماذا نوبّخ هنا ما يعجبنا هناك؟ هل بسبب النتائج؟ لكن هناك عنصر جديد يظهر: الموهبة أو التمرين السابق، وليس لهذا علاقة بما كنّا نتحدّث عنه.

الحقيقة أنّ هذه اليوميات هي صورة عن تردّد «جيد» بين طابعين لحياته الشخصية: التوتّر والاسترخاء. الفعل المجانيّ، الشّعور «الجيد»، فضوله الشّهير الذي ترك

تأثيرا كبيرا على أدبنا، وفي الأخير رغبته في أن يضع ليجد نفسه أفضل، هذه مظاهر طابع الاسترخاء عنده. العالم هو الذي دربه من هو. وبالتوازي، إنها الجملة التي كتبها بعجالة، في اللحظة، هي التي علمته فيما يفكر. في المحصلة يتعلق الأمر بالقاء نفسك في الكون ليرسل لك الكون صورتك. بلوغ الفرد من خلال وحدة الوجود والحلولية. هذه الصورة غير المنتظرة التي تم الكشف عنها، هي أيضا حصّة الشيطان العظيمة. يبحث أندريه بالأساس أن يفاجئ نفسه في اللحظات التي لا يعرف فيها أنه يلاحظ نفسه. يبقى التساؤل فيما إذا كانت هذه الطريقة في أن نصيغ أنفسنا، تضمن لنا فعلا أننا سنجد أنفسنا؟ يشك «أندريه جيد» في ذلك أحيانا. لذلك سوف يسميها (19 يناير 1912) الإزالة الإرادية للذات. وفي التاريخ نفسه كتب: «التسكع المستمر للرغبة - أحد الأسباب الرئيسية لإتلاف الشخصية»، والأوامر التي يأمر بها نفسه في ذلك التاريخ المحدد تعرفنا على عاداته المتسكعة: «لا يجب الخروج أبدا دون هدف دقيق، المشي دون الالتفات إلى أي جهة ما. اختيار أي مقصورة في القطار. نرى أي فضول لا متناه يتأسس عليه هذا الشغور الذي يفتخر به في الأغذية الأرضية. لكن عليه أن يتمالك نفسه ويستعيد شخصيته المركبة: «خطر إرادة لا محدودة لإمبراطريته. باقتحامه لروسيا كان نابوليون قد أوْشك على خسارة فرنسا، وتحتمت ضرورة ربط الحدود بالمركز. إنه وقت العودة.⁽²⁵⁵⁾»، كما أكثر من استعمال عبارة «تمالك نفسه». هذه اليوميات هي بالأساس آلة لاستعادة النفس، وهي فضلا عن ذلك، سبب محفز للتوترات، لا للاسترخاءات. لهذا السبب من النادر جدا أن يدون «أندريه جيد» مشاهد عاينها، وحوارات شارك فيها، أو أن يصف أناسا خالطهم، فذلك يدخل عنده في باب الاسترخاء، الذي يحدث أن يستسلم له أحيانا، استسلاما مخلوقا بالندم. يبدو أيضا أنه عادة ما يستعمل دفاتر أخرى لتدويناته الخارجية، غير أنه أحجم عن نشرها.

ونجد أنّ «جيد» في يومياته، كثيرا ما يتكرم على نفسه بمواعظ، من قبيل:

«حتى أكون متقشفا أكثر، سوف أدون بدقة جدول أوقاتي».

«السابعة والنصف، استحمام، قراءة مقالة صوداي حول آ.أس».

«من الثامنة والنصف إلى التاسعة: فطور الصباح، إلخ»⁽²⁵⁶⁾

«11 يونيو 1914: أن أكرر على مسامعي كل صباح أن الأهم هو ما يجب أن نقوله، وهذا هو وقته الآن، إلخ».

في هذه اللحظة بالضبط تشبه اليوميات وبشكل مقرف الأعمال الأخلاقية للباستور فاغنار. نعر فيها على حكم صبيانية من هذا النوع: «لا يجب ازدراء الانتصارات الصغرى، كلما تعلق الأمر بالإرادة، فليس الكثير سوى الجمع الصبور للقليل»⁽²⁵⁷⁾ «أي والله، نعم، ما رأيكم. ما الحاجة لكتابة مثل هذا، فليس هناك شخص لا يعرف ذلك. هو يكتبها لا بغاية تعليمنا، أو توجيه نفسه، لكن ليكررها على مسامعه، ليحفرها في داخله. هذه هي الآفة البروتستانتية المعلقة فوق سرير النوم. إنها الخدعة الصغيرة الورعة، ذات الطابع الأسري، بالنسبة إلى الأذهان المتدنية.

في المحصلة هناك تذبذب عند «جيد» بين تصوّرين للحقيقي: الحقيقي هو ما أنا عليه الآن (ما يسميه آلن التفكير الجبان عند علماء النفس) - الحقيقي هو ما يجب أن أكون عليه.

وأصبحت اليوميات في حد ذاتها واجبا. وأندريه جيد يعظ نفسه بمسك هذا الدفتر. وإن لم يتمكن من ذلك فلقد أتى إثما كبيرا. وعليه فإنه إذ يدعونا لقراءته يستدرجنا للنظر في إنجازهِ الشاق لواجباته. ما إن نفتح الكتاب ندخل ملء القدمين في الأخلاق.

هناك مهمة أخرى لهذا الدفتر: يتيح ل«أندريه جيد» كتابة أي شيء، حين لا يجد نفسه قادرا على العمل، كي لا يفقد عادة الكتابة، ليحافظ على الحماس والسرعة

256 اليوميات الأربعة 31 جانفي 1912.

257 اليوميات 19 جانفي 1912.

المكتسبة. من هنا نقرأ ردود فعل من نوع: «عمل جيد، من هنا صمت الدفتر» (18 يناير 1917).

هكذا أفسر خيبة (وأنا واحد منهم) أولئك الذين تأثروا بقراءة يوميات ستانداال، جول رونار، آل غونكور، حين يفتحون يوميات أندريه جيد على أمل أن يعثروا على تفاصيل عن حياته، تفاصيل حول أسلوبه أو عن محيطه. يعود تاريخ خيبتني إلى زمن إقامتي في برلين، حدث ذلك وأنا أتصفح اليوميات، ضمن الأعمال الكاملة، لأقف على كلف جيد بالشاردة والواردة، بما يكشف للناظر أن غايته لم تكن المعرفة، بل الإصلاح، إنه يأخذ في أعطاف كتابه دور الواعظ، لا المفكر. ليس على القارئ أن يكون في تبعية للكاتب، وأن يبارك تعاليمه، يجب أن نقرأ بعين محايدة ونبقى بالخارج، وأن نعيد النظر في مبادئ الإصلاح. لقد ظل جيد رقيقاً على نفسه، وعلى ردود أفعاله، كابحاً لجماحه، ولم يكن يتقصد أن يقدم أفكاره ببقاء وبساطة، وإنما كان همه الأوحد، هو الأخلاق.

لا يجب أبداً قراءة جمل يوميات أندريه جيد على أساس أنها إثباتات بسيطة، كما لو أنها دالة على شيء ما: ما هي إلا أمنيات، صلوات، وصايا، أناشيد، توبيخات وتبكيث للضمير. ليس من دليل سوى أمين غريبة، في آخر مقطع نعتقد أنه معلومة صافية: «أدعي منع أن يقال عن شخص ما إنه يقلدني أو يشبهني.. لا أريد أن يكون لي أسلوب.. أمين»⁽²⁵⁸⁾ «بالطبع أمين هنا هي ساخرة. غير أنه وهو يسخر منها يخون الارتجاف الخجول، ويخون الورع الذي كتب به هذه السطور هذه ال أريد ليست إثباتية، (ومثال ذلك، حين أسأل كيللر قائلا: «أين تذهب؟» فيرد قائلا: «أريد أن أخلق ذنبي») غير أن «جيد» مُريد، إنه الإرادة نفسها. ها هو نفسه يقرُّ بذلك قائلا: «ما أن يقل الانفعال، فعلى القلم أن يتوقف»⁽²⁵⁹⁾، وهو ما ليس ممكناً خارج اليوميات - وما يصدمني أنني في هذه اليوميات متضايق في حياتي، إن لم أظلَّ على مسافة محترمة مما أكتبه.

258 اليوميات 7 ماي 1912.

259 نفس المرجع السابق.

دور التمرين عند أندريه جيد بالمعنى الإغريقي: اليوميّات، تمرين روحي، قراءة الانقليزية، تمرين أدبي، تمرين تفكير، تمرينات على البيانو (ودراسات). عادات ما، هي أيام تمرينات في كورفيل: بيانو، انقليزية، يوميّات. في حاجة كي لا يرخي اللجام (شبيه شيئا ما بتدريب الفتيات على النسيج)، مساوية لرغبة مستمرة للكسب. يعوّض التمرين عنده المهنة. ما إن وصلت إلى هذه التطور وقعت على هذه الفقرة ص 389: «انشغلت في الأيام الأخيرة بتوضيب مذكراتي في محكمة الجنايات. أعتقد أنّها كانت تمرينا جيّدا»⁽²⁶⁰⁾.

يوميّات أشدّ غرابة لأنّها تضمر أكثر مما تظهر، فقد ظلّت علاقاته. مع إيمانويل ميم طيّ الكتمان. ومن المؤكّد أنّ جيد قد حذف جزءا كبيرا قبل أن يسلم عمله للنشر، وأنّه يطلب من إيمانويل نفسه، قد أقدم على تمزيق العديد من الصفحات. وإنّا لنجد في العديد من المواضع امتناعه عن الخوض في الأمر، رغم أنّه سنة 1939، كان قد صرّح أنّه لن يسلم أل «أنا مبتورة»⁽²⁶¹⁾؟ أعتقد أنّه قد فعل ذلك بواعز ديني. هناك إذن تراتبية للمقدّس داخل روحه. إن كان الدفتر مقدّسا فإيمانويل أقدس منه.. لا يجب لمسه. لكن من جانب آخر إن استثنيا بعض التلميحات لشغفه بإيمانويل في 1914 - لا تستعرض اليوميّات حياته الجنسيّة إلّا بما قد توحى به من عيوب واستبائات. نتحدث عادة عن الإثم المنعزل، وأرى جيّدا أنّ هذا الإثم هو من طبيعة الكسل، من الطّيش، من قلة الحماس، من كلّ هذه الأخطاء التي نوبّخ أنفسنا عليها. يتعلّق الأمر بالأساس في هذه اليوميّات بالعلاقات مع الذات؛ هناك مجال لا يتطرّق إليه أندريه جيد إطلاقا، وهو العلاقات المبنية مع الآخر. دونما أدنى شكّ، كان سوف يتحدث عن إيمانويل لو أُتيحت الفرصة. غير أنّه يتجنّب الحديث عن ذلك. تهبه غراميّاته شيئا من البهجة، ولكنّه يخفيها، رغم رغبته عميقا في أن يحكيها. وفي المحصل فإنّ كلّ ما له علاقة بالآخر، بالنّاس، بالمجتمع، بالعالم، يأخذ طريقه إلى غايات إبداعية أخرى، باعتباره موادّ أدبية، يمكن استثمارها، ولهذا السبب يستثنيها من كتاب

260 اليوميّات 2 جولية 1913.

261 اليوميّات 26 جانفي 1939.

العقل. وفي الأثناء فهو ينسى نفسه ويضع أحيانا مخططاً لبورتريه، أو يحكي طرفه. غير أنه يفعل ذلك في سياق توبيخ لنفسه، لأنه يخسر وقتاً أكثر من اللازم في المجتمع، أو لتنشيط عرض كتيب لأيامه. يتعلّق الأمر إذن بيوميّات عليها رقابة شديدة، بلا تداعيات. فإذا وجد أنه يستسلم للهذيان، فإنه يمزق. أتذكر أنّ دابيت يوتّخ نفسه بقسوة في يوميّاته، حين يقع تحت إغراء التمزيق. لكنّ «جيد» حين يوتّخ نفسه هنا، فذلك طبع أصيل فيه.

في 15 يونيو 1916 كتب قائلاً: «قد مرّقت عشرين ورقة من هذا الدفتر. الورقات التي مرّقتها يمكن القول إنّها ورقات مجنون. تماماً فنحن يسكننا فضول لمعرفة جيد المجنون. يبقى أنه يظلّ كلاسيكياً حتى وهو في حالات تبكيت الضمير، في حالات التخلّي المندمّش: حين لا يرّكب، يختار. ثمّ وفي قلب هذا الدفتر يتحرّر على كل هذه اللحمة المتوجّج الأشدّ ابتكاراً، الأشدّ تحضّراً في كلّ ما سبق من اختبار الوعي: الشيطان. كان لابدّ من إهداء هذه الدفاتر للشيطان، فهو يستحقّها جداً.

خرجت صحبة ميستلر لتناول فطور الصّباح في الليون دور. شرح لي كيف كنتُ سبياً في أن يتغيّر نهائياً، لقد رحل في سبتمبر يائساً وها هو الآن هادئ أو شبه ذلك، لقد فهم أنّ هذه الحرب حدث في حياته. كان يتحدث متلعثماً وخمجولاً وهو يشكرني. وأنا أشرب الحليب شعرت بدوري بالحجل. ثمّ كنت مبتهجا لأنّ ما قاله ميستلر عن نفسه هو إثبات تجريبيّ لأفكاري الأخلاقيّة الجديدة. لكن يلازميني في الوقت نفسه هذا الانطباع الغريب أنّ هذا لا يعنيني أنا، وأنتي مجرد ممثّل يؤدّي دوراً كوميدياً، مجرد مهرّج يستغني العالم.

فقرة رائعة في أوراق: 1913-1914

«ذاك الذي يحنّج سيفعل فيما بعد، ضرورة معرفة- التخلّي، حكمة الحياة. (يمكن أن يكون هذا الرّأي أخلاق اللّطف). تبدو لي عبارة (أخلاق اللّطف) غنيّة وعميقة. توطّر جيّداً انشغالاتي الرّاهنة: من الممكن أن يكون الخضوع من أخلاق اللّطف (هدوء حزين، كآبة مضيئة وهانئة، إلخ). كذلك الرّواقيّة. لقد جرّبتها طيلة هذه

الأشهر الثلاثة. المذهب الطبيعي. هناك شيء من الطبيعية عند أندريه جيد، شيء من الثقة في فضائل الطبيعة العارية (أن تكون أنت نفسك دونما أي اتفاق مسبق، التكيف مع العالم مثل عضو مع محيطه)، وهو ما يعذبه دائما فيتساءل إن لم يكن بإيحاء من الشيطان. أخلاق الواجب. كل ما يخفي هذه الصيغة المخجلة للطابع الكانطي: ليس لي من حق سوى القيام بواجبي. .. في الأخير لست أرى سوى أخلاق الأصالة للإفلات من انتقاد اللطف (أقصد الأصالة وليس الطهر).

كتب مورياك في الفيغارو بتاريخ 02 ديسمبر: «السؤال الأبدي الذي يُقسّم الفرنسيين دائما، سواء تعلّق بشجار داخليّ مثل قضية درايفوس، أو التراجيديا الإسبانية، أو بالحرب مع ألمانيا، يمسّ علاقات السياسة بالأخلاق»²⁶². أعتقد أنني أفهم الآن وأشعر ما معنى الأخلاق الحقيقية. إنّي أرى كيف ترتبط الميتافيزيقيا بالقيم، الطبيعة بالازدراء. حرّيتنا وشرطنا في حياة وحيدة ومحدودة بالموت، رخاوتنا بسبب أننا بلا ربّ ولسنا خالقي أنفسنا وكرامتنا، استقلالنا الذاتيّ الفرديّ وتأريخيتنا. سوف أفسّر هذا غدا أو بعد أيام، أريد أن أفكّر فيه أكثر. لكن على الأقلّ هذه المرّة هي أخلاق شعرت بها وطبقتها قبل أن أفكّر فيها.

لقد تركت نفسي على رسلها بعض الوقت، لكنني هذه الأيام استعدت كثافة الأيام الأولى للحرب.

الإثنين 4 ديسمبر

غدا صباحا نرحل إلى «مورسبرون». هذا الصباح وبينما أنا اشتغل؛ حالة من الهيجان الهائل من حولي، الرفاق وثلاثة من ميم. ألف. ميم²⁶³ وهم يصدد الانهالك في ترتيب أمتعتهم. شجار وسباب.

لا ليس الرّضى بما يحدث لك. هذا كثير وليس أكثر. أن تتحمّل تبعاته (حين تدرك

262 مقتطف من مقال دوري تحت عنوان "دييون وديرون".

263 مصلحة استعلامات المدفعية.

أن لا شيء يمكن أن يحدث لك إلا من خلالك)، أي أن تتحمّله وحدك، كما لو أنك حصلت عليه بقرار، والرّضى بهذه المسؤولية، هو أن تجعل منها فرصة لتطوّرات جديدة، كما لو أنّه من أجل هذا السّبب حصلت عليه. ليست هذه «كما لو أنّها» كذبة. يتأتّى هذا ممّا لا يُحتمل من الشرط الإنسانيّ خطأ الذات وبلا أسس، بطريقة أنّها ليست حكماً على ما يحدث لها غير أنّ كلّ ما يحدث لها لا يمكن أن يحدث لها إلا من خلالها ونحت مسؤوليتها⁽²⁶⁴⁾.

الانطلاق من هاتين الفكرتين:

1_ الإنسان امتلاء لا يستطيع الإنسان أن يغادره.

2_ يجب فقدان أيّ أمل. تبدأ الأخلاق حين يقف التّرجي (حياة مستقبلية، قابلية بشرية للكمال، الخ)

كلّ واحد مسؤول بالكامل عن حياته.

العالم حاضر بكلّ شموليته في كلّ لحظة من حياتي.

لا عذر لنا أبداً، لأنّ الحدث لا يمكنه أن يصيبك إلا إذا كانت إمكانيّاتك الذاتيّة قادرة على احتّماله.

يقوم كيلر بجمع قاذورات الآخرين، خاصّة تلك التي يتركها الضّبّاط - عدد من كونفرانسيا⁽²⁶⁵⁾، نسخة من روفي دي دو موند [مجلة العالمين]، رواية قديمة أهملها هانغ لأنّ قنيّة دواء للسعال انقلبت عليها فتعفّنت - يضع كلّ شيء في كيس أمتعته دون التّثبت فيه، وهو يقول مرّة: «هذا لزوجتي»، وأخرى: «هذا لابني، سوف أحمله له خلال الرّخصة القادمة»، ما يجذبه هنا هو كلّ شيء مازال «صالحاً للاستعمال»،

264. هنا بدأ تصور سارتر عن الحرية يتخلص من الرواقية- من أجل ذلك علينا أن نستعيد، أنّ الإنسان حر، راض بما يحدث له من خلال مجريات الأحداث في العالم والتي ل قدرة له عليها، لا يهتم إلا بما " يتعلق به هوفقط"، حكومة أهوائه. الوجود والعدم الجزء الأول. الفصل الأول وبالأخص الفقرة الثانية " حرية وافتعال: الوضعية".

265. صحيفة الجامعة للحوليات أسستها إيفون ماري.

فيأخذه، يحوم حول صناديق القاذورات، سلال، أوراق، وعادة ما يعثر على ما يمكن اصطیاده.

لست مدانا لأحد بأي شيء - وخاصة أنه ليس لك أي حق تجاه القدر. كل شيء هو في الأصل هبة، لأنك تمثل دائما شيئا زائدا إزاء العالم. قيمة مینافیزیة لمن يتحمل حياته أو أصالة. ذلك هو وحده المطلق.

نرحل غدا عند الساعة الخامسة إلى مورسبرون. عبر محاور. يبدو أن الضباط لا يحتملون كثيرا أبعاد هذه المسؤولیات الجديدة.

عادة ما يقول «بیاتر» بعد أن يتحدث لبعض لحظات مع أحد الضباط: «لقد ثرثرت»، وهو يفعل ذلك لإثارة الاسترسال الخفي لمحادثة بین الرجال.

الثلاثاء 5 ديسمبر

ينهي الرفاق توضیب أمتعتهم عند الرابعة صباحا، بينما كنت أدون في الأثناء الفقرات الأساسية لمقالة عن*** في روفي دي دو موند [مجلة العالمین] لعدد 15 و 1939: «السلم-حرب»⁽²⁶⁶⁾.

بالتقنية العسكرية المتوفرة الآن، لا بد من مئات الدبابات وأكثر من مئة طن من القذائف، لقطع الطريق عن المقاومة المضادة الممتدة على طول كيلومتر واحد بشكل نهائي، بواسطة فيلق واحد مخفي بشكل جيد ومغطى بالأسلاك الحديدية... على حدود ضيقة مثل التي في أوروبا، ضيقة جدًا بالنسبة إلى العدد الهائل من الجنود المتقدم في شكل كتل، مندفعة من أجل الدفاع من خلال التحصين المستمر، وليس هناك إلا القليل من الأمل لوضع التدابير اللازمة (المتعارضة) موضع التطبيق... لا يمكن أخذ القرار إلا بعد نجاح عدة عمليات هجومية، على حساب جهد هائل

266 العواس الدقيق للمقالة: شكل جديد للمصراعات العالمية. سلم-حرب" لم يتمن لنا تحديد المؤلف -أو المؤلفين - لهذه المقالة والمشار إليهم ب ***: التصورات المعبر عنه هنا تشير بشكل غريب إلى الكولونيل ديغول وأصدقائه الخلس الأوائل -الكولونيل ناشين خاصة- وكذلك بول رننو وزير المالية وقتها الذي قاد حملة معهما ضد موقف فرنسا من الانتهاكات المتكررة لهتلر. لوسيان ناشين ما قبل التقديم ل دراسات ثلاث لشارل ديغول بيرديه ليقرر 1945، ومذكرات بول رننو المجلد 2

يستوجب تفوقاً رقمياً وعسكرياً معتبراً. إن لم يتم الأمر وفق هذه الخطة، لن يكون هناك من حل للصراع إلا من خلال الانهيار المعنوي والمادي لأحد المتقاتلين. سوف تتخذ المقاومة في الحالتين شكل مقاومة للموت، مخلفة العديد من الخسائر والخراب بشكل يجعل من ظروف السلم الأكثر ملاءمة عاجزة أن تعوضها أو تصلحها...

«يقود التصور الكلاسيكي للحرب إلى شكل من الصراع لا يستجيب أبداً إلى إمكانيات أوروبا الحالية، وظروفها»⁽²⁶⁷⁾. فهذه الأخيرة -أوروبا- لم تعاف بعد من الבלبات التي لحقتها بسبب الحرب العالمية. هي في حاجة إلى السلم لتتشكل من جديد، وتعيد ترتيب اقتصادها وفق وسائل الإنتاج الحديثة... من جهة أخرى فإن أغلب الأمم الأوروبية ترفض بشكل قطعي فكرة الحرب... هذه القناعة هي مبدأ رئيسي يميز الحقبة الزمنية التي نمر بها.»⁽²⁶⁸⁾

«كيف يمكن حل الصراعات بين الأمم في مثل هذه الظروف؟ طرق جديدة تفرض نفسها علينا... يظلّ المشكل قائماً: يستوجب الأمر إجبار دولة للانحناء للالتزامات التي يتم فرضها عليها»، في كلمة واحدة أن يتنازل. بإمكان الحرب أن تغير الأشكال لكن مادته الرئيسية تظل كما هي عليها.

عاجزة على تصفية الخصم بشكل نهائي ومرة واحدة، تهدف الحرب الجديدة إلى إقناعه بالتنازل على مواصلة مقاومة دون جدوى. تهدف إلى حركة حاسمة تليها حركة مقتنعة بالقوة... يبقى... أن السياسة سابقاً لا تتوفر إلا على هامش ضغط ضعيف جداً... فأبسط خطأ في التصرف، أقل مبالغة قد تؤدي إلى اندلاع الحرب. فالسياسة لا تشتغل إذن إلا من خلال فروقات في المؤامرات والتوافقات. أما اليوم فالوضعية مختلفة تماماً: شبح الحرب الشاملة قائم دائماً والخشية التي توحى بها تقود إلى أن لا نرى فيها سوى حل لليأس، ولن نلجأ إليها إلا في أقصى الحالات. عجز الحركة العسكرية حول جلد الأمم شديد الحساسية (أنشليس، سودات، تدخل في

267. سارتر هو الذي يؤكد على هذا الجزء من المقالة.

268 في النص الأصلي "وظيفة مقتنعة" سارتر هو الذي يؤكد.

إسبانيا، معركة روسيا - اليابان ل كوانغ-تشيو-فينغ⁽²⁶⁹⁾... من الممكن مضاعفة أمثلة لهذا النوع من الصبر العجيب الذي أثبتته الأمم، مقارنة بتوترها القديم.

«لذلك ومن خلال انقلاب مفاجيء، فإن هذا التفور من الحرب الشاملة يسمح باستعمال عنف يتجاوز بالخصوص إطار التقاليد الدبلوماسية... لم يعد السلم كما الحرب مثلما تتصورهما، لكنهما حالة بينهما نسميها حرب-سلم»⁽²⁷⁰⁾

«تستند الحرب- السلم على فكرة استثمار الخشية من الحرب- الكارثة لفرض ضغوطات أهم من قبل، مع تجنب خلق توتر كاف لدفع العدو إلى حرب شاملة.

يتمثل العنصر الأول لكل تدبير في تقييم قيمة «اللحظة النقدية»، فيما وراء ما يفضلهُ العدو، فإما الحرب الشاملة أو التنازل...»⁽²⁷¹⁾.

تمش متميز: حرب سياسية، أي التدخل في شؤون السياسة الداخلية للبلد المعارض. بهذا الشكل نهاجم مباشرة المراكز العنصرية التي يعتمد عليها التنازل. (ليدوندورف، حرب شاملة: الالتحام الروحي للأمة عامل أساسي للانتصار).

3 حلول:

ينجح العصيان. بلوغ الهدف. تقبل الحكومة الجديدة بشكل تلقائي كل الشروط المفروضة.

لا ينجح العصيان إلا جزئياً (إسبانيا، فلسطين): حرب أهلية أو تدخل.

العصيان يفشل تماماً. في حالة ظروف عالمية مناسبة: تدخل مباشر (السودات). أو نغسل أيادينا (مقتل دولفيس).

269. تلخص هذه الجملة نص المقالة.

270. يقترب هذا المصهوم مما قاله بول رثنو، مكتسب من قناعات ديغول الذي كتب قبل عام ونصف فيما يتعلق بإعادة التفكير في الجيش الفرنسي ودوره في السياسة العالمية: "لقد دخلنا إلى المنطقة غير الدموية للحرب () المسافة (الصناعات العسكرية الألمانية والفرنسية) هي انتصارات أوهزائم هذه الحرب الصامتة (..) وليست التراجعات الدبلوماسية سوى ظلال هذه الهزائم على السجادات الخضراء للسودات." (باري -صوار عدد 1 نوفمبر 1937، مذكرات).

271 بقية المقالة غير مذكورة بشكل حرقى لكن ملخصة.

الأسلوب الماكر نفسه، لكنّ تطبيقه في الحرب-السلم²⁷² لم يعط نتائج نهائية. ذلك أنّ الحرب الشاملة تتطلب إعادة ترتيب شاملة بدورها لكلّ الاقتصاد في جميع قطاعاته لتوفير الحاجيات الهائلة التي ولّدتها، ويكون من الضروريّ التّقليص في الاستهلاك المدنيّ إلى أقلّ مستوى، وتعويض النّقص بالتوريد. لذلك ففي نهاية التّحليل لا يمكن للجهد أن يتواصل بنفس الكثافة، إلّا إذا امتلكت الأمة موارد مائيّة أو قرضا كافيا، ومسالك اتّصال حرّة... لقد قادت هذه الاعتبارات منظرّي ما بعد الحرب إلى منح قيمة محترمة للموارد الاقتصاديّة لبلد في تقيّمه بحسب قدرته الحربيّة. .. كانت هذه الفكرة أصل تنظيم عقوبات بإشراف من المجتمع الأمميّ. لقد قاد تطبيقه ضدّ إيطاليا إلى فشل كامل. الأسباب: لا يمكن للعقوبات الاقتصاديّة أن يكون لها تأثير فعليّ إلّا ضدّ أمة تخوض صراعا يتّخذ صبغة حرب شاملة. وبالتالي لم تكن هذه هي حالة: اقتحام اثيوبيا... فلم تكن إلّا حربا بجهود محدودة... لم تتمكّن إيطاليا أبدا من تحقيق اقتصاد حربيّ... لقد تم تطبيق العقوبات خلال اقتصاد سلميّ.

بجانب الحصار هناك أشكال مختلفة للمقاومة الاقتصاديّة (دومينغ، الخ)²⁷³

استعمال متواصل للقوى العسكريّة:

أ- تحت شكل التهديد.

ب- تتدخل للمساعدة في صراع داخليّ.

ج - عمل عسكريّ مباشر. كثير الحضور ولكنه ضيق ويتّخذ طابع ضربات بسيطة، لمساعدات معلنة تتّخذ طابع المباغته⁽²⁷⁴⁾.

272 في النص الأصلي: "سلم-حرب".

273 تأخذ فقرة حول الحرب الدبلوماسية مكانها هنا في المقالة.

274 تطالب المقالة فرنسا بالاستعداد لحرب شاملة، بعث "حملة عسكريّة قوية ذات قدرة هجومية فائقة، مستقلة عن الجهاز الدفاعي... متناسبة مع التوجهات السياسيّة ويجب عليها بخلاف الجهاز الدفاعي أن تكون مستعدة دائما دون اللجوء إلى تجنيد جزئيّ. تستطيع أن تمارس تحركها بدون أجال وخاصة دون لفت نظر الرأي العام" وتخلص المقالة إلى إنه بهذه الطريقة وحدها يمكن لفرنسا

وصلنا إلى مورسبرون، تمام السابعة، وقد تمت دعوتي إلى مركزية الهاتف، في غرفة كبيرة تغص بالغادين من الضباط والزائحين، فضلا عن ضباط آخرين، كنا نعوضهم. كان الفريق ذا تشكيلة شبيهة بفريقنا، فهذا الملازم هو النظير للملازم بيناتو؛ وهذا القائد هو نظير عقيدنا، وأما نحن المكلفون بالإحصاء فلم يكن لنا من نظير. فاني الضخم الأصهب بنظاراته ومزاجه المدقق ولحمه الحي، وهناك آخر هزيل وشاحب بلحية كثة. كنا ننظر بفضول وعدوانية إلى هذه الصور التي تشبهنا، يخالطنا شعور غامض بالتضامن مع ضباطنا ضد ضباطهم. بدوا بطباع متنافرة. أحدهم ملازم، متحدث لبق قادم من باريس، قال لعقيده: «هجوم دائم سيدي العقيد! - وماذا يقولون في باريس؟» - يقولون إنهم يزعمونهم بعدم الهجوم لأن هذه الحرب سوف تدوم طويلا؛ ولا يجدون هذا غريبا، باريس عند الليل بكل أنواره المطفأة، ويريدون أن نقضي على أنفسنا بسرعة كي ينتهي هذا الكابوس - في النهاية غمغم قائد آخر هذا بالضبط ما تفكر فيه. يتملكني شعور خفيف بالأهمية لأنهم كلّفوني بهذه الآلة المربعة التي لا تتوقف عن الرنين مع عشرات البطاقات والملفات. غير أنني كنت شديد الانزعاج لأنني مضطر للردّ على أكثر من مائتي مكالمة في اليوم، ولا أجد الوقت للعمل. حالات من الحيرة: هل سأظلّ طول الوقت في هذا العمل؟ أفزع بول أن محتج: إنني إحصائي ولست عامل المقسم التليفوني. أكتب هذا على كرسي أثناء راحة قصيرة ومن حولي غادون ورائحون دون توقف.

هذه السلم - الحرب التي تحدث عنها بذلكاء *** تسمح لنا بفهم ما سيأتي من حياتنا / الحرب - السلم. المقطع بلا معنى مهما قلبته.. وهذا يتعلّق بسببين: (1_ لا تريد ألمانيا الحرب. هي تتمسك قبل كل شيء بهذا الشكل من العلاقات الدولية،

أن ترد على " التحركات التي تحاول أن تمسحها من خلال تحركات مشابهة " هذا المقطع الذي لم ينسخه سارتر هنا لكن يفكر بشأنه (انظر في موقع آخر) هو قريب مما يفكر فيه شارل ديعول منذ سنوات فحسب رأيه إن لم يكن بإمكان فرنسا أن ترد الفعل حين احتلت ألمانيا المنطقة المتزوعة السلاح برياني في 7 مارس 1936 لأن " بسبب عدم بعث جهاز مختص ولديه السلطة، والنيجة، الإجابة فوراً، أي بلا أو بتجنيد خلال الاحتلال من خلال الاحتلال، على الضفة اليسرى لراين " رسالة الملازم -عقيد شارل ديعول لبول رنؤو 12 جويلية 1936 دفاقر جوان 1919-1940 بلون 1980.

السلم - الحرب وهو ما يناسبها بشكل أفضل. لقد لعبت مباراة على غاية من الأهمية في بولونيا ولم تستطع تحديد النقطة الحساسة. فالمباراة تتم بالنسبة إليها، دائما على مستوى سلم - حرب، ترفض الحرب الشاملة لأنها غير قادرة عليها (2) - لكن القوى الديمقراطية منشغلة أساسا بتطبيق العقوبات. هي متمسكة باتفاقية جينيف، والتقنية السلمية للعقوبات، كما في الحرب الإيطالية الحبشية [حرب توسعية استعمارية ما بين 1935-1937 دارت في أثيوبيا]. يتعلّق الأمر هنا بمعاقة الجاني. غير أنّها تعرف من خلال تجربة أثيوبيا أنّه لاستعمال نثار العقوبات الاقتصادية ضدّ أمة ما، لابدّ من إجبار هذه الأمة أولا على أن تستعدّ لحرب شاملة. ولذلك فالجيوش الفرنسية على الحدود الألمانية ليس لها من هدف سوى إجبار ألمانيا على تحقيق اقتصاد حرب يجعل من الحصار فعّالا. بشكل تظلّ معه الحرب الشاملة الشبح الذي يحركه المتقاتلون، كنت في وقت حرب - سلم. ما الذي يفعله هتلر حين يهدّد بالتزول في انفلترا، بغارات جوية على لندن، إلخ. إن لم يوقظ شبح الحرب الشاملة؟ واللّاجئون، السكّان المحليّون الذين بدؤوا التّعود على هذه الحرب، يخشونها، يخشون الحرب الحقيقية، كما لو أنّهم في سلم. أمّا عن التّمشّيات في حدّ ذاتها، فلم تتغيّر: بقيت القوّة العسكرية في حالة استنفار؛ الحرب الاقتصادية تدعمها حرب سياسية، كلّ واحد من المتقاتلين يُعوّل على فرضي تسود بلاد العدو الآخر، لكي لا يستعمل قوّةه العسكرية ويحافظ عليها. تبقى إمكانية البحث عن قرار في ساحات حرب بعيدة ببلدان تغيّر محمية بحواجز تحصينية، حيث تتواجه قوى مُصدّرة⁽²⁷⁵⁾. لو أنّ القوّة الألمانية مثلا اقتحمت رومانيا وأرسلنا نحن قوّة دعم هناك، ففي هذه الحالة تتخذ الحرب صبغة الصّراعات القديمة (التي حدثت ما قبل 1914)، أو كما يقول جول رومان، وحده المهزوم يقرّر أنّه مهزوم - مثلما قرّرت روسيا بعد تسوشيما حين أعلنت أنّ اليابان قد هزمتها. هذه الحرب هي إذن من جهة: عقوبات جينية واقتصادية ضدّ سلم - حرب، ومن جهة أخرى تمثّل الهاجس المشترك للمتقاتلين، وهو عدم الوصول إلى إعلان الحرب. ولئن بدت حرب غريبة، فذلك لأنّ الأعداء، يتحرّكون فيها، قبل كلّ

الأربعاء 6 ديسمبر

شيئا فشيئا تعودت على الاستعمال الآلي للتليفون. بدا لي الأمر في النهاية سحرًا، الأجنتة التي ترنّ كلما وقعت، البطاقات التي كلما أدخلتها في ثقب، تدققت منها أصوات، وأساسا ما كنت عليه الشاهد الوحيد، من مكالمات مطولة. لقد وجدت متعة في ذلك، وتملّكني إحساس بالقوة، كما لو أنني ساحر يصدّق أدواره الخادعة. يبقى أنّ السخّان، الذي كان يشغل على مقربة مني، قد أحدث لي دوارا برأسي. شرعت في لحظات الاستراحة النادرة في قراءة التربية العاطفية لفلوير. كم هو سمج ورديء. أيّ حماقة، إنّه عمل يحكمه التردّد، في كلّ مفاصله، حكاية وعظية منقوشة على الرّخام. نرى زولا يثقب من خلال أسلوب برناسي ويليّد. إنّه غاية في الغباء، لا روح فيه، ولا فكرة، بأسلوب عقيم، لا تتوفّر فيه أدنى شروط الإتقان، وصفه جامد، عاجز عن الرّسم، وعن التّصوير، ينقل الأشياء بحياد، وجملته ثقيلة متبلّدة، وهنة، حين تريد الإصرار على موضوع، ومثال ذلك ما نعاينه في وصفه للآلات: يذوب الصّخب في هسيس البخار الذي يتسرّب من بين لوحات معدنيّة تمّ تغليفها كلّها بسحابات بيضاء، بينما كان الجرس في المقدّمة يرنّ بشكل متواصل هذا الصّخب الذي يذوب - وكيف أمكن للبخار أن يتسرّب من بين لوحات معدنيّة؟ يرتجّ الجسر تحت وقع اهتزاز داخليّ، تحت؟ أراد أن يقول إنّ اهتزازا صغيرا تصاعد من خاصرة باخرة فمسّ الجسر. سطحيّة الأفعال (يسيء فلوير عموما استعمال الاستعارات الإيحائيّة

276 ينصح سارتر سيمون دي بوفوار في رسائله بتاريخ 5 و6 ديسمبر قراءة "هذا المغال للفت ل***" والذي جعله يفهم أسباب وطرائق هذه الحرب "لقد وجد نفسه إذا معجبا بالتحاليل المشتركة لشخصية معروفة بدعوتها للحرب من طرف أغلبية الرأي العام الإعلامي و ملازم- عقيد سيكون له ذاك المصير الذي نعرفه. والآن هو يقف ضد الفرضيات العسكرية الرسمية من خلال حملته لإعادة تنظيم الجيش الفرنسي في شكل جيش هجومي وهو ما جعله يتعرض لاذراء وصد القيادة العليا العسكرية.

بسبب عدم تمكنه من انتقاء اللفظة الدقيقة: تنساب الحواف، تتصاعد الطرود، يذوب الصخب). غالباً ما يستعمل مبنياً للمجهول بتأثير سيئ جداً: وُضع الشال على الكتف⁽²⁷⁷⁾، استعمال مُقلق للفعل في صيغة الاستمرار (ما يعلنه آل غونكور) لإنجاز لوحة وإغراق ما في المشهد من تسبب في شكل تكرار شاعريّ مساو لمسافة بعد في العجيب. ركضت الأنسة مارت نحوه وتعلّقت بعنقه، وجذبت شاربيه. هذا ما أسمّيه الفعل في صيغة الاستمرار على الطريقة الفرجيليّة⁽²⁷⁸⁾ أمّا المثال النوعي (أعتقد أنّه من خلال تذكّر مبهم لفرجيل وهو صادم - نيزيس وأوريال⁽²⁷⁹⁾): ألقى عليه فريدريك نصف معطفه على كتفيه، متغطين به هما الإثنان؛ متخاضران يمشيان جنباً إلى جنب. نلاحظ أنّ اسم الفاعل يسبق في كلّ مرة اسم مفعول خصلة الأسلوب: فعل بارد شاحب.

من أمثلة التهاون في استعمال الأفعال: تستريح طاقة جبّارة في عينيه بلون الأخضر المزرق. ليس من قبيل الصدفة إذن أن يكون فلوير مفتشاً عنه في هذه الموصوفات ومهملاً في هذه الأفعال: يعالج هذا البرناسيّ المشهد ويحمل الحدث. يظلّ الحدث بالنسبة إليه فضائحيّاً: أكره الحركة التي تزعج السطور. لكنّ جملة هذه هي تمائيل ضخمة بأقدام طينية: تنفتّت في كلمات لأنّ المفاصل غير متماسكة. لقد أخضعت الحضارة الصناعيّة في عهد لويس فيليب والحركات الاجتماعيّة لسنة 1848 الأدهان لحديث عن الأشياء (الآلات والأدوات، إلخ)، والأسلوب الذي وجده فلوير تشكّل على مدى طويل وبيّط من خلال وصف العادات والناس. يحاول فلوير أن يترجم. يتعلّق الأمر بالحديث عن الأشياء من خلال المحافظة على الأسلوب. نقائص فلوير هي التي دفعت آل غونكور إلى ابتكاراتها اللفظية. في المحصلة؛ فلوير عدوّ

277. بأكتر دقة أصل الجملة هكذا "وُضع الشال خلف الكتف"

278. مصوّا مكتننين في عزلة الليل (إينباد الكتاب السادس البيت 268).

279. إينباد الكتاب التاسع هناك تشابه في بناء الأبيات 182 و183 مع جمل فلوير المذكورة؛ من الممكن ترجمتها كما يلي: يجمعهما حب واحد، مجتمعان ينقضان على أنفسهما في المعركة :- وفي ذلك اليوم كانا يقومان بنوبة الحراسة جنباً إلى جنب."

البورجوازي لويس فيليب، هو نفسه بورجوازيّ وفته إنتاج صناعة 1848. إنها البورجوازية الصناعيّة الغربيّة، عن ثقافتها، عن مهنها، عن نفسها، عن الناس عن الأشياء التي تسيطر عليها، لكن تريد أن تعرفها عبر خصلات ثقافيّة، عبر شكل كلاسيكيّ. سوف يصبح الخلد الذهنّي اللاحق مجرد تعميم، تخلّ عن بعض المتطلّبات. من المهمّ الإشارة إلى أنّ الإصلاحات التي اقترحها ماكسيم دي كامب بطلب من فلوير كلّها متحفظة، أي أنّ المقصود من ورائها إنقاذ نقاوة الأسلوب. بما أنّ فلوير حسّاس جدّاً في هذا الأمر.

الخطأ الجسيم في التّربية العاطفيّة، ذلك أنّ هذا الكتاب يمكن أن يقرأه عامل المقسم التّلفونيّ للمركز، يقرأ جملة، يتوقّف، يعود إليه، إلخ. ليس هناك أيّ تيّار يمكن أن ينقطع. بالعكس أنجيل أن قراءة غير متقطّعة سوف تكون ممّلة بلا رحمة. كلّ جملة تنعزل وحدها ويتوجب التخلّص منها للمرور للجملة التي تليها.

أدوّن هنا بعض الأمثلة لضعف الفعل عند فلوير:

لقد كان دائماً متهتجاً، وفي هذا الحماس الطّبيعيّ والمصطنع في الوقت نفسه الذي يشكّل الكوميديّين

تجعلها قبعته بأطرافها المشمرة معروفاً عن بعد، وسط الزّحام

يدسّ روحه في بياض هذا اللحم التّسويّ

تتابع البيوت (وهو أمر مشكوك فيه بواجهاتها الرّماديّة، نوافذها المغلقة

شعر بشكل من ولوج كلّ الذرات في جلده (!!!).

صروح غير مرئيّة كانت قد جعلت من نفسها عتات متضاعفة.

هناك ابتذال في استعمال التّعنت عند الكثير من الكتاب الشّباب يسمح بتوقع الصّفة حين يكون الموصوف معروفاً. مثال ذلك الوادي ضاحك دائماً. الضّعف الفطريّ للفعل عند فلوير يؤدّي إلى ابتذاله، وهذا مروع جداً خاصّة حين يتضمّن الموصوف - وهو ما يحدث غالب الأحيان - دلالة الحركة حيث أنّ الفعل يلتصق بالإسم كما لو أنّه صندوق نورماندي ضخم. مثلاً هناك ريح خفيفة لأنّ هناك غائمة، وغير محدّدة،

لا تستبق متابعة وتنتهي الجملة بالقوة. مثال آخر عند فلوير: غلفه هواء رطب. هاهي مرة أخرى إحدى تلك الزوائد الصّخمة وغير المفيدة. عادة ما تنتهي جملة فلوير هزيلة. وكم من خداعات نورماندية مزعجة. مثلاً: عرف نفسه على حافة الموانئ كي يحذف فعل كان.

عربة يجرها حصانان عند الأعلى تنتظر فريدريك مورو حذو محطة القطار: لم يكن الحصانان على ملك أمه، أي أنّ حصانا واحدا من إثنين على ملكها، غير أنّ فلوير امتنع عن كتابة جملة بهذا الثقل. النتيجة أنّه ارتكب غلطة في الفكرة أشدّ ثقلاً. لأنّ الحصانان ليس على ملك أمه، هذا يعني أنّه لا حصان من الإثنين على ملكها.

مثال نوعي لشدة ركاكة جل فلوير، من خلال ضعف حيوية الفعل:

حصل على كفاءة خارقة للعادة لا يعرف مصدرها.

وجهه يمنح له نفسه في المرأة.

التهرؤ الخفي لهذا الرّخام: كلمات الرّبط: أو، أم، وإلا، في، من، ك، على، إلى، ب، من خلال، حيث، المستعملة في معاني غامضة للرّبط (خطأ شائع سوف يعتمده كلّ الطّبعيين والواقعيين).

مثل: تملكك به إحدى تلك الارتجافات التي تصيب الروح حيث يترأى لك أنّه تمّ نقلك إلى عالم أعلى.

نضيء الفوانيس على خطّين مستقيمين

وأدوات العطف والإبدال التي تتساوى في المعاني لأنّ، مهما يكن، بما أنّ، إلخ

سينيكال، مستجوباً، صرّح... إلخ.

بيليران... معتقدا أنّه عثر على حجة... ..

تعوّض هذه الإبدالات بالأساس فعلاً، لا نتيجة مشهد. ودائماً هذا الفشل:

يتمّ استجواب سينيكال فيصرّح أنّ...

يعتقد بيليران أنّه عثر على حجة و.

الفصل الخامس من التربية العاطفية: «كان اللقاء شاقاً... لم يجد وصلة ليدخل أحاسيسه. تصلح الوصلة للوصل وليس للإدخال».

حدث تغيير عميق منذ انتقالنا إلى مورسبورن. التزل الذي أقمنا به، كان أشبه ما يكون بمقر عام، ذي طابع كلاسيكيّ لزمّن الحرب، لم يكن مريحاً بالمرّة شأنه في ذلك شأن مدرسة برومات. وقع تجميع كلّ المصالح فيه. ينام الجنود والضباط في التزل، يتناول العقيد فطوره الصّباحي في إحدى قاعات الأكل - وهناك يفطر الضباط أيضاً حول طاولة مستديرة يغطّيها قماش مشمّع صُفّفت فوقها أطباقهم مع حلقات مناديل، نقشت عليها أرقامهم بالسكاكين. التزل في مكان منعزل على حافة الطريق - يبعد نصف كيلومتر عن مورسبورن - يشير إلى كلّ الطرق المتناقضة للسلم والحرب. يبدو من الخارج نزلاً عادياً، من الدرجة الثانية، ويبدو أنّ زوّاره كانوا يتمنون إلى فئات متوسطة، لقضاء حوائج تتعلق بالتأمينات الاجتماعية، وبالتعاونيات، أو للعلاج، غير أنّك ما إن تدلف إلى التزل، حتّى تقف على مظاهر الإهمال، لئرى بعينيك العفونة المتكدّسة، وتحال أنّك في مكان مهجور، خائق للأنفاس. تشيع الغرف رائحة الفقاع. وقد ازدحمت بشكل لا يحتمل بركام الأثاث العسكريّ، أمتعة، معاطف عسكريّة، أكياس ورغم ذلك يطوف فيها عفن البؤس المدنيّ. حشايا سميكة، ونوابض العارضة اللّطيفة تحت الغطاء الأحمر الكبير للأقدام مثل تلك التي يستعملها مرضى المفاصل. أوراق الجدران بزهراتها ممزّقة ومتسخة، أكثر مدنيّة، وفردانيّة من جدران المدرسة المطليّة التي لم تجد الاشتراكية العسكريّة آية مشقّة للاندماج بينها؛ ندكّر هذه الغرف - بشكل كاذب - بغرف التزل البيّسة والمبتذلة لعمّال باريس. تحوّلت قاعة السكرتاريين بالفعل إلى شيء مخصوص وفرديّ تذوب فيه مختلف طبقات المعنى. هي قاعة مستطيلة ومتسخة جدّاً تفتح على الطريق الواسعة، وتطلّ عليها من أعلى من خلال فتحة بلّوريّة طويلة. ينزل السقف الخشبيّ المشدود بأعمدة ناتئة عبر منحدر حادّ من القمّة إلى الفتحة. تمّ طلاؤه بالأبيض غير أنّ الأوساخ حوّلت لونه إلى رماديّ. عند المساء تقع تغطية الفتحة بالأغطية والسجّادات بما يمنح المكان انطباعاً شرقياً: خيمة، جلود حيوانات، عسكريّة - فيوقظ بشكل

شاسع، شاسع فكرة ترف تتاري. الصفت بالحائط طبقية، خزانة من خشب البلوط بمرآة وصوان صغير قصير من نوع بول [أندريه شارل بول نجار ومصور فرنسي عاش في القرن السادس عشر] تغطيه لوحة رخام. طبيعة ميّنة شديدة القتامة وإعلانات: سوزي، ماندارين، ليشيا، برنو الإبن، ديبونيه، ماء كارولا صالح للشرب، دولفي. وفي إطار مذهب على ورق كبير لونسون الأب والإبن، ريمس بصدد احتساء كأس. لكن عند الأسفل تم تعليق لوحة اردوازية سوداء تتأرجح من مسار: نوبة الحراسة: ميستلر-بلانتون: هانتريغار. الكلمات مسطرة بالطباشير. احتل سخان ألماني من نورمبرغ وسط القاعة. انتصبت قبالة نافذة الفتحة سبع طاوولات مستطيلة الشكل عليها آلات رغن، ملفات، صناديق، جذاذات: القيادة العليا. لكن إضافة إلى ذلك هناك قبالة الطاولة الأخيرة، طاولة صغيرة مستديرة مغطاة بسباط أحمر وأبيض. وعلى هذا السباط كأس كبيرة يساق بها أزهار سوسن اصطناعية، وهو وحده يمثل مطعما. مطعم لرواد معتادين مع نوعية طبخ بورجوازية جيدة. مشاجب متعدّدة على الجدار قرب الباب. أفنعة غاز، معاطف كاكي تتلّى من المعالق تُشيع المصاييح الخمسة المغطاة بالجرائد نورا عائليا خفيفا. نسيت شيئين غريبين، كلاهما ميكانيكي، غير أنّ انتهاءهما للأشياء الميكانيكية كانتهاء مهرجي بيكاسو للناس، خيوط تليفونية تتدلّى على شكل محزن من السقف، شبيهة بشعر شاحب وملبّد بالقاذورات - وفي وسط السقف تدلّت مروحة تشرع في الدوران بشكل عنيد كلما أطفأنا أو أضأنا المصاييح - سريالية في هذا الفصل مع الصعوبات التي نلاقيها من أجل التدفئة. - ومن قاعة أكل الضباط تصلنا روائح أطعمة لذيذة.

حدثننتني إذا... وياتر ردد بصوت يستدعي الاهتمام إملاءات. لم ألحظ غير الاهتمام لكنّه اليوم انحنى يساررني وهو يقول: هل تعلم، لقد التقيت ديبوا. وأخذنا في الثرثرة وحدثننتني..... شعرت بالإشراق. أكمل ضحكة اشتركية. يأخذ الإملاءات ويحبّها، لأنّ لها رائحة بشرية. كيفها كانت إن ارتبطت بشكاوى المكتبيين أو بطريقة إعداد التّقاق في الأكراس. ما هي إلا إملاءات رجال، وهو ينفذ مهمته بوصفه رجلا عندما ينقلها من مكان إلى آخر. هناك إذن وحدتان بشريتان: هناك من

كان حاضرا أثناء الإملاءات، وهناك من كان حاضرا أثناء نقل الإملاءات، قال ديبوا «حدثني»... ويصبح صوته متوقدا ويطرف بجفنيه الثقيلين، إنه سعيد.

هذا الصّباح أزعجني لأنّه يريد حتما أن يكون كلّ الجنود الذين يلتقيهم من الفرقة 109، لأنّ له صديقا من الفرقة 109، خاطبني في المطعم قائلا عليك أن تنظر هناك، مشيرا إلى جنديّ يحمل بوق الصّيد فوق شعارات الشّرف. يقول ذلك بشكل حيويّ: إنه 109، أوكد لك أنّه 109. يريد دائما أن يعرف النّاس والأشياء، وإن أعوزته الوسيلة، يتكرّر صلة غير مباشرة بينه وبينهم. تلك هي طريقته للابتسام في وجه للعالم، والانفتاح على الأحداث بلطف، يثبت تفاعله.

إنّه مريض اليوم، ملاكنا، أجنحته مدعوكّة. يشعر بدوخات. يعود إلى القاعة ورقبته مدسوسة في طوق معطفه، لقد بدا لي مدهوشا جدّا وساذجا. لا يؤمن بالألم، وأنّه من الممكن التّألم لهذه الدّرجة. بل إنّ لا يتوجّع أبدا كان أبي مثلي تماما، خلال احتضاره، لقد ظلّ يتحدّث معي طول الوقت، وخلال بعض الثّواني يدير رأسه. لا يقول شيئا أو يقول فقط: أوه قلبي، قلبي! ثم يواصل حديثه كما لو أنّ شيئا لم يحدث - ممّ كان يعاني؟ - التهاب رئوي. وأمام حيرتي: أوهه إتني متأكد أنّه كان يتألم أكثر مني... - ولكن أنت لا تتألم؟ - لا، فقط، أشعر بدوخة.

في كلّ مكان، في المدارس، في مراكز البريد، في البلديات هناك مراحيض للنّساء وأخرى للرجال، يقصد الضّباط مراحيض النّساء، يضعون عليها يافطة للضّباط. يمنحهم هذا هيئة أنسات يناسبهنّ زيّن بخصورهنّ الضّيقة. أريد أن أقبل فكرة أنّ الضّباط هم العنصر الأنثويّ في الجيش.. ونترنبر عليهم [من زنبور ذكر النحل] بجزماتنا الثّقيلة ومزاجنا المتحدّر، فنحن الذّكور. لكنّ بياتر كان يدخل مراحيض الضّباط وفي قلبه حنان كثير، بل وفي مؤخرته أيضا.

تمّ توضيب المطبخ المتقلّ على بعد متريّ من التّزل، غير أنّ العقيد دوليين طالب بإبعاده لأنّ منظر الجنود يتقلّون بجفناهم يفقده شهية الأكل.

لم أدوّن هذا في برومات. كان هناك جنديّ صغير كسول في الإكريفيس، له وجه

شاحب توطّره أذنان كبيرتان يقول بمزاج عنيد يائسا: حين عاد أبي سنة 1916، كانوا يدفعون بي بين ذراعيه ويقولون لي: ها هو أبوك أما أنا ففكرت: من هذا السيد؟ ها هو دوري الآن، سيفعل ابني الشيء نفسه، سيطرح السؤال نفسه. لن يعرفني. سوف يأتي الشيء نفسه.. سوف يأتي الشيء نفسه

ما يجعل من يياتر وهو يتلو إملاءاته ساحرا، ويضفي على شخصيته الكثير من الحيوية، والصّوفيّة، تصديره إيّاها حين يسبقها بشكل أدقّ بهذه العبارة يقولون. إنّه يحبّ أن ينسب الأشياء والأقوال، إلى ضمير جمعيّ، إلى الهم، محتفيا وهو يفعل ذلك بالأصيل.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الخميس 7

سوف أشرع في ترتيب أفكاري حول الأخلاق.

السؤال الأول: الأخلاق منظومة النّهيات؛ لأيّ نهاية يجب على الواقع - البشريّ أن يتحرّك؟ الجواب الوحيد: نهايته الذاتيّة. وليس هناك من هدف آخر أمامها. لنسجّل أولا أنّه لا يمكن أن نفكر في كلّ نهاية إلّا من خلال وجود هو إمكانيّتها الذاتيّة. أي أنّها ترسل نفسها نحو إمكانيّتها الذاتيّة في المستقبل. لأنّ نهاية ما لا يمكن أن تكون متعالية كما ينبغي على من يطرحها كنهاية، ولا تكون محايثة تماما. فإن كانت متعالية، فلن تكون ممكنة. وإن كانت محايثة، سوف تكون حلما غير مرغوب فيه (انظر في نفس هذا الدّفعر الخميس 23 نوفمبر). يفترض اتّصال العامل بالنّهاية رابطا ما من نوع الوجود- في -العالم، وهو ما يعني وجودا بشريّا. المسألة الأخلاقية تخصّص بشريّ. نفترض إرادة محدودة - ليس لها من معنى خارجها إطلاقا، لا عند الحيوان ولا في الدّهن الإلهي. لكن، للنّهاية فوق ذلك نوع وجوديّ خاصّ جدّا: لا يمكنها أن تكون وجودا معطى، وإلّا سوف تتوقّف فجأة عن كونها نهاية. لكن لا يمكنها أن تكون في المقابل افتراضا محضا بمعنى أنّها مجرد تعال ممكن: سوف تفقد فضيلتها الجذّابة. تمتلك وجودا مطلقا ومستقبليّا. سوف يعود من المستقبل إلى الواقعيّ -

البشري كمطالب بالتحقق من خلاله في الحاضر. من هذا المنطلق فإن وجودا خالدا ومتعاليا مثل الله أو الإرادة الإلهية، لا يمكنه أن يكون نهاية بالنسبة إلى لإرادة البشرية.

غير أن الواقع -البشري محدود من كل جهة بنفسه، وبالمهدف الذي يقترحه، هذا المهدف هو الواقع البشري نفسه. لا يمكن السيطرة على عالم إلا من خلال تقنية، ثقافة، ظرف؛ وبدوره فإن هذا العالم يتخوف، فيستسلم مثل بشر، ويعود إلى الطبيعة البشرية. تلك الأزهار المسمومة التي شاهدها سانت اكرزويري من طائرته، رسمتها الرياح على البحر، من خلال مهتته كطيار أدرك أنها مسمومة. غير أن سمها يرسل له مرة أخرى نظرة إجمالية عن الواقع -البشري، لأنها مسمومة للإنسان فقط. لقد كنت كتبت في الغنيان: الوجود امتلاء ليس بإمكان الإنسان أن يبرحه ولن أعدل عما قلته.

غير أنه يجب إضافة أن هذا الامتلاء هو امتلاء بشري. الكائن البشري امتلاء وجودي يعثر عليه الواقع البشري بقدر ما يمتد البصر في الأفق. يعثر الإنسان على مشروعه في كل مكان، لا يعثر إلا على مشروعه الخاص. وفي هذا السياق ما يمكن أن نقوله بعمق عن أخلاق بلا رب، كل أخلاق هي بشرية، حتى تلك التي ينظر لها علم الأخلاق، كل أخلاق هي تصميم من الواقع -البشري بما في ذلك أخلاق المسيح. غير أن هذا لا يعني أنه يجب على الأخلاق أن تكون ذات منفعة اجتماعية أو فردية، حيث ينظر الفرد إلى نفسه باعتباره نهاية، وليست أيضا نزع إنسانية تتمدد، بمعنى أن الناس، مكونات فردية للبشرية، يصبحون نهاية بالنسبة إلى الإنسان. هذا يعني فقط أن الواقع -البشري وجودي بطبعه، وعلاقته بالوجود هي القيمة التي تمنحه الحرية. هذا ما يعبر عنه هايدجير حين قال إن «الإنسان كائن الأبعاد». لكن علينا أن نفهم جيدا أن هذا الوجود -القيمة الذي يشكلنا كقيمة لآفاقنا، ليس أنت ولا أنا، ولا الناس، ولا جوهر البشري (بالمعنى الذي يقصده مذهب السعادة الأرسطي)، إنه الإرجاء الدائم التحرك جهة الواقع -البشري نفسه (دون تفاضل في الوقت نفسه بيني، وبينك، وبين الجميع)، يوجد الواقع البشري بتدبير من ذاته. وهذه الذات بنوع وجودها الخاص (مثلما يتنظرها في المستقبل لكي تتحقق من خلال حرّيتها) الذي هو قيمة. ليس هناك من قيمة للواقع -البشري سوى الواقع -البشري نفسه. والعالم هو

ما يفصل الواقع -البشري عن تصميمه. ليس هناك عالم بلا قيمة. الأخلاق شيء من اختصاص البشري، لا معنى لها إطلاقاً بالنسبة إلى الملائكة أو الله. يجب أن يكون الفرد منفصلاً عن ذاته بواسطة عالم، يجب أن نريد، يجب أن نكون محدودين، لكي توجد المسألة الأخلاقية. لقد تحدث كانط عن اليامة التي تفكر في التحليق أعلى، وأنه من الأفضل لو يقع إلغاء الهواء الذي يشدها. يطبق الصورة من خلال الاستعمال التصنيفي. هناك الكثير مما يقال حول هذه النقطة. لكن الصورة تستمد كل قوتها حين نطبقها على الأخلاق: يعتقد الإنسان أنه بإمكانه أن يكون متخلفاً أكثر لو واساه الظرف البشري، لو كان إلهاً، لو كان ملاكاً. لا يضع في حسابه أن الأخلاقية، مشروطة ببشريته.

لكن إن كان الواقع - البشري نهاية ذاته، إن كانت الأخلاق هي القانون الذي ينظم من خلال العالم الصلة بين الواقع - البشري ونفسه، سوف ينتج عن ذلك أولاً أن الواقع -البشري غير مدين بأخلاقه إلا لنفسه فقط. كتب دوستوفسكي: لو لم يكن الله موجوداً، لكان كل شيء متاحاً. هذا هو الخطأ الأكبر للتعالي. إن كان الله موجوداً أو غير موجود، فإن الأخلاق شأن بين الناس فقط، ولا دخل لله فيه. بالعكس فإن وجود الأخلاق أبعد من أن تبرهن وجود الله، يبقى جانباً، لأنه بنية شخصية للواقع - البشري. وينتج عنها بدرجة ثانية أنه لتحديد تعليمات هذه الأخلاق، ليس هناك من طريقة إلا بتحديد طبيعة الواقع - البشري. يجب الحذر هنا، أن لا نقع في الخطأ الذي يتوجب اشتقاق القيمة من الحدث. لأن الواقع -البشري ليس حدثاً. مكتبة .. سر من قرأ

من وجهة النظر التي تشغلنا فإن ميزة الواقع - البشري أنه يعمل نفسه بنفسه، دون أن يكون مؤسسه الأصلي. وما نسّميه حريته، هو لا شيء طالما أنه لا يعمل نفسه بالوجود. فلا شيء يمكن أن يحدث له من الخارج. ويتأتى هذا من أن الواقع -البشري هو قبل كل شيء وعي، بمعنى أنه لا شيء إن لم يكن وعي وجود. وهو يعمل تفاعله الخاص مع الحدث بالخارج والحدث في داخله، إنه هذا التفاعل. بل هو لا يكتشف هذا العالم إلا بمناسبة تفاعلاته الذاتية. بهذا المعنى هو حرّ في أن تفاعلاته والطريقة

التي يظهر له بها العالم يعودان بالنظر له تماما. لكن الحرية التامة لا يمكن أن توجد إلا لوجود مؤسس لنفسه، أي مسؤول عن افتعال نفسه. ليس الافتعال شيئا آخر إلا إمكانية أن يوجد في العالم عند كل لحظة واقع-بشري. إنه حدث، غير مُستبَط من أي شيء، كما هو، ولا يوصل إلى أي شيء. وعالم الأخلاق، الضرورة والحرية، كل هذا معلق في هذا الحدث البدائي والعبيثي. لو نعالج أي وعي مهما كان، لن نعثر بداخله على أي تابع. لكن حقيقة أن يكون هناك وعي يعلل بنيته الخاصة فهذا متعذر تبسيطه وهو عبيثي. كل وعي يتضمّن في داخله الوعي بأن يكون مسؤولا على نفسه ومسؤولا على أن لا يكون علّة وجوده. ليس هذا الافتعال خارجا، ولكنه ليس داخلا أيضا. ليست سلبية شيء مخلوق ومُسند، لكن ليس أيضا الاستقلال التام لفكرة أنه سبب نفسه [باللاتينية في الأصل]. لكن إذا اعتبرنا الأشياء بشكل أفضل، سوف نرى أنّ هذا الافتعال لا يعني أنّ الوعي يمتلك تأسيسه من شيء آخر غير نفسه، من الله مثلا - لأنّ كلّ تأسيس متعال للوعي يقتل الوعي بيديه نفسها، حين يتسبّب فيه. ذلك، فقط، لأنّ الوعي يوجد دون تأسيس. إنه شكل من العدم يختصّ به الوعي فقط، وهو ما نسميه المجانية الدقيقة جدّا، غير المحسوسة، موجودة هنا، ممتدة على طول الوعي في اللامكان وفي كل مكان. يمكن تشبيه هذه المجانية بسقطة في العالم، وتشبيه علل الوعي بشكل من التسريع إلى درجة أنّ الحجرة حين تقع تكون حرة في الاستسلام لنفسها. بلغة أخرى، إنّ سرعة السقطة مرتبطة بالوعي وليس بالسقطة نفسها. على مستوى المجانية تندمج إمكانية الموت من أجل الوعي. ومن هذا المنطلق فهي ليست إحدى إمكانياته الأشدّ هيمية، كما يدّعي ذلك هايدجير. لكنه ليس أيضا ممكنا من الخارج. موت الوعي والافتعال شيء واحد. ليس هناك وجود-من أجل - الموت بالمعنى الهادجيرّي، لكنّ كلّ وعي مرتعد بالعدم وبالموت، دون أن تمتلك حتى القدرة على التلّفّ نحو هذا العدم لتأمله في وجهه.

البنية الخاصة للوعي، هي أن يلقي بنفسه إلى الأمام في العالم للإفلات من هذه المجانية. لكنها تلقي بنفسها بعزم منها لتكون في المستقبل تأسيسها الذاتي. ونقول إنّ الواقع - البشريّ يوجد بتدبير ذاتيّ منه، وهذا يعود للقول إنّ الوعي يلقي بنفسه نحو

المستقبل ليكون تأسيسه الذاتي. أي أن الذات تعكس من وراء ذلك العالم، على الأفق، ما يشبه مستقبلها نفسه، في تلميح حين تكون مستقبلا، ستكونه هذا المستقبل باعتبارها تأسيسها الذاتي لنفسها. هذا التلميح متعال وهومات من أن الوعي، الذي هو حرّ بشكل أساسي من إمكانياته، هو تأسيس لوجوده القادم، دون أن يستطيع أن يكون تأسيسا لوجوده الحاضر. لقد رأينا الوجود القادم، دون أن يكون للوعي أي تعال مدرك حسيّا. وجود قادم للوعي، لم يعد، في هذه الحال من الوعي. والنتيجة إنه نسبي لها. هذا ما نسمّيه إرادة. لوصفي هنا علاقة بما فعلته يومي الخميس 23 والجمعة 24. ما يفلت من الوعي هنا، إنه، حين يصبح هذا المستقبل حاضرا، هل سوف يكون تماما كما يجب أن يكون تماما، سيكون وعيا، وهو ما سوف يترتب عنه أنه سوف يستخرج علته من نفسه، مرتعا في الوقت نفسه من المجانية والعدم.

هكذا فإن القيمة الأولية والموضوع الأوّل للإرادة هو: أن تكون تأسيس نفسك. لا يجب انتظار هذا كما لو أنها رغبة نفسية بلا جدوى، ولكن مثل بنية متعالية للواقع - البشري. هناك سقطة أصلية وجهد نحو الخلاص البشري بيد المسيح، وهذه السقطة مع هذا الجهد يمثلان الواقع - البشري. الواقع - البشري أخلاقيّ لأنه يريد أن يكون تأسيس نفسه. والإنسان هو كائن الأبعاد، ذلك أنه بقدر المستطاع، يكون تأسيس نفسه. الإنسان وجود يهرب في المستقبل. إنه يبحث من خلال كلّ مؤسساته، لا على أن «يحافظ على نفسه» كما يقال عادة، أو أن يتنازل ولكن ليؤسس نفسه. وفي نهاية كلّ محاولة ها هو يجد نفسه: مجانيّا حدّ التنازع. من هنا تكون هذه الخيبات الهائلة إثر كلّ جهد، أو انتصار، إثر الحبّ. من هنا جهد الخالق، والتجلى الأقلّ للرغبة، وشعور التملّك (في كلتا هاتين الحالتين: هناك ترحيل للأشياء: الشيء المخلوق يمثل رمزيّا الواقع - البشري المتأسس على ذاته، والشيء الممتلك يمثل رمزيّا الواقع - البشري مملوكا من ذاته. الحبّ هو جهد الواقع - البشري ليكون نفسه عند الآخر. من هنا الأصل العميق لإحساس الفرد أن له حقوقا: يتمثل الحقّ في تغطية افتعال الواقع - البشري من خلال إدراكنا كموجودين - يوجودون - لأنّ - لنا - الحق - في - الوجود. لكنّ هذا الإدراك الذاتي كموجودين بحقّ لا يمكن أن يتمّ إلا بمناسبة أشياء

مخصوصة ندّعي من ورائها أن لنا عليها حقوقا.

هكذا فإن منبع كل قيمة هي القيمة المطلقة، هي جوهر الوجود أو طبيعته، بما هو تأسيس نفسه. هذا الجوهر يمثل جزءا من الطبيعة البشرية لكن في حدود مشروع فقط، في حدود قيمة مؤسّسة. ويختلف الواقع-البشريّ عن الوعي الصّافي في أنّه يعكس قيمة أمام ذاته: هو الوعي معلّلا نفسه في اتجاه هذا الهدف.

الحياة هي الشّيء المتعالّي والفيزيائيّ بينه الواقع البشريّ بحثا عن تأسيسه لنفسه. في الأثناء فإنّ البحث عن المطلق هو أيضا هرب إلى الأمام. تأسيس الجوهر للمستقبل، يعني الهرب من المجانية المعطاة من الحاضر. يضعف الواقع البشريّ وهو يحاول أن يتأسّس. الحياة بالنظر إلى سرّيّتها، ليست شموليّة سوى في الظاهر، ينخرها الموت بالمقلوب، الحقّ كذبة دنيئة. يُنكر الحبّ نفسه من خلال الغيرة أو هو مأخوذ باستحالة الوجود من أجل الآخر بما هو تأسيس للواقع-البشريّ. يظلّ الواقع-البشريّ سجين اختلاقه غير المبرّر، مع نفسه عند أفق بحثه، في كلّ مكان.

يحدث أن ينال منه الإرهاق فيتخلّص من عذاب الحرّية معتذرا عن اختلافه، أي إنّّه يحاول حجب حقيقة أنّه محكوم عليه بصفة متواصلة أن يكون علّة نفسه بما أنّه ليس تأسيس نفسه. يتخلّى، يجعل من نفسه مجرد شيء، يتخلّى عن إمكانيّاته، فلن تكون أبدا إمكانيّاته الذاتيّة. يدركها كمكانيّات خارجية شبيهة بالأشياء. فالهرب مثلا قد بدت لكلّ واحد منّا في السّنة الماضية كمكانية خارجيّة، تحرّر ميكانيكيّ يفلت من كلّ واقع-بشريّ مخصوص، كما تفلت ثنية السجادة من الكرة التي تدور فتوقفها. نسّمى هذه الحالة واقعا-بشريّا مهتزّا، لأنّه يحقّق نفسه كاهتزاز بين الإمكانيّات مثل قطعة خشب بين الأمواج.

غير أنّ هذه الحالة هي نفسها غير أصيلة. غير أنّ الواقع-البشريّ يحجب نفسه هنا لما ناله من إرهاق، بما أنّه محكوم عليه أن يعلّل نفسه بنفسه. ويعلّل نفسه ليحجب ذلك. يستقبل، يجعل من نفسه شيئا، لكنّه يحقق هذه الاستقالة. وهذه الاستقالة نفسها ليست سوى حلقة في مسلسل بحثه عن الجوهرية. يستقبل للإفلات من إلزاميّة القيم، لتحقيق الجوهرية بوسائل أخرى. سوف يرفض مثلا تحمّل تبعات

حدث بحجة أنه يفرض المبدأ الذي يقوم عليه. من وجهة النظر هذه فإن الشخص الذي يحمل وعيا مهزوزا هو بول حين قال لي ذلك اليوم: أنا جندي؟ إنما أعتبر نفسي مدنياً متنگراً في زي جندي. سيكون الأمر ذا دلالة مهمة لو أنه لم يتصنع أن يكون جندياً، رغم أنه، كذلك، بسبب رغبته، إدراكاته، انفعالاته. أن يكون جندياً، يعني أنه يضع في حسابه أوامر رؤسائه، ليطيعها، وبالتالي هو شريك بيديه تحملان البندقية، بساقه، جندي في إدراكاته، انفعالاته ورغبته. يعاند أن يفلت مما يفعله وهو ما يلقي به في خضم حالة من الرعب البائس والفاقد.

إنها هذه الحالة من البؤس، التي يمكن أن تكون حافظاً كي يعود الوعي إلى الرؤية السليمة لنفسه ويكف عن الهرب. لا يتعلق الأمر بالنسبة إلى هذا الوعي بالبحث عن قيمة أخرى غير الجوهرية، وإلا سوف يتوقف عن أن يكون وعياً بشرياً. القيمة التي سوف تسبب له موقفه الجديد تظل قيمة نهائية: أن يكون تأسيس نفسه. لن يتوقف أيضاً عن إثبات هذه القيمة وأن يريد لها وعياً إدراكياً، بعد⁽²⁸⁰⁾ هو سرل لا يتوقف عن طرح العالم. إنه في الاندفاع الأول نحو الجوهرية يجهد الواقع-البشري حافظ-القيمة ليستعيد نفسه. وبالفعل بإمكان الوعي المهترء، ويكل حرية، أن يحقق أصالته الثامة جهده لتأسيس نفسه. وليس هذا فقط لأن الأصالة تصبح بالأساس قيمة متفوقة على نقيضها، كما تصلح أيضاً جهداً رديئاً وغير فعال بتطهيره من كل الحركات. هكذا تصبح الأصالة قيمة لكن ليست قيمة أولية، تمنح نفسها كوسيلة لبلوغ الجوهرية. تلغي ما في البحث من هرب. غير أن هذه الأصالة مقترحة فقط. فالوعي وحده يمكنه أن يعلل بالقيام بالتحول.

ما هو هذا التحول؟ البحث عن تأسيس متطلب لتحمل تبعات ما نؤسسه. فلنن كان فعل التأسيس سابقاً عن الوجود الذي نؤسسه، كما هو الحال في فعل الخلق فمن باب أولى أن يستمر الصعود في فعل التأسيس. لكن، إن تعلق الأمر، كما هو الحال فيما يشغلنا الآن، بجهد تأسيس ما هو موجود فلا بد أن يستبق الصعود التأسيس، مثلما

280. ملحقة ("وُصِعت بين قوسين "عند هو سرل) الدفتر 1 الصفحة 113 التدوينة 2.

يكشف حدس ما تؤمسه. وفي جميع الأحوال، فإنَّ تحمّل التبعات لا يعني إطلاقاً القبول، رغم أنَّها في حالات أخرى يتماشيان معاً. حين أنَّحتمل تبعات أي شيء، يكون تحملي للقيام بشيء معطى لما أنَّحتمله. هنا، أنَّحتمل من أجل التأسيس. رغم أنَّ تحمّل التبعات يعني وضع الأمر في الحساب، المطالبة بالمسؤولية. لهذا فإنَّ التحوّل المتصاعد الذي يقدّم نفسه كقيمة من أجل الوعي ليس شيئاً آخر سوى حدس الإرادة الذي يتمثّل لوضع الواقع البشري ضمن حسابه. من خلال هذه الاستعادة يصبح الواقع - البشريّ مكشوفاً لنفسه في وضع تفهم غير مدروس. والواقع - البشريّ مكشوف ليس لأننا نعرفه من خلال مفاهيم، ولكن لأنّه مُراد.

لكن حين يقدّم الصعود نفسه باعتباره قيمة أصالة، فذلك يعني أنَّ وجوده قبليّ. لا تلزم القيمة عموماً، الحرّية البشرية، إلّا بالقيام بها هي بصدد فعله. يعلّل الوعي نفسه بنفسه، هو حرّ إلّا في اكتساب حرّية أن لا يكون حرّاً. لقد رأينا أنّه لا يتخلّى عن إمكانيّاته إلّا بعد اكتسابه لإمكانيّات أخرى. بإمكانه أن يتحقّق بشكل حرّ شبيه بالأشياء، لكنّه لا يمكن أن يكون شيئاً. كلّ ما يحدث له يحدث له من خلاله، إنّّه قانون الحرّية. لذلك فإنَّ الصعود الأوّل الذي يمكنه، بل يجب عليه أن يحقّق الواقع - البشريّ من خلال الالتفات إلى نفسه، هو صعود حرّيته. نتذكّر بالفعل أنَّ الوعي المهترّ كان وعياً يعتذر عن افتعاليّته. لكن يجب معرفة أن لا دخل للافتعال هنا. إنّ الافتعال هو ما رمى بي هنا في هذه الحرب. لكن ما هي الحرب بالنسبة إليّ، الوجه الذي سوف تكشف لي عنه، ما الذي سوف أكونه أنا نفسي في الحرب، كلّ هذا سوف أكون إزاءه بشكل حرّ وسوف أكون مسؤولاً عنه. هناك شيء لا يُحتمل هنا، لكن لا يمكن التشكيك منه بما أنّه زبقيّ. هكذا أنا مجبر على تحمّل ما يحدث لي. وهو ما أتاح لي ولادة المفهوم الدينيّ للاختبار الذي أرسلته لي السماء. لكن برفضى للاعتذار وتحمّل تبعات حرّيتي فإنّني أمتلكه. إنّني أنَّحتمل تبعات كلّ حماقاتي، كلّ حالات جبني، كلّ أكاذيبي. ليس كما يقول القديس: إنّّه لكثير بالهي، إنّّه لكثير. غير أنّه دائماً لا شيء كثير. ففي اللحظة التي أمستسلم فيها، و يسطو عليّ الجسد، حين أعترف في خضمّ آلامي الجسديّة أنّني أريد أن أحافظ على السرّ؛ فإنّه من خلال أنا نفسي، من خلال

الوعي الحرّ لألمي أقرر أن أعترف. يقول جول رومان إنّ المهزوم في الحروب القديمة يقرر هو نفسه أنّه مهزوم (ذلك أنّها لم تكن حرباً شاملة، وما زال المهزوم يمتلك الموارد والرجال والأسلحة والثروات). إذا وبموازاة هذا، فأنا دائماً من يتوجب عليه تحمّل مسؤولية اعترافي بهزيمتي أو التوقف، أنا الذي قررت أنّي لن أستطيع المضيّ أبعد، وكان يمكنني أن أمضي إلى ما هو أبعد. لكن في الأخير إن اعترفت ولم أقدم أيّ اعتذار، سوف تصبح حرّيتي ملكي، أتحمّل دائماً هذه المسؤولية المرعبة.⁽²⁸¹⁾

تصاعديّة حرّيتي يجب أن تكون مرفوقة بتصاعديّة افتعاليتي. أي أنّه يجب عليّ أن أريدها دونها شكّ، أريد من أجل تأسيسها. لكن سنرى ماذا سوف يكون مصيرها. ما معنى إرادة افتعاليتي؟ ذلك يعني أن نعترف أولاً أنّنا بلا حقوق ولا اعتذارات. لا أعترف بأيّ حقّ أن يحدث لي شيء ما لما يحدث. وهنا أيضاً، لست أفعل سوى أن أريد ما هو موجود، كلّ ما يحدث لي هو أسلوب مزدوج: فمن جهة هو معطى لي بفضل افتعاليتي ومجآئيتي - ومهما كان فهو أكثر بالنسبة إلى ما هو لي، بما أنّ وجودي في حدّ ذاته معطى - ومن جهة ثانية، فإنّي مسؤول عن ذلك بما أعلّل نفسي بنفسي من أجل اكتشافه، كما أخطأته في الأعلى. والنتيجة أن ليس لي أيّ حقّ أن لا يحدث لي هذا إطلاقاً. ومثال ذلك الحرب.⁽²⁸²⁾

281 يمكن تلخيص جوهر تصويره للحرية كما يعرضه سارتر في الوجود والعدم في هه الصفحات سوف نلاحظ إنه لم يعتمد إلى الآن مصطلح من أجل- الذات للإشارة إلى وجود الوعي (الذي ليس له في ذاته تأسيسه الخاص) ولا المعارضة في الذات/ من أجل الذات (وجود الكائن / وجود الوعي) لا يبدو له الالتفاف من خلال سؤال الوجود ضروريا حين يسأل نفسه عن إمكانية الأخلاق لا يتطلب الأمر سوى تحديد شروط أي تصرف بشري. للنشير في الأثناء إنه وهو ينسخ لدي بوفوار (مع تحويرات أخرى) جزءا مما كتبه هنا. يعوض " هكذا إن القيمة الأولية المؤسسة للطبيعة- البشرية هي منبع كل القيم. ان يكون-موجودا-من أجل- ذاته-تأسيسه - الخاص " (رسا له للكاستور 9 ديسمبر)

282 الدفتر لارابع مفقود (من 8 إلى 16 ديسمبر).

الدَفتر الخامس

ديسمبر 1939

مورسبرون.

... ولقد حَكَّكنا الرأس قليلا. يتعلّق الأمر أساسا بالنوم، والأكل وعدم الشعور بالبرد. فقط. وما من سبيل إلى غير ذلك... كلّ ما كنت قد تخيلته من خلال القصص والكتب، أقلّ ممّا يحدث في الواقع. إنّنا نحن بالضبط حيوانات. ما لا يمكن تصديقه. أسعى لمواصلة الكتابة في يومياتي كلّما كان ذلك ممكنا، وليس الأمر متاحا في كلّ الأحوال، وإذا فاتنب أن أدوّن أمرا، فأنا على يقين من بقائه حيّا في الذّاكرة، فلا شيء ينسى، ممّا أعابنه، أو أفعله.

«حين أفكر أنّ هناك أناسا في هذه اللحظة نفسها، في المقاهي، في المطاعم، يعيشون مدنيّتهم بامتلاء، في تمام أناقتهم، وأنهم يستعدّون للذهاب إلى النوم، في فراش وفير، لست أحسدّهم على ذلك، ولكنّ مجرد تصوّره، يجعلني أضحك، فخيالي لا يسعفني أن أتمثّل الأمر، حقيقة ملموسة، فحتّى لو اقترح عليّ أن أعيش دعتهم، ورفاههم، بشيء من السحر، فإنّني سأقبل لكن دون مبالاة، أو حماس، فلم يحدث لي أن كنت يوما في وضعية مماثلة»⁽²⁸³⁾.

283. رسالة من جاك-لورين بوست (مجند) إلى سيمون ديبيوفوار وهذه الأخيرة أرسلتها إلسارتر يوم 11 ديسمبر. حثرت هذه الرسالة سارتر الذي بدا لاه بوست شيحا " في لامكان وضائع"، لم يكن سارتر

شفتا بياتر متيستان منذ خمسة عشر يوما، بسبب حتى خفيفة من التخممة أو هكذا خيل له. يرضك بهما بلسانه كامل اليوم ليبللهما قليلا. على الأقل كان هذا هو السبب في البداية. لكن شيئا فشيئا، أصبح الأمر عادة عنده وتحوّل عند بياتر إلى فسق حقيقي. فهو يلحس شفثيه الآن ليلمس نفسه، كما يتلامس الصبية الصغار عبر الديوب، يمنح نفسه هذا الاتصال المخاطي الرقيق مثل مصنع سُكَّر. وهو يستمع إليك، متخذا مظهرها خفيا وشهوانيا، مقدما شفثه العليا في شكل مزارب، ساحبا شفثه السفلى داخل فمه، مثل راش يستدرج صبية صغيرة إلى بيته، يمتصّها، يرتشفها، ولكي تستجيب لندائه تتنفخ وتنفرز داخل الفم هائلة ومتورمة -وهناك - الله وحده يعلم ماذا يحدث له هناك، ألسنة ومداعبات مقشعة، وهناك يعضعضها قليلا، غير أنني أعتقد أنّ أهمّ المتع، الشهوة الأشدّ بدائية هي، ذلك الحذر اللذيد الذي يحصل من وضع المخاط العاري، المنثني على مُحاط آخر مثل وضع تينة جافة فوق أخرى - وتمرّ اللذة من مُحاط إلى آخر، مثل زيت ثقيل بمفعول التناضح، وحتى يكتمل الالتذاذ لابدّ أن يكون مصحوبا بصوت. يجعل بياتر نفسه محاطا بحشد من الأصوات الخافتة، الجافة أو الرخوة، الميلودية أو نحيية أو مبحوحة شيئا ما، إنّا مثل تلك الأغنية الأبدية والملائكية لصوت مستسلم لنفسه. وأثناء استمنائه بشفثه يصدر آلاف الاصطفافات الدبقة، يستحضر رضاعات جشعة، لعاقات، ميام -ميام لرضيع، لهائات ذكر أثناء الجماع وحشرات مفعمة لنساء، ثم تعود الشفة للإطلالة من جديد فاحشة ورخوة، ملتمعة بالريق، متدلّية قليلا، ضخمة أنثوية، مرهقة من السعادة. يرعيني حين أراه يفعل ذلك، حين أرى على وجهه هذا المظهر الخفي والمتفنج لطفل فاسد ومتدلّل، يرعيني بعمقه العضوي والصبياني لرجسيته. بل إنّه بممارسة هذا اللعب الصغير كسب حبة ضخمة ممتعة ملتمعة على قاعدة شفثه السفلى، وهاهو هذا الصّباح بانس تماما. مازال يلحس شفثه قليلا، لأنّه عاجز تماما أن يسيطر على نفسه

يتفق مع بومست في نفس الرأي: عدم اهتمام الشاب بالحياة المدنية لم يكن لم يكن حسب رأيه سوى قما اهتمام عظيم بحياته الجديدة.

ويكبح جشعه بكثير من الحذر ودونها متعة.

استدعى بيار رفيقا له، التقى به صدفة، كان على سفر بغاية التجارة، وهو يقيم على بعد ثلاثة كيلومترات من هنا. إنه صياد وليس الأمر بمستغرب حيث يوجد. حين غادرنا بياتر، للحظة قال لي هذا الرجل بثمة تامة جعلته يخفض صوته بثلاث نبرات: أه أبوه كان نورا! أمّا هو! فهو ذكاء! حدّق من خلال نظرة متضايفة تطالبني أن أبدي إعجابي بالقوّة، وكنت سوف أفعل ذلك بالتأكيد، لو كنت عرفت والد بياتر. لكن ما العمل؟ قلت: نعم، نعم، لقد قال لي ذلك. .. محمّلا صوتي الكثير من الاحترام بخصوص رأيه في بياتر. غير أنّ هذا لم يكن كافيا. إذ واصل الرجل حديثه قائلا: يمكنك أن تطرح عليه أيّ سؤال فلديه طريقة للإرضاء، لم أعرفها عند أيّ شخص آخر غيره. وهو على أيّة حال، الرجل الوحيد الذي عرفته، إنه هرقل. هل رأيت، انظر إلى هذه الطاولة، بإمكانه أن يهشّمها بقبضته. ويمكنه أن يطرق حائطًا، لقد رأيت ذلك بأمّ عيني، كنت وقتها صبيّا بعد، رأيت يضرب جدارًا، ورأيت الجدار ينهار!

أحبّ تخيل هذا الأب الأسطوريّ، من خلال ابنه، هذا الملاك الضخم الجشع. فهو بولونيّ عمل بالجيش الروميّ، وخلال 1889 كان جنديًا في سوتنيا [مصطلح عسكريّ سلافي يعني فيلقا من 100 إلى 150 جنديًا]، لطمه ملازم قبل مغادرته للجيش بشهر، فما كان من أب بياتر إلّا أن لكمه، وتركه مطروحًا على الأرض. تكفّل مجلس الحرب بالنظر في القضية، غير أنّ الطيّيب العسكريّ الذي اتخذ من الأب بياتر صديقًا، قال له: كلّ ما يمكنني أن أقوله لك أيّها الأحقّ البائس، أنّي استنتجت أنّ طبل الأذن قد أتلّف، بسبب لطمة الملازم، وحملك الألم الشديد، على أن ترذّ الفعل بغضب جنونيّ. عاد الأب إلى غرفته سكب رح الملح في أذنه. وكانت النتيجة أن حفظت السلطات العسكريّة القضية، وتمّ تسريح الأب بمنحة. استقرّ بعد ذلك في باريس سنة 1900 أمّا عزيزي بياتر فلقد ولد سنة 1902. أقامت عائلة البياتر نهج الروزيه، أمّا الصّغير فيرتاد مدرسة ساحة دي فوزج؛ كان زملاؤه في المدرسة أشدّاء يحلمون بالذهاب للرقص بنهج ذي لاب، بعد الدوام، وللسيطرة على البنات الخاضعات. كان بياتر يتحدّث بتلقائية ويقول: أه نهج دي لاب، لم يعد الآن كما هو،

قديماً كان حقيقياً فعلاً... وغالباً ما يقوم بالحراسة مقابل فلسطين، بينما يؤدي زعماء الباستيل الكبار الفارو في الحديقة العمومية، يلقون سيقانهم بأغطية من شدة البرد. جاءت الحرب فاختفى هؤلاء التينور شيئاً فشيئاً، وأصبح زملاء بياتر يتشبهون بالرجال الكبار؛ والأكبر سنًا فيهم كانوا يُشغلون امرأة أو اثنتين تحت إمرتهم. ظل بياتر يتبعهم إلى المواخير حيث يتدربون على الكلام بصوت عال. من حين لآخر تحدث شجارات بينهم. كان كل هذا، يُجمل لي في البداية هذا الجسد القوي بشاعرية لا يستحقها إطلاقاً. فهو أولاً من بولونيا والمصير الشبيه بمصير اليهودي «ب»⁽²⁸⁴⁾ واليهودي «بياتركوفسكي». تشابهت المصائر لكن بمستويات مختلفة. تخلى ب عن المواصله وغادر فيان ليلتحق بقريب له صائغ في بياريس، وحين توفي هذا الأخير تولى مع إخوته إدارة محلّ المجوهرات. أما بياتركوفسكي فقد أقام بنهج دير وزيه وارتقى بصعوبة في الأعمال التجارية، انتقل بعد ذلك ليستقرّ بنهج فوبوغ -دي-تومبل. ثمة هنا قدر ما، يهودي وبولوني، أحسست به من خلال بيانكا، وأثارني عند بياتر. ففي البداية، حين كنّا نعتقد أنّ الحرب جادة. كان بياتر الحذر كعادته يردّد قائلاً: اسمي بياتركوفسكي، لكن بودي أن تنادوني بياتر، فإن وقعت أسيراً عند الألمان واكتشفوا اسمي البولوني، سوف يذبحونني فوراً. كما إنّي أحسّ من حوله شاعرية يميّز بها حيّ في باريس أحبه، كما لو أجهل مكان في العالم. لا أذكر عدد المرات التي تسكّعت فيها مع الكاستور، مع فاندا، مع أولغا، مع بيانكا، مع الفتى بوست، في نهج دي فرانك-بورجوا، في نهج فييو دي تومبل، في نهج دي ريفولي، خلف معهد شارلاني، في نهج دير وزيه. أهل مئات الذكريات، قهوة صغيرة معتمة، بنهج دير وزيه، قبالة بائع يعرض بضاعته من الأمتعة العتيقة في الهواء الطلق، حيث كنت أحتسي الروم مع فاندا، أو ظهيرة صيف ثقيلة أنفّس خلاها عائداً من لاون، مع أولغا، في تلك الأنهج الضيقة المظلمة لما كانت مشاعري نحوها حيّة، لم تنطفئ بعد. وذات 14 جويلية، لا أعرف أيّ أمسية قاتلة بالصّجر صحبة ف، أين اكتشفت غير بعيد عن نهج روزيه مرّاً ساحراً مغطى، توقفت عند جانبيه سيارات الفصول الأربعة. كلّ هذا أحاط

284 المقصود به أب بيانكا وقد استوحى منه سارتر شخصية مهم بيروناشارتز في روايته الإرجاء

عندي بياتر بهالة - كم كنت قد ظلمته! - إضافة إلى أنه كان محاطا في نظري بهذه الهالة، لأنه أقام بهذا الحي الجميل الذي كنت مجرد سائح فيه، وأقام فيه يهوديًا بين اليهود، وغد من أولئك الأوغاد الصغار الذين يتسكعون نواحي ديبون دو لا باستيل، فهناك شيء آخر أعمق، أكثر سرية: كانت مرافقته مرتبطة بباريس الشاعرية والعجيبة لحرب 1914، باريس التي هي في حالة ترقب، فما قبل الحرب، شبيه بما بعدها، حيث الضغوطات من كل جهة، وحيث الرعب، كانت باريس أشبه ما تكون بغاز مبرد ومضغوط، تكفي ضغطة مكبس ليتحول إلى سائل. ومن الضروري في هذا السياق أن أعترف بكلفي وإعجابي بالغازات وتحولاتها الكيميائية، منذ المرحلة الثانوية، بدت لي تلك العوالم مذهلة، وكنت أطرب لأحاديثهم، عن بعض الحالات التي تكون عليها هذه الغازات، لا مرئية، غفيرة بالعوارض الصلبة لجسم المكبس، فلا هي صلبة ولا هي سائلة، إنها في حالة وسيط. بدا لي هذا عجيبا ومضللًا، مثيرا للذهن. بدا لي شبيهاً بمخطط ثقافي للالتباس، الذي يثير استنكار النسقي (رغم أنني نسقي)، هذا الالتباس الذي يستجده هايدجير ضد هيجل، لقد أمكن لي من خلال التجربة الفيزيائية أن أقف على فكرة الحالات الملتبسة. إن باريس الحرب السابقة بدأت تظهر لي حديثاً شاعرية، وبالأساس حين بدأت تلتمع من خلال نارها الكثيرة بين حقبتين مبتتين 1900-1914 و1918-1939، وحين تعلمت أن أحلم قليلاً من الخلف فإنها للإفلات لحظة من ضغط القدم. لقد بدا لي في التباسه تحفة صغيرة معتمة سهرانة، ويجب أن أقول إن بياتر ساهم بشكل كبير في الكشف لي عن سحرها، فقصصه عنها يُشعث شعرها مثل مبنى كبير غامض متروك للصّبية الشريرين. لقد حدثني عن أراملي الحرب اللواتي يمارسن البغاء في ثياب الحداد، غير أن ذلك بقي بالنسبة إليّ حدثاً تاريخياً أدبياً، مجرد علامة من علامات السلوكيات. لكن بياتر فقد عذريته مع امرأة منهم. سلم صندوقاً إلى أحد الحرفاء ومضى ينتظر الحافلة في جهة ما من نواحي كليشي، وكانت هذه المرأة تنتظره بدورها. صعدا معا شارعاً حزيناً، مظلماً وطويلاً في مونا رتر، وكانت تتفوه بأحاديث سوقية وجنسية. منحته نفسها في غرفة أحد النزول مقابل مائة فلس، غير أنها رغبت في أن يبقى معها ملتصقا بها وهي تردّد

قائلة: ابق، ابق، أما هو فكان يرغب في الذهاب. لم يكن يعرف هل كانت تبحث عن الحنان والمتعة بدرجة أولى، مع القليل من الفائدة المالية، أم أنها كانت واحدة من أولئك الخبيرات الإيروتيكيات الحزینات. هكذا، استفاد من كل شيء، من هذه الذكريات، ومن هذه الأجواء. رأيت صورة له قديمة - عندما كان عمره عشرين سنة- وهو يجلس في زورق على شاطئ البحر، هزيلا وجهيا بعينين مخمليتين جميلتين وجفون ثقيلة بأهداب امرأة. يتصف بالشجار والعنف. حين بلغ العشرين من عمره حصل على الكثير من الأموال وهذا أمر كلاسيكي، يتناسب تماما مع ظروف ما بعد الحرب - يقول: كنت فيما مضى ثريا. سيارة، نساء، كما أصيب بالتعقبة [مرض يصيب العضو الجنسي] ويتذكر ذلك من حين لآخر. أعتقد أنه يبالغ أحيانا في سرد مغامراته السابقة. ولكن من الضروري أن أتساءل، عن الأسباب التي حولته، إلى كائن برقة جشعة، ويتحسس استمنائي، وبهذه اللا أصالة المتطرفة - الاشتراكية.

لقد سبق أن ذكرت في الدّفر الثالث أنني سأدقق في وصف نفسي، أثناء انهماكها بفعل ما، ولا أدري ما إذا كان الظرف مناسباً للقيام بهذا الأمر، لأنني مازلت أرى من حولي أشياء صغيرة، تعيقني، شبيهة بتلك الأشياء التي تتحول بين يدي مكانس ساحرات، تنمي في داخلي لذائد أولية، تهيجني، وتسف كل خططي. ليست الأشياء بالنسبة إلى آلات ولا هي كائنات حية، وإنما هي أشياء معطلة، تحتفظ في سلوكياتها، بشيء من الذهن الماكر، ولكنها تحجب هذه الإرادة السحرية، من خلال تصنع عنيد، ولطالما لازمت حذري منها، ففيها ما هو مضحك دائما، ديدنها أن تتبعر كلما سعت إلى جمعها، وإذا أملت عنايتي إلى تفصيلة، باغتني الكل، وإذا أقدمت على أي تغيير لعنصر من العناصر، تجلّ على الكل، خارج كل توقع. إن ما رغبت اليوم أن أشير إليه، ليس بعيدا عن منطق الفعل، إنه الطريقة التي أكون من خلالها وفيما لقرار اتخذته، ومثال ذلك أنه يمكنني القول عموما أنني كنت وفيًا بالأمس وكذلك اليوم، لقراري أن أتناول وجبة أكل واحدة في اليوم، وأن لا أتناول الخبز وأن لا أشرب. غير أن النظر إلى هذا الانتصار عن قرب يفككه إلى هزائم صغيرة متميزة، كما هو الشأن بالنسبة إلى المعارك التي حين يتم النظر إليها عن قرب، فهي دائما هزائم بالنسبة إلى

المتنصر. فما إن اتخذت القرار، وجدتهني أردفه بامتناء، مداره أن أتناول القليل من الخبز عند فطور الصّباح، إدراكاً مني لعدم قدرتي أن ألتم بما ألزمت به نفسي. حين نريد اتخاذ قرار ما، لا بدّ من القيام بجولة من حولنا، وتفقد إمكانيّاتنا. فمنها ما هو صلب مثل صخرة ويجب تدويرها، ومنها ما قد تشكل كتلا رخوة لزجة، ولا بدّ هنا من القيام بجهد، فهذه الإمكانيّات لا بدّ من تقويتها. فطور الصّباح عندي بمثابة صخرة. بالنسبة إلى وجبة منتصف النهار فيمكنني الاستغناء عنها، بشكل جزئي، أو كامل، كأن أكتفي ببعض الخبز، أو بالسلطة دون خبز، أو أن أظلّ صائماً ليوم أو يومين. كما أنّه يمكنني أن أظلّ ليلة أو ليلتين دون نوم. عندما كنت مغرماً بأولغا عادة ما كنت أظلّ واقفاً لأكثر من أربعين ساعة. لكنني أجد صعوبة كبيرة في التخلّي عن فطور الصّباح. لا أعرف لماذا، هي ساعة أكون فيها بدائياً وسعى النّية، أريد أن أكون فيها وحدي مع نفسي، لكن لا بدّ لي من مبرّر لذلك، المبرّر هو قدح القهوة، والخبز المطليّ بالزّبدة. أشعر كلّما حظيت بهما، أنّي في السّماء، أشعر أنّي طيّب وشاعريّ. لا أحبّ الرّفقة في تلك اللّحظة. بل إنّني أحتمل الكاستور بصعوبة. يحدث لي حين كانت تنتظري في الرّالي، أن أدخل قهوة الترو موسكيتار وأبتلعها مع الكرواسن لكي أغنم بلحظة مع نفسي وأحلام الليل. تكون فكري في تلك اللّحظات حيوية لطيفة، فأحكي لي قصصاً، أعثر على أفكار. يوم يتديء بإفطار جيّد هو يوم باذخ. وحين بدأت في السّنوات الأخيرة أستفيق عند السّاعة الحادية عشرة، لأنني نمت الرّابعة صباحاً، أفضل تناول قهوتين في اليوم وكرواسن على أن أنتظر ساعة أخرى وأتناول اللّحم. أنخيل أنّها طريقة لإطالة الصّباح. حتّى هذه الأيام الأخيرة، أريد أن أحصل على صباحي. في برومات عدّبت بول النّوام الكبير، بضبط المنبه على السّادسة صباحاً، بينما من المفروض أن نستفيق السّابعة، من أجل متعتي الوحيدة أن أذهب على درّاجة هوائية، وسط البرد، وأتناول قطعتي خبز منمّلتين وأشرب عصير هندباء في حانة لاروز، كم كانت لحظة ساحرة. يأتي ميستر في نهايتها ليدخل الاضطراب عليها بالحديث عن هايدجير. شعرت وقتها بقرصة في القلب لما أدركت أنّ هذا الإفطار الصّباحيّ فسد. إذ يجب أن يكون مصنوعاً من قهوة وخبز أو (كرواسن). كم

أصرت فاندا دون جدوى، أن أتناول عوضاً عن ذلك شاياً وغلاًلاً. كنت أفضل أن أسبقها صباحاً إلى لقهوة البوست، جادة روششوار وألتهم كرواسن خفية.

(إنني أتحدث عن هذا بشيء من الرضا. أشعر أنني مضحك قليلاً وودود شيئاً ما، كنت استمتع بنفسى). باختصار؛ هزيمة صغيرة أولى. أذكر أن تعسفية قرارى شيئاً آخر تماماً. أقف كل الخمس أو الأربعة أشهر أمام المرأة لرؤية كرشي وأناأسف. قررت في تلك اللحظة أن أتبع حمية قاسية عسيفة عن التحمل. انتابني الذعر من أن أصبح بديناً متأخراً: حين عدت من ألمانيا كنت بوذا صغيراً. يشد غيبي بطني بكلتا يديه من خلال صدرتي الصوفية كي يبرز لمدام موريل أنني كنت محروماً تماماً، وكنت أضحك بارتياح فلم يكن يضايقني على الإطلاق أن أكون سميناً. لكن حين عرفت أولغا، اعتبرت البدينين مرعيين وبدأت أخاف أن أصبح البدين الأصلع القصير. للحق كان يمكن أن أنتبه لذلك لو كنت أراقب نفسى، غير أنني لم أكن أفعل ذلك. لقد ترجتني تلك السيدة والكاستور أن أتبع حمية معتدلة ومتواصلة. غير أنني لا أستطيع أن أراقبني دون ضعف - كما أنني مستعجل للاطلاع على تأثيرات حميتي. لذلك أختار دائماً الجهة الأقصى، وأفضل أن أتعب قليلاً، إذ يترأى لى أنني أشعر بتطور هزالى من خلال احتجاجات معدنى. وبطبيعة الحال فإن ضغطت قليلاً على نفسى بشكل قاس، يسود عندي انطباع أنني سيد نفسى، وأتني حرّ. قالت لي مدام موريل مرة: «أنت تحب أن تقوى على نفسك لتفعل ما لا رغبة لك فيه». أجل إنه أمر مؤكد، لا أنكره، شهر من الإرغام، وأنا أعملاني في المرأة، طامعا في رصد التطورات، أراقب وزني في تلك الموازين الأوتوماتيكية التي يضعها الصيادلة أمام أبواب صيدلياتهم، فإذا بدا لي أنني قد بلغت النتيجة المأمولة، أعود لممارسة حياتي العادية غير مبال، منقطعاً عن مرأتى، ضارباً عرض الحائط بكل الحميات، إلى أن لاحظت بما يدعو للاستنفار، أنني قد بدأت أسمن، بشكل أكثر من ملحوظ، لقد تقدّمت بطني بشكل مفرع، لأهتم لأمرها مفكراً بجديّة فيما يجب عليّ اتّخاذ من إجراءات، للحدّ من انتفاخها. هناك ضعف في القرار نفسه، في قساوة هذا القرار، في تطرفه. ومن الجدير الإشارة إلى أنني قد دوّنته هنا كي أعلن عنه، كما أفعل ذلك في العادة، ليس من

فيل التبحر لكن لقطع الجسور وللا التزام به أكثر. بل هناك خلفي مخطط تخيلي، وهو أنني عادة ما التزم بتنفيذ قراراتي إلى أقصى حد: إنه لذعر مقدس من أولئك الذين يقررون فجأة التوقف عن التدخين لمدة ثلاثة أشهر، وما أن ينقضي يوم أو اثنتان حتى يعودون بسرعة، أي جهد مهدور! لقد عبر عن ذلك بشكل جيد سينكلير لويس في بابيت⁽²⁸⁵⁾ وقد أصبح بابيت بالنسبة إلي نموذج معتبر عن هؤلاء الجبناء. ما أريد أن أظهره هنا أنني في طريقتي في التعامل مع قراراتي، لا أختلف عن هؤلاء في طريقة استسلامهم.

إذا مضيت لتناول فطور الصباح وحدي في مطعم المحطة، وبما أن قرارتي مازال حديثا يطفو على السطح، احتفظت بنوع من القناعة العميقة والسعيدة غير المؤطرة، أنني سوف أتناول فطور صباح شهيا دون إكراهات. أشرب وأكل حسب رغبتني. ما إن وصلت إلى هناك، تذكرت ما عاهدت به نفسي هذا الصباح، قبل أن أخرج وبدا لي الأمر استحالة منطقية. قلت في نفسي: آه! لقد نسيت أنني لا يجب أن أشرب ولا أن أكل خبزا. في نفس تلك الحالة التي نكون عليها حين نقول لأنفسنا: نسيت أن فلانا (الذي ذهب لزيارته) لا يكون في بيته عادة يوم الإثنين. فورا وبشكل طبيعي جدا لأنني أعتبر هذا القرار استحالة منطقية من خلال إيماني الساذج، بحثت عن الوسائل التي تساعدني على الانقلاب عليه - تماما مثلما بحث بعد أن نتذكر أن فلانا ليس في بيته عادة يوم الاثنين، عن وسائل الاتصال به: في مكتبه، عند أهله، الخ. لم يأخذ مني هذا التفكير أكثر من ثانية واحدة؛ اكتشفت على إثرها مباشرة ما هو أخطر بكثير وأشد رعبا: الغياب التام للمنطقية في هذا القرار. لئن كان كيركيغارد على حق حين عرّف القلق بأنه دوار الحرية، فليس دونها رعب قليل اكتشفته مرة أخرى بالأمس صباحا، من أنني كنت حرا تماما في رفض قطعة الخبز التي وضعتها النادلة قدامي على الطاولة وحرا لوضع القطعة في فمي أيضا. لا شيء في العالم قد يمنعني من فعل ذلك ولا أنا. لأن المقاطعة لا تعني الامتناع عن، فالمقاطعة هي ببساطة الاختلاف عن، البقاء معلقا، النظر دون انتباه لإمكانات أخرى. في فكرة الامتناع عن، هناك صورة

285. منشورات ستوك ديلمان وبوتيلو تقديم بول مران 1930.

الذراع الغليظة التي توقف ذراعي. غير أنني لا أتوفر على ذراع كابحة، لا أستطيع ترويض نفسي، ففي داخلي حواجز بيني وبين إمكانياتي- فذلك يعني التنازل عن حرّيتي ولا أستطيع القيام بذلك. كل ما يتبقّى لي هو إمكانية ترقيق داخليّ لحرّيتي ينهشها الدّاخل حتّى تنهار وتشكّل مجدداً في مكان أبعد بأنّحاء شيء آخر ممكن. بشكل يجعل من وفائي للمقرارات المتخذة، وفاء غير محدود. لقد كانت طريقة مأكلة لإدماج الخمول برغبتني في أكل الخبز، طريقة ما لأقول لنفسي بشكل رخو: أوه! هل يتطلب الأمر كلّ هذا العناية لأكل خبز! هل أنني أرغب فيه بالفعل! هل سوف يمتعني كثيراً إلى درجة أنني لن أندم على خرق عهدي؟ ها أنا ذا الآن بصدد الإفطار، طرقي على غير المعتاد مع انطباع سيئ أنني في شكل ضعيف بالمعنى الذي قصده كوهلر⁽²⁸⁶⁾ وأنني جزء من كلّ مفتوح، بلا توازن. وأما ما ساعدني على تجاوز مسألة الخمر، فهو أنّه لم يكن مغرباً، في هذا المطعم، فجوّده دون المأمول، لونه ورديّ مهترّ لا يفتح لي الشّهية، مع هوشة حلوة تذكّرني بطعم التفاح لا العنب. ورغم العزم على أن لا أشرب، لما أقنعت به النفس من أسباب، فقد حدث ما لم يكن في الحسبان، ممّا لا نملك حين حدوثه إلّا الاستسلام للأمر وعدم إرهاقه بالمناقشة. نتبسم النّادلة في وجهي، تنصرف ودون أن يبدر منّي طلب، نياغتني بإبريق ملأته من البرميل، وتضعه بكلّ أناقة فوق طاولتي، كما لو أنّها تقول: ألا ترى أنّي أعرف ذائقتك. لقد كانت مبتهجة لمعرفتها بأذواق حرفائها، ولم أكن أملك الشّجاعة لأخالفها الرّأي. ها أنا ذا رفقة هذا الإبريق الممتلئ فوق الطّاوله، وكأس فارغة قبالة صحنّي. لكنّ الأمر لم يتوقف عند هذا الحدّ، لأنني إذا أحجمت عن الشّرب، فسيكون ذلك دافعا لاستغراب النّادلة، ولعلّها تخرجني بأسئلة من قبيل: لم تكن جيّدة إذن...، لن يكون ذلك لائقاً، فما العمل؟ أن أشرب وأنا أفكر: بإمكانني أن أشرع في تطبيق هيتلي غدا، فمن المستحيل أن أشرع في ذلك اليوم، وأمام المستحيل يسقط كلّ شيء. أن أشرب احتراماً للنّادلة؟ في المحصّلة وصلت إلى حلّ واستسلمت. ذلك أنّي قد اتخذت قراراً

286 فولفانغ كوهلر (1887-1967) أحد المؤسسين لنظرية الشكل. يدحض الارتباطية ويشير سارتر لأعماله في المنحيل. (غاليمار 1940).

كما لو أنه لا توجد في العالم إلا قارورة واحدة، كأس واحدة وأنا. لا يتعلّق قراري إلا بهذه الأشياء المادّية في عالم ميت: من جهتي لن أطلب إطلاقاً قارورة خمر. لكنني لم أتوقع أن يأتونني بقارورة دون أن أطلبها. لأنني أخطأت في عدم التفكير في هذه الفرضية، لم أتحذ احتياطي في حال أن هذه الفرضية قد تحدث. كنت في مكان حديث وسرعان ما انهار التزامي. بل إنني فكّرت بشكل مكتئب أنني أزعجني بشكل حادّ من خلال هذا القرار التعسّفي، دون أن أجعل الخادمة تحزن، فذلك ليس من بنود عقدي. ما يضيع هنا؛ أننا اتخذنا قراراً باعتبار ما سيحدث شيئاً بسيطاً ولا نعرف فعلاً ما سوف يحدث على أرض الواقع، وهو دائماً أكثر تعقيداً. ما ينقذ هنا هو الخمول. أجلت القرار لوقت لاحق، فقدت انتباهي ووجدتني أقرأ كولومبا على مئات المواضيع من القارورة والخادمة. ثم، حين طُرح السؤال مجدداً، عثرت على مراوغة: أسكب القليل من الخمر في الكأس. هكذا حين ترى الخادمة الإبريق نصف ممتلئ فسوف تفكر أنني لم أكن ظمآن، ولن تنتبه إلى أن محتوى الكأس يماثل تماماً ما ينقص في القارورة. بل ولتجويد التلميح سوف أبلّل شفتي. ها أنا ذا إذن أسكب الخمر في الكأس، مشهد ملتبس يتناسب تماماً مع الوضعية الرّاهنة، من جهة ما، غير أنه من جهة أخرى يضعني ببساطة في وضعية الشارب المبهج الذي يسكب له كأساً دهاقا. ومن المؤكّد أن هذا الفعل المبرّر بظروف خاصّة يمنحني رضا رمزياً، يقلّد ما هو ممنوع عليّ. ضعف آخر. وضعف أيضاً هذه الرّخصة التي منحناها لنفسي بارتشاف رشفة واحدة، معتقداً أنها لا تعني شيئاً، بما أنها لم تكن بسبب الظمأ، بما أنها من أجل الحافز الجيّد، وليس بإمكانني أن أفعل غير ذلك. ارتشفت من الكأس لكن بتقتير، فلقد تملّكني الخوف أن أستسلم نهائياً. خفت وتوقفت. لكن في نفس الوقت أليس لي ما أفعله غير أن أشربه، حاولت أن أستمتع بذلك أكبر وقت ممكن، حولت انتباهي تجاه عصفه الخمر لطراوة السائل في حلقي، متعة خفية وماكرة، ممائلة لمتعة طيبب ينتهز فرصة جسّ جسم مريضة بارعة الجمال، يترك يده تذهب حيث تشاء دون أن يوقف كشوفاته المهنية. ضعف آخر. وضعف هذا التوقّف المفاجئ. هذه الطّريقة في إعادة الكأس إلى مكانها خوفاً من عدم الوفاء لكلمتي. في المحصّلة لقد تغالزت مع

الشيطان، دون أن أمتلك الشجاعة للغوص إلى أبعد حدّ. يذكّرني هذا في مقطع من يوميات أندريه جيد، (1917 صفحة 621): رغم ذلك لم أتداع تلك الليلة بالكامل في المتعة؛ لكن غير منتفع هذا الصباح من هذا الثّور الذي تلا تلك الليلة، أشكّ أنّ المقاومة لم تكن سيّئة. نخطيء كثيرا بالدّخول في محاوره مع الشيطان، فمهما قاومناه يريد دائما أن تكون الكلمة الأخيرة له.

الظّروف نفسها هذا الصّباح أيضا: فلقد كان لبياتر ضيف (وهو نفس الشخص الذي تحدّث عنه سابقا)، لقد جلب قارورة خمر جيّدة، ألحّ أن أشرب، وكان من غير اللائق أن أرفض ذلك تماما، شربت قاع كأس. لماذا أدون كلّ هذا بالتفصيل؟ لأنّه من الخارج ورغم كلّ شيء هو فعل ناجح. فمن الخارج نرى شخصا قرّر عدم الشّرب، وهو فعلا لم يشرب في كل الحالات المذكورة إلّا جرعات قليلة غير مهمّة، لا تتجاوز ربع كأس، عوض أن يشرب كأسين ممتلئين كما جرت العادة معه. لقد قال «إنّه لن يأكل خبزا وبالفعل لم يأكل». هو انتصار، ولكن على طريقة «بيروس» [جنيرال إغريقي وملك مقدونيا، كان معارضا لروما، انتصر في حروب كثيرة، غير أنّها كلّفته خسائر جسيمة]. سوف أحصل على انتصارات أخرى ممثلة لانتصاري هذا؛ ثمّ سوف أتعوّد على الأكل دون خبز أو شراب وهكذا أكون قد وفيت بكلمتي والتزمت بقراري. لكن ما أن يغيب كلّ هذا الخمول سوف يغيب الوعي أيضا، ويصير الفعل آليّا. لهذا السّبب حينها يمدحونني أحيانا، أشعر أنّهم يخاطبون شخصا آخر غيري. لا وجود لفعل دونها ضعف سرّي. لا يرى الآخرون سوى الأسلوب، لكنني لا أرى سوى الضّعف. باختصار سوف أظلّ وفيا على عهدي - ومن أفضل إلى أفضل - إلى أن يحلّ موعد الرّخصة. هذا ما نسمّيه امتلاك عزيمة. ها نحن نرى ما تساوي الذّراع [الذّراع وحدة قياس، والجملة مثل فرنسيّ، المقصود منه سوف يكتشف المرء قيمة المصاعب].

الإثنين 18

-يقول ماهو في رسالته الأخيرة - يقولون إنّ الرجال لا يستحقّون السّلم. هذا

صحيح. صحيح في هذا المعنى لسبب بسيط، لأنهم يخوضون الحرب. لا أحد من الرجال الحاضرين المجندين (لا أستثني نفسي) يستحقّ السلم. فلو كانوا يستحقونها فعلا، ما كان يجب عليهم أن يكونوا هنا، رغم أن بعضهم مكره على ذلك، مكره على أن يتنازل عن حرّيته. أرى جيّدا إنه رحل إلى الحرب لأنه يعتقد أن لا خيار له. غير أن الاعتقاد محدّد. ولماذا قرّر هكذا؟ هنا نعثر على الدوافع والشراسة بحيادية، بخمول، باحترام للقويّ، خوفا من الاتهام - لأنه قدّر الفرص وحسب أنه قد يخسر أقلّ حين يطبع عوض أن يرفض - من خلال شهوة للكارثة - لأنّ حياته لا تشدّه كثيرا (بهذا المعنى فإنّ نجاحه في حياته بما تسمح له به طبيعة الشيء، ألا وهو الشغل خلال السلم. لقد رأيت من فاتهم أن يتزوّجوا، صرّحوا في أكتوبر 1938 أنهم يرون قدوم الحرب بلامبالاة، دون أن يفهموا أنّ وضعياتهم كرجال تاريخيّين تعطي وزنا ونتيجة لهذه اللامبالاة وتقرب الحرب - ليس إلى درجة أن تتدلع، لكن لدرجة أن جعل منهم شركاء) - لأنه كان في حاجة إلى كارثة هائلة لينتقم مهنته كإنسان - من خلال الاهتمام، الحماية، السدّاجة، التحقّظ - من خلال رعب التفكير بشكل حرّ - لأنه كان ديك معارك. لهذا السبب ليس هناك في الحرب ضحايا أبرياء. فهل كانوا كذلك عند بدايتها؟، بل سيعادون الحرب مجدّدا لحسابهم بألف طريقة لكي يصبحوا شركاء في تفاصيل حياتهم العسكرية. بشكل تأخذ معه أسطورة الخلاص هنا قوتها الأخلاقية: تلك هي طبيعة التآريخية؛ لن يتوقف الفرد عن أن يكون شريكا إلّا عندما يصبح شهيدا. الوحيدون الذين لا يستحقّون الحرب هم الرجال الذين قبلوا أن يكونوا شهداء السلم. أولئك هم الأبرياء، لأنّ قوّة رفضهم كبيرة، إلى درجة جعلتهم يتحمّلون البؤس والموت. فمن الحقيقيّ أنهم بتقبّلهم لنتائج رفضهم يتألّون أبرياء من أجل الغير، يدفعون دين الغير. ليس هناك من طريقة أخرى ليتحمّل الفرد تبعات تآريخيته إلّا أن يجعل من نفسه شهيدا ومخلصا. ذلك ما أعجبني عند كوستلر، ذلك الصحفيّ الأجنبيّ الذي تابع لحظة احتلال مالاجا⁽²⁸⁷⁾. يستقلّ مع أصدقائه إحدى السيّارات ويذهبون في اتجاه أليكانت وسط الفوضى العامة. لكن عند أول ازدحام

سيارات، وتعطل للحركة قفز على الأرض وبقي وحده في مالاغيا، كان لديه إحساس أنه سوف يدفع الثمن غير أنه لم يخبر أحدا بذلك. سوف يدفع الثمن بسبب الجنرالات الخونة، بسبب الجنود الذين ينقلبون، بسبب الحكومات الديمقراطية الجبابة التي لم تنجراً على التدخل. يدفع لأنه أحس بمسؤوليته تجاه الواقع-البشري، ويريد أن يتحمل تبعات تاريخيته، كشريك أو شهيد. وقرارك هو ما يصنع التاريخ. برفضي للحرب أكون قد دفعت من أجل الآخرين. بقبولها أدفع، أدفع أيضاً، لكن من أجل نفسي فقط.

لم نعد نتحمل مسؤولية الهاتف. لقد أرسلوا عبقرياً مختصاً يعوضنا. وأريد أن أدون هنا على سبيل التمرين والمثال، ولإعطاء الصفحات السابقة والصفحات القادمة نبرتها الخصوصية، الميزات الأساسية لما يسميه ليفين⁽²⁸⁸⁾ فضاء هودولوجي [دراسة الشبكات التواصلية الموجودة في حياة شخص ما]، أي تشكل العالم كما يظهر لي من نزل بال في، الطرقات التي تشقه، الحفر، الفخاخ، الأبعاد. إنه عالم، تستنى لي أن أتملكنه. كان بارداً في الأيام الأولى وبلا حراك، وهاهو الآن ملكي؛ هذا الريف، هذا البرد، زاوية النظر المميزة، التي أشاهد من خلالها ما هو معروض حولي، فرنسا، ألمانيا، أوروبا، كل هذا لي.. كيرنسيا. ها أنا ذا عند ذروة العالم، على سقفه عند أعلى هضبة، مرتفعات الألب، تحاذيها عند الأسفل جبال البيريني، في تراتبية مذهلة، تتخذ شكلها المبين على الخريطة. من المؤكد أن هذا الارتفاع الذي يستعرض نفسه على أنه سقف العالم، يمثل رمزياً إرادتي للسيطرة على الحرب. ها أنا ذا عند أعلى كتلة غرائيت من الهدوء، جميلة ومهيمنة، أقيم في الطابق العلوي من بيت ما. أنظر بازدياد نحو السكرتارين، من أعلى إلى أسفل، دوامة ربح ثلجية حول المنزل: فالمنزل طورا باخرة ترتفع فوق موجة وطورا آخر هو منارة. يكون منارة عند المساء؛ حين أكون في الغرفة التي نقيم فيها وحدي، أحس أنني في قلعة دائرية. يعزلني البرد والريح. لطالما اتخذت كلمة برد عندي الرجوع العاطفي صفاء، وعزلة. لقد ابتعدت ألمانيا، -لا أعرف لماذا؟

288 كورت ليفين (1890-1947) عالم نفس اجتماعي مرتبط بالجماعة الألمانية لنظرية الشكل. هاجر إلى أمريكا سنة 1933.

في بروما كنت أشعر بها ضدنا ساخنة وسامة. هنا - رغم أنه بإمكانني رؤيتها حين يصفو الطقس (الهضاب الرمادية للشمال الشرقي) - ليس لها سوى قرب تجريدي. بل أنا عند طرف العالم، من خلفي الأحياء الساخنة والصاخبة، الرجال والأراضي. من المؤكد؛ أنه تغير اتجاه الجبهة-الخلفية، الذي يضغط عليّ من الخلف نحو الخطوط الأمامية. ويتراءى لي هذا التغير من خلال هذا المخطط الشعري، وهو يتحرك من بين كل التخييلات الصيانية؛ هكذا أفكر: منارة عند طرف العالم، حدود الأرض [باللاتينية في الأصل]. وضعية الطليعة، هنا أيضا يظهر الرمز. من هنا أيضا يظهر الفارق الهش في الاتجاهات: تبدو لي الطريق التي تمر من أمام النزل، وتأتي من مورسبرون كما لو أنها تمضي من الخلف إلى الأمام، بما أنّ مورسبرون هي الأخيرة متقدمة على العالم (مازال فيها مدنيون) لذلك هي تستمر في التقدّم إلى الأمام نحو ألمانيا، نحو جبهة المواجهة. إنها تتجه نحو الشمال بينما يكون خطّ الجبهة إلى اليمين. لكن بما أنّ الشمال يمثل عندي: الصفاء، الاعتزال، توقّف حياة، حدود الأرض، فإنني أفكر أحيانا أنّ الطريق تتجه نحو الشرق، وأحيانا أخرى نحو الشمال، لكنّ ألمانيا عند آخر الطرف. ألمانيا تشبه بحرا مظلما ولا تمثل خطرا كما سبق وقلت ذلك.

هذا التقدّم الأخير نحو الخلف، مورسبرون أشعر به بعيدا، من خلفي، كما لو أنه جوّ خائق مهذّب، سام (مداري) لكن رماديّ: أولا لأنّ بياتر ذهب إليه في إحدى المرات، وقال لي: «إنّه تزييف. ثم لأنهم هناك يعاملوننا كجنود. هناك توجد مكاتب، توجد مصحّة يمكنهم فيها أن يجعلوني عاريا من أجل نعم أو من أجل لا، وأن يحقنوني عمّا قريب (الحقنة خطر، ليس بوصفها حقنة، ولكن بما أنّها توفر راحة ب 48 ساعة، ولأنّها تتم ثلاث مرّات خلال ثمانية أيام فلا يمكن الحصول على رخصة خلال تلك المدة). رغم ذلك فهناك في قلب هذه الزهرة المسمومة، دم ساخن ومدنيّ: أنخيل قاعات بها بيانو أو أكثر - لأن هانتزغير قال «إنّه سوف يطلب من رئيس البلدية أن يقرضه ألبومات موسيقى». بين القرية ونزل بال في: تناثرت بعض المراكز المتقدمة المعزولة: النزل حيث يوجد مكتب موزّع البريد، والضّيقة التي يوجد بها المطبخ المتنقل. أجدي قلّقا حين أرافق بول للحساء، أو حين أذهب لموزّع البريد

لاستلام طرد، لأنني أمضي في الاتجاه المعاكس، أعطي بظهري للاتجاه الطبيعي، الشمال، أشعر بنوع من المقاومة تثير غيظ الهواء. في النزول نفسه، هناك بالطابق الأول ثقبان: ثقب ضوء وثقب حرارة، الغرفة الرئيسية المخصصة للإحصائيين (قمرة القائد) - ثقب أسود تتسلل منه الريح وتصفّر، ثقب جليدي (لأن بياتر يترك النافذة مفتوحة كامل اليوم): غرقتي. تصمد: نغرق فيها بتصميم مثلما نغرق في الماء البارد وأسناننا تصطك. شاعرية لأنها في شكل فتحة تطلّ على الريف: تدخل الأرض البراح من خلال النافذة. في الخارج، البرد- الذي هو مادة، مثلما في الرياضات الشتوية مادة معدنية وصافية يمكن أن نلمسها، منذ الصباح حالما نخرج مثلما نلمس جدارا معدنيا جميلا. السماء؛ رمادية ثابتة، مع مجاري هواء يمكن أن نرسم بياناتها الخطية. هذه السماء التي يمكن أن نقسمها إلى طبقات. هي كفاءتي على كل حال، موضوع معرفتي التقنية وما يهيمن عليّ. امتداد لنفسي في الارتفاع وإقامة بعيدة عن التناول. أعرف أنّ لها حتى في الأيام المشمسة، كما الحليب سوادها السري والصقيل. لأنهم يتصلون بنا كل يوم لمعرفة درجة حرارتها في الأعالي مثلا: -من 50 إلى 8000.

ذلك هو مخطّط وضعيتي الحالية: وجهات رمزية، اتجاهات تعكس توجّساتي، انشغالاتي، مهنتي. متأسّف أنني لم أقم بهذا العمل لفائدة برومات ومارمونييه؛ من فائدتنا أن تُبنت هذه المواقع المؤثرة لكي نستطيع مقارنتها. تظهر هذه الطبوغرافيا الكيفية التي يستولي بها الذهن على المواقع لتهيئتها. أمّا الآن؛ إن أردت أن تحدّد بالضبط في أيّ مستوى وجودي تتموقع هذه الجغرافيا، أقول إنها في الأدنى عند مستوى ما قبل البحث. إنه عمق تلك الصخرة على حافة البحر. لو أردت دراستها، سوف أقع في هذيان مجنون، غير أنّها ليست مادة للبحث. هي في تلك الحركة التي أقوم بها، في نفوري من تغيير موقع الغرب حيث يجب أن يكون. لم يستطع بول في برومات رغم تجاربه المتعددة وضع الشمال حيث يجب. كان يشتكي من ذلك، يقول: لقد قمت بها يتوجب، وضعت الشمال في الغرب.

(مفهوم القلق⁽²⁸⁹⁾) لكيركيغارد: علاقة القلق بموضوعه، لها شيء هو اللاشيء
(أما نحن فنردّد بطريقة نموذجية إننا قلقون من أجل اللاشيء)...

من الواضح أنّه أثر على هايدجير اللّجوء إلى الجملة التّمودجيّة، نحن قلقون من
أجل اللاشيء، وهي توجد كما هي بكلماتها في كتاب الوجود والزّمان⁽²⁹⁰⁾ [بالألمانية
في الأصل]. غير أنّ القلق عند هايدجير هو قلق -أمام- العدم، الّذي هو ليس
اللاشيء كما يقول جان واهل⁽²⁹¹⁾: إنّ فعل كونيّ يتّضح بسببه الوجود، بينما هو يعني
عند كيركيغارد: الـ قلق التّفسّي بسبب لاشيء في الدّهن. هذا اللاشيء في أصله هو
الإمكانية. إمكانية مازالت في طور اللاشيء، غير أنّها هنا الآن، مثل إعلان حرّية:
فالّذي كان يسبح في عيني آدم البريء مثل لاشيء، القلق هو الآن مدمج بداخله
ومازال لاشيء. قلق إمكانية السّلطة. ممّا قد يستطيعه، ليس له أدنى فكرة. ... وحدها
معطاة إمكانية السّلطة مثل شكل أعلى للجهل، مثل التّعير الأرقى للقلق....

قلق أمام العدم، مع هايدجير؟ قلق أمام الحرّية مع كيركيغارد؟ في نظري هو شيء
واحد، فالحرّية هي ظهور العدم في العالم. قبل الحرّية، العالم امتلاء بما هو كما هو،
فطيرة ضخمة محشّوة. بعد الحرّية هناك أشياء متخالفة، فلقد أدخلت الحرّية الإنكار.
ولا يمكن للحرّية أن تُدخل الإنكار في العالم إلّا لأنّها مأخوذة تماماً بالعدم. فالحرّية
هي عدم نفسها. الواقع المفروض على الإنسان، هو أن يكون ذلك الّذي يعدم واقعه
المفروض. فمن خلال الحرّية يمكننا أن نتخيّل، إمّا بتحويل أشياء العالم إلى عدم، أو
تبويبها معرفياً. لأنّه من خلال الحرّية يمكننا تهيئة مسافة تأمل في كلّ لحظة إزاء
جوهرنا الّذي يصبح عاجزاً في العدم ومعلّقاً، سلبياً؛ تُعدّ الحرّية حلّاً للاستمرارية،
هي انقطاع الاتّصال. هي مؤسّسة التّعالّي، لأنّها تستطيع فيما وراء ما هي استشراف لما
لم يكن بعد. في النّهاية إنّما تنكر نفسها بنفسها، لأنّ الحرّية مستقبل، وهي إنكار
للحرّية الرّاهنة. لا أستطيع أن التزم لأنّ مستقبل الحرّية هو العدم. تبتكر الحرّية

289 ترجمه تيسو في تقديم دان واهل صدر في باريس سنة 1935.

290 الوجود والزمان قرأ سارتر هذا الكتاب في نسخته الألمانية (1927) قبل أشهر

291. جان واهل (1888-1974) شاعر وفيلسوف مؤلف دراسات كيركيغاردية (أوبيه 1938)

مستقبل العالم بتحويل عالمها الخاص إلى عدم. ولا يمكنني مرة أخرى أن ألتزم لأنّ حاضري الذي أصبح ماضيا سوف يتحوّل إلى عدم، ويخرج من ساحة اللّعب، ثمّ خلال حاضري الحزّ الذي سوف يأتي. سوف أشرح مرة أخرى أنّ صفات هذه الحرّية ليست شيئا سوى صفات الوعي. لكن بشكل أدقّ، فإنّ كان العدم قد أدخله الإنسان في العالم، فالقلق أمام العدم ليس شيئا آخر سوى القلق أمام الحرّية أو، إن شئنا، هو قلق الحرّية أمام نفسها. أبديت بالأمس قلقا خفيفا أمام الخمر، إذ أنّه لا يمكنني احتساؤها، ولا يجب أن أفعل ذلك، ولأنّ لا يجب تلك أصبحت من الماضي، فهي في تراجع، خارج الدّائرة، مثل الجوهر، ولا شيء يمنعني أن لا أحسي. أمام هذا اللّاشيء أصاب بالقلق، فلا شيء يمكن فعله. وتلك العبارة الشهيرة إنّني خائف من نفسي، هي بالضبط قلق أمام اللّاشيء، بما أنّ لا شيء يسمح لي بتوقّع ماذا يمكن أن أفعل، هل يمكنني أن أتوقّع أنّ لا شيء لن يمنعني. هكذا يتّضح أنّ القلق هو تجربة العدم وليس ظاهرة نفسية. هي بنية وجودية للواقع - البشريّ وليست شيئا آخر سوى الحرّية واعية بنفسها، كما لو أنّها عدم نفسها. القلق أمام عدم العالم، أمام أصول الموجود، هي مشتقة وثنائية. تبرز هذه المشاكل على ضوء الحرّية. العالم بنفسه موجود ولا يستطيع أن لا يكون موجودا. بوصفه قائما لا يسمح باختزاله، أو باقتراح أمام له. ليس هناك من مشكل في أصل العالم إلّا بتأثير الحرّية على الأشياء.

كذلك هو الحجز الوجوديّ لواقعنا المفروض، إنّ الغثيان والتخوّف الوجوديّ من حريّتنا، إنّ القلق.

الثلاثاء 19

إذا كان القلق النّاجم عن الخطيئة، سبيلا إلى الخطيئة نفسها، فمن الضّروريّ أن نتساءل إزاء ما تحدّثه الغلمة من ميولات فطرية، فيما إذا كان المرء مذنبا أم بريئا، وكيف يمكن أن نحسبه في الوقت نفسه، مذنبا وبريئا، باعتباره أسيرا للقلق؟ (كيركغارد الصفحة 122)

إن قلق المرء إزاء ما هو ممكن لا رغبة له في تحقيقه، قلق أمام العدم، الذي يحول بينه وبين الممكن، من وظائفه إلغاء اللا شيء بجعل الممكن متجزأ، بدلا عن رفضه، وتحويله إلى ممكن خاص، ويكون ذلك دافعا إلى انخراط كامل للحرية في الإمكانية، باعتبارها هدفا ومشروعا. ينجم عما تقدم إلغاء اللا شيء، وتحقيق الامتلاء، فالخطأ يقضي القلق مؤقتا، ويحول الممكن إلى متحقق، والفراغ إلى امتلاء. فالحرية هي أن نفعل، وأن نقدم على الإنجاز، هي أن نسد المنافذ على اللا شيء، فلا نترك له إمكانية أن يصدنا عن الفعل، أو أن يجبرنا عليه، مع الاضطلاع في الحالين بشرط المسؤولية، إزاء ما أقدمنا على فعله، وما أحجمنا عنه. ويمكن السيطرة على اللا شيء وترويضه، عبر مسامرة داخلية للدوافع الكامنة لجعل الممكن متحققا، وسد فتحة العدم التي تفصلنا عنه. وتمثل تلك الدوافع جوهر الوجود الإنسانية، وتحلي عن نفسها عبر الفاعلية، الحرية، التأقذة إلى المستقبل. وتظل وظيفتها مقصورة على التيسير.

متى كان الفعل واعيا فإن ذلك، يريحنا من واجب الاعتذار، ويحول العدم إلى شكل من أشكال الوجود، فالوجود مشروط بالوعي، وبالمسؤولية التي تمثل حلقة بين الدوافع والحدث. غير أن الممكن لا يستطيع أن يكون سوى تكثيف للعدم، بما أن وجوده باعتباره ممكنا لا يتمثل في أن يكون متوقعا، باعتباره واقعا واقعا قابلا لأن يكون، بل باعتباره واقعا سيكون. ففي استعجال الممكن عدمية ما، وهو لا يمكن أن يكون سابقا على الوجود. بل بالعكس. فالممكنات الأصيلة هي ممكنات الذاتية ويمكن أن تنجم عن واقع مفروض-بوصفه-وجودا -هو عدمه-الذاتي. ترتبط ممكنات العالم بالأشياء عن طريق صلات خارجية، ومثال ذلك أن أقول من الممكن أن تنطفئ النار - أن تهدأ الريح - أن تنكسر القارورة، وهي ممكنات ذاتية في محصل أمرها، تكشف لنا عن ثالث: عدم-ممكّن-وجود، لكن في ترتيب جديد. هناك أولوية للوجود ولا يظهر الممكن إلا عند أفق عدم ما. هل يجب أن يكون هذا العدم أيضا عدم وجود، هو عدمه الخاص؟

نرى أن الخطأ هو غواية لملء العدم مع الوجود. وهو نافذ الصبر دائما أمام القلق، وضرب من هروب العدم في الواقعي.

الوعي إنفاص للوجود. الوجود-من أجل- الذات تفنيت للوجود -في-الذات. الوجود-في الذات، وهو مرتعد بالعدم يصبح وجودا -من أجل-الذات⁽²⁹²⁾.

هناك أولوية للممكن على الضروري، كما لاحظته كانط بشكل جيد، وهو الذي يُعرّف الضروري: كائن ما يأخذه ممكنه إلى الوجود. وهو ما نسميه الموضوع الخاص للحرية. فالحرية هي العدم لأنها تهدف إلى إلغاء نفسها بتحويل العدم الذي تحويه إلى عدم. مثالية الحرية إذن هي ممكن يتحقق دونها حاجة إلى معاضدة من المسؤولية، ممكن هو بالأساس اعتذار. الحلم الحميمي لكل حرية، هو إلغاء الفتحة بين الدوافع والحدث. لنلغي من خلال التفكير الفتحة، وليس لنا من أجل هذا أن ندرك الوجود الصافي، بما أننا نحافظ على الفارق الزمني بين الدوافع والممكنات. لكن هاهي الممكنات تتحقق من خلال تصوراتها الخاصة. بدءا من لحظة ليس هذا خططي. فكل إنذار يستدعي الضرورة. غير أن الضرورة تظل قائمة على أرض القيم ولا تنزل أبدا على أرض الوجود. من خلال وجهة النظر هذه نرى أنها المثال الأعلى لكل الممكنات: أنها واقع-مفروض، أي ذاك الذي يكفي أن يكون ممكنه الخاص ليكون وجوده الذاتي: واقع-مفروض، هو فراغ من أجل-الذات، يصبح ممثلا ويكتسب تأسيسه الذاتي. فالضرورة صنف أخلاقي، ولا يمكنها أن تظهر كبنية للواقع إلا بتأثير تمارسه الحرية على الأشياء، ويمثل الاعتذار أحد تجلياته. ما هو ضروري لي، تقليص مصاريفي إلى الحد الضروري الأدنى، فإذا لم لأفعل، فإن ذلك سيقودني إلى الاعتذار، بشكله المؤقت أو الدائم، وفي المقابل فإن تغيب الضروري يمكن أن يتجسد فيما أصطنعه من أعذار، من أجل سرقة أرتكبها. فالضرورة معياري بالأساس، لانفتاحه على كل الحالات الممكنة، وإيجازته استقالة الوعي.

من فرط ما نعيش في حالة دفاعية مع الناس؛ ينتهي بنا الأمر أن نمتلئ رغم أنفسنا

292 الخطاب حول الوجود هو حديث اليوم. في الصفحات القادمة سوف يعمل على البحث عن أخلاق من المهم معرفة ما المقصود بالوجود والواقع-المفروض قبل التساؤل ما يستطيعه الإنسان وما يجب أن يفعله انظر الصفحات الأخير من كتاب الوجود والعدم التي سوف يشرع سارتر في كتابتها في المعتقل.

بأسلوب أي حركة يقومون بها، لا سبيل للإفلات من ذلك. الطريقة التي يحمل بها بياتر الكرسي هي خاصة به، وأجد بياتر كاملا فيها. يقترب من الكرسي بخطوات ذئب هائلة، منحنيا قليلا إلى الأمام، يتقدم في صمت، راغبا على طريقة الأطفال، في أن يلاحظ كل واحد من الحاضرين كم هو صامت، ولكنه في الوقت نفسه مستغرب من القيام بفعل يأخذ حيزا من الزمن، ورغم ذلك ليس له صبغة اجتماعية فورية. غير أنه بتفادي هذا الاستغراب، هذا النوع من الضيق الذي يمسك به كما لو أن الهواء يتدخل من حوله، متمثلا ما يقوم به من وجهة النظر الاجتماعية. نشعر كما لو أنه في محكمة، وينال براءته، محفوقا بالتهاني على الطريقة السعيدة والسرية التي حل بها الكرسي. غير أنه يظل بداخله شيء ما شحيح وماكر كما لو أنه يحتال علينا، وعلى كل حال هو يعرف أنه يثير ضجة. باختصار؛ هو يعرف أنه لن يتجنب أخذ الكرسي من أجلنا، في الوقت الذي نستغرق فيه نحن في القراءة أو في الكتابة. يمثل كوميديا أخذ كرسي في الوقت الذي يأخذه فيه. كوميديا فاضلة لا تخلو من وعي: إنني أخذ كرسيًا، إنه حق في أن أخذ كرسيًا. كل الناس توافقني على أخذ كرسي. في الأثناء هناك شيء من الحنان في الطريقة التي يقترب بها خفية من الكرسي، يتخذ هيئة العجوز النهمة التي تعد أطباقا شهية صغيرة، يمنح نفسه موعدا حنونا في المستقبل؛ وتنظم بينه والكرسي مسافة عشق وهيام، ويرضا كبير عن نفسه، وعن الآخرين، وراض عن نفسه وعن غيره، يشد الكرسي بقبضته بمزاج جيد ويهرول بخطى متقاربة نحو السخان، ليجلس قبالة.

هو ذا بالضبط ما أريد الوصول للإمساك به، إنه الأسلوب الذي تتجلى به أفعالي، في ناظر شخص آخر أعصابه متيقظة، أزعجه منذ ثلاثة أشهر. ورغم خشيتي أن ذلك مستحيلا، فإنني سوف أحاول.

يصبح الرفاق شبيهين أكثر فأكثر بمساعدي ك [بطل رواية القلعة لكافكا] في رواية القلعة. لطالما أعطيتهم دروسا أخلاقية - يتقبلونها بسحنات مأكرة دون أي اعتراض. ها هم في الوقت الحاضر يترصدون بي أن اقع في أي خطأ، ويجبروني على أن أكون ملتزما في تصرفاتي. يسميني بياتر انتهازي حرب، فأنا أنتهزها لأكتب؛

يتهمني أنني أجرب فيهم حججا، ومبادئ أخلاقية بما يوفر لي مادة للكتابة. يقوم بول، بدوره بهجوم عكسي، ويتقد سوء نيتي، لأنني كنت المبادر إلى نقد سوء نيته. هما الإثنين يعطيني بظهرهما حين أؤنبهما، ويدعيان أنني إننا أقول ذلك عن عنجهية محص، وفي الوقت نفسه يراقباني. يا له من انتصار لهما عند أول زلة أقوم بها. بالأمس فقط وبينما كنت أتناول وجبة الغداء مع يياتر، استغرب أنني أرفض الخبز والخمر، أخبرته أنني أتبع حمية. واتضح أن قائمة الأكل بالأمس تحتوي ضلوع عجل مع كرنب بروكسيل. كانت أصابع الضلوع رقيقة، ولم أكن أحب كرنب بروكسيل. وتقريبا لم أكل شيئا. بل كنت أشعر وأنا أمضغ بعض القطع، أنني أراكم الاعتذارات التي سأحتاجها مساء؛ كنت في وضعية ذلك القديس الذي قال: «إنه لأمر كثير يا إلهي، أمر كثير! نعم لقد قررت أن أصوم في السماء لكن على افتراض أن أتناول وجبة متكاملة عند منتصف النهار. فأنا أصلا لا أكل الخبز...»

إن إيجاد الأعذار المناسبة في الوقت الأنسب، فنّ، من شأنه أن يدفع طموحنا إلى رتق الصلة بين الدوافع والحدث، متناسين أن الصلة بينهما ضرورية، بحكم الحرية، قد نغير موقع العدم لكن لا نلغيه تماما: نظل بلا عذر كما لو أن الأمر يتعلق بشؤون داخلية قدرة. تكتمت عن الأمر قدام يياتر واحتفظت بما يجعله يعرف أنني لم أكل شيئا، وهي الحقيقة الفعلية. بدأت أشعر بالجوع؛ عند حدود الخامسة مساء، جلست قلقا على كرسي صغير لما يقارب الساعة، ثم قمت، أخذت خبزة مستديرة وغررت فيها سكبتي: لقد أيقظ الجوع جراحي والحقوق التي وضعتها بعناية قيد الاحتياط منذ منتصف النهار، بعثت حياة جديدة فيها. رغم أنني أمقت الأعذار ولا أريدها أن تمس من كبريائي: وفي حالة ما تم الإمساك بي مخطئا أقول إنه لا عذر لي - وفي حالة ما كان الاعتذار جاهزا كما هو الشأن بالنسبة إلى يوم أمس، أخلع عنه صفة الاعتذار، وأرى نفسي صاحب القرار الأخير على مستندات القضية. يصبح الاعتذار وقتها وببساطة حجة موضوعية أعالجها بتجرد، مع الهاجس الوحيد أن أصم في اتجاه المعنى الأفضل. وبالتالي صرحت متوجها لرفاقي: لقد تناولت وجبة قليلة عند منتصف النهار، ولذلك قررت أن أمنح نفسي استثناء هذا المساء في مخالفة تعاليم

هينتي. قلت ذلك بكلّ براءة، قلته لنفسي قبل أن أقوله للآخرين، مأخوذاً جداً بحماقاتي الداخلية الصغيرة متخذاً احتياطاتي من حكمهم عليّ. هكذا؛ كنت كمن عطّلته النتيجة: صخب عال رهيب، انحنوا جميعاً وشرعوا يقهقهون ويطرقون الأرض بأرجلهم وهم يلوحون لي بإشارات وعلامات ذكاء. كان يياتر يريد أن يتكلّم لكن غلبه الضحك. واستطاع بالكاد أن يرسل كلمات، المقصود منها أنّي أمثل كوميدياً، وأنّي لن أستطيع مقاومة شهواتي في الأكل. مازلت ممسكاً بالخبز وسكّيني مغروس فيه، أجبّت بكرامة لكن دونها ثقة، أنّي أكلت بالفعل قليلاً عند منتصف النهار. على ذلك ردّ بول الذي لم يكن بالمطعم متوجّهاً لبياتر: هل حقاً لم يأكل كثيراً؟، بنبرة قاض يسترشد. أجابه بياتر ولكنه تغدّى بالطّبع، أصابني هيجان لكن ما العمل؟ شرعت في الضحك وقلت: معكم حقّ، أنتم تبرزون لي ما يجب أن أفعله. آه! من حسن الحظّ أنكم معي، على هذا الردّ وضعت الخبز، طويت السكّين، ووضعتني في جيبي وعدت أشتغل. انتظرت أن تتواصل قهقهاتهم، ولم أكن لأخلي في الوقت نفسه سبيل منافسي، سوف أتابع كما يقولون في معجم الملاكمة. لكنهم تحبّروا لامثالي وسكتوا تماماً، بل إنهم منحوني شيئاً من الفاصوليا بعد الحساء يستعجلونني أن أكله. اعتقد أنّهم خشوا أنّي أجوّع نفسي بسبب غروري. رفضت كلّ شيء وبطبيعة الحال كنت أنصوّر جوعاً. لكن بالنسبة إلى فطور اليوم فليس هناك تراجع: بدا لي طبيعياً أن لا أشرب مع الأكل وأن لا أكل خبزاً. بل إنّه شبه طبيعي أن لا أتناول وجبة الغداء، أي أنّ زمني النهاريّ الذي تمّ اختراقه بالأمس من خلال حاجزين متوازيين، الغداء والعشاء انتهى اليوم بعادات حرّة؛ الظّهيرة تطفو ليّنة ما بعد الغداء، تشبع علماً منكّساً أسفل ساريتّه، لا أنتظر أيّ شيء يقطعها.

هكذا ساعدني الرفاق أن أكون حرّاً.

كتبت لي الكاستور بتاريخ (السبت 21): أشعر أنّك مقطوع عن العالم أكثر من قبل مورسبرون، متغلق على نفسك⁽²⁹³⁾ في العزلة. تبدو لي محشواً بالعزلة، مغلقاً

تماما مع التليفون⁽²⁹⁴⁾. مع السّخّان الدّافئ وأفكارك الأخلاقية.

هل حقيقتي ما تقوله؟ لا أعرف. يترأى لي أنني أتعوّد على الحرب، وبيرومات حين قدمت الكاستور في بداية نوفمبر، وكان قدومها شبيها بقنبلة موقوتة، مفككة هدوئي لبعض الأيام بعد رحيلها، وتصل بي في الأخير إلى تنفّس غراميّ لنهاية شهر نوفمبر⁽²⁹⁵⁾ وأعتقد أنّه إثر الأزمة بسرعة تعافيت كعادتي في مثل هذه الحالات، بدأت أؤلا بالاهتمام بمشاغلي الصّغرى. والدليل أنني هادئ ومبتهج في هذه اللحظة. في جميع الأحوال لا أفهم جيّدا شهر نوفمبر هذا، لقد حدثت موجة قهر غريبة.

وأنا أعرب صبيحة اليوم في هذا الدّقتر عن رغبتني في أن أمسك بأسلوب حركاتي؛ وقعت تحت تأثير المهوروس بالتحليل. رغم أنني بقيت لأكثر من خمس عشرة سنة، لا أحفل بطريقة عيشي. غير مهتمّ بذلك على الإطلاق. كنت أتنطّل للأفكار والعالم وإلى قلوب الناس. يترأى لي أنّ علم النفس الاستبطاني قدّم أفضل ما عنده مع بروس، حاولت بين سن 17 و20 من عمري إدراكه بهوس، لكن بدا لي أنني أستعجل التمرين، وأصابني الملل. ثمّ إنّ كبرياتي غيرت وجهتي. يبدو لي أنّ التّدخل في الأشياء الخسيسة والصّغيرة يجعل منها كبيرة، إنّنا نضفي عليها قوّة، بما نوليها من عناية، لا تستحقّها. كان لا بدّ من الحرب، ومن مؤازرة الكثير من الدروس الجديدة، (الفينومولوجيا، التحليل النفسي، علم الاجتماع)، وقراءة عصر الإنسان⁽²⁹⁶⁾ كذلك. من أجل تحريضي على رسم بورترية شخصي، انطلقت جادا في هذا المشروع بذهن نسقي، بشهوة السّموليّة، ويكثر من الهوس النفسي. أردت أن أرسم لي بورترية متكاملة ما أمكن، مثلما أردت وأنا صبيّ صغير، أن أملك سلسلة بوفالو بيل ونايك كارتر، ومثلما أردت، بعد ذلك بزمان معرفة كلّ شيء عن ستانداال. هناك نقص في الانضباط عندي، فأنا أراوح بين لا مبالاة لا حدود لها، وبين انهماك مهووس. كنت

294. تستعيد سهمون دي بوفوار استعارة سارتر: مع الحيوان يشعرها الملل.

295. بخصوص فاندرا على الكاستور بنفس اليوم: "أعتقد إذا إنني في فترة "استعادة"، هل تعرفين لقد كنت كذلك في إحدى المرات وبشكل أطول وفيها يخص حكاية لا علاقة لها بهذه. حكاية أولعا

296. ميشيل لايريس غاليمار 1938.

أنفر من اليوميّات وأفكر أنّ الإنسان لم يوجد ليرى نفسه، وعليه أن يُبَيَّن بصره قدامه. لم أتغيّر. فقط؛ بدا لي أنّه لا بدّ من إعادة التّظر خلال المناسبات العظيمة، وحين نكون أثناء تغيير حياتنا، مثلما تطرح الأفعى جلدها، أن ننظر في هذا الجلد الميت، هذه الصّورة المنكسرة للأفعى التي تركها خلفنا. لن أستمّر في الكتابة في هذا الدّفتر بعد الحرب، وحتى إن واصلت ذلك فلن أكتب عني. لا أريد أن أكون ملازما لي إلى آخر حياتي.

ما قرأته منذ آخر إحصاء لقراءتي⁽²⁹⁷⁾:

ماك أورلان: تحت الضّوء البارد.

بول موران: مفتوح في اللّيل⁽²⁹⁸⁾.

ماريفو: مسرح مختار.

كولومبا.

فلوير: التّربية العاطفيّة.

ماك أورلان: الفارسة إلزا.

كيركيغارد: مفهوم القلق.

دورجليس: صليب الغابة.

ما استلمته اليوم:

لوسيان جاك: دفاتر مولسكين⁽²⁹⁹⁾.

موروا: أصول حرب 1939⁽³⁰⁰⁾.

297 كلها باستثناء الأخيرين، هما إعادة قراءة.

298 عن دار غاليمار 1922 وحسب رسائل إلى الكاستور من 12 إلى 18 ديسمبر إن ما قرأه هو مغلق في الليل (1923)

299. يوميات حامل جرحى شاب خلال حرب 1914 غاليمار 1939.

300 غاليمار 1939.

ماك أورليان: رصيف الضباب⁽³⁰¹⁾

السيد ليونارد.⁽³⁰²⁾

ليزاج: الشيطان الأعرج.

لاريو: بارنابوث.⁽³⁰³⁾

مكتبة
t.me/soramnqraa

الأربعاء 21

تقديم رائع لجيوناو لدفاتر مولييسكين.

حين لا تملك الشجاعة الكافية لتكون سلمياً فأنت محارب. السلمي يكون وحده دائماً.

يشكل المحارب ثقته بنفسه، من تصوّره التوافق مع العدد الأكبر، فالأغلبية تبعث الطمأنينة في قلبه، وتحفّزه، وتهيل عليه الإحساس بالهبة، هبة عادة ما تكون على مقاسه. كلّ شيء مهيباً له مسبقاً. إن ارتجف شخص ما ليكون [ربما] مجبراً على تجاوز الإنسان، فليتوقف عن الارتجاف ويجعل من نفسه محارباً، أو، ببساطة أيضاً، فليدع نفسه طوع الآخرين، وليستسلم، ليكون في أعينهم محارباً. كلّ لعب الحرب يدور حول ضعف المحارب... الجندي البسيط: ليس بالسّعي وليس بالطّيب، سوف يتحمّل بلا أثر مصير المحارب إلى أن يأتي ذلك اليوم الذي يكتشف فيه مثل بطل فولكنر، أنّه بإمكان أيّ شخص أن يجلس سهواً ويشكل أعمى في البطولة كما نتدحرج في فتحة بالوعة متسعة، وسط الرصيف.

الدفاتر في حدّ ذاتها رمادية، لا تخبر بأيّ شيء جديد. طابع يرتدّ لحرب 1914 من خلال كلّ هذه الكتب. لم تعد تظهر في عيني، كما فعلت في السّنة الماضية، كما صورة الحرب، لكن كحرب ما، مجزرة ما فوضوية حدثت، لأنّ الجترالات مازالوا لم يشكروا

301. رصيف الصباب غاليمار 1927.

302. أخطأ سارتر هنا فالعنوان هو: ليونارد الأسود والمسد جان مولين غاليمار (1920)

303. بارنابوث: يومياته غاليمار (1913).

تقنية ما كان يسميه الرومان مليون رجل.

كتب فيل⁽³⁰⁴⁾ مساعد ملازم مدفعية للكاستور: الوضع مستقر لدرجة أن البعض يرغب من حين لآخر أن يتغير. لكن ما أن يفكروا أنه، إن تغير الأمر سوف نتلقى ضربات، يستنكرون أقوالهم المثورة ويفضلون الوضع الراهن [باللاتينية في الأصل]، وهو ما يجعل أحدهم يعترض، قد يجبرنا الوضع الراهن أن نظل هنا حتى الشيخوخة. فيتغير موضوع الحديث. المسألة عويصة جدًا؛ وفي الأثناء فإن الأيام آخذة في المضي.

لا أعرف جيدًا فيما يفكرون في الخلف، الصحف ساذجة إلى درجة أن لا أحد يقرأها، رغم أننا نقتنيها كما جرت العادة. ما نفكر فيه في هذه اللحظة يمكن تلخيصه في كلمة واحدة: لاشيء. نتظر الربيع، نحفر ونختبئ تحت طبقات من جذوع الأشجار. ربما نحصل على بعض الأفكار الشخصية إن استطعنا أن نظفر أحيانًا بالعزلة، غير أن الجندي لا يمكنه أن يكون وحده أبدًا، وإن حدث وانعزل، سوف تتبلل ساقاه.

باع بارنابوث كل ممتلكاته، قصور، نحت، سيارات، ممتلكات شاسعة... بدعوى أنه يحرم نفسه من ثروته. هذه الحركة مستوحاة من مينالك، التي هي لميشل في الأخلاقي [رواية لأندريه جيد] الجيدة. هذه الكلمة أن يحرم نفسه جعلتني أحلم. ففي المحصلة يتعلق الأمر بالانفصال عن الممتلكات، بوصفها مظهرًا حسيًا للثروة، والاكتفاء بالمظهر المجرد: المال. وهي هنا على شكل أسهم أو صكوك. ها هي في المحصلة النصيحة المعطاة من جيد ثم من بارنابوث. مقايضة الملكية الواقعية بالملكية الرمزية، مقايضة الكثر - الممتلكات والمباني بالملكية - العلامة. ليس من قبيل الصدفة أن يوصي أندريه بالشغور. بالأساس فإن الحرّ الجيد، هو ذلك الشخص الذي لديه استبداع لرؤوس أمواله. وما أراه بوضوح أن أخلاق أندريه جيد هي إحدى

304. تعرف سارتر إلى ج.أ. فيل وزوجته (المرأة القمرية) في المعهد القرني بباريس سنة 1933؛ فيل شاب مثير في الرياضيات.

الأساطير التي تسم عبور الملكية البورجوازية الكبرى - امتلاك حصّي للمنازل، الحقول، الأرض، البذخ الخاص - إلى الملكية المجردة لرأس المال. الصبيّ النّابغة، هو ابن تاجر الحبوب الغنيّ الذي يصبح مصرفيّاً. كان أبوه يملك أكياساً من الحبوب، أمّا هو فيملك أكداً من الأسهم، امتلاك اللّاشيء، غير أنّ هذا اللّاشيء هو رهن على كلّ شيء. لا تبحث عن ناثانيل [أحد أتباع المسيح] الله في مكان آخر، شرط أن يكون في كلّ مكان: يلقي بالملكيّة الماديّة التي تحدّ الأفق وتجعل من الله انطوائيّة على الذات في الأعماق، قايضها مقابل الملكيّة الرّمزيّة التي سوف تسمح لك أن تستقلّ قطارات أو بواخر للبحث عن الله في كلّ مكان. وسوف تجده في كلّ مكان. يكفي أن تضع توقيعك على هذه الورقة الصّغيرة، في دفتر صكوكك. لست أبالغ: هذا بالضبط ما يستميه بارنابوث الجيديّ صفحة 19: بحثاً نشيطاً عن الله. وجيد نفسه المسافر أحياناً، ورئيس الطائفة الأبويّة بكوفرفيل أحياناً أخرى، هو أحد وجوه الانتقال من البورجوازيّة المالكة للقرن التاسع عشر إلى رأسماليّة القرن العشرين. يجب ملاحظة أنّ غرابة القرن العشرين، كلّها جيديّة وذات دلالة رأسماليّة. بل لم يعد له المعنى الحقيقيّ للغرابة (الابتعاد عن البيت) ففهم الغرابة قديماً من خلال إحدائيات ثابتة: الملك الذي يكون تحت تصرّف البلد:

سعيد الذي هو مثل أوليس، بعد سفر طويل (305).

تبدأ الغرابة المعاصرة بإثبات كلّ الإحدائيات، وبموازاة بعضها إلى بعض. أي أنّه يمكن تبديل جنيه سترليني في كلّ مكان. ليس هناك أيّ زاوية نظر مميّزة لرؤية العالم. بما يعني أنّه يمكنك أن تعتبر الجنيه السترلينيّ قدرة شرائيّة مجرّدة مفكّكة على هواك إلى المارك، الفرنك، أورييس، بينغوس إلخ. الغرابة الكلاسيكيّة تتجلى في صانع الحرير الليونيّ الذي يرسل ابنه إلى الصّين ليتكوّن في اختصاص الحرير. الشاب وسط حياته الصّينيّة بقي ليونيّاً: إنّ في الصّين ليكون ليونيّاً أكثر من أيّ وقت مضى، لكي ينعم أكثر بعد مدّة بكنزّه الليونيّ. الغرابة الرأسماليّة ليس لها أيّ نقطة تعلق: يتوه المسافر في

305 يورد سارتر بشكل خاطئ ما قاله بيلاي: "سعيد الذي هو مثل أوليس. قام برحلة جميلة (الندامات)

العالم، حيثما كان فهو في بيته. من هنا هذا المظهر الجديد للغربة الأدبية: جلب كل ما نراه في بنايات جمعية تحت المظهر المبرقش للعادات المحلية، وإبراز أن الإكراه الكوني مشابه للرأسمالية في كل مكان. التأكيد على المظهر المتصدع، المحتضر للطبائع واستخلاص تأثيرات شاعرية (في حين أن الغربة الكلاسيكية تستخلص تأثيرات شاعرية من فيض الحيوية العفوي للعادات المحلية)، أن يكتب لاريو في بارنابوث إن فلورنس مدينة أمريكية غريبة تم بناؤها وفق أسلوب عصر النهضة الإيطالية. فهذا يتطابق بمعنى ما، مع مشهد مسلمة محجبة، تقود دراجة منفرجة الساقين، رأيتها يوما بين أغادير ومراكش؛ إنها التجسيد الأفضل للغربة المعاصرة.

قضية غراف فون سبي⁽³⁰⁶⁾ نموذج معتبر عن حجم الحذر والمكر لدى الحلفاء. يعلنون لجميع العالم أن رينوفن ولارك رويال في انتظار البارجة الألمانية عند خروجها من الميناء. ثم يتم إغراقها. كان رينوفن ولارك رويال على بعد آلاف الأميال من هناك. للاقتراب من تراجعنا السري عند بداية أكتوبر: شرع الألمان في التقدم وقد خدعتهم مقاومة بعض المراكز المتقدمة، غير أنهم وجدوا أنفسهم يتقدمون في الفراغ تحصدتهم طلقات الرشاشات. بالمقارنة مع حرب 1914، البطولية، الحرب بلعب مكشوف. فنحن سنخوض هذه المرة حرب النصابين والمخادعين، حربا ضد الشرف العسكري. لقد فعل الألمان الشيء نفسه، وأكثر: انتحار غراف فون سبي. قال هتلر لروخنيغ⁽³⁰⁷⁾: «ليس لي ما أفعله بالفرسان. والصّحف الفرنسية التي لا تحشاه على الإطلاق، كان لديها الجرأة لتتقدد موقفه السليبي من تحلي غراف فون سبي». لكن يجب أن نبقي أسطورة الشرف العسكري لبعض الوقت في أعتنا. والحقيقة أن الحرب تُحاضضه كما تم خوضها ضده في 1914. سوف يخرج منها منهارا إلى الأبد. يا

306 على إثر هجوم للحلفاء، لجأت هذا البارجة الألمانية إلى مونتيفيديو لأجراء إصلاحات أذاع الحلفاء إن هم على استعداد لإجراء الإصلاحات غير القبطان غراف فون سبي أيقن إن بارجته ضاعت لم يخرج من الميناء أغرق البارجة وانتحرف في 17 ديسمبر 1939.

307 الرئيس الأسبق لمجلس الشيوخ للدانترغ وصديق الفوهرر، هرمان روخنيغ أنقلب ضد النازية وهو مؤلف كتاب لقد قال لي التاريخ (كوبراسيون باريس) كتاب 1939 وكتاب ثورة العدمية (غاليمار 1939).

لحسن الحظ. من المؤكد أنّ هناك خدعات حربية، لكن هذه الخدعات لا تهدف إلّا لتدمير خدعات أخرى. ستتان أو ثلاث سنوات على هذه الشاكلة ومفهوم الشجاعة يتعلق بالسلم، مفهوم الجبن في الحرب. ويبدو أنّهم يرونها وعلى هذا المظهر من الضجر العديم الهية في البلدان الأخرى. كتب لي تلميذي كريستانسون من النرويج: هناك خطّ مانيرهايم يدافع عن هلسنكي. تذكر هذه المنطقة بحرب المواقع كما تعرفها أنت. وهناك نموت من الضجر على الأقل بالمعنى المجازي. أمل في الأثناء أنّ تأليف بعض الكتب يشغلك قليلا.

الخميس 21

مسحورا ببارنابوث. نبيل وظريف. شديد التأثير بـ أندريه جيد، الذي تتسرّب مواضيعه في الكتاب إلى حدّ العظم. حتّى كلمة ورع موجودة فيه. ونقد البريزين باسم الحياة: رفض الذهاب إلى أوفيزي والغياب بمتعة في الصّراخ. لقد تمّ تكويننا جميعا على هذه الطّريقة في السّفر. لقد قمنا بالتّدقيق كثيرا لزيارة باريو شينو بربشلونة، الحيّ المخصّص في هامبورغ أو ببساطة أحياء العمّال بترامستيفير، الذي قام الألمان بإحصاء المجموعات الموشّمة فيه قبل ذلك بعشرين سنة، البايديكر في اليد. نحن أيضا لنا بايديكر غير أنّها لا تُرى. وتلك الأسمية القليلة التي قضيتها بماخور في نابل أخذني إليه بحارة، حتّى ذلك كان سياحة عظيمة. في العموم، وجدت في الكتب وأجواء الوقت هذا التّزوع نحو ديمقراطية الأشياء ذات القيمة، أكثر من 35 سنة، من معارك الأفلام والفضائح المشينة-التي تضع نفسها تابعة لمعركة الرومنطقيّة لديمقراطية الكلمات. نفس العمل الذي كان يتمّ حوالي 1910 ضدّ غوبلنيز [مدرسة للمصوّرة] واللّوحات والعمارة النّادرة، وقد كان هو نفسه سنة 1830 ضدّ الكلمات المراجع القديمة. حين أتينا نحن كانت المعركة قد انتهت. لقد كسبنا حقّ التسكّع في مرافئ لندن، عوض الذهاب إلى الرّواق الوطني، حقّ الذهاب لرؤية الرّقص الشرقي في بوشبير بالدّار البيضاء، حقّ قضاء أيام كاملة في الحانات القذرة التي تحيط ببرلين. نسافر بشكل طبيعي. نبحث عن الله في كلّ مكان، دون أن ندرك ذلك النّبل الذي

غادر الناس ليلوذ بالكلمات، والكلمات التي تلوذ بالأشياء، المطاردة في كل مكان. هذا التّبل قد غاب عن العالم. ديمقراطية رأسمالية. لقد عثرت على كل هذا عند بارنابوث. وهو جيديّ بالأساس. رغم أنّي رأيت فكرة عنده بصدد التّشكّل ليست عند جيد وقد تحمّلناها كلّنا بعمق: فكرة أنّ للأشياء معنى. لابدّ من معرفة قراءتها. هذه الفكرة نجدها عند باريز، مفهومة جدّاً وعقلانية، بما أنّها تؤكد على القول إنّ الدّراسات الثقافية [بالألمانية في الأصل] للإنتاجات البشريّة، كانت مشحونة بالمعنى، وإنّ هذا المعنى يمكنه أن ينكشف للفنان. من المؤكّد أنّ هذا المعنى يتجاوز دائماً ما وضعه فيه الحرفيّ عن وعي، لكنّها لم تكن متأسّسة على المقاصد الواعية للمبتكر. كان هناك معنى لأينغ مورث [بلدة فرنسية سياحية بجنوب فرنسا] باعتبارها أينغ مرث، لأنّ لا لورين بلد مخدوم، معنى لطيطة لأنّ طليطة هي إنتاج التّطبيق العشوائيّ والدائم للتّبل الطليطي. ليس لحَيّ شعبيّ هو ثمرة الصّدفه والبؤس من معنى. أندرية جيد مشغول تماماً باحتلال أراض جديدة في الأدب ومنشغل أيضاً إلى أبعد حدّ بلذائذه الحسيّة، وقد أهمل هذا الجانب من المسألة. أحاول دون جدوى البحث في عمله عن مجهود للإمساك بهذه المعاني الهاربة والمنفلتة التي تقع خفية على سقف، أو في بركة. لكنّ الجيل الجيديّ عرف كيف يصنع القفلة. فالعمل الذي اشتغل عليه باريز بوعي حول بعض الإنتاجات الأرستقراطية، طبّقه الجيل الجيديّ على أيّ شيء من حوله. فبالنسبة إلى باريز طليطة لها مرّها⁽³⁰⁸⁾ وحدها. بالنسبة إلى مسافر 1925 ليس هناك شيء في العالم يمتلك مرّاً. يبحث عن بارنابوث عن المزاج الإيطالي؛ ينزل دوهاماي ذات مساء بكونولونيا، يحدث آرون عن رائحة كونولونيا. يبحث دو لاكراتيل عن مفاتيح مدريد.⁽³⁰⁹⁾ كلّ الوسائل جيّدة لكشف هذه الأسرار: تتساوى الأشياء الأشدّ فظاظه والأشياء الأفضل نبلا. يبحث بارنابوث مثلاً عن الإمساك بالمعنى الإيطاليّ في ما ينشده كبار الشعراء... المبادئ المسيرة لتوحيد إيطاليا [بالإيطالية في الأصل وهي حركة اجتماعيّة، سياسيّة ثوريّة في إيطاليا

308 دم، شهوة وموت شاربانتييه وفاسكيل باريس 1894.

309 جاك دولا كراتيل رسائل إسبانية غاليملار 1927.

بدأت سنة 1848]...، لكنّه يضيف: هذا أقل أهمية من اللون الوردى المتكدر في رسومات مرافئ نابلي. وجدت نفسي في بارنابوث، أنا الذي التهم المرطبات الفاقعة، البراقة لحلويات الكافليس، بالكاد تشممت بفمي هذه الرائحة الإيطالية للوردى المتكدر، للمنازل النابوليتية حيث الحيوية الحزينة والنتيسة لحدائق أعاليس جنوة تدفع للإحساس من خلال العيون. بالنسبة إليّ يوجد السرّ الإيطاليّ أيضا في كلّ شيء إيطاليّ، لمعجون أسنان بولونيا قرابة سرية بثر دانوزيو والفاشية [غابريال دانوزيو كاتب وشاعر ومسرحيّ إيطالي معروف توفّي سنة 1938 يشار إليه بالشاعر النّبيّ]. ما يجذبني عند بارنابوث أنّ هذا المنزع التأويليّ الهرمنوطيقيّ لا يزال متعلّما. يكتب معتذرا: إيطاليا هذه التي أريد أن أعرّ فيها على الصّيغة التّهايّة (عوض عوض تحسّس هذه التّوسيمات). .. لقد كدّست الكثير من الكلمات دون أن أتمكّن من جعل هذا المزاج الإيطاليّ جيّدا. لقد أنجزنا ما هو أفضل منذ ذلك الوقت - لكن لا شيء أنيق. يبدو ونحن نقرأ هذه الصّفحات أنّنا نميل إلى استشعار أدبيّ ساذج، مثلما نكتشف بعض أوصاف الطّبيعة في رسائل مدام دي سيفني. حتّى لاربو نفسه قام بما هو أفضل، ولكنّه لم يكن جيّدا تماما. بالنسبة إليّ دفعت هيجان السرّ - ضدّ باريز - في الغشيان إلى درجة الرّغبة في الإمساك بتلك البسمات السّرية للأشياء منظورة بمنأى عن النّاس. فرونكتين قدّام الحديقة العمومية، كان مثلي أنا تماما قدّام نهج نابلوتي: كانت الأشياء تثير عنده معنى، ولا بدّ من تهجية ذلك. وحين قرّرت كتابة قصص قصيرة، كان هدفي مختلفا تماما عمّا بلغته من بعد: لقد لحظت أنّ الكلمات الصّافية تدع مجالا لمعنى الشّوارع والمشاهد أن ينفلت - مثلما لاحظ ذلك بارنابوث. فهمت أنّه يجب تقديم المعنى وهو لا يزال ملتصقا بالأشياء، لأنّه لا ينفصل عنها تماما، ولإظهاره لا بدّ من الاستعجال في إبراز بعض هذه الأشياء التي تحتويه، وتقريب الإحساس بتساويهما، بما يجعل هذه القوى الصّلبة تتدافع، وتحمي في ذهن القارئ، مثل مسار يكسر مسارا آخر، ولا يبقى شيئا، في نهاية المطاف عند أفق هذه الموضي المبرقشة، سوى معنى خفيّ وعنيد، شديد الدّقة لكن منفلت إلى الأبد من الكلمات⁽³¹⁰⁾.

310 هذا ما عمل سارتر على الحصول عليه سنة 1951 في كتابه غير المكتمل حول إيطاليا

وللإفلات من الروابط المنطقية، في غياب الترقيم، يكون من الأفضل تجميع هذه الأشياء المتزجة ببعضها من خلال حركة مختصرة جدًا. عموماً؛ تمكنت من كتابة قصص قصيرة من النوع القريب من ك. مانسفيلد. كتبت اثنتين: واحدة حول الترويج، شمس منتصف الليل⁽³¹¹⁾، التي أضعتها فيما بعد وأنا أتمشى حاملاً سترتي في يدي وسط إحدى الهضاب الجيرية؛ وأخرى فقدتها تماماً كانت حول نابل: اغتراب⁽³¹²⁾ وفي النهاية قاذي المنطق الخاص بجنس القصة القصيرة، لكتابة الجدار والغرفة، اللتين لم تكونا أبداً ضمن مقاصدي الأولى. بإيجاز؛ لقد دفعت بالاتجاه نحو السر لدرجة نزع الصفة البشرية نهائياً عن سر الأشياء. لكن، أصرُّ على أنَّ الغالبية العظمى للأسرار هي بشرية. وأرى خاتمة تخمينات بارنابوث في الصفحات الهيدجيرية في أرض الرجال التي ذكرتها في دفترتي الثالث، حيث يقول سانت-إكزوبيري تقريباً: لا يكتسب أي من الأشياء معنى، إلا من خلال الحضارة، الثقافة، المهنة. نسجل بذاك عودة إلى فكرة الوجود في العالم، التي يصبح العالم بموجبها مركباً من المعاني، ممثلاً لهويته المفترضة، يترأى لي إذن أننا قلبنا صفحة جديدة في التاريخ الأدبي شعور الطبيعة. بارز أو الأسرار، جيد أو دمقرطة الأشياء. لاربو وكل ما بعد الحرب أو دمقرطة الأسرار. وأخيراً هذه النزعة الإنسانية الأكثر امتداداً لسنة 1939: عودة الحركة واعتبار المهنة أفضل عضو للإمساك بالأسرار. سوف أقول دونها تردد إنَّ حقبة لاربو، حيث يبدو أنَّ هناك حدساً فنياً للأسرار متاحاً لأي شخص أخلص النية، وساهم في التجريد الرأسمالي الذي تحدثت عنه بالأمس. فالإنسان الذي يلتقط الأسرار هو الإنسان المجرد، الذي يرتبط ارتباطاً جديداً بعالمه، في زمن انهيار البيت البورجوازي، وفرض الرأسمالية لشروطها، التي توزع الإنسان فيما يأتيه من عمل. ومن الواضح هنا حضور موجة نوستالجية نحو الفاشية. أعترف أنا نفسي أنَّ في

الملكة ألبيمارل أو السائح الأخير (طبعة بومستيم غاليمار 1991).

311 كتبها خلال رحلة سياحية للترويج رفقة عائلته سنة 1935.

312. مستوحاة من رحلة إلى إيطاليا رفقة سيمون دي بوفوار. أعمال روائية مكتبة البلياد غاليمار

1981 ملحق

تفكيرى الزاهن شبهة فاشية (التأريخية، الوجود-فى-العالم، كل ما يقيد الانسان الى وقته، كل ما ينبت جذورا فى أرضه، فى وضعه). غير أنني أمقت الفاشية ولا أستعملها هنا إلا بمثابة قبضة ملح نضيفها لفطيرة، من أجل أن تظهر أحلى.

هذه المعارضة للعامل عند سانت-أكزوبرى، على طريقة السائح المجرّد تشح بقدر من القوة، إلى درجة أنّ المسافر (أى بارنابوث) يمكنه أن يرى الورد البىض للبحر، ووحده الطيار يرى سُمّها. ومن المؤكّد أنّ الإنسان المثقف سوف يعثر على هذه المقاطع المباغطة حول صحراء أرض النار، لباريس عند سانت أكزوبرى، ولدى غيره من الكتّاب المعاصرين. وإذا لم يتبّه، فإنّه سيخطئ الفارق الأساسى، بالنسبة إلى بارنابوث، فإنّ الترويج، فرنسا، إيطاليا هى أراض وثقافات وُضعت قطعة بقطعة، وبسبب من جهودها، تبعث على الانفصال. لكن بالنسبة إلى سانت-أكزوبرى، فإنّ الطيار يحقّق وجوده فى العالم، من خلال فعل التحليق، حيث تظهر البلدان كوجّهات نهائية، يتحقّق عبرها موت الغرابة، فهذه الأماكن ذات الأسماء الساحرة: بيونس أيرس، قرطاجنة، مراكش، هى موضوعة بجانبه كى يستطيع استعمالها، مثلما هو الشّان بالنسبة إلى المسامير والمنجر فوق منضدة العمل. طنجة هى أولاً، مرجع، وسيلة توجيه، مركز إذاعة، ثم هى مستودع أمانات، مهمة محدّدة ضمن مهنة ما. فى الأخير؛ ما إن نقرب تفتّح الورد، وهامى المدينة الصّفراء والجافّة بها فيه من إسبانيّين بائسين ومتكبرّين، والقائلين الجميلين. لكنّها ليست هكذا، بهذه الرّقة، إلا فى الموضع الأخير، سانت-أكزوبرى هو مضادّ-بارنابوث.

الأشياء بشرية بالضرورة، ولا قدرة لنا عليها. تعلن الإنسان للإنسان. لكن لا يجب أن نفهم من خلال هذا، أنّ معناها البشرىّ ركّذ فوقها بطبقات متتالية، فى أثر الأجيال، فى أثر الحياة الفردية. يكفى أن، نوجد، أن نلقى بأنفسنا فى العالم مرّة، من خلال ثقب فى العدم، وإلقاء واقعنا-المفروض فى أفق الوجود باعتباره نموذجاً للتأسيس، حتّى يرسل لنا كلّ شيء، ويعلن لنا هذا الواقع-المفروض. لكن بكسر أشعتها بعلامته الخاصة. هكذا نتعلّم عن الأشياء. لكنّ المعاني البشرية الّتى نرسلها ثقيلة، وغنية بجوهرها الدّائى، ومن هنا فإنّ ما نقرؤه عن الأشياء لا يتوقّف فقط عند

كشفه لأنفسنا، فهذا يخلقنا. لا يجب الاعتقاد مثلاً أننا نحن شكلنا أولاً الطبيعة النفسية: رخاوة مأكرة ومحيّرة، حساسة تتدبّق بالافتخار المهتمّ وشهوة لاحتقار النفس، إلخ. .. وتشكيل اللّزوجة بعد ذلك كصورة جسدية للأسلوب الذهني. فهذا مدعاة للاعتقاد أنّ الصّورة دائماً استعارة، محجوزة في العلاقات المجردة، إنّ أخلاق الحكاية مهتأة قبل الحكاية. في الحقيقة ما إن ألقى بنفسي في العالم، ينتصب كلّ شيء أمامي بنظرة بشرية قبل أن أعرف كيف أستعمله، وأن أفهم هذه النظرة. تحيّرني اللّزوجة تلوليني قبل أن أتمكن من معرفة أنّه يوجد عند الناس حساسة متدلّلة ورخوة. ليس نمة هنا استشعار داخلي⁽³¹³⁾ [بالألمانية في الأصل] فيما بعد الطّبيعة، لكن بالعكس، هو قبل كلّ شيء شعور نفسيّ، قبل كلّ استشعار داخليّ تجريبيّ، تُقدّم اللّزوجة نفسها بوصفها صنفاً وجودياً، وتسمّمها الثّخين والصلصاليّ يوجّهنا نحو الآخر، بقدر ما ينفصل عن خلفيّة العالم البشريّ. بطبيعتها البشرية تتلقّى اللّزوجة الصّنف الشّكليّ والبراغماتيّ، بمقاومة للإنسان، بمسافة بين الإنسان والإنسان، بالوسيلة المعتمدة من طرق الواقع-المفروض للمحاق به. غير أنّ طبيعتها الخاصّة تتكفّل بالباقي وترسل لزوجة-بشرية. وهو ما يفسّر الاشتمزاز. الاشتمزاز هو اشتمزاز الإنسان من الإنسان. الطّفل الذي يضع يده في زفت لزج ويسحبها اشتمزازاً وهو يبكي، قام بتجربة بشرية؛ ليس لأنّه اشتشعر حساسة الإنسان من خلال اللّزوجة، فلم يجرّب إلّا شيئاً واحداً؛ لكنّ هذا الشّيء يسري في بنيته العميقة؛ فلها عمق غير متميّز اختلطت فيه آلاف الممكنات المبهمة والبشرية، آلاف الممكنات الخاصّة بذلك الطّفل. اللّزوجة مُلازمة. ومن هنا يصبح من السّهل الوقوع في التّأليه ثمّ في الإحيائية، لكنّ الطّبيعة ليست تأليهيّة ولا إحيائيّة. الأشياء ساحرة، لكن لأنّها ببساطة بشرية، فلا حدّ لها. تخفي معانٍ بشرية نستشعرها نحن دون أن نفهمها. ليس هناك حساسة مخفية في اللّزوجة لكن هناك فقط لزوجة-بشرية، لزوجة-من أجل - الإنسان، مرجع جميع الحساسات. واقع-مفروض لزج في أفق هذه اللّزوجة، وهذا الواقع - المفروض الذي لا نفهمه نحن. نحن بأنفسنا. إمكانيّة لزوجتنا في اللّزوجة.

إمكانية أن نصبح لزجين بأنفسنا - أن نستشعر في قلق، دون أن نفهم أصلا ماهية هذه اللزوجة. ومن هنا برزت ضرورة إجراء جرد إحصائي لهذه الأصناف الواقعية التي يأتي منها الإنسان ببطء إلى نفسه: اللزوجة، المرونة، إلخ، إلخ⁽³¹⁴⁾، سأقول بخصوص هذا الموضوع إنني لا أرى بوضوح ما كنت أحنّ فيه منذ مدة طويلة: ما قبل الجنس. يرى الفرويديون إن الحركة التي يقوم بها الطفل الصغير أثناء لعبه وهو يحفر حفرا ليست بريئة على الإطلاق. تلك التي تتمثل في دفع أصبعه في ثقب باب أو ثقب حصان. قاربوها من تلك المتع الغائطية التي اتخذها الأطفال شبيهة بحقن شرجية. وقد أصابوا في ذلك. لكن يبقى أساس السؤال ملتبسا: هل من الضروري ربط كل هذه التجارب بالتجربة الوحيدة للمتعة الشرجية؟ يهمني أن أشير إلى أن هذا يفترض تخميننا عجيبا للغريزة، لأن الطفل الذي لا يفرج عن غائطه من أجل الاستمتاع أطول وقت بالتبرز لا يعلم أن له شرجا، ولا أن هذا الشرج يشبه شيئا ما الثقب، أين يحاول أن يبلج أصابعه. بمعنى آخر يُصرّ فرويد على القول إن كل الثقوب مشابهة للشرج رمزيا عند الطفل، وتجذبه هذه القرابة بينهما - أما أنا فأتساءل، أليس الشرج عند الطفل موضوع غلمة لأنه حفرة. فمما لا شك فيه؛ أن ثقب المؤخرة هو الأكثر حيوية مقارنة بغيره، إنه غنائي، يتغصّن مثل حاجب، ينكمش مثل حيوان جريح، يسترخي وفي الأخير يفغر عن فمه، منهزما وجاهزا للإفراج عن أسرارهِ، إنه الأتري والأخفى من بين أشباههِ، وهو كل ما نرغب فيه، لن أمانع إطلاقا أن يؤلف الفرويديون أناشيد حول الشرج، لكن لا يعني ذلك أن عبادة الثقب سابقة على عبادة الشرج. وأؤكد جيدا أنه يهّم شيئا فشيئا الجنس، إذ أتخيل أنه ما قبل جنسيّ أولا، أي أنه يتضمن الجنس في الحالة المتغايرة ثم يتجاوزها. أعتقد أن المتعة التي يجدها الطفل في الحفقات الشرجية (كثيرون أولئك الذين يلعبون لعبة الطبيب لمجرد الظفر بهذه المتعة. أنا نفسي، لديّ ذكريات قديمة في هذا السياق: ترفع جدتي ذراعيها للسماء وهي تفاجئني في غرفة النزل بسيليسبرغ بصدد إعطاء حقنة لطفلة سويسرية صغيرة في ندي) ما قبل جنسية. متعة إيلاج ثقب. ووضعية إيلاج ثقب، هي نفسها ما قبل جنسية. نفهم من

314. انظر الجزء الرابع من الوجود والعدم الفصل الثاني: "عن النوعية بوصفها كاشفة للوجود

خلال هذا أنها ليست نفسية ولا تاريخية، لا تفترض روابط مُحَقَّقة أثناء التجربة البشرية بين الفتحاحات ومُتَعَنّا. لكن ما أن يولد شخص ما، فالثقب، الثغرات، كلّ الحفر التي تحيط به تصبح بشرية. العالم مملكة من الحفر. بالفعل أرى أنّ الثقب مرتبط بالرّفْض، بالإنكار وبالعدم. الثقب، هو أولاً ما ليس موجوداً. هذه الوظيفة العدمية تنكشف من خلال عبارات سوقية من نوع: ثقب مؤخّرة بلا أرداف، التي تعني العدم. معاملة عدوّ بثقب مؤخّرة بلا أرداف هو ما يعني تحويله إلى عدم. جعله عدماً أحق، صفراً. فمن الطّبيعي أنّ الأرداف تشكّل حواف الشّرح في المخيلة الشعبيّة. بل أشير أيضاً أنّ الأذهان مأخوذة بفكرة عمق الثقب، تتحدّث عن بئر الحماقة وحماقة بلا عمق. ثمة هنا التباس مغري، جدل المنتهي في علاقة بالآ منتهي: نريد أن نعثر في كلّ ثقب عن عمق ما - بما أنّ له حوافاً- لكن من جهة أخرى فالعدم لا منتهي، بما أنّه محدود بنفسه فقط. هناك إذن جاذبية للعدم، جاذبية للالتباس. من هنا لعبة الاختباء. الدّخول في مغبأ، فهو التّواري في ثقب، التّحوّل إلى عدم، التّطابق مع الفراغ الذي يمثّل الثقب. الحماية الدّاتية كما يقولون. بالانسحاب في اللّامرئيّ نحتمي أنفسنا بالتّحوّل إلى عدم. هكذا يتّضح أنّ عدم الثقب هو عدم الإنسان، موت وحياة في الوقت نفسه، إنكار ما هو اجتماعي. رأيت ذات يوم أمّا فرويدية تحضن بعين حنونة ابنتها المختبئة تحت الطّاولة. لقد ذهب في ظلّها أنّ تفضيل الطّفلة لهذه المخابئ المعتمة هو حنين للعودة إلى حالة ما قبل الولادة؛ شعرت بالافتخار كما لو أنّ الطّفلة تطرق الباب للعودة إلى أصلها الحميمي. أفترض أنّها كانت مستعدّة للإفراج عن ساقبها. غير أنّه مجرد كلام فارغ. تنبع دوخة الثقب ممّا يقترحه من تحوّل إلى العدميّة، يتهرّج من الافتعال. إنّهُ هو هذا العدم المغري فيما نسّيه فعلياً الدّوخة. الهاوية ثقب، تقترح الابتلاع، وغالباً ما يغري الابتلاع، مثل التّحوّل إلى عدم تصبح تأسيسه الحقيقي. من الطّبيعي أنّ إغراء الثقب يكون مصحوباً بالتّدافع والقلق. غير أنّ عدم الثقب ملوّن، عدم أسود وهو ما يستدعي إلى الدّهن طبيعة أخرى. طبيعة الثقب غامضة. وهو ما يمنحها صفتها المبهمة، العجيبة والمقدّسة. ولهذا السّبب بالضبط لأنّها غامضة، هي تُخفي. ثقب النّهار، هي شقوق اللّيل. هناك شيء ما في عمق اللّيل. الثقب مقدّس لأنّه

يخفي. بل هو المناسبة للتواصل مع ما لا نراه. الوضعية اللافتة لشخص بصدد التفتيش في ثقب: أنّ يديه تصطدمان بأعداء ليس بإمكان عينيه رؤيتها. فعيناه مازالتا في ملكة النور، لكنّ جزءاً كاملاً أعمى منه هو الآن في الظلمات. لقد لاحظت في السابق أنّ الثقب غالباً ما يكون مقاومة يجب ممارسة القوة معه للعبور. من هنا، هو أنثوي. مقاومة للعدم، أي الظهر. ومن البديهيّ أنّه انطلاقاً من هنا يغري بالجنس (إرادة القوة، الاغتصاب، إلخ) لكن، في نفس الوقت ففي فعل الإيلاج، الذي هو اغتصاب، ثقب، نجد الفعل العامل لسدّ الثقب. يعبر الطفل الذي يحشو أصبعه في ثقب عن سعادة كبيرة ملء هذا الثقب. كلّ الثقب بمعنى ما تغري بشكل غامض أن يتم ملؤها. هي نداءات: ملء، انتصار الامتلاء على الفراغ، انتصار الوجود على العدم. يتعلّق الأمر هنا بفعل حرقيّ. التعبير سدّ الثقب، وسداد-ثقب، يشير الانشغال البشريّ بتحقيق الامتلاء - في تقابل مع دوخة التحوّل للعدم. سدّ ثقب هو تحويل الفراغ إلى امتلاء، ومن هنا، الابتكار السحريّ للمادة التي تحتوي كلّ صفات الجوهر المثقوب. إذا سدّدت بالتراب ثقباً في حائط آخر، فقد صنعت الأجر بالتراب. من هنا الميل لسدّ الثقب بجوهره الذاتيّ، وهو ما يؤدي إلى التطابق مع الجوهر المثقوب، وفي النهاية استعارة. الطفل الذي يلج أصبعه في حفرة في الأرض هو نفسه ذلك التراب الذي يسدّ، يتحوّل من خلال أصبعه إلى تراب. في عمق شعورته نعثر على فكرة حرفيّة الدمج، طابع بدائيّ للضرورة. جسدان يندجان إنّما خلّقا لبعضهما. يؤدي الدمج إلى الانصهار بشكل سحريّ. نلاحظ أنّ طبيعة الثقب، ما قبل جنسيّة تنكيّف بشكل كبير مع استقطاب الجنس. حين يتمكن الطفل من التكمير إنّهُ هو بدوره ثقب يتم إيلاجه، عكس ذلك بإمكانه هو أن يلج ويسدّ بلحمه الخاصّ ثقباً بجاً مخفياً في جسم حيّ. لكن نرى أنّه بدلاً من أن يمنح الجنس في علاقته بالثقب، الجاذبيّة للطفل، فإنّ الطبيعة التصنيفيّة للثقب تختزل في أنواع الثقب الجنسية، الفرج، الشرج، الفم إلخ. وهذا لا يعني إطلاقاً أنّ الثقب لا يكون في حدّ ذاته موضوعاً جنسياً، لكن لا بدّ من ملاحظة (1) * أنّ هذا الجنس غير مميّز، بل هو متأسس من مجموع الميولات البشريّة ومن الموقف البشريّ من الثقب؛ (2) * أنّ هذا الجنس لا يتوجّه بالأساس إلى

الثقب بشكل اشتقاقى ويسب تشابه مع الشرج ولكن باعتباره مكتونا لبنيته نفسها. الثقب عضو أنثوي وغامض للطبيعة، منير على العدم، رمز الرفض الطهري والمغتصب، فم الظل الذي يتلغ ويشابه، يرسل إلى الإنسان الصورة البشرية لإمكانياته الخاصة، مثل اللزوجة، مثل التفتية. من الممكن أن يكون هناك تلذذ بشري للماء ثقب - ولا يكون ذا طابع جنسي، كما هناك تلذذ بشري في كشط مادة مفتتة واستخراج أجزاء منها. لقد جعل الفرويديون من أنفسهم شعراء الثقب الجنسيين لكن لم يفسروا طبيعة جاذبية هذا الثقب. للقيام بذلك لابد من رؤية ظل الإنسان معكوسا في شقوق الطبيعة، وثغراتها⁽³¹⁵⁾. أخبرني الكاستور أنها قد عانت رعبا رهيبا وهي تقرأ كتابا، أعتقد أن عنوانه المهرول في الدغل⁽³¹⁶⁾. وفيه حكايات رهبة ومنها، ما يمكن أن نتأمل فيها هذه القصة التي تضع في التور خصائص الثقب: اكتشف سجينان مدخل نفق ضيق ومظلم، استطاعا ولوجه وهربا، وهما يزحفان على أربع، وبدأ النفق يضيق بقدر ما يتقدم فيه الفأران، وفجأة وجد السجين الذي يتقدم في الأول وكان مستمتعا وودودا، نفسه محاصرا بين العوارض لا يستطيع التقدّم والتأخر، وفي هذه الأثناء ظهر بوا [أفعى ضخمة جدا] وابتلعه بالكامل، رغم صرخاته اليائسة. طبعاً السجين الثاني هو الذي روى الحكاية وقد شهد ابتلاع البوا لرفيقه السيئ الحظ. كل رعب الحكاية الذي منع الكاستور من النوم في الكثير من الأحيان متأّت من أنّ الأحداث وقعت في ثقب. من المؤكّد أنّه لأمر فظيع جداً أن يتلعنا بوا، لكن حين تتمّ هذه العملية في الهواء الطلق، فيمكن تصنيفها ضمن الأعمال الشنيعة التي تتناسل في كتب الصبيان الصغار التي يقرؤونها بعيون باردة، وهم يتناولون خبزا مطليا بالمرّي. هذه الأحداث توقظ القلق المترج بالزعب وبالغلمة في هذا الثقب. ما الداعي للبحث هنا عن حكايات المؤخرة؟ فالفصل يتحدث بنفسه عن نفسه. أليس ذاك هو جوهر الثقب. هذه الفتحة المظلمة التي

315 نفس المرجع السابق.

316 المهرول في الأدغال للويس جاكوليو صدر عن ماريون وفلاماريونسنة 1888تم ذكره في مذكرات

شابة مرتبة سلسلة فوليو غاليمار صفحة72

نغتصبها، وتمنح نفسها أولا، التي هي عدم وليل، ثم تنغلق ثانيا ببطء مثل قم، مثل عضلة عاصرة وتحتوي على شيء ما عميق بداخلها، وتخفي -ماذا؟ فتحة أخرى موهوبة بقوة مفترسة ومحولة للعدم، بوا. ولست أعرف إن لم يكن في عمق ارتعاب الكاستور تلذذ غامض، لأن هذا الابتلاع مشفوع بالإزدراء، فإن هذا الشخص المبتلع بيداته من طرف قوى الظلام، ففي هذا شيء من الرضا للذهن وللقلب.

بطبيعة الحال، فإن ما حاولت القيام به بخصوص الثقب، يمكن القيام به بخصوص العشرات من الأشياء ما قبل الجنسية، بخصوص الإصبع، بخصوص الوضعيات (وضعيات بعض الأشياء بالنسبة إلى غيرها، تجميع، تراكب - وضعيات متصارعين، وضعيات محاربين، وضعيات لاعبين وأخيرا الوضعيات المتبادلة بين المرأة والرجل خلال ألعاب الحب) لقد أردت، فقط التنبيه للأصل البشري لمعنى الأشياء، نفهم من خلال هذا أن الإنسان ليس فقط سابقا على معنى الأشياء، ولكن أن العالم بشري، وفي العالم البشري وحده يظهر الإنسان. ولتؤكد هنا بالفعل أن الزوجة لا تكون في بدايتها مطلقة، ثم تؤول إلى بشرية، ولا يكون الثقب في مقابل ذلك ثقباً، ثم يؤول إلى عدم غامض، قوي مبتلع. من حدث واحد يتكون كل هذا باعتباره أشياء طبيعية وبشرية، ففي غياب الإنسان وقدرته على التحول العدمي، لن تكون هناك لزوجة ولا ثقب، لن يكون هناك انشراح بالامتلاء المتغير. بعكسه لعدمه في هذا الامتلاء يشير الإنسان من خلال الإنكار، إلى أن هناك ثقباً وهذه الثقب هي ثقب - من أجل - الإنسان⁽³¹⁷⁾.

زارنا هذا المساء سائق العقيد كلاين. فقد تناهت أصواتنا المتعالية إلى سمعه وأغرته بأن يكون معنا، همست في أذن صديقنا بياتر، أن لضيفنا طبعاً نساءً، ولم يرقه ذلك. وجدنا بيننا الدفء، والضوء، وأكرمناه بقطعة من الكعك، فامتعنا قصصاً. إنه أول

317 كتب سارتر في رسالته إلى سيمون دي بوفوار بتاريخ نفس اليوم: "لقد عثرت أيضاً على نظرية للعدم بقراءتي لكيركيغارد عمل جيد. اعتقد إن دفاتري الصغيرة هذه أفضل بكثير، لأنها أكثر فلسفية؛ لكن بدون تلعثم" (يلمح للدفتري الرابع وهذا الدفتري الذي هو يصدد الكتابة فيه، الدفاتر الثلاث الأولى هي بحوزة الكاستور).

شخص ألقبه، ممن تسنى لهم مشاهدة وضعيّة القرى التي تم تهجير سكّانها، عن كتب. ذات يوم؛ وأثناء توقّفهم في إحدى القرى الحدوديّة، وبينما كان العقيد يتفقد المدفعيّات، طلب من أحد العرفاء أن يفتح له إحدى المنازل ليطلّع على حالة الأثاث. وما رآه يستدعي التأمّل: مرايا الخزائن مهشّمة، أثاث مكسور بالبنادق، ملابس منهوبة - تلك التي ما كان بالإمكان حملها فتمّ تمزيقها. قراميد السقف مكسّرة، لا أثر للأواني. احتسى الجنود ما شاؤوا في الأقيّة وحين ثملوا وما عاد باستطاعتهم مواصلة الشرب تركوا حنفيّات البراميل مفتوحة. القبو فاض بالخمّر. «آلة خياطة مكسّرة إلى قطعتين بضربات الفأس؟ رغم أنّها كانت من المعدن المذاب». قال كلاين ذلك، بأسى بالغ. عاد منذ زمن قريب بعض المهجّرين إلى قريتهم وبعض القرى المجاورة برخصة لمُدّة 24 ساعة ليحملوا بعض الملابس. انخرط أغلبهم في البكاء وهم يخرجون من بيوتهم يائسين؛ لم يعثروا على أيّ شيء. قدّموا شكايات لأمر الجيش. لكن ما العمل؟ لا يتمي المسؤولون لفرقتنا، ولا للفرقة التي سبقتنا. هذا يعود للزمن الأوّل لبدايات الحرب. كما قال بيتر بالضبط، تمّ ذلك في وقت كنّا نعتقد فيه أنّ الحرب ستكون كارثة. اندفع الجنود للنّهب، معتقدين أنّه بعد قصف المدفعيّات، سوف يمتّحي كلّ أثر للنّهب، وأنّ المنازل سوف تنهار. ثمّ، ما قد صارت الحرب مللاً متواصلاً، انتظاراً طويلاً ومقيتاً، ومنازل قائمة، منهوبة ومكتومة، قال أحد العرفاء: «هذا غير ممكن، غير ممكن إعادة المنازل بهذا الشّكل لأصحابها، سوف يحدث هذا الأمر اضطرابات. لا بدّ أن يقولوا لهم إنّ البوش هم من قاموا بالنّهب. ولتصديق هذا لا بدّ للبوش أن يهاجموا». يبدو أنّ الضّباط يعطون المثل. تمّ تفرّيع عربات بهرليشايم على أساس أنّها مشحونة بعناد معطوب: واتّضح أنّها مملوءة بملابس، آلات خياطة، أواني فضيّة. من المستحيل معرفة ما إذا كان هناك مدنيّون يأتون للتزود بأشياء ساخنة قد شاركوا في النّهب. فلديهم إذن بالعبور فقط لاشيء آخر. من المستحيل معرفة إن كانوا يكتفون بالدّهاب لبيوتهم فقط أم يدخلون بيوت جيرانهم الأثرياء أيضاً. وحده رئيس البلديّة يمكنه أن يكشف عن ذلك، غير أنّ رئيس البلديّة، غير موجود، فهو بليموزين. تحدّثنا عن سترازبورغ. قال إنّ أعوان

الأمن هناك بالعكس، منظّمون جدّاً ومتشدّدون. اختفى شيخ أصيل من هناك بائع مطّريات في بيته ورفض تهجيريه وبقي وحده في القرية، مكتفياً بالمعلّبات غذاء له. وفي ذات ليلة تَجَرَّأ وأضاء غرفته. انتبه أعوان الأمن الذين يقومون بجولة مراقبة للقُصُوء المنبعث من الغرفة فنادوا وصاحوا ولم يجيبهم الشَّيخ.. صاحوا ثلاث مرّات والشَّيخ أخرس لا يردّ، خائفًا من أن يقوموا بتهجيريه بالقوّة. في المرّة الثالثة حين لم يتلقَ أعوان الأمن أيّ ردّ شرعوا في إطلاق النّار، ومنذ الطلقات الأولى سقط قتيلًا.

الجمعة 22

ذهبت للحجّ في بيفافينهوفن، مهد عائلي من أمي، إن لم تخنّي الذاكرة. لقد قضيت فيها عطلة صيف 1913 عند خالتي كارولين بيدرمان⁽³¹⁸⁾ التي تمتلك مغازة لبيع الملابس الجاهزة، وهي أغنى من في المدينة (بالمناسبة، كيف لجدي المتغطرس جدّاً بخصوص النّبل الثّقافي، أن يقتنع بالزّواج غير المتكافئ لأخته؟). أتذكّر بشكل غامض، أنّي شاهدت، بتلك المناسبة، الالتماع الفصيّ لفيلق ألماني يمرّ من تحت نافذتنا بموسيقى المزمار المتنافرة والحادة. بيفافينهوفن؛ حدثت لي أوّل ذكرى أدبيّة. كتبت رواية مغامرات، من أجل فراشة، جالسا على مكتب وقد أعطيت ظهري للنّافذة. كان الورق الذي أكتب عليه مرتّبًا بشكل جيّد: كانت تحريزات أكثر منها سطورا: كلّ ستيمرتين خطّان متوازيان مسطّرين بعيدين بربع ستمتر عن بعضهما، ومهيّأين لتحديد مجال خطّي التلمذي من الأعلى ومن الأسفل، أرسى هذا في داخلي شعورا سيّئًا بالبخل. كنت أقنتي هذا الكرّاسات الصغيرة من عند روزينفلدر⁽³¹⁹⁾، ورّاق بائس كان دكانه قبالة المغازة الكبرى لبيادرمان، كان يوفّر لي أيضا أقلاما وحلوى. وقد أرسى كلّ هذا علاقة غريبة في داخلي بين الأقلام والكرّاسات

318. أخت شارل شويتزر جد سارتر من الأم.

319 سيدخل شيء من الضطراب على هذه الذكرى فيما بعد: حين يكتب سارتر الكلمات. فروزنفلدر هذا سيتحول إلى يقال يسميه بلومنفلد (هذه الوراقة بلافتة "روزنفلدر" ما زالت موجودة إلى اليوم الذي نكتب فيه هذه التدوينة.

والحلوى التي حين أمضغها أشعر أنني أمضغ الأوراق. كانت هذه الحلوى في قلبي، مملّة بشكل خفيف، والأكثر من ذلك أنها كانت جذابة، حلوى العمل. كنت محشورا أغلب الوقت في هذه الوراقة وخالتي كارولين التي كانت بقرة عجوزا تشير لي بردود فعل سيئة: لا تزعج السيد روزنفلدر، بشراءات بالقليل من بفينغ [جزء من المارك الألماني]. للحقيقة؛ حسب ما أذكر أن السيد روزنفلدر، أصلع وحريص، بنظارتين، لم يكن الشخص الذي يهمل بعض البفينغ. عدت صحبة جدّي بعد الحرب إلى بفافنهوفن بين 1920 و1921. كانت الحالة كارولين سيئة دائما. أذكر أنني كنت ألاعب ابن أختها الصّغير تيو في الحديقة، وابنة زوجها التي كنت أشاركها العزف على البيانو، وابنتها آنا المحنية الظّهر التي كانت تعلّمني أن أنطق³²⁰، لتستمتع بنطقي الفرنسي. أذكر أيضا جولة في قصر ليختنبرغ في عربة يجرّها حصانان. وفي طريق عودتنا تناولنا الغداء في مطعم شعبي: أكلت ابنتا خالتي ماتيلد وأنا كثيرا، على الطّريقة الألزاسيّة، ما جعل روائح الطّعام تلوّن وجهيهما. صدمني ذلك أو لعلني، كنت أريد أن يصدمني ذلك: كنت في عمر من يفعل وحده مثلما يفعل ألن فورنييه، حيث، شعر أننا رقيقون لأننا نطالب من النّساء لطافة غير واقعية، وهو ما يسمح، إن كنت جيلا ومطلوبا من الآخرين أن تظهر قاس جدا ومدلّلا معهنّ، كي يدفعن غالبا ثمن إثمهنّ إنهنّ من لحم وعظم، وإن كنت وغدا أن تقرأ لافورغ بمرارة كريمة.

لقد جرّبت هذا النّوع من الرّقّة وفشلت فيه. كان اتّجاهها ممكنا. واتّخذت أنا ويول نيزان الاتّجاه الآخر تقريبا، عبادة الجسد. أتذكّر أننا نستمتع من خلال موقف أيضا- بكليني حين نشاهد شقراء صلبة تمزق بأسنانها الجميلة ساندويتش باللّحم البارد. كان بإمكاننا أنا وهو أن نكتب مثلما كتب لاريو: أرى أنّ هناك أشياء رائقة أكثر من مشاهدة امرأة جميلة بتّورة قصيرة تأكل بشهية فائقة لحما طريا جيلا. "وربّما كان هذا النّصّ القصير منطلق محادثاتنا المتعدّدة بخصوص هذا الموضوع، في تطابق مع عقلايتنا: الجسد هو الجسد، نعشق جسد المرأة، وعليّنا أن نتقبّله كاملا، ليست هناك

320. كلمتان من الدارجة الألسانية ربما تعنيان: دمية وضلع.

321 في بارنابوث يومياته فلورنس. الأحد 30 أفريل.

عيوب جسد. لا كلُّ مُتَبَلِّ بوسم وثني، طبعاً: كانت تلك الحقبة التي كنّا نقرأ فيها أناشيد الجسد لمونترلين. بطبيعة الحال؛ كنّا غير متيقّنين أن نقع، من حين لآخر، في اللياقة الملائكية وذكرى المرأتين بوجتيتها الملتهتين، هو ما أستدعيه في مثل هذه الحالات. كانت تصلح لي كضمان-ذهبي من أجل أحكامي. لأنّ همّي الوحيد في تلك الحقبة، بما أنّي أبني بسرعة أكثر مما أوّسس، أن أوّمن لي في كلّ حالة أنحدث عنها ذاكرة - ضماناً. أضحكت كثيراً، سنوات بعد ذلك السيدة موريل، بإعلاني لها من خلال نبرة قاطعة، أختصّ بها ويسمّيها غبي نبرة فريدريك³²²: أمقت النسوة اللواتي يحمررن حين يأكلن. هذه كانت ذكرياتي الوحيدة المتبقية من بفافنهوفن. اعتقدت أنّي مجبر للحجّ إليها، لأنّني كنت آمل قليلاً أن يكون هذا الاتصال المفاجئ بمدينة عشت فيها لوقت ما، سحابة من الذكريات. ثمّ إنّ ذلك يجعلني شاعرياً، هذه المدينة الصغيرة المتوارية في عمق ذاكرتي مثل مدينة ييس [مدينة أسطورية في بريطانيا ابتلعها البحر] (أعتقد، أنّ هناك عملاً ضخماً في هذا الشأن لرينان³²³). كان الأمر متعلّقاً بجلب أسطوانة هيدروجين لمؤسسة المناطيد، ورجوت من بول أن يرسلني لجلها. ندمت على اتّخاذي لهذا القرار هذا الصّباح قبل أن أمضي، لأنّني ببساطة يجب أن أستنهض نفسي بالقوّة لأعادر مضجمي. ثمّ لا بدّ، أن أضع القبّة وأحلّ البندقية وهذا يكدّرني. فليست هذه هي الأكسسوارات التي يحملها معه الحاجّ، يجب الاعتراف بهذا، كنت مغتاضاً أن أرفض المهمة في السّاعة الشّاعرية لإفطاري الصّباحي. انطلقنا ثقلنا شاحنة أنا والضخم غرينر. كنت جالساً حذو سائق الزّاسي أربيعيني، بشارين، وكان غرينر في الخلف. طقس شديد الرّوعة، تماماً كما قال جوزيف بريدوم دي كورسي، مع ضرورة أخذ النّفس للفصل بين الجمل، حين نتكلم طريقة لتمييز بوناوم ورجل ضعيف [يشير سارتر هنا على الجناس في كلمة homme

322 تلميح للبطل الروماني الذي كتب عنه سارتر في شبابه الصفحة 177 التدوينة1

323. "غالبا ما يترأى لي إن في أعماق قلبي مدينة ييس مازالت تدق أجراسها المصرة على استدعاء المؤمنين الذين لا يسمعون لأداء الواجبات المقدسة (...) خاصة باقتراب المشيخوخة، لقد غنمت من متعة حلال راحة الصّيف يقطاف هذه الأصوات المتباعدة لأتلاّنتيد مفقودة "ذكريات الطفولة والشباب 1883 (الأعمال الكاملة المجلد 2كلان-ليني1948).

وسوابقها من الصفات *prudhomme* - رجل محتشم، *bonhomme* رجل طيّب، تطبيق مهمل يقرب الجملة الواقعة بين معقفين ويدفع إلى سماع ما يجب سماعه، لكن ليس ما يفكر فيه المتكلم - هذا موضوع للبحث من زمن موسيقى بيتهوفن. الكلمة عند كورسي هي الدواء الأفضل ضد التفكير. كانت الأرض شديدة الصلابة شبيهة بالصخر، محفرة وصفراء، بيضاء بالثلج. شمس ساحرة، شاحبة تضيء القرى التي تستيقظ على مهل، ايرباخ، شيوغوسن، نيدرمودرن، كان هناك في الحقول العديد من أحصنة بيرشيرون [نوع من الأحصنة الفرنسية المتميزة بقوتها] المشدودة لعربات المدفعية، غير أن الأرياف تأخذها لحسابها بتحويلها إلى أحصنة حراثية، وتحويل الجنود إلى فلاحين. ريف شتائي جاف وحاد، كانت الحرارة أقل من تسع درجات. لم أكن أعرف شيئا. عثرت على مقهى للرصد الجوي ينطلق عند المساء في رخصة ويوزع الشنابس. وهو ما دفع بي أن أهب مشروبي، وكذلك غرينر والسائق أيضا. وهنا وجدت نفسي خلف شباك مؤسسة الأرصاد الجوية التابعة للجيش. احتسنا الروم. خرجت ثملا شيئا ما، وتسكعت في بلدة كبيرة، ثرية لكن حزينة، لم نعن لي أي شيء. اختفى كل هذا الماضي ولا شيء قد يبعثه من جديد. اشترت مناديل - إسفنجية للقائد أورسيل، دفاتر مراسلات للملازم أولريخ. عند منعطف الشارع وجدتني أمام مبنى ضخم بلون الصلصال متداع، بأسقف من الأردواز في شكل أبراج صغيرة ومستتة: إنها مغارة بيدرمان. هنا أيضا ألجمت ذاكرتي. دخلت، في الجهة المقابلة، حيث روزنفلدر واشترت ورقا كما في السابق. تم تحديث المحل، لكن لا يظهر منه الشيء الكثير، كان شديد التكتّم على طريقة المغازات البروتستانية، لكن ممتلئا بالكثير من الأدوات اللطيفة، دفاتر جميلة، كتب، أقلام... لكن، لا أثر للحلوى. حين خرجت عبثت قليلا قدام مغارة آل بيدرمان. لقد توفيت كارولين، وماتيلد أيضا، من المؤكد أنه تم تهجير أنا (فهي تعيش بسترابورغ. وتم تجنيد تيو، دون شك. وحده الشيخ جورج بقي هنا، وهو عادة ما تتحدث عنه العائلة وهم يمسون جبهاتهم بأصابعهم، لم أرغب في الدخول، رأيت أشكالا، وجه امرأة ظهرت فجأة والتصقت بالنافذة؛ لا أعلم لماذا بدا لي هذا جارحا - لمدة ثانية. دون شك؛ هي الرغبة الرمزية

للولوج، ورؤية مدنيين منشغلين بشؤون مدنية، وأن انغمس في القلب المعتم والرقيق
للسلم، للحديث مع امرأة ما. باختصار بي رغبة أن انصرف من هنا. عدت للمقهى
حيث ينظرني غرينر. سلمتني مصلحة الإرشاد كتلا من الجرائد ومنها لالومياري (324)
بعدد 15 ديسمبر، أين كتب إيميل بوفيه (325): أشك أن يصبح السيد سارتر يصبح
روائيا كبيرا، إذ يبدو أنه ينفر من الاصطناعي، وفي الاصطناعي يكمن الفن. يُخشى
إنه، إن أخذ الأمر بجدية بالغة، فوسائل التعبير التي يمتلكها، من الضروري أن
تكون مغشوشة، لن يتخلّى عن الأدب لصالح الفلسفة، التصوّف أو التبشير
الاجتماعي.

تركني هذ الرأي مبهوتا: لم أكن أنتظر على الإطلاق أن ينسبونني إلى التصوّف.
وفيا يخصّ التبشير الاجتماعي. ليطمئن السيد بوفيه. وأي فكرة غريبة هذه التي
شكلها عني، إذ اعتقد أنني أنفر من الاصطناعي. والله، إنّي لأعلم جيّدا، أنّه لا بدّ من
الكذب في الرواية لتكون حقيقة. غير أنني أحبّ هذه الاصطناعية، فأنا كاذب
حسب الذوق، وإلا لم أكن لأكتب إطلاقا. لقد أزعجني رأيه قليلا، لاسيّما أنّه قد
تناسب مع إحدى هذه المصادفات التي تعودت عليها، فهذا الرأي جاء بعد ما
وصلتني رسالة من بيانكا تقول فيها إنّ ليفي يفضّلني روائيا على أن أكون فيلسوفا،
لأنّه ينقصني الخيال. في مقطع آخر من هذه المقالة يتقدّم السيد بوفيه نسياني أنّ
الرواية تسلية. هو الذي قال هذا. إنّي لاتفق معه أن يكون موضوع الرواية غير
واقعي. لكن لا بدّ أن تكون هناك منفعة أكبر من أن نخلص إلى أنّ الرواية، تسلية في
ذاتها. هو نفسه في فصل مدائح يعلن أنّ في كتيبي سمك جميل للحياة معروض في
انعدام حياة هادئ. جملة ضايقتني أكثر من كلّ ما ورد في هذا المقالة: «حين نتحدث
عن سمك حياة أفكر في رابليه، والكرش الذهبي لغروميلينك» (326)، ماذا أعرف؟

324 الأسبوعية الاشتراكية لجورج بوريس وجورج كميول.

325. أستاذ وناقد أدبي

326 أخرج لويس جوفي هذه القطعة المسرحية لحساب كوميديا الشان إيليري سنة 1925 فرناند
غروميليك (1886-1970) مؤلف الكوكي البدع.

عن الحياة عندي، غير أنني مثلاً شخص كتيب مثير للضجر. شخص خشن بخيل؟ وليس لانعدام حيائي أي هدوء. بل هو ليس أصلاً انعدام حياة. - عند هذا الحد دفع غرينر ثمن ما احتسبناه، ودفع السائق دورة ثانية، ثم جاء دوري لأدفع أنا أيضاً وعدنا مبتهجين. الزيف أصهب، والشمس أكثر اصفراراً. إنه منتصف الليل. لا أفهم جيداً هذه السمعة التي منحوها لمنتصف النهار، بحجة أنه لا يعطي ظلالاً للأشياء³²⁷، العدالة الحقيقية، عدالة الذهن المتنافرة، تلك التي تكون عند الصباح الباكر. بعودتنا إلى مورسبورن، شبه متعنتين، مستغربين بشكل غامض أننا سوف نقضي ظهيرة كاملة بهذا الشكل، تأسفت بمرارة على عدالتي المبتهجة هذا الصباح؛ قال لي السائق: «أحب أن يكون لي أصدقاء، فذلك من طبعي، هل يمكنني أن أقضي نوبل عندك؟» - طبعاً. غير أنني أعول على بول وكيللر للترفيه عنه. لأنه بالفعل لم يتبق على نوبل غير يومين. أغلب الأشخاص هنا يولونه الكثير من الأهمية، فبالنسبة إليهم هو فرصة للحشرات. نوبل هو من تلك اللحظات في السنة حيث تشعر العائلة أنها الأشد انغلاقاً، فهذه الرائحة هي التي يتحسرون عليها. بما أن الإدارة العسكرية منشغلة على معنويات الجنود أعدت لهم مفاجأة صغيرة في ذلك اليوم. وستكون هناك شجرة نوبل مخصصة لنا في مطعم المحطة. قد أذهب إلى هناك. أريد أن أرى نوبل الجندي. لكن سوف يكون في شكل سائح. جلب لي بالمناسبة زجاجة نبيذ جيد من بفانوفن لأن غدا هو عيد ميلاده. سوف نحتفل به جميعاً، وسوف تكون هناك كعكة كبيرة. على أن يحتفلوا بعيد ميلادي في 21 يونيو، شرط المعاملة بالمثل. إني أجد هذا مسخرة ومؤثراً.

رسالة من بولهان. أراغون مازال مأجوراً في فيلق العمال (بعض المتحررين) يصّر على أن الاتحاد السوفياتي، بينما نحن ننظّم بذلك، تضغط كل يوم على هتلر من قريب⁽³²⁸⁾.

327. نفكر في عبارة بول فاليري "منتصف النهار" في "المقبرة البحرية".

328. للتذكير لقد ساند أراغون الاتفاق السوفياتي -الجرماني، قائلاً أن الاتحاد السوفياتي أمست على هذا الاتفاق لتحقيق السلم.

الحرارة أقل من عشر درجات. برد جذّاب ومانع للعفونة، شبيه ببرد التّبنيج الموضعيّ، اللّحوم المثلّجة، الغازات المسالة.

نستدلّ بالجليد على حقيقة الأمر في طريقنا، الأشياء أصغر بكثير وأكثر وضوحاً غير أنّها تبدو منفصلة عنيّ في هذا المحيط الكاسر للأشعة. وأنا أهبط الطريق الجليديّة ذاهباً لتناول إفطاري الصّباحيّ في مطعم المحطّة؛ أشعر أنّ قدميّ تنغرسان في الرّجاج. أصبحت المقاهي خصّصة الآن للجنود عند الصّباح، اعتبر نفسي معظوظاً أنّي أتناول غدائيّ في مطبخ المطعم، على قماش مشمّعة متسخة، وسط الصّخب الكبير للماء والزّائحة الزنخة للّحم (إنه هنا ذلك اللحم وراء ظهري، مزق من اللّحم الورديّ المخضّر مع عظام مزرقّة تشبه العيون) مشدود على عصا، تتمدّد من حافة حوض الغسيل إلى حاشية النّافذة، نقائق سمكة مسوّدة تتجمهر مثل الدّود. أجري محادثتي الصّباحيّة مع مضيّفيّ المحلّ: طبّاخ أكل الضّباط، الحزّار العسكريّ الذي ينتظر شاحنته لجلب اللّحم من مفترق العجر، الصّيّاد بقبعته، بوجهه الطّويل الحصانيّ، الذي عادة ما يأتي لأخذ أصحاب الرّخص الذين عادوا عبر الحافلة. الجمل نفسها دائماً - غير أنّها دائماً محسوسة، وهو ما يجيها ويبحث فيها شيئاً من النّضارة. لاذع، هذا الصّباح، وينا حين إلى بيوتنا. - وشاحتي لم تأت ما الذي يفعله السائق - أووه السّخانات. ..- انظر ذلك الضّخم يتبع مؤسّسة هيو، السائق، كان من الضّروريّ الاستنجاد بسيّارة بالأمس لإصلاح عطب سيّارتنا، لقد جرّوها لأكثر من نصف كيلومتر ولم يشتغل محرّكها. ينظرون جهة كتي: لديك دائماً ما تقرؤه؟، وأعتذر بحياء: ليس لي ما أفعله غير ذلك، ويعذرونني بحلم، بل يشجّعونني كما يفعلون مع طفل صغير: معك حقّ؟ بما أنّك تستطيع... يمرّ من حين لآخر أبله المطعم، طويل وهزيل بوجه مغطّى بالهشيم، وهويضحك هازئاً. ذات يوم قصدت ما يسمّونه هنا مبوله، على الطّريقة الألمانيّة. كان أحد أبواب المرحاض مفتوحاً: رأيت إحدى الخادّامات تواسي نفسها، جالسة في ارتياح وتوّرتها مرفوعة إلى فوق. كان الأبله جالساً على كرسيّ صغير خارج المرحاض يقشّر البطاطا ويحادث المرأة. ما أن لمحتني

المرأة تمتعت عفوا، وأغلقت الباب بقوة.

الرسالة الثانية من بوت⁽³²⁹⁾: ما جعلني أستغرب - وهو ما صدمني منذ أيام قليلة، لكن لا نفكر في ذلك كثيرا هنا - هو إلى أي درجة تبدو الحياة التي أعيشها هنا طبيعية. لقد تملكنا بعض الاستغراب الخفيف في البداية... غير أننا تجاوزناه بسرعة - ولا يتكرر هذا الاستغراب إلا في مناسبات قليلة جدًا. المزعج أن هذا الاستغراب عاودني هذا المساء على إثر الانتهاء من قراءة رسالتك. أعدتها في المغلف ملقيا بضحكة غبية وما صدمني هو الغباء. هذا هو ما يذهلني في هذه اللحظة. إلى أي درجة تبدو لي حياتي عادية. لم نعد نستغرب من الوحل، لم نعد نشعر بالبرد، فمن الطبيعي جدًا أن ننام على القش وفكرة غسل اليدين هي التي أصبحت تبدو لنا غير عادية. الوضع الذي يشبه الجاذ في الحياة المدنية هو هنا الضنى. لا يذهب أبعد من هل ندرك هذا؟، ولسنا نشعر على الإطلاق أننا متكدررون أو متضايقون أحسن أنني وحيد وحقير. لا أعرف لماذا أقول حقيرا، لأنني طبعاً لا أمتلك حكماً أخلاقياً، لكن يبدو لي من الجيد أنني أحسن هذا. بقية الوقت، نهق ونقول حماقات سيئة، ندخن ونحلف. أخشى أنني أعكس التراجيدي، ليس هذا ما أقصده على الإطلاق. ليس تراجيدياً فهذا قبيح، لكن ما هو موجود خاصة أننا لا نصل إلى إثارة غيظنا. قلت لك إنني أحسن أنني حقير لكن ذلك ليس صحيحاً. لم نعد نحسن بأي شيء، نمتلك معارف لكن لا تفيدنا بأي شيء. في هذه اللحظة أنا لست حزينا. لم أعد أبداً حزينا ولا متعباً. حين أكتب أنني متعب فذلك غير صحيح، فأنا ببساطة فارغ ومحبول: عادة ما يحدث هذا، لكن لست محبواً من التعب - فأنا محبول فقط. أعتقد أن ما يتقذي هو ما يعينني الآن، ما أراه الساعة، واثق تماماً من ذلك وأشعر أنني متنفخ بالاهتمام. لا أعرف هل قلت لك كيف هما لافيس وفالا، مثلاً. انهما يضربان من التكبر - وليس بطريقة قدرة لأنهما يشعران أنهما مهمان. إنه تكبر ساذج أن ترى نفسك، هما اللذان لم يخرجاً أبداً من حفرتهما، ليشاركا في حدث عالمي عن قرب، وبشكل نشيط. يجعلهما هذا يستمتعان، ويتحلمان كل شيء بجذبة. في نهاية الأمر، هو الشيء نفسه بالنسبة إليّ،

ولقد أدركت ذلك حين رأيتهما. لآتني في هذه اللحظة أشعر آتني أرى الهائل والمخلّد. كتب لي أخي الكيميائي أنّه غير سعيد بالعودة إلى هذه البيوت، لأنّه يشعر أنّه قد فقد شيئاً ما شبيهاً ببوانت دوراز، أثناء العواصف [تتوّد دراماتيكيّاً للرياح العاتية والقوية بغرب برتاني في فرنسا]، لقد سخر منّي بفضاعة؛ لم يكن مخطئاً كثيراً. سوف أتذكّر ذلك، لا اعتقادي في أهميته.

هل تعلمين أنّي بمزاج رائق دائماً؟ هذا ما يسود إحساسي منذ أن صرت في الغابة، باستثناء الصّباح لأنهم يضايقوننا، ولكنهم أصبحوا قليلاً ما يضايقوننا الآن. إنّ مزاج رائق مغفّل لكن لا يهم...

طبعاً؛ لا شيء يحدث. نستفيق عند الثامنة، نشغل قليلاً في المعتقالات وترتيبات الكوخ، نذهب لتناول الحساء (وفي المساء خلال الليل أشغال رهيبية)، ذهبنا للاستحمام خلال هذه الظّهيرة، كان لابدّ من أن نقطع أكثر من أربعة كيلومترات وسط الوحل. أمّا الدّوش فأقسم لك أنّه كان مشهداً حقيقياً، هل قرأت ذكريات بيت الأموات؟ فكل ما يقوله عن عقلية المساجين المؤيدين ينطبق على الجنود أيضاً. كلّ ما يقوله عن علاقات هذه الفئة من النّاس مع بعضها، علاقاتها بالعمل، ينطبق علينا أيضاً بأموالهم القليلة، بسجائرهم، طريقتهم في التكيّف مع الضيق، ينطبق علينا دون تغيير أيّ فاصلة، رغم أنّه يتعلّق بالرّوس. بل يصعقني أنّ الأمر متشابه تماماً. اعتقد أنّه منذ اللحظة التي نكّس فيها النّاس مع بعض سوف يكون الأمر نفسه. نفس الشيء بالضبط، هذا كلّ شيء كوميدياً، ومواقف، ودوار⁽³³⁰⁾

كلّ ما يقوله صحيح. هو صحيح أولاً لأنّ الحرب كما يقول جيونو، تلعب على ضعف المحارب، أي على خول ما للقلوب، وميل ما لإعادة كلّ شيء نحو طبيعته. خمسة عشر يوماً من الحياة في الحرب تغيّر إحداثيات العالم. كتب بارنابوث بخصوص زيارة قام بها إلى سجن في فلورنسا: شاهدت من خلال شبابيك الرّزانات مئة مرّة

330 كان بوست معجداً في أعماق الأردن سوف يحكي عن تجربته في الحرب التي كانت أقسى من تجربة سارنر في آخر المهن غاليما 1946.

نفس الشخص، يبرو ببذلتة المخططة بالأصفر والأخضر، مستندا إلى العارضة نفسها، تحت مستطيل نهار أزرق صاف. يدولي أن العقاب غير مجد، وما هو غير مجد، مؤد إلى العقاب. لقد اتخذت الحياة هنا هذا الشكل وانتهى كل شيء. هذا ما يسيطر عند المساجين الذين هم نحن، يبرو كاكبي أو أزرق بحري: لقد اتخذت الحياة هذا الشكل، وانتهى كل شيء. وعند هذا المستوى من الحياة نبحث عن أنفسنا، بنفس الفظاظة السابقة بمتع صغيرة، ومواقف. مثل بوست لم أر من حولي منذ اندلاع الحرب سوى مواقف ودوار، وكما يقول ذلك بشكل جيد فإن النبتة الصغيرة الكاسرة تبحث في الأرض الصلبة بفظاظة وتهاusk. ثم تعيش هناك. ثم، إنه من الصحيح، عند بعض المستويات كما يقول كوستلر⁽³³¹⁾ تقريبا، فالحزن يلتف حول نفسه لتتهاوى. ليس الحزن قابلا للنمو اللانهائي: مثل عالم أينشتاين فهي غير محددة، بتجاوزنا لدرجة معينة نخرج منه، ولكن نقع مجددا في أول حزن، عالم الحزن غير محدود ونهائي. ثم إنه من الحقيقي جدا أن الحرب توفر مبررات. فكلنا لدينا مبرراتنا لوجودنا هنا، لما لا نفعله، لضجرتنا، لالتماس آلاف الرخص الصغيرة الجبابة، كلنا نشعر بهذا الإحساس، كما قال هو، «إننا نشارك في حدث عالمي». وبالفعل لقد شاركنا دائما في الأحداث العالمية. لم تمض أي لحظة دون أن نكون تاريخيين، غير أن الحرب تجعل كل واحد منا يشعر بتأريخيته الخاصة. وبالتالي فإننا مشتقون من قوائم أشغال شاقة غبية، فرضتها حماقة المساعد الأول، المجدد والتطقي، وهي حماقة تتناسب مع كائنات تاريخية. لعب مغفلين: خلال السلم، يمكننا الحصول على هذا الصنف، وقتها كان يمكننا نحن ب الحرب. غير أن السلم تعود، مع فرصة أن يشعر كل منا أنه خارج الزمن؛ كل أزمة السلم إلى حد الآن مجرد انتصارات.

ما هو صحيح في تقديم جيونو، أنه يفتر ميل الإنسان إلى الحرب، والهيبة، والسهولة، بما يجلبه من السهولة ذاتها.

عاد كيللر من رخصته. نسمع خطاه الثقيلة والمتباطئة على الدرج، يدخل بمزاج

331 في وصية إسبانية لنذكر إن أوتور كوستلر يحكي إقامته في السجون الفرنسية أثناء حرب إسبانيا

مبتهج، ثابتا وهادئا، انزلقت الرخصة عليه دون أن تترك أي أثر. استشارة لمجرد رؤيته لأنه عائد من باريس لكنه مترجع أيضا، لأنه ترك باريس خلفه مسدودة، بمكتبها الكبيرة المكثفة. لقد كان هناك، وشاهد، لقد شاهد كل شيء كما كان يمكنني أن أشاهد، لقد كان في اتصال مباشر مع هواء باريس، مع الشوارع، مع الأنوار. كان هذا الاتصال كليًا؛ رغم خشونة طبعي لن يكون بإمكانني أن أكون -وسط الأشياء مثله. كل باريس معطاة له، وقد اختار هو ما لا يمكنني أن أفعله وهذا كاف لأن تكون هذه التجربة الهائلة أن تكون -بالداخل، أن تبقى باريس خلفه، غير مستعملة، ضائعة. رغم أنها كانت موجودة.

يقول إن كل المسترخصين العائدين من باريس بكل قواهم ضد الشبان المختفين في المعامل. كل فريقه لم يكن سوى صرخة حق. وما كان يزعم بشدة أكثر هو مجند فقد إصبعين، من يده اليسرى في الحرب الأخرى، وتلقى رصاصتين في الرئة. مازال لديه 65 بالمئة من قدراته. ورغم ذلك جندوه. كان يدخن، ويقسم قائلًا غدا سوف أجعل من نفسي ذابلا شاحبا، قريبا منه كان عامل ميترو وهو في الوقت نفسه ملاكم قديم تكسرت أصبع يده اليمنى في مباراة ملاكمة بلندن، وأرادوا تقويم الأصبع فرفض التقويم قال: «لأنني سوف أفقد عملي».

عند محطة وسائل المواصلات العامة، إيان الانطلاق؛ كان هناك مسترخص سكران يضح. اقترب منه ملازم شاب وندهه: انتظم داخل الصف مع الآخرين، رد السكران قائلا: عندما كنت هناك في الأعلى لم يأمروني بالانتظام في الصف وشرع يتناقشان، فصاح الملازم وقد شعر بأنه يفقد سيطرته: عليك بالطاعة أو سوف أستدعي الحراس وأسحب منك رخصتك. تكتل كل المسترخصين حول رفيقهم وصاحوا في الملازم قائلين: فليات الحراس سوف نرمي بهم على سكك الحديد. صمت الملازم، وانصرف دون أن يعاود أمره.

عدا هذا، إنها هي حكايات عن ثمن الحياة، زيادة ثمن الزيت والقهوة. يتحدثون كلهم بصوت هاديء ولا مبال مع تقطعات طويلة وغير متوقعة بين الجمل.

سرت شائعات بمحطة وسائل المواصلات العامة، أن قطارا ينقل مسترخصين

حاد عن السَّكَّة بشومون. شعرت بالتَّفُور من سحق المسترخِصين على المختبئين بالخلف. الشَّيء نفسه دائماً: فسخطه لا يعرف أو لا يريد أن يعلو حيث يجب. فيقع على أُنْدَادِهِمْ. لا يريدون رؤية التَّمَرُّد المخزي للحرب إلَّا من خلال المزايا الصَّغيرة الَّتِي يَتَمَتَّع بها ناس مثلهم. رغم أنَّهم يعانون من الحرب، ويتضايقون، إنَّهم لثيمون - وهذا بسبب هيجانهم - لأنَّهم يعودون مرَّة أخرى للحرب. لكنَّ عرض أن يهتُّوا بعضهم البعض، لأنَّ هناك من أتاحت له الفرصة أو لديه من المكر ما يسمح له بالإفلات، فإنَّهم يريدون أن يسحبوهم للغرق معهم. بمعنى آخر إنَّهم يَتَمَتُّون بالحرب للغير، وهم قادرون على فعل ذلك ويستحقُّون. كلِّما تقدَّمت، رأيت أنَّ النَّاس تستأهل الحرب ويستأهلونها، زيادة بقدر ما يخوضونها. مثل خطيئة آدم بالضَّبْط، فكلُّ فرد يستعيده لحسابه بحرِّيَّة حسب كيركيغارد. إعلان الحرب الَّدي هو خطأ بعض النَّاس نحن نستعيده لحسابنا مع حريتنا. هذه الحرب كُنَّا نحن أعلنا هذه الحرب في لحظة أو أخرى وعرض أن نكفِّر عنها، عرض أن يقول كلُّ واحد منَّا إنَّها حربي، ويحاول أن يعيشها، يهربون منها كلَّها من خلال مواقف، يرفضونها عن سوء نية، تماماً؛ كما نرفض خطأ ارتكيبناه. يغطونه بحجاب الطَّبِيعيِّ والعاديِّ.. وكلُّ هؤلاء الأوغاد ينتفعون من ذلك زمن السَّلم، واحداً بعد الآخر بإضفاء هالة براءة الصَّحبة على أنفسهم، وإكليل غار المحارب القديم.

لقد عرفت عموماً مختلف أشكال النَّاس في هذه الحرب: متأخرون وتائهون كما يقول لانسون في كتابه⁽³³²⁾ أولئك الَّذين يعاودون حلم حرب 1914-1918 وهم في ملاذ دافئ - أولئك الَّذين لا نخوض الحرب من أجلهم، في أقصى الجهة المقابلة مازلت مقتنعا أنَّ هذه الحرب خدعة شديدة الإحكام نفَّذتها الحكومات مع مرؤوسيهها، غير البعيدين عن الاعتقاد بأنَّ هناك تفاهماً سرِّياً بين هتلر، ستالين، دالاديه، شامبرلين - أكبر المستائنين، وأغلبهم انطلقوا بموقف أنَّهم لم يستطيعوا التماسك وقد جعلوا من أنفسهم باعة بالتفصيل للاستياء، لأنَّهم ظلُّوا في اللَّابِقين

332 حصَّص غوستاف لانسون في كتابه تاريخ الأدب الفرنسي (الطبعة الأولى 1894 هاشيت باريس)

فصلاً تحت عنوان "متأخرون وتائهون" لبعض كتاب السَّابع عشر من مثل أغريبا دوينيه وفوتير

الذي يحرك المبادئ العامة لتمرّدنا، وهاهم يهتزون مضطربين من شكوى إلى أخرى، ويلوذون بالتشكّي - استبعاد الموظفون و بعد وقت من الضياع عاداتهم المدنية الصغيرة، يتحدثون عن رخصهم القادمة باعتبارها إجازات خالصة الأجر، متعلّقين بركام أوراقهم القديمة وبعاداتهم الصغيرة- كان كورسي يدخّن البيه عند المساء في فيراندا النزل وهو يقول في ابتسامة فخر متشّية، جاعلا الكلمة الانقليزية بين معقّفين : فنحن لدينا عموما غرفة معيشتنا - وهي ترعّبهم.⁽³³³⁾

الدفتري الحادي عشر

فيفري 1940

مورسبرون - باريس - بوكسفييلر

يتخيّل بول⁽³³⁴⁾ أنّ المهنة تجمعنا، إنّّه أحد هؤلاء الأساتذة، والموظفين الذين يشعرون بجاذبيّة نحو رفاقهم. كان يمكن أن نتقارب، أن نناقش أسئلة مهنيّة، لنؤكّد وسط هذه الحرب خلود الذّهن. غير أنّني أعيب عليه أنّه أستاذ، قبل على نفسه ما لا يليق بمقامه، وسمح اها أن تكون بحكم خطّته أمرّة ناهية. لست أشعر أنّي أستاذ على طريقته. في كلّ مرّة يحاول فيها بول أن يجذبني إليه، تصدّي أشياء كثيرة ممّا يشكّل عالمه، عن الاقتراب أكثر منه: غذاؤه، الرّفاق، زوجات الرّفاق، الثّقابات، أقذاح الشّاي والمحادثات مع النّسوة، الرّوحانيّة الاجتماعيّة، خوف الناظر وكراهيته... فأبعده عني بكلّ قواي. وهو من جهته، يتتبع لمقاومتي، ويفسّر لها لنفسه على طريقته: ابن معلّمة، زوج معلّمة، أستاذ مجاز. نعرف ذلك التّفوّق المُقرّر للتّخبة الذي يتظاهر به المبرّزون أمام المجازين. وبالمثل فإنّ أغلب المجازين لا قيمة لهم أيضًا؛ في كرههم، في غيرتهم، في ادّعاءاتهم، هناك رغم أنّهم اعترف بهذا التّفوّق، فلم يرتفعوا أبدًا إلى درجة الاحتقار.. أحاول ما استطعت أن لا أبدي لبول ما لديّ من تحفّظ. تحدّث بياتر ذات يوم عن الفرق الفلكيّ الذي يفصل بين القائد أورسيل، وهو صناعيّ ثريّ،

334. بعض صفحات هذا الدفتري أتلغت بفعل الرطوبة. وما هو مسطر يشبه كلمات قمنا أعادة كتابتها بشكل تقريبي من اليقين.

وبين الملازم مينو وهو مهندس صغير تافه، فقال بول بنبرة ساخرة وخانعة: «عموما هو الفرق نفسه الذي يفصلني عن سارتر وذلك اليوم حين كنت أبين لأحدهم أنه غيبي، تدخل بلطف: ألا تعتقد يا سارتر أن غخالطتك الاستثنائية لطلبة معهد المعلمين جعلت منك صعب المراس؟»، وهو ما حاججته عليه قائلا إنني لم أخالط تقريبا طلبة معهد المعلمين، لكن هذا يكشف بوضوح الطريقة التي، يراني من خلالها، ويحدّد على أساسها موقفه الأرعن منّي، إنه يحاكمني من خلال مسلماته، وقناعاته الثابتة، أظهرت له احتقاري بسبب فكرته. وهامي البنية الحقيقية لعلاقتنا في قلب المجموعة: فمن جهتي أشعر بنفور مشمّر تجاه الجامعي الذي هو في عمقه، كرامة خانعة وحذرة لا تصل دونها شك إلى درجة الغيرة المرضية ولكنها بالتأكيد جريئة. إنني فخور جدا، أصرّ كثيرا على التّخبة، التي أنتمي إليها وهذا الافتخار الزائد يدلّ أنني محدود في مهتي. قلت هذا، رغم أنه، حين يكتشف من حوله ظاهرة فيزيائية صغيرة مضحكة، لا يستطيع أن يمنع نفسه عن الالتفات نحو لي شركني إياها، تاركا بياتر و كيللر جانبا، ليحقّق لبعض ثوان، هذه الوحدة الثقافية، التي كانت له دون أدنى شكّ مع أستاذ الجغرافيا لقسم الرابعة، فقد كان يتيح له فرصة الشعور بحقوق الذكاء. غير أنه لا يقع في المكان الملائم إذ أنني لا أفهم أي شيء في الفيزياء وهذا لا يعني. انتبه لذلك وأكدّه من خلال فكرة أنني أفعل ذلك احتقارا له. لكنّ البنية الأساسية لعلاقتي مع بول، التي تشكّل محورا لعلاقتنا، فأمر آخر. يمثل بول السلطة. فهو خجول لكونه رئيسا، ومن جهة أخرى يريد أن يمارس سلطته بألف طريقة ماهرة، ليس رغبة في التّسيير بل خشية من المسؤوليات التي تستوجبها. لذلك أقاوم، لا أحتمل أن أقاد؛ إذ يكفي أن يأمروني لأغضب، وهوس الاستقلال هذا يدفع بي للعثور على الأمر المخفيّ أو المغلف في ملاطفات بول. وكلّما كان مُغلّفا أكثر زاد غضبي أكثر. وطبعاً أرفض أن أطيع. غير أن رفضي لا يزعج بول بسبب خوفه من المسؤوليات، ليس أكثر. يعارضه في ذلك دائما أنه نادم بكلّ حرّية عن كونه رئيسا، ونتيجة لذلك فهو شريك معي حين أقاومه. يُقاوم بول بسوء نيّته، وقد تمّت مهاجمته في معنوياته. هذه هي علاقتنا الأساسية، تلك التي تحترق مجموعتنا العضوية. إنه

رئيس خجول لكونه كذلك، ويريد رغم ذلك أن يُطاع من خلالي، غير أنني جندي غير منضبط، لا أريد أن أطيعه وأستجد بالاشتراكيّ فيه ضدّ الرئيس. حول هذه العلاقة الباردة والمزمنة (لن يستسلم هو، ولن أمتسلم أنا) تتظم كامل المجموعة. ولقد تخيلت بالفعل بما أنّه ديمقراطيّ أن أقاومه، عبر الاستنجاد بالأغلبية، فاستثيرها ضده: ياتر المسالم بطبعه، الذي يزق قليلا ضد بول لكن مثل زوجة ضد زوجها، في غير مبالغة، يحدّق فيه بعينين كبيرتين، في غضب يخالطه اللين، متحفزا بالجماعة، ليدعن بول إذعانا مأكرا، يتخلّى خلاله عن سلطته إلى حين. وهو لم يخطئ في تقديري حين سمّاني ب المعارضة.

هاهو في الأثناء يجتهد في تشكيل قوى معاكسة بطريقة مأكرة، لا تتمكّ مشروعية الأغلبية، ولكنها مجعولة لعزلي، والإساءة إلى أمام الراي العام، لأنني قلّدت نفسي وصيا على وعيهم الأخلاقيّ، دون أن يطلبوا منّي ذلك. حدثت نفسي ضرورة أخذ الحيلة، فهممتر بصون بي ينتظرون زلة، أو وقوعي فيما نهيتهم عن فعله من الأخطاء، ليكون في ذلك حجة عليّ، إتهم يرصدونني في كلّ ما أتبه من حركات، وفيما أنطق به من أقوال، بقيادة لصيقة من ياتر. غير أن بول يتحين الفرصة المناسبة ويقف إلى جانبه فجأة، مع تدقيق صغير أو عقلنة ما، حين يشعر أنّ مساعدة ما ضرورية. أمّا كيللر فيظل محابدا أو بنصرف لحال سبيله. مجموعتنا أشبه ما تكون بمنصة متحركة تميل طورا إلى اليمين وطورا آخر إلى اليسار، بكرّيات تدور من جهة أو أخرى حسب الانحناء الذي بمنحها الحركة المسنودة بالتوتر الداخليّ، في اتّجاهي أحيانا، وفي اتّجاههم أخرى. وهو ما يحدّد الدور الرئيسيّ لياتر، السهل، المستنقع، الذي يقلب الهيئة كليّا حسب ما يفرضه الوضع، إمّا بالقاء نفسه عندي أو في اتّجاه بول.

لكن هناك علاقات أخرى: ياتر-أنا. شيء ما مشترك بيننا: نطلّعنا الموحد للخارج. وبشكل ما نحن أقدام كاذبة ترسلها مجموعتنا نحو العالم، ينمو في المطاعم، المقاهي، وعند الآخرين. وبعد ذلك هناك رغمكّل شيء، باريس، التي هي مشتركة بيننا، وثمة مشترك آخر، وجب الاعتراف به على خجل: المال. ليس لأنّ بول يملك من المال ما هو أكثر منّي، لكن لديه رغبة مخيفة للاذخار تمنعه من تسليفي، إضافة إلى

أنه ينتظر الإفلاس بعد الحرب. من هذا المنطلق نمثل، أنا وبياتر، الشباب الذهبي والمجنون الذي يبذر الأموال. حين نعود للمجموعة نفجر فيها الكثير من الطلقات. هذه العلاقة وما تتميز به من التبذير والخرجات تحدث كل يوم علاقة متوازية: العلاقة كيللر-بول، أولئك الذين يقعون بالمنزل، حراس المأوى. أو أيضا الذين يتناولون أكلهم في المطبخ المتحرك، إلى جانب أولئك الذين يتناولون أكلهم بالمطعم. أو هم أيضا الأكلون الكبار (لأنهم يأكلون من كل شيء دون تمييز، وبهم) قبالة الأفواه المهذبة. غير أن المجموعة بول-كيللر تفتقد للتماسك: لا يحسدنا بول على الإطلاق، يرافقنا في بعض المناسبات. كيللر بخيل وينقصه المال يغير منا ويكرهنا في كل مرة نخرج فيها. يمثل كيللر البروليتاري في مجموعتنا، أما بياتر فهو رأسمالي. كيللر معلق في عمقه، غارق في أسفل الدرجات بسبب جسمه، بسبب خوله، ينظر إلينا من الأسفل إلى الأعلى في صمت، يحذر وغيرة. لا يشعر بتضامن أي منا معه. يدفع كل واحد منا كل مساء دورة من البيرة، يمنح الآخرين مرطبات، غلالا، أي شيء، يقبل كيللر كل شيء ولا يشعر إطلاقا بواجب الرد، كما تعود أن يكون، رغم بخله في محيطه المعتاد. هو شكل من أشكال الاستعادة الفردية. يحس طبقيته، إزاءنا نحن، خاصة أنا وبياتر، أما إزاء بول، فهو كما قلت منذ حين مثل عامل إزاء رئيسه. يعد هيئة إضافية في قلب التنظيم، هيئة الطبقة. وهو ما يؤدي إلى تقابلية العلاقات بيني وبينه، لأن لي وعيا فاسدا، تفرضه عليّ فظاظته، وأعامله بنوع من التقدير فيعاملني بالمثل بحسب إمكانياته. كل منا يخشى الآخر. هو لا يعيش خارج المجموعة، لكن العلاقات التي يمكن أن نكونها معه غير مبنية، هي خارج العلاقة المخفية للطبقة، شكل من أشكال الملازمة عديمة الشكل: يسبح في المجموعة ويلجها من خلال التمكن.

كذلك هي العلاقات بول - بياتر: تمثل شكلا ضعيفا. باستثناء اللحظة التي يبحثان فيها عن سبيل لمحاصرتي. بل إن التعاون الذي يحتاجانه في تلك اللحظات ليس عن أفكار مسبقة، لأن كل واحد منهما يشعر بتضامنه معي أكثر مما هو متضامن مع حليفه. كل واحد منهما يعتقد أن من حقه أن يكون ضدي على طريقته وعلى

الأرض التي يملكها، ولا أشعر بأي مشقة لتقسيمها، للتفريق بين هجوماتها. يعتبر بياتر بول مثل صبي قليل الحماقة، بكر؛ يقول له بكل عزم: حين تأتي إلى باريس سوف نجعلك (أي سارتر وأنا) نعرف النساء، مثل قروي أيضا. ما أن تكون عنده دناءة ليؤاخذه عليها بول يقول: ما الذي تريده؟ حياة القرويين! أما بول فيؤاخذ بياتر على حيويته المفرطة بلا فطانة، ليس بإمكانها أن يكونا صديقين دائمين. حين تحرك أيضا لإعطاء بنية عملية لمجموعتنا، انقسمت طبعاً إلى مجموعتين من اثنين: بياتر وأنا - بول وكيللر، وكل مجموعة تقوم بإنجاز مهامها بالتناوب، فحين تهتم المجموعة بأشغال الإحصاءات تهتم المجموعة الأخرى بالشؤون المنزلية. جاءت هذه البنية الفنية متأخرة إثر اهتمام ذي قيمة، لقد جرأت مجموعتنا ورققت بقاء البنى، فالتنافس بيني وبين بول، أصبح أقل خشونة لأننا خفنا عليه من مسؤولية الإحصاءات. عكس العلاقة بول-كيللر الرئيس-المرووس التي توطدت أكثر. تتحل كل هذه البنى، بطبيعة الحال، وقد تم تعويضها بشكل من التجانس المؤقت حين تقاوم ضد الخارج من أجل مصلحتنا المشتركة. اللّمة الأخيرة لتكملة هذا النزول أين نعيش. يعاني المراسلون اللاسلكيون الذين يقيمون في الغرفة المجاورة من الجرب. إثنان منها أصيبا بجذبة، والثالث تحت المراقبة. لقد قاموا بتعويض ثلاثة مراسلين آخرين منذ خمسة عشر يوماً، ويبدو أنّ أحد هؤلاء كان يعاني من الجرب، سألهم الطبيب: أين تقيمون؟ - في نزل لايل في - آه، فهمت إذن: فهناك كانت تتم معالجة الذين يعانون من الجرب زمن السلم. كان حرقاء النزول ممن يعانون من برد المفاصل والأمراض الجلدية. أعترف أنني منذ حين أحس بجحكات عصبية في يدي، في وجهي وفي رأسي.

في العديدين الآخرين من رومان الصّادرين منذ إعلان الحرب⁽³³⁵⁾ جاليز وجارفانيون يتكهّنان، في استمتع بموت الله. يتوقع جارفانيون سنة 1937 سنة مظلمة (استحي رومان من أن يجعل ذلك سنة 1939). يقارن حرب 1914 بتلك الزّوايع الكبرى التي تفسد صيفاً كاملاً. بدت الحركة الدّادائية عرضية جداً بالنّسبة إلى جاليز. يرى رومان أوروبا مُسلمة لقوى التّفهقر الدّاخلي. هل كان كتابه الذي تقع

أحداثه سنة 1919 أن يتخذ لها صوتاً آخر، لو لم تندلع الحرب. والشئ نفسه بالنسبة إلى دريو، في جيلاز يُطلعننا بين سنوات 1917 و1937 على حرب أوروبا الانتحارية: لقد قتلت الحرب فرنسا، ولن تستعيد عافيتها. يبقى حسب طريقة البحث عن علامات تفكك فرنسا من 1920 إلى 1935؛ على ضوء ما يجري الآن من أحداث، سوف نعيش خلال تلك السنوات فترة كارثية من الإرهاق، مقطوعين عن الآخرين، حالات كساد قصيرة، محومة. فترة انهيار معنوي ودمار. سوف يؤكدون بالأخص على السيرالية⁽³³⁶⁾، بسبب إنكاراتها، ويرسمون لكم فترة معطوبة، مجنونة، غير متوازنة. يجب رفض كل هذا. ليس حقيقياً. لا شك أن حرب 1914-1918 قادت إلى حرب 1940. وبالنسبة إلى الكثير من العقول الذين نعرف أغلبهم، ومن بينهم مؤرخون سوف يوضحون للآخرين ما يحدث يومياً. من المؤكد أنه كانت هناك اضطرابات، ارتجاجات وانتفاضات، عدم توازن. ولكن لم يحدث هذا فقط. في فرنسا، على الأقل، يمكن أن نعيش -وقد عشت هذا- لطافة الحياة. كانت السعادة ممكنة، وكذلك الهدوء. لقد كنت سعيداً في السنوات ما بين 1925 و1933، عرفت من حولي حشداً من الناس السعداء، وليس تلك السعادة المسعورة والخبيثة. سعداء فعلاً وبهدوء. ربما هناك الآن أشياء من الصعب القيام بها، لحظات أكثر قسوة. غير أن هذا لا يزعج بالفعل. ثم، ربّما، آل دريو، آل مونترلين مازالوا مصدومين بالحرب، لكن أقول إن جيلي أنا، الذي كان يستعدّ لحمل المشعل حين اندلعت الحرب، هو جيل على قدر كبير من التوازن، بحثت عن ضالّين من بين الناس الذين عرفتهم فعثرت على عدد قليل جدّاً، وضعف أسلوبهم يفترض أنه ملازم لهم منذ زمن. لكن هل كان هناك قبل الحرب شباب أشدّ قوة متّاً؟ أشدّ صلابة من بول نيزان، من غي، من آرون، من الكاستور؟ لم تكن نبحت لا على التدمير ولا أن نمتلك شطحات عصبية فاقدة للمعنى. كنّا نريد أن نفهم العالم بحكمة، أن نكتشفه، أن نجد لنا موضعاً فيه. كنّا نرغب في اكتساب المعرفة والحكمة، ربّما لم يكن هذا الموضع الذي نرغب في الحصول عليه في العالم لم يكن متواضعاً جدّاً، ربّما كنّا مستعجلين شيئاً ما، لبلوغه أكثر

مَنْ سبقونا. لكن لم يكن ثمة شيء مبالغ فيه من كل هذا. هناك من أبناء جيلنا من أرادوا تغيير العالم وكانوا شيعيين، مثلاً، أصبحوا عقلايين حين وازنوا بين النعم وبين الضد. وأغلب ما أتذكره وأندم عليه دائماً؛ هو الجوّ الثقافي القوي والمرح الذي كان يلقّنا. فإلّا كُنّا نبغاء. لم أعرف أبداً ضمن أولئك الذين، تفاعلت معهم، بدرجات متفاوتة، صورة أولئك الشباب الوحيين المتشدّقين بنزعة الشرّ التي كان الأدب -الردّيء- يعمل من أجل شعبيتها. لقد حظينا بحريّة جنسيّة واسعة غير أنّنا كُنّا نجتهد في التفكير بحياء حول الملابس العاطفيّة لحيواتنا. لقد كُنّا أشدّ صلابة ممّن كانوا أكبر منّا، من آل فورنييه، آل ريفيار⁽³³⁷⁾. كان ذلك في جهة منه تكلفاً، ومن جهة أخرى كانت هناك الحرب، ولم نكن ننظر للحياة على أنّها حصّة متعة. غير أنّه ليس هناك من موجب لمؤاخذتنا على خشونة هذا التكلف، الذي كان من نتائجه انضباط حقيقيّ من طرفنا ووقاحة مقدّسة، وفي الوقت نفسه، إغواءات معطّلة لم نصب بها إطلاقاً. قد يعترضون عليّ بأمثلة لاعترافات منقوصة⁽³³⁸⁾ كتبها في هذه الدفاتر، نوبة كبريائي الصّيبانية مع بول نيزان⁽³³⁹⁾ لامبالاتي السياسيّة، إلخ. أجب أنّ السيطرة على الذات والصّحة المعنويّة، لا علاقة لها كما يقال بسذاجة بالبنفسجيّات

337 كان مؤلف مولن الكبير و جاك ريفيار (1886-1925) صديقين منذ الطفولة مثلما كان بول بيزان وبول سارتر جاك ريفيار هو مؤلف حول الإخلاص تجاه الذات (1912). كانت هناك مراسلات بين فورنييه و ريفيار في الفترة ما بين 1905 و 1914 (نشرت في غاليمار سنة 1928 و 1928) للتذكير فإن آل فورنييه قُتل عند بداية الحرب العالميّة

338 وضع سارتر في استحالة أن يقول كل شيء عن نفسه في هذه الدفاتر صفحة 221 تدوينة 2
339 يلمح سارتر لخلاف نشأ بينه وبين نيزان سنة 1923. كان يساهمان معا في تلك الفترة في مجلة للشباب مجلة بلا عنوان، ربما تعلق الأمر بخيانة صداقاتية، أو تجريح للكبرياء على علاقة بإعجاب بيزان بإحدى كتاباته كتب سارتر بعد ذلك بقليل قصة بعنوان البذر وصدرة الغواص. استعداد فيها بطريقة سرديّة ظروف ولادة هذه المجلة. ظهر فيها نيزان وسارتر تحت اسمي دي لوسيل و طابور، كنا سوف نعلم شيئا أكثر حول هذا الخلاف لو اكتمل المخطوط. حكى لنا سارتر إن بيزان قد تحدث لأخريه عنه باعتباره "صديقاً مؤقتاً"؛ هل هذا هو السبب وراء "أزمة الكبرياء"؟ مهما يكن الأمر ففي هزيمة كتبها سارتر بعد ذلك بثلاث أو أربع سنوات هناك شخصية لا اسم لها "الصديق القديم" تشبه بشكل كبير بول نيزان. كتابات الشباب.

والمدينة. أعرف جيداً أنني سيّد نفسي، دونما انحرافات، وأستطيع تحمّل الضربات القاسية. وأعرف أيضاً أنني متشكّك حول الأخلاق. لطالما حاولت تدمير أيديولوجيات متقدمة لكن بهاجس إعادة البناء. لقد أمكنتني أن أضيّع جذورا، لكن لم أضيّع التوازن. لماذا أعتقد أنه من الواجب أن أكتب كلّ هذا؟ لأنني أعتقد أن حقيقتنا الزمنية هي بصدد إعادة بناء تمثّل جديد لنفسها لقطع الأعشاب تحت أقدام المؤرخين. تريد أن تمتلك على الأمل مكسب أنها قيمت نفسها بنفسها، وتريد من خلال ذلك أن ترسل لهم عملا متكاملا. وضدّ هذه اللوحة الغارقة في السواد أنا أحتج. أخشى أن تتبدّل. أتابع بحيرة أن يتمّ التأثير من خلال اعتبار تكاثر هذا التفكّك الجميل، انتفاخا زائدا للأفكار والأعمال الفنية فيما بين 1918-1928، كما لو أنها شهادة عدميّة تلك الحرّية الحقيقيّة التي ينعم بها الناس الآن. كلّ وجهات النظر الأوليّة هذه هي لياقات مزيفة. يمكن أن تنطلي على دريو لأنه غيبي، لكن هناك آخرون كثيرون، يريدون أن يعدّوا جردا إحصائيا لما حدث. أرى أنه من الضروريّ أن ننتظر. لقد ماتت تلك الحقبة الزمنية، غير أنها مازالت ساخنة فينا. فلنمتلك شيئا من الحياء في انتظار أن تبرد الجثّة.

ظلت مسألة الإنكار محتجة شأنها شأن الوجود، لأنّ عدم الوجود، بدا كما لو أنّه تقييم ذهنيّ عبر مقارنة شيئين لإثبات غريبتها. فإن قلت مثلا إنّ الورق لا مسام له، فإنّي لا أضيف هذا الإنكار لحساب الورق بوصفه ورقا، دون أيّ صلة مع المسام، غير أنني أضيفها لحسابي. ألا يجب أن نفهم من خلال ذلك أنّ الإنكار هو طريقة وجود لذهني، الذي بإنكاره يقدم فعلا ممثلا بالتقييم -وهو بالنسبة إلى الكثير من الفلاسفة، فعل صاف، ممتلئ بالوجود، في الوقت نفسه الذي يقوم بفعل الإنكار هكذا يصبح الإنكار⁽³⁴⁰⁾، لاشيء. فهو ليس الذهن، وليس في الذهن، وليس في الورق، وليس في المسام، وليس علاقة وجود على طريقة القوّة الدافعة بين الورق والمسام. ختاماً؛ هو صنف يتيح للذهن أن يحقّق تركيباً بين المسام والورق، عن بعد، دون أن يفسدهما شيء ما في طبيعتهما. دون تغيير في موضعهما المتبادل، دون تقريبهما من بعض أو

إبعادهما عن بعض، وكذلك هو جهد الفلسفة، إنه يتمثل في ترقيق الإنكار إلى درجة تحويله قشرة رقيقة بين الذهن والأشياء، لا شيء. وبالتأكيد، يجب الاعتراف أن الإنكارات التي أرصدها في العالم ليست على الإطلاق علاقات أولية وجوهرية بين الأشياء. تتخذ المسألة منحى آخر، حين ننفي عن الوعي صفة الامتداد، فإن ذلك ينفي الصفة عتاً، فنحن وعينا في العالم، وبه، بما يعني أنه ليس هناك شخص ثالث ليستنتج جوهرين خاملين، الوعي والامتداد، ليس بينهما علاقة امتداد. فوجود الوعي يفرض بالضرورة وجود الامتداد. سوف نفهم ذلك على الفور إن أحدثنا مقارنة بين هذين الحكمين: ليس الامتداد وعياً وليس الوعي امتداداً. يتعلّق الأمر في الحالة الأولى بعلاقة مهيأة من خلال وعي تأملي، لأنه ليس من طبيعة الوعي أن يوجد أو لا يوجد وعياً، لكن ليكون امتداداً فقط. عكس ما هو في الحالة الثانية إذ سوف يتفق كلّ الذهنيين ليقولوا إنها ميزة في الوعي ألا يكون امتداداً. لقد أرادوا قلب السؤال، لأنه يبدو من المتناقض قبول صفات سلبية في أي وجود، بطرق إيجابية تردّ الاعتبار لهذه الوظيفة. مثال ذلك؛ مفاهيم اللا امتداد، اللامادية. لكن لا بدّ من اختبار لفظي لإظهار أن اللا امتداد هو مجرد كلمة تخفي بين أجنابها إنكاراً خجولاً. أن تكون لا امتداداً، لا يعني بالنسبة إلى الوعي فضيلة إيجابية، إنها هي طريقة مضطربة لتحديد فكرة أن الوعي لا امتداديّ. ينتمي اللا امتداد إذن للبنية الخفية للوعي. هذا اللا-وجود، لا يمكن ملاحظته، ولا الحكم عليه، لكن وفق الصيغة التي استعملناها ذات يوم، كان موجوداً.

إن تأملاتي قادتني حتّى هذا الحدّ، إلى تصوّر الوعي في حالة ما لم يكن هو، أي حين ينفجر الإنكار في انسجاميّة وجود واحد، حيث أن ما تمّ إنكاره مطرود من نفسه باعتباره منكراً، بما أنه كان الوجود الوحيد نفسه. غير أن المسألة تزداد تعقيداً تحت مظاهر المبدأ البسيط للتناقض. لأنّ الوعي ليس هو ما ليس هو. لو تأملنا هذه البديهة الظاهرة، نلاحظ أن أحد الإنكارين يدمر الآخر. فإذا لم يكن الوعي امتداداً، بما يفترض حسب النظريّة الكلاسيكيّة الغياب الكلّي لكلّ علاقة بين الوعي والامتداد، وبما أنه إضافة لذلك ليس هناك شخص ثالث ليهيئ بين الوعي والامتداد

علاقة سلبية من الخارج تماما، لا نرى كيف أنّ هذا الوعي بنفسه يمكنه أن يحتوي بداخله علاقات حقيقة لهذين الوجودين مع الامتداد، لكي يجعل من نفسه إنكارا للامتداد. يقترح كل إنكار طريقة تجميع تركيب للحقائق التي ينكرها. حين يكون الإنكار شيئا عابثا مثلما هو الحال في تقسيم الورق ليس مساقي، التركيب التجميعي هو بدوره شيء عابث، هو تقريب تصنيفي صاف يترك الأشياء سليمة. حين كان الإنكار أحد الوجودين على الأقل، فلقد بدا في العمق كما لو أنّه تجميع تركيب. في كلمة واحدة، لكي يستطيع الوعي أن يكون نفسه وعلى طبيعته، دونما تدخل تأملي من شخص ثالث ولا يكون الامتداد، عليه أن يخفي في أعماق وجوده علاقة تجميع مع هذا الامتداد هي غير موجودة أصلا. غير أنّ هذه العلاقة الأولى لا يمكن التعبير عنها بألفاظ الاشتراز، الإنتاج، العكس، إلخ، التي تفترض عالما مكتملا، وهكذا يتم حسم مسألة الوجود. من البديهي أنّ الأمر يتعلق بعلاقة وجود أصيلة بين الوجودين. لا بدّ أن تكون الصلة داخلية ما أمكن لتكون هكذا بالضبط، أن لا يكون هناك وعي، لا بدّ أن يكون الامتداد حاضرا بالنسبة إلى الوعي من كلّ جهة، بل أن يحترقها على امتداد عرضها، كي لا يفلت الوعي أخيرا من الامتداد، الذي يوشك أن يُدبّق من كلّ جهة، كما لو أنّه غير موجود. ليس فقط لأنّ الامتداد غير موجود، بل لأنّه لا وجود لأي شيء. الوحدة بين الامتداد والوعي، هي أنّ الوعي ليس الامتداد إلّا في حالة أنّه ليس هو نفسه، أو هو لاشيء. لا شيء إيجابي يعوّض عدم وجود الامتداد. لأنّ الوعي عدمه الخاص، لذلك هو ليس امتدادا. علاقة الوجود هذه من الامتداد إلى الوعي هو ما نسميه التوظيف. غير أنّ الوعي يُعرّف بما ليس هو وليس بما هو، لا يمكن أن يكون مجرد ما ليس هو الامتداد، طريقة وجوده التي ليست هي الامتداد مرتعدة بالكامل من خلال العدم، ليس هو بالامتداد على طريقة تحوّل إلى عدم من الانعكاس إلى المنعكس، يعني أنّ الصيغة الوعي ليس امتدادا، لا بدّ من تعديلها لتصبح بهذا الشكل الوعي ليس هو الامتداد، ما يعني (1)* يتضمن هذا الإنكار توظيف الوعي من خلال الامتداد، (2)* إنّ هذا التوظيف لا يمكن أن يكون من أجل الوعي إلّا في حال ما إذا كان الوعي هو وعي بذاته بما أنّه لا امتداد، أي طالما

أثباتها موظفة من طرف الامتداد فلديه وعي أنه غير موجود على طريقة بحد ذاته، فهو إذن امتداد. لكن في حال أنه يفلت منه، بما أنه ليس هو، وليس الامتداد، ولكن وعيا بالامتداد. هكذا فالوعي هو تحويل الامتداد إلى عدم وهذا التحويل للعدم لا يمكن أن يتم إلا على شاكلة وعي الامتداد. ليس الامتداد هنا بطبيعة الحال إلا مثالا من بين الأمثلة الممكنة. بشكل عام ليس هناك من إمكانية لتحويل موجود في حد ذاته إلى عدم، إلا من خلال بروز وعي بهذا الموجود.⁽³⁴¹⁾

الخميس فيضري

لا يمكن أن يتم بروز عدم إلا على أساس وجود غير قائم. لا يمكن أن يكون الغياب باعتباره وعيا، إلا عندما يكون أمام الحضور. يبرز الامتداد على أساس الامتداد كإنكار لذاته بهذا الامتداد. بصفة عامة، لا يمكن أن ينبثق من أجل -الذات إلا من خلال صلة مع كلية حد- الذات الذي يحصره. يُمسك مناجل -الذات أمامه، ومن حوله حد- الذات، كما لو أنه غير موجود. هو بحاجة للوجود كي لا يوجد. يتحول من أجل -الذات إلى عدم بالنسبة إلى كلية حد- الذات. هذه الصلة الأولى من أجل -الذات بكلية حد- الذات. بما أنه ليس موجودا، هنا ما نسميه الوجود-في-العالم. الوجود-في-العالم، هو الغياب عن العالم. وحدة الوعي والعالم انوجدت قبل الوعي والعالم. أن تكون وعيا، هو أن تجعل من نفسك لا-عالما في حضور العالم، هو أن تجعل من نفسك بالضبط، وبشكل محسوس ما هو ليس هذا العالم. لا يمكن اتخاذ هذا الإنكار كما لو أنه إفلات إلى خارج العالم. ليست حركة تحويل من أجل -الذات، إلى عدم، تراجعا. سوف تصبح تحويل الأشياء إلى عدم وتقع في حد-الذات. لعلّه بهذا الشكل يجب فهم الموت. بالعكس يفترض التحويل إلى عدم انخراطا فوريا، وبلا مسافة للعالم من أجل -الذات. هذا الحضور للعالم في الوعي - الذي لا يفصله شيء سوى أنه هو نفسه لاشيء - هذا هو التعالى. يوظف في حد-الذات الوعي ليتّم

341. "أصل الإنكار" الفصل الأول من الجزء الأول من الوجود والعدم.

تجاوزته من خلاله في العدم. لكن ليس كما يعتقد هايدجير، في العدم الذي يمسك بالعالم في داخله: في العدم حيث الوعي هو نفسه. الوعي من أجل - الذات يتجاوز العالم في اتجاه نفسه. فهو موظف من خلال حد-الذات في حال هو مرتعد بالعدم.

إن أردنا أن نأخذ مثالاً بسيطاً على ذلك، سوف نقول مثلاً إن إدراك هذه الشجرة هو قبل كل شيء ظاهرة وجودية: إدراك الشجرة، بالنسبة إلى الوعي هو تجاوز الشجرة في اتجاه عدمها الخاص كشجرة. لا يجب بطبيعة الحال النظر في كلمة تجاوز، إشارة ما لفعل. فهي ببساطة طريقة في الوجود. يوجد وعي من أجل -الذات فيما وراء الشجرة مثلما هو ليس هذه الشجرة. تجعل صلة تحويل الانعكاس والمنعكس، إلى عدم، من أنها لا هي نفسها إلا حين تنعكس بوصفها بالضبط عدم العالم، حيث توجد هذه الشجرة؛ بما يعني أنه وعي غير نظري بذاته، بما هو وعي نظري بهذه الشجرة؛ الشجرة هي المحور المتعالي لهذا التحويل للعدم. هكذا، مثلاً، فإن المعرفة الحدسية هي افتتاح الأشياء في التلازم الذي يحول في التعالي من أجل -الذات ملازمة في حد-الذات. هكذا، فإن الحدث الذي يجعل من الوجود عدمه الخاص يظهر العالم باعتباره كلاً لحد-الذات متجاوزاً من خلال الوجود الذي يتحول إلى عدم. وجود في العدم ووجود مرتعد هما شيء واحد.

أريد أن أبرز من خلال تحليل دقيق الضرورة القصوى التي تدفع بنا إلى اللجوء نحو فكرة العدم هذه، وسأضرب مثلاً على ذلك من خلال فكرة الاتصال. أريد أن أبرز أن هذه الفكرة شديدة البساطة في الظاهر الطاولة هي على اتصال بالجدار، تحيل بالضرورة على الوجود-في العالم وعلى العدم.

إن أردت أن أمسك معنى هذا المفهوم بالفعل، ألاحظ أنني أتأرجح بين فكرتين متناقضتين: فكرة الامتلاء الملازمة لحد-الذات، وفكرة التراجع المطلق في العدم. حين أقول بالفعل إن الطاولة تلمس الجدار، لا أقصد أنها جنب الجدار، ولو بشكل قريب جداً، ولو منفصلة عنه بمسافة دقيقة إلى أبعد حد. أقصد بالاتصال، قرابة وجود داخلي بين الشئين. غير أن قرابة الوجود هذه تتجه بطبيعة الحال نحو حد-الذات، أي الملازمة. وبالتالي فإن هذا المفهوم المنزلق للاتصال، يهدف إلى التوقف

وسط الطريق. أريد أن أحافظ على الانفصال الكلي للشخصيتين. ليس الاتصال تمازجا. ها أنا إذا الآن مرسل إلى فكرة مسافة، والتي مهما كانت قصيرة تفصل على الأقل بين شيئين. لكن في هذه اللحظة تنبخر فكرة الاتصال. ذلك أنه إذا حاولت بالفعل الإمساك بما تتطلبه، أرى أنه سيكون هناك اتصال بين شخصيتين، لابد أن يكون الاثنان بلا مسافة بينهما إطلاقا في مساحتهما، ورغم ذلك يظلان منفصلين. لكن منفصلين بماذا؟ بلا شيء. غير أن هذا اللا شيء ضروري هنا. في الهندسة حين يكون منحنيان مثلا (خط مماس ودائرة) متصلين، فلديهما نقاط مشتركة سوف يبدو أنهما يمثلان نفس المنحني. رغم أننا نحافظ على استقلاليتهما. عوض أن يتماسا فهما منفصلان. ورغم وجود نقطة واحدة، لا سلسلة من النقاط، فإن الانفصال قد جرى في كل نقطة. ولأنه يتعذر تقسيم النقطة أو مضاعفتها، فلا يمكن أن نعد هذا الانفصال ضربا من الانقسام. بلغني في هذا الصدد، أن كوهلر، يقر بأن كل الأشكال المتغلقة على نفسها، يشد إليه ما يكونه من نقاط،⁽³⁴²⁾ وبناء على هذا المعطى، الذي أراه مقنعا وسليما، فإن وحدة الشكل واستقلاله بذاته، يطلان كل إمكانية للاتصال والانصهار. رغم تعذر ذلك إلا ضمن شروط محددة، مأن تفصل النقاط المتصلة عن مجموع النقاط التي تؤلف الشكل الآخر، عبر اللا شيء، أي أن تكون هذه الأشياء مرتعدة بالعدم. مثل الوعي تماما.

غير أن هذه الشروط ذاتها لن يكون لها أي معنى إن لم يطرحها الوعي. ستجبه بمعزل عنه، نحو الانفصال المطلق، أو الانصهار. لكي تكون الاتصالات معطاة في العالم لا بد أن يكون الوعي معطى كموظف في العالم، ذلك أن مفهوم المس، كما يراه هايدجير لا ينتمي للأشياء إلا من خلال الانعكاس. وبالفعل، فإن كرسيا لن يمس الجدار إلا إذا كان محمولا في وحدة عالم متعال بالواقع - المفروض. وفي الأصل فإن الواقع - المفروض هو الذي يمس الأشياء التي يحملها. الاتصال بطبيعته اتصال باليد التي تأخذ مع الشيء المأخوذ. يبقى أن المفهوم يظل مبهما إذا اعتبرنا اليد شيئا ماديا بين

342 للتذكير إنه حسب المدرسة الألمانية لنظرية الشكل، إن الإدراك الحسي ليس متألعا من انطباعات معزولة تنشابه أو تتجمع لكنها تضبط أشكالا أوبى دفعة واحدة.

بقية الأشياء. لا يمكن للبد نفسها أن تنتج العدم الذي يفصلها عن السكين التي تحملها، فمن الضروري أن تكون والسكين جزءين من الكل، وبنى ثانوية، للاتصال الأولي. ليست هذه الكلية سوى قرابة التعالي من الوعي بالعالم. الوعي على اتصال بالعالم. انطلاقاً من هذا المستوى يصبح مفهوم الاتصال جلياً. فبالنسبة إلى الوعي فإن العالم معطى بلا مسافة، بما أن الوعي هو إنكار للمسافة. بل هو ملتح أكثر من حضور بلا مسافة، بما أنه يوظف الوعي ويلتحق من خلاله. لكن ينفلت منه الوعي في الوقت نفسه بما أنه مرتعد من خلال العدم، طالما أنه لا شيء، بانصهاره مع العالم، كما هو، وفي المقابل فإن الوعي ينفلت منه وينفصل عنه بما أنه غير موجود. أليست القرابة بين العالم/الوعي، إذن، هي قرابة اتصال. يوجد العالم بالنسبة إليّ بما هو محسوس ومتفرد في عدم وجوده. يمسّه، بمعنى أن تحويله الجزئي للعدم لا يمكن أن يهيئ صلة خارجية بلا مسافة بينه وبين العالم. العالم ليس ذاتياً ولا موضوعياً: إنه في حدّ ذاته موظف للوعي وعلى اتصال معه، ومن شأن الوعي أن يتجاوز هذا الوعي في عدمه. لجوليان غرين في الفيغارو، تعبير رائع، لتحديد الأسبوع الذي يسبق الحرب: كارثة متباطئة. (343)

ومن الشواهد على الكيفية التي بها ترفع المعنويات، هذه الرسالة التي وجدت ملقاة في مرحاض، كتبها، خطية أحدهم، مفرمة، تدين المسيحية، هذا نصّها: أن لا تستحم منذ ثلاثة أيام، فهذا أمر هين، أعرف أنك ستكون أشدّ جاذبية، لو فعلت، ومن جهتي، فقد نظّفت فرني للعمق هذا الصباح، كنت متسخة، فعلت ذلك مثل منظف مداخن حقيقي، كنت سوف أثير فيك الملح، لو فاجأتني على هذا الشكل.

غير أنها متحيرة شيئاً ما، لأنها في مكان آخر من الرسالة تدعو الله أن يحافظ على معنويات مرتفعة لخطيبها. كلمة خطيب متجهة إلى الله، لم ترد أن تمحي مع هذه الرسالة.

لو أردت فهم دور الحرية والقدر فيما نسميه التعرض للتأثر، يمكنني التفكير فيما مارسه علي هايدجير من تأثير. بدا لي في الأيام الأخيرة، مناسباً جداً، فقد علمني الأصول والتاريخية في وقت جعلت الحرب من هذه المفاهيم ضرورية. إن حاولت تصوّر ماذا كان بإمكانني أن أفعله بتفكيري دون هذه الأدوات، أجدني مأخوذاً بخوف استعاديّ. لقد ربحت الكثير من الوقت، ولولاها كنت سأظلّ أراوح مكاني قدام أفكار كبيرة مغلقة، فرنسا، التاريخ، الموت؛ وكنت سأزداد نقمة على الحرب، لأرفضها بشكل مطلق. غير أنّ استرجاع ما كان، يجعلني ممتناً لبعض الصدف. والمؤكد أنّه لو لم ينشر كوربين ترجمته ل ماهي الميتافيزيقا؟⁽³⁴⁴⁾ [بالألمانية في الأصل]، ما كنت لأقرأه. ولو لم أقرأه لما تمكّنت من قراءة الكينونة والزمان⁽³⁴⁵⁾ خلال عيد الفصح الأخير. والمؤكد أنّ صدور ماهي الميتافيزيقا؟ ليس ذا فضل عليّ مفرداً، بل إنّ تأثيره يشمل الجميع، لقد مثل فيما يخصني لقاء مهماً بهيدجير، لم يكن الأول، فقد سبق لي قبل أن أرحل إلى برلين أن أتعرف إلى بعض مقولاته⁽³⁴⁶⁾. وكثيراً ما كان يصنّف في خانة الفينومينولوجيين، وقد أغراني ذلك بالاطّلاع على المذهب ودراسة أسسه، في برلين، وفي شهر ديسمبر تحديداً، اقتنيت الوجود والزمان، معترماً إتمامه بعد عيد الفصح، مخصّصاً الثلاثية الأولى لدراسة هوسرل. وعندما انطلقت رحلتي مع هايدجير في أبريل، كنت مشبعاً بهوسرل. كان خططي أنني اعتقدت أنّه من الممكن تعلّم فلسفتين بهذه الأهمية بشكل متتال، كما نتعلّم التجارة الخارجية لبلدين أوروبيين واحدة بعد الأخرى. استولى عليّ هوسرل من خلال آفاق فلسفته التي كانت متيسرة لي، من خلال مظهرها الديكارتي، كنت هوسرلياً، وسوف أبقى كذلك مدة طويلة. أرهقني كثيراً في الوقت نفسه، الجهد الذي وفرته للفهم، أي لكسر

344. ماهي الميتافيزيقا؟ درس افتتاحي قدمه مارتين هايدجار بجامعة فريبورغ-ان-بريسغو في 24 جويلية 1929

345 الكينونة والزمن صدر بألمانيا سنة 1927.

346 لقد قرأت سنة 1930 ماهي الميتافيزيقا؟ في مجلة بيفيردون أن أفهم منه أي شيء. (كان ذلك في جوان 1931 سنة نشر هذا النص في هذه المجلة. في نفس العدد ظهر مقطع لأوّل محاولة فلسفية لساوتر "أسطورة الحقيقة").

أفكاري الشخصية المسبقة والإمساك بأفكار هوسرل انطلاقاً من مبادئه هو الشخصية، وليس انطلاقاً من مبادئ الشخصية. قرأت هايدجير خمسين صفحة، وكانت اللغة منفرة، لصعوبتها، فلم أكن بعد قد أنهيت دراستي للغة الألمانية، فضلاً عن أن الربيع فصل يغريني بالخمول، أشتغل حين ينام المرموط [حيوان من فصيلة السنجاب يعيش في جبال الألب ويقضي بين 3 إلى 4 أشهر في السبات وسارتر هنا يوظف الكلمة في شكل استعارة]، وإذا استفتت خرجت للتزّه، طامعا في بعض المغامرات، وقد كان القدر عطوفاً معي تلك السنة ليمنحني بعضها. لكنّ المهمّ عندي كان ذلك الثغور من استيعاب فلسفة مهمّة وقليلة الحكمة، بعد التأليفية العبقريّة الجامعيّة لهوسرل. يبدو أنّ الفلسفة مع هايدجير عادت من جديد إلى طفولتها، فلم أعد أعرف فيها المسائل التقليديّة، الوعي، المعرفة، الحقيقة، الخطأ، الإدراك الحسيّ، الجسد، الواقعيّة والمثاليّة، إلخ. لا أستطيع الوصول إلى هايدجير إلّا بعد أن استنفذ هوسرل بالكامل. وبالنسبة إليّ فإنّ استنفاد فلسفة ما، هو التّفكير ضمن آفاقها، أن أكوّن لي أفكاري الشخصية على نفقاتها إلى درجة أن أقع في مأزق. تطلّب الأمر ثلاث سنوات لاستنفاد فلسفة هوسرل. ألّفت كتاباً كاملاً ضده، (ما عدا الفصول الأخيرة من وحيه: التخيل⁽³⁴⁷⁾). لكن في الحقيقة كما يفعل تابع ضدّ سيّده. كما كتبت أيضاً مقالة ضده: الأنا المتعالي⁽³⁴⁸⁾. انطلاقاً من هناك، متشجعاً حاولت تحيين أفكاري، من خلال الشروع في كتاب ضخّم النفس⁽³⁴⁹⁾ كتبت منه أربعمئة صفحة خلال ثلاثة أشهر، بحماس، ثم توقّفت لأنني أردت إنهاء كتاب القصص. كنت مأخوذاً إلى أبعد حدّ ببحوثي إلى درجة أنّ كتاباتي الأدبية بدت لي خلال أكثر من شهرين اعتباطيّة. وشيئاً فشيئاً دون أن أنتبه لذلك تراكمت الصعوبات واتّسعت الهوة بيني وبين هوسرل، وفلسفته كانت تتطوّر نحو المثاليّة، وهو ما لا أستطيع قبوله، فقد جعل ذلك لفلسفته مادتها السلبية و هيولاهما، ولم تعد كما هو الحال عند كانط، أمراً آخذاً في

347 غاليمار مارس 1940.

348 "تعالي الأنا" بحوث فلسفية رقم 6 (1937/1936) نشرت فيما بعد في مجلد (فربين 1965)

349 الصفحة 69 التدوينة 2.

التشكّل، فكّرت أن أكتب حول هذا المفهوم للتسليّة، لضرورته في الفلسفة الحديثة، التي تتجلى فيما يطرحه الهيولي من إشكالات، وفيما يعترى المفهوم من نقائص، كنت مسؤولاً عنها.⁽³⁵⁰⁾ عكفت على البحث عن حلّ واقعيّ، رغم امتلاكي أفكاراً، تتعلّق بمعرفة الغير، من شروط معالجتها أن أكون واثقاً من وجود وعين متمايزين، يدركان العالم نفسه بامتياز. لم توفّر لي المؤلّفات الصادرة لهوسرل أيّ إجابة. كما أنّ دحضها للذاتويّة [السولبسية أو وحدة الأنا] كان مخزلاً وهزلياً. من المؤكّد؛ أنّي التفتّ هايدجير للإفلات من هذا المأزق. لقد فتحت كتابه الذي جلبته معي من برلين لعدّة مرّات، لكنّ الوقت لم يسعفني، ولم يشجّعني خطابه الصّلب. لم يكن من الممكن دراسة هايدجير قبل ذلك الوقت. فقراءته تمرّ عبر فضول انفعاليّ ولا يمكن الوصول إليه بنية التعلّم. على هذا؛ قادنتي إنذارات ربيع وخريف 1938 ببطء، إلى البحث عن فلسفة، لا تكون تأملية فحسب، وإنّما حكيمة، في حركة الباريسيّين، من أجل رياضات الشّقاء. أو حتّى مقدّسة، كنت في أمسّ الحاجة إلى ما يحفّزني على مواصلة الدّراسة. كنت في نفس وضعيّة الأثينيّين إثر موت الإسكندر، ممّن التفتوا إلى العلم الأرسطي ليندجوا في مذاهب فكرية أشدّ فظاظاً لكن أكثر كليانيّة، من الرّواقيّين والإبيقوريّين. كان التاريخ حاضراً من حولي في كلّ مكان. فعلى الصّعيد الفلسفيّ انتهى آرون من كتابة مقدّمة لفلسفة التاريخ وقرأته. بعد ذلك كانت الفلسفة تحيط بي وتحاصرني كما هو الشأن لكلّ معاصريّ، وتجعلني أشعر بحضورها. كانت تنقصني الأدوات لأفهمها وأتمكّن منها، ورغم ذلك كنت أريدها متينة؛ وكنت أجتهد حسب الإمكانيّات المتاحة لديّ. وقتها ظهر كتاب كوربين. بالضّبط في الوقت المناسب. كنت قد انفصلت نهائيّاً عن هوسرل، راغباً في فلسفة مؤثّرة، وصرت أكثر نضجاً لفهم هايدجير. أو، تقريباً. يبقى أنّه كان من الممكن أن لا يصدر الكتاب. إذ لم أكن واثقاً رغم كلّ شيء من قدرتي على قراءة الوجود والزّمان. وأمّا الحدث الذي أحسبه تاريخيّاً، فهو صدور، ماهي الميتافيزيقيا؟ وقد كان لي شرف الإسهام في إنتاجه. ففي

350 يرفض سارتر المفهوم الهوسرلي للهيولي (والذي يعني تدفق المعيش الشعوري، دون قصديّة) في الوجود والعدم مقدّمة "وجود الإدراك".

الوقت الذي كنت أستعدّ فيه للسفر إلى برلين كانت هناك حركة فضول عند الطلبة تجاه الفينومينولوجيا. ساهمت فيها كما ساهمت في رياضات الشتاء. أي أنني استحوذت على الكلمات التي كانت تبثّر يمينا وشمالا. قرأت بعض المؤلفات الفرنسية القليلة حول المسألة، وحلمت ببعض المفاهيم التي لم أكن أعرفها جيّداً، وتطلّعت لمعرفة المزيد. وحفّزني الأمر على زيارة برلين، وكان هناك الكثير من الطلبة في مثل حالي - والأساتذة الشبان. اغترفت حال عودتي من منابع مختلفة، وعملت عبر التدريس على الإضافة، والتوسّع، فضاغت من عدد هذا الجمهور الفضوليّ. بل إنّ أحد تلامذتي القدامى شامتينغ نشرت له مقالة حول الذات⁽³⁵¹⁾ [بالألمانية في الأصل] الهيدجيرية. لست صاحب الفضل في كتابة تلك المقالة، ولا أدعي ذلك، وإنّما أوردتها في هذا السياق، للتأكيد على أنني قد اندججت كعضو نشيط ومسؤول وسط جماعة من الفضوليين والباحثين، يعتبرون أنفسهم بدورهم جمهوراً. لقد أنجز كوربين، ترجمة لجيلنا، كان يحتاجها، ليستضيء. كان فضولاً معرفياً، وكان علينا أن نتنظر عقداً وأكثر من الزمان لنشهد ميلاد أول مجلة فرنسية تعني بالترجمات، بيفير (1930) [صدرت بين 1929 و1931 تعني بشؤون الأدب والفن] ودراسات فلسفية (1933) لكي نتنظم هذه الجماعة في الأخير وتبحث لها عن معلومات. وتعمّق هذا الحماس الفضوليّ أكثر فأنّجج أولاً كتباً من نوع في اتجاه المحسوس لجان واهل⁽³⁵²⁾، الذي نبع من شيخوخة الفلسفة الفرنسية، ومن الحاجة التي كانت تسكننا لتشبيها. لذلك، فلئن ترجم كوربين ماهي الميتافيزيقيا؟ فذلك لأنني اعتبرت نفسي (من بين آخرين) جمهوراً في انتظار هذه الترجمة، من هنا تحمّلت مسؤولية وضعي، جيلي وحقبتي الزمنية. وقد يتساءل البعض؛ لماذا كانت أولى الترجمات خاصّة بهيدجير، وأغفلت في المقابل هوسرل طالما أنّ الدراسات الجادة عليها أن تنطلق أولاً من هوسرل المعلم، لتصل بعد ذلك إلى هايدجير التلميذ المنشق. بإمكانني أن أجيب هنا، لأنني عشت مناقشة المسألة في المجلة الفرنسية الحديثة. إنّ نجاح كتاب

كوربين الذي جعل غروتهيسين⁽³⁵³⁾ يتجه نحو ترجمة هوسرل. ذلك أن هوسرل لم يكن يحظى بجمهور غفير. رغم أن تأثير هايدجير على الجموع الغفيرة من الطلبة لم يكن مفهوما، لكنه كان صادما بعباراته: الموت، القدر، العدم.. هذه العبارات الملقاة هنا وهناك. ولكنه جاء في الوقت المناسب. وكنت أنتظره بغموض، كنت أمل أن يوقروا لي أدوات لفهم التاريخ وقدري. غير أننا كنا حقيقة عديدين، نحمل هذه الرغبات. لنمتلكها في تلك الفترة. لقد كنا سببا غير مباشر في فرض هذا الخيار.

بعبارات أخرى، هي حققتي الزمنية، وضعي وحررتي، كل هذا قرر لقائي بهايدجير. ليس ثمة صدفة أو حتمية، بل هو مجرد توافق تاريخي. يمكننا أيضا أن نعتقد أن السؤال: لماذا كان يوجد شخص اسمه هايدجير؟ يظل خارج الدورة. وللحق، فبمعنى ما انفلت هذا السؤال، بما أن هايدجير هو الأبرز في عالم وعي حر. ومن جهة أخرى لا يبدو لي هذا السؤال منحرفا. لأن فلسفة هايدجير صعود حر لحقته الزمنية. وحقته الزمنية هي حقبة تراجيدية الانحدار⁽³⁵⁴⁾ [بالألمانية في الأصل]. واليأس بسبب ألمانيا. إنه زمن ما بعد الحرب، الفترة التي رأى فيها حشد من الناس أنه من الطبيعي أن تكون ألمانيا بائسة، تأمر عليها الإنسان، والتاريخ، والقدر. كما كتب ذلك روشينغ في مقطع ذكرته⁽³⁵⁵⁾: هنا... تنكشف الصفة الوحيدة، وعزلة هذه الأمة. مهمتها ولعنتها. وموقف هايدجير هو بالتأكيد تجاوز حر، نحو فلسفة هذا المظهر المؤثر للتاريخ. لا أرمي إلى القول إن الظروف هي نفسها، في راهتنا، لكن من الحقيقي أن هناك توافقا تاريخيا بين وضعنا ووضع ألمانيا. هكذا أرى صعود قدره الألماني هذا، في ألمانيا البائسة، ما بعد الحرب لكي أتحمّل مسؤولية قدري كفرسي في فرنسا 1940.

سيغادر كيلر، وسيكون انصرافه في غد، أو بعد غد، فقد تمت بالنظر إلى سنّه

353. برنار غروتهيسين (1880-1946) فيلسوف مناضل ألماني صديق للمجلة الفرنسية الحديثة نشر خاصة مقدمة للتفكير الألماني منذ نيتمشة 1926 ديالمان وبوتيلو. ستوك. باريس.

354. الانحدار

355. لعل سارتر ذكر ذلك في الدفتر السادس المفقود

سيغادرنا نقلته إلى مصلحة التكوين الداخلي.

حاولت إبراز أنّ مفاهيم من نوع الاتصال، التي تبدو ممتلئة، تغلّف في الواقع فكرة العدم. لكن، في المقابل، لا بدّ من إظهار كيف أنّ مفاهيم تبدو في الظاهر سلبية تماما تحيل على تعالي حدّ- الذات إزاء الوعي. لو أخذنا مثلا مفهوم الغياب في شكله الساري والمعمول به، في قولنا، أيها الغائبون الأعزّاء، لقد غبت، زارني أحدهم أثناء غيابي، الغائبون دائما ليسوا على حقّ - نلاحظ فورا أنّ الغياب ليس إنكارا، فهو يفترض وحدة الغائبين في الوجود. هناك وجود للغيباب. ولا يجب خلط الغياب بمجرّد الابتعاد البسيط بمعنى أن نقول إنّ مدينتين بعيدتين عن بعضهما البعض، حيث تبعد الواحدة عن الأخرى 20 كيلومترا. ينتمي الابتعاد إلى تلك التآليفات السلبية التي يُعدها الوعي بين شيئين دون أن يُعدّل من طبيعتهما، وهو ما تحدّث عنه بالأمس. لا وجود لمسافة بين (أ) و(ب) دون وعي؛ من خلال تعالي العالم يجعل الوعي المسافات تنبثق. لكنّ الغياب مقيم في قلب الأشياء، هي صفة مميزة وخاصّة في الشيء أن يكون غائبا. من غير المجدي إسباغ هذه الصّفة على مجرّد نظرة ذهنيّة، في قولنا مثلا، إنّ ييار غير غائب عن بيته، وإنّه مبتعد فقط عن منزله ونطلق الاسم المألوف للغيباب على مجموع الحشرات التي يوحى بها هذا الابتعاد في نفس زوجته وفي نفسه هو. ذلك يعني وضع المحراث قبل الثور. نفترض هذه الحشرات في الواقع أولا وجود شيء ما يشبه الغياب، الذي هو طريقة وجود ما، هذا إضافة إلى أنّه سلبية محض. والحقيقة أنّ الغياب طريقة من أجل-الغير. لم يكن هناك أبدا شيء غائب بالفعل إلّا بقدر ما تكون لحظة ما، مشابهة لغيرها. غير أنّ الغياب هو صلة ما لوجودي مع وجود الغير. هو طريقة ما أملكها لأكون معطى له. هذه الطّريقة أن أكون معطى له نفترض وحدة سابقة، هي وحدة الحضور. أثناء الحضور، أكون في واقعي المحسوس الحاليّ باعتبار أنّي موجود من أجل الغير والعكس بالعكس، وفي الوقت نفسه فأنا أمسك العالم، ليس فقط بوصفه عالما أنا موجود فيه، لكن بوصفه عالما محدودا بالوجود في - عالم الغير. غير أنّ الحضور العاري لا يمكن أن يكون تأسيسا للغيباب، فلن يكفي ذلك، لأنّ حضور أيّ مارّ لا يمكن أن يؤسّس غيابه إن

ابتعد. لا يجب لهذا الحضور أن يُقدّم كمجرد حضور، لكن أيضا كمكوّن لطريقة وجود ضرورية، مؤسسة من أجل - الغير المحسوس. لا يمكن أن يكون هناك غياب لـ بيار إلا بالنسبة إلى زوجته، مثلا، لأن وجود بيار هنا في وجوده من أجل - الذات، لزوجته، وبشكل ضروري. وجود بيار مؤسس لوجود زوجته باعتبار من أجل - الذات، والأمر متبادل. على أساس هذه الوحدة السابقة فقط يمكن للغيب أن يكون معطى بين بيار وزوجته. غير أنه ليس تحويلا محضا للعدم. يمكن أن يكون تحويلا للصلات التي تشده للعدم. غير أنه ليس كذلك في الواقع. إنه طريقة ارتباط جديدة بين بيار وزوجته. تظهر على الأساس البدائي للحضور، الذي يعليه الغياب وينكره، لكنّه هو وحده، ما يجعله ممكنا. هو نوع من الوحدة الخاصة بين بيار وزوجته. شرط أن لا يكون مغرضنا. كلّ غرضة للغيب تحيلنا إلى سلطة عدمية للوعي غير مقيدة - فلا يمتلك إلا نفسه كما هو، وهو المرتعد من العدم: التخيل. غير أن الغياب المعيش غير المغرض لا يمكن أن يفهم إلا باعتباره صلة محسوسة، بين موجودين على أساس بدائي لوحدة الاتصال. زوجة بيار معطاة له حالا، كما لو أنها ليست هنا. هكذا فإن الغياب الذي هو إنكار، يتمتع بميزتي وجود: (1) يبرز على أساس الوحدة الوجودية التي ينكرها، ممسكا هذه الوحدة باعتبارها جوهرها لهذا الإنكار. ويستمد وجوده من هذه الوحدة الايجابية، فيقرضه إياها. - (2) يُعدّ لوجودين، عبر وحدة إنكار تأليفية أي أنّه يقرب بينهما من خلال إنكار حضورهما. بيار وزوجته مُعطيان الواحد للآخر من خلال الإنكار؛ ليكون هذا الإنكار طريقة خاصة في الارتباط الموحد بين بيار وزوجته. من اللحظة التي يشكّل فيها بيار وزوجته كلّا، يكون الغياب هو الكريقة الوحيدة للإنكار الموحد، الذي سوف يحوّل هذا الكل إلى عدم دون تدميره (الطلاق، النسيان، إلخ، هذه كلّها تدميرات). غير أن هذا يفسر لنا بشكل محسوس، ظهور حالات الوعي التي هي حقيقة غياب بالنسبة إلى الكل في حدّ - الذات، التي تعدم دون أن تدمر الصلة الأصلية الملازمة لحدّ - الذات، وهي بدورها لا تعدم إلا على هذا الأساس الأصيل للملازمة - وتحيل في الوقت نفسه إلى تفسيرها الأول، إلى الغياب الذي هو غياب الوعي بالنسبة إلى العالم الذي وظّفه. دون هذا الغياب الأول

والميتافيزيقي، تبطل كل أشكال الغياب المحتملة، وتمحي المسافة. أصل كل الغيابات، هو غياب ميتافيزيقيا الوعي بما هو اتصال تأليفي وتوحيدي للوعي والعالم⁽³⁵⁶⁾.

الجمعة 2

سوف ترحل الفرقة بعد ثلاثة أو أربعة أيام. وحتمًا سوف تكون بوكس فيلر وجهتها للراحة.

التقيت نيار عائدا من رخصة. سألته: هل استمتعت إذن! فأجابني بيقين فاجأني به أكثر مما فاجأني وهو يستعد للرحيل مرهقا، مثقلا: أووه نعم، كانت رخصة رائعة جدا!، لم أستطع تبين الثبرة التي لفظ بها الكلمات الأخيرة. كان فيها ما لا أعرفه من الثقل التقوي والعقائدي، نبرة صديق للطبيعة⁽³⁵⁷⁾ وهو يمتدح شيئا بنفسجيا، بقوله: انظريا ولدي لقد صنع الله أشياء للإنسان. بطبيعة الحال؛ إنه الرجل المتزوج، الراهب الخادم الذي يتكلم بهذه الثقة التامة: يعلم لأنه من الجيد الانغماس في العائلة. والرخصة بدورها تتبع العائلة فهي من ضمن أصناف الأشياء الطبيعية التي خلقها من أجل انتصاره؛ فمنذ بداية خلق العالم كانت هناك أشياء للعائلة، ورخص. لكن ينكشف في الوقت نفسه من خلف هذا الأداء المذهبي تعجب خالص وطفولي، أعاد إلى ذاكرتي ما تلفظت به تلك الصبية العربية وهي تخاطب أصدقاءها من على جسر تيوفيل غوتيه: لقد أكلنا أشياء جميلة. يضيف: للأسف، قصيرة جدا!، كما لو أنه يتدارك، ليتجنب أن يتهم ولو لحظة بنقد مخلوقات الله والسلطة العسكرية العليا؛ ثم يردف قائلا: مثل كل الأشياء الأخرى الجميلة كما لو أن قصر مدة الرخصة لم يتوافق مع ما أحاط به من ظروف ومن أحداث، وكانت الصفة الأكثر حميمية والألطف، بل منيع الجمال، وهذا الموت الخفي الذي يذهل باريز على الوجوه الفتية.

356. الوجود والعدم: الجزء الأول، الفصل الأول «التصور الفينومينولوجي للعدم» والجزء الخامس «أصل عدم» انظر الفصل للجزء الثالث «وجود الغير».

لقد جعلني كل هذا أضحك على الفور غير أنني انتهت أنني بدوري أتعامل مع الرخصة على طريقتي الخاصة، كشيء معطى هبة، لا باعتبارها حقاً. ثم باعتبارها جمالا. أنصورها بزمناها الخاص المتكوّن من عشرة أيام، الذي لا يبدو لي كأنه تحديد تعسفي بل باعتباره صفة شخصية لهذا الجمال، بالضبط على طريقة ما للنغم من إيقاع، وما يستغرقه من زمن. زمن الأيام السطحيّ وعديم الشكل، ها هنا أعيشه، ها هنا يتراكم؛ أما هناك فحيث النهاية حاضرة في البدء. يترأى لي أنني سوف أعيش زمنا آخر، زمن الموسيقى والمغامرات. أدخل نفسي في قصة قصيرة قاهرة لا تنتهي بشكل جيد غير أنها جميلة. وإني لساخط قليلا لفكرة أن كل هذه المدّة الثمينة جدّا، التي سوف تملؤها، الكاستور، باريس، فاندّا، المتعة، وقد كان كل هذا في السابق شيئا عاديا ومألوفاً. كنت أعيش كل هذا مع زمن لامبال وغير محدّد، متروك ودبق، ممتلئ بانهيارات صغيرة متكّمة، هو زمني هنا. يترأى لي أنني لا أتعامل مع كل الفضائل الاستثنائية بنفس القيمة التي تستحقّها-والطريقة الوحيدة التي يجب معاملتها بها، هي الغياب المتقطّع بحضورات خاطفة ومتقطّعة. كما لو أنّ هذا الغياب يمثل إحدى شروط الإنسان قبالة كل ما يجب. أريد أن يكون لهذه العشرة أيام ميزة خاصّة، حتّى في قياسها. الذي لا نعثر عليه عادة إلّا في الكتب عندك. مانسفيلد، في دير بارما، في أفضل قصص باريز، التي تحتوي على جنون شرس، شكل من أشكال النعومة البعيدة والفضة شيئا ما، نوع من الأرستقراطية لم تعرفها أيّامي أبدا. لقد عشت بالفعل أيّاما من السعادة، لكنّها سعادة خشنة، متروكة، سميكة مثل خمرة حمراء ثخينة. لا ميزة لها. ولم يكن لكلّ هذا أيّ صلة بطبيعة حظوظي، التي كانت دائما جيّدة (أليس من حظّي الجيّد أن أستفيق ذات صباح عند أقدام مدارج مسرح إيبودوت والكاستور بجانبني، أن أعود بخطي متسارعة عند المغيب أمرق بين أزقة فاس، أثناء بدء إضاءة الأنوار العمومية وسدّ الأزقة الصّغيرة الضيّقة المعتمة بسلاسل من اليمين إلى اليسار، أن أنفّس بالقرب من أسوار إيغ-مورت رفقة فاندّا)، بل لأنّ طبيعتي الشخصية، مع شيء من فقر الدّم، تتضمن رية كلبية تجاه كل ما هو ثمين، الخشية من أكون مغفلاً، أن أجعل من آلان فورنيه رائعا- ثمّ هناك أيضا تفاصيل تصدم ومع ذلك هي جزء

من تلك اللحظات، وهي في زمن مألوف عاديّ: التفتّح في أزقة فاس هو في الحقيقة انتظار لحالة لا تأتي، والفسحة عند أسوار ابغ-مورت بين شجارين مع فاندا. يؤاخذني بياتر على تبذيري للمال، أي نعم، أنا أبذر حياتي أيضا. ليس بسبب هم للعيش أكثر ما يمكن وما ذلك بتبذير، بل بسبب لامبالاة ما تجعل اللحظات تسيل في الماضي، واثق من أنني مثل أي شخص لا يمكن تعويضه، من خلال انعدام للرغبة في قول ذلك أيها الزمن، أوقف تخليقك، مثل فاوست. هذا المعنى لم لا يتم تعويضه؟ حتى البائس دريو يمتلكه أو يدّعي أنه يمتلكه (بالفعل كانت تلك هي الموضة حين ابتداء) يجعلني أخطئ. ربّما كان من المتوجب في العديد من الحالات أن أتشبّث. غير أنه حتى في هذه الحالة بدا لي أنه غير عملي، أن نحتاج إلى مساعدة قليلة، أن لا نمتلك حسن النية. كان لا بدّ من القليل لأحظى بلحظة ثمينة وأنا في ميسانس وحيدا رفقة الكاستور تحت سماء جميلة غائمة، بين هذه القبور الغريبة والصخور. لكن كان من الضروري أن أفكر في أغاممنون، كان ذلك ضروريا جدا. سوف يتطلّب الأمر وقتا طويلا جدا للشرح. إني دائما ما أمتجّب ذلك. يطالب القصر المدّمّر بحضور الأتريد [الأتريد أبناء أتره في الأسطورة اليونانية وتميّز نزولهم إلى الأرض بالنهب والحرق والقتل. فتدخلت أثينا وحدها لإيقاف المجازر] أما أنا فلا أريد أن أعمّرها بالأبطال الأسطوريين. سوف يبقى مخربا وسأخسر من ذلك شيئا ما. لقد كان الأمر دائما كذلك وأسميه حسب مزاجي، فقر دم أو شرف الذهن.

والمقصود من وراء ذلك أنني أخشى شرف الذهن هذا، في الأيام القادمة. نبذولي هذه الأيام العشرة من بعيد ثمينة جدا؛ يترأى لي أنني سوف أعيش ولأوّل مرّة سعادة نبيلة. لكنني أخشى أن أجد في قلب هذه المدة الزبد المتدفق والكسول لزماني هنا، أخشى أن أجدني في معابر اللامبالاة. أخشى أن يكون عندي ذهن شريف جدا. من المؤكّد، أنني أريد أن أعيش هذه الأيام بكلّ أصالة. لكن هناك مكان في هذه الأصالة ذاتها لشيء ما أكثر ندرة، استثنائيّ. باختصار فليمنحوني هذه الرخصة وسوف آخذها، إنّها مشروع. غالبا ما فكّرت في هذه الصعوبات التي تنتظر المسترخين هناك. تخنّنت أن الرخصة شيء صعب. ليس من السهل العثور على امرأة

مثلاً. أما بالنسبة إليّ فلا توجد هذه الصّعوبات. لكن هناك صعوبات أخرى جثت على ذكرها منذ حين. أقول هنا إنني وإن نجحت في رخصتي، فإنّ ميستلر ونيبار نجحا فيها أيضاً، وهو أمر مستغرب إلى درجة أنّ هذا الأخير - سوف يرى أنّ كورساي والمساعد قد خسراها. أما بالنسبة إلى بياتر فلقد عبّر من خلالها دون أن ينتبه أنّ هناك حصّة للعب (باستثناء ما يتعلّق بشؤونه). لكنّ لطفه الطّبيعيّ، ظرافته وحظّه، ينضاف إلى ذلك سمك بشرته، كلّ هذا منعه من أن يخسر: ضربة غير موفّقة.

فوضى مباغته تعصف بمجموعتنا، وقد حان الوقت لأصف ذلك، فبداية من الغد لن يكون لها وجود. يسافر كيللر غدا إلى باريس وأنا أخرج في رخصة. سوف يتمّ التّبديل بعد أربعة أو خمسة أيّام، كلّ الفرقة سوف تسافر إلى بوكسفيللر. سيظلّ بول وبياتر، وحدهما، في مدينة جديدة. هذه التّقطّعات المباغته للتّوازن التي تفتّت الأشكال في اللّحظة التي تبدو فيها أفضل تنظيماً، هي من مميّزات عدم الاستقرار العسكريّ.

السّبت 3 فيفري

خروج في رخصة.

الأحد 4

رفقة كيللر أنزل من القطار، في التاسعة والتّصف صباحاً، إثر ليلة قضيناها، في عرباته، كنت محمّلاً مثل حمار، ومضينا معاً إلى إيغفيليه (هوت-صاوون) مركز التّجميع. موضع عجيب. أكواخ من خشب شبيهة بأكواخ فيلغران الشّهيرة، تحت ردم السّكّة الحديديّة، وسط غابة صغيرة. المسافة بين المدينة والمحطّة تقارب عشرين دقيقة سيرا على الأقدام. ما يقارب الثلاثين كوخاً مهياً بشكل متناظر ومدخلها متواجهة. لا أثر للثلج بهوت-صاوون، فالأرض سوداء موحلة مستنقع، نسيم غصّ رقيق. أشجار هزيلة، كثيرة الفروع، عديدة ومتفاوتة الطّول مثل العشب الفاسد. نشعر في البدء كما لو أنّنا في غابة. ثمّ فجأة في قلب هذه الغابة يياغتنا تجمّع بشريّ

ضخم برائحة بشرية قوية. رغم الزي الخاص ليس لهذا التجمع أي مظهر عسكري. يغمر الوجوه شيء من الانفراج الذي تتخلله كآبة خفيفة تائهة، لا تشبه في شيء الانتظار الفارغ الذي عادة ما نلاحظه على جنود في فرق مُقادة. التداير مهمة المعاطف غير مزررة، الكثير من الجنود متكئون على عصي غليظة مشدبة بعناية. بعض آخر أمسك بكلاب، آخرون أمسكوا بعلب رثانة تنطلق منها أصوات مختلفة. هذه العصي وهيئاتهم الباهتة (صناديق، قبعات، الصفائح، أقنعة الغاز التي تزيد من سمك الخصر وتعطي هيئة الشخص اتساعا نحو الأسفل) كل هذا يجعل من الجنود يشبهون جنود أندرسون الذين يعودون إلى بيوتهم، أحراراً، نصف قطاع طرق. يظهرون كمن عاشوا لحظة راقية ممتزجة بشيء من القساوة التي تتناقض مع هيئة الخرفان، التي كانوا عليها أثناء الخدمة العسكرية. بدا بعض الجنود سكارى - لكن ليس كثيراً. أقل من الأمس. ناموا بعد ما احتسوا خمرهم في القطار. غير أن ما يمنح ميزة خاصة لهذا التجمع البشري الذي جاء أعضاؤه من كل حذب وصوب قاصدين جهات متعددة، هو هذه الأصوات التي تطلقها مكبرات الصوت المعلقة فوق سقوف الأكواخ. ومن حين لآخر ترسل مكبرات الصوت هذه أصواتاً موسيقية. ليس ذلك دائماً - منذ قليل كانت هناك موسيقى متعة الحب⁽³⁵⁸⁾ لكن مكبرات الصوت كانت تبث أغلب الوقت معلومات، مواعظ، نصائح، إلخ. وهي في الحقيقة وساطة بين السادة المسافرين لشركة النقل الحديدي الفرنسية وجنود! القائد، أو هي تلك العلاقة المألوفة. يغطون علينا: أيها المسترخصون! انتبهوا لهذا: بالنسبة إلى القطار الأخضر فقط تجمعوا خلف الكوخ الثالث، الرجاء الزموا أماكنكم لتجنب الازدحام، لا يستدعي الأمر أن تبخلوا دون فائدة، ما يصدم في هذا أنهم يخاطبون عقولا. من المؤكد أنه مازال عقلاً صيانياً ويلزم تعنيفه، إقناعه بالتكرار. غير أنه في الأخير عقل. يفكرون لنا لماذية الأوامر. ليصبح الأمر مجرد نصيحة. بل إن التسمية ذاتها المسترخصون - وهي التسمية الوحيدة التي ينادوننا بها هنا - تعين واقعاً وسيطاً بين

358. للتذكير فإن هذه الأغنية الفرنسية الشعبية من كلمات فلوريان وتلحين مارتيني (ملحن في عصر لويس السادس عشر).

المدني والجندي. شيء ما مثل مسافرون!، أو ما هو أفضل مثل صاحب بطاقة لعائلات متعددة، أو أيضا وبالأخص: إسناد تذاكر مخفّضة للسفر إلى عطلة نهاية الأسبوع نحو شاتو دي لالوار، هذا هو التركيب الجديد للتنظيم المدني (وهو بالفعل شديد التنظيم)، بأزياء وتسيرات، مع تهديدات محجّبة، نداءات للمبادرات الفردية (لكن لمبادرة يقومون هم بتحديد اتجاهها الوحيد بكل صرامة)، هذا الجهد من أجل تحقيق رفاهية حديثة وخشنة للجماهير (إمكانية إرسال برقيات مستعجلة، لمحة في مأوى الجندي، قدح شاي مجّاف في المطعم)، إنه كلّ ما يسبغ على كلّ شيء ميزة الاحتفال الفاشي؛ أتذكر نبرة صوت آتية عبر المصّح كنت قد سمعتها من قبل، في ألمانيا، أثناء حفلات التملهوف، إلخ. شعور مشقوق بهذا النغم القاسي، الصامت، اللامبالي والداخلي للكثير من الأشخاص.

ما يصدّم بالفعل، أنّ الجنود لا يبدو عليهم أنهم مستمتعون. إنهم هادئون بل ومغتمون أيضا وأنا مثلهم. رغم أنّ منهم من عارك لمدة خمسة عشر يوما (وأنا واحد منهم) من أجل الحصول على رخصة السفر اليوم. غير أنهم يريدون الآن متعلّين كما لو أنّ رخصتهم هي مشاريع واختبار في الوقت نفسه. يبدو أنهم يشعرون بخشية من ذلك. أفهم جيّدا هذا القلق وأشارهم إياه. يريدون أن يتم الأمر بشكل جيّد، والمعتادون ليسوا على ثقة أنّ هذا ممكن الحدوث.

على كلّ حال؛ حدثت هزة فرح صغيرة ومقتضبة في معسكرنا؛ ما إن نطق مكبر الصّوت المسترخصون للقطار الأزرق، تجمّعوا. بدأ المسترخصون يهتمون قليلا، ثم سرعان ما انطفأ ذلك الهتاف. تلا ذلك مظاهرات قليلة: عدا بعض التّصفيرات حين يتحدّث مكبر الصّوت عن البوليس.

لهذا التّجمّع طابع مخصوص، يتمثّل في أنّ منظّميه، كانوا مدنيين، تحت إشراف عسكري، حيث اللافئات، والخدمات، ولاقط - الصّوت إلخ. وأنا واثق أنّه من إنجاز الشركة الفرنسيّة للسكك الحديدية.

المعسكرات: قرابة ثلاثين مترا طولاً وثمانية أمتار عرضاً، عارضة خشبية، حواجز خشبية بيضاء، ثلاثة شبايك بزجاج أكمد وثمان روافد على الحاجزين الأطول. أربعة

مصباح كهربائية تتدلى من السقف، مقاعد من لوح أبيض يظهر مضغوطة إلى بعضها، بين هذه المقاعد من طرف إلى آخر بالمعسكر امتدَ عمر يفتح عليه البابان المتقابلان.

مثال من نبرة لاقط الصوت: لا يشغل المطعم عند التاسعة إلا لمسترخصي القطار الوردى. كل من يندس ضمن هذه المجموعة وهو لا يحمل رخصة وردية... صمت نتظر: يعاقبون بأربعة كران⁽³⁵⁹⁾، لكن، يواصل الصوت بنبرة أبوية: لن يتم استقبالهم بالمطعم. والمطعم بعيد جدًا. يتطلب الأمر عشرين دقيقة للوصول إليه، ومثلها، للعودة منه، وهكذا سوف يخسرون أربعين دقيقة مقابل لا شيء.

يبث مكبر الصوت عند الساعة العاشرة والنصف أغنية يدك في يدي لشارل تربينه، أراي مع بوست والكاستور بحّي شعبيّ بهارسيليا، في ليلة من ليالي أوت الجميلة، محاولا تذكر لحن هذه الأغنية. أدمعت عينيّ لانفعال عنيف ومباغت استولى عليّ، لا علاقة له بكأبتي العميقة للحظة الفاتنة. دفنت دموعي متظاهرا بمسح نظارتي. من المؤكد أنه ثمة هنا عودة دنيئة للتحنان عليّ. ثم إحساس مزيف متأّت من تعب ليلة شاقة. لكنّه هو أيضا كلّ هذه الأشياء التي مضت، كلّ هذه الأشياء الجميلة التي أفكر فيها كما أفكر في موتى، بدوالي بالأمس فقط بشكل تلميحٍ أحياء للحظة. أكتب هذا وأنا مستلق بطمأنينة في مقعدي بالقطار الوردى الذي سوف ينطلق عند الساعة الحادية عشرة وإحدى عشرة دقيقة. إنها الساعة الحادية عشرة، مازلت أسمع قطعاً متناثرة غير معروفة لموسيقى مثيرة. ومن حين لآخر: أيّها المتأخرون عن القطار الوردى، اشرعوا وكان لما وقع مثل يا برونليارتو البلاد، اتحدوا.

16 فيضري

عودة من الرخصة. لم أكتب في هذا الدفتر أثناء إقامتي بباريس وحسنا فعلت. وبالأساس فكّل ما حدث لي لا يعنيه. إنّه دفتر حرب وليس له من معنى إلا وهو كذلك. ثم لقد أردت أن أتماهى مع رخصتي دون أن أنشغل بالتفكير. أو بالأحرى

359. مصطلح عسكري المقصود به يوم عقاب.

دون حصر تفكيري وتثبيته، دون أن أعرف أنني أفكر. غير أنني سوف أدون هنا ما يمكن أن يهّم وجهة النظر الوجود -في- الحرب، بما أنّ الرخصة في جميع الأحوال هي حلقة من حلقات الحرب. سوف أقول أولاً إنني كنت مقعماً. لاشيء سوى الامتياز. لم تكن هناك ساعات ضائعة. لا أعتقد أنّه يمكننا أن نفعل أفضل ممّا فعلناه. التقيت بالكاستور وفاندا، لم أكن وحدي ولو لحظة واحدة، غير أنني ذقت العزلة في برومات ومورسبرون لأظفر بنعومة أنني إثنان. لم يخذلني أحد بل بالعكس. كان هناك مفاجأة سارة -ولها علاقة بحياتي الشخصية. لكن بعد التأكيد على كمال هذه الرخصة، يجب القول إنّها قد خيّبت الظنّ، ولم تكن مثلما توسّمت، خاصّة منها الجمعة، الذي فلم يكن ثمينا بالمرّة، أو ذا بال. ويتعلّق هذا أولاً بطبيعة الزمن، فهو خشن، حيثما كنّا. لا شيء بإمكاننا أن نفعله. هناك زمن واحد هو زمن الوجود. حقيقة أنني شعرت منذ أوّل وصولي للعشرة أيام هذ، كما يجب أن يكون لي عبارة وجود-عشرة-أيام، لن يغيّر شيئاً في هذا. ذلك أنّ باريس خاصّة في البداية تبدو لي مألوفة، ولا تشعرني بالحرب إلّا قليلاً، عند المساء في أزقتها، ولكنّ ما نتقيّه لنا من أماكن، أنا والكاسترو، أماكن لم تمسّسها الحرب، ولم تغيّر في ملاحظتها شيئاً. استعدت كلّ عاداتي رغماً عني وتألّفت معها. بدت الأشهر الخمسة التي قضيتها في الأتراس مثل حلم. أواسط رخصتي بدأت ألاحظ الأعداد الكبيرة من ذوي العاهات والعجّز وأحسست بباريس كما لو أنّها مدينة جتّة، أفرغها نزيّف حادّ من كلّ الناس. يؤثّر عليّ كثيراً حزن المساء خاصّة. كان حيّ مونارتر ميّتا ومقفراً. بدت لي ساحة سانت شارل في سراب اللّيل، بعظمة كارثيّة تراها متجسّدة على مفترق الطّرقات الكبرى للضواحي. وأنا أهبط شارع بيغال شاهدت من هنا وهناك وعبر الستائر، الأضواء الكامدة للمراقص التي بدت مثل صدوع شبه زجاجيّة. كنت أعرف أنّ الجاز صار رديّنا ونهيتني هذه الجملة لفاندا باحتضاره نهائياً: لن نذهب إلى شانتيي فالبرد هناك شديد. بل كان في الجوّ هناك أشدّ نفاذاً، أشعرتني به الكاستور بقوة: إنّها مدينة ناس بلا مستقبل. حياة عائليّة، هكذا كانت تقول لي. والدليل على ذلك أنّ ما يفصل بين الناس بشكل مضحك، خلال السّلم، فالنساء والرجال أبواب تفتح على الخارج، على مستقبل مجهول. كلّ واحد

منهما يتظر شيئا ما أجهله، وهذا المستقبل المجهول هو الذي يقطعهما عن الأنا، ليس محطّة الحافلات أو حاشية الرّصيف، ما يجمعنا في الحاضر، بالعكس. كلّ هذا انّحى: أغلب النّاس الذين رأيتهم، في المقاهي، في الشوارع، في المراقص، بدوا على هيئة طبيعيّة، لا يتحدثون عن الحرب، بل ويستمتعون. رغم أنّي أعلم أنّ قدرهم قد توقف مثل قدر الأموات، لا ينتظرون أيّ شيء سوى نهاية الحرب، التي لا تتعلق بهم. وفي الانتظار ينشغلون بقدر ما يستطيعون؛ يتركون الحرب تسيل فوقهم، ويعطونها بظهورهم. نعم لقد تركت باريس وفي داخلي شعور أنّها قبو عائلة وهو ما ليس من شأنه إن قليلا أو كثيرا أنّ يتزع عنها صفة الثّمينة بالنّسبة إلى رخصتي. هذه المدينة التي طالما رغبت في العثور عليها، إمّا أنّها مألوفة جدّا، فلا أستمع إطلاقا بالتّراجع الكافي للشعور أنّي عثرت عليها - أو اكتشفتها فجأة عند قدميّ، غير أنّها كانت بائسة وميتة - في فقر مُفجع. حتّى أنّ الشّعورين القويّين اللّذين خلصت بهما من باريس كانا على عكس ما كنت أنتظره: إذ تخيلت أنّي سوف أشعر بالضياع في مدينة غريبة، شاسعة مزدحمة كما حصل لي ببرلين، بلندن، بنابلي. وإذا به يحدث العكس: في أحد المساءات الأخيرة، دخلت الكاستور مقهى الرون بوان في الشّان إيليزي، وكنت أنتظرها بالخارج، مفتونا بذلك التّكتّم الجديد اللّبديّ الذي يعطي مقاهي المساء مظهرًا خفيّا تتسم به المواخير، مفتونا بساء لم تتوقّف عن الانطفاء، وبجواهر ثمينة مشدودة إلى مصابيح الإضاءة العموميّة وهي تلتمع دون أن تضيء. بليلة زرقاء ممتلئة بالهمسات، تجعل المرء يفكر في الصّيف. وفجأة استولى عليّ ما يشبه البهجة لمجرّد التّفكير أنّي حيّ هنا في هذه المدينة الرّائعة والميتة، إنّي حيّ لأنّني بالضّبط لا أنتمي إليها، لأنّ قدري يتشكّل في مكان آخر غير هذا، بقدر ما أخوض الحرب في مكان آخر، فأنا من يصنع هذا القدر. شعرت في تلك اللّحظة أنّي مثل مسافر ينتسب إلى مدينة وثمة شيء آخر ينتظره في جهة أخرى. وكان ذلك الإحساس دونها شكّ مريرا، لأنّني قريبا سوف أترك أولئك الذين أحبّهم الأكثر، ولأنّني في ذلك اليوم بالذّات، أحبّ بعنف أكثر من أيّ وقت مضى. غير أنّه كان عزاء حقيقيّا للكبرياء، في خضمّ تلك المرارة، أنّي لم أقع أسيرا بداخله. لم أستطع مقارنة هذا الانطباع إلّا بما شعرنا به،

أنا والكاستور، أمام المدين اليونانية أو المغربية الفاتنة والعامرة بالموتى. بسبارطا مثلا حين رأينا الشباب اليوناني بصدد تناول المَقَبَلات في المقهى الكبير بالمدينة، بفاس، وسط الأسواق، كنا مفتونين إلى درجة أننا تركنا أنفسنا تتداعى هناك تقريبا، ورغم ذلك شعرنا بالسَّلوان، متخفّفين، لأننا كنا أناسا من أماكن أخرى.

أحسست بانطباع مماثل لهذا الانطباع في مناسبة أخرى بينما كنت مع فاندا في الجوكاي. كنت أعشق فاندا بشكل قويّ وأعتقد أنّها كانت تبادلني الهيام نفسه. ولقد كان هناك أزواج آخرون لكن أقلّ سنا (فلم يد على الذكور أنّهم مجنون) ويبدو أنّهم كانوا عشاقا هم أيضا. وأحسست أنّني انقلّت عن هذا الحبّ رغما عنيّ لأنني سوف أرحل. كان أولئك العشاق من حولنا لا يفعلون شيئا آخر سوى أن يتحابّوا. أمّا أنا فربّما لم أعد أحبّ شيئا سواهم، غير أنّي كنت وحدي، وما كان باستطاعتي سوى أن أهني لهذا الحبّ، لأنّه كان يتوجّب عليّ أن أرحل قريبا. عدا ما أحسست به من انفعالات في تينك اللحظتين، فبال تأكيد قضيت أياما مفعما، سعيدا، مهتما بكلّ لحظة، غير أنّ هذه الندرة التي كنت آملها لم تبرز لي، فمن المؤكّد أنّني لم أخلّق للانفعالات النادرة.

ما تعلّمته أيضا وأدوّنه هنا دون أن أتوسّع في الكتابة عنه، أنّه لمن السهل جدّا أن يعيش المرء نظيفا وأصيلا في الحرب، لأنّ ذلك لن يتاح له في أزمنة السّلم⁽³⁶⁰⁾.

17 فيضري

لقد اتخذت هذه الرّخصة في العموم شكل الكلّ، شكلا ممتلئا ومستديرا كنت

360 لقد كان سارتر لأصيل بشكل متضاعف بباريس بطلب من سيمون دي بوفوار لم يصح لماندا إلا بالجمعة أيام الأخيرة لمدة رخصته (عوض عشر أيام) : غير إنه أخفى بصعوبة تلهفه لرؤية الشابة الصغيرة لأنه في طريق عودته كتب للكاستور مايلي: "أخشى إنني لم أكن لطيفا طيلة هذه الرخصة" من جهة أخرى لم يعلم بيانكا برخصته هذه : ألم يكن ب" تحسرات فظيعة" يقرأ الرسائل التي أرسلتها له خلال إقامته بباريس(رساله للكاستور بتاريخ 16 فيفري مقطع غير منشور سابقا) ولقد تساءل قبل ذلك قائلا: "أليس من الأفضل أن وفيها طيلة حياته لأمرأة واحدة(سيمون دي بوفوار يوميات حرب 10 و13 فيفري 1940).

ألتصص عليه من بعيد وأفكر في يناير، وفي أنني قادر على امتلاكه. غير أنني لم أستطع في نهاية الأمر أن أراه فارغا، فكلما خيل لي أنه قد صار على مقربة مني، وسأمسك به، انفلت، فلا أقبض غير الريح. لأستتج أن لا وجود له إلا في مخيلتي. هناك خطوة واحدة استطاع بروست، مثلا، أن يتجاوزها. لكنني سوف أحتفظ بذلك. لقد علّمتني الكاستور بالفعل شيئا جديدا: نرى في روايتها⁽³⁶¹⁾ أن إليزابيث تشتكي من أنها محاطة بأشياء تريد أن تستمتع بها غير أنها لا تستطيع تحقيق ذلك. من المؤسف أنها جعلت إليزابيث تنفعل بهذا الشكل، وهي شخصية مرضية وحادة، مما يقلل من ميولاتها، وهي أغلب الوقت تكفي بإحساس ظاهري. غير أن الكاستور ترى أبعد من ذلك. لقد أرادت أن تقول إننا محاطون بها لا يتحقق. إذ يتعلّق الأمر بأشياء موجودة يمكننا أن نفكر فيها عن بعد أو أن نصفها، لكن لا يمكننا أبدا أن نراها. رغم ذلك ما هي هذه الأشياء هنا في متناول اليد، تجذب نظرنا، نلتفت نحوها فلا نجد شيئا. هي في العادة أشياء تتعلّق بنا. والمثال المختار لإليزابيث رائع جدًا: فلا يمكننا بالفعل أن نعيش علاقة ما كنّا عليه، مع ما سوف نكون عليه. يحدث لي أحيانا أن أقول: كلّ ما رغبت فيه خلال شبّابي حصلت عليه، لكن ليس بالطريقة التي أريدها. أفكر في هذا الأمر، من خلال ما أنذكره، مما رغبت فيه وما حصلت عليه. أفكر فيه لكن لا أراه. يبدو أننا نستطيع أن نضاعف دائما بهجتنا لأننا نجحنا في مشروع ما بالنظر إلى هذا النجاح من خلال آمالنا ومخاوفنا الماضية: لقد رغبت فيه كثيرا وما أنا ذا قد نلتته. غير أنه أمر مستحيل في أغلب الحالات. لقد ماتت آمالنا الكبرى وهي أبعد من أن نرى نجاحنا من خلالها، نحن ننظر إليها هي من خلال نجاحنا. كذلك هذا الشيء المؤثر من جميع الأشياء، الشيء الذي نستطيع الإمساك به جيّدا حين يتعلّق الأمر بالغير، ينفلت منا بحسب المبدأ. رغم أن الهنا، مجرد وهم على حدّ عبارة آرون. طريقة كي أستند إلى وجهة نظر الله لكن لا، فأنا أشدّ تواضعا من هذا. توجد هذه الأشياء لأننا نستطيع أن نفكر فيها حقّا. توجد رخصتي لأن المجتمع

361 المدعوّة والتي قرأ سارتر مخطوطها قبل ذلك خلال رخصته (سيمون دي بوفوار يوميات حرب) الرواية لم تصدر إلا سنة 1943.

أَكْسَبَهَا وجوداً واقعياً، لَأَنَّهَا دلالة إقامتي بياريس ولأَنَّهَا، رغم كَلِّ شيء، تمنح لحظاتي المعنى. ورغم ذلك هي ليست في متناول يدي. بالنسبة إليّ فَإِنَّ علاقة طموحاتي الشَّبابيَّة بكهولتي، أمر يمكن أن يحدث للكاستور مثلاً. لكن بالنسبة إليّ لا. وضمن نفس الحلقة تقع تلك المغامرة التي تهرب من المغامر وسط الظروف العجيبة للغاية، التي هي رغم ذلك صنف جوهريّ من النشاط البشريّ. أعتقد أنني قلت في الغيَّان إنَّه لا وجود لها. غير أنني كتبتها بشكل سيّئ. فالأجدر أن أقول إنَّها غير مُحَقَّقة. المغامرة موجود لا تبرز طبيعته إلَّا في الماضي من خلال ما نرويه عنها. ما هو مدعاة للاضطراب في هذه الأشياء اللُّمُحَقَّقة، أنني أستطيع التَّفكير فيها إلى أبعد حدّ وبالتفصيل، وبواسطة الكلمة يمكن تحقيقها من خلال آخرين. مثلاً لو انشغلت بكتابة قصّة عنوانها الرِّخصة، يمكنني أن أوْلَف هذه الرِّخصة كما يجب أن تكون، بطبيعتها المؤثِّرة والثَّمينة. أستطيع أن أفعل ذلك بطريقة تجعل القارئ يحقِّقها مثل نعم ينساب بعنف نحو نهايته. لكن سيكون ذلك من قبيل الفنّ. الفنّ هو وسيلة من تلك الوسائل التي نمتلكها لنحقِّق من خلال آخرين بشكل حيويّ وتخييليّ، ما لا يمكننا تحقيقه. أغتنم هذه الفرصة لأدوِّن أنَّ ما يتحقَّق ليس إطلاقاً من طبيعة التَّخيل. فهو واقعيّ، موحود في كلِّ مكان، لكنّه ليس في متناول اليد. بإمكان آخرين الإمساك به سواء عن طريق التَّحقيق أو عن طريق التَّخيل. غير أنني أعتقد أنَّ الأصالة تنزع إلى تحديد مكانها من حولنا كما لو أنَّها غير متحقَّقة. لا يجب إنكاره كما لا يجب محاولة تحقيقه دون جدوى، لكن تحمّله كشيء لن يتحقَّق. هذا العيب الذي عرفناه أنا والكاستور عند الغير، تحت مسمّى الظَّاهر (أن يكون على ظاهره، إنجاز المذهل) يتكوَّن بالأساس في أحد أنواعه من سوء النِّيَّة التي من خلالها نقنع أنفسنا أنَّنا حقَّقنا ما لا يتحقَّق من حيث المبدأ. بالعكس فنقاوَّة فأندا تقوم على ثقة عمياء في مبدأ المتحقَّق. لن تفكِّر إطلاقاً أنَّ إقامتي عندها كانت ضمن الرِّخصة. هو حضور بين غائبين ليس أكثر. لن تسمي حكاياتها المتعدِّدة في بال نيغر مغامرات. ففي كلِّ واحدة من هذه المغامرات كانت مفتونة باللَّحظة. لكن، رغم ذلك هي تعتقد كلَّ هذه الأشياء، بنقص دافع لنشاطها. ينبغي تحديد ما هو لا محقَّق ممَّا هو محقَّق حسب الحالة.

باريس مثلا هي موجود واقعيّ. هذا ممّا لا شكّ فيه. لكن هل هي فعلا موجود مُحَقَّقٌ بالنسبة إليّ؟ بإمكانني أن أفكر أنّني في باريس. لكن هل بإمكانني أن أكون في باريس. منذ عامين تناقشت والكاستور مطوّلا بخصوص مقالة لغايلو حول أسطورة المدينة الكبرى⁽³⁶²⁾، أعتقد أنّني كنت على حقّ في هذه الحال ضدّ الكاستور (لقد طرحنا السؤال بشكل سيّئ، إضافة إلى أنّنا نفتقد إلى المفهوم الحقيقيّ للّاحقّق. كنّا نتساءل فقط هل أن باريس موجودة بالفعل أم أنّها مجرد أسطورة). أعتقد أنّه من الممكن أن نكون موجودين ب-باريس. من المألوف أن لا أسمي تحقيق شيء ما مجرد تمثّل هذا الشيء بمشاعر حيوية شيئا ما. نحقق شيئا ما حين يكون حضور هذا الشيء معطى لنا باعتباره نحويرا جوهريا لوجودنا ومن خلال هذا التحوير. فلا يعني أيّ شيء أن تكون لنا مغامرة ما بأنّ نتمثّلها لكن هو وجود-داخل المغامرة-وهو ما بيّنت استحالة الغثيان. من الممكن دائما تمثّل اللاحقّق لكن لا يمكن الاستمتاع به، وهو ما يمنحه صفته المناوئة والملتبسة. أعتقد أنّ نصف أفعال الناس لها هدف واحد ألا وهو تحقيق اللاحقّق. أعتقد أيضا أنّ أغلب خيالاتنا النافذة متأتية من كون اللاحقّق يظهر لنا في المستقبل، ثمّ بضربة واحدة في الماضي، كما لو أنّه مُحَقَّقٌ، وما نشعر به وقتها من أنّنا لم نحققه. وإني لأشعر الآن جيّدا أنّ هذه الأيام العشرة، التي أصبحت خلفي، هي موتورة، مشدودة كما لو أنّ نهايتها هي بدايتها، وهي بصدد أن تتحوّل في ذاكرتي إلى الرخصة، هي نفسها التي رغبت في الظفر بها، عندما كنت أحلم بها في 2 فيفري.

أريد أن أروي قصّة عودتي. قبل يوم الأمس 15 فيفري لبست زيّ العسكريّ، قام خيّاط مدنيّ بتجديده لي. حصلت على أربطة سيقان جديدة، جزمات تزّج (فتلك التي كنت أنعلها في السابق كانت على ملك الكاستور). صرت نظيفا كما لم أكن أبدا كذلك، منذ بداية الحرب. عند الساعة التاسعة وصلت لرصيف محطة الشرق، وعثرت على زاوية هادئة دون مشقّة. كان الجنود مرفوقين بالقليل من الرجال والكثير من النساء اللّواتي تعلّقن بأذرعهم ينظرون إليهم بشكل خشن. غير أنّ أغلب الجنود

362 "باريس، أسطورة حديثة" صدر هذا المقال بالمجلة الفرنسية الحديثة في ماي 1937 ثم في مجلد بعنوان السطورة والإنسان عن دار غاليمار سنة 1938.

كانوا نظيفين مخلوقي الذقون، أنظف كثيرا من المعتاد، لا ينظرون إليهن، كانوا قد رحلوا، كانوا يلوحون بأبصارهم في الغامض قدامهم، أو يحذقون في بقية الجنود. لن أعظم بشكل متسارع، تفسحت على طول الرصيف وصدمت لرؤية هذه التجمعات الغريبة في كل مكان، لهذه الحركة، لهذا الشكل المتعلق، يزداد ضيقا، ويحاول أن يغلق التجمع، ويجعل منه كلاً ضد الخارج، والشكل الأكبر، أخرس، ثقيل وتقريبا سلبي ينسحب بخفة من جهة ويعرض نفسه حين تظهر الصورة الجانبية للآخر، من خلال هاتين النظرتين، يحاول الأول الإبقاء والمحافظة، ويروم الثاني الإفلات نحو المستقبل. تبكي امرأة من حين لآخر، يتبه لها رجلها فيقول لها بشكل من الطيش: لا يجب أن تبكي، لكن بتوقف وهو لا يعرف ما سيضيف، مقتنعا في عمقه أن من حقهن البكاء. إحدى النسوة ورجلها شرعا في التحجب معا غير أن هذا لم يجد صدى عند الحشود المزدحمة. مر جندي يركض وهو يصيح: ها هي المياه الكبرى، وهو ما أغرق الآخرين في الضحك. يا له من حدث اجتماعي غريب في الأجواء المكفهرة الكاكية الموحلة، هذه الانتقائية البدائية تماما بين الرجال الذين يتم انتزاعهم كلهم، وبين النساء المخضبات بشكل سيئ، البشعات بسبب أرق الليل، اللواتي وضعن ملابسهن على عجل وسيبقين هنا. كان هناك قطاران الواحد قبالة الآخر. سوف ينطلق قطاري هو الثاني. انطلق الأول على الساعة 9 و30 دقيقة وشاهدت استعراضا للنساء. تراجع الأزواج، الذين سيمتطي الذكور منهم قطاري لمشاهدة هذا الاستعراض دون أن ينطقوا بكلمة واحدة. دون شك إن النسوة اللواتي يقبضن على أيادي أزواجهن فكرن أنهن سوف يعشن الحالة نفسها بعد ربع ساعة من الآن. كان استعراضا بطيئا وصامتا مصحوبا بنوع من اللطافة المترددة. كل النساء تبكين باستثناء قلة منهم، كان المشهد هزليا تقريبا: عجائز وشابات، بدينات وضخمت، سمرات وشقراوات بنفس العيون المحمرة، واحدة أو إثنان منهن لفتتا انتباهي، واحدة بالأخص شقراء ممتلئة أنيقة بمعطف فرو ووجه ذابل، لم تكن تبكي، وتمشي بخطى عريضة، ملتفتة الرأس إلى الجهة الأخرى، تنظر إلى قطارنا بمزاج لطيف وثاته. بدت لي هذه الأخيرة مذهولة أكثر من الأخريات. واحدة أخرى، لها بالضبط هيئة النساء العائدات إلى أماكنهن إثر

لقاء حميمي. بدا لي من وراء ابتسامتها الدّاخلية الغامضة، من عينيها المكسورتين، أنّها تنفّس ذكرياتها مثل ذبيحة. ارتفع صوت ينادي إلى العربات، وصعدنا حافلاتنا. تدافع الجنود الواحد بعد الآخر عند الباب يطلبون الصّعود، وكلّما تحرّر أحدهم من الأيادي الممدودة نحوه، أو ترفع إليه امرأة يسحبها من كفيها، ويقول بلباقة وهو ينسحب: التّالي انطلق القطار. كان الجنود صامتين مغتمّين. شرع جنديّ أشقر جميل في الرّعيق هاتجا. سمعت أحدهم يقول له: لا يجب أن تفعل أكثر ممّا ينبغي، ما الفائدة من وراء ذلك؟ أجاب الآخر بسخرية سافرة: أووه ! طبعاً أمر طبيعيّ. بعد عشر سنوات لن يبقى لهذا تأثير عليّ. تحدّث جنديّ آخر عن الرّخصة القادمة، فردّ عليه آخر بنبرة سيّئة: آه نعم! لتحدّث عن الرّخصة القادمة. وتخصّ جنديّ بشارين كما لو أنّه يقنع نفسه: أربعة شهور أخرى. أوقع أحدهم على رأس يهوديّ صغير بنظّارتين كامل عدّته. فشرع يعتذر إليه واليهوديّ الصّغير يقول بلطف وخنوع: أووه! الآن أو بعد... البعد الممكن على كلّ حال، ظلّاً يتحدّثان في شتى الأمور دون أن يكون حديثهما موجّها لأيّ أحد ودون ردود. أعتقد أنّي فهمت من حديثهما أنّهما مرتعبان من هجوم في الرّبيع القادم. وهو ما يعطي لرحيلهم طابعه التراجيديّ. لم تمض ربع ساعة على انطلاق القطار، وخيّم الصّمت على الجميع. كان هناك من يقرؤون، وآخرون ينامون، وآخرون ظلّت عيونهم ثابتة. كنت أقرأ، اليسمارك للوديفيك⁽³⁶³⁾. أضع أحيانا كتابي وأخرج للتدخين في الممرّ، لم أكن حزينا ولكن شديد الاضطراب في حالة يمكن أن نسمّيها بالتدقيق مؤثّرة، تعيشها للحشرات خلال انسلاخها. تمكّنت من حين لآخر من الاهتمام بما أقرأ، وبالتالي إيصال تأثيري إلى اليسمارك الذي لم يستطع أن يبكيّني.

عند السّاعة الرّابعة والتّصف. توقّف القطار. نزلنا في الثّلج وفهمنا مباشرة ماذا يدور: ما إن وضعنا أقدامنا على الرّصيف أخذ مكبّر صوت يصرخ فينا. لم نعد مسترخصين، بل جنودا، وما عاد من الممكن أن يخاطبونا بأدب ولباقة كما حدث في إيف فيلييه، بل هو الآن خطاب التهديد بأشنع العقوبات: ممنوع منعا باتا... كلّ جنديّ

يُقدم على... يتعرّض لأقصى أنواع العقوبات. لم أشعر أنّ الأمر يعني، بل كنت مستمتعا، صلبا. غمغم أحدهم بجانب: هذه طريقتهم أن يقولوا لنا صباح الخير. معسكرات. إنّها محطة وسائل المواصلات العامة. شريت قنينة بيرة في جرعة واحدة واخترت كوخ. لماذا يجب الاختيار من بين كلّ هذه الأكواخ المتشابهة؟ آخر ما يتبقّى من الحسّ المدنيّ: دخلت قاعة كبيرة مظلمة بجدران خشبية. كان هناك جنود ينامون على المقاعد، ألقى آخرون رؤوسهم وقد تدلّت نحو الأسفل، بينما انهمك آخرون يأكلون. كتبت لفاندا وللكاستور، ثمّ انشغلت بقراءة قال لي هتلر⁽³⁶⁴⁾. هبط الليل وبدأ الطقس يبرد. كان هناك في الغبش ثلاثة مقاعد انتظمت في شكل مثلث حول السّخان. جلست، كنّا ما يقارب العشرين جنديّا، جالسين القرفصاء قبالة بعضنا، العين مثبتة. استعدت العديد من الذكريات وكنت أعلم أنّ رفاقي يستعدون الذكريات أيضا. دخل أحدهم: ولكنّ العالم دون نساء هنا، أين هنّ النساء؟ يعلمنا مكبر الصّوت من حين لآخر بموعد انطلاق القطار التّالي. أعلن لنا انطلاق قطارنا بشكل مسبق وحدث خلط. خرجت عند السّابعة والنّصف من الكوخ: أعلنوا أنّ هناك عرضا سينائيّا ناطقا. انضمت للطّابور مع الآخرين وحين جاء دوري، انصرفت. لم أكن أرغب أن أستمتع بهذا العالم المهموم والقويّ، لم أكن أرغب أن أكون مفتونا بالمتخيّل. عدت للكوخ. هرولنا عند التّاسعة وعشرين دقيقة نحو قطارنا راكضين وسط الثّلج، في فوضى، نتجاوز الأسلاك الحديدية ونقفز بين خطوط السّكك الحديدية، والمساعدون ينبحون من بعيد خلفنا. لم أفهم سبب هذه الفوضى. بالنّسبة إليّ لم يكن لديّ من مطلب سوى اتّباع المسلك المحدّد. هل هو سوء تصرّف الرّؤساء المهتاجين، بطوليّة نفاذ الصّبر؟ لقد كان هذا الانطلاق شبيها باندحار. وجدنا أنفسنا أربعة جنود في مقصورة بلا إضاءة ولا تدفئة، البخار تجمّد في الأنابيب. استعنا بمصاييح الجيب لنضع عدّتنا في الشّباك. حاولت أن أنام، غير أنّ البرد كان شديدا، وكنّا غير مرتاحين بسبب رائحة زنخة لأحد المطهّرات. محم رفاقي متأوّهين: «الأنذال يريدون قتلنا، يا إلهي أيّ صقيع هذا». في الأخير؛ قلت «ربّما

يمكننا النزول عند المحطة القادمة، والذهاب إلى حد رأس القطار، قد يخالفنا الحظ
 ونعثر على حافلات بها تدفئة». لكنهم كانوا يفضلون التأوه. أما أنا فنزلت ما إن
 توقف القطار، فوجدتهم يتبعونني، ركضنا وسط الثلج على طول القطار، ضاع
 جنديان في الطريق، لا أعرف ما الذي ابتلعهما. وجدتني وحدي رفقة جندي أشقر
 ضخم في مقصورة رائحة التدفئة، ثم صعد قناصان ونمت مثل ركام. كان المفروض
 أن نصل عند الساعة الرابعة وسبع وثلاثين دقيقة، غير أنني حين استفتت كانت
 الساعة تشير إلى السادسة، وما زال القطار يسير. أحد القناصين وهو فتى شاب بوجه
 رائق وملون حكى لنا نبيرة صادقة أن رئيسه اختصاصي في معالجة إشعاع التمغنط
 الكهربائي. فبإمكانه من موقعه في مكتبه أن يحدد عبر رقاص إن كانت وحداته الحامل
 للرشاش في مواضعها التي حددها لها أم لا، يتلفن لمعرفة سير الأمور. كان ذلك
 الجندي القناص يتحدث ببطء وبدقة متناهية. حين أتم حديثه. أضاف بالنبرة نفسها:
 غبي. حيثما سافرت وجدت الكراهية نفسها تجاه الضباط، كراهية متقلبة وعميقة.
 ولا شيء يجمعها بمناهضة الحرب، بالعكس هي محسوسة جدًا ومُجربة، وهي مرفوقة
 دائمًا بـ لن أقول إنه ليس هناك طييون منهم، غير أنني لم أر ضابطًا واحدًا طيبًا، كان
 القناصان يتحدثان بعيون مفتوحة على وسعها عن الأيام الأولى لستمبر حيث كانت
 القنابل تنفجر تحت الأقدام. لقد شاهدنا ملازما غير حذر يصعد في السماء ويسقط على
 الأرض وقد تمزقت عيناه، شاهدنا شاحنة تعلق وتهبط قطعًا، عثروا على سائقها، دون
 أضرار جسيمة، معلقًا إلى شجرة بشيابه الملتهبة. وصلنا إلى ديتفيلدر عند السادسة
 والنصف (كانت كتيبي قد غادرت مورسبرون في اتجاه بوكسفيلدر). معسكرات.
 غمغم أحدهم بجانبني مدمدما فواقه الآخرين: كان يسب الضباط. لقد عاقب أحد
 الرؤساء بعض الجنود بأن جعلهم على وقفة تأقّب قبالة جدار لمدة ساعتين. تهيجهم
 هذه العقوبة بطريقة ترسخت بها في ذهني بشكل غير مفهوم. أفضل هذه العقوبة على
 أن أقضي أربعة أيام في الحبس، غير أنهم يرونها تصييبهم في كرامتهم كرجال: يا إلهي
 نحن لم نعد صبيانًا. جندي آخر ضخم، بمزاج رائق قال بصوت ناعس: «صبرا! لن
 نتركهم يفعلون بنا هذا إلى الأبد، فلن يدوم هذا طويلًا. رغم أنهم متفوقون على

ضرورة الحرب». سمعت من يقول: «لقد كانت الحرب في بدايتها من أجل مثال أعلى، غير أنها تتحوّل تدريجيًا إلى مسائل منفعية، مثل الحرب الأخرى». الشخص نفسه، يتحدث بعد قليل عن الإصلاح من أجل القلب: «إنني متوتر، بسبب القلب، إن صدقتموني أو لا، حين ألتقي بشخص لم أره منذ خمسة أشهر، أظلّ أبله لعدة دقائق. عند الساعة الثامنة شحنونا في حافلات نقل عند الساعة الثامنة وخمسين دقيقة كنت في بوكسيلفر».

عاد هانغ من صومير حيث قضى رخصته ساخطا على المدنيين. حدثني عن شخص اسمه داك قال له وهو يستعدّ للعودة من رخصته: لو لم يكن من أجل زوجتي، كنت طلبت في ظرف يومين العودة، وشخص آخر حدثه قائلا له: يستأهل الباريسيون أن يتمّ قصفهم مرتين في الأسبوع. لا أشاركه رأيه، لقد بدا لي الباريسيون خائري العزم وحزينين. أتخيل أنها بداية التحوّل البطيء والكارثي للجندى، إلى شخص غير مفهوم.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الأحد 18 فيفري

عاد القناصان اللذان يعرفهما بياتر مجددا لزيارتنا. إنهما يشكيان من المواقف المتغيرة لرفاقهم منذ شهرين. فلقد آخذاهما على اختبارهما عوض أن يشاركا كمتطوعين في مهمّات خطيرة جدًا. قالوا لنا «إنّ معنويات الجنود اليوم متدهورة جدًا. وهو ما استنتجته حينما حللت منذ مدّة».

ضربة موسى الخلاقة الموجهة للنسبيين، هي اتهامهم باللجوء إلى الله سرًا. مثال ذلك؛ كلّ جهد لفهم حدث تاريخي كما هو (ليس كما يظهر عليه من خلال طبقات المعاني التقنية أو الثقافية، من خلال أفكار مسبقة هي نفسها تاريخية، من خلال مسلمات فلسفة فردية)، تبدو لأرون كما لو أنها اللجوء إلى الله. فالحدث في حدّ ذاته، هو الحدث كما يظهر لله. هل أراد أن يقول لي بهذا المعنى إنّ كتابه مقدّمة لفلسفة التاريخ، الإلحاد الفلسفي، والمنهجية. أعترف بطيبة خاطر أنّ الحجّة قيمة تقنية (صحيح أنّه من الناحية التقنية أنّ المؤرّخ هو تاريخي) ونفسيًا (صحيح أنني أغلب

الزمن أبحث عن الفعل، كما هو مساو نفسانيا عند الباحث للانصراف إلى الله). غير أن الضعف المخفي لموسى الخلافة المثالية، أنها تتضمن بداخلها مسلمة هائلة، هي في الحقيقة حلقة فارغة. هذه المسلمة، هي المثالية نفسها. أقول إن كل بحث عن حدّ-الذات هو لجوء إلى الله، وهو التأكيد ببساطة عن أن توجد⁽³⁶⁵⁾ [باللاتينية في الأصل]، وهو جعل الوجود يغمى عليه في المعرفة، حدّ-الذات في الوجود-من أجل. لقد خلطنا المسألة بحيلة ذكية جدًا. إن تساءلت ما هو الفعل قطعاً سوف يجيبوني إن فعلاً ما لا يمكن أن يكون إلا من أجل وجود مطلق، وهكذا تمت إحالتي مجدداً على الله. غير أنني بالضبط أرفض هذا التقهقر لحدّ-الذات، إلى من-أجل، وأعتقد أنني قد بينت بالعكس من خلال هذه الدفاتر أن الوجود لا يمكنه أن يظهر إلا على خلفية حدّ-الذات. الذي هو تحويله للعدم. لكن يجب الذهاب إلى البعد وتبين أن هناك نوعاً من حدّ-الذات ليس من-أجل، لكن من أجل-الغير مثلاً. إن افترضت أحد هذين الحضورين المتقابلين ل من أجل-الذات والذين يكونان واحداً من أجل-الغير، أكون قد شرحت أن هذا الحضور يعطي نفسه على خلفية حدّ-الذات. غير أننا نقع في خطأ مثالية أولية المعرفة، إن سلمنا أن هذا المن أجل-الغير، لا يوجد إلا بوصفه تحويراً للوجود لكل ال من أجل-الذات. دونما أدنى شك ليس هناك من أجل-الغير، إلا عندما يكون تحويراً وجودياً متقابلاً ثنائياً (أو أكثر من اثنين) ل من أجل-الذات. لكن إن كان كل واحد من هم من أجل-الذات يحقق ما هو له من أجل-الغير، من خلال تحويره الوجودي الذاتي، ما الذي سوف نقوله عن التحوير الوجودي المتقابل؟ أليست سوى مجموع التحويرين الفرديين؟ لكن هذا المجموع لا يمكن أن يتم إلا على أساس وحدة مسبقة. ألا توجد أيضاً بالنسبة إلى شخص ثالث؟ وهذا ممكن من حيث الظاهر ونقع مجدداً في المثالية، وأخيراً في اللجوء إلى الله، بما أن التحوير الوجودي المتقابل لا يوجد قطعاً في الذات إلا من أجل الوجود المطلق بسبب الذات، أو أخيراً هل هناك وجود ذاتي للتحوير الوجودي المتقابل،

365 أن توجد؛ هو أن تكون مُنْزَكاً: تلميح لمبدأ "اللامادية" للفيلسوف جورج بركلي (1685-1753) والذي يقول "من المستحيل أن يكون للأشياء التي لا تفكر وجود خارج أذهاننا أو أشياء مفكرة تدركها"

وجود لا يقدم نفسه من خلال صفات من أجل -الذات، أو صفات من أجل -الغير. هاهو بياتر يدخل الآن، يراني، يكلمني يخترق وجودي ذاته دفعة واحدة، أنا أنغرز في داخلي. ها نحن نتحاور. أتساءل إن لم يكن لهذه المحاورة وجود آخر إلا بالنسبة إليّ، كمحاور، وبالنسبة إليه كمحاور معه. أو هي توجد فوق ذلك، لا ليس مؤكداً في شكل مستقل عني وعنه، لكنها بشكل للوجود - من أجل - الذات لكل واحد منا. ليس هذا بالشيء البسيط لأن ال من أجل -الذات لا يوجد إلا بوصفه تحويلاً للعدم لحد -الذات. هذا فحيث تلفتنا، لا نجد سوى حدّ الذات معدماً. لكن وبشكل أدق يستعيد حدّ -الذات ما انفلت منه في التحويل للعدم بإضفاء قيمة فعل يظهر في قلب حدّ -الذات على ما هو تحويل للعدم. من خلال الافتعال يُستعاد الوعي بحدّ -الذات من الخلف عبر حدّ -الذات الذي يحوله إلى عدم، هذا ما يجب أن نفهمه حين أقول إن حدّ الذات هو عدمه الذاتي. ليس بأن يكون هو نفسه تأسيساً للعدم لكن، لكي يُحوّل العدم حدّ -الذات، يجب أن يخرج من حدّ -الذات نفسه، يجب أن يكون قد كان. وهذه القشرة الرقيقة للوجود التي من خلالها يغطي حدّ -للذات تحويله الذاتي للعدم، هي بالضبط الافتعال أو حدّ شفافية الوعي. ليس لأنه لا شيء خلف هذه الشفافية بل إن فعل الوجود -مثل - من أجل -الذات هو الحدّ الأكبر لما هو شفافي. بلغة أخرى هو فعل في ذاته منفلتاً من كلّ ما هو تحويل للعدم، ويوجد الآن ما هو من أجل -الذات بها هو تحويل حدّ -الذات للعدم. يمكن لردّ الفعل أن يتحمّل هذا الافتعال بتحويل الوجود إلى عدم بفعل الوعي المتعلّق، لكن سيكون بمثابة الوقوع تحت ضربات الافتعال العكسي، هكذا لم يتمّ سوى تغيير مكان الافتعال. لا يوجد هذا الفعل لأحد. إن التفت الوعي نحوه لمساءلته، لن تراه، لن ترى سوى الحرّة اللامتناهية محولة مؤثراتها الشخصية إلى عدم. إنه موجود فقط. ليس لعيون الله: في الذات⁽³⁶⁶⁾. يأخذنا هذا إلى نواحي مسألة الزمن التي سوف أعمل هذه الأيام على تأملها. إنّه هي نفسها هذه القشرة من الافتعال التي تضيي وجوداً بحدّ الذات على حوار مع بياتر.

366 الجزء الثاني، الفصل الأول "البقى المباشرة من أجل-الذات" والجزء الثالث، الفصل الأول "وجود الغير" من كتاب الوجود والعدم

ليست ميزة العدم في تحويل الوجود إلى عدم لكن بتحويل الذات إلى عدم في اتجاه حد الذات. لهذا السبب يمثل تعالي الوعي في تجاوز العالم نحو إثبة أريدها كحد للذات. غير أن حد-الذات هذا الذي تعكسه من وراء العالم، يحتفظ بداخله بالميزات الجوهرية للوعي. إنه حد-الذات هو لذاته-نفسها، مؤسسها الشخصي، كما الوعي هو نفسه سببه الشخصي. حد-الذات يغلف بتجاوز، ويحتفظ بين أجنابه بالافتعال. حد-الذات هو لنفسه من أجل-الذات. هذا الانعكاس الخلاسي لحد-الذات ومن أجل-الذات، هو الطريقة الوحيدة التي باستطاعة الوعي أن يهبها لنفسه كنهاية لحد-الذات. هذا ما نسميه بالضبط علّة الذات، حد-ذات ما، يصبح من أجل-الذات، هو علّة-الذات. التعالي هو وجود الوعي باعتباره هو من أجل-وجود-علّة-الذات.

كنا نناول الغداء مع خمسة قناصين، إثنان منهما صديقا يياتر وثلاثة آخرون. دائما هذه المראה الفظة تجاه الضباط. كلهم ينتقصون من قيمتهم ويذكرون دون تبجح، وبنوع القساوة الوقحة التي تعجبني، الأماكن الأشد قساوة، من فوق رؤوسنا. يقولون إنهم مستعدون لقتلهم بكل سرور. طبعاً لن يجرؤ أحد منهم على القيام بذلك، لكن ما هو صادم، أنهم لا يقولون ذلك بشكل ثائر وقبضاتهم مشدودة، ولكن بنبرة تحاور هادئة وكشيء طبيعي. لا يدعون أنهم سوف يقتلونهم مباشرة، ولكن يستتجون موضوعياً، أنه إن حدث وقام العقيد دي لينيو بزيارة أحد المراكز المتقدمة ليلا سيتم قتله. بعض من ضباطهم شاركوهم النوم في ظروف صعبة جداً، غير أنهم تجاوزوا مرحلة التعجب من مثل هكذا سلوكيات، ويكتفون بقول إنها مهارة، لا يشعرون نحوهم بالغضب فقط بل بالازدراء. أحدهم ديبينال لأول مرة أراه، -رأس صلبة، شاربان أشقران- روى قائلاً: يصاعد القائد وهو يتكلم، وينتهي به الأمر إلى الغضب وحده وهو يقول لنا: أولئك الذين سيدخّنون سوف أطلق على كل منهم رصاصة في الرأس. أريد المحافظة على نفسي يرفعون أكتافهم شففة. يشرع قناصر آخر وهو أستاذ موسيقى، في وصف قائده فيقول: إنه معلّم، لا يعرف كيف يقود، لا أؤاخذه على أي شيء لكن ماذا جاء يفعل هنا؟ إنه خائف، دائماً خائف. حين يعاقبنا يأخذ في التباكي: لست حائفا عليكم، لست حاقدا عليكم غير أنني مضطّر. خمسة

عشر يوما في الحبس، متجدون هذا قاسيا، لكن ماذا تريدون. لست وحدي من يتخذ القرارات هنا. قبل أن نرحل نحو الخطّ اجتمع بنا وقال: «استعدّ. استرح. إلى حدّ الآن نحن مجتدون فقط، لكن منذ اليوم أصبحنا محاربين، قد أسقط أنا الأوّل. واثق من أن تسعين بالمئة منكم...»، اخضررنا لقد اعتقدنا أنّه كان سيقول إنّ تسعين بالمئة سيقضون نحبههم. لكن لا: واثق من أنّ تسعين بالمئة منكم سيذهبون للبحث عن جثتي في صفوف العدو إن سقطت. لن أطلب منك إلّا شيئا واحدا، أن لا تغلقوا عيونكم في الأراضي الألمانية. نحيا فرنسا! كان العقيد ديلينيو هائجا ضده قال له: «اعتبر نفسك معاقبا معنويا. بعد ثمانية أيام حدث شيء ما، فتكوّر وهو يقسم: يا إلهي لا أريد أن أعاقب مرّتين، لقد تمتّ معاقبتي معنويا، يكفي هذا!».

أتحيل جيّدا أنّ بول الضابط تائه بين خوفه، ووعيه الاشتراكيّ. بخصوص بول، يبدو أنّه انتحب مرّتين عند رحيلي في الرّخصة. في المساء الذي رحلت فيه تلقّى رسالة من زوجته تعلمه فيها أنّ ابنهما متعب شيئا ما. نحيب أوّل. وفي الغد تلقّى برقيّة، فاخضر، تحسّس البرقيّة بأصابعه لأكثر من عشرة دقائق دون أن يقرّر فضّها. تضابق بياتر ونهره قائلا: افتحها، انتهى به الأمر لتمزيقها، ثمّ قام بتهجئة بعض الكلمات غير المهمّة: تمّت تسمية زوجته أستاذة في ثانوية شاتورو. لقد خشي الأسوأ. انهار وهو ينتحب مثل امرأة، قال بياتر ساخطا.

عودة لقناصيّ، سألتناهم إن كانوا قد تعرّضوا إلى هجوم: لقد اعتقدنا ذلك. إذ، حدث في إحدى المرّات تبادل لإطلاق نار، ارمىنا على أسلحتنا، صاح فينا الضباط ببعض الأوامر ثمّ قالوا لنا بعد ذلك إنّها مواجهة في محور آخر. غير أنّنا عرفنا الحقيقة في يوم الغد من أحد الحراس الذي سمع القائد يقول لمساعدته: هؤلاء الدّواهي! لقد خسرنا ألفا وخمسمائة رصاصة لكي يتألفوا مع المحيط هنا.

لن أقول إنّ ما حكوه لنا حقيقيّ. الحقيقيّ، أتهم كلّهم يصدّقون ذلك. نفس الانطباع بالأمس مساء عند العشاء مع قناصين آخرين. لا يصدّقون أنّ هجوما سوف يحدث في الرّبيع القادم، لكنّهم متضايقون ومنزعجون. يقول لنا أغلبهم: سوف ينهار كلّ شيء من الدّاخل هنا وهناك.

غير المساعد من تلك اللازمة التي كان معتادا على تكرارها. يعتقد أنهم سوف يرسلون حملة عسكرية إلى فنلندا وسيكون ضمنها، قال: «سأكون ضمن هذه الحملة، وسوف أقصّ شاربي الأب ستالين الصغير»⁽³⁶⁷⁾.

ملاحظتي بالأمس في خصوص التحقق، فيها شيء من الخلط. ما هو لا محقق ليس شيئا. إنه وضعيّة. ليس باريس، ولكنّه الوجود-من أجل-باريس، بالمناسبة من أي شيء تُطرح مسألة التحقق.

قدم أحد المساعدين ينشد رفقتنا لأنّه كان بائسا، شرع بالحديث ليياتر وذكر له أنّه كان يمتلك بيتا جميلا من الدّاخل في جهة ما بالألزاس تمّ تهجير السّكان منها الآن، لقد اقتنيت أثانا جميلا، وهيأت غرفة نوم رائعة بأرائك واثنتي عشرة دمية. آه يا صديقي حين عدت إلى بيتي، من يومين. لقد عبثوا به تماما؛ لو وقع بين يديّ جنديّ لشقته. ودميتي الجميلة، لقد حلّوها في شكل حلقة، وتغوّطوا داخل الحلقة.

فقد هانغ معنويّاته، لقد جعلته رخصته ينهار نفسانيّا. يريد أن يتظاهر بالمرض، قال وهو يحرك رأسه: لو تواصل الأمر بهذا الشّكل دون ضربة قويّة ستقوم الثّورة وتندلع من العسكر.

هذيان عنيف ومغتم بسبب رسالة لم تكن كما يجب أن تكون. خرجت أتفسّح لتهدّثي، عبرت القرية وبلغت أعلى شارع عريض متعرّج بمنحدر وعر ينزله جنود وبنات وصبيان على زلاجات صغيرة بسرعة فائقة. غالبا ما يقع تجميع أربع أو خمس

367. ظل دالاديه وشاميرلان لعدة أسابيع يقلبون فكرة مشروع إنشاء حملة عسكرية لإنقاذ فنلندا. شجع الرأي العام هذه الفكرة فلقد كان منبرا بالمقاومة الفنلندية اليانسة ضد الجيوش السوفياتية. لكن إضافة للحلماء كان هناك نقص في المواد ووسائل النقل، إذ سيجدون أنفسهم في حرب مع الاتحاد السوفياتي. انتظرت فنلندا هذه المساعدة دون جدوى ولن تعرف بنفسها مهزومة إلا في 12 مارس.

(35) ألكسندر كويري (1964-1982) فيلسوف، مؤرخ علوم، أحد المعرّبين مع غاستون باشلار، صوريو وبيوخ في مجلة بحوث فلسفية. اين نشر سارتر "تعالى الذات" الصفحة 405 التدوينة 2.

(36) الجوهر هو ما كان ينسب سارتر هذه العبارة لهيغل (انظر بالخصوص الجزء الثاني من الوجود والعدم مفتتح الفصل الثاني "فيهمونولوجيا الأبعاد الزمنية الثلاثة")

زلاجات وهو ما يُحدث زلاجة جماعية [بالإنجليزي في الأصل وهي رياضة شتوية من ضمن الألعاب الأولمبية الشتائية] ينقلب نصف ركبها في الطريق وهم يقهقهون. تكّدر الكثير من الجنود على جانبي الطّريق، مثل الجماهير خلال مباريات القفز على الجليد في شامونيكس. حين تمرّ الزلاجات يرمون عليها كرات من الثلج ضاحكين. عدت إلى غرفتي هادئا تماما. ألقت الانتباه هنا إلى هذا الهذيان الكئيب الذي يعاودني كثيرا ليشكل علامة طابع.

أشعر بنوع من الحشمة لعرض مسألة الزمنية. لطالما بدا لي الزمن أمرا مزعجا فلسفيا، ودونها حذر درست فلسفة اللحظة (وهو ما آخذني عليه «كوري»³⁶⁸) ذات مساء من شهر يونيو 1939)، لخطأ في فهم الديمومة. لقد أكّدت في الغثيان أنّ الماضي غير موجود، أو بالأحرى، حاولت اختزال الذاكرة في تحييل حقيقي. فرضت في دروسي دور إعادة البناء في الذكري، لأنّه يتم إنجاز إعادة البناء في الحاضر. يقترن هذا اللافهم جيّدا عندي بآعانيه من نقص في التضامن معي، وهو ما يجعلني أقيم ماضي الميت من أعلى حاضري بوقاحة. مصاعب نظرية الذاكرة وتأثير هوسرل جعلاني أضفي على الماضي نوعا من الوجود، وهو بالضبط الوجود في الماضي. وقبلت بارتياح شديد هذه الفكرة الجديدة التي كنت متضايقا ومنزعجا لارغمائي فيها، فورية وحيدة، في خضمّ الفلسفات المعاصرة وهي كلّها فلسفات الزمن. حاولت في علم النفس استخراج الزمن جدليا من الحرية. كانت هذه المحاولة بالنسبة إليّ بمثابة الجراءة. غير أنّ هذا كلّه لم يبلغ مرتبة التّضج. وها أنا ذا الآن أحدث نظرية في الزمن. أشعر بالخجل من عرضه. أشعر أنّي صبيّ صغير.

أرى أيضا وبشكل جيّد، أنّ الزمن ليس من طبيعة من أجل-الذات، كما تريد النظريات المعاصرة تأكيد ذلك. فمن المؤكّد أنّني لست في الزمن. لكنني لست زمني الذاتي أيضا، بالشكل الذي يفهم به هايدجير ذلك. وإلاّ سوف يكون هناك شفافية زمنية متزامنة مع شفافية الوعي؛ سوف يكون الوعي زمنا حين يكون وعيا بالزمن.

368 ألكسندر كوري (1882-1964) فيلسوف، مؤرخ علوم، أحد المحررين مع غاستون باشلار، صوريو وبوخ في مجلة بحوث فلسفية، حيث نُشر سائتر "تعالى الذات" الصفحة 405 التدوينية 2

لكن ليس هناك زمن مثل المتعة التي لا يمكن أن توجد بالنسبة إلى الوعي. لست بحاجة إلى أن أجعلني زمنا لأكون زميناً. الزمن هو الحدّ المكثف للوعي. بل هو كثافة ليس من الممكن الإمساك بها بشفافية كاملة. تفترض كلّ أفعالنا فيها ما قبل أنطولوجي للزمن إضافة، إلى أنه من الممكن موضوعة الزمن، وجعله موضوع نظرية. غير أنّ الزمن ليس قدّامنا بوصفه موضوعاً للعالم، وليس نحن أنفسنا كما نحن من أجل-الذات. لا يمكن أن يكون موضوع حدس كما يرغب في ذلك برغسون، ولا يمكن أن يكون وضعيّة أيضاً، بمعنى أنّ الوضعيّة لا توجد إلاّ ليتّم تجاوزها. والحقيقة أنّ الزمن لا يبرز لنا إلاّ بفضل الماضي أو المستقبل، فهو ليس معطى لنا لنعيشه في جريانه المستمر. لذلك فبقدر ما نحن زمن، فنحن شيء ما على طريقة غير تلك التي هي من أجل-الذات. رغم أنّ هذا الشيء ما هو إلاّ لشيء؛ لو التفتنا للإمساك به سوف ينسحق في شكل نقطة، فيما ليس موجوداً، فيما لم يوجد بعد. يبرز في البدء كلاشيء يفصل الوعي عن دوافعه وعن جوهره. لا يبدو متميّزاً في تمثلي تحويل حدّ الذات إلى العدم، إلى من أجل الذات. وبالفعل إنني أنفقت في الزمن من دوافعي الذاتيّة، في الزمن من جوهريّ بما أنّه كان ما هو⁽³⁶⁹⁾. رغم أنّ ذلك ليس الشيء نفسه من الناحية البدنيّة، بما أنّني عديمي الخاصّ ولست زمني الخاصّ. وإن شئنا ليس هناك أيّ فرق بين التحويل للعدم وبين الزمنية. إلاّ أنّ من أجل-الذات يتحوّل عدماً ويصبح زميناً. رغم أنّ التحويل إلى العدم والزمنية هما معطيان في حركة واحدة، رغم أنّها وجوديّاً متميّزان. الزمن هو افتعال التحويل إلى العدم. زمينتنا وافتعالنا هما شيء واحد.

سوف أواصل غداً.

رأي مدنيّ. قالت مدام X لأمي: لا يجب أن يمنحهم رخصاً أصلاً، لأنهم يعودون إلى الجبهة بمعنويات سيئة جداً.

369 الجوهر هو ما كان يدفع سارتر لينسب هذه العبارة لهيكل (انظر بالخصوص الجزء الثاني من الوجود والعدم مفتح الفصل الثاني "فينيمونولوجيا الأبعاد الزمنية الثلاثة").

لم يعد مستنلر هنا. كان في القسم 22 وتمت دعوته بُعيد كيللر لمهام سكرتير لدى القيادة العليا للجيش الخامس فانجانبورغ.

أقرأ بشكل غير منظم (مبتدئا بكل الكتب في الوقت نفسه):

لقد كذب بلوتاك ليبارفو⁽³⁷¹⁾ / كرسي بارس لديفو⁽³⁷²⁾ / بيسمارك للودفيك / حرب 70 لشيكيت.⁽³⁷³⁾

كما شرعت أيضا في القراءة بالألمانية⁽³⁷⁴⁾ [بالألمانية في الأصل] لغوة وقد عثروا عليه في مكتبة ضيوفه. في الاحتياط مارات لا أعلم لمن، أخذته من غرفة الكاستور، ومستخلصات لسان سيمون حول الوصاية.

أعود للزمن.

تتميز هجمة من أجل-الذات على الوجود باعتباره تحويلا لحد-الذات إلى العدم كما لو أنها طريقة وجود متعذر تبسيطها في حد-الذات. من أجل-الذات، هو الوجود، الذي في وجوده ليس هو كما هو وما لم يكن موجودا. هل نبحت من خلال عبارات من قبيل حالة وعي لاخترال طريقة وجود من أجل-الذات: بنفلت من كل جهة عن حد-الذات. إنه حد-الذات وقد تحوّل إلى عدم. ومهما بدا بارزا على خلفية حد-الذات، مهما ارتبط تركيبيا بحد-الذات بالإنكار الذي يحقّقه منه، فهو ينفلت منه تماما لأنه يعدمه. فمن أجل-الذات لا يمكن الإمساك به دون الامتداد الذي هو إنكاره. إنه تابع لحد-الذات بفعل أنه يوجد كمفعل منه. غير أن هذه التبعية من وجهة نظر أخرى هي استقلال تام، بما أن من أجل-الذات يتكوّن بالنسبة إلى الامتداد كما لو أنه ليس امتدادا. فهو يجعل من نفسه لا امتدادا، إذ أن لديه لا امتداده

370 خطأ في التاريخ الأصح 19 فيفري.

371. برنار غراسيه 1923 كتاب يحلل فيه صاحبه سير أحداث حرب 1914 وطريقة تصرف الجنرالات.

372. هاشيت بارس 1939.

373 حرب 1871-1970 بارس شايلاي 1895.

374 شعر وحقيقة.

الذاتي. لقد توسعنا في عرض كل هذا سابقا. لكنّ حدّ-الذات يعيد الإمساك بمن أجل-الذات عبر ردّات فعل، بحقيقة أنّه من حدّ-ذات ما يصبح من أجل-الذات تحويلا للعدم. في كلمة واحدة؛ إنّ من أجل الذّات الذي هو تحويل لحدّ-الذات إلى عدم ليس سوى هذا التحويل للعدم، بما أنّه من أجل -الذات يظهر في وحدة حدّ-الذات كوجود ما، يتمي للكلّ من خلال ظاهرة ارتباط تركيبيّ. خارج من أجل-الذات، هو أن يوجد، باعتباره إنكارا لحدّ-الذات، على طريقة حدّ-الذات. هذا ما نسميه الافتعال. غير أنّ هذا الافتعال نفسه، والذي ليس هو سوى انعكاس ضروريّ لحدّ-الذات على من أجل-الذات، لا يمكنه أن يمتلك قوّة حدّ-الذات تحت طائلة طمس من أجل-الذات. يقوم الافتعال بأداء دوره على سطح من أجل-الذات كشبح رخو لحدّ-الذات. في كلمة واحدة: لكي يتمّ تحويل حدّ-الذات إلى عدم في داخل نفسه ذاتها وفي خارجها. لا يكفي أن يكون لأجل-الذات مع حدّ-الذات الرّابط التّركيبيّ للإنكار فقط: يجب أن يتمّ الإمساك به من طرف حدّ-الذات تحت شكل وحدة تركيبية متأتية هذه المرة من حدّ-الذات. تتحقّق هذه الشّروط بما أنّ التحويل للعدم يتمّ في قلب حدّ-الذات. ولا يمكن اعتبار ال من أجل-الذات كمكوّن لوثبة خارج حدّ-الذات لكنّ بالعكس داخل حدّ الذّات كدودة قارضة. أقارن حدّ-الذات هذا الذي يأتي ويصبغ المن أجل-الذات ويجعل له خارجا بانعكاساته التي يمكن أن نراها على واجهة حين نحلق فيها بطريقة غير مباشرة فتغطي فجأة شفافيته لتختفي برهة حين نغيّر زاوية النّظر للواجهة. يبدو لي أنّه من خلال هذا الوصف يمكن أن نفهم كيف يُتاح لي دائما تأكيد أنّ وعي بياتر موجود وهو مرتبط بعلاقة تعايش ما مع الطّاولات، الكؤوس ووغي، الذي ليس إطلاقا بنفس طريقة وجود الطّاولات والكؤوس والجدران. يبقى أنّ هذا الانعكاس الزّائل، المتلون والمتحرّك لحدّ-الذات الذي يؤدّي دوره على سطح المن أجل-الذات والذي أسميه افتعالا، هذا الانعكاس الرّخو تماما، لا يمكن اعتباره على طريقة الوجود المكثّف والمندمج مع الأشياء. حدّ-الذات لمن أجل-الذات في واقعه الذي لا يمكن الإمساك به، وهو ما نسميه الحدث. ليس الحدث حادثة أو شيئا ما يقع في أطر الزّمنية. الحدث هو الخصوصيّة الوجوديّة

للعوي بما أن حدّ-الذات أمسك به. على سبيل المثال، فهذه المتعة التي أشعر بها لا توجد إلّا إن كنت على وعي بها ووجودها الأعمق هو لعب مرايا، انعكاس- منعكس. لكنّ هذه المتعة كما هي سواء تعلّق بوجودها أو على طريقة من أجل- الذات، هذا ما نسمّيه حدثاً. ورباط الوجود، الذي هو في وحدة حدّ-الذات، يُوحّد من الخارج هذا المن أجل-الذات بحميميّة حدّ-الذات. هذا هو التزامن. ليس التزامن أكثر من الحدث، إنّه شيء ما يحدث بداخل زمن متكوّن، مثال ذلك الحدث الممكن لعدّة أشياء تواجّدت في نفس الحاضر. بل بالعكس هو خصوصيّة وجوديّة سوف تكون مؤسّسة للزمن: ضرورة تعايش من أجل-الذات، باعتباره مصبوغاً بحدّ-الذات، مع كلّية حدّ-الذات الذي هو نفسه إنكاره. حدّ-الذات لتحويل حدّ-الذات إلى عدم؛ هذا هو الحدث؛ وحدة حدّ-الذات متحوّلة إلى عدم مع حدّ-ذات تحويل هذا الحدّ-الذات، هذا هو التزامن. مكتبة .. سرّ من قرأ

في الأثناء لا يمكن لمن أجل-الذات أن يكون، إلّا في شكل تحويل للعدم. أي أنّ افتعال من أجل-الذات هو نفسه معدوم، أو بالأحرى فإنّ من أجل-الذات لا يمكنه أن يكون من أجل الذات إنّ لم يعط نفسه لنفسه باعتباره منفصلاً عن هذا الافتعال من خلال لاشيء. لم يكن الافتعال يوماً معطى لمن أجل-الذات طالما أنّه يشكّل من الخارج ما هو، فهو ليس حاضراً إلّا لكونه ينكر بطريقة خاصّة جدّاً كما لو أنّه لم يعد موجوداً أبداً. لا يمكن لمن أجل-الذات أن يوجد إلّا بانفلاته من وجوده الذي هو عليه وهذا الهروب من العدم قدّام حدّ الذات يكوّن الزمنيّة. بالفعل يجب أن نتصوّر دائماً أنّ حدّ-الذات الذي لا يستطيع أن يتشكّل من دون إفلات المن أجل-الذات منه، ومن أجل-الذات لا يمكنه الإفلات منه إطلاقاً إنّ لم يكن مأخوذاً بحدّ-ذات الحدث والتزامن. لن يستطيع المن أجل-الذات الإفلات من حدّ-الذات إلّا في حدّ-الذات. هذا ما نسمّيه حاضراً. وهو ما يعني أنّ الحدث في التزامن لم يمتلك أبداً قوّة، فهو من أجل-الآلشي، يتزامن وجوده مع تلاشيه، وإلّا سوف يبتلع حدّ-الذات المن أجل-الذات بالكامل. وبهذا المعنى؛ فإنّ كل حاضر يتحدّد كمنفصل بالآلشيء عن لقد كان، وهذا لقد كان هو أقرب من الحاضر مما نريد. لكن بهذا الفعل فإنّ من

أجل-الذات الملقى، المطروح كلقد كان، هو من نفس الكتلة التي أمسك بها حدّ-
الذات وابتلعها. الماضي هو حدّ-ذات تحوّل إلى من أجل-ذات. هنا يمكننا فهم معنى
الذي كان. الفرق بين إنكار الامتداد من خلال من أجل-الذات وإنكار من أجل
الذات من خلال نفسه هو كله معطى من حقيقة أنّ الوعي في الحالة الأولى ليس هو
ما ليس هو ما كان. وفي جميع الأحوال لا بدّ من تمييز: الوجود الحاضر لمن أجل-
الذات متميز في راهنه الوجوديّ بما أنّه ليس هو. في قلب المن أجل-الذات كان
التحويل للعدم. حالة الماضي مختلفة، إنّ وسيط بين التحويل للعدم الذي انفلت من
الامتداد، مثلاً، والتحويل للعدم المتداخل البنّي لمن أجل-الذات. أن نقول من أجل-
الذات الذي كان، إنّ ليس ما هو على الطريقة التي ليس هو ما هو ليس هو.

أي أنّه يجعل من نفسه في كلّ من أجل-ذاته آخر غير الذي هو في كلّ. فإنّ من أجل-
الذات الأوّل في هذه الحالة تحتفظ به، موجود دائماً، بل يعطي حتّى معناه لمن أجل-
الذات الحاضر مثل ما هو مُنكر، ما هو مُتجاوز، هذا وليس شيئاً آخر إطلاقاً. ولا ينفلت
المن أجل-الذات الحاضر تماماً من أجل-الذات الأوّل إلّا باعتباره لاشيء. يبقى فقط أنّ
هذا الإنكار هو الوحدة العميقة لمن أجل-الذات، لن يكون بإمكاننا الإفلات من الماضي
إلّا باعتباري لم أكن. وبالتنافس معاً؛ يتحمّل من أجل-الذات الأوّل تحويراً جوهرياً، فلا
يتحوّل إلى عدم، بل بالعكس: فالوعي وحده يمكن أن يتحوّل إلى عدم وهذا التحوّل
للعدم تبرر بالفعل حاضره. لا يتحوّل إلى عدم لكن استعاده حدّ-الذات. ليس إطلاقاً؛
من أجل أشياء صوفيّة، لكن لأنّه قبل الحدث الصّافي والتحويل إلى العدم، مثلاً هو بعد
ليس هناك سوى حدّ-الذات. للماضي كلّ تفوق القوّة والصلابة على الوعي، تفوق
الكثافة أيضاً، الذي يكسبه إيّاها حدّ-الذات. في الماضي فقط يمكن للوعي أن يوجد على
طريقة حدّ-الذات والماضي ليس شيئاً آخر سوى وجود من أجل-الذات على طريقة
حدّ-الذات. إلّا أنّ وجود حدّ-الذات بما هو سابق على من أجل-الذات، ومن أجل-
الذات الحاضر، ليس تعايشاً بالضبط، لأنّ المن أجل-الذات الحاضر، ينفي في كلّ
الآخر. فطريقة توظيف من أجل-الذات من خلال المن أجل-الذات الذي كان ليست
هي الحضور، بالمعنى الذي عرّفناه به من أجل العالم. إنّ بالضبط الماضي. وهذا الماضي
الفوريّ بما أنّه إنكار لماض أبعد وهكذا دواليك، إنّ من خلال تحوّل كلّ كتلة الماضي إلى

عدم، إنه كان يتمّ تحديد من أجل-الذات الحاضر في حاضره. لذلك ألا يمكن طرح المسألة لمعرفة لماذا لا تنفلت الحرية من هذا الماضي أو تعطينا ماضٍ آخر. لأننا بالضبط أحرار بالنسبة لهذا الماضي. إن لم تكن حرية بالنسبة إلى شيء ما، فهي حرية لا تعني أي شيء.

هكذا سوف يبين وصف أول أن ال من أجل-الذات لا يمكنه أن يقوم بهجمة في العالم دون تعايش في الحاضر مع كلية حد-الذات ودون ارتباط محدّد مع ما كان، بما هو، وليس هو في الوقت نفسه. ماذا عن المستقبل الآن؟ لا يمكن لمن أجل-الذات أن يُوظّف من طرف حد-الذات إلا من خلال تجاوزه نحو...⁽³⁷⁵⁾، بما هو -من أجل- الوجود. يفلت من أجل-الذات من حد-الذات عبر حد-الذات، نحو حد-الذات. بما هو سبب الذات معطى منذ هجمة من أجل-الذات، داخل حد-الذات، ليس بوصفه شيئاً، وليس بوصفه تمثلاً، وليس باعتباره قيمة موضوعة، لكن باعتباره نحو ماذا يفلت من أجل-الذات من افتعاله. تركيب مستحيل لحد-الذات ومن أجل-الذات، بكثافة كاملة وحرية تامة ف بما هو سبب الذات هو في الآن نفسه نحو ماذا يتمّ الإفلات، ومن أين، من أجل-الذات يتخلّص من نفسه، وهذا نحو ماذا تتحقّق كتجاوز لحد-الذات متكوّناً في العالم. ال بما هو سبب الذات هو معنى العالم؛ يعلنه العالم ويجعل من نفسه عالماً؛ من خلالها يصبح حد-الذات بشرياً ومعدلاً منذ هجمة من أجل-الذات على حد-الذات. بما يعود للأصل. غير أن ال بما هو سبب العالم لا تنتمي إلينا بوصفها جسداً مع مساند-الارتقاء. هو الوحدة المتعالية لمشروع من خلال ماذا يفلت ال من أجل-الذات من ذات -نفسه نحو... غير أنه لا بدّ أن يظلّ جوهرياً بعيداً عن المتناول. لقد قلت هذا سابقاً، تحويل حد-الذات إلى عدم بتحوّله إلى من أجل-الذات ليس تفهقراً أمام حد-الذات، بل هو انهيار، وإبطال. من أجل-الذات، هو لا امتداد بقدر ما هو لاشيء. غير أنه ليس حتّى لاشيء، لن نعرّ له حتّى على هذه القوة التي هي لاشيء.. هذا اللا شيء هو إفلات اللا شيء نحو ال بما هو سبب الذات، تحويل اللا شيء إلى عدم في اتجاه حد-الذات. المستقبل هو العالم بما أنه بشريّ، إنه العالم باعتباره بما هو سبب الذات، ومعناه هو مثل إلى أين يفلت من أجل-الذات. لا يجب خلط العالم بحد-الذات. العالم هو حد-الذات من

أجل من أجل -الذات. ونفس الشيء فالمستقبل ليس هو حدّ-الذات. المستقبل هو العالم. من أجل-ذات ما من كان ومهما كان لا يمتلك طابعا من العالم إلا في مناسبة تحويل هذا النقص إلى عدم في حدّ-الذات الذي هو نفسه. مهما كان الشيء المعبر التماسا من من أجل-الذات لينعكس فيما وراءه باعتباره بما هو سبب الذات. ثمة أريكة تمدّ إلينا ذراعيها، تعكس لنجلس عليها، إذن أن تنعكس على هذه الأريكة باعتبار الموجود الذي حدّد نفسه بنفسه أن يوجد جالسا على هذه الأريكة والذي يوجد كجالس بامتلاء حدّ-الذات. يمكن لمن أجل-الذات أن يعكس كل شيء إلى قدامه، إنه مازال سوف يكون-أين سيذهب، وماذا سيفعل-من أجل-الذات.

هكذا تبرز هجمة من أجل-الذات، على حدّ-الذات بضربة واحدة الزمنية في أبعادها الثلاثة للحاضر، الماضي والمستقبل. ليست الزمنية لا فيمن أجل-الذات ولا في حدّ-الذات، هي طريقة يمسك بها حدّ-الذات بمن أجل-الذات أو إن شئت هي وجود حدّ-الذات فيمن أجل-الذات.. أي إنه بالهروب نحو المستقبل فإنّ الافتعال الذي أمسك به، يصبح من أجل -الذات الهارب هو أيضا افتعال، وال من أجل-الذات دون أن يكون زمنيته الخاصة هو أيضا زمنية. فهو حدّ-ذات معدم بين حدّ-ذات لم يعد «موجودا» (لا يجب قول إنّ الماضي لم يعد موجودا، لكن، نحن لم نعد ماضيا على طريقة من أجل-الذات)، حدّ ذات مازال لم يوجد (نفس الملاحظة بالنسبة إلى المستقبل). وطبيعته أن يكون حاضرا معدما متقلتا دون توقف نحو نفسه في اتجاه المستقبل، ممسكا به دون توقف من طرف حدّ-الذات.

يبقى فقط تحديد طريقة الوجود الصحيح للماضي والمستقبل. في جميع الحالات نستطيع أن نقول إنّ «الزمنية تقوم بهجمة في العالم رقيقة من أجل-الذات. إن كان الوعي كما يقول بول فاليري غيابا، فالزمنية انخراط الغياب كما هو في العالم».⁽³⁷⁶⁾

الدفتري الثاني عشر

فيفري 1940

بوكسفلر

الثلاثاء 20 فيفري

أعتقد قليلا أنني كنت قبل رخصتي أصيلا. لأنني من دون أي شك كنت وحيدا. وأنا في باريس لم أكن كذلك. أنا لا شيء الآن. يأخذني هذا لتدقيق بعض النقاط المتعلقة بالأصالة. قبل كل شيء أقول ما يلي: لا يمكن الحصول على الأصالة إلا بوصفها كلاً: فإما أن نكون «أصيلين» أو لا نكون. وهو ما لا يعني على الإطلاق أننا نكتسب الأصالة دفعة واحدة. سبق وقلت إن الحاضر لا يقدر بأي شيء كان على المستقبل، كما الماضي على الحاضر. في الأخلاق كما في الرواية مثلما يرى ذلك أندريه جيد لا نربح من حيوية مكتسبة. ولن تحميك أصالة اللحظة السابقة أبداً من سقطة في اللا أصالة، في اللحظة التي تليها. وهل يمكن القول إنه من اليسير الاحتفاظ «بالأصالة» أكثر من اكتسابها. لكن، بالمناسبة، هل يمكن الحديث عن الاحتفاظ؟، اللحظة التي تأتي جديدة، الوضعية جديدة؛ لا بدّ من ابتكار أصالة جديدة. يبقى أن نقول هل إن تذكر الأصالة قد يحميننا شيئاً ما من اللا أصالة. لكن تذكر الأصيل، في اللا أصالة هو في حد ذاته لا أصيل.

يأخذني هذا أيضاً لتدقيق ما قلته بشأن الرغبة في الأصالة. يمكن أن نشعر برغبة في الأصالة ونحن في اللا أصالة. عادة؛ ما نعتبر هذه الرغبة في الأصالة في جميع الأحوال شيئاً ما. أكثر من لاشيء، هكذا نعيد بكل لطف وعبر مسالك مُحَرَّقة الاستمرارية التي كنا قد تجنبناها في البداية. وبالتالي سوف نتميز اللا أصيلين المعرَّغين في لأصالتهم -

ثم أولئك الذين تتعذب في سريرهم القدر رغبة مُعَزَّزة-وأخيراً؛ أولئك الذين يستمتعون بأصالتهم. غير أننا من خلال هذا الالتفاف نعود إلى أخلاق الفضائل. يجب أن نقول، واحدة من إثنين: إما أن تعذبنا الرغبة في الأصالة في قلب اللا أصالة- فهذه الرغبة هي نفسها بالتالي لا أصيلة-، أو أن هذه الرغبة هي الأصالة بكاملها لكن تجهل نفسها، لم تدرك بعد قيمة نفسها. ليس هناك محل لوضع ثالث. إنني أرى جيداً وعلى سبيل المثال من رغبات في الأصالة عند بيانكا لكنّها مسمومة باللا أصالة. تريد أن تصبح أصيلة من خلال تأثرها بنا، من خلال ثقتها فينا، لتلتحق بنا-وبما يخامرها من فكرة استحقاق ذلك أيضاً. تتألم من كونها وضعت قيمة سامية هي غريبة عنها، تريد أن تكون أصيلة كما تريد أن تصبح مترجّمة ناجحة على الجليد وفيلسوفة ذكيّة. يبدو لها أيضاً أنّها لو اكتسبت هذه الأصالة، فسوف تستحقّ المزيد من الحياة ومن الرّجال. ومن المؤكّد أنّها قد فهمت بوضوح أنّ الرّجل الأصيل يدفع عنه بشكل أوّليّ كلّ فكرة استحقاق، لكنّها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها لفكرة أنّها مستحقّة كذلك وأكثر في طريقة رفضها للاستحقاق. لا أفهم هنا سوى رغبة مسمومة تماماً يعتبرها البعض، على مستويات ردود فعل مسمومة في بعض الأجزاء فقط. ولا أقول أيضاً، إنّ الظروف المساعدة، لهذه الرغبة بإمكانها أن تكون مناسبة لتحوّل شامل يبحث عن الأصالة. عليه أن يكون مشدوداً ومتحوّلاً في قلب وعي هو ذاته أصيل.

بالعكس؛ أرى أنّ أصالة مكتسبة عبر اضطراب حرّ يتجلّى قبل كلّ شيء على شكل رغبة في الأصالة. ولا تفعل شيئاً آخر سوى أنّها تشرح أنّ القضية مربوطة. وبالفعل؛ فلئن كانت الأصالة كلاً، فلا يكفي امتلاكه حين يتمّ اكتسابه من خلال ظرف مخصوص وملمس، حتّى تمتدّ بنفسها لكلّ الوضعيات التي غرقنا فيها. إنني أتحيل، مثلاً، مجنّداً كان بورجوازياً هو لا أصيل بالفعل، وكان يعيش بلا أصالة في عديد الوضعيات الاجتماعية التي ألقيَ به فيها، عائلة، مهنة، إلخ. أوافق بأنّ صدمة الحرب حولته فجأة نحو الأصالة. لكنّ هذه الأصالة إن كانت حقيقة تستوجب اقتحام أراض جديدة. فهي تقدّم نفسها في الأوّل على شاكلة رغبة لم رجعة كلّ الوضعيات

السَّابِقة على ضوء هذا التَّغْيِير. تعطي نفسها كحيرة ورغبة نقدية. هذه الطَّرِيقَةُ هُنَا لامتداد الأصالة لا يجب أن نفهمها إطلاقاً على أنها رِيح في الأصالة. فالأصالة هي أصلاً هُنَا. يبقى فقط؛ أن يتمَّ دعمها وتمديدُها. لن يتمَّ استعراض كلِّ هذا لو كانت الوضعيات المعيشية سابقاً حاضرة. فكلُّ الوضعيات تراجعت. لم يعد المجنَّد ضمن عائلة، لم يعد يمارس مهنته، إلخ. وهو مدعوٌّ للتفكير في هذه الوضعيات، ويتخذ إجراءات بالنسبة إلى المستقبل، ليعدَّ مخططات للاحتفاظ بالأصالة من خلال عبور وضعيات أخرى. الرِّغْبَةُ في اكتساب الأصالة ليس بالأساس سوى رغبة لمزيد تعميق النَّظَر فيها وعدم تضييعها. والمقاومة لا تأتي من رواسب اللاَّ أصالة القابعة هُنَا وهناك، لكنَّ الوضعيات السَّابِقة تقاوم ببساطة مثل الأشياء. فلقد عاشها إلى حدِّ الآن، بطريقة ما وهو يعيشها قام بتأسيسها. لقد أصبحت هذه الوضعيات مؤسسات، فهي تمتلك استمراريتها الخاصَّة خارجاً عنه بل وتتطور رغماً عنه. لا بدَّ من إعادة طرح السَّؤال حولها. لا يمكن أن تظهر الرِّغْبَةُ في إعادة طرح السَّؤال، إن كانت جاذبةً إلّا على خلفيَّة الأصالة. ولن يكفي فقط إعادة طرح السَّؤال، بل لا بدَّ من التَّغْيِير. لكنَّ هذه التَّغْيِيرات الثَّورية التي ترجعها مقاومة ضدَّ ترابط المؤسسات، ليست مختلفة بطبعها عن التَّغْيِيرات التي يريد رجل سياسة تطبيقها على المؤسسات الاجتماعية، وسوف تعترضها المقاومات نفسها. وبالتالي لن يكفي فقط أن يكون المرء أصيلاً بل يجب تكييف حياته على الأصالة. من هنا يتجلَّى هذا القلق وهذه الخشية وهذه الرِّغْبَةُ العميقة في عمق كلِّ أصالة، التي هي إدراكات قدام الحياة. على آتِه؛ لا يجب فهم أنَّ الأصالة لا يتمَّ مشاركتها. تتبع هذه الخشية من أنَّ هذه الوضعيات المُفَكَّرُ فيها، هي هُنَا عند الأفق، وليست في المتناول، خشية أن نعثر عليها دون أن نكون غارقين فيها بشكل آتٍ. ومهما يكن؛ فهناك دائماً العديد من الوضعيات المتباعدة عند الأفق ويسببها ننشغل في الأصالة. لكن لو قبلنا بأنَّ إحدى هذه الوضعيات تتشكَّل مجدداً من حولي بشكل ارتجالي وأنا أصيل، سوف أبدو أصيلاً دون أن أسأل نفسي في هذه الوضعيَّة المنبثقة من جديد، دون حاجة منِّي لتهيئة معبر، لأنني ببساطة أصيل. لو افترضنا مثلاً أنَّ زوجة المجنَّد جاءت لزيارته، في محوره، فسيحوِّل شخصاً آخر، دون

أن يجهد نفسه، ودون تخطيط أو تفكير، دون هيئة مدروسة، لأنه ببساطة شديدة شخص آخر. لكن ألا يمكن أن نتساءل، ألن تقدّم له بسرعة صورة لا أصالته الأولى. نعم، وسوف تكون اختبارا ليس لأصالته فقط بل لعزمته التي يتشبّث بها. قد يستسلم غير أنه لن يستطيع العودة لأخطائه السابقة تجاه هذه المرأة دون أن يتدحرج دفعة واحدة في هاوية اللا أصالة ورأسه إلى الأمام، لكن ليس إلى الدّرجة التي يصاب بها وجوده-في-الحرب. يجب التفكير بالفعل أنّ وجودا ينتظر منا اللا أصالة، وجودا نحبه ربما بعمق، لكن في اللا أصيل، يثلجنا باللا أصالة حتى القلب، من خلال استعادتنا لحبنا القديم⁽³⁷⁷⁾. إنها لا أصالة محتملة ومن السهل الدّفاع عن النفس ضدّها لكن بألم موجه.

إن لم تطل الحرب، أخشى أن أجد نفسي، حال عودتي من رخصتي، على ما كنت عليه في السّنة السّابقة، في الموعد الذي دعيت له قبل الحرب.

يتفق بيارفو مع أندريه جيد، إذ يكتب في لقد كذب «بلوتارك»: «أعلم أنّ أيّ شخص متوسط الذكاء، من دون أن يملك موهبة خاصّة من الطّبيعة، من خلال التمرين الوحيد لإمكاناته الثقافية، يدخل على مستوى واحد في أيّ مشكل عسكري. تماما مثل شخص مختصّ، وربما أفضل، سوف يرى الصّحيح والخطأ في وضعية فنيّة أو استراتيجية، إذا لم يتم إثارة المسائل الفنيّة المخصوصة، التي من شأنها تضليل الذّهن بخصوص بعض التفاصيل، وإخفاء الخطوط الكبرى. الصفحة 66⁽³⁷⁸⁾.

وبين جيدا كيف أنّ القيادة العليا لحرب 1914 تدافع عن نفسها ضدّ الحق

377 يبدو سارتر هنا متذبذبا بين مثال المجند فلان، في مواجهة وضعية مدنية ما غير مرضية وهو نفسه في مواجهة مشكل دقيق، لكن غير معبر عنه بوضوح. قد تتضمن هذه الفقرة أعترافا مقنعا. فالوضعية العاطفية المطروحة هنا تتقاطع مع وضعية ماتيو بطل روايته تجاه مارسيل التي ينتهي بالاعتراف لها إنه لا يحياها.

378 بخصوص ما يفكر فيه أندريه جيد حول الموضوع، انظر يومياته بتاريخ 25 أكتوبر 1916، ذكرها سارتر هنا (الدفتري 1 ص 39).

الديكاري والمخرب للاختبار الحرّ بالهجو إلى الحدس البرجسوني. وتبحث عن تأييدها من خلال عصمة كاهن، كي لا تلجأ هذه القيادة للاستعانة بخبرات فنيّ. ومهما يكن الأمر فعلى القيادة العليا أن تصحح مجّمعاً لمتدريين. لقد أفقدتها حرب 1914 عصمتها، ولقد جنود اليوم ثقتهم الدينيّة في رؤسائهم. للحقيقة لم يعد لهم أي نوع من الثقة. لقد أضحوا مقتنعين أنّ ربح الحرب يتمّ من أجل أسباب إقتصادية وسياسيّة، أمّا بخصوص الانتصارات العسكرية فإنهم يعتقدون أنّ القيادات العسكريّة العليا هي التي تقرر ذلك. لم أسمع أحداً هنا يتحدث عن غاملين⁽³⁷⁹⁾. على الإطلاق، لم يذكره أحد بسوء، فلا وجود له هنا. ليس ارتياباً من الرؤساء. إذ يُنظر إليهم كموظّفين متّخيين. فلا بدّ أن يكون هناك رؤساء، سواء هؤلاء الموجودون الآن أو غيرهم... كبار مفكّري اليوم لا يشكّون في الكهنوت العسكريّ حين يكتبون أنّه في الحرب الحديثة لا يمكن الانتصار فيها إلّا باعتماد تنظيم قائم على الاستراتيجية بدقّة. ذلك أنّ شخصاً متوسط الذكاء، متأملاً، محافظاً، ثانوياً جداً بالنسبة إلى المرؤوسين من الفصيلة نفسها، بإمكانه دائماً أن ينظّم. كمادة التنظيم العسكريّ الدقيق المفضوح، الذي من الممكن استخلاص كلّ شيء منه.

وما هو مدعاة للإعجاب أنّ أحد المناصرين غير المعروفين لهذا المذهب (والأكيد أنّه ضابط سام) تجرّأ وكتب في روفي دي باري بتاريخ 15 فيفري 1920 ما يلي: إنّ تطوّرات التسلّح تشجّع في حدّ ذاتها على الهجوم لحساب الخطّة الدفاعيّة. ...»

هذه الفقرة الرّائعة صفحة 119. في معركة لامارن يحارب الجنرالات الألمان حتّى وهم مترجعون: وبالفعل؛ فإنّ تعاقد لعبة المحارب يفترض أنّ أيّ جيش مهدّد في خاصرته يعتبر نفسه في وضعيّة نقصان. عليه أن يخضع دونها تأخير لقواعد اللعبة، وهو ما قد يضمن انتصارنا بالكامل وخلاص جيش العدو. سنرى تبعاً لذلك إلغاء لكلّ التّعاقبات وتستمرّ المواجهة لسنوات طويلة دون اهتمام بأيّ قاعدة. «المبدأ النّحس لتأكل القوى سوف يتّج عن فكرة المناورات، يرسم أكبر عمليّة نكوص

379. لنذكر إنّ الجنرال غاملين (1872-1958)، كان وقتها القائد العام لقوات التحالف بفرنسا

غربية في الفن العسكري لم تحدث من قبل،⁽³⁸¹⁾.

أي نعم مات الفن العسكري والحرب في طريقها إلى الموت. إنها حرب أكثر استحالة من حرب 1914. لقد أحس هتلر بهذا ولم ير فيها سوى موتا لشكل من أشكال الحرب، بما أن الحرب في نظره الشكل الخالد للعلاقات البشرية. وبسرعة التفت ذهنه المبتكر العصامي نحو الابتكار: ابتكار شكل جديد من الحرب. أترف أن ما قاله عن حرب بروخينغ لم يصدمني كثيرا. ليست سوى صيانيات ووسائل مبتذلة. لقد كانت حرب البروباغندا شديدة بين سنوات 1914-1918، كما كان التجسس شديدا. أما بخصوص مهاجمة العدو من الداخل فلقد فكرت القيادة العليا الألمانية في ذلك حين أدخلت لينين إلى روسيا.

إضافة إلى ذلك فهو يشير إلى أن الهجوم المفرط كان متعمدا لأسباب سياسية داخلية. كتب مؤلف مقالة 15 فيفري 1920 يقول: ألا يتوجب تجنب انكسار على المستوى الشعبي، نقصا في الثقة العامة من خلال موقف متحفظ، متردد، معتمد في البداية من الحملة التي نشعر أنها مصيرية؟، لهذا، كنت قد قرأت عند ديفو وشيكيت أن اعتبارات مشابهة منعت جيش ماك ماهون سنة 1970 من الالتفاف على باريس حيث كان بإمكانها انتظار صدمة العدو هائلة. العودة على ميثز كانت استراتيجية مجنونة غير أن البلاد لن تحتل التفافا وانتظارا لا نهاية له عند أسوار باريس. نفس الهم، يتكرر بعد نصف قرن ويحدث كوارث في كلتا الحالتين، بما يتيح الفرصة لقياس درجة تغير الذهن البشري خلال هذه السنوات الأخيرة. والمؤكد؛ أن أغلب الناس تعتقد أنه من الممكن البقاء في حالة دفاعية أفضل من الهجوم، وهذه الفكرة العبيثة قليلا مزيئة في أشد الناس سذاجة لوجود خطين؛ ماجينو وسيغمفريد. غير أن ذلك لا يعني أن الحكمة القديمة المدنية للعسكريين - التي تدفع بهم في اتجاه جنون عسكري - تعلمهم أنهم يضعون الأمة التي تركوها للحرب في مواجهة أخطار جمة من خلال الانتظار والدفاعية دونها تحقيق أي انتصار. على الدم أن يسيل، لوضع ما لا

381. نفس المصدر السابق.

يمكن ترميمه خلف الجنود، لقطع الطريق على العدو في أقرب الآجال. من الضروري دفع الجنود رغما عنهم، باستثمار حماسهم الأول، في خضم نشوتهم بالانتصار أو شراكتهم في الهزيمة. نعلم الآن جيدا أنّ ضربات اليد المكلفة، تلك التي لا طائل من ورائها من خندق إلى آخر من الثالثة إلى السادسة لشدة ما كانت تثير حنق الجنود، إنّها الهدف منها المحافظة على معنوياتهم المرتفعة، أي الشراسة. لقد أوضح «ألن» بشكل جيد أنّ العدو ضروري كي تشتغل الآلة الحربية بشكل جيد. فهو هدف الهرب إلى الأمام. الضغط الذي يمارسه، من خلال ما يمارسه الخلف من تعديل للضغط على الجنود، يحدّد فيه بالضبط حصر الذهنية العسكرية. سيظلّ الجندي يحلم بترتيب ما، طالما لم يسل الدم. ولن يأخذ الخلف الأمور بجديّة مادام ليس هناك دم سائل.

منذ ستة أشهر وجيشنا في حالة استنفار هنا. لقد تمّ الإبقاء على الناس بعيدا عن ذويهم، عن مهنتهم، خاضعين للانضباط العسكري. تتعامل السلطات بديكتاتورية مع الإعلام، تراقب الآراء، وتضيق على طريقة التفكير. أصبح لحياتنا كلّها المظاهر الخارجية للحرب. غير أنّ الآلة الحربية تشتغل بالفارغ، فالعدوّ لا مرئي غير قابل للإمساك به والجنود ينتظرون على أهبة. كلّ الجند ينتظرون، هذا هو الموقف المتردد والمتحفظ، الذي أرادت القيادة العليا لحرب 1914 أن تتجنّب كما تتجنّب الوباء. وهذا الموقف في حدّ ذاته ليس دفاعيّا، فباعتداده سياسة الدفاعيّة سوف يهاجم العدو أو يفكر في ذلك. غير أنّ الألمان ينعمون بالراحة منذ ستة أشهر: يفكرون في الاستثمار الأفضل للوضعيّة، لقد رفعوا في كلّ مكان لافتات تعبّر عن رغبتهم في السّلم. وفيما تبقى لم يعلنوا الحرب ضدّنا، بل بالعكس أعلنوا السّلم في الوقت الذي اقتحموا فيه بولونيا، ونحن هم المهاجمون. لقد أرسلنا لهم إنذارا، ولأنّا لم نلتق في الأخير ردّا، دخلنا في حرب. ما الذي سوف نقوله عن حرب لا يهاجم فيها المعتدي؟ الأسوأ؛ إنّ بعض الكيلومترات المربّعة التي احتلّناها في لاسار استعجلنا في إعادتها ما إن كثر العدو عن أنيابه -والضّبط، ما أن انتهى من غزو بولونيا. انتظار، تحفّظ، تردّد، تقهقر، لقد قبلت القيادة العليا بكل شيء عمدا. ما كان الأمر يستوجب عشر ما

حدث لاستعجال ثورة 1870، لتهديج الاندفاع الوطني والاجتماعي في سنة 1914. للحقيقة؛ هو انتظار ليس انتظارا لشيء ما، بما أنَّ الألمان لن يهاجموا، انتظار لم يتخلف عن إحداث تأثيره: ما عاد الخلف يهتم لأمرنا، نحن أنفسنا ما عدنا نفكر في الألمان بنوايا هجومية. تتعلق آمال الكثيرين منا بحدوث ترتيب. حدثني بالأمس رقيب، وبريق أمل أبله يشع من عينيه قائلا: من جهتي أرى أنه سوف يتم تسوية كل شيء، وعلى أنقلنا أن تعدل في موقفها. يعاني أغلبهم من حساسية زائدة تجاه البروباغندا الألمانية. يضجرون، فتنهار معنوياتهم. ورغم ذلك تصوّروا حجم ذهول جنود 1914 لو وجدوا أنفسهم بعد رحيلهم الضّاح غارقين في انتظار لا نهائي بلا أي انتصار. نحن نقبل كل هذا، ولا أحد يمتنع. بالعكس نحن لن نحتج بسبب هذا. فأغلبنا يعتقد في خنوع أننا سوف نقضي ثلاث أو أربع سنوات بهذا الشكل، وحين أقول لهم لأختبرهم: أليس هذا أفضل من مجزرة يردون كلهم: أوه! طبعاً، لا شيء أفضل من هذا يبين أنَّ العقلية الحربية في فرنسا في طريقها للضياع. لا يجب أن نستخلص من كل هذا كما يرى ذلك بعض الأغبياء أننا ننتكس. لقد عانى الجنود مما هو أقسى من هذا، منذ أول يوم وصلوا فيه إلى هنا، وتحملوا كل شيء دون أن يشتكوا، دون أن يعرفوا أنَّ من حقهم أن يشتكوا. فلم يكن يسندهم أي مثال وطني أو إيديولوجي. لا يحبّون المتلوية غير أنهم غير مولعين بالديمقراطية، ولا يعيهم إطلاقاً أمر بولونيا. وفوق كل هذا؛ كان لديهم انطباع غامض أنه وقع استغباؤهم. رغم أنهم قد تكبدوا كلهم جميع المشاق في كرامة ودون صخب. لا لشيء ولكن لأن حقيقة الأمر هي كذلك. نفذ صبرهم للانتصار. فقط، تسكنهم رغبة عميقة أن ينتهي كل هذا. في هذه الوضعية الجديدة، في هذه الحرب غير الموجودة، التي يمكن أن تباغتهم في تفكيرهم. أصبحوا مندمجين بعمق مع وجودهم. إنَّها بالفعل حربهم. حرب الصبر خالية من كل فن عسكري، خالية من كل مقدس، بلا اقتتال (على الأقل إلى حد الآن)، أو أنَّ لديهم انطباعاً بأنهم ليسوا العنصر الرئيسي، وأنهم مجرد تكملة، محرومون من القيمة المجيدة للمحارب.

بخصوص المقطع المذكور أعلاه لييرفو (بلوتارك صفحة 119) أعتقد أنه هو من

أوحى لرومان عدّة ملاحظات كنت قد سجّلتها في دفترتي تضع اللّعب التعاقدّي للحرب، زمن الفنّ العسكريّ، في مواجهة الحرب الشّاملة كما يتمّ تصوّرها باعتبارها جهداً بلا تعاقدات -دون أيّ تعاقد- خالية من أيّ فنّ.

ليس هناك سعادة دون ثمن، وليس هناك حكاية لا تنتهي بشكل سيّئ. لا أكتب هذا تحت تأثير شيء ما، لكن أكتبه ببساطة وبشكل جافّ، فلطالما شعرت بذلك وكان لابدّ أن أكتبه هنا. وهو ما لا يعني أنّ هذا قد منعني من أن ألقى في حكايات، ولكنني كنت على قناعة دائمة أنّ هذه الحكايات سوف تكون نهايتها قدرة جدّاً، ولم أظفر بأيّ سعادة دون أن أفكر بسرعة، ما الذي قد يحدث بعدها⁽³⁸²⁾.

كتب بيرفو صفحة 200: ليس هناك في الحقيقة، فنّ عسكريّ، دون تعاقدات يجب أن تكون مقبولة من الطّرفين المتحاربين. لكن ما أن تتوقّف الحرب عن كونها لعباً محترفاً، أي ما أن تصبح وطنيّة، لن يكون هناك احترام للتّعاقدات، ويختفي الفنّ العسكريّ... مع الجبهة المستمرّة، تنهار كلّ صروح التّجارب القديمة، ولم يعد هناك سوى حشو كلام بلا فائدة خال من أيّ موضوع. ما الذي سوف تجود به أيّ مناورة الآن؟ لم يعد هناك أيّ أجنحة. ما الذي سوف تنفعه معرفة خطط العدو؟ لم يعد هناك أيّ خطة. ما الذي تهدف إليه الأعمال الشّاقة حول المعارك عن قرب، القواعد التي تضبط حركة الطّليعة واستعمالها، والمؤخّرة والخشونة؟ قطع من الجيش مصفّفة في مواجهة بعضها على طول مئات الكيلومترات، يطلقون النّار على بعضهم بشكل عشوائيّ، هكذا يُختزل الواقع الحربيّ... ليس ثمة شكّ أنّ الحرب الحديثة لم تجد الشّكل الذي يناسبها ويجعلها أقلّ قتلاً وأقصر وقتاً... مازلنا في بداية فنّ عسكريّ

382 كتب سارتر في ذلك اليوم إنه "فقد شيئاً ما البهجة للحياة". كانت أكاذيبه نلاحقه. فهو متعير بخصوص فائدا، والتي قد تكون علمت إنه قد أخفى عنها جزءاً من أيام رخصته. إضافة على ذلك هو بفكر في كتابة رسالة يقطع من خلالها علاقته ببيانكا. لكن هل كان راضٍ على نفسه؟ ورغم إنه مأخوذ "بشففه" بفائدا، يخامره شكّ إن أحساسه نحو فائدا إنما هو موجه ضد أولغا - التي كان مغرماً بها بصدق سنة 1936 غير إنها أبعدته عنها- ويفغّيه التشابه بين الأختين (وهو ما سوف يعترف به في جميع الأحوال بعد سنوات). تكتب ميمون بوفوار وهي تتحدث عن بيانكا قائلة: "إنها الشخص الوحيد الذي أسأنا إليه بالفعل ولكننا قتلنا ذلك" (رسالة إلى سارتر بتاريخ 13 ديسمبر 1945)

جديد، بداية أخرى متجددة. سوف تبدو الحرب القادمة في عيون المستقبل مثل مخطط عديم الشكل، التجربة الأولى غير المتقنة لحرب صناعية فرضتها مشاريع العلوم والصناعة على الأمم.

لا شك في ذلك؛ لكن هناك تناقض في هذه الأسطر. يعلمنا بيرفو أنّ الفنّ العسكريّ مثله مثل أيّ فنّ يقوم على تعاقدات. لكنّ حرباً وطنية تتجنب من حيث المبدأ أيّ تعاقد. وهو يستخلص في النهاية ما هو أكثر من ذلك، دوناً انبعاث جديد ممكن للفنّ العسكريّ، بل مجرد إمكانية تغييره فقط. كان عليه أن يقول: إنّ زمن الحروب الوطنية جعل من الفنّ العسكريّ شيئاً مستحيلاً.

وماذا عنّا نحن، في هذه الحرب هنا؟ ها نحن نبدأ مع جبهة مستمرة مثل 1915 بالضبط. وهي ببساطة مرتبة الآن أكثر من قبل، مهتأة للسكن أفضل من قبل. فقط؛ عرفنا من الجهتين أنّه من المستحيل التحارب على الجبهة بما أنّه ليس هناك أجنحة لتجاوزها ولا ثغور للتنفذ من خلالها. هكذا نحن لا نفعل أيّ شيء على الإطلاق.

حارسان وجندياً مشاة لا يعرفون بعضهم، يتناولون الغذاء بجانب بياتر. بدؤوا بالحديث في سخرية لاذعة من الفرقة 35 التي عوضتنا في ويسمبورغ: هؤلاء البوردوليون [نسبة إلى بوردو المدينة الفرنسيّة] الأحماد، لقد مسكنا المحور لمدة شهرين، أما هم فكلّ ما استطاعوا فعله أنّهم خسروا كيلومترين (؟) حالماً وصلوا. كبرياء غريبة الجسم والجهة. وهو ما جعل الحديث ينقسم بين طرفين إذ قال الحارسان لجنديّ المشاة: وهل نحن سوف نقوم بالإضافة!، ردّ الجنديّان: بل نحن الذين هم في خطر الآن!، وما كان ينقص سوى أن يتعاركا بالأيادي غير أنّ بياتر تدخّل فجأة وقال: أنتم بالمعمل مجانين، نحن كلّنا في خطر!، عندها هدأ الجميع ومنح بياتر قدح نبيذ.

تمّ نقل زوجة كلين الممرضة بمستشفى ستراسبورغ بضع كيلومترات إلى الخلف بسبب نوبة التهاب الزائدة الدودية، غير أنّه لا يوجد سوى جراح واحد في هذا المستشفى المختلط، حيث تتمّ معالجة المدنيين والعسكريين. وحالة زوجة كلين حساسة جداً. هو بروتستانت وعاجز، إضافة إلى أنّه غير مجتد، رغم أنّه شابّ تمت

مصادره وهو ما جعله حائقا، ساخطا: لو كان نقيًا لحصل على منحة. ينجز عمليات جراحية لفائدة العسكر بوصفه طبيبًا مدنيًا وعليه أن يطلب عند كل مرة إذنًا من القيادة العسكرية. فحص زوجة كلين وقرر إجراء جراحة فورا. لكن الإذن يتطلب الانتظار ثمان وأربعين ساعة، وماتت زوجة كلين على طاولة العملية.

لا يمكن للماضي أن يوجد إلا بوصفه ماض للوجود -لذاته. ليس هناك سوى الوجود-لذاته، لديه ماض وطريقة وجود، هذا الماضي متميز جدًا. وهو دونها أدنى شك وجود-في-ذاته؛ الوجود-في-ذاته هنا قد استعاد كليًا الوجود-لذاته إلى درجة إلغائه، لكن رغم كل شيء لقد كان الوجود-لذاته هاربا من الوجود-في الذات، نحو العالم ونحو المستقبل. وبالتالي له ميزتان أن يكون من الوجود-في ذاته ثابتا، متجمدا، الوجود-في-ذاته تحول إلى شيء، أي حدث مفتت وكان-له-مستقبل، سواء تحقق هذا المستقبل أو لم يتحقق. يصبح وجود الماضي وفق هذا الشكل الواقعي، نصف -موضوع. وسوف نحمل كل ماضينا خلفنا كما لو لم نكن أبدا. لو نقوم بموضعة هذا الماضي سوف يصبح تخيليا⁽³⁸³⁾.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الأربعاء 21 فيفري

أن تشبه هذه الحرب حرب 1914 فذلك لا يظهر في الأول. بيرفو صفحة 204: استنزاف ألمانيا! هذا ما يعول عليه الجميع! وفي تلك اللحظة يتم ابتكار تلك الصيغة الوقت يخدم لصالحنا. تتفوق الأمم من خلال سياسة التحالف... وهذا بديهي إلى درجة أن الانتصار أصبح بديهيًا. وحسابات الخسائر التي أعدها المكتب الثاني تشير إلى أنهم يحاولون إعطاء قاعدة صلب لهذه العقيدة، على حساب بعض الأخطاء. استنزاف العدو، هذا هو المنفذ الوحيد من هذه الحرب اللامتتهية الذي تحدث به القيادة العليا... لكن ها هو تصور مدمر للفن العسكري، ينكره نهائيًا.

لكن ما هو أملنا بالنسبة إلى 1940؟ هو نفسه بالضبط: نأمل في استنزاف العدو،

383 انظر الوجود والعدم الجزء الثاني الفصل الثاني، "الزمنية".

لقد قرأت مقالة «ليياريكوت»⁽³⁸⁴⁾ في الأوفر لعدد اليوم يكتب فيه: ترتبط فرنسا وانقلترا بأمريكا عبر البحر، ولذلك وضعهما بالنسبة إلى حرب الاستنزاف أفضل من ألمانيا المرتبطة بالاتحاد السوفياتي عن طريق البلطيق وشبكة سكك حديدية سيئة... صرت مقتنعا أننا سوف نربح هذه الحرب على المدى الطويل... تهيئة حرب استنزاف مطولة، هي الوسيلة الوحيدة لجعل حرب الاستنزاف هذه أقصر ما يمكن.

العبارة نفسها مأخوذة من الحرب الأخرى، وكذلك الموضوع. يبقى أن الاستنزاف لم يعد استنزافا في الرجال والعتاد، بل استنزافا في العتاد فقط إلى حد الآن. وهم في الوقت نفسه؛ منشغلون أكثر (وهذا هو المعنى من مقالة بيار كوت) بتنظيم مقاومة الاستنزاف الداخلي للبلدان المتحاربة: نرى جيدا كم هو ضروري أن يكون لنا سياسة اقتصادية موجهة نحو التصدير، تعتمد على قول: كل شيء -قروض وخبرات- من أجل صناعة حربية، لا شيء فيما يخص صناعة التصدير إنه جنون. يبقى المبدأ هو نفسه. ولا يمكن أن يكون إلا كذلك، بما أنه في الحرب الوطنية، ليس هناك قواعد لعب. بإمكان كل بلد أن يقاوم إلى حد الإعياء. ونحن إنما نبحث عن إدارة مثل هذا الإعياء البطيء.

تؤكد لي قراءة الكتاب الرائع لبير فو فكرة تشكلت عندي في أكتوبر: يبين أن الفن العسكري فقد تعقاداته في حرب 1914. فكّرت، واضعا بعين الاعتبار بدايات هذه الحرب على طريقة الرياضيات اللا إقليدية التي نعرف فيها أولا الطريقة التعسفية الصافية لكل مُسلّمة. لقد أوضحت حرب 1914 من خلال العبثية وجود عدد من المسلمات على قاعدة الفن العسكري، مُسلّمات يمكن تعويضها دون مساوي بمسلّمات، بشرط أن يعتمد العدو المسلمات نفسها في الوقت نفسه. لقد أُنجزت حرب 1915-1918 دون مُسلّمات، لكن أليس من الممكن أن تفكّر في نفسها كحرب. يقول بير فو سعيدا: لقد ابتكرت القيادة من هذه التجريدات الكثير خلال الحرب رغبة في تثقيف المادّة المحافظة التي عليه أن يتصرّف فيها، غير أنه اتضح أن

384. بيار كوت رجل سياسة يساري، وزير الجو سابقا. وعنوان المقالة المذكورة "حرب وتجارة خارجية

كل واحدة من هذه التجريدات مقدودة من أسراب. تعود القيادة بعد خمس وعشرين سنة للتفكير في هذا الحرب، تفهم تعسفية المسلمات تُروّض المفاهيم، إمّا من خلال بنائها دون مسلمات، أو باستعمال المسلمات الأكثر تلاؤماً، دون أن نتخذ بقيمتها التعسفية. من هنا هذه العبارة التي أستعملها إلى الآن حرب حكيمة، حرب حكيمة باستطاعتها حين تلتحم الأسلحة ببعضها، إن حدث ذلك تتحلّل في مواجهة بربرية للكل.

يتراءى لي أنني دفنت باريس منذ آخر مرّة رأيتها فيها. أقرب الذكريات لي وأرقها تلك التي تأتيني من باريس هذه المحتضرة. أمّا باريس الأخرى، باريس حياتي الماضية، أعتقد أن آخر ارتباطاتي بها قد انقطعت بالفعل. لأول مرّة، منذ بداية الحرب أنا جافّ مع ماضي. لم أعد متعلّقاً سوى بالناس وحين أفكر في الالتقاء بهم، فإنّها في باريس الحرب أحدّد لقاءاتنا. لقد استنفدت رخصتي قطيعتي مع الماضي. لقد كسبت من ذلك تراجعاً وأستطيع أن أقول ذات يوم -ربّما غدا- ماذا كانت تُمثّل باريس بالنسبة إليّ. تنبّهت إلى أنّه، إن لم أكن وطنياً، لكنّ على الأقلّ كومونياً أو جهوياً. لقد كانت باريس قريتي كما تقول الأغنية⁽³⁸⁵⁾ أنت يا مواطن باريس في السابق كنت شوفينياً.

قالت لي فاندّا وهي تقرأ دفاتري: يفاجئني هذا. لقد تعودت على الأغبياء الذين يريدون أن يشبّوا، أنني أضطرب أمام ما هو اعتباطي. يسحّرني ما تقوله وهو حقيقي. اعتباطية هذا الدفتر كاملة، مثل التفكير عموماً. غدا سوف أكتب عن باريس. لكن لماذا؟ دون سبب، لأنّ هذا يمتعني. ولا شيء ليس هناك سبب هنا؛ كلّ شيء هو لعب. خاصّة أنني لا أجهّد تفكيري أبداً. إن ألّفت كتاباً مركّباً، سوف أتوغّل نحو البعيد، على طريقة جنود في حرب يكرهونهم على التماسك أكثر ممّا يستطيعون. عوضاً عن هنا أستدير بسرعة ما إن أجدي جاهزاً للإجهادي.

385 باريس أغنية مشهورة سنة 1925 لحنها فينسان بويه وفينسان سكوتو وكتب كلماتها لوسيان بويه وقام بأدائها موريس شوفالبيه تقول لازمتها:
أه! كم كانت قريتي جميلة باريس، باريسنا!

حول طبيعة المستقبل. المستقبل هو موجود متعال يستمدّ منبعه من الوجود- لذاته. ليس الوجود-في-ذاته مستقبلا لأنّه في الكلّ كلّ ما هو. وبالتالي ليس لشيء من خارجه يمكن أن يوجد. يُبعد مبدأ الهوية باعتباره قانونا وجوديًا للوجود-في-ذاته أيّ إمكانية للمستقبل. لا يمكن للمستقبل أن يوجد إلّا بوصفه تكملة لنقصان في الحاضر. بل هو معنى هذا النقصان. هل يجب أن نُعرّف هذا النقصان أيضا. إنّهُ لمن الغريب أن نكون قد وصفنا مطولا الإرادة، الرغبة، الشّغف في كلّ الفلسفات وفي كلّ علوم النفس دون أن نصل لمعالجة هذا الأمر الجوهريّ، الذي لا يمكن تصوّر أي مظهر من هذه المظاهر إن لم يكن الوجود الذي يريد، الذي يتألّم، الذي يرغب غير ممسك به في وجوده باعتباره يعاني من نقصان جوهريّ. لعلّها المسيحيّة هي التي قاربت هذه البيّنة الضّروريّة أكثر، بإبراز أنّ الروح البشريّة باعتبارها منشطة بنقصانها للإله وكذلك كتابات المتصوّفة الغزيرة في تحاليلها الصّادمة لهذا العدم الدّاخليّ الموجود في قلب الإنسان. على أنّه يجب ملاحظة أنّ أغلب المفكرين المسيحيّين، التّائهم في تصوّرهم التّوحيديّ للوجود باعتباره حدّا-للذات، خلطوا -مثل هايدجير- العدم الوجوديّ للوعي البشريّ بتناهيهِ. بينما التّناهي، بما هو حدّ خارجيّ للوجود، لا يمكنه أن يكون أصل النّقصان الذي يوجد في قلب هذا الوعي ذاته. إن كان لهذا الأخير تناهيه الخاصّ به، فتلك مسألة لم أضعها في حسابي هنا، لكن ما يظهر بوضوح أنّه لا يمكن تفسير الرغبة دون اللّجوء إلى نقصان وجوديّ. فإن استعدت مثلا التعريفات النّفسية الفيزيولوجيّة للجوع أو العطش التي صارت كلاسيكيّة، أرى أنّه يجب أن أكون ساذجا جدّا أو غيبيا لأقبل بها. ما الذي تبيّن لنا هذه التعريفات؟ مثلا هو افتقار للدّم كما في الاختناق - تهيّج البصلة بالدّم الوريديّ الذي يحدث تقلّصات متشنّجة للحجاب الحاجز - في حال الجوع هي تقلّصات المغلّف، التلعب، توتر عصبيّ حادّ يحدث مضغا بصعوبة، إلخ. كلّ هذا جميل وجيّد، لكن لا يجعلنا نتقدّم. لأننا نحن نعانّد من أجل وصف حالات موجودة على شاكلة حدّ-الذات، التي

بمستطاعها أن تأتمر فيما بينها، لكن لن يمكنها إطلاقاً أن تكون معطاة لوحدها كـرغبات، لا تشبه للرغبة بقدر ما لا يشبه اهتزاز الأثير اللّون الأحمر. وليس من قبيل توفير إجابة مطمئنة أن نقول إنّ الوعي يُحوّل هذه الحال الجسديّة إلى رغبة، يضبط هذه الحال على شاكلة رغبة، إلّا إذا منحناها قدرة سحرية، يجب تفسير لماذا لا يمكن ضبط هذه التحويلات الجسديّة على شاكلة حالة. لأنّه يجب أن يكون المرء أعمى كي لا يرى أنّ الفرق الأساسي بين الرّغبة والحالة الفيزيولوجيّة الذي نريد أن نردّه لأساسه هو ذو طبيعة وجوديّة. لا يتعلّق الأمر بقول أنّ الرّغبة مفكّر فيها، وهي تمثّل، وهي ذهنيّة، لا ممتدّة، ماذا أعرف؟ إن حوّلتها إلى حالة فأنت لن تفهم أي شيء. وبالتالي فالتوازي قائم على فكرة عبثيّة أنّ حالة الجسد ماثلة للحالة النّفسية. لكنّ الحالة في تصوّرها هذا لن تخرج أبداً من نفسها لتكون في حاجة لشيء متعال معها كان. لو تصوّرنا جهازاً من نوع ذلك التسلسل الفيزيولوجي، أرى جيّداً أنّه لو تمّ حرمانه من الماء فسوف يمرّ ببعض الحالات ليلبغ الحالة النّهائيّة أو الموت. لكن لست أرى ماذا يمكن أن تفعل الرّغبة هنا. بل أفكر أنّ هناك خطأ جسيماً في تصوّر هذا الجهاز، وليس هذا موضوع النقاش هنا. كي تكون هناك رغبة لا بدّ أن يكون الشّيء المرغوب فيه حاضراً بشكل محسوس - هو ولا شيء آخر - في الدّاخل العميق لمن أجل - الذات، لكن يجب أن يكون حاضراً مثل عدم يؤثّر فيه، أو، بشكل أدقّ كـنقصان. ولا يمكن أن يكون هذا ممكناً إلّا إذا كان المن أجل - الذات في وجوده نفسه قابلاً للتعريف من خلال ما ينقصه. أي أنّه ليس هناك أيّ نقصان يمكن أن يأتي للوجود - لذاته من الخارج. وحتى في حال سوء النّية، لا يمكن الكذب على الذات إلّا إذا كان الوعي بطبعه ما ليس هو. ونفس الشّيء ليست الرّغبة ممكنة إلّا إذا كان الوجود - لذاته بطبيعته رغبة، أي هو نقصان بالطبع⁽³⁸⁶⁾. عبثيّة إرادة القوّة الشّوبنهاوريّة أو

386 " كي يفنّد شيء ما الواقع - المفترض، يجب أن - بشكل ما - تفتقد شيئاً ما من حيث المبدأ لذا فلا علم نفس الحالات. لا هوسرل، لا حتى هايدجار اهتموا بهذه الحقيقة البديهية غن كان هناك شيء يجب أن يفنّده الوعي على العموم، يجب أن تكون الطبيعة الوجودية للنوعي هي طبيعة الفقدان " (رسالة للكاستور بتاريخ نفس اليوم).

النَّيشَوِيَّة، إِنَّه، إِنْ تَصَوَّرْنَاهَا كقُوَّة، لَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَفْهَمَ عَلَى الْإِطْلَاق، كَيْفَ سَيَكُونُ بِمُسْتَطَاعِهَا أَنْ نُعَبِّرَ مِنْ خِلَالِ الرِّغْبَاتِ أَوْ الْإِرَادَاتِ. سَوْفَ تَظَلُّ قُوَّةً وَتَحَافِظُ بِبَسَاطَةٍ عَلَى تَوَازُنِهَا بِوَاسِطَةِ قُوَى مُعَاكِسَةٍ. لَنْ يَنْفَعُ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْ نَقُولَ إِنْ الْأَمْرَ مُتَعَلِّقٌ بِقُوَى ذَهْنِيَّةٍ، إِلَّا إِنْ عَرَفْنَا الذَّهْنَ كَمَا لَوْ أَنَّهُ الْوُجُودُ-فِي-ذَاتِهِ مُرْتَعِدٌ بِالْعَدَمِ. إِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ وَضْعِ النِّقْصَانِ الْوُجُودِيِّ كَخُصُوصِيَّةٍ مُمَيَّزَةٍ وَاعْتَبَرْنَاهُ أَصْلَ كُلِّ الرِّغْبَاتِ وَالْإِرَادَةِ، فَلَا بَدَّ إِذْنِ أَنْ نَطْرَحَ عَلَى أَنْفُسِنَا السُّؤَالَينِ الْأَوَّلَيْنِ: مَا مَعْنَى النِّقْصَانِ؟ - مَاذَا يَنْقُصُ؟

مِنَ الْبَدِيهِِيِّ أَنَّ النِّقْصَانِ يَتِمِّي لِنَصْفٍ لَا وَجُودَ لَهُ، بِمَعْنَى أَنَّهُ حَيْثُ أَنْ لَا وَجُودَ لَهُ هُوَ رَابِطٌ مُحْسُوسٌ، وَإِيجَابِيٌّ بَيْنَ الْوُجُودِ-فِي-ذَاتِهِ وَشَيْءٍ آخَرَ مَوْجُودٍ. لَكِنَّهُ حَالَةٌ مُخْصُوصَةٌ مِنْ لَا وَجُودَ لَهُ. فَحِينَ نَقُولُ إِنْ الْوَعْيِ لَا مُمْتَدٍّ، لَا نُرِيدُ أَنْ نَقُولَ إِنَّهُ يَنْقُصُهُ الْإِمْتِدَادُ. لَنَسْتَنْتِجَ أَوَّلًا أَنَّهُ لَا يَجِبُ تَصَوُّرُ النِّقْصَانِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ سَتَسْتَنْتِجَ بِهَا مِنَ الْخَارِجِ، كَمَا نَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ إِنْ هَذَا الْكُرْسِيِّ يَنْقُصُهُ سَاقٌ أَوْ أَنَّ سَاقًا تَنْقُصُ الْكُرْسِيَّ؟ هَذَا النِّقْصَانُ الْفَرْضِيُّ بِشَكْلِ مَا يَتْرُكُ الْكُرْسِيَّ سَلِيًّا تَمَامًا بِسَيِّقَانِهِ الثَّلَاثِ.

إِنَّمَا بِشَكْلِ افْتِرَاضِيٍّ فَقَطْ، نَحْنُ نُرِيدُ الْجُلُوسَ عَلَى كُرْسِيٍّ يَنْقُصُهُ سَاقٌ أَوْ بِالْأُخْرَى، فِيهِ النِّهَايَةُ نَحْنُ مِنْ نَقْصِ سَاقًا. طَرِيقَةُ تَصَوُّرِ النِّقْصَانِ عَقِبَةٌ مِنْ خِلَالِ تَقْدِيمِهِ كَخَارِجٍ، وَحَتَّى نَقُولَ كُلَّ شَيْءٍ، كَطَائِعٍ لِنَتَأَمَّلِ الْكُرْسِيَّ. نَحْنُ مُتَرَدِّدُونَ بَيْنَ التَّصَوُّرِ الْعَمَلِيِّ لِلْكُرْسِيِّ بِاعْتِبَارِهِ أَدَاةً يَنْقُصُهَا جُزْءٌ رَئِيسِيٌّ وَالتَّصَوُّرَ النَّظَرِيَّ وَالتَّأَمُّلِيَّ لِهَذَا الْكُرْسِيِّ وَجُودِ-فِي-ذَاتِهِ، شَيْءٌ هُوَ كَمَا هُوَ ثَلَاثَةٌ سَيِّقَانِ وَلَا شَيْءٍ يَنْقُصُهُ. مِنْ هُنَا نَحْنُ نَتَصَوَّرُ فِي الْعَادَةِ حَالَاتِنَا النَّفْسِيَّةِ. نَحْنُ نَرَاهَا بِإِمْتِلَاءٍ وَجُودِ-فِي-الذَّاتِ، وَمِنْ وَجْهِهِ النَّظَرِ هَذِهِ لَا يَنْقُصُهَا أَيُّ شَيْءٍ. لَكِنْ إِنْ أَعَدْنَا وَضَعَهَا فِي تَمَشٍّ مُكْتَمَلٍ، سَوْفَ نَلَاظُ مِنْ الْخَارِجِ أَنَّهُ يَنْقُصُهَا شَيْءٌ مَا (مِثْلًا شَخْصٌ مَا أَوْ شَيْءٌ مَا نَاقِصٌ بِغِيَابِهِ)؛ أَيُّ إِنَّا نَفَكِّرُ فِيهِمْ لِبُلُوغِ الْحَالِ الْمَثَالِيَّةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَبْلُغُوهَا (سَعَادَةٍ، رَاحَةٍ ضَمِيرٍ، إلخ) يَنْقُصُهُمْ شَيْءٌ مَا. لَكِنْ بِمَا أَنَّهُمْ حَاضِرُونَ، فَهُمْ مُكْتَمَلُونَ. هَكَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ النِّقْصَانِ فَرْضِيٌّ وَبِشَكْلِ مَا، بِحَسَبِ الرِّغْبَةِ [بِاللَّاتِينِيَّةِ فِي الْأَصْلِ]. يَنْقُصُهُمْ شَيْءٌ مَا مِنْ أَجْلِ

ثلاثي يجعل منهم الإثبات بشكل موضوعي. لكن هذا يُنسبنا أن الوجود-لذاته هو وجود كما يعني وجوده في وجوده. لاشيء يأتيه من الخارج ونقصان للوعي هو وعي نقصان. من خلال لعبة العاكس والمعكوس، فالوجود-لذاته لا يمكن أن يكون إلا نقصانه الذاتي. ألا يمكن بهذا الشكل أن نعرفه كنقصان. وجود الوجود-لذاته، هو نقصان ل... وتعريف النقصان ل... هو: أن يتحدّد بنفسه كما لم يكن الوجود ضروريًا له وكافيا ليعطيك وجودا ممتلئا. ليس الوجود-لذاته ممتدًا لكن لا ينقصه الامتداد، لأنّ الامتداد ينتمي للوجود-في-ذاته، ليس كما الوجود فيه، من الامتداد يمكن أن يمنحه الوجود الممتلئ للوجود-في-ذاته. لكن عكس ذلك في الوجود-لذاته ينقصه عالم (بما أنّ العالم يتضمّن أيضا الامتداد) لأنّ العالم هو بالنسبة إلى الوجود-لذاته الكلّ المحسوس للوجود-في-ذاته غير الموجود. نفهم أنّ الوجود-لذاته، الذي هو ليس العالم، بما أنّه يحوّل نفسه إلى عدم، يحدّد نفسه من التحوّل للعدم باعتباره نقصانا للوجود-في-ذاته ومن هنا يحدّد الوجود-في-ذاته كعالم. العالم هو الكل الذي ينقص الوجود-لذاته ليصبح وجودا-في-ذاته. وهجمة الوجود-لذاته في العالم معادلة لتحديد-ذاتي وجودي ومؤنس للوجود-لذاته كما الذي ينقص من الوجود-في-ذاته في مواجهة الوجود-في-ذاته. لذلك؛ على وعي ب... (بالمعنى الذي يقوله هوسرل: كلّ وعي هو وعي بشيء ما) أي، أن تحدّد نفسك بنفسك من أجل نفسك من خلال لعبة العاكس والمعكوس كنقص ل... شيء ما. وكما سبق وقلت ذلك في دفثري الثالث على ما أعتقد، كلّ وعي هو وعي بالعالم، قبل كلّ شيء. أمّا عن العالم، فهو وجود-في-ذاته الحاضر كقادر من خلال الامتصاص، على تحويل الوجود-لذاته إلى بما هو سبب الذات. الوحدة ومعنى العالم، أي بما هو سبب الذات باعتباره تركيبا مثاليًا للوجود-في-ذاته والوجود-لذاته. من المستحسن الإشارة إلى أنّ فكرة السبب مستخرجة من الذات من خلال الوجود-لذاته. الرابط السببي هو في الأصل الرابط الوجودي بين العاكس والمعكوس. لكن لتتفق أنّ النقصان لا يجب أن يفهم بالمعنى المثالي. فما ينقص الوجود-لذاته هو هنا، أمامه؛ وهذا هو بالضبط ما ينقصه، أي الوجود-في-ذاته باعتباره حاضرا للوجود-لذاته، بما هو وجود-لذاته،

والوجود-في-ذاته لاشيء يفصل بينهما. ليس النقصان خالقا لكنّ الوجود-لذاته يتكوّن قبالة الوجود-في-ذاته كما لو أنّه بطبيعته ينقص الوجود-في-ذاته. إلّا أنّ الوجود-في-ذاته وبالضبط من هنا يصبح حاضرا للوجود-لذاته، وهو ما لن يمسه في أي شيء ولا يمسه في وجوده كوجود-في-ذاته لكن ما يُكوّن الوجود-لذاته بها أنّ العالم حاضر أمامه كنقصان، أو ليصبح بهما هو سبب الذات. من هنا يمكننا أن نعرف المستقبل.

بقدر ما يتحوّل إلى عدم يكون الوجود-لذاته نقصانا. لكن ما سيتحوّل إلى عدم في الوجود-لذاته، هو الوجود-في-ذاته. النقصان مثله مثل أي شكل للعدم كان قد كان. بشكله السلبي، كما هو عدم تمّ تحويله للعدم، فالنقصان قصديّ، وعي بـ بالمعنى الهوسريّ. بما هو تحويل للوجود-في-ذاته إلى عدم، أي باعتبار أنّ الوجود-في-ذاته هو نقصانه الذاتيّ، النقصان في طابعه الإيجابي، هو رغبة. هو إن شئنا إرادة. لذلك؛ فإنّ الهروب المستمرّ للوجود-لذاته أمام الوجود-في-ذاته والتي تجمده يمكن مقارنته بحركة نهر سريعة يمكنه في أوقات البرد الشديد الإفلات بسبب سرعة مجراه من التجمّد. حتّى وإن توقفت تعاود الحركة. لكنّ النهر موجّه، يتّجه نحو شيء ما. نفس الشيء؛ فالوجود-لذاته يهرب من الوجود-في-ذاته نحو بهما هو سبب الذات الذي يريد أن يكونه. نحن نمسك هنا هذا الكلّ المفتوح الذي هو الوجود-لذاته. الوجود-لذاته هو بالنسبة إلى نفسه عدمه الشخصيّ، باعتباره وجودا-في-ذاته يتحوّل للعدم على شاكلة وجود-للذات. وهل الوجود-لذاته هو لنفسه، هو نقصان، وبالتدقيق نقصان الكلّ والذي هو إما إنكاره، أو هو عالم. الوجود-في-الذات حاضر في مواجهة نفسه كما لو أنّه غير موجود. الوجود-لذاته غير موجود تماما، لاشيء بداخله سوى شفافية كلية ليست سوى تفهقر الوجود-في-ذاته. غير أنّ هذا اللاشيء محجوز في الشفافية الكلية للوجود-لذاته كما لو أنّه نقصان شيء ما. يمسك الوجود-في-ذاته بالوجود-لذاته على شاكلة حدث يفلت باستمرار من نفسه في اللحظة التي سيستعيد فيها نفسه ويتمّ هذا الإفلات نحو ما ينقصه، أي نحو العالم. هكذا يصبح الماضي هو الوجود-لذاته، وقد أمسك به الوجود-في-ذاته والمستقبل

باعتباره ينقص الوجود-لذاته، كما حوِّله الامتصاص إلى بما هو سبب الذات. الوجود-في-ذاته كما يبرز للوجود-لذاته هو المستقبل. هذه كأس مادامت تعطي نفسها كما لو أنها أخذت. هذا كرمي مادام يعطي نفسه كما نجلس عليه، إلخ... كلّ في المستقبل. الوجود-لذاته معاصر للوجود-في-ذاته طالما هو موظف له، غير أنّ العالم بالنسبة إليه هو في المستقبل بقدر ما ينقصه. أي لو استطاع الوجود-لذاته أن يحدّد نفسه بالنسبة إلى الوجود الصافي والبسيط، لأصبح معاصراً للوجود-في-ذاته. لكن بما أنّه نقص، يظهر العالم كمستقبل على قاعدة توظيف الحاضر. ما أريد أن أقوله، أنّها خدعة ساحر، أعتقد أنّ هذا القلم الذي سوف أمسك به هو في المستقبل بالكامل. من المؤكّد، مادام هو قلم فهو في المستقبل. لكن بما أنّه وجود-في-ذاته، موظفاً لوجود-لذاته، فهو حاضر، أنّه حضور. كلّ شيء هو حضور فوري لا يمكننا بلوغه إلّا في المستقبل. ذلك هو معنى التعالي أو تجاوز الموظف الحاضر باتجاه (الشيء -القادم) للعالم⁽³⁸⁷⁾.

مساررة من يياتر كم استمتعت قبل الزواج يا صاحبي؟ لقد كانت لنا مغامرات رفقة صاحبي الإثنين! نجتمع في بعض الأحيان ونروي لبعضنا، من أجل أن نستمتع بتذكّرها. نأخذ السيّارة كلّ يوم سبت ونخرج للمطاردة، وفي إحدى المرات جذبت ثلاث فتيات دفعة واحدة، أي نعم، كنت أتحير منتصف الليل زمناً للاصطياد، ولم يكن ذلك إلّا بغاية المتعة، والتنويع، أوّه لم نكن نوقع بهنّ عن طريق الكلام المعسول، نفترح عليهنّ قضاء أمسية في المرقص، وإذا كنّ من التحرّرات، نقضين الليل معنا، ونأخذهن في الغد على السيّارة إلى توكي، ونمنجهنّ وجبة جيّدة. ثم نفترق عند المساء، وإن كنّ صديقات طيبات يمكنهنّ العودة مجدداً وتناول الغداء معنا. لم نكن غيورين فيما بيننا، ولم يكن بيننا من تنافس. باستثناء مرّة واحدة، أراد فيها أحداً الاستحواذ على إحداهنّ، لم يكن مترهباً غير أنّه كان يتصور أنّه يمتلك طابعه الخاصّ، قال بجديّة: «هذه الفتاة ليست كالأخريات. ومع هذا فلقد كانت سليطة

387 الوجود والعدم الجزء الثاني الفصل الأول " ما هو من أجل ذاته ووجود القيمة " والفصل

اللسان وقحة. أردنا أن نحتال عليه. قال لنا في إحدى الأمسيات: «امضوا أنتم لرؤية هبلين عوضاً عني، لدي ما يشغلني سوف ألتحق بكم بعد ساعة أخرى». انطلقنا إلى المقهى حيث تعوّدنا أن نلتقي وعوض أن نعلمها أنّه قادم بعد ساعة أخرى، أخبرناها، بانصرافه مع امرأة أخرى. وعليه ولكي نتقم منه هذه المرأة منشدة الغيرة دعّنتي يا صاحبي لمضاجعتها على الفور. صعدنا إلى غرفتها ونمنا معاً ثم أغاضتني، فأنا لم أكن أفعل هذا إلا لأضجرها، ولا أعرف بماذا تفوّعت قدّامها، وفي النهاية قلت لها: أنت عامرة مثل الأخريات، لقد خنت جول، وصارحتنا بحقيقة الأمر. لن نخزر أبداً ماذا أجابتنني. قالت لي: أولاً؛ لم أخن جول، فأنا لم أشعر بلذّة الجماع معك، لكن؛ هل تعلم عدا هذا، كنّا نتشارك فيهنّ جميعاً ونأخذهنّ كما نشاء. ذات مرّة؛ بقينا ثمان وأربعين ساعة في غرفة واحدة مع فتيات جئن لمجرّد اللّهُو والاستمتاع. لقد صاجعناهنّ بالتناوب، واحدة بعد الأخرى؛ لم تكن من محبّي الجنس الجماعي، لكنّنا كنّا نفعل ذلك لمجرّد المتعة، جعلناهنّ يستلقين أماننا، وطلبنا جلب وجبات أكل. طلبن منّا نقوداً، وأوهمناهنّ بالموافقة، فأخذنا نصيينا من المتعة، دون أن ندفع لهنّ في آخر المطاف فلساً واحداً، وانصرفن خائبات، لقد كان ذلك ممتعاً. وذات مرّة، أخذنا شقراء يافعة أنيقة بالسيّارة إلى الغابة. تولّيت أنا قيادة السيّارة وكان رفيقي جالساً في الخلف؛ أخرج من جيبه ورقة نقدية من فئة خمسمائة فرنك وأظهرها لها تحت نار الولاعة ثمّ ضاجعها، وبعد ذلك سلّمها ورقة بيضاء. بنفس حجم الورقة النّقدية كان قد أعدّها سلفاً فأخذتها منه وخبأتها في جورها دون أن تشكّ في أيّ شيء. مرّرت المقود لصديقي وصعدت مكانه في الخلف إنّه دوري. كانت مازالت تريد نقوداً غير أنّي رفضت. عندها استشاطت غضباً، وعدنا بها إلى حيث أخذناها في الأوّل وقالت لي وهي تغادر السيّارة: «صديقك جتلمان وأنت وغد، لن تعرف كم تفكّهنّا بعد ذلك: سوف تصاب بخيبة كبرى. من وقتها؛ صرت أخرج مع تاجر فراء من ليون، كنّا بالكاد نعرفه غير أنّه كان يأتي إلى باريس باستمرار، يدفع حصّته وننتشارك في النّساء. هو شخص من النّاحية العمليّة، صفر! لكنّه صياد من الدّرجة الأولى. كان عالم نفس؛ يقول إنّ تسع نساء من عشرة نقطة ضعفهنّ المال. لذلك كان

يعرف كيف يتصرّف، يعدهنّ ويكسبنّ كلّهنّ. تخرج معه فيقول لك: هل ترغب في امرأة؟، هوب في أقلّ من ثانية يعود مصحوبا بواحدة، يبقى أنّ سمعته ساءت إلى أبعد حدّ. بما أنّه لا يدفع للنساء اللّواتي يجلبهنّ أي شيء انتهى به الأمر إلى شجارات معهنّ وعراكات مع النّسوة المحترفات. لاحفته إحداهنّ ذات صباح في الشارع وهي تصرخ خلفه. - هل تعرف سيّدة تبدو عليها اللّياقة، يجب أن يظهر العهر على دلعها. أمّا هو فلم يضطرب أو يتحير، نبّه رقيب المدينة إليها قائلا: لا أعرف هذه السيّدة، اشحنوها. وحدث له في إحدى المرات أن مرّت له امرأة هائجة قميصه لئمنه من مغادرة الغرفة دون أن يدفع لها أجرتها، لم يفعل أيّ شيء، أمسك بزوجي حذائها ورماه من النّافذة. لقد حدثت معي بدوري حكايات من هذا النّوع! يمكنك أن تكتبها في رواياتك! لهذا السّبب لا أريد الاصطياد معه كثيرا. كان يتسبّب في الكثير من المشاكل. حدث أن كان على غير وفاق مع صديقه فخرج معي» وقال لي: «هل نصيّد؟، قلت حسنا لنذهب للصيد، قصدنا الحيّ اللّاتينيّ، اتّجهنا إلى روزنغار، ووصلنا إلى المرقص في الأسفل من المؤكّد أنّك تعرفه. كانت الخطّة تقتضي أن نقوم بإلهاء إحدى الفتيات فتضيع عليها السّفرة الأخيرة للمترو. بعد ذلك سوف نتصرّف لإبصاها بالسيّارة، هل فهمت الخطّة؟ التقينا بفتاتين. شرع صديقي في وعدهما، إن رافقتنا سوف نأخذهما في الغد إلى فونتين بلو، نشري لهما جوارب جديدة، قبعات، وهم ما لن يقلّ عن خمسمائة فرنك وطبعنا نحن لم نكن نملك فلسا واحدة. قاومتا وأصرّينا؛ خرجنا من المرقص نحن الأربعة ومازلنا ترفضان أن تصحبانا عند الرّابعة صباحا، مازلنا واقفين أمام باب أحد نزل مونهارتر نناقش الأمر. في آخر المطاف قبلنا، ركن صديقي سيّارته بمأوى للسيّارات قريب من المكان ودخلنا أربعتنا النّزل. وهنا أيضا برزت حكاية أخرى كانتا تريدان غرفة لها وغرفة لنا. قلنا نعم وصعدنا، ما أن وصلنا قدّام غرفنا كُنّا لهما: ألا ترغبان في أن ننام معكما؟ سوف نكون وديعين معكما. - حسنا لكن بملايسكما كاملة! أنّه شغل بالفعل. وفي الأخير اصطحبت إحدى الفتاتين لغرفة وبقي صديقي مع الأخرى في الغرفة الأولى. ضاجعت مرافقتي ونمت. العاهرة! أيقظتني عند السّابعة صباحا. فركت عينيّ صائحا: ماذا هناك؟ -

علينا الرحيل! علينا الرحيل! - ماذا؟ ماذا؟ - إلى فونتانبلو - آه، حسنا! كنت منزعجا،
 تعرف جيدا أن الذهاب إلى فونتانبلو كانت مجرد حيلة لاستدراج الفتاتين ولم تكن
 ننوي على الإطلاق أن نأخذها إلى هناك. وإضافة إلى ذلك كنا وعدناهما بعدة أشياء
 أخرى ولم يكن معنا ما يكفي من المال للقيام بكل هذا. قلت له مستسلما: حسنا، تعالي
 معي نذهب لصديقي. ذهبنا إلى الغرفة المجاورة وأيقظناهما. هاهو صديقي يكتشف
 وهو يستيق من نومه أنه ضاجع الفتاة الأقل جمالا وأتني فزت بالأجل. لقد جعله
 هذا يستشيط غضبا تصوّر! كان بإمكان هذا التذل أن يكتفي. لكن لا! قال لي:
 «اذهب، لقضاء بعض الشؤون مع رينيه» (رينيه هي الفتاة التي قضى هو الليلة معها).
 هكذا يكون قد رتب أمره للانفراد بالفتاة الأجل التي قضت الليل معي وقد علمت
 فيما بعد أنه ضاجعها بسهولة. أمّا أنا فقد نزلت مع رينيه، ما كان بإمكانني أن أرفض
 غير أنني كنت أغلي من الداخل وأفكر ماذا سأفعل؟ اقتنيت جريدة من أحد الأكشاك
 وتظاهرت بقراءة العناوين منتهزا الفرصة للتفكير فيما يجب أن أفعله. تذكرت، فجأة
 أنّ في الأنحاء مقهى يفتح على جهتين. قلت للمرأة: تعالي لتناول فطور الصباح.
 ليس هناك داع لاستعجال الأمر، سينتظرانا. قصدنا المقهى، هناك طلبت وجبتي
 فطور صباح ودفعت ثمنهما على الفور. شرعنا في تناول الفطور ونحن نثرثر.
 استأذنت منها قائلا: هل لي أن أذهب للحمام، وغادرت المكان من الباب الآخر
 أطلقت ساقّي للريح. آه، يا صاحبي! بقية الحكاية علمت بها في يوم الغد. بعد أقل
 من نصف ساعة اكتشفت المرأة حقيقة الأمر وأتني تركتها لوحدها وتبخّرت، فعادت
 وحيدة إلى المنزل ووجد صديقي نفسه وحده مع الفتاتين. نعم عليّ بشدة. نعتني
 بالشخص الرديء، وأنه ما كان عليه أن يرافقني فهو بالكاد يعرفني. غير أنه واصل
 رواية بقية حكايته مع الفتاتين. قال إنهما «أصبحنا أشد حذرا»؛ ولازمته إلى الساعة
 الرابعة بعد الزوال وما استطاع الإفلات منها. واصل قائلا: أخذتهما إلى مأوى
 السيارات حيث ركنت سيارتي. صعدتا معي في السيارة وأخذت طريقي دون وجهة
 محدّدة، وبينما كنت أعبر إحدى الغابات أوقفت السيارة متظاهرا أنّ بها عطبا ما.
 أوقف السيارة وطلب من الفتاتين النزول للتحرّي في أمر العطب، وانتهاز فرصة

مغادرتها السيّارة وهو بصدد معاودة تشغيل المحرّك، ثمّ اندفع بسيّارته هاربا تاركا المرأتين لوحدهما. إيه مغامرات الشّباب، لكم كنت ماجنا. الأشخاص الّذين لديهم مغامرات في عمري الآن، هم من أمثال بول الّذين لم يعيشوا أيّ شكل من أشكال المجون إلى حدّ الآن. أمّا أنا، فلا. ما عدت أهتمّ بذلك، إنني وفي لزوجتي.

ولتكلمة البورترية، وجب أن أضيف أن يياتر ينفر كثيرا من الدّيانة. وكثيرا ما يسبّ ويشتم الدّيوثيين. لذلك هو على الأقلّ يعتمد أخلاقا صارمة فيما يخصّ العلاقات الجنسيّة. وها هو اليوم بالذّات، يزيد من تثبيت الدّليل على ذلك بمناسبة صدفة غريبة مضحكة. وذلك بخصوص هانتزيغر، ذلك الطّويل بيرو الحزين، الرّومانيّ، والكثيب، الجشع الّذي مازال منذ بداية الحرب حائرا بين امرأتين. هو مدير أو نائب مدير الفرع الفرنسيّ لدار سينما أمريكيّة. اندلعت الحرب وفقد موارده. كانت زوجته الّتي تزوّجها صغيرة السنّ، شديدة التّدين، منعمة الجاذبيّة الجماليّة فتركها قبل شهرين من اجتياح ألمانيا لبولونيا وفي نيّته أن يتزوج عشيقته الشّابة الإنكليزيّة الجميلة المتخصّصة وفق ما اعتقد، في الرّقن على الآلة الكاتبة. أغرقته الحرب في حلم يقظة. حسّاس جدّا إزاء الأحداث الحربيّة بل إنّه وعلى ما يبدو غير واع بوضعيّته في الجيش. يقضي وقته متسائلا: أيّها؟، هل طلقّ زوجته ليتزوّج بالإنكليزيّة؟ أم عليه أن يعود لزوجته الأولى؟ يقضي أغلب أيّامه يلتهم الحلويّات، مشوّشا الذّهن بشعره الأمهق، الباهت البياض مثبتا في الفراغ عينيّه الكبيرتين الحمراوين الشّبهتين بعيني أرنب، وعند المساء يجلس على البيانو يعزف مقطوعات فالز رافسا بأصابعه ملامس الآلة، لا شيء إلّا لرفع معنويّاته. كنّا نعتبره مثل شخص منذهل، لكن نرى أن اندهاله مفيد له. يبدو أنّ لديه شعورا خاصّا ومؤثرا لمنافعه. يتنقل بين شخص وآخر مردّدا: أيّها سوف أختار؟ خذ اقرأ هذه الرّسالة كانت كلّ القيادة العليا على علم بوضعه. ينصحه الحكماء منّا باستعادة زوجته الأولى، أمّا الآخرون فيشجّعونه على الزّواج بالشّابة الإنكليزيّة. كان على اتّصال بزوجه الأولى لأنّه من الضّروريّ أن يتمّ إجراءات الطّلاق بشكل رسميّ. كانت ترسل له رسائل تبكي فيها بشكل مترفع، تحثّه على استعجال إنهاء الإجراءات قائلة في رسائلها: إن

شئت اطلب الطلاق وسوف أوافق حبا لك. لكن لا تطلب أن أقوم أنا بالإجراءات
فذلك مخالف لديانتي وضدّ حيتي. وهو ما يزيد من تعقيد الأشياء بالنسبة إليه بما أنه
في الجبهة. غير أنها تجرأت على استعمال وسائل أخرى أشدّ ذكاء، فكانت ترسل له
مرطبات، علب غسل، فطائر محلاة وكان يلتهم كلّ هذا بنهم مرضي، وفي إحدى
المرات أرسلت له ورقة نقدية من فئة خمسين فرنكا. فجأة، جاءني قائلاً: سارتر، هل
تعتقد وأنت الفيلسوف أنه يجب أن أقبل، ألا ترى معي أن كلّ هذا يخفي خدعة ما؟،
أجبتني أنني لا أعرف طبيعة زوجته. (أطلعني على رسائل رفيعة جداً تنضح برائحة
المكر اللثينة) إضافة إلى ذلك، لم يكن من مهامي أن أقرر بالنسبة إليه إن كان يجب أن
يطلق أو يتكيف معها، لكن إن كان قد قرر القطع معها فعليه أن يعيد لها نقودها.
حرك رأسه وقال لي «بأنني على حق»، ومن وقتها لم أسمع بالخمسين فرنكا، وأنا اليوم
على يقين من أنه احتفظ بها لنفسه. مع اقتراب موعد رخصته تضاعف قلقه
واضطرابه: أين سوف يقضي هذه الرخصة؟ كانت الإنكليزية قد أمسكت بمشاعره
نحوها. غير أنه شرح لنا قائلاً: لكتني سوف أجد عند زوجتي أثاثاً جديداً اشتريته
حين افترقنا وغرفاً رائقة متسعة وبيانو. في نهاية المطاف لم أعلم ما الذي قرره لأنني
كنت بباريس. عاد بالأمس وهو كعادته، متصالحاً مع زوجته ناجحاً في حياته مغتن.
يحمل علبة ممتلئة بالكامل بالفطائر، علب العسل، المرّي، التفاح، التين المجفف،
إلخ؛ كان يملك ألف فرنك، هو الذي من عادته أن يكون مفلساً، كانت غايته الأولى
منذ عودته من رخصته أن يتم إرساله في مهمة إلى صافيرن. هناك اشترى ثبانا بـ
140 فرنكا من التفاضلية العسكرية، وجزّات بـ 300 فرنكا. تردّد في شراء سترة
غير أنه قال إنه سيرى ذلك بعد أيام. ما جذبني أكثر من هيئة سذاجته المتصورة
والملائكية هو السخّط الذي عبّر عنه بياتر الطيّب. قال لي بحق وهو يدخل منذ قليل:
«أيّ ديوث هذا! آه! لا! مهما يكن. لو كنت في مكانه وفكرت في الطلاق، ثم
تصالحت مع زوجتي، لذهبت للإقامة مع زوجتي خلال رخصتي، لكتني لن أرفض
أن أقبل منها فلما في البداية على الأقل. سكت قليلاً ثم أضاف بتزاهة: "أو 500
فرنكا إذن.

لا يجب على الإطلاق محاولة تفسير العدم من خلال التناهي، لأن التناهي بمعزل عن كل المفاهيم الأخرى يبدو أسلوباً خارجياً للفرد الاعتباري. عكس ما يبدو عليه أحياناً في الفلسفات المسيحية. من الضروري إذن على العكس، اعتماد الطريقة المعهودة وبتأسيسه على العدم. إن وجوداً ما هو عدمه الذاتي وهو بنفس الفعل منته. إن استغرنا أن الوجود- في ذاته ما أن ينعدم يتقهقر إلى فردانية، منتهية، فالإجابة عن ذلك بسيطة: لا يمكن من حيث المبدأ لوعي متساو الامتداد مع الكلية المتناهية للوجود-في-ذاته أن يوجد. يتكفّف النفي. لأنه بالضبط ليس الوجود-لذاته هو الوجود-في-ذاته، ليس الامتداد، ليس المقاومة، القوة، إلخ. إنها هو فرد. كل نفي جديد يشده إلى الذات، وأخيراً فإنه بإزاء كلية الوجود-في-ذاته يتشكّل الوجود-لذاته كفرد منته؛ من قلب الوجود-في-ذاته ينبثق الوعي حقاً، ومن العبثي ألا نرى من خلاله سوى جزء من الوجود-في-ذاته معدماً. يبقى أن تحويل الوجود-في-ذاته بكلّيته إلى عدم لا يمكن أن يتم إلا على شاكلة هجمة في العالم لوعي مخصوص. وحده الوجود يمكن أن يكون لا متناه أو غير محدّد. فالتّقي بطبيعته منته.

الجمعة 23 فيفري

قال أحد القناصين العائدين من باريس: كان لديّ شعور أنهم هناك يعتبروننا عاطلين عن العمل.

كيف يمكن للتقصان- أو صلة الوعي الأولى بالعالم- أن يفضي إلى رغبات مميّزة؟ لنسجل أولاً أن كلّ رغبة مميّزة هي تخصيص للرغبة في العالم. أو، إن شئنا فإن الشيء المرغوب فيه يظهر عند حدّ العالم المرغوب فيه ويُرْمَز العالم المرغوب فيه. الرغبة في شيء ما، أي الرغبة في العالم في شخص هذا الشيء. والآن ما الذي نرغب فيه من ذلك الشيء؟ نرغب في تملكه. ماهو التملك إذن؟ من الطّريف أن هناك الكثير من المجادلات الاجتماعية كان موضوعها الملكية، ولم نفكر يوماً على الإطلاق لتحليل فعل التملك وموقف الملكية فينومونولوجياً. نلاحظ في البدء أنه من غير الممكن تصوّر التملك إلا باعتباره صلة خارجية لماهيتين. سوف تجد نظرية واقعية للتملك

نفسها أمام نفس الصعوبات التي تعترض نظرية دوغمائية وواقعية للمعرفة: كيف؛ هل هناك علاقة داخلية بين ماهيتين ممثلتين بالوجود في الذات، مثلما هو كذلك في المعرفة، مثلما هو كذلك في الملكية؟ ليس هذا ممكنا من الناحية البديهية. نحلّ المسألة بوضع اللا استقلالية⁽³⁸⁸⁾ [بالألمانية في الأصل] على جانب من العالم؛ أمّا بالنسبة إلىّ فيلسوف أضع لا استقلالية من نوع جديد على جانب الوعي. إذن لا يمكن لماهية ما أن تتملك بماهية أخرى. فلتتملك معنى آخر مختلف تماما عن المعنى الفيزيائي. ما المقصود بامتلاك شيء ما؟ إنني أرى جيّدا أنّه حقّ سلبيّ في مجتمعاتنا الحالية، الحقّ الذي لا يمكن لشخص آخر غيري أن يتملكه. لكن لتزيح هذه النظرة السلبية ونعود إلى ما هو إيجابي. إنني أرى أيضا، أن تملك شيء ما، هو استعماله. ورغم ذلك مازلت غير راض: ها أنا ذا أستعمل طاولة وكؤوسا، ولكن كلّ هذا ليس لي. هل نقول حين يكون لي حقّ التدمير يصبح شيء ما ملكي؟ غير أنّ ذلك سوف يكون عبثا ولن أفكر فيه أبدا. ثمّ بإمكان رجل أعمال أن يملك مصنعا ولا يحقّ له غلقه. لن أقبل أيضا بأنّ الملكية لها وظيفة اجتماعية لأنّ ما هو اجتماعي قد يضيف نوعا من الحقّ، حقّ مقدّس للملكية. ها هنا ما هو قابل ليكون مقدّسا، وهو ما تحت الرّابط الاجتماعيّ، الرّابط الأوّل بالإنسان للشيء الذي يسمّى تملكًا. وبطبيعة الحال؛ كلّ تفسير بالشراء والبيع ليس له إلّا معنى قضائيّ ولا يسوي المسألة أبدا. إن أزحت كلّ هذه التعريفات للملكية باعتبار أنّها ثانوية يظلّ المشكل برمته قائما: ما معنى أن نمتلك؟ ألاحظ إذن أنّه في هذه المسألة كما في بقية المسائل سوف يقودنا السحر. أستنتج أنّه حين نقول عن شخص ما أنّه متملك حين يكون في جسده شياطين. غير أنّي أرى هنا أنّ الشياطين ليست في جسده بل إنّها هو نفسه. يكتملون فيه، في نهاية المطاف إنّها صفة ما للإنسان المتملك على أن يكون هو متملكًا، فهو في داخله كما لو أنّه ينتمي إلى... وأرى أيضا أنّه في أساليب الدفن القديمة يتمّ دفن الأشياء التي يمتلكها الميت معه. والتفسير المنطقيّ كي يتمكّن من استعمالها، وبطبيعة الحال هذه الطّريقة مبتكرة بعد ضربة ما. يبدو أنّه ليس هناك مسألة: يشكّل الموت وأشياؤه كلّ

شيء. لم يعد الأمر متعلقاً على سبيل المثال بدفن الميت دون أشياءه المستعملة أكثر من دفنه دون إحدى ساقيه. بخلاف الوجود المتقطع لكل هذه الأشياء، هناك جهاز عظيم يتم دفنه بالكامل الجثة، القدر التي كان يشرب فيه، السكين التي كان يستعملها، إلخ. كل هذا يشكل ميتاً واحداً. من هنا جاءت عادة حرق الأرامل المالاباراز [نسبة إلى مالابار مدينة في الجنوب الغربي بالهند من عادات سكانها حرق المرأة مع زوجها بعد موته] رغم طابعها المتوحش، فإنها توضح مبدأ التملك. فالمرأة هنا مملوكة. فهي تمثل جزءاً من الميت، وموتها حق، لم يتبق سوى مساعدتها على الموت. أما تلك الأشياء غير القابلة للتكفين فتظل ملازمة للميت. صحيح أن الأشباح التي تسكن البيوت الريفية هي آلهة بيتية مجردة من رتبها. لكن الآلهة البيتية هم أنفسهم من هم، إن لم يكونوا أشباحاً؟ ليس الشبح شيئاً آخر سوى ما تبقى من الشخص الذي كان يملك البيت. أن نقول إن بيتاً ما مسكوناً، فذلك يعني أن المال أو جهد المالك الثاني فيه قد يمحوان هذا الفعل الميتافيزيقي والمطلق للمتملك الأول. هكذا تقدم لنا الخرافات والديانات الملكية كامتداد لوجود المالك الأول. يرتبط الإنسان ميتافيزيقياً بملكيتته من خلال علاقة وجود. من غير المجدي معارضة أن الخرافات ليس لها أساس. بل لها أساسها في الآنية. لو قمنا بمساءلة كل خرافة، كل إيمان بالسحر، كما ينبغي فسنخلص إلى حقيقة حول الآنية لأن الإنسان بطبيعة ماهيته ساحر. لقد قيل كل هذا سابقاً لكن ما يعيننا نحن الذين ميزنا الوجود-في-ذاته عن الوجود-لذاته أن الملكية هي استمرار الوجود-لذاته في الوجود-في-ذاته. أن تملك بشيء ما، يعني أن توجد في هذا الشيء على طريقة الوجود-في-ذاته. (مثال تملك امرأة محبوبة هو أشد تعقيداً لكن سنتركه الآن جانباً، لأنه ليس أولياً) يبقى أن نفسر هذه الصيغة الأخيرة. ليس لها من معنى آخر سوى هذا: إرادة الوجود-لذاته ليست شيئاً آخر سوى الإمساك من الذات-نفسها بوجود-في-ذاته يكون رمزياً للوجود-لذاته نفسه. يأخذنا هذا إلى أصل الرمز، وهو ما سوف أتحدث عنه غداً. لكننا نحن الآن في حضرة الفعل نفسه للتحويل. الملكية تحول. أن تملك شيئاً ما، هو أن تكون في هذا الشيء الوجود-لذاته نفسه كما لو أنك الوجود-في-ذاته. والشيء

التملّك بهذا المعنى هو يعكس في العالم تلاحيقات الوجود-لذاته الذي يملكه. شيء متملّك هو ممثل للوجود-لذاته في الوجود-في-ذاته. وفي نفس الوقت، فالتملك، الشيء المتملّك يمثل بالنسبة للوجود-لذاته العالم بأكمله. هكذا يكون الشيء المتملّك رمز الوجود-في-ذاته للوجود-لذاته، وهو العالم بشكل رمزي بالنسبة إلى الوجود-لذاته. فذاك الذي يبقى في بيته، على سبيل المثال ويعتني بحديقته فحديقته بالنسبة إليه هي العالم. إنّه الحد الأقصى للعالم وفي نفس الوقت هو العالم بأكمله فيه. هكذا، يتّضح أنّ الرّابط البدائيّ للتملّك هو الوجود-لذاته في العالم. لكن يبرز على خلفيّة العالم شيء ممّيز متملّك لحساب العالم. يضمن الآنيّة لأنّها ترى فيه وجودها كاستمراريّة، كوجود-في-ذاته. ما أملكه؛ هو أنا، كمكتّف، كوجود-في-ذاته. ولأنّه من الضروريّ أن أحصل على ما أملكه، يقدم الوجود-في ذاته نفسه هنا كأحد أسباب الوجود-لذاته، بلغة أخرى فكلّ تملك يفكّر باعتبار الوجود-في-ذاته صورة للوجود-لذاته كما لو أنّه سبب الذات⁽³⁸⁹⁾ يبقى أنّي أنا شخصياً ليس عندي إحساس بالملكيّة. وهو ما سوف أحاول تحليله وكتابته غدا.

ما يعكسه هذا الدفتر الحالي من شيء سيّئ (بداية من 20 فيفري) هو حالة الانفعال والقلق التي أعيشها الآن، بسبب شيء يحدث بشكل سيّئ هنا، بباريس⁽³⁹⁰⁾. رغم أنّي بريء. هذا المساء (بعض الوقت في إراقة الخمر) تملّكني نوع من الحماس لفكرة الدّفاع عن قضيّة عادلة. فما أغراني هنا، هو فكرة الحركة. كم من مرّة تمّ القبض عليّ ملتبساً من طرف ناس غامضين عن طيبة خاطر أو عن خمول وبذرت الكثير من بلاغاتي ومن أسبابي وكنت دائماً أقنع الآخرين. أمّا اليوم فالقضيّة صعبة رغم أنّي لست متهماً. ثمّ إنّني متمسك بفاندا كتمسكي ببؤبؤ عينيّ. في هذه الحالة اليائسة، وأنا

389 أعاد سارتر صياغة هذه التحليل حول التملك في الوجود والعدم، الفصل الثاني من الجزء الرابع "أن نعمل أن نملك التملك."

390 يتعلق الأمر باكتشاف فاندا لمغامرة قام بها سارتر: هو ليس متهماً في حقها لأنّ المعامرة سابقة على علاقتها غير إن "حكاية كوليت X" زعمت لبعض الوقت علاقته بفاندا وبالكاستور أيضاً (رسائل للكاستور بتاريخ 23 و29 فيفري).

بعيد، هزمني أصدقاء خادعون، يجب أن أنكلم الذهب في مثل هذه الحالة وليس كما تعودت أن أكون لا مباليا. يثيرني هذا ويسخطني. إنني تقريبا مبتهج لأنني سوف أتولى القيام بهذه الحركة وسوف أقول مثلما قال الامبراطور أثناء حملة فرنسا: أنقذ نابليون؛ يا بوناپرت!

أراني فاندا الآن شبيها بتيس فاحش. يحدث لي نفس أثر الفضيحة حين أراني، أنا في عديد قصص الذين يعرفونه، اقصد جول رومان مثل قذر. ها أنا ذا أمامي، مثلما أمامه هو، نفس هذا الشعور بالخطأ اللامبرر ولكن تم تجاوزه من كل ناحية بالحرية. أصاب بالذعر قليلا رغم أنني أعلم أن مؤاخذي غير عادلة، وأريد أن أغير.

السبت 24

منذ ثلاثة أيام: ذوبان الجليد، الوحل، الثلج المذاب. هذا الطقس الرخو، اللطيف، الرمادي يطوف بك حول القلب. كنت ثملا بالأمس مساء حين كتبت الملاحظتين الأخيرتين. ليس لأنني سكرت طوعا لكن بياتر الذي سوف يغادر في رخصة، دفع ثمن ما احتسناؤه، بعد ذلك مازلت أشعر بالظما وشربت شوبين. باختصار، كنت منفعلا جدا إلى درجة أن الكحول أثرت في كثيرا. كي تعطيني فكرة عني ليس إلا. ها أنا ذا هذا الصباح جاف وكتيب مع شيء في أعماقي أشعر أنه على استعداد للتحرر، ولقد تحرر بالفعل حوالي الساعة الواحدة بعد الزوال.

هناك شيء من الاستمرار والضرورة لدى الجرائد وإشاعات الحرب. لقد كتبت في دفترتي الأول هذا الشعر لحرب 1914: الجيش الألماني متمص من طرف فرنسا. وها قد عثرت على نفس الشعر في حرب 1870. قرأت في يوميات ضابط مرافق (هريسون صفحة 38⁽³⁹¹⁾): لقد سمعنا أناسا بالغني الأهمية، محترمين، أذكاء، يصرحون بأن هزائمنا عند نهر الراين كانت مناسبة بشكل ما، لأنها سوف تجذب إلينا الجيوش البروسية، التي ستكون فرنسا قبرها.

يبدو لي أن سبب هذا الشعر هو تفهقر روسيا، وريتا أيضا الصعوبات التي

391. صدرت بباريس سنة 1885 عن منشورات بول أوليندورف.

لقد حاولت بالأمس توضيح أن شعور التملّك هو بنية جوهرية في الإنسان. وهذا، أيضا، بغض النظر عن أي نظرية سياسية، لأنه من الممكن بعد ذلك أن يكون المرء اشتراكيا أو شيوعيا. لكن إن كان هذا صحيحا كيف يمكن تفسير أنني أنا هذا الذي يكتب هذه السطور، ليس لي شعور الملكية؟ ثم، أليس عندي هذا الشعور؟

أسهل ما يمكن استنتاجه أنني عند الآخرين فاقد للشعور بالملكية. أولئك الناهبون الذين ذكّرتهم في الدفاتر السابقة⁽³⁹²⁾، كان يمكن أن أكون واحدا منهم لو لم يكن في فعل النهب شيء ما خسيس في عمقه وخارج كليا الصفة المقدسة للملكية. لقد أشرت في موضع آخر أنني لا أجد أي حرج في فتح رسالة ليست لي. كم من مرة تصفحت أوراقا حميمة، ثم إخفاؤها بعناية ووقعت بين يدي. ثم، أنني عادة ما كنت أسرق أشياء وأنا صبي. ولسوف أسرق أيضا الآن إن كنت محتاجا. كنت بمحطة الشمال منذ ثلاث سنوات، ولم أكن أملك نقودا لاقتناء رواية بوليسية ولقد سرت إحدى الروايات من كشك دونما أي تبكيت للضمير. لا أتأخر عن اقتراض النقود وحين أعيد- دائما ما أريد ما اقترضه وفي الوقت المحدد- بسبب وعي الغير. ليس بسبب حق في الملكية. لا أريد أن يفكر في الآخرون بأنني مقترض غير شريف. لكن لا يعنيني في شيء لو كنت كذلك. إن علق أحدهم ثمنا على شيء ما، سوف أهتم لذلك. ولكن لأنني أتمثل بقوة الروح الحزينة لصديقي إن وجد ذلك الشيء مكسورا. هنا أيضا أقصد الوعي وليس الملكية.

فيما يخصني. صحيح أنني لم أرغب أبدا في الكثير من المال. كان يلزمني أكثر قليلا مما عندي. وهذا لسبب بسيط فقط، هو أنني أبذر ما أكسبه. لا أعرف كيف أتصرف لتوزيع ما أملك على مدار الشهر. مهما كانت احتياجاتي، مهما كان المبلغ الذي كان متوفرا عندي فإنني ومنذ يوم 20 في الشهر أسرع في الاقتراض. إن كانت هذه الحال قد بدأت تفرني قبل الحرب، فإنها كانت بالأحرى للسبب الذي أجدني فيه مكتئبا

392 تلميح للجنود الفرنسيين الذين نهبوا القرى الألزاسية التي تم تهجير سكانها.

أركض بين كل أصدقائي من أجل الظفر بضمن فطور الغد وليس للاستحالة التي أجدني فيها أن يكون لي مالي الخاص. أن يكون في جيبي قطع نقدية، أوراق نقدية فهذا يبعث في داخلي نوعا من الثقة. يجعلني معتبرا أمام نفسي. لكن وللحقيقة لا تدوم هذه المتعة طويلا، تختفي النقود، ثم يقرفني أن تظل قابعة في جيبي. إني في حاجة أن أبذر أموالي. لا؛ ليس لشراء شيء ما ولكن لتفجير هذه الطاقة المالية، لأتخلص منها بشكل ما وألقي بها بعيدا عني مثلما ألقي قبلة يدوية. هناك شيء من التلف في النقود أحبه: أحب أن أراه ينساب خارج يدي ويتلاشى. لكن لا يجب أن يتم تعويضه بشيء صلب ومريح، حيث لا تزال الاستمرارية أكثر التحاما من النقود. عليها أن تختفي كالعاب نارية لا يمكن الإمساك بها. مثال ذلك؛ في أسية ما، الذهاب إلى بعض المراقص، التبذير بكثافة، التنقل في تاكسي، الخ، الخ، باختصار؛ ألا يبقى هناك مكان للنقود إلا بصفتها ذكرى. وفي بعض الأحيان أقل من ذكرى. عادة؛ حين أقبض جرايتي أكون قد بذرت الثلث. لا أحسب أبدا، على الأقل في الأيام الأولى. لا يجب على النقود أن تكون شيئا ما سوى استمرارية حركاتي أن أبذر كما أنتفس، فالنقود لا تمثل سوى فاعلية حركاتي. ثم ما هي إلا بعض أيام لأجدني مرتعبا لأنه لم يبق لي تقريبا الكثير، وأجدني أحسب بمشقة من جديد. حين كنت صغيرا، اقتني غمي دفترا يسجل فيه بدقة مصاريفه لكل يوم، وكان ينصحني بشدة أن أشتري لي واحدا مثله. لكنني لم أستطع أن أفعل ذلك على الإطلاق. أعجبني غمي في طريقة حساباته، لكن بدا لي من السيئ والحقير أن أنحني للأمر. حينما مررت أثر فضيحة بالطريقة التي أبذر بها نقودي - وهذا حتى عند الناس الأشد كرما. لم يكن غمي بخيلا قط، ورغم ذلك فقد رفع كفيه وهو يراني أتصرف بذلك الشكل المبذر؛ أما بوست الصغير فلقد قال لي مئات المرات في شكل عتاب مضحك: «أنت تدافع عن نفسك بشكل سيئ».

الصادم حقا أنني أبذر مالي في لا شيء، لقد عرفت أناسا مموسين مثل ألبير موريل⁽³⁹³⁾ يحولون أموالهم إلى آلاف الأشياء الصغيرة ذات البريق الخادع،

393 ابن مدام موريل المسماة "تلك المسيدة" والذي قدم له سارتر دروسا خصوصية حين كان في

بوصلات، برامات فخمة، ميكانيكيات صغيرة مبتكرة. وأمثاله يريدون أن يمتلكوا، ويرون التقود مجردة جدًا، يستندون بكلّ قواهم على هذه الأشياء الثافهة، لتهمهم الحماية والإحاطة العائليّة. وثمة آخرون من أمثال بول نيزان، تمنّ يشترّون لأنفسهم هدايا. فهو يغادر بشكل غريب ومستعجل ليقنّني لنفسه زوج حذاء، محيطا الأمر بطابع احتفاليّ مهيب. علاقة بول نيزان مع أشياءه ساحرة، يحسّها بتفكّك وحنان، فهي حيوانات أليفة صغيرة وخدع جميلة للناس. يشعر بعاطفة فيّاضة تجاه مطاريّة اشتراها بشكل قانونيّ كما لو أنّه سرقها. أعرف أيضا كم أنّ التبضّع هو بمثابة مشروع نادر، شاقّ ومقدّس لآخرين من نوع كيللر مثلا. يفكّر في ذلك كثيرا بشكل مسبق، يحلم، يسترشد، يدخل محلات متعدّدة ويخرج دون أن يقنّني أيّ شيء. وإذا حدث أن اقتنى شيئا، فإنّه يتفحصه بكثير من الصرامة، وبشيء من الخشية، كما لو أنّه رفيق طارئ ومجهول، لا نعرف أخطأه وفضائله. كم من مرّة رأيت كيللر يتفحص باستنكار أحجار الولاعة التي اقتناها من محلّ بيع التبغ، مردّدا قبل الشروع في استعمالها: ليست من النوع الجيّد، كتلك الموجودة بباريس. الشراء والتّمكّك بالنسبة إلى هؤلاء لحظات اتّفاق مريب ومشوب بالأخطار يجب إنهاؤها بسرعة مع بعض الأشياء، دون معرفة إلى أين سيفضي ذلك. وحدث ذات مرّة أنّ البيه التي يملكها كيللر تكسّرت فخطّط لشراء واحدة أخرى، وبما أنّنا كنّا في مهمّة بفافنهوفن قرّر شراء واحدة جديدة، وقضى كامل اليوم يهرول بين محلات بيع التبغ بروح مبهمة. انتقلنا معا إلى مدينة هاغينو وقام بالشيء نفسه. وفي نهاية المطاف قام بإصلاحات على البيه القديمة فشدها بأسلاك وهو يقول: عندي واحدة أخرى بيّتي سوف أطلب أن يرسلوها لي. وأعرف جيّدا أنّ هذا التصرف ينمّ عن بخل شديد. لكن في الحقيقة ما معنى البخل؟ ليس فقط الخوف من نقصان المال بعد الشراء. لقد أدركت أنّ كيللر يعاني شكلا من أشكال الدّعر من كلّ ما هو جديد، يهاب التعامل معه، ولا يجد من نفسه الشّجاعة لمجابهة ما يثيره في أعماقها من قلق. وأمّا الأختان كوزا كيفتش⁽³⁹⁴⁾، فتحيطان نفسيهما بعالم دقيق وحيّ، يتذبذب بين السّيريالية الناعمة وكون بسيط من الألعاب. آلاف الساحرات، مجسّمات

الجَنِيَّاتِ صَغِيرَاتٍ، لَأَقْرَامٍ، لِعَفَارِيثٍ تَحِيطُ بِهِمَا وَتَحْمِيهُمَا، وَيُرْشِحُ مِنْ خِلَالِهَا عَالَمُهَا الْحَقِيقِيَّ. تَحَقِّقُ تُولُوزٌ⁽³⁹⁵⁾ ضَرْبًا مِنَ التَّمَاهِي مَعَ أَشْيَائِهَا، فَلَا تَجِدُ حَرَجًا أَنْ تَحَاوِرَهَا، وَتَوَثَّبَهَا، تَعْلَمُهَا أَوْ تَتَعْلَمُ مِنْهَا. لَكِنْ لَا عَالَمَ الْجَنِيَّاتِ الَّذِي تَمْتَلِكُهُ الْأَخْتَانُ كُوزَاكِفَتَشُ، وَلَا هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْقُرُوسِيَّةُ الَّتِي تَتَحَاوَرُ مَعَهَا تُولُوزُ هِيَ مُشْتَرَاةٌ. فَتَمْنَاهَا هَبَةً. وَرَبِّهَا هَذَا هُوَ الشَّكْلُ الْأَكْثَرُ بَدَائِيَّةً وَالْأَشَدُّ قَدَاسَةً لِلْمَلَكِيَّةِ: كُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ هِيَ مَلَكِيَّةٌ مَعْطَاةٌ. فَالْأَخْتَانُ كُوزَاكِفَتَشُ لَيْسَتَا مَبْذَرَتَيْنِ بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ لِلْكَلِمَةِ. فَهِيَ تَجْهَلَانِ بِشَكْلِ كُلِّيٍّ وَجُودِ النِّقُودِ، وَهُوَ مَا لَا يَمْنَعُهُمَا أَنْ تَكُونَا مَالِكَتَيْنِ شَرَسَتَيْنِ.

إِنِّي أَرَى وَلَادَةَ الرَّفَافِيَّةِ فِي كُلِّ طَرَقِ التَّمَلُّكِ هَذِهِ، فَالرَّفَافِيَّةُ لَا تَكْمُنُ إِطْلَاقًا فِي أَعْدَادِ الْأَشْيَاءِ الْمَمْلُوكَةِ، وَأَنْوَاعِهَا، بَلْ فِي عِلَاقَةٍ أَعْمَقَ بِكَثِيرٍ، عِلَاقَةٌ مَكْتُومَةٌ وَيُونِيَوِيَّةٌ بَيْنَ الْمَالِكِ وَالشَّيْءِ الْمَمْلُوكِ: لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْأَكْثَرُ نَدْرَةً مِنْ بَيْنِ الْمَوْجُودَاتِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وُلِدَ عِنْدَ الْمَالِكِ وَقَدْ قَدَّمَ إِلَى هَذَا الْوُجُودِ مِنْ أَجْلِهِ خَصِيصًا. لَيْسَ الْمَالُ هُوَ مَا يُوَفِّرُ الرَّفَافِيَّةَ. وَمِنْ جِهَتِي؛ فَأَنَا عَكْسُ الْمَتَرَفِّهِينَ، لِأَنِّي لَا أَرْغَبُ فِي تَمَلُّكِ أَيِّ شَيْءٍ، لَا أَعْرِفُ مَاذَا سَوْفَ أَفْعَلُ بِهِ. وَمِنْ الْمَوْكَّدِ، أَنَّنِي بِهَذَا التَّصَرُّفِ ابْنُ زَمَنِي، فَالْمَالُ عِنْدِي قُوَّةٌ مَجْرَدَةٌ وَهَارِيَّةٌ، أَسْتَمْتِعُ بِتَلَاشِيهَا فِي الدِّخَانِ الْمُتَصَاعِدِ، وَأُضْطَرُّ أَمَامَ مَا أَحْصَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَشْيَاءٍ. لَمْ يَحْدِثْ أَبَدًا، أَنْ مَلَكَتُ شَيْئًا لِي فِي الْحَيَاةِ الْمَدْنِيَّةِ، لَا أَثَاثًا، لَا كِتَابًا وَلَا تَحْفًا. سَأَكُونُ بَلَا رَيْبٍ شَدِيدِ التَّضَاقِقِ فِي شَقَّةٍ، وَسَتَتَحَوَّلُ فِي وَقْتٍ قِيَاسِيٍّ إِلَى زُرْبَةٍ. خِلَالِ عَقْدٍ مِنَ الزَّمَانِ، لَمْ أَمْلِكْ غَيْرَ الْبَيْتِ، وَهَذَا الْقَلَمِ، ثُمَّ إِنَّنِي كَثِيرًا مَا أَهْمَلُهُمَا، فَارْتَبَاطِي بِهِمَا آتِي، يَشَارِكَانِي الْعَيْشَ فِي مَنْفَى وَفِي أَجْوَاءٍ رَسْمِيَّةٍ مَعْتَمَةٍ، هِيَ أَبْعَدُ مَا تَكُونُ عَمَّا كَانَ يَسْبَحَانِ فِيهِ مِنْ نُورٍ بَارِدٍ، فِي الْوَاجِهَاتِ الْأَنْيَقَةِ لِمَحَلَّاتِ الْبَيْعِ. قَدْ يَدُومُ اسْتِمْتَاعِي بِبَيْتِي جَدِيدٍ، لِيَوْمَيْنِ، لِأَجْدَنِي بَعْدَ ذَلِكَ غَيْرِ مَبَالٍ بِوُجُودِهَا، وَإِنَّهُ لَيَتَابَنِي الْكَثِيرُ مِنَ الضِّيقِ وَالْقَلْقِ إِذَا قَدِّمْتُ لِي هَدِيَّةً، أَيَّا كَانَتْ قِيَمَتُهَا، حَتَّى أَنَّنِي لَا أَحْسَنُ تَقْبَلُهَا، فَأَفْعَلُ ذَلِكَ مَعْتَعِضًا، وَإِنِّي لَأَهْتَرُ أحيانًا أَكْثَرَ مِنَ الْآخَرِينَ لِلْاهْتِمَامِ الَّذِي أَلْقَاهُ (لِلدَّرَجَةِ أَنَّنِي لَمْ أَعُدْ أَتَلَقَّى هَدَايَا. إِذْ

غالباً ما يشعر الناس أنهم أخطؤوا العنوان. بإمكانهم أن يبقوا معي ماشاؤوا، لا يعطونني أي شيء. ولا يلتقطون صوراً لي). لكن، هو الانتباه الفوري، كما يرسم على الوجه الحنون، هو ما يذهلني. أشكر ذلك كثيراً، لأنني أملك وعياً سيئاً. أعرف أنني لا يجب أن أشعر باللفظ الذي يغمري به وجهه، وهو ما أشعر به تجاه شيء ما أيضاً. إنها لمتعة أن تهب شيئاً ما لفائدة، التي لم تتعود أن تشكر أبداً. فلقد تم تسجيل تلك الهبة ضمن الأشياء المعطاة. بالكاد تفكر في الشخص الذي أعطاها، لكن ذلك الشيء المعطى يصبح فجأة شيئاً ثميناً جداً. بالنسبة إليّ لست أرى غير شيء للاستعمال أو للترفيه سوف يؤول كغيره إلى الضياع، أو التلف. ليس عن سوء استعمال أو تلهية بل لغياب ذلك الرباط الحسيّ للملموس الذي يجعل منه كما قلت بالأمس فرعوناً مدفوناً صحبة القدر الذي كان يشرب فيه، والذي هو ملكه. ما عاد أحد يفكر أن يقدم لي هدية بل لن يسعى أحد إن مات لدفن ما أملكه معي. سوف يشتره ورثتي، إن كان لي ورثة، في جميع الجهات، نافرين من الطابع الجليديّ للأشياء، الذي سوف يكون الذكري الوحيدة لتجارهم معي. في وقت ما، أحبيت القمصان، الملابس الحريرية، البدلات الأنيقة - حب بئس جداً، لأنني لم أكن أملك المال الكافي لاقتنائها. لم يكن ذلك من أجل أن أملكها. كان فقط من أجل أن أكون مرتاحاً معي ولكي أعجب بنفسني. ثم، غاب هذا الولع بالملابس بسرعة. لقد تعودت بالقمصان العادية جداً، وألبس بدلاتي لوقت طويل لا أغيرها. ومؤخراً صرت أكتفي ببذلة واحدة على طول السنة، ألبسها في كل مناسبة. وشيئاً فشيئاً بدأت أهمل تأنقي - الذي كنت حريصاً عليه كثيراً من قبل - القمصان الجميلة، ذلك الشخص القصير المتأنق جداً في هندامه، كان هذا في زمن المساعد الكورسيكي. حين يتدخل الترويجي الأشقر الضخم، أحول وجهتي نحو الأسفل، تلك الثياب الرثة التي تحتفظ بشيء من اللياقة. يبقى أنني كنت أريد اقتناء بدلتين جاهزتين خلال سنة واحدة، وهو ما جعلني أحافظ على نظافتي. أفضل أن أجعل لي بذلة واحدة بإحدى دور الملابس الجاهزة؛ من النوع الذي تزول لمعته بسرعة. لعله يمكن تبني مبدأ غامض للملكية هنا وكما لو أنه نداء مثير وغير محسوس للرفاهية.

رغم أنه؛ إن لم أمتلك أي شيء بجهدِي الخاص، إن لم أحترم ممتلكات الآخرين، رغم كل هذا، عندي رابط غير مباشر وقوي مع الملكية: عندي الميل لجعل الآخرين يملكون. عادة ما أعطي شؤونِي الخاصة، أحيانا بشيء من التزكية؛ حين أرى أشياء جميلة في واجهة لعرض البضائع، أحقق فيها بطمع، كما لو أنني أريد أن أخذها لي. لكنّه في الواقع طمع من أجل الغير. أقول لنفسي وأنا أنفّرْسها: ما أجملها لو كنت فقط أملك بعض المال، لو هبتها لفلانة أولفلان. طبعاً؛ يتعلّق الأمر هنا بميل امبريالي للتأثير على الغير، لإريك وعي الناس، لحثّهم، بشكل أو بآخر أن يتذكروني، لأنسلل خفية في دواخلهم مثل شظية. يأخذني هذا لتصور علاقاتي مع الناس ولسوف أفعل ذلك قريباً لأنّه - في هذه الفترة بالخصوص - جرح حيّ⁽³⁹⁶⁾. لكن ها هنا شيء آخر أعمق: بداخلي ندم عظيم أنني لم أعرف كيف أملك، وأنني وأنا أعطي، وأنا أحلم أن أعطي، أفوّض الآخرين على إراداتي، أنا أملك على الطريقة الوحيدة المتاحة لي: بالحصول على الشيء، حين أعطي شيئاً ما لفاندا، حين أراها تحيط هديتي لها بكل أشكال العناية - وليست عناية موجهة لذلك الشيء لأنني أعطيته إيّاها بل لجمالها - شبيهة بقاطع الطرق العنّين في الملاذ [الرواية السادسة للكاتب الأمريكي وليام فولكنر صدرت سنة 1931] يجبر شخصاً آخر ليضاجع امرأته التي يرغب فيها⁽³⁹⁷⁾. أشعر شيئاً ما بتلك البهجة المقطّبة والمنعزلة للتأظر. أتلذذ كثيراً، فمن خلالي أنا أمتلك فاندا ذلك الشيء؛ أنا الذي خلقت علاقة الملكية هذه. أتوقّف على حافة التملّك وأراه من بعيد، أتلذذ بذلك من خلال النظر لأنني أنا الذي ابتكرته. فهي علاقة تربطني بالشيء. وفي المقابل فأنا لا أعرف كيف أتكيّف مع داخل ما غير أنني أحبّ داخل الغير. هناك شقّتان كان لهما سحرهما الخاص، وجاذبيتهما الأسرة، تمثّيت الإقامة فيهما: شقّة مدام موريل، شارع فافين، وشقّة تولوز بمونمارتر. أتلذذ بهما لأنّي أشعر أنّهما متملّكتان، ولكم أعشق جو التملّك هذا، أريد أن أحيّا فيه. أحبّ أن تكون ممتلكات

396 سوف يفعل ذلك يوم 27 فيفري، لكن سوف يرسل رسالة للكاستور بتاريخ 24 فيفري يكتب فيها ما يلي "لا أعرف كيف أحب الناس جيداً".

397 المقصود ب بوباي في رواية فولكنر الصادرة ببارس عن غاليمار سنة 1933

أصدقائي على وجه الخصوص تحت تصرّف بمقدار ما. غير أنّني في الحقيقة أمّل منها بسرعة وما أفصله - أو على الأقل ما لا يجعلني أمّل أبداً - أن أجلس على كراس ليست على ملك أحد - أو هي ملك للجميع، إن شئت - حول طاولات هي ليست على ملك أحد. لهذا السبب أحب الاشتغال في المقاهي، حيث أبلغ شكلاً من أشكال العزلة والتجرد. لكن يلدّي، من وقت لآخر أن أغوص في ذلك الدّف المضيء، الذي ليس لي، أن يصبح ملكي للحظة. فليس هناك من شك أن لا أحد بإمكانه التكيّف أفضل منّي مع شراكة في التملّك، لأنني لن أخسر منه سوى متعة العطاء - بل ويمكنني أن أعطي بالآلاف الطّرق الأخرى.

لتفسير هذا السلوك من خلال التاريخ والتكوين الشخصي، يبدو لي أن هذا الغياب الكليّ لرغبة التملّك عندي مرده بالأساس؛ أنّني من وسط كلّ موظّون. المال الذي يتدفّق كلّ شهر في المنزل، وما يرافق ذلك من رتبة المدّ الحيضي، في حلّ من الارتباط المباشر بطبيعة العمل الذي يوفّره. فجدي مثلاً لم يتلقّ أيّ زيادة في الأجر تعادل المجهود الذي وفّره لتطوير عمله. بل إنّه يحرص على شرفه المهنيّ أولاً وقبل كلّ شيء إلى درجة أنّه يدرّس على الطّريقة الكهنوتية وهو ما يجعله ينسى علاقة هذا العمل بمقابله الماليّ. ولكم يبدو مندهشاً وساذجاً وهو يستلم كلّ شهر الأوراق التّقديّة من البنك مثل الرّجال البدائيّين لجزيرة الكورال [جزر بحر المرجان شمال شرق أستراليا] وهم يقفون مندهشين أمام نسايتهم الحليات يردّون انتفاخ بطونهنّ لكلّ شيء، عدا أنّها من إنجازاتهم الشخصية. بتقادم الأيام صار جديّ بخيلاً، بفعل عتّه شيخوختي، متّقيلاً لزمّن طويل وقد امتلأت جيوبه بقطع ذهبيّة، دونما تقدير منه لكمتيّة الذهب التي يحملها. ولقد تعودت جديّ أن تحتلّس من سترته قطعاً دون أن يثير ذلك انتباهه. ولأنّني صرت جامعياً مثله لم أشعر يوماً بالحاجة لكسب المال. فلقد بدت لي مهنتي ضرورة اجتماعيّة مجانيّة، ممتعة أحياناً، وغالباً ما تكون مضجرة، لكن لا علاقة لها إطلاقاً بالمال الذي أستلمه آخر الشهر. لقد اتّخذ هذا المال عندي دائماً طابع الاعتباريّة. لا أشعر أنّه من حقّي. ولأنّه خفيف عندي، أبذّره في اتّجاه كلّ الرّياح دونما انشغال، وانفا من أن المعجزة سوف تتكرّر آخر الشهر. لست أشعر بلذّة كبيرة

ولا يتتابني هلع شديد بخصوص هذا الأمر. لا يهمني. فهو مثل الهواء الذي أتنفّسه والماء الذي أشربه. هنا، أيضا تنقصني جذور. لا شيء يُجذّر أكثر من وضعية مالية مريرة وصعبة. لم أر أبدا في طفولتي شخصا يجهد نفسه بشدة ويعاني من دعر مهول لكسب فلس واحد: كانت النقود تمطر من السماء مثل غلال طازجة، ولكنها لم تكن تمطر الذهب إلّا قليلا. أتذكر ديلاري المتدرب الذي كان تلميذا في فنّ التمثيل يتابع دروسه عند ديلان، يقول وهو يستغفر تلامذتي-مصعدًا في وتيرة كلامه، مشيحا ببصره عنهم، حمّر الوجه غاضبا تماما، وهو يصيح فيهم: تسخرون من أولئك المتوحشين لأنهم يعتقدون أنهم بطرقهم على الطام-الطام سوف يجعلون المطر ينزل. ولكن ما الذي تفعلونه أنتم؟ تدبّرون المفتاح الكهربائي، وهي حركة ملحة وسحرية تجهلون معناها - وتنتظرون مثل متوحش أن يتدفق الضوء. من منكم فكر في الجهد البشري الذي توجب ذلك لجلب التيار الكهربائي في الأسلاك؟ أي نعم؛ ففيا يخصّ النقود أنا مثل المتوحشين بالضبط. تبدو لي الحركة التي أضع من خلالها الورقة النقدية على الطاولة شعائرية وسحرية، احتفالية، لا أفكر أبدا ما الذي تمثله تلك الورقة النقدية. من المؤكد؛ أنّ كيللر حينما يشترى، يكون مدفوعا بإحساس مقايضة عمله بالشيء الذي يشتريه. أنا لا: أقوم بسلسلة الحركات الضرورية ليولد الشيء. فقط. أنتسب لعائلة لم تملك أبدا أثاثا؛ عندما كان عمري عشرين سنة، ورثت شيئا ما بدّده بسرعة وحسنا فعلت. عدا ذلك الظرف الوحيد الاستثنائي، لا أحد يملك شيئا ما، لا أرض ولا ممتلكات. من الشقة التي استأجرها جدّي، إلى تلك التي استأجرها زوج أمي، إلى غرفة النزّل التي أقمت فيها، إلى ذلك المنزل الريفيّ الأبعد قليلا والممتلك شرعيّا كميراث، إلى شقة مستأجرة مجددا. ورغم أنّ زوج أمي ما فتى يؤاخذني على إقامتي الدائمة بالنزّل، فإنني أذهب وفق المبدأ الأوّل للعائلة: لا ممتلكات، لا أنتظر أيّ ميراث ولن أترك خلفي أيّ إرث، لن أمتلك الغرفة التي أقيم فيها. لقد حدث التحوّل الكبير قبل ولادتي بسنوات طويلة، حين انتقل أجدادي لأبي وكانوا ريفيين ألزاسيين، من الحقول إلى المدينة، عندما اشتغل والد جدّي مدرّسا. وما كان عليّ سوى مضاعفة هذا التوجّه. ولست بوهيميا - ربّما كنت سوف أكون كذلك سنة

1848، غير أنني لا أفعل أي شيء سوى الاقتراب أكثر من هذه البورجوازية الأمريكية الصغيرة، حيث السكن واسطة بين ضفتنا وغرفة النزل. وبهذا المعنى، ولأنني من سلالة فلاحين، حفيد موظفين، فأنا أيضا موظف مشارك بشكل متقدم. أما فيما يخص الملكية فإنني أفهم ذلك، لأن الشراكة المادية لها فاعلية ترسيخ الفردانية عندي، والرغبة في الحرية.

هذا التفسير يظل قاصرا وغير كاف، فهناك الكثير من الموظفين، أبناء موظفين، لديهم الرغبة في أن يكونوا في بيوتهم، الرغبة في التملك. بل إنها القاعدة. هل يحبون على الأقل امتلاك الكتب. ومن المؤكد أنه بإمكانهم تفسير هذا قبل ذلك وينبري كل واحد ليقول، إنه تكون عند شخص عقلاقي موضوعي رباني على معنى موضوعية الأفكار. لأنه ما إن أعرف فكرة لباسكال، تبرز بالنسبة إلي كما تبرز لباسكال أو لجاري، أو بالأحرى لأنها تبدو لي ملكية جماعية، لهذا السبب لا أريد أن أمتلك في مكتبي لباسكال مفتتا. هناك علاقات أخرى للناس بالكتب أكثر حميمية. فسوف تبدو لهم هذه الكتب مسكونة بعد، فيداعبونها، يعتقدون أنها تحتوي على سر لا ينتهي، لابد من أن يمتلكوها في بيوتهم، خشية أن يفلت هذا السر، ورقها، تنضيدها، أسلوبها وأفكارها وهو ما يشكل كلا. لكن بالنسبة إلي كل فكتاب مقروء هو كتاب جثة. ولا بد أن ألقى به بعيدا عني. وإن أردت تذكر بعض الفقرات منه، لن أتأخر عن العودة لقراءته في مكتبة عمومية. حققت في المهافر الحد الأقصى من الشراكة، أنام في النزل، أقسم قضاء أيامي بين مهوى غيوم تال والمكتبة العمومية. أحب المكتبات ولا يعينني إطلاقا ألا يكون الكتاب ملكي، وقد تصفحه آخرون قبلي، وسوف يتصفحه الآلاف من القراء بعدي. بالعكس يترأى لي أن هذه هي طبيعة الكتاب الحقيقية.

لكن لإدراك التفسير الحقيقي لهذا التصرف، فلا بد من العودة رغم كل شيء إلى هذا الوجود-في-العالم، الذي يتجاوز بالنسبة إلي كما هو بالنسبة إلى أي شخص، موقفه التاريخي من العزلة.

لا أرغب في أن أملك على الإطلاق. بسبب كبرياء ميتافيزيقية. أكتفي بي في العزلة

المعظمة للوجود-لذاته. لا أجد أي رفاهية في هذه البدائل الموصوفة لي. لا أجد راحتي إلا في الحرية، مفلتا من الأشياء، مفلتا مني، لا أجد راحتي إلا في العدم، فأنا عدم حقيقيّ ثمل بكبريائي وشفاف. غير أن كل هذا لن يحلّ المسألة الميتافيزيقية. لأنه سواء كنت متكبرا أم لا، فأنا نقصان وينقصني بالضبط عالم. فهل هو إذن ذاك العالم الذي أريد أن أملكه. لكن دونها بديل رمزيّ. هذه هي أيضا قضية كبرياء: لن أقبل أبدا بامتلاك عالم في شخص ذلك الشيء أو ما يشابهه. أنا هذا الفرد في مواجهة شمولية العالم وأريد أن أمتلك هذه الشمولية، تملكنا من نوع خاص، بما هي معرفة. طموحي أن أعرفني بهذا العالم وحدي، ليس في تفاصيله (علوم) ولكن باعتباره شمولية (ميتافيزيقية). وللمعرفة بالنسبة إليّ معنى سحريّ للتملك. أن نعرف، أي أن نمتلك، مثل البدائيّ بالضبط، معرفة الاسم السريّ لشخص ما يعني امتلاكه وتحويله إلى عبد. يتمثل هذا التملك بالأساس في أسر معنى العالم من خلال الكلمات. لكن تكفي الميتافيزيقيا فقط للقيام بهذا، لا بدّ من الفن، لأنّ الجملة التي تأسر لا تكفي إن لم تكن في حدّ ذاتها شيئا، أي إذا تجلّى فيها معنى العالم ليس من خلال عريه تصوّريّ، المفاهيميّ لكن من خلال مادة. لا بدّ من أسر العالم عند مستوى الشيء الأسير الذي هو الجملة الجمالية، شيء ابتكرته أنا من خلال ذاتي وحدها. فوق ذلك فإنّ رغبتني في تملك الأشياء مقنعة ومكبوحة برغبة أكثر تعقيدا يتطلّب وصفها لذاتها وحدها، رغبتني في تملك الغير. ومن المؤكّد أنّ التملك هنا هو من نوع آخر مختلف تماما، لكن يبدو لي بشكل جازم أنّه لا يمكننا أن نحصل على الرغبتين معا، رغبة تملك الأشياء ورغبة تملك الناس. هكذا يظهر العالم بالنسبة إليّ خلافا للكثيرين أكثر عريا وأشدّ تماثلا. فليس له فجوات الظلال الدافئة هذه والملاجئ اللطيفة التي هي الأشياء المتملّكة. بمعنى أنّني متروك أكثر في مواجهته وأشدّ عزلة. وفي معنى آخر أنّني منافس بكبرياء. هكذا يتضح أنّ الميتافيزيقيا هي رغبة في التملك.

الأحد 25 فيضري

العبارة الشهيرة للدالاديه ولا أرينت [وحدة قياس فلاحى فرنسية قديمة بين 3500 متر مربع و5000 مبر نربع هناك من يترجمها بفدان] واحد التي عرفت وقتها

شهرة واسعة. في 1939⁽³⁹⁸⁾، تذكّر في غضب بتصريح آخر ليس أقل شهرة لجول فافر في منشور 1870: ولا بوصة واحدة من أراضينا، ولا حجرة واحدة من حصوننا.

دوّنت الثروة المباحة لهانتريغر. التي صار من خلالها لطيفا. بالأمس قال وهو يخفض عينيه لأحدهم، حين نصحه أن يقوم بمغازلات: «أوه، لا يا صاحبي، لم يبق لي سوى أن أتزوج لكن يجب أن أقول، تهمني في هذه الحقيقة، أنه ادّعي أن الأموال التي حصل عليها إنّما أعطاه لها رئيسه في الشغل خلال مروره بباريس وهي عبارة على أجرة شهر عمل». أحتمل وقوع ذلك، غير أنني لن أصدق ذلك إطلاقا. لماذا قد يعطيه رئيسه في الشغل مبلغا ماليا بهذا القدر فجأة بعد ستّة أشهر من الحرب؟ هل مازال دائما متحفّظا مع نفسه. سوف تتمّ ترقية قريبا إلى رتبة عريف وهو ما قد يجعله يرفض الأشغال الشاقة: الكنس، جلب الحساء. لكنّ كلاين يعامله بقسوة؛ فبالأمس قال له: «إن لم تأت بالحساء فلن تأكل معنا. وأصرّ هانتريغر على موقفه، فعند منتصف قدم لتناول وجبة الغداء في المطبخ وفي الليل تناول مصبرات كوجبة عشاء». لكنّ كلاين عنيد وسوف ينال منه بالجوع. كلاين شخص صلب. لقد فقد زوجته منذ ثلاثة أسابيع ولا شيء يخونه في موقفه. فإمّا أنّه غير معنيّ بأيّ شيء أو هو سيّد نفسه بشكل فظّ. غير أنني أعتقد أنّه لا يعطي قيمة لأيّ شيء.

استملت اليوم قصائد لشاب اسمه ألن بورن⁽³⁹⁹⁾ لقد قرأتها وأعترف أنّي لم أفهم

398 "أقول وأشدّد على ما أقوله إنّنا لن نسلم ولا أرنب واحد من أراضينا، ولا أي حق من حقوقنا" خطبة موجزة أديعت يوم 29 مارس 1939.

399 يتعلق الأمر بكتيّب عنوانه نديات حلم نشرته دار قرنيه دي ليلو 1939 تقديم هنري لامبار ألن بورن (1915-1962) حين بلغ الخامس والعشرين من عمره كتب في عدة مجلات شعرية منها يوات كاسكي لصاحبها بيار سيفرس. القصيدة الأولى للكتيّب التي استلمها سارتر عنوانها "قراءة" تبدأ بهذا الشكل:

يجب على القصيدة أن تنبثق من الصمت

بيضاء مثل عروس سريرة وشاحبة

وكلّ واحد يعتقد أنّها غبراء (...).

أَيُّ شَيْءٍ. وقد دفعني الضيق، ومزاجي السيئ هذه الأيام، أن أكتب قصيدة، هذا نصّها:

متحلّل صرير النور تحت الأشجار الميتة
إلى ماء آلاف أنوار الماء التي تخفي أسماؤها
متحلّل الملح الصافي للشتاء، يداي تجففتا.
أنشّف بين المنازل المشتاقة الناعمة الوفيرة للهواء
والسماء حديقة نباتيّة تتنفس النبتة العائدة.
عند شبائك أسواق الخضار الكبرى المقفرة
رأت أشباح مغبرة الصمغ الأسود البطيء ينساب عبر الشوارع
متحللة إير البهجة البيضاء في قلبي،
أشتّم قلبي السمك.
أيها الربيع الجليل الذي يملأ
لا تؤذني
لقد كان قلبي قاسيا جدًا أثناء تعبه
وها قد خارت عزيمته من الربيع.
أيها الربيع الذي يبدأ من قلبي
هل يمكنك أن تحترق مثل شعلة
فتلمس حجرة الصيف الحارقة.
وتجفّف الأعشاب الطرية.
نفس محترق انزلقت تحت الحجرة

والبراعم تشتعل، محترقة بالريح

نفس جليديّ على الثلج

انزلقت، قاسيا وشفافا

وكان العالم من رخام وكنت الريح

لكن هاهو منفي الربيع يعود

أشتغل هذه الأيام صباحا ومساء، في أوتيل دو سولاي، مقهى كبير بارد، يحملني على التفكير دون أن أشعر، في القرن الثامن عشر يسوعي. لكن مؤخراً أصبحت الأوامر أكثر صرامة منذ عودة الجنرال من رخصته، لهذا قام شرطي عسكري بطردي من المقهى. صعدت إلى الطابق الأول لقاعة كبيرة كانت قاعة سينما زمن السلم، وقد هياها جيش الخلاص لتصبح مبيتا للجنود. مازال الجدار الخلفي مغطى بشاشة للعرض والقاعة الطويلة مظلمة جداً، تحتوي على عشرات الطاولات وحشودا من الكراسي وطاولات بينغ بونغ، وطاولات بيلاردو روسي، منفصلة عن بقية الأثاث بأناقة ورعة. أسمطة بمربعات غطت الطاولات وأزهار في أصص. تمتلئ هذه القاعة في ساعات الازدحام بما يقارب خمسين جندياً، يلعبون يقرؤون يكتبون أيضاً في صمت؛ تعبّر تقاسيم وجوههم عن ذلك الخضوع المطلق للذكور وهم يذهبون إلى القُدّاس. عجوز قصيرة القامة بخدي البايك فيخ⁽⁴⁰⁰⁾ بهيئة خشنة، تعرج بمشيتها بين الطاولات. يشيع المكان كما لو أنه نادي إنجليزي، مابين المستن والمكتبة العمومية. تنبعث من جهاز راديو موسيقى خافتة. كنت شبه سعيد أنني في هذا المكان، مبتهجا، إلى حدّ ما، وقد قرّرت أن أدأب على ارتياده، صباحا، مساء، فليس لي من منفي غيره.

أعيد قراءة قصيدي التي كتبتها منذ حين، وأشعر بخجل شديد، ليس فقط لأنها سيئة ولكن لأنها قصيدة، فهي بالنسبة إليّ صورة بذية، أن أكون قد خاطبت الربيع بصيغة المفرد. لقد كانت كرها، غير أنني فعلتها. يبدو لي أنه لجعل كلّ هذه القصيدة معقولة يجب نحو كلّ ما فيها وكتابتها بهذا الشكل:

متحلّل صرير النور تحت الأشجار الميّتة
إلى ماء آلاف أنوار الماء التي تخفي أسماءها
متحلّل الملح الصافي للشتاء، يداي تجففان.
أنشّف بين يدي المشاققة الوفيرة للسماء
متحللة إبر البهجة البيضاء في قلبي.
هذا كل شيء. الباقي لرميه في السلة.

الاثنين 26 فيضري

أعدت قراءة السّتين صفحة الأولى ل دير بارما بسحر عميق. لا شيء يضاهي
الطّبيعي، الجاذبيّة السّاحرة، حيوية التّخيل عند ستاندال. هذا الشّعور بالإعجاب
النّادر أحسسته بامتلاء، ياله من فنّ بديع للرّواية، يالها من وحدة في الحركة.

الثلاثاء 27 فيضري

عاد بول، في مزاج حسن، شديد الابتهاج، وقد دفعني الأمر إلى الاستغراب، فقد
ذهب في اعتقادي أنّه سيعود من رخصته منكسر الخاطر، جزعا. ارتسمت على شفّتيه
ابتسامة، كان يحاول إخفاءها، ولفرط ما بدا عليه الفرح، ذهب بي الظنّ إلى أنّ بول،
قد احتسى قدحا، أو ما شاكلة صبيحة هذا اليوم، في ديتفيللر. أخبرني حين اللحّت،
أنّه قد قرأ كتاب طفولة قائد، وجعل صديقين له يفعّلان الأمر نفسه، وقد استدركا
قائلين لي: ولكنّ صاحبك هذا معاد للسامية. وتوجّب أن أقول؛ نعم؛ فأنا لا أعرفه.

الحياة هنا هي نفسها دائما. دون جاذبيّة، ولا شيء فيها كثيف. نتسكّع. ما يحدث لي
يأتيني من هناك، من باريس ولا أستطيع أن أتحدّث عنه هنا. أحسست منذ الأمس أنّ
الحاضر يتشكّل من حولي مثل جلد. صنعت ثقبين كما يقول ميستلر. وهو ما يعني أنّ
الأشياء اتّخذت لها هيئة؛ ففي داخلي هناك انتظارات صغيرة محدّدة بالسّاعات القادمة،
تحيط بي حياتي هنا كما لو أنّها ضباب كثيف وتمنعني عبثا من أن أمتدّ في اتّجاه الغيابات

الباعثة على الحيرة أو الأيام القادمة المتباعدة. ولدت بداخلي نغمة كثية للحياة، أتخذ حذري من التدخين بشراهة، من الإدمان على القهوة، من جوّ البيت. والمشكل متعلّق أساساً بالمشاعر (شجن، بهجة، لامبالاة) وبدرجات مختلفة من تكثّف الحاضر. يصبح الحاضر في أغلب حالات الأسى رقيقاً وشفافاً جداً إلى درجة أنّ البصر ينفذ عبره. لم يعد هناك سوى حاجز زجاجي يفصلني عن المستقبل ولا يمكن كسره؛ فهو مضاء بنور نظريّ، نور ورشة، بلا ظلّ، نشعر أننا غير مرتاحين فيه كما لو كنّا في قاعة مقفلة.

في كلّ استبداد للمشاعر، ثمة نوع من اللاّ أصالة لا أعرفه. هي محاولة للإفلات من العزلة. لكن وجب فهم المقصود من وراء ذلك. لقد صُدمت هذا الصّباح بهذا التطلّب الكونيّ: إرادة أن تكون محبوباً. ليس بديهياً حين تحبّ أن تكون محبوباً من النظرة الأولى. خاصّة وفق مبادئ علم النّفس المعتمدة الآن. إن قبلنا هذه المبادئ، وإن كان الإنسان وجوداً كاملاً، توجّب عليه أن يرغب في الشّيء الذي يحبه، أن يكون تحت تصرّفه ليلاً ونهاراً، أن يقرأ خضوعه الكلّيّ في نظرته العبدية وفي ابتساماته. لكن ما حاجته للذهاب إلى أبعد من هذا؟ عادة ما تحضر هذه الحال بكثافة حين لا نكتفي بخصوع مثل هذا، ونعرف جيّداً أنّه غير كاف على الإطلاق، فهي لا تزيد سوى مضاعفة فظاظة هذا الطّلب، الذي يذهب أبعد من مجرد الإخضاع المطلق، نحو ما يفلت من الاستعباد ذاته، نحو هذا الوعي الحرّ الذي نريده وهو الحبّ. أفهم جيّداً، أنّه بالنسبة إلى مالك ما، فإنّ حبّ كائن حيّ بما هو ملكيته، يُبسّط أشياء عديدة. رغم أنّي أرى أنّ من يريد السّلطة المطلقة يسخر من الحبّ: يرضى بالخوف. لم يبحث الملوك والديكتاتوريون عن الحبّ أبداً عند أقاربهم إلّا عن طريق السياسة - ولو وجدوا وسيلة أخرى أقلّ اقتصادية لاستعبادهم ما كانوا ليتأخروا عن استعمالها. لكن، بالعكس يمكن أن يؤدّي استعباد كلٍّ للمحبوب إلى قتل الحبّ عند من يحبّ. أن تكون محبوباً، فذلك مدعاة للاطمئنان والحزن أفضل من أن تحبّ. تظهر حقائق هذه المشاعر المشتركة جيّداً أنّ العاشق لا يحلم أبداً بالاستعباد الكلّيّ للمعشوق. لا يحتمل أن يكون موضوع شغف فائض وآلّي. ما يريد أن يكونه هو، رأس الإبرة، توازن غير مثبت بين الشّغف والحرية. هو يريد قبل كلّ شيء أن تتحدّد الحرية بنفسها وتصبح

حبًا وليس فقط عند بداية المغامرة، بل في كل لحظة. ليس ثمة من شيء أضمن عند العاشق مما أسّته الاكتفاء الذاتي للحب عند المحبوب. بالنسبة إليّ؛ لقد قرأت دائما بقرف خفيّ حكاية شراب المحبة هذه عند فاغانار أو بيديه. إن كان تريستان وايسولت مجنونين بشراب محبة ما، فهما لا يعنيان في شيء من العالم؛ فحبهما ليس أكثر من مرض، من تسمّم في الدّم. وأتذكّر أنّي كنت أقرأ ببرودة تامّة الفقرات الكثيرة من هذه الحكاية، وقد فضّلت أن يمنحوني مضاجعة دمية بأبعاد بشرية، لأنني لم أستطع نسيان أصل هذا الحب. فيما يتعلّق بي؛ لو اقترحوا عليّ أن أتعلّق بشغف بأجل امرأة في العالم عبر رقية سحرية. لا شيء عندي أضمن من حرية من أحبّ. سوف يقولون؛ نوع غريب من التسلّط. نعم، ذلك أنّ هذه الحرية ثمينة جدًا عندي بشرط أن لا يتمّ احترامها كليًا. وهو ما لا يعني إلغائها، بل اغتصابها. لكن هل تظّل الحرية حرية إن تمّ اغتصابها؟ وهل تبقى امرأة مفتونة حرّة؟ هذا هو كلّ السؤال. لكن يترأى لي في الحقيقة أنّ في الحب معرفة يقينية وشبه ميتافيزيقية للجواب: لا يمكن للحرية أن تتوقّف عن أن تكون حرّة. أعرف أنّ العبودية مكمل غير ملغيّ تماما في الحب، ويُرّمز لها بالسلاسل والقساوت وكلّ هذا العتاد. غير أنّي لا أصدّق كثيرا أولئك النّاس الذين يشتكون من أنّهم أسرى. لكن قد يقولون، لا بدّ من الاختيار: إن كان على الحرية أن تبقى من حيث جوهرها حرّة، إن لم يكن هناك ما يُقيدها، كيف تريد أن يتمّ اغتصابها؟ ها هنا تناقض، كيف نريد أن نقيّد ما نريد أن يبقى حرّا؟ ورغم ذلك هاهو دون شكّ ما يعني الرّغبة في أن يكون المرء محبوبا: إصابة الغير في حرّيته المطلقة. ها هو هنا مثلا جذر السّادية حيث المثالية هي جعل الغير يشنّ. يبالغ السّاديّ في التعذيب إلى درجة أن تصرّخ الصّحية طلبا للرّاحة، ويتلذّد بتحويل هذا الصّراخ لحساب حرية التّوسّل؛ بإمكانه أن لا يصرخ. بإمكانه أن يختار الهلاك تحت وقع السّياط دون أن يمتنع عن الكلام. ثمّ ألا نرى أنّ السّاديّ غالبا ما يقترح خيارا ما في المسبق: فإما أن تستسلم عن طيبة خاطر لشيء ما تنفر منه-تستنكره-أو أنّك سوف تتعذّب في جلدك. يتمّ اقتراح الخيار هنا لاستدعاء دوخة الحرية وللمحافظة على الجدل كاملا على أرضية الاكتفاء الذاتي. الصّحية المروّضة التي تستسلم، اليهودي

الذي يوسعونه ضرباً وهو يصرخ فليسقط اليهود، ولن يجعل كل هذا من الأمر أقل من خيار واقعي. لحظة هزة الجماع بالنسبة إلى السادي هي لحظة ملتبسة حيث يطلق الإكراه الحرية، حيث تستعيد الحرية لحسابها الإكراه الذي تعاقبه السادية. ويعلم السادي دائماً أن هناك لحظة ما سوف يتم فيها تحديد الخيار وليس عليه سوى أن ينتظر بالضغطة من لحظة لأخرى على إكراهه، ورغم ذلك سوف تظل الضحية حرة حتى عندما تستسلم. بإمكان هذا اليقين من أننا لا ندمر الحرية أن يُحبط السادي - أو بالأحرى سوف تُحبط أي شخص آخر غيره - لكن السادي بطبعه هكذا بشيره هذا التناقض، هي هذه الاستحالة ذاتها، هذا التحالف بين الكلمات الذي يؤكد: حرية عبدة، هذا ما يجذبه. هناك دائماً فراغ جوهر في قلب الإثم ومتعة الشخص الأثيم مريرة. لن أقول إن الحب يصبح سادية، لكن السادية تستمد وجودها من مبيع الحب. من يريد أن يكون محبوباً لا يمارس إكراها على الخيار الحر. لكن الحركات والكلمات التي تدهشه أكثر هي تلك التي تفلت، من المحبوب. أي أن أولئك الذين يُظهرون إرادة التكتّم، التحفظ، الرّفص، غالباً ما يكونون مهزومين بحرّية جديدة، الحرية التي تستسلم، التي تختار القبول، وتقرّر الاستسلام. هذه الحرية مأسورة من نفسها، تلتفت حول نفسها، كما في الجنون، كما في الحلم، لترغب في أسرها الذاتي. حرية تبتكر نفسها لنفسها دونما حاجة للنظر، للمس، لمداعبة المحبوب، هذا ما نطلبه من أولئك الذين نحبهم. وكما تبقى هذه الحرية؛ حرية، حتى في انحرافها نخشى أن تنتفض وتنفلت، أن تتألك نفسها ولا تأتي تلك اللحظة التالية لتحوّل إلى حرية ضد ما كانت عليه. وبالتالي؛ هي تلك بالضبط طبيعة الحرية ذاتها. كل تفكير في الحب، كل اعتراف حب يأخذ بنا إلى اللحظة، يستعجلنا ضد الحاضر، لأنه تأثير حرية هي حتما حرة في المستقبل. لقد فعلوا صواباً حين ألزموا المستقبل، فالذي يعشق لن يكف من الارتجاف أمام كل ما يقسم به، ذلك أن هناك معرفة خفية بالحرية معطاة في الحب. والدليل على ذلك أننا لا نرضى بحب يكون مجرد وفاء خالص لمجرد القسم بالوفاء الذي انتزعناه من المحبوب. تلك التي سوف نجيبنا وهي تقسم قائلة: إنني أحبك لأنني وهبتك وعدي يوماً ما، ولا أريد أن أخلّ بوعدي، وفائي لنفسي. تأكدوا أنه

بإمكانها أن تلقي بنا عند أول منعطف. نريد أن تعشقنا اليوم كما الأمس، بحرّية تضع حرّيتها منفلة من نفسها. وهو ما لن يمتنعنا أن نطالب في كلّ لحظة قسما متجددا بالحبّ والوفاء. لذلك فإنّ ما نريده من الغير هو هذه الحرّية غير المترعزة والمتجددة دائما، تتجه نحونا وتعتبرنا دافعها الرئيسي. ما نطلبه من المحبوب، أن تكون حرّيته بالنسبة إلينا الحتمية العاطفية.

يبقى أن نفهم لماذا نريد ذلك. ذلك أنّ هذا الشكل من الحبّ الشائع أكثر والأكثر حضورا، الحبّ الذي يطالب بالحرّية-العبدية، الحبّ الذي لا يريد الحرّية للغير إلّا من أجل الرّغبة في اغتصابها، هذا الشكل من الحبّ هو قطعاً لا أصيل. فهناك طرق أخرى للحبّ. غير أنّ هذه الّلا أصالة يمكن أن تصلح هي بنفسها كدليل، ذلك أنّه يمكننا أن نضع بعين الاعتبار أنّ كلّ شكل وجودي للأصالة هو مرغوب فيه لعدم أصالته. نعم إنّ الّلا أصالة تستوجب البحث عن أساس لرفع الّلاعقلانية العبيّة للوقائعية. يبدو لي أنّ الهدف من رغبة المرء في أن يكون محبوباً هو طرح الغير كأساس لوجودنا الذاتيّ. فذلك الذي سوف يحبّنا-بشرط أن نحبه بدورنا- يرفع عنا وقائعتنا. هذا ما أردت شرحه الآن.

علينا أن نفهم أنّ الحبّ لا يبتكر العلاقات مع الغير؛ يظهر على خلفيّة وجود من أجل-الغير، الذي يهاجمنا في وجودنا ذاته. لقد قلت إنّ من طبيعة الوجود-لذاته أن يوجد من أجل الغير أي أنّه يوجد مثل خارج بلا دفاع معكوس على لا منتهى حرّية الغير، هذا في طبيعة الوجود من أجل-ي، أنا في قلب الوجود-لذاته. طريقتي الوحيدة كي لا أكون وجوداً-للغير، هو أن أوجد-من أجل الغير، وبالقدر الذي أنا فيه بنفسني لنفسي لا أوجد-من أجل الغير، الخاصّ بي فأنا لنفسي وجود-من أجل الغير خاصّ بي. بطبيعتي أتعرض للنقد من الغير. فأنا بحدّ ذاتي خطر أمام الحرّية الّلامتناهية للغير. يستحيل عليّ أن لا انشغل بذلك مدّعياً أنّ الغير يمتلك تمثلاً عني لن يصيني. ليس هذا صحيحاً على الإطلاق: فأنا بالفعل ملتزم في الغير من خلال وجودي ذاته، ملتزم في حرّيته التي لا أستطيع بحكم المبدأ أن لا أنصّر قطعاً فيها. يهدف هذا إلى تقديم الصّلات المألوفة بين حالات الوعي، المرتكزة على قاعدة أنّ

حالات الوعي توجد في صيغة الجمع في توحد من أجل-الغير. تستوجب اللا أصالة هنا حجب الوحدة الوجودية لمن أجل-الغير من خلال ادعاء أن الغير يصنع له صورة عني. لكنّ الفهم ما قبل أنطولوجي المعطى في الهجمة ذاتها للوجود-لذاته في العالم، تجعل من هذه المحاولات لحجب الحقيقة عديمة التأثير، إلا إن كانت على الأقل من خلال ضربات متتالية، وقتها سوف يحدث انكشاف. الخجل وجه من وجوه هذا الانكشاف. إرادتنا في أن نكون محبوين من الغير، هي إرادة استعادة وجوده من أجل-الغير من خلال التصرف بشكل يجعل من حرية الغير تأسر نفسها بنفسها في مواجهة العري الذي نحن فيه دون دفاع بالنسبة إليها. على أنه يجب تجنب الخلط بين إرادة أن تكون محبوبا وإرادة أن تكون محل تقدير، مثلا. في حالة؛ إرادة أن يكون المرء محل تقدير، فإنه يقترح نفسه على الغير باعتباره موجه ما يحمل نحوه الغير بفضل مبادئه الخاصة أحكاما محدّدة. لكنّ ذلك الغير يظلّ حتما حراً، بإمكانه مثلا أن يستخدم سوء النية. وهو عكس ما يحدث في حالة الحب، فنحن ننتظر من الغير أن يُهتّن هو نفسه بحرّيته الخاصة، يضع حرّيته لنفي حرّيته في مواجهتنا. عند هذا المستوى فقط نكفّ عن تعريض حرّيته للنقد. إن تقيّدت الحرّية في مواجهتنا نكفّ نحن على أن نكون دون دفاع قدامها، ويتوقف على قدر الممكن الخارج الذي هو نحن في مواجهتها على أن يكون خارجا. مع من هم نحن بالنسبة إليها نقيم صلات تشبه صلات الوجود لذاته مع نفسه. عوض أن يتزعه الوجود-لذاته من أجل-الغير، فهو على ما يبدو استمراريته الطبيعية. نظلّ في أمان طالما نحن في قلب حرّية من نحبّ وعلى طول الوقت الذي نحن محبوين فيه. ولذلك؛ فأن نجعل من شخص ما يحبّنا، لا يعني ذلك محاولة أن نعطيه صورة فخورة عن نفسه، إنّما هو أن توجد بأمان في قلب الحرّية.

لكن ليس هذا كلّ شيء: لقد بيّنت في ذلك اليوم أن كلّ رغبة هي رغبة تملك. وكلّ تملك هو تملك للعالم من خلال شيء ما مخصوص. فالرغبة هي ما يجعل الشيء المرغوب فيه يظهر لنا دائما باعتباره الشرط الذي لا غنى عنه [بالانجليزية في الأصل] الذي يجعل من وجودنا-في-هذا-العالم ممكنا. لقد انتبهنا لذلك منذ خمس أو ست

سنوات حين اتَّخذت قرار التَّوقُّف عن التَّدخين. ما منعني إلى حدِّ الآن من تنفيذ القرار، ليس اعتبار آلاف الحرمانات الصَّغيرة الأخرى المخصَّصة والتي سوف تعذبني خلال اليوم. لكن يترأى لي أنَّ عالما بلا تبغ سوف يكون فاقدا للألوان وميتا نهائيا، لن أحصل أبدا على تلك المتعة الَّتِي عثرت عليها في السَّيناء، إذا لم أشاهد فيلها والبيه في فمي، لن أتيمَن شيئا كبيرا من قدح نبيذ، إن لم أسحب نفسا بين جرعتين - ولا أيضا محادثة مع الأصدقاء إن لم تكن البيه في يدي. وحين نرى موضوع المتعة ينفلت، يترأى لنا العالم ينفلت من بين أصابعنا. لهذا السَّبب، ودون شكَّ، إنَّ طريقة التَّخلُّص الذَّاتية تستوجب اختزال الشَّيء في ذاته. لكن انطلاقا من هذا الاختزال لن نمسك بأيِّ شيء. حين أقرَّر اختزال التبغ ليصبح ما لم يكن عليه، ويصبح هوا ما ضمن مسلَّيات أخرى في العالم، سوف أتوقَّف وقتها عن التَّدخين دونها أيِّ صعوبة. وبالتالي فالرَّغبة هي رغبة للعالم والتَّمكُّك يعني انصهار الوجود-في-ذاته مع الوجود-لذاته في توحد مثاليٍّ ل سبب الذَّات. إذن فلئن كان شخص يحبني ويرغب فيَّ ولن أكون فقط آمنا على حرَّيته لكن هذا من أجل-الغير إنَّني أنا بالنَّسبة إلى من يحبني، إنَّه العالم. ها أنا ذا موجود في الواقع (على طريقة من أجل-الغير). مثل الشَّروط الَّذي لا غنى عنه يجعل الوجود-في-عالم الغير ممكنا. وهذا العالم الَّذي هو أنا، هو بالضَّبْط الشَّيء الأوَّل لمتعي، هذه الأشجار، هذه الشَّوارع، هذه السَّماء، هذا البحر (هو المعنى العميق للتَّبَلُّر عند ستاندال: المحبوب مُتَحَوِّل إلى عالم) لأنَّه ليس لنا، هذا الغير وأنا سوى عالم واحد. هكذا يكون الوجود-لذاته عادما ومعدما، الَّذي كان في بنيته الأوَّل رغبة في العالم، يوجد بما هو من أجل-الغير، وبالضَّبْط مثل العالم المرغوب فيه. وهو، أن نقول إنَّ توحد الوجود-لذاته مع العالم يضغط بدرجة، بما أنَّ لها الآن نوع توحد الوجود-لذاته ومن أجل-الغير من أجل نفس الآتيَّة. وهو بالضَّبْط ما نسمِّيه إرادة أن يكون المرء محبوبا: تحقيق توحد الوجود-لذاته على طريقة الوجود-لذاته ومن أجل-الغير، بوجودنا بأمان في قلب حرِّية تأسر نفسها للإمتاع، مثل عالم.

سوف يقولون إنَّني أعبرَ بشكل معقَّد جدَّا عن أشياء بالغة البساطة، وأنَّنا نعلم منذ

القدم، أن العاشق يريد أن يكون محور الوجود بالنسبة إلى محبوبته. لست جاهلا بذلك، ولست هنا بصدد استعراض علم نفس الحب، ومن العبث تماما محاولة فهم السبب الذي يدعو المحبوب إلى أن يضع في رأسه ذات صباح أن يكون كل شيء في العالم من أجل امرأة. ألا أنه يرغب فيها؟ لكن إن أراد أن يراها طيلة اليوم، يضاجعها متى شاء، فهذا ليس ضروريا. ألا أنه يريد أن ترغب فيه كما يرغب هو فيها؟ لكن لماذا يريد ذلك؟ هل هي إرادة القوة؟ التي تتطلب كما أوضحت ذلك ذات يوم تفسيراً وجودياً⁽⁴⁰¹⁾ لقد كان خطأ علم النفس إلى حد الآن، مماثلاً لخطأ فيزيائي يسكب في حوض زئبق أنبوباً ممتلئاً هواء، ليبتن كيف أن الضغط يجعل الزئبق يصعد في الأنبوب. لن يصعد الزئبق إذ لا بد أن يكون الأنبوب فارغاً. وإن لم تكن نحن، نحن بأنفسنا فراغاً وجودياً، لن نفهم أبداً هذه التفاهة المضحكة التي تجعلنا حسب باسكال، قادرين على القيام بأرذأ أنواع الجنون، لإعطاء صور متعجرفة عن الناس.

ها هنا تتخفى اللا أصالة. نحن نرغب أن يحبنا المحبوب لنفعمه بوجودنا. الذي يفقد عندنا كل وقائعته باعتبار المستقبل. نزعم أننا نأتي بأنفسنا وبشكل طوعي لهذا الوجود لإرضاء رغبة وعي حرّ. هذه الشرايين المحبوبة على أيدينا، عن طيبة موجودة. أن نكون جيدين لأننا نمتلك عيوناً، شعراً، جفوناً ونسرف في استعمال كل هذا بلا تعب، بفائض من الكرم، من أجل هذه الرغبة التي لا تتعب للغير. ألم يكن من الأجدر عوض أن نكون محبوبين أن نحترق من هذا التواء اللامرر الذي هو وجودنا المتبخّر في كل الجهات؟ هاهو هذا الوجود نفسه الآن مستعاد ومرغوب فيه بكل تفاصيله الدقيقة من خلال حرية ماثلة لحرّيتنا- حرية نريدها نحن أنفسنا مع حرّيتنا. ها هنا عمق بهجة الحب: أن تشعر بوجود مبرّر. وفي الحقيقة نحن لسنا كذلك قطعاً وإطلاقاً، لقد فقدنا فقط عزلتنا، يمتصنا الشخص الذي نحبّ بداخله، ونحن ندسّ رؤوسنا في قلبه مثل النعامة تدسّ رأسها تحت الحصى. ذلك لأنّ عزلتنا لن توجد إلا إذا قمنا بتصعيد وقائعتنا اللامبرّرة. ليس هناك على الإطلاق حبّ يمكنه أن يبرّر وجودنا. والحقيقة أواخذ هذه اللا أصالة عند الناس الذين يريدون أن يُحبّوا

دون أن يُجْهِوا. وقد كنت للأمانة من هذا الصنف. ما يجذبني عادة في أي حكاية، هو الحاجة للظهور كشيء ضروري على طريقة منجز فتي. مثل مان [طعام أنزل لبني إسرائيل] أنتج نفسه بنفسه لإفهام نفسه. لكن يجب أن أقول إنّ العشق يبرز أكثر في العزلة. لكن سيكون الحديث مطولا بهذا الشأن هنا لأنه يتوجب أن نقول ما هو الحب. لديّ أفكار بيخصوص هذا الموضوع، ولكنه يحتاج مجلّدا⁽⁴⁰²⁾. لاسيّما، أنّ الحب بطبعه، جنسيّ. أريد فقط الآن التناول الحيّ لهذه اللا أصالة الغربية التي نجعلنا تابعين لشخص ما، هل ينشأ الأمر عن كوننا بالضبط كلّ شيء بالنسبة إليه. لا يبدو الأمر هكذا. غير أنّني بورترية في هذا التوصيف الميتافيزيقيّ. سوف أحاول غدا أن أصف نفسي بأكثر بساطة من خلال علاقتي مع الغير. تجب الإشارة أيضا إلى أنّني بصدد استعادة نوع الأصالة التي فقدتها خلال سفرتي إلى باريس بصعوبة. إنّي وحيد مجدّدا. (تلك الفوضوية الأحادية القديمة والعبثية). وحيد من وراء كلّ هؤلاء الذين أتمسك بهم ويمكنهم أن يتمسكوا بي. أعثر على حربي وقدري. إضافة إلى أنّ الأمور لا تجري بشكل جيّد هنا الآن والزمن كما قالت إحدى الصحف الإيطالية يعمل من أجل الألمان. البلدان السكندنافية مرتعبة تركت فنلندا تخنق وحدها وقرّرت هذه البلدان أن تظلّ على حياد. يبدو أنّ إيطاليا تتجه نحو التحالف مع الرايخ⁽⁴⁰³⁾ ونحن مازلنا إلى الآن لا نعرف من أيّ طرف نشد العدو. آفاق مظلمة جدا كافية للتفاتي عن حكايات الشخصية الصغيرة.

اليوم انطلاق التلقيح ضدّ الحمى التيفية بداية من العاشرة والرّبع. ها هي الآن الساعة الثامنة إلّا ربع ولا أشعر بأيّ ارتفاع للحرارة، ألم خفيف أسفل ذراعي. قضيت كامل اليوم بالمبيت. ولقد لمست في ذلك شيئا من الارتياح. استلمت رسالة من ميستر الذي تمّت نقلته إلى المكتب الثالث للقيادة العامة العسكرية فانجانبورغ: بعد عشرة أيّام، وبعض المتطلّبات البيروقراطية، ممّا يجعل من هذه الحرب هنا حربا

402. الفصل الثالث من القسم الثالث من الوجود والعدم بعنوان "العلاقات المحسوسة مع الغير".

403. رغم الحلف الصلب مع ألمانيا في ماي 1939 ترددت إيطاليا لتلك الوقت في الدخول في حرب إلى جانب الرايخ سوف يقرر موسوليني التحالف مع ألمانيا في 18 مارس 1940.

غريبة، مازلت حالما. من المؤسف أنني لم أتمكن من تغذية الدفاتر. ما العمل؟ أنا هنا بالنسبة إليهم الشخص العائد من الجبهة، كم هو مضحك! أي هبة بالقرب من أشخاص يعيشون هنا منذ أكثر من ستة أشهر حياة الثكنات معتنين بصحتهم أكثر مما كانوا عليه في سبتمبر.

الإيقاع المتسارع للدورة الثانية من الرخصة جعل الجنود مرتابين. يتساءلون: هذا هو إذن. إنهم يخشون القصف الكبير في الربيع؟ ويضيفون متهمين: في نهاية المطاف فهذا كله دائما بأجره، وآخرون أكثر تفاؤلا يلاحظون أنه إن انتهت الدورة الثانية في 30 أبريل سوف يجعل من ذلك رخصتين خلال ثمانية أشهر، وهو الضروري، وقد لا تتسرع السلطات العسكرية الترحيلات إلا لتكون منسجمة مع قراراتها الخاصة. يقولون أيضا متفككين: إنهم يفعلون ذلك من أجل رفع المعنويات. وبعضهم يهمس بمكر: هناك خطب ما في الأمر، لأنه ليس من عادتهم أن يفعلوا شيئا دون مقابل. هناك من رفض الخروج في رخصة، لأنهم عادوا منذ أيام قليلة من رخصتهم الأولى، وآخرون يدمدمون بسخرية مريرة شيئا ما: سيلاحظ الناس في الخلف أنهم أصبحوا يروننا دائما.

الأربعاء 28

ليلة سعيدة غير أنها محمومة شيئا ما. فمى مر. علمت أن من بين الذين تلقوا تلقيا بالأمس، وقعا مجتذنان قويا البنية مغمى عليها. أتذكر أنه بالأمس كان بداخلي نغمة مؤذية غير أنني لم أهتم لها البتة. لقد كان يكفي أن أتماهى معها لتكتسحني بالكامل، وكان سوف يغمى عليّ بدوري. أفكر أيضا بشكل من الرضى كم من إغماء، من توتر أعصاب، دوار بحر إلخ. كل هذا متعلق بالقبول. أقول أيضا، كم سوف يكون من الجيد تصنيف الناس بحسب طبيعة رضاهم عن أنفسهم. كيف أن الكاستور ونحن نتمشى مطولا، ترضى بتعبها وتنعم به. بشكل يتحول معه المشي المتعب إلى حالة راقية ومرغوبة، عكسي أنا الذي لا يروني التعب، إلى درجة أن أشعر نهائيا أنني في الجانب الآخر، ذلك لأنني لم أكن راضيا. هناك طريقة للانخراط في

الذات أجهلها، ولهذا مزاياه وعيوبه.

لكن اليوم أريد أن أتابع من وجهة نظر وصفية تاريخية، مسألة تسلطي هذه وصلائي مع الغير⁽⁴⁰⁴⁾.

لقد قلت ذلك وهو ما سوف يمثل مفاجأة، إني كنت صبيًا جميلًا. جميلًا ومدلًا. صبيًا إمعة. كان عندي خطيبات في كل المدن التي أمر بها، والعائلات الحنونة تشرف على هذه الخطوبات (كان وقتها عمري ما بين 6 و7 سنوات). كنت أفضل رفقة البنات على الصبيان. ولم يكن عندي لا أب ولا أخ يربّياني على الخشونة. وكنت أنفاخر مثل ملك صغير في عالم من النساء. منذ ذلك الوقت كنت متظارفا؛ منشغلا بنيل الإعجاب من خلال ابتكارات ذات طابع جمالي بحت، ابتكار ألعاب، تخيلات شاعرية، خطب. إلخ. حين بلغت ستي التاسعة، اشترت لي أمي مهرجا، وما إن حصلت على بعض المال، قمت باعتباري ممثلا جديدا بالتبضع من أجل مسرحي. كان عندي: الشرطي، اليهودي، العجوز، والمهرج نفسه، إلخ، وشخصية أخرى لشذ ما ملأني بإعجاب مدهش، وما كنت أعرف كيف أستخدمها جيدا بي-با-بو، كانت معروضة في كازينو فيشي للبيع، يمكن تغيير فستانها، برأسها المتحرك الذي يمكن التصرف فيه. تبعت هذه الشخصيات بداخلي شيئا من اليأس لأن رؤوسها من ورق مضغوط أو (في حالة بي-با-بو) من السليلويد. كنت سوف أفضل تلك الرؤوس الخشبية الفاخرة والثقيلة للمهرج الليوني. لكن لا يهم: كنت مثل كل الأطفال حساسا نحو كل ما هو رسم منجز، لا بشري، اصطناعي وكل ما هو أساسي في قطعة عروسة مسرح. لقد بقيت على تلك الحالة طويلا قبل أن أفهم أنه من الممكن العثور على كل الميزات في المسرح الحقيقي، إن لم يقع تحويل وجهتنا بواقع غبي. قرأت إذن

404. "لقد شرعت في التفكير والكتابة حول علاقتي مع الناس غير إني وجدت نفسي مصطرا للكذب هنا لأن فاندنا تريد الاطلاع على الدفاتر ووجدتني أجهد نفسي لإعادة ترتيب هذا أقل ما يمكن غير أن الأمر أصبح يثقل عليّ." رسالة للكاستور بتاريخ 29 فيفري. هل إن فاندنا هي السبب الوحيد لهذه الرقابة؟ سوف ننقب إن سارتر يشير في الدفتر السادس إلى تواريخ خروجه في رخصة وعودته منها والتي أخفاها، وفي جميع الحالات لن يتركها تطلع على هذه الدفاتر في نسخها الأصلية.

كتاب أطفال غاية في القدم عنوانه السَّيِّدَةُ الرِّيحُ، والسَّيِّدُ المطر⁽⁴⁰⁵⁾ بدا لي محترماً جداً لأنَّ رائحته عفة وكان ممزقاً وملطّخاً، وقد كانت أمِّي منجذبة إليه خلال أيام صباها. لكم سافر بي هذا الكتاب. إلى الآن أحدث نفسي عنه دائماً وأتمنى أن أعثر عليه. يمتلك أحد أبطاله مسرح عرائس سحريّ، يطرق بعصاه ثلاث ضربات فتتحرك العرائس لوحدها. أتذكّر أيضاً بغموض رسوماته التي كانت تملؤني بنوع من الشّطح الدِّينيّ، وتُظهر جنوداً تشدّ أذرعهم الخشبيّة الصّغيرة المتصلّبة أسلاك حديد غليظة. باختصار كنت أضع تصوّراً مسرحيّتي وأقوم وحدي بأداء عدّة أدوار. في البدء كنت أقوم بذلك في حَمَامٍ شَقْتَنَا (كنت أقيم وقتها مع جدّي وجدّتي في الطّابق السّادس شارع لو غوف الذي يفتح على شارع سوفلو). ثمّ شيئاً فشيئاً؛ تجاسرت، حملت عرائسي إلى لوكسمبورغ مع منديل، كنت أختار لي كرسيّاً في أحد ممّرات الحدائق الإنجليزيّة، أنحني خلف الكرسيّ مغطياً سيقانه بالمنديل، ثمّ أشرع في إبراز العرائس من خلف يديّ الممهوزتين، ما بين ركائز ظهر الكرسيّ. هكذا تحوّل الكرسيّ إلى ركح صغير مقبول جداً. كنت أوّدي الأدوار وأتكلّم بصوت مرتفع، كما لو أنّي أقوم بذلك لنفسي فقط. لكن كنت أعرف جيّداً ما أنتظره ولن يتأخّر أن يحدث، منذ المرة الأولى، في أقلّ من ربع ساعة: سوف يتوقف الأطفال عن ألعابهم، ويجلسون بكلّ هدوء على الكراسيّ المقابلة ويتابعون بانتباه هذا العرض المجاني⁽⁴⁰⁶⁾. ولقد جعلت لي أصدقاء بهذه الوسائل، وبالأخصّ فتاة اسمها نيكول، كانت من نفس عمري تقريباً تميّز بكلف في الوجه. أصبحت من وقتها خطيبيتي لأنني ظفرت بعاطفتها من خلال

405 حكاية لبول موسيه 1879 (طبعة جديدة عن دار غاليمار في سلسلة تيل 1979)

406 ما نسيه سارتر إن البطل الشاب في حكاية السيدة الريح والسيد المطر هو بنفسه مدفوع بسبب هدية عرائس المسرح السحري أن يصبح كاتباً. كما لاحظ ذلك فيليب لوجون في دراسته حول قراءات الكاتب خلال صباه واستعدادتها في كتاباته (قراءات سارتر نصوص جمعها وقدمها بيرجولين في صحافة جامعية بليون سنة 1986).

ابتكاراتي.⁽⁴⁰⁷⁾ منذ ذلك الوقت ارتبط عندي- وربما هو السبب العميق في رغبة الكتابة عندي- الفنّ بالحبّ. واستبدّ بي يقين أن لا سبيل إلى الظفر، بعاطفة البنات الصغيرات إلّا عن طريق مواهبى كممثل أو حكّاء. كنت أمقت أن أميل إلى البنات بسبب وجهي أو جاذبيّتي الجسديّة، كان يجب أن يتمّ إغراؤهنّ بسحر ابتكاراتي، بتمثيليّاتي، بخطاباتي، بقصائدي وأن يعشقنني من أجل ذلك، لا غير. لهذا السبب سحرتني في ذلك الوقت، وبغضّ الطّرف عن كلّ شيء، مسرحيّة مهرجو زاماكوس⁽⁴⁰⁸⁾ ففي هذه المسرحيّة أميرة وقعت في حبّ شخصيّة تجيد التكلّم اسمها جاكاس رغم حديثه، وشعره المستعار، سوف يقولون إنّ هذه هي آمال شخص بشع: أن يجد له حظوة من خلال إجادة الكلام. غير أنّني أصرّ على حقيقة أنّني لم أكن بشعا. كان شعري أشقر جميلا، ولي خدان ممتلئان، ولم يكن حولي بارزا بعد. وبالأحرى فلنقل لم أكن بشعا. كنت سوف أتميّاً لذلك بغريزة واثقة. ولئن أعجبتني مسرحيّة مهرجو زاماكوس فإنّ سيرانو⁽⁴⁰⁹⁾ يحقّقني ويكثّرني. كيف أحبّت روكسان كريستيان الغبيّ، كيف لم تتبه من الوهلة الأولى لسيرانو؟ لقد كان سيرانو يمثّل بالنسبة إليّ النوع الملائم للعاشق. وفي أعماق كلّ هذا، ثمة هناك أكثر من استشعار بشاعتي المستقبلية، كان هناك نوع من تصوّر الهية البشريّة، ولم تفارقني رغم أنّها قد فقدت شكلها الساذج. لقد فسّرت ذلك في الدفتر الثّاني⁽⁴¹⁰⁾. تقوم الهية بالنسبة إليّ على الدّناءة. يأخذ الدّهن في حسابه بؤس الجسد، يسيطر عليه، يلغيه بشكل ما ويظهر من خلال الجسد المغضوب عليه يضيء بشكل أكثر. أحببت حكاية الجميلة والوحش،

407 لم يتم ذكر لا السيدة الريح والمسيد المطرولا نجاحات طفولته في كتابه الكلمات (1964)، حيث لا تثير حديقة اللوكسومبورغ سوى ذكريات الوحدة. وعموما نفس ذكريات الطفولة هي بنرة أشدّ كآبة من هذه المقالة السيرذاتية في هذه الدفاتر.

408. مسرحية شعيرة صلت عن المكتبة المسرحية سنة 1907.

409. سيران ودي برجرانك مسرحية شعيرة لايموند روستان (1887).

410 يلقح سارتر في رسالته للكاستور بتاريخ 6 نوفمبر 1939 إلى "ملاحج لمراهقته" والتي تحدث عنها في الدفتر الثاني (مفقود). ربما هناك بدت تظهر عنده تصورات الهية البشريّة. وفي جميع الحالات لقد تحدث عن ذلك في الدفتر الأول صفحة 123.

لأنّ الوحش يجلب اهتمام الجميلة ويجعلها عطوفة، من خلال شكله كوحش. حتّى أنّي كتبت بعد ذلك حين صار عمري ستّة عشر عاما حكاية حول هذا الموضوع⁽⁴¹¹⁾ لقد عثرت فيها بعد بمعهد المعلمين في انفعال التمتع مثل البرق على نوع من هذا الإحساس البدائيّ. كنت أقرأ كتابا لأندرية بيليسور حول بلزاك⁽⁴¹²⁾، يتمّ فيه استعراض المقابلة الأولى التي جرت بين بلزاك ومدام هانسكا. لم يكن الإثنين قد عرفا بعضهما البعض، وكان لا بدّ أن يلتقيا في إحدى الفسحات متفقين على علامة ما، انتاب مدام هانسكا شيء من الرعب وهي تلمح شخصا بدينا بأناقة صارخة يحمل العلامة المطابقة. تملكها الخوف وقررت لوهلة أن تفرّ من المكان. لكن؛ كما يقول بيليسور، رأت عينيه وبقيت في مكانها. لم يكن الأمر بالنسبة إليّ يتطلّب أكثر من ذلك لأشعر باضطراب شديد لبعض اللحظات. لقد اكتشفت في ذلك الوقت بالفعل بشاعتي وكان ذلك يؤلني. ومما لاشكّ فيه أنّ ما كنت أقرؤه من كتب ذات طابع رومنتيقيّ ساهمت في تطوير هذا الشعور بالهية: تريوله⁽⁴¹³⁾. وكم من أرواح متسامية أخرى في أجساد مغضوب عليها. غير أنّ سموّ الرّوح لم يكن حتما ما يثيرني بل القدرة على تصفيف الآيات الشعرية في شكل خطب رائعة، يمكنها كما بدا لي أن تجعل امرأة مقطوعة القدمين واليدين، أمام الرّواي. من الطّبيعيّ جدّا أن أتخيّل هذه العواطف متطهّرة متعفّفة: يأخذها الرّاوي بين ذراعيه ويداعبها بحنان. وتنتهي الحكاية هنا. ليس فقط أنّي لم أخطّط للمتّع الجسدية التي سوف تنتج عن هذا الإلقاء الشعريّ، بل لم أكن منشغلا بتخيّل بقية المغامرة. ومما لاشكّ فيه أنّ الأهم في كلّ هذا أن يحبّ الإثنين بعضهما بصدق، وأن يشعر الإثنين بالسعادة. غير أنّ هذا المنظور للمسألة يضايقني كثيرا. فما يجذبني قبل كلّ شيء هو مشروع الإغراء. ما أن تقع المرأة في الحبّ، أتخلّى عنها لمصيرها. وهذا ما أخطّطه لأبطال مشاريع الإغراء الجديد. من المؤكّد أنّي استنفدت فكرة القدرة على الإغراء بالكلمات في المحيط الجامعيّ حيث

411. هناك نسخة من هذه الحكاية غير كاملة في كتابات الشباب.

412 بلزاك ومنجزه بيران وشركاؤه باريس 1925.

413 هو المهرج في رواية الملك يستمتع ليفيكتور مونغو.

كنت أقيم. ولقد كانت طريقة للاعتراف بتفوق القيم الذهنية أكثر منه، أن أكون دون يونيو مثقفا، يغري النساء بقدرة فمه الذهبي. ومن المؤكد أنه كان هناك أيضا في أساس كل هذا الجهل الروحاني لما هو جسد، مثل استحالة الإدراك الدقيق لما يمكن أن يكون اضطرابا جسديا. استحالة طبيعية جدا عند طفل الثاني سنوات، لكنها سوف تصبح مرعبة وخيفة حين نعلم أنني سأحافظ عليها إلى حدود نهاية الشباب. ليس لأنني قد أنساها حين أبلغ الخامسة والعشرين ولكنها سوف تبدو لي فضيحة غير منطقية. تجمع حول طفولتي جمهور معجب عن طيبة خاطر يشجع كلماتي. تعاظمت في داخلي ثقتي في نفسي وصرت غير محتمل، بل صرت ماكر أكثر كي لا أظهر ذلك. رغم أنني لم أكن صاحب كبير بعد، كنت أمثل على نفسي كوميديا الكبرياء بفيك-سور-سار أين أقضي عطلتي مع جدتي وجدتي وقد بلغت وقتها العاشرة من عمري، كنا غالبا ما نذهب للتفحص رفقة محاسب قديم، كان التجمع المهني قد قربته من جدتي، وبرفقة زوجة هذا المراقب وامرأة أخرى اسمها على ما أعتقد، مدام لوبرين، وقد كان زوجها مجتدا في ذلك الوقت. مثل هذا التجمع من الأشخاص، كان من عنايته بي أن اعتبرني طفلا نابغة (وكانت هذه قاعدة اللعبة)، نوع المجتمع الذي أظهر فيه تدللي وتظاري: متقاعدون من قدماء الجامعيين، عجائز يعاملونني بحنان ومن حين لآخر تشدني امرأة شابة. هذه المرأة الشابة كانت مدام لوبرين وكنت أرغب فيها أكثر مما يرغب فيها صبي العشر سنوات، أي أنني كنت أرغب أن أمس رقبته وكتفها. وكنت أفتنحج عليها، وذات يوم كنت مأخوذا بغنائتي إلى درجة أنني نسيت عمري، أسررت لها أن إحدى الفتيات قد جعلتني أتألم، ومن وقتها قررت أن أعذب كل النسوة اللواتي يعترضنني انتقاما. لقد كان ذلك بطبيعة الحال ابتكار اللحظة. غير أنني أحسست على الفور بعنف الإهانة التخيلية التي وضعتني فيها تلك الحادثة. لا أستطيع أن أفكر في ذلك الموقف دون أن أكرّ على أسناني وأستخلص منه كم كنت متعقنا. صرحت لي مدام لوبرين بعد ذلك بوقت قليل قائلة: أريد أن أرى هذا الصغير وقد بلغ العشرين من عمره. متأكدة من أن كل النساء سوف تكرن مجنونات به. قبلت بهذه النبوءة دونها أي اعتراض، بحكم أنها بدت لي طبيعية جدا.

لقد كنت ذلك الطفل الملك الصغير الذي. الشيء الوحيد الذي بإمكانه أن أقوله دفاعاً عني أنني كنت أريد بالأساس أن يجتوني مثلما يحدث في الكتب. يبدو لي الحب مغامرة لطيفة، لعبة بقواعدها قريبة جداً في عمقها من أولئك الذين يجيدون المغازلة. يتدخل في كل هذا ما يمكن أن أسميه بالفروسيّة المتكتمة، ولكم تخيلتني منقذا لبعض الفتيات الجميلات. أحيانا يلذ لي أن أتخيلني نكرة، متها على وجه الخطأ، مهملاً من الكلّ ومن تلك التي أحبها، ثم يردون لي الاعتبار بعد عشر سنوات، والحقيقة أنني أتردد حول دور المحبوبة: لكي يكتمل شقائي وانتصاري النهائي دون أي خلط. فلا بدّ من أن تنكرني في البدء. غير أنني كنت أقرأ كل شيء وهو ما جعلني أتصور ببساطة أنّ الحب يتضمّن نوعاً من الحسد التنجيمي. إن كانت هذه المرأة تعشقني بالفعل، فلا يجب أن تضع بأيّ حال من الأحوال براءتي موضع الشكّ. كنت أتحلّص بوضع كلّ أشكال العقبات في طريق حبّي. ما أخشاه في عمق هذه المغامرات المتكرّرة والحساسة، هو استحالة إدراك حبّ سعيد على إثر الإغراء. حين يتمّ اقتحام امرأة لا أعرف ما الذي سوف أفعله بها، وإن كنت رغم ذلك أريد الاستمرار في الحكاية، يجب ابتكار مآزق وعراقيل لتحوّل كل مصالحة إلى إغراء جديد. وللحقيقة لست أرى منذ زمن بعيد -ربما إلى حد اليوم أيضاً- ما هو أشدّ إثارة من لحظة الاعتراف بالحبّ وقد تمّ انتزاعها. وإنني أفكر اليوم أنّ ما كان يشدني منذ طفولتي إلى هذا الاعتراف، هو تلك الحرية المفتونة الملزمة له.

بالنسبة إلى الطفل المدلل الذي كتته، كان الحبّ بثمن بخس، يولد تحت القدمين. لم أكن أجد من بين النساء العجائز من هنّ بشعات، كان الأمر دائماً كذلك. غير أنني حين صرت بلاروشيل وقعت من عليّ، ووجدتني بشعاً مقفراً، حين استنتجت أنّه من الصعب الظفر بحبّ امرأة وأنّ آخرين يستطيعون كسب ذلك أفضل مني. وقعت في كآبة عميقة وعرفت عذابات الحبّ من طرف واحد. ليس فيها يخصّ فتاة بل فيها يتعلّق برفيقين لي بيليتيه وبوتيليه، لم يكن الأمر متعلّقاً على الإطلاق بحنان منعكس بل بإعجاب، وبعاطفة بلا حدود استعملها الشبان القويّان لحسابها. لقد جعلاني أدفع غالباً ثمن أمنيّتي وصرت خادماً. كنت أسرق أمني من أجلها، ولكم أوسعت

ضربا بسببهما، وكانا يخوناني بشكل مخجل. وصرت في الوقت نفسه، ضحية كل صبيان المعهد، من أجل شقاء اللحظة المتعاطف ومن أجل سعادتي الكبرى المستقبلية. أفي ذلك الوقت وُلد بداخلي حلم مجتمع مختار أكون فيه الملك. أظنّ ذلك. إضافة إلى أنّ أصل هذا الحلم مرتبط عندي، بمسرحية شعرية لبول فرلين كنت قرأتها في ذلك الوقت. أعتقد أنّها كانت أوهم التعويض. كنت أتخيل فالنستير صغيرا [الفالنستير اسم اختاره شارل فوريه لمدينته الفاضلة] ممتلئ بشباب في عنفوانهم، جميلين، أنيقين، بذكاء وقاد ويفتيات جميلات جذابات. كنت هناك أحكم بقوة الروح، وبالجادية. من المؤكد أنّ هذا التخيل، ذا التّزعة الاجتماعية، كان مساحة ترتع خلالها أفكاره، شماته، فلقد كان هناك قبالي مجموعة من الشباب، لكنني لم أكن ملكهم. كنت ضحيّتهم، وكانوا كلّهم قد شكّلوا أنفسهم ضديّ. وفي الأثناء لم يكن عندي لا صديق ولا دجاجة [يقصد سارتر حبيبة] في استعمال للعبارة المرعبة التي كانوا يستخدمونها، وقضيت وقتي في اليأس من كلّ شيء. من تلك اللحظة أصبحت قضيتي الأهمّ أن أحبّ وأن أكون محبوبا. أن أكون محبوبا خاصّة. لم أفهم كيف أنّ هذا الإحساس الذي بدا لي في صباي بخس الثمن، أصبح عزيزا وثميناً إلى أبعد حدّ. كنت أحدث نفسي مردداً في كآبة، نبوءة مدام لوبرين: أريد أن أرى هذا الصّغير وقد بلغ العشرين من عمره. متأكّدة من أنّ كلّ النّساء سوف تكنّ مجنونات به، وكنت بالفعل أمل أن تتغيّر الأمور حين أبلغ العشرين من عمري. لكن، في الانتظار، كان الوقت يمضي ويدخلني أكثر فأكثر عمقا الإحساس ببشاعتي. وبدأ حلم الخطاب الثمين يتحدّد في الوقت نفسه ويتعمّق، رغم أنّه لم يعطني أحد الفرصة لإظهار ذلك. سوف يكون فعّالا أن أقدم العالم لامرأة، أقشدر لها المعنى الأشدّ تغليفا للمشاهد واللحظات، أن أقدم لها عملها جاهزا. أن أمتنّ في كل مكان لها ودائما، لفكرتها، لإدراكها، أن أقدم لها الأشياء مهيّأة سلفا، مدرّكة مسبقا، باختصار أن أكون السّاحر المدهش دائما، ذاك الذي يجعل حضوره من الأشجار أكثر من مجرد أشجار، والمنازل منازل أكثر، والعالم يوجد أكثر. غير أنّني كنت عاجزا عن ذلك. أسجّل هذه الرّغبة لأنّها مرّة أخرى تحقيق للتناغم بين الفنّ والحبّ. الكتابة، هي الإمساك بمعنى الأشياء وجعلها أفضل،

وكذلك الإغراء. ثم إنني أرى بدهشة عمق هذا التسلط الموجود هنا. ذلك لأننا في نهاية المطاف إن فكرنا في ذلك، لن يتعلّق الأمر بأقل من الإدراك عوضاً عن امرأة، والتفكير عوضاً عنها، سرقة أفكارها لتبديلها بأفكارنا. ذلك أنّ أفكاري ممتحنة بوعي مبتهج تصبح فنونا في نظري، مكتسبة فقط التواء والمسافة الضروريتين كي أستطيع أن ألتذّبها. في الانتظار؛ لم تظهر بعد المرأة التي سوف أغريها. وهو ما لم يمنني في ذلك الوقت من أن ألتذّب قراراً أن أكون برفقة النساء عوضاً عن ملازمة الرجال. وسوف أعود لهذا. في تلك اللحظة صفعتني زوج أمي بكلمة بقيت ختماً على جبیني: إنه مثلي قال وهو يشير إليّ، وأردف لن يعرف أبداً كيف يتحدث إلى النساء. أعرف جيداً حكاية هذه الكلمة. قيلت بمزاج مرح، خال من القساوة من قبل زوج أمي، الذي كان عليه أن يقدر شيئاً ما هذا الصبيّ العامل الصلب، ودون نبوغ كما يتصوّرنني هو. لكن هناك دائماً في حياة صبيّ ما هذه الكلمات المقدوفة بشكل مرح وهي مثل ولّاعة مدخّن مرح يتفّسح في غابة الايستريل، وتأتي عليها كلّها. لست واثقاً من أنّ هذه الكلمة لم تكن أحد الأسباب الكبرى لكلّ هذه المحادثات التي ضيّعتها بشكل غبيّ، للتلفّظ، فيما بعد بكلام متكلف، لأثبت لنفسي، في الجملة، أنّي أجيد الحديث مع النساء. ويقينا هناك سنوات قد نسيها زوج أمي. إضافة إلى ذلك قال لي بعد مدّة بشكل قاس (كانت توبخا في تفكيره وكانت بلساً لقلبي بما كلّ شيء): «ياه! أنت رجل للنساء وهو يرى من خلال ذلك أنّي رجل قادر على جعل النساء مجنونات». أعجبني أن أفهم: «رجل مغلف بالنساء. لكن من المؤكّد أنّ هاتين الكلمتين كان لهما التأثير البالغ عليّ». لم أنجح في علاقتي مع النساء بلاروشيل. وأوّل ما وصلت إلى باريس لم أنجح أيضاً، وصار جول لافورغ كاتب المفضّل: يفتخر بكبرياء أنّ في قلبه آلاف القصور وغباوة النساء تمنعهنّ من زيارتها. وجدت نفسي عنده. وكنت أقرأ أبياته الشعريّة وأنهمر بكاء. خاصّة في تلك اللّيلة حين ذهبت مع أبويّ لمشاهدة أوبريت عنوانها مدام حيث رأيت ممثلة بشعة جذابة اسمها دافيا تغني إنّها ليست سيّئة على الإطلاق لهذه الدرجة⁽⁴¹⁴⁾ لقد ملكت قلبي هذه الجملة. حال عودتي من

الأوبريت أعدت قراءة قصائد دي لافورغ وانهمرت في النحيب. كان بول نيزان يستسلم لكآبته رغم أن حظوظه كانت أفضل مني. لكن ما تغير بالفعل منذ قدومي إلى باريس أنني عثرت على رفاق وصديق. كانت الصداقة الفعل الرئيسية. شيء ما برز في حياتي خلال ستي السادسة ونيزان وفق أشكال مختلفة لم يتخل عن هذه الصداقة من وقتها. لقد حصلت على ثلاث صداقات حميمة وكل صداقة ماثلة لفترة محدّدة من حياتي: نيزان-غبي-الكاستور (لأن الكاستور كانت صديقتي أيضا ولازالت كذلك) ما تمنحه لي الصداقه شيء آخر أكثر من التعلّق (ولعلّها تبدو كذلك)، عالما موالفا، نضع فيه أنا وصديقي كلّ قيمنا، كلّ أفكارنا، وشهواتنا في شراكة معا. وهذا العالم تمّ تجديده بابتكار غير متوقّف. في الوقت نفسه؛ كلّ واحد منا يسند الآخر ويتّج عن ذلك زوج بقوة معتبرة. لعلّ هذا لا ينطبق كثيرا على علاقتي بغبي إذ لم ننجح في أن نضع عوالم مشتركة. رغم انجذاب كلّ واحد منا نحو الآخر بشكل كبير، وشعور كلّ واحد منا بالتقدير نحو الآخر، لكنّ أشياء عديدة تفصل بيننا. ثمّ إنّ مجموعتنا لم تكن مغلقة: إذ كان هناك ماهو وكانت هناك مدام مريل التي كان غبي يدعوني أن أفضّلها بالخصوص، وانتهى بي الأمر إلى تفضيلها. لكن في حالتي نيزان والكاستور فما بهمّ بالأساس هو هذا الزوج القويّ الذي نمثله. لقد كانوا دائما يقارنونني بنيزان في معهد المعلّمين سارتر ونيزان، وكان التماثل بيننا قويا لدرجة أنّ البعض يختلط عليه الأمر في التفريق بين أسائنا. بعد ذلك بوقت طويل سوف ينادونني أنتوان بلوي⁽⁴¹⁵⁾ واعتقدوا أنّه نيزان أستاذ بالهافر. في السنة الماضية

أسعى لتكون عندي روح

أنحطل مصاريف لأكون غريبا.

إلى أن نغير الناس رأيا فجأة بدون شعور منها

وسوف يقولون لأنفسهم مثلك ذات يوم:

إنها ليست سيئة على الإطلاق إلى هذه الدرجة.

هذا ما يفنيه شيكوريه إحدى شخصيات مدام لهنري كريستيني، كتيب ألبير ويليميتز، الأنسة دافيا هي من ابتكرت الدور، في ديسمبر 1929 بمصرح دونو. كان سارتر وقتها عمره ثمانية عشر سنة.

415 غراسيه باريس 1933.

التقيت برونشيفيغ⁽⁴¹⁶⁾ بمقرّ المجلة الفرنسية الجديدة وقال لي: «أصرُّ على أن أقول لك، إنّه بالرغم من الهجومات التي نشرتها ضديّ، فإنّي أحبّ كتبك كثيرا. لبثت أنظر إليه مبهوتا وهو يغادر المكان دون أن يتيح لي فرصة الردّ. لأنّ الهجومات ضدّ برونشيفيغ كان نيزان هو كاتبها في مؤلّفه، كلاب الحراسة⁽⁴¹⁷⁾. وأيّ كتب كان يحبّها؟» من الصّعب تحديد ذلك. المؤامرة؟ كلاب الحراسة؟ الغثيان؟⁽⁴¹⁸⁾ ما يهتم على كلّ حال، أنّنا نمثّل قوّة معتبرة ومحترمة. وفي الجملة منذ بلوغي سنّ السابعة عشرة عشت ضمن إطار زوج ولا أقصد بذلك زوجا عاطفيّا. أريد أن أقول إنّني كنت ملتزما بشكل من الوجود المشعّ والحارّ قليلا، دون حياة داخلية ودون أسرار، حيث كنت أشعر دائما بضغط حضور آخر عليّ، وكنت أتصلّب لتحملّ هذا الحضور. لقد جعلتني الحياة في إثنين صلبا وشفافا مثل لؤلؤة، لولا ذلك ما كنت لأحتملها. لعلّها أحد الأسباب الكبرى دونها أيّ شكّ لشهرة حياتي، لقد قلت إنّ أقلّ مشاعري، أقلّ أفكارني كانت منذ ولادتها مشاعة. استغربت فأنّدا من أنّني أخطّط لنشر دفاتر على غاية من الحميميّة الخالصة. غير أنّ هذا أصبح بالنسبة إليّ طبيعيا، ولقد عمّكتني وسواس أنّ هذا كلّ ما أتاه أصدقائي. أشعر في كلّ لحظة أنّ أصدقائي يقرؤني حتّى في قلبي، وأنّهم يرون أفكارني تتشكّل، حتّى وهي مجرد فقاعات دبكة وأنّ ما كان بالنسبة إليّ جليّا هو أيضا جليّ بالنسبة إليهم. كنت أحسّ بنظراتهم في عمق داخليّ، وهذا يجبرني أن أنجلي بسرعة، لطرد الغبش الذي بداخلي وما أنّ تنمي فكرة لي بشكل شفاف، تصبح ملكا لهم دفعة واحدة. استقرّ في ذهني منذ ذلك الوقت وضوح لا يقهر، لقد كان قاعة عمليّات، معقمة، بلا ظلال، بلا زوايا مخبّأة، بلا جرائيم، تحت ضوء بارد. ورغم ذلك بما أنّ الحميميّة لا تترك نفسها للتقي كان هناك دائما فيها وراء هذا الإخلاص للروح العموميّ نوع من سوء النية المتعلّق بي، كان أنا نفسي. لا ليس

416 المقصود به الفيلسوف ليو برونشيفيغ.

417 الدفتر الأول صفحة 151 التدوينة 1.

418. المؤامرة لبول نيزان والغثيان نشر الكتابان في نفس السنة 1938 عن دار غاليمار

إلى درجة أن أحتفظ بأسرار لي بل أكثر من ذلك هو فرار بشكل ما من هذا الإخلاص نفسه وأن لا أستسلم له، إن شئت كنت بمعنى ما واقعا، وبمعنى آخر كنت أفر وأنا أرى نفسي واقعا ويانسحابي من هذا الجزء العمومي لنفسي ذاتها لسبب وحيد هو رد الاعتبار إليها. لقد سبق وقلت أن الشكل الجوهرية لكبريائي يتمثل في ألا أكون متضامنا مع نفسي. هل تكونت كما لو أنها دفاع ضد الشفافية الخائفة للصدقة، أو بالعكس هل هي التي سمحت لي أن أتحمّل هذه الحياة العمومية الجليلة؟ لست واثقا من ذلك لكنّ العلاقة بديية. وحده الوعي المغلق يكون دائما فيما وراء ما أنحْتُ لنفسي الاستسلام له، لمدة سنوات طوال، دونها حجاب، في عري كامل أمام أصدقائي. وحدها كبريائي سمحت لي بهذا الإخلاص التام. هذا الإخلاص الذي لم يكن من قبل شاملا إلا في الوقائع المعلن عليها ولكن يترك موقعي تجاه الاخلاص سليا. كل ما أقوله عن نفسي يفصل عني حين أقوله ويصبح مشتركا، كثر موالف، لقد كنّا نحن أكثر من نفسي ذاتها. لكن ماذا كانت إذن نفسي ذاتها؟⁽⁴¹⁹⁾ مجرد نظرة، ليست بالخزينة ولا المبتهجة، نظرة متأملة ومتحفظة فيما أقوله، فيما يأتيني سواء من الذهن أو من القلب. أعيش منفصلا عني مثل ميم. تيس⁽⁴²⁰⁾؛ لم يكن عندي هذا التشوش الحار والحميم مع نفسي ذاتها، الذي يصلح تسلية وحاضنة للكثير من الناس. كل ما أحسه، أسارع في إمساكه بقفازات، أعتبر عنه بكلمات، قبل أن أتركه يبلغ تطوره المكتمل، أجهده شيئا ما وأقدمه طازجا للصديق، ويسعفني برأيه، ويساعدني أن أتمه

419. هل وجدت سيمون دي بوفوار نفسها في هذه "الشفافية" لقد طلبت من سارتر أن يجيبها عن ذلك في آخر رخصة له: "ما المقصود بإحساس في رأسك؟" في اللحظة التي يكتب فيها هذه الأسطر مارال سارتر مصدوما بـ "حكاية" كويلت X، والتي أوشكت أن تدمر حب فاندل له وترج ثقة سيمون دي بوفوار فيه لمرة خلال أيام متقاربة ينفي حبه لهذه الأخيرة: في رسالة مقاطعته لبيانكا ولزيادة حدة الصدمة، أمد إنه لا يحس بشيء تجاه أي واحدة منهما؛ ولقائنا أملا في تخفيف هيجانها، أنه سوف "يمشي على جثة الكاستور" من أجل حبه لها. يبدو إنه يخشى أن "يجن" مرة أخرى: "هل تعلمين إنني في هذه اللحظة في حال غريبة جدا، لم أكن يوما في وضع ممي مثل الآن منذ أن كنت مجنوناً () شكل من اللاتوازن العاطفي والأخلاقي لم أعشه منذ آخر مرة جننت فيها." رسالة إلى الكاستور بتاريخ 29 فيبري.

420 الشخصية التي ابتكرها بول فاليري سنة 1896.

على أفضل وجه. بالكاد تكون قد وُلدت، فإنَّ حركة التَّزوّة أو المزاج، الكرم أو الكبرياء تحصل على بطاقتها، وقد تمَّ تصنيفها ضمن حركات مماثلة بل تشدّها إلى قيمة ما، لقد اتَّفقنا بشكل مشترك أنّه ملوم أو حيد باسم الأخلاق أن نقبل بالإثنين. ثمة شيء ما ينقصني. وما ينقصني لا يمكن شرحه⁽⁴²¹⁾ عشت طويلا دون أن أنتبه له، إنّها طريقة ما للارتياح في الذات، أن أكون في جسدي مع ذاتي. تنمو الأحاسيس بداخل فاندا غامضة، بلا عدد في نوع من اللامبالاة، إلى درجة أنّها يمكن أن تذهب بعيدا دون أن تخشى أن يتم كرها من شعرها، أن توضع تحت الضوء، مهزوزة، قتيلة بقبضة واحدة على الرّقبة، ثم مصففة محنطة أو محشوة بالقش. هذا ما عبرت عنه الكاستور قائلة: أنت لست نفسانيا وهو ما لا يعني أنّي لا أمتلك نفس ردود الفعل النفسانية مثل الآخرين، لكنّها بالعكس سرعان ما تظهر في داخلي مثل نباتات مجفّفة في معشبة. يجب أن أقول إنّ هذه الشّفاية التّامة، تعود إليّ ولا تردّ إلى الأصدقاء، فالأنا هي المحدّد للصّداقة. حتى الكاستور ظلت محافظة دائما على مناطق الظّل أو الرّصانة التي كانت لها ملاذ النفساني حيث تنمو ألف جرثومة عطوفة أو مرّة، بالنسبة إلى غمي ونيزان فهما يحافظان على الاحتياط بدقّة. ورغم ذلك أجّرهما إلى شعاع الضّوء البارد هذا. نتيجة هذه الفيدرالية، حين تمت مع الكاستور، مرفوعة إلى أعلى اكتناها، كانت سعادة مهشّمة وشبيهة بالضّيف، لقد اشتكت الكاستور منها برقة في روايتها. بطلتها فرانسواز⁽⁴²²⁾ الممنوعة من كلّ أشكال الرّغبة، خارج ذاتها، كانت تعيش سعادتها المتبورة. لقد عشت إلى حدّ هذه الحرب بشكل عموميّ. وهذه الدفاتر هي بالأساس طريقة، للاستغراق أكثر في هذه العموميّة، غالبا ما أجهد انطباعاتي. حتّى يسمعي الآخرون: أجهدها في الاتّجاه الصّحيح، وسوف يكون خطأ طازجا وغامضا أفضل من حقيقتهم العمياء. لأنّه ليس لهذه الحقيقة أيّ شيء تاريخي. لا تهتمّ الإنسان الذي أنا عليه في ذلك اليوم، في تلك السّاعة. هي حقيقة ماهية. من خلال

421 نشير إلى أن سارتر قدام يشطبتين من التشطبيات النادرة في دفتره. لقد كتب في الأول: كان هناك شيء ما ميت بداخلي. وذاك الذي مات. الخ.

422. المدعوة

الماهية يمكن لإنسان ما اختبار انطباع ما في ظرف ما. لقد تمّ تعريف الظرف، الطريقة، الانطباع بدقة بالغة. غير أنّ كلّ هذا لم يعد أنا. والحقيقة؛ أنا أعامل مشاعري كما لو أنّها أفكار: فكرة ما؛ ندفع بها إلى أن نحقق أو تصبح أخيرا ماكانت عليه. لكن إن كان لعالم النفس الحقّ في التعامل هكذا تجاه المشاعر، سوف يستغيث الإنسان طالبا الرحمة. فهو يريد أحيانا الحصول على ردود فعل لا يستطيع تسميتها. غير أنّي لست نفسانيا. لأنني أنصّرّف بالضبط كعالم نفس تجاه نفسي ذاتها. ودون أدنى شكّ ساهم أصدقائي في إعطائي هذا الموقف. في الأثناء وأنا أستسلم تماما لهذا كلّ، وأنا اقتحم ما هو إلى درجة إنهاكه، وأنا أشيّد رفقة الكاستور آلات عاكسة لا تتأكل، كنت أحلم بشخص آخر أجمل، متردّد، غامض، بطيء ونزبه في أفكاره ليس لديه لطافة مكتسبة لكنّها لطافة خفية وعفوية، لست أعرف لماذا أرى هذا شبيها بعامل متشرّد في الشرق الأمريكي. لكم أحببت أن أحسّ بتشكّل أفكار مريبة بداخلي ببطء وصبر، لكم أحببت غليان فورات غضب هائلة غامضة، إغناء مواقف حنوّ كبيرة دون سبب. كلّ هذا يستطيع عاملي الأمريكي (يشبه غاري كوبر) أن يقوم به ويحسّه. إنّي أراه جالسا على منحدر للسكك الحديدية، منهكا ومغبرا، يتظر مرور القطار ليقفز داخل عربات الحيوانات دون أن يراه أحد، ولكم أحببت أن أكون، هو. بل ابتكرت رفقة الكاستور شخصية أكثر جاذبيّة (لعيّني)، الجمجمة الصّغيرة، الذي يفكر قليلا، يتكلّم قليلا ويفعل دائما ما يجب. كلّ شيء أتخيّله ينتهي بالتحقّق لي، كما لو أنّها حتمية متفرّدة، وها أنا ذا ألقي بالجمجمة الصّغيرة: وهو الصّغير بوست. لكن سوف أعود لهذا. ما هو مؤكّد، أنّه في قلب الصّداقة غالبا ما تصوّرت الحبّ مناسبة لفقدان الرأس والتصرّف في نهاية المطاف دون معرفة متّي بما أفعله.

لقد سبق وقلت ذلك؛ إنّ القوّة هي الوجه الآخر لهذه الشّفافيّة المرهقة، الصّفاء الأولمبيّ والسّعادة. لقد بدت هذه الأزواج المختلفة التي كنت دائما أحد أعضائها مهتمة للناس التي تحيط بنا بما نمتلكه من قوّة. وقد كانت كذلك بالفعل. خاصّة الزوج الذي شكّله بمعبة الكاستور مؤخرا. لقد كانت علاقتنا صلبة وفاتنة بالنسبة إلى الغير إلى درجة أن لا أحد يمكنه أن يحبّ واحدا [يقصد نفسه وسيمون دي

بوفوار] دون أن تتملك به غيرة متوحشة، تنتهي بأن تتحول إلى جاذبية لا تفهر نحو الآخر، حتى دون أن يراه أو يلتقي به، لمجرد سماع حديث عابر حوله. على أن الصداقة لم تكن بالنسبة إليّ دائما مجرد رتباط عاطفيّ غامض، فحسب، بل محيطا، عالما وقوة.

رغم أنّي، لم أجعل للصداقة. لقد خيّت آمال كلّ أصدقائي، ليس خيانة، نسيانا أو عدم مراعاة لكن من خلال نقصان حرارة عميق، بالنسبة للمراعاة. لقد تعاملت مع كلّ واحد منهم بشكل منفرد، فلم أتحلف عن أيّ موعد مهما كان، ولم أكن لامباليا. لكن كان هناك دائما شيء مستعمل يخذلني رغما عني. عادة ما يؤاخذني غيبي على أنّي أريد البروز بمظهر الشخص الكامل. يدّعي أنّي وأنا خارج من عند مدام موريل أفرك يديّ، وأنا أقول للكاستور هل رأيت أيتها الكاستور الجميلة، لقد كنت شخصا كاملا. يبد أنّ غيبي في صداقتنا هو الأكثر إهمالا، والأكثر تدلّلا، خلال أوقات كثيرة كان الأشدّ لامبالاة. لكن كان يمتلك في غالب الأحيان حرارة تواصلية، حنانا شبيها بحنان النساء، غيرة استثنائية كنت أبعد بكثير عن أن امتلكها. لم أكن أغضب أبدا. رغم أنّه يُخضعني أحيانا لتجارب قاسية جدّا: أصل لبيت مدام موريل لألتقي به - كنّا قد تواعدنا أن نلتقي هناك - ووجدت رسالة على طاولة الصّالون: لقد ذهبنا بالسيارة إلى سان-جرمان، انتظرنا، انتظرت لساعتين، لثلاث ساعات منشغلا بقراءة قصص هزلية من القرن السابع عشر، عثرت عليها في مكتبة الصّالون. ثمّ عادوا قال غيبي: «هذه السيّدة غير محتملة، لقد كانت دائما تقول: سارتر البائس هناك، إنّه ينتظرنا، وكانت تريد العودة. لكنّ الطقس كان جميلا جدّا...»، في الأثناء، كان قطاري في اتجاه الهافر ينطلق الساعة الثامنة، وبقي من الوقت ربع ساعة للتّحادث معها. لم أغضب. أنا لا أغضب أبدا، غير أنّي لم أكن واثقا أنّ اعتدال مزاجي لم يحتملها المسؤولية، لقد اتخذ شكل اللامبالاة وبمعنى ما، ذلك ما حدث بالفعل. لا أنذكر أنّي محوت حركة البهجة على عيّا غيبي حين وصلت بالقطار إلى باريس لملاقاته. لم أكن أنتظر أصلا أن ألتقي به. وإن كان قد تركني لساعتين أنتظره في صالون مدام موريل، فإنّني لم أنصايق، بل قضيت كلّ هذا الوقت أقرأ وأستمع

بوحدتي (لقد سبق أن قلت إنني أحب دواخل الآخرين وخاصة هذه) لقد وجدت
 عزلتي شاعرية. وحين يكشف لي غيبي عن بعض حنانه - أنه حنان خفي دائما
 وجذاب - فسأتضايق لا محالة. فأنا أتضايق ما إن تصبح العلاقات مع رجل غير
 سطحية وحارة. لا أحب أن استسلم ولا أن يستسلم أحدهم لي. ليس لأنه يجب أن
 أكون متكئًا. بالعكس، يحدث لي أن أتحدث عن أدق تفاصيل حياتي حتى لا يخاله
 الآخرون مسارات. غير أنني بالنسبة إلي ليست كذلك: لا أقول شيئًا لست على
 استعداد لقوله لجميع الناس، ما أسميه مساررة يتحدد من حيث الشكل بل من حيث
 المحتوى، من خلال تداع، من خلال إهمال رطب، من خلال رغبة في أن تكون
 مفهوما ومدعوما. أتجمّد، إن ضاق صدر شخص ما مني. من المؤكد أنه كان عندي
 شغف ببيليتيه وبوتيليه وبنيزان. لكن كان ذلك في زمن لم تنضج فيه فكري عن
 الجنس ومن المؤكد أنه كان هناك شيء من الحب الأفلاطوني في عاطفتي. يصدمني
 بشكل حاد جدًا العري الأخلاقي والجسدي لشخص ما. لا يرى غيبي أي حرج في أن
 يقف أمامي عاريا تماما، وكنت أنفر من ذلك إلى أبعد حد ولا أعرف أين أخبئ
 بصري. لقد سبق وكتبت هنا، أنه شكل من اللواط المقنع، ولم تتمالك الكاستور نفسها
 عن الضحك بشدة وهي تقرأ هذه الملاحظة. وأنصوّر أنه ليس كذلك بالفعل. ماهو
 إذن؟ لا أعرف؛ ربّما هو شكل من الفظاظ في فصالة الجسد الذكوري يدعوني أنا
 أيضا إلى الفظاظ، ثم هناك جزء كبير مني فقط ووقع وربما يتحين الفرصة هنا ليتجلى.
 أو لعلّ الحنان عندي ذو خصوصية جنسية، تماما مثل الحميمية، ولا أنصوّر أنني
 يمكن أن أكون حنونًا مع رجل دون أن أشعر باندفاع نحو الجنس لا يعرف كيف
 يُستخدم، يُنيرني ويضايقني كثيرا. لا أريد أن أتحدث عن الرغبة. غير أنني أرى أنّ
 حناني الودّي إزاء مدام موريل يتغذى أيضا من أناقة ملامحها، بشرتها، حركاتها. ثمّة
 هنا ما يشبه قرابة طبيعية. بل إنني غالبا ما لاحظت في الحنان غموضا غريبا يترسخ
 بين وجه الغير ووجهي. حين يُبالغ كثيرا في هذه الظاهرة يصبح له اسم في التحليل
 النفسي؛ لقد رأينا مرضى يحملون القدح إلى أفواههم ويقولون لمن هو جنبهم: انظر
 أنت ذا من يشرب الآن؟ أو في المقابل هناك من يرى من يقربه يتناول جرعة، فيتخيّل

آته هو من يشرب. وبالفعل ذاك ما يحدث لي حين أشارك الآخرين حناني، إنه لعبتي الخاصة في علم الفراسة أن أقرأ وجه الآخر، يترأى لي أن تلك هي هبتي بالضبط. ومأتي هذا دونها شك من أن سحتي الخاصة، كما يحدث في العواطف المشتركة، تدهش الآخر وتبعث على ولادة ابتسامة رقيقة أراها مزدهرة على الشفتين. أشعر أنها ابتسامتي التي تولد أسفل الشفتين. غير أن الحقيقة تكمن هنا، لقد كنت أشعر دائما أنني حنون على مستوى جسد الآخر. ورغم ذلك، فلأني أحسني أكثر، من ملاحي وأخترق بها الوجه الآخر. رغم أن الحنان عندي ليس بمجرد شعور، بل هو موقف بين اثنين، لقد ملكت قلبي هذه الجملة. ومن البديهي أن الآخر متى كان رجلا، أن تكون فظاظة جسده عائقا لا يقهر لاكتمال هذا الموقف بينهما. لذلك فهمت جيدا أكثر من أي شخص آخر، ما تكابده الصبية الصغيرة من عواقب، قبل أن تعرب عن رغبتها في رجل ما بشكل واضح ونهائي، وهو ما سمّيته أنا والكاستور بحسب عبارة لشارل دي بو في تقديم ستي لرواية سيّة لوب ميرليز⁽⁴²³⁾ الأسلوب العذري لكل صبيّة. فجسد الرجل يبدو لي لاذعا أكثر، أشد غنى، وأشدّ شهوانية من أن يكون مرغوبا فيه بسرعة. لا بدّ من تدرّب ما على ذلك. لقد أكّدت لي أولغا ذات بمقهى فيكتور دي روان، أن جاذبية امرأة أو صبي صغير سرعان ما تنكشف، في حين أنه لا بدّ من تعود طويل وانتباه مخصوص لتتكشف جاذبية رجل. لقد كنت دائما أفكر وأنا أتلذذ بتقبيل فم طريّ ورقيق في ذلك الإحساس الفريد الذي قد يحدث في اللفظ والتّن جراء التّبع. سوف يقولون إن المرأة ترغب في الرجل لأنها امرأة، غير أن هذا لا يعني أي شيء بالنسبة إليّ. أفكر عكس ذلك؛ إنه بالنسبة إلى المرأة كما هو الشأن بالنسبة إلى الرجل، المرأة هي موضوع الرّغبة المطلق. ولكي يكون الرجل مرغوبا فيه، يجب أن يتحقّق ترحيل.

لكن ليس هنا مجال معالجة هذا الموضوع. لقد أردت الإشارة فقط، أنني لا أنصوّر

423 صدمة العودة لوب ميرليز صدرت عن دار بلون بياريسنة 1929 في تقديمه لهذه الرواية يقول شارل دي بو ذاكرة المؤلفة بالإسم ويقصدها بعديته: "الكتاب محبوبون على النسيان كثيرا، فلأزال عند البنات إلى اليوم شيء من العنفة".

من جهتي وجود الحنان في علاقتي مع الرجال، رغم أنني قد عقدت صداقات مع من أسميهم رجالا-نساء، نوع نادر جدا، يقطع مع الرجال الآخرين بهيئاتهم الجسدية الجذابة وبجمالهم أحيانا، وبآلاف الحميميات الثرية مما يحمله جموع الرجال. كان بإمكان غيبي، أن يستغرق في أحاديثه، عن شبابه، لساعات طويلة بمزاج خاص، ورغم بشاعتي فأنا شخصيا أبدو رجلا- امرأة من خلال انشغالاتي الأساسية، لكن الرجال الآخرين بالخارج كلهم، ينسون أنفسهم بشكل كلي، إنهم آلات حاسبة. يزعجني هذا النوع من الرجال ويشيرون سخطي، أهرب منهم ولزمن طويل-زمن كنت شابا صغيرا- كنت أفتخر أنني شريك النساء ضدهم. أتذكر أنه منذ ستين، كان هناك في الورشة ممثلة اسمها لوسي الصغيرة، شابة نزقة وكذابة، ممسوسة، بتكلف نسائي فظ، لكنّها في نهاية المطاف امرأة، دعنتي ذات يوم لتناول وجبة الغذاء رفقة صديقها، مصريّ رائع بعينين محتمتين، غيور في غموض، بدالي أنه يجسد النوع الجيد من الذكور، ذلك النوع من الرجال الذي يغمى عليه من الشهوة وهو يداعب نهد امرأة جميلة، ويحميها يد صلبة حين لا تحتاج إلى ذلك، وينهار راکعا على قدميه قدامها بعد بروق رعدية، ويفعمها بانتباهاته الخرقاء دون أن يكون قد فهم شيئا من أسلوب تصرّفها، إنه من النوع الذي يمكن أن يُجنّ قلقا حين تحبه وينعم حين يراها تفكر في شخص آخر، ينحب قدامها أحيانا بدموع ملتبة ويتركها تشده من أرنبة أنفه. من المؤكد أنّها كانت تعشقه، لكلّ هذه الصفات، كانت تشعر أنّها وحيدة جنب هذا الجسد القويّ الذي كانت حرارته الحسية تلجها؛ كانت تعشقه لأنّه كان بمقدورها أن تخونه. لقد حاولت مرادقي ولم أستسلم لها، ومن المعلوم أنّها قد تقبلت في غير رفض، مداعبات كلّ الممثلين في الورشة، من جميع الأعمار، والأجيال، من المراهقين، وحتى الشيوخ. لقد تبادلنا، بعض الإغراءات الساذجة، وكدت أن أقع في شركها، ولم أعرف أي نوع من المتعة الغريبة وجدته في ذلك. ونحن نتناول ذلك الغذاء لم تكفّ طيلة الوقت عن ملاسة قدمي أو ساقتي بساقها. كانت المسألة محسومة عندي، فقد قرّرت أن أوصد دونها أبوابي. أتخيل أنّها كانت تجد متعة مأكرة في خيانة صديقها، أتخيل أنّها بما كانت تأتيه من حركات، لم تكن تريدني لذاتي، وإنّما من أجل صديقها،

تريد استثارته، وإحراجة، فتلک طریقتها في أن تحبه، وقد بدا لي في الأثناء مؤدبا دمث الأخلاق، وهو يحدثني، عن تبريزه في الحقوق. من الواضح أنها كانت دبة جداً بعاطفة كان وجهتها، فلم أكن في اعتبارها أكثر من وسيلة. الممتع في الأمر أنها قد انتبذتني للقيام بهذه المهمة، لاستفغار الرجل الشرقي في محبوباتها، وللسخرية منه، لم يكن الأمر أكثر من لعب مدبر، وهي تعلم جيداً أنني أتعامل مع لعبها في حدود ما. وهي تجذبني إلى هذا اللعب دون حياء، كما لو كنت خصيصاً أو امرأة. هي تعلم بشكل ما أنني في صفها وأتني أنثوي بما يكفي لأشاركها السخرية من هذا الرجل، بما يمنح اللعب أقصى درجات المتعة والإثارة، لقد كانت هذه شرaktي الأخيرة الفالسة في هذا النوع من اللعب.

في الصداقة هناك نوع من الصرامة التي تضايقني وتثقل عليّ. لأنني لا أشعر بالضبط بشيء كبير في داخلي، فهي تتمثل عندي كواجب. لقد حاولت المحافظة على علاقات صداقة مع النساء إذ كانت روابط أخرى تجمعني بهنّ. لكن ما إن أتوقف عن الحب، أنضايق. أعتقد أنني لست في حاجة إلى صديق لأنني بالأساس لست في حاجة إلى أي شخص، لست في حاجة إلى أي مساعدة، ولست في حاجة إلى هذا الإنقاذ الصارم والمستمر الذي قد تمنحه لي الصداقة. لم أرغب إطلاقاً، منذ رحلت إلى الحرب، أن التقى بشخص يضاهيني ذكاء، ويتبّه للأشياء كما انتبه لها. في المقابل، أعرف كيف أستعمل الآخرين بشكل سيئ؛ غالباً ما تقول الكاستور إنني لا أسمع لحكايات الآخرين. وهذا غير عادل غير أنني في نهاية المطاف أسمع بشكل سيئ وعادة ما أتحرك على كرمي في انتظار أن تنتهي الحكاية. هناك أصدقاء فلاسفة أجد صعوبة في أن أندمج معهم، ولا أرغب في الحديث معهم عني، أنضايق بسرعة من الجلوس معهم. تنقصني طبعاً نزعة إنسانية شخصية. أحسّ بالحشود، بالناس التي تمرّ، لكن ليس عندي نحو الأشخاص هذا الودّ الأوّل الذي على أساسه تُقام الصداقات الجيدة. بالعكس فردّ فعلي الأوّل هو الاحتراس والارتياح. إنني أكتب هذا في مبيت للجند، وهناك مائة شخص في القاعة. يدهشونني وهم كتلة، ولا أريد أن أرى كلّ واحد منهم على حدة، فقلة قليلة منهم يمكن أن تصدمني بمواقفها أو

بكلامها. ليس بينهم من أتمنى أن أعرفه. لا أحب الرجال، أقصد الذكور من هذا النوع.

في معهد المعلمين، مع نيزان، اكتشفت الرّفة وكان هذا، بالنسبة إلى طريقة جيّدة لتكوين الرجال. أن أحيا وسط عصابة، هذا ما كان يجذبني فجأة. أعتقد أن هناك متعة مخصوصة أن يشعر المرء أنه منفصل عن الخلفية التي تشكّلها الجماعة، أن يشعر من حوله بنوع من التضامن الذي يمكن الإفلات منه، قبل أن يلتصّ عليك. أعتقد أن ما كان يجذبني بالخصوص هو التّزامن الذي يحسّ به الجميع. من الطّبيعيّ؛ أنّه في الوقت الذي أكتب فيه هذه الأسطر فإنّ جاري الذي بجانبني يتصفّح مجلّة، وهناك شخصان غير بعيد يلعبان الشّطرنج، وهذا أيضا تزامن. لكنّه تزامن مجرد بمعنى ما، مشئت إلى ألف فعل صغير محليّ ومعزول. إنني أفكر فيه ولكن لا أحسّه. في حين؛ أنّه وبسبب التضامن الذي يوحدنا، فكلّ حركة من حركاتي في وحدة مجموعتنا تعطي نفسها كمتزامنة مع حركة أخرى لبقية الرّفاق: هذا يضيف عليها نوعا من الضّرورة. وأنا ببرلين؛ رأيت بهلع كيف أنّ الألمان يتلذّذون بهذا التّزامن. بناو قالت، مستودع شاسع يرتاده آلاف الألمان لاحتساء البيرة، على الرّكح كانت ثمة فرق بافارية مهمتها الوحيدة تثبيت هذه التّزامنية؛ فبينما يلقي أحدهم قبعته في الهواء، يكون الآخر منهمكا في الرّقص وثالث ينفخ في بوق. إلخ. جاذبيّة هذا العرض تتمثّل في خلال التي لا علاقة لها إطلاقا بالتعددية في وحدة جسد الباليه، لأنّه متنوّع فعلا وعلى مستوى الواقع في وحدة مؤثّرة ببساطة. فهو شيء نشعر به بقوة ويمتعتنا. ثمّ أريد أن أكون قائدا منشّطا. وبالتأكيد أريد ذلك كانتقام من الإهانات التي تعرّضت إليها في لاروشيل وأثّرت فيّ كثيرا. فهل كنت بالفعل هذا القائد؟ أيّا كانت ردة الفعل، إعجابا أم نفورا، إزاء ما كنت أجتهد في القيام به، بغاية الإضحاك، فإنّني كنت أميز في الجماهير ضربا من الارتياب، حين يتعلّق الأمر باختيار قائد. لن يرفضوا منّي طبعاً روح المبادرة ولا العناد غير أنّني أظّل مصدرا لعدم ارتياح بالنسبة إليهم لأنّه تنقصني مسؤولية المنصب، فهناك بعض التهريج بداخلي وأنا من النّوع الذي أكثر من التهريج في التّجمّعات الاجتماعيّة، يتعامل معي النّاس بمزيج من التّسلية والخزي، يتحدّون

أنفسهم بأنفسهم، وفيما يخصني فقد وقفت على خزي أن تكون قائدا. لكنّ رغبتني في التحكّم تحوّلت، ولم ينقطع حلمي في التحكّم، الذي تمّ لي من خلال الحب، والعاطفة، وتحول عنها في مرحلة موالية إلى رغبة في التسلّط الروحي، وفي أن أكون الحكيم الناصح، يحجّ إليه المريدون، فيهدّهم، ويوجّههم، ويبدّد حيرتهم، وبدقة أكبر نقت إلى أن أكون كاهنا [متاريتس بالروسية في الأصل] من جماعة دوستوفسكي. ولعلّي إذا استبطننتي سأعثر على أجزاء صغيرة من هذه الرّغبة القديمة. لقد نال منّي الإحساس بالغربة وبالغمّ كثيرا حين غادرت حياة المجموعة بمعهد المعلمين. ليس هناك؛ أيّ صداقة أو أيّ حبّ بإمكانها تعويض كثافة هذه الحياة المميّزة والبسيطة. سوف تكون غير محتملة بالنسبة إليّ الآن. وعلى بعد سنوات من ذلك الزّمن؛ صرت كلّما وجدتنني بين مجموعة من الرّجال أتصرّف مثل مراقب فقط. الغريب؛ بعد ذلك، أنّي رغم كلّ شيء أيقظت تودّعات بداخلي: برونشفيغ وكوبو برلين، يياتر هنا. أقسم جيّدا أنّها لم تكن تستحقّ. لئن تركت لبعض المتجانسين مجال الاقتراب منّي بحثا عن مغامرة أو لمجرد التطفّل، فليس لي من رغبة سوى: أن أتركه حالما تكون الظروف موالية. لا أطيق العلاقات الذكوريّة التي يعقدها البعض في مثل منّي ولا تكون رفقة عصبية أو صداقة فقط. ها قد مرّت سنوات لم أحتج فيها رؤية رجل، أو مواعدته. وأنضايق في المقابل من حرص بعضهم على لقائي، وطمعهم في ذلك. أعيش محاطا بنساء لن يتخلّفن عن إعطاء أيّ شيء لمعرفة فولكنر أو كالدوال [إرسكين كالدويل كاتب روائي أمريكي من رواياته طريق التّيفّغ]، ورغم إعجابي العميق بالأوّل وشعوري بالودّ الكبير نحو الثاني فلا رغبة لي في رؤية أيّ واحد منهما. ولا حتّى همنغواي الذي يقول عنه الجميع أنّه ودود. وإن تطلّب الأمر أن أعبر شارعاً وأصعد الطّابق الثالث لرؤيتهم، سوف أفعل ذلك دون أدنى شكّ، ولكنّ الخطب سينوقف عن ذلك الحدّ. أو بالأحرى؛ سوف أعطي الكثير لأراهم يعيشون وأنا بعم عن بعد، لامرثيا بالنسبة إليهم. غير أنّ ما سوف يقرّزني هو أن يكون التّواصل متبادلا وأن يروني حين أراهم، أن يكون هناك رابط عاطفيّ بيننا مهما كان هذا الرّابط ودّيّا أو مجاملة.

باختصار هل حدث أن أحببت رجلاً بآتم معنى الكلمة في مثل سني - باستثناء بول نيزان وكان ذلك سابقاً؟ لا أعتقد. ولا حتى رغبت أن يحبني رجل ما. تظلّ الضمائر خلال الصداقة متمسكة بنوع من الصلابة، بنوع من الحرية التي تبدو لي صارمة جداً، لم أكن أحتاج للاستسلام لمثل هذا النوع من الضمائر، لم أكن منجذبا سوى لتلك الإغواءات المضطربة والعبودية الطيبة لضمائر الحب. باختصار ها هنا بالنسبة إليّ نصف من البشرية بالكاد يعيش. النصف الآخر - أي نعم أقول ذلك النصف الآخر هو هاجسي الوحيد والدائم. ليس لي من متعة إلا برفقة امرأة، ليس لي من تقدير، من حنان، من صداقة سوى للمرأة. لن أخطو أي خطوة من أجل رؤية فولكنر، لكنني سوف أتكبّد مشاق سفر طويلة لرؤية روزاموند ليان [روائية و مترجمة أنجليزية 1901-1990 من مؤلفاتها رواية القصة والمصدر] لأتحدث مثل بوست: سوف أحبو علي ركبتيّ ذاهبا إليك! أحرّ وأنا أكتب كلّ هذا، ففيه نعمة من أحبّ النساء إلى حدّ الجنون التي يغنيها تينو روسي⁽⁴²⁴⁾ لكن في نهاية المطاف ذلك هو الأمر، ربّما اعتقد البعض، في البدء، أنّ هذا الهوى الذي لا يختار يحدث عند شاب في مستقبل العمر بإحساس رومانيّ طاهر. ولكن ها أنا ذا الآن في الخامسة والثلاثين من عمري محاط منذ سنوات طويلة بالنساء وأريد دائما أن أعرف أخبارهنّ، أمّا الآن فكلّ شيء قد انتهى⁽⁴²⁵⁾. أتضايق بشكل قذر من رفقة الرجال، وأفضّل الحديث مع امرأة حول أشياء صغيرة تافهة على أن أتحدث في الفلسفة مع آرون. ذلك أنّ هذه الأشياء الصغيرة التافهة، هي المعنى الحقيقي والعميق، لكلّ شيء. أتناهم جيدا مع النساء. أحب طريقتهنّ في الحديث، في قول الأشياء، نظرتنّ إليّها، ننسجم، ونتماهي، دون قيد أو شرط. لقد عبرت لوقت طويل عن تقديري لهنّ داعيا لمساواتهنّ مع الرجل ومطالباً بحقوقهنّ. وفي الوقت نفسه أرفض فكرة القبول بأنّ هناك فرقا بين الجنسين وأردّ الفروق الثانوية إلى التربية والمجتمع. غير أنّه من السّعي خدمة قضيتهنّ، بطريقة مهينة. فأن تكون لهنّ الحقوق نفسها، فذلك أمر بديهيّ، لا ينكره

424 تلميح لأغنية أحب النساء ذلك هو جنوني 1936 للمغني الكورسيكي تينوروسي

425 لا يمكن أخذ هذا التأكيد الأخير مأخذ الجد.

عاقِل، غير أنّي أرى أنّ إيفاءهنّ ما هنّ به جدّيرات من الثناء، أفضل من أن نساوي
 بينهنّ والرّجال، وأنّ نذكّرنّ على الدّوام، بتأمر التاريخ عليهنّ، وحده من إمكانيات
 فعلهنّ، الحماقة التي ارتكبتها أوغست كونت بصفاقة هي أنّه أسند إليهنّ وجود
 الشراكة في الحساسية. كما لو أنّ هذا يعني شيئاً ما. كما لو أنّه توجد كفاءة بشريّة
 اسمها الحساسية محرومة منها فئة كبيرة من الناس. كما لو أنّ كلّ وقائعيّة لا توجد
 بشكل كلّّي في أيّ تمشّ من تمثّياتها. لا بل من مراجعة كلّ المسألة. لكن ليس فقط من
 خلال تأكيد المساواة بين الجنسين، مثل عقلائي كائني جيّد سوف تنحلّ المسألة. هذا
 المفهوم للمساواة لا يعني أيّ شيء ولقد أخطأت في ذلك كلّياً.

مكتبة

t.me/soramnqraa

29 فيضيري

لست أعرف، إن كنت قد فضّلت مرافقة النّسوة كي أتخلّص من بشاعتي. أضيع
 فيهنّ وأنساني بالتحديق فيهنّ، بالحديث إليهنّ، بمثابرتي على أن يبرز على وجوههنّ
 مظهر حيويّ وسعيد. لقد مضى على هذا ربع قرن، وأجّدي اليوم محرّجا إذا ارتبطت
 بأيّ شكل من العلاقات مع المرأة بشعة، أو معيبة، فالجمال شرط أساسيّ تتحقّق به
 أنوثة المرأة، وهو ويهب الرّجل ما يتطلّبه من أحاسيس، وهو السّمة المميّزة للعصر،
 ويسري الأمر على الرّجال أنفسهم، ولعلّني عميقا، لا أريد أن أغيّر وجهي، ولكّنتني
 أريد له جمالا دائما. ومما لا شكّ فيه أنّ شهوة الجمال عندي، ذات طابع سحريّ، لا
 حتّي، ولكم أردت أن أكل الجمال وأجعله يمتزج بي، أتصوّر أنّي بشكل ما أعاني
 تجاه كلّ النّاس الآخرين من عقدة تقمّص نفسي. وهذا ما يفسّر أنّي اخترت دائما
 رفقة رجال جميلين أو من أراهم كذلك على الأقلّ. قال ماهو «للكاستور» ذات مرّة
 بشكل خادع: تتمثّل هيبة سارتر وتراجيديته، في أنّه يجد في كلّ شيء حبا شقيّا
 للجمال، ولم يكن مراده من ذلك، أن يؤكّد على ما أشعر به من أسف تجاه بشاعتي،
 فحسب، وإنّما أراد أن يؤكّد لها أنّ حبيّ للجماليات ضرب من التّعويض، يخفي وراءه
 رغبة في الإمساك بضرب من الجمال الذي لم يتسنّ لي تحقيقه فيما أكتب. لقد كان
 معجبا إلى أبعد حدّ بباريز وأندريه جيد ولا يدرك جمال الكتابات إلّا بشكل ضيق

جداً. وكنت في ذلك الوقت أعتبر بأسلوب أناتول فرانس عن أفكار وعرة وخشنة. لكن يبدو اليوم أن فكرة ماهو على قدر من الصحة أكثر مما كان يتصور. لست سوى رغبة في الجمال وخارج هذا إنه الفراغ، اللآشيء. ولست أعني بالجمال فقط لذة اللحظات الحسية بل بالأحرى الوحدة والضرورة في مجرى الزمن. الإيقاعات، استعدادات الأزمنة.. ما يجعل دموعي تنهمر. تذهلني الأشكال الأكثر أولية لدورية الزمن. أشعر أن هذه المجريات الدورية هي بالأساس زمنية، ذلك أن الناظر الفضائي يتركني لامباليا. أفضل مثال لذلك، هو تلك الرغبة التي تملكنتني في فيفري من أن رخصتي كانت ثمينة جداً. أي أنني شعرت بها إلى أقصى حد مثل جريان معدّ نحو نهايته. ليس غريباً إذن أن تكون الموسيقى عندي الشكل الأكثر إدهاشاً والمعتبر المباشر والأول الذي ينفذ منه الجمال. وبالأساس فإن كل ما رغبت فيه شغوف، ومازلت أرغب فيه، رغم أنه اليوم شبه مستحيل، هو أن أكون في خضمّ حدث جميل. لا يكون قبالي مثل لوحة تشكيلية أو نغمة موسيقية، لكن يكون حول حياتي وفي حياتي، مع زمني. حدث أكون فيه الفاعل الرئيسي وتدور معه إراداتي ورغباتي، لكن تحدّد توجهاته إراداتي ورغباتي، حيث أرى الملفّ مثل رسام مؤلف لوحة. على أن يكون هذه الحدث جميلاً، أي أن يكون الضرورة البديعة والمريّة لتراجيديا ما، لميلوديا ما، لإيقاع ما، لكلّ هذه الأشكال الزمنية التي تتقدّم مهللة، من خلال استعدادات دورية نحو نهاية تحملها بخاصرتها. لقد شرحت كلّ هذا في الغنيان، وسوف نرى بعد قليل لماذا عدت لذلك. ما أريد أن أشير إليه الآن؛ أتى أسند هذه الرغبة المألحة والعبثية لجمال الزمنية للإنسان. عوض أن أستفرد بها وحدي. أرى أن الكاستور مذهولة خاصّة بالعرض من خارجها لضرورة جمالية لا بشرية - لنفترض ذلك من خلال تتابع موسيقي لباخ أو من خلال لوحة تشكيلية لبراك؛ هي لا تؤدّ أن تكون حياتها مادة لهذه الضرورة. عكس أولغا كوزاكيفتش المذهولة بالمحتوى الحسيّ لشكل جميل. أذكر كيف كانت تقول لنا بشكل من الحدة، في غرفة زيورو: لا يهتم كثيراً التأليف والميلوديا، فالنوتات هي التي تذهلني لست بعيداً عن اعتقاد أن بهاء حسياً أنبأ بكفي لإفاعمها. والحقيقة، فالأمر أشدّ تعقيداً بها أن اللحظة لن تكفي أبداً، لكن هل هي

على الأقل ذات قيمة مثالية بالنسبة إليها، وبعد كل هذا، فإن هذا الحلم اللامتحقق ليس متناقضا أكثر من حلمي أنا، بل هو حلمي نفسه. لقد تحدثت الأسبوع المنقضي عن اللامتحقق. ولنقل إنني أمتلك لامتحقيقي الخاص بي: جمالية الحدث. حين أقول إنني أمتلك لامتحقيقي الخاص بي، لا أريد أن أقول من خلال ذلك إنه حلم غامض أداعبه أحيانا. لا: لقد ألقى بي في هذا الموقف، وجودي في-العالم، إنه وجود-في-موقف-لامتحقق. إنني في داخل هذا الحدث بالكامل يجذبني إليه الجمال وبقلت مني: إنَّها حياتي. وهو ما يفسر كل تلك الأدوار الكوميديَّة التي أقوم بأدائها دائما دون أن أكون مغفلا، تلك التي تشبه في حقيقتها إيهاءات لأسر اللامتحقق، رقصات سحرية، وهو ما يفسر تلك تلك العودات المفاجئة للبذاءات والتهكمات التي غالبا ما صدمت المحيطين بي. باختصار، ذاك هو شغفي، وشغفي أنا تحديدا.

إن إلحاحي على هذه الحقيقة، تاجم عن يقيني أنَّها السبب الأكبر لغرامياتي. لقد كان عندي ولزمن طويل - تقريبا إلى حدِّ اليوم - وهم أنَّ الحدث الغرامي، ضروري، ممَّا دفعني أن أصرف زمنا في البحث عنه. فالحبُّ عندي لعبة مراعاة للإغراء. وأمر مخطَّط له؛ بشكل يحمل نهايته في بدايته. النهاية هي الاعتراف. فيها بعد سيكون فعل الحبِّ الذي تعتبره لايريس مثل القتل في ساحة الكوريدا. يتعلَّق الأمر جيِّدا بتطوُّر مرتَّب نحو هدف معروف-لكن هذا الاعتراف معروف على طريق فك العقد في التراجيديات اليونانية- منتظرة ولكن في نفس الوقت مردودة ومرغوبة من قبل الأثينيين- معروف على طريقة حلول ميلوديا ما منتظرة كل شيء فيها غير متوقَّع. وهذا الحدث الاختتامِي، عليَّ أن أجعله يأتي من خلال كلماتي وحركاتي. نلاحظ جيِّدا كم كنت بعيدا عن فهم الاضطراب الحسِّي فقط. لا أجهله ولكن لا أشعر به. ولا يعنيني أن تشعر به رفيقتي أولا، ليس أكثر من أن يتمنَّى مصارع الثيران، أن ينهار الثور، ينزف منه الدَّم. لا بدَّ من أن يكون في وضع استحقاقي، أي أن يقدم نفسه، في نهاية الكوميديا، في تلك اللَّحظة التي تنزل فيها السَّتارة، مجرورا بأخر لازمة كان يرذِّدها. سيكون الشَّغف حسِّيًّا قويا لو أنَّ امرأة عبَّرت بهذا الشَّكل لي، فسوف تصدمني نهائيا وترجني. كنت دائما أنصوِّر المرأة -من خلال قراءاتي طبعاً- ذلك

الكائن الذي يقول لا في البدء ثم ترك نفسها تستسلم في مقاومة مستمرة لكنّها تخفت في كلّ مرّة. وهكذا فلكلّ واحد منا دوره الواضح مسبقاً. ترفض المرأة وأنا أصر بلطف، صبوراً، مكتسباً في كلّ مرة أرضاً جديدة لي في ملكتها. لكنني لا أخطّط للإغراء مثل لعبة ميكانيكية اصطناعية، على طريقة الثّاب ستاندال. لا يعجبني إطلاقاً أن أحصل على امرأة عن طريق الحيلة وهذا سوف يؤكّد حاجتي إلى الكوميديا أكثر منها إلى المرأة، التي توفر لي فرصة أداء عرض كوميديّ قدامها، بما أنني لم أقبل أن أحصل عليها بأيّ وسيلة كانت. ومرّة أخرى يظهر أنّ تملكها هو بالنسبة إليّ أقل بكثير من وعود التملّك. كي أغري امرأة أعوّل فقط على كلماتي. أتذكّر جيّداً ما زفني في برلين: لقد رحلت إلى ألمانيا بنية معرفة الحبّ عند الألمان، غير أنّ قلّة معارفي من الألمان حالت دون الظّفّر بما ابتغيت. هكذا أعزل من دون سلاح، لبست غيباً ولم أجروّ على القيام بأيّ محاولة؛ واضطّرت أن أتمالك على امرأة فرنسية. ولقد وجدت الكثير من الودّ في ملاحظة ساقها رجل مجرّي مغتاط للكاستور قاتلاً: لو تعرفين كم أنا روجي، حين أنكلّم باللغة المجرية.

رغم أنّه لا يعني أن أكونا روحانيّاً، أو أن أكون مضيئاً. لقد قلت ذلك؛ لا بدّ من أسر العالم في الكلمات من أجل رفيقتي، أن أجعله أكثر جمالاً وأكثر قوّة أن أساعده على أن يتجلّى، كما يقول أندريه جيد في نرسيس⁽⁴²⁶⁾ وبالتالي لن يكفي التكلّم فقط. لا بدّ من تحريك الصّمت بشكل ذكيّ واختيار وجهات النّظر. وهذا كلّ في أساسه عمل أدبيّ، ولم يكن هدفي بالأساس أن أجعل من نفسي ضرورياً مثل دروغمان، كما لو أنني ترجان بينها وبين العالم، لكن أن أدوّنني دائماً في جمال العالم قدام عينيها. إضافة إلى أنّ هذا العمل الفنّي الصّغير هو في موضعه من الجريان المرتّب لعملية إغراء، يعجبني في حدّ ذاته كما يعجب تطوّر تيمة في ميلوديا دون أن نفصل هذه التيمة عن مجموع حركات الميلوديا. وهذا ما كنت أتعلّق به الأكثر من كلّ شيء. وبما أنّ أغلب رفيقاتي كنّ ذكيّات وعصبيّات، كان لا بدّ أن أعرف كيف أتصرّف وأحلّ معي عند المساء الذّكري الكافية لامتلاكي، عمل جيّد. اليوم بما أنني أستطيع أن أتحدّث عن كامل

ذلك الزّمن برودة، أعتقد أنّ كلّ ما قلته، حتّى مع أفضل نساء العالم، المساويات لي كان بائسا جدّا. كان يجب أن يكون مدعوما ليمرّ عبر المكان والطّموح، اللّحظة واليقين الماكر، حيث كنّا نحن الإثنين ملتزمين بروابط غرامية. ختما لقد كان كلّ هذا سهلا، بل سهلا جدّا وكما قالت الكاستور بعد ذلك بزمان في المهبط. وقد استعملنا في ذلك الوقت لتمييز الموضوع، عبارة صنع العجيب. عندي اليوم، تلك الخطابات، الصّمت، وتلك الملاحظات المرعبة، لكن ألم تكن مرعبة في وقتها حقّا، في الوقت الذي كنت أتلذّد بها فيه. كنت أعود من المواعيد جافّ الفم، عضلات الوجه متعبة من شدّة ما ابتسمت، الصوت مُزّق بالعلس، مشبع بتقرّز لم أكن أريد أخذ احتياطاتي منه، وأن أضع رضاي ب تقدّم شؤوني قناعا لي، أن أبأغت بعض الالتفاتات في بعض النظرات، أبأغت بعض الحركات غير المحسوبة. وما هو ممتع هو - أنني كنت واع تماما بأداء دور في الكوميديا- لم أكن أتحيل للحظة أنّ المرأة هي أيضا تلعب الكوميديا بجانيبي وأنّ اعترافاتها المتحفظة، ومساررتها المنفلتة كانت مرتبة بدقّة شديدة مثل خطاباتي. ورغم ذلك فأنا على يقين أنّ ذلك هو ما يحدث في أغلب الوقت. يتعلّق الأمر بطبيعة الحال بهذه الكوميديات نصف - الواعية، قليلة التّهكّم التي نثر عليها في الكثير من العلاقات الغرامية- وهذا ليس فقط بسبب أسلوب المرأة ولكن لأنني على ما يبدو أسّمتي هذه الكوميديات على طريقتي. هل كنت قد علمت أنني قد بالغت في ذلك. لم يكن الأمر يعني عندي مجرد سكاتش لكلّ واحد فيه دوره الذي سوف يؤدّيه. أرى اليوم جيّدا أنّه يلزمني أن أبّسم، بجانب المرأة سداجة نائمة. في هذا المنجز الفنّي المتهالك الذي أحاول تشكيله، تمثّل المرأة المادّة الخام التي يجب أن أشكّلها⁽⁴²⁷⁾.

الدَِّفتر الرَّابِع عشر

مارس 1940

بروكسفل هبرومات

6 مارس 1940

يظهر في رسم البيتي باريسيان بتاريخ اليوم، فتى هركولي شترير يطعن شاباً ويتركه يصارع الموت بقسوة، لكن دون جدوى، ويظهر في جانب من الرسم جندي نحيف في متوسط العمر يتابع المشهد وقد استبد به الهلع، يقف ملاصقاً للحائط لا يكاد يتحرك. والشاب المطعون يصيح فيه: أنت أيها الجندي المسترخص، لا عليك، لا تحمل مشقة لتقول لي إنك كنت بطلا في تقديم المساعدة.⁽⁴²⁸⁾ بدا لي هذا الرسم بعد آلاف الرسوم الأخرى، بعد أغنية شوفالييه التي انتقدتها في أحد دفاتري⁽⁴²⁹⁾، دالاً. إنه تدمير لفكرة العسكر. لقد ولدت فكرة الجيش زمن أسلحة المهن، وهي بالأولى تضيف لما هو عسكري التشجيع المدني. وبما أن الجندي مرتزق شيئاً ما، فهو دائماً متحمس شيئاً ما. مثل تلك الحشايا الأمريكية التي صارت مشهورة من خلال سلسلة الأفلام التي تبدأ بـ امرأة في كل ميناء. لقد هيأت صفاته كمصارع أن يختاره

428 عدد البيتي باريسيان بتاريخ 6 مارس (على الأقل النسخة الأخيرة المحفوظة بالمكتبة الوطنية) لا تحتوي هذا الرسم؛ نسخ الأيام السابقة لا تحتوي أيضاً على الرسم. ربما تم حذفها بين طبعتين
429 في الدفتر الثاني المفقود (رسالة إلى الكاستور بتاريخ 18 ديسمبر)، من المؤكد إنه يقصد الأغنية التي ألفها موريس شوفالييه سنة 1939 الفرنسيون الممتازون وطنية ساذجة.

عترف التجنيد، بل إنّ هذه الصفات تخدّمه في الحرب، فلقد كانوا يتقاتلون بالسيوف بالخناجر لينتهي الأمر بهم أن يتقاتلوا بالأيادي. لكنّ الأتمة المسلّحة، غيّرت في كلّ هذا، وجرّاء ذلك لم يعد الشّخص قويّ البنية هو المطلوب للجنديّة بل البقال، الحنّاز، موظف البلدية، كلّ هؤلاء الناس الهزيلين والمسالين ممّن كانت كلّ الصّحف زمن السّلم تسخر من عيوبهم القائمة: جذام جبن، تفاهة، إلخ. يبقى أن تكون أمة مسلّحة وامتلاك وعي بالذّات كأتمة مسلّحة فهذا يعني إثنيين. بالضبط كما يعني إثنيين أن تكون هناك طبقة عماليّة وامتلاك وعي بالذّات كبروليتاريا. يبدو لي أنّ التفاعل الأوّل للأتمة المسلّحة مع نفسها هو تفاعل ميتولوجي. سنة 1914 صدر كتاب مُذهّب للبقال، الحنّاز، إلخ. احتوى على رسوم تخلف انطباعاً مثاليّاً. نلمح فيها هذه الأجساد الهزيلة، هذه الحركات المرتبكة، هذه الرّؤوس المدنيّة، لكنّ التأثير الفنّي جعل من هذه الوجوه النّحيطة تنفّس طاقة لا تُقهر، لقد كانوا يعانون من هزال نُسكيّ واتّسمت موافقهم المرتبكة بحركيّة المحارب. كان آيبل فيفر⁽⁴³⁰⁾ شرح هذه الرّسوم المذهّبة. عاد هؤلاء إلى ديارهم واستعادوا مهنتهم وعاداتهم اليوميّة، وها هي الحرب القوميّة الثّانية. يبدو لي أنّ الأتمة المسلّحة هذه المرّة قد أدركت وعيها بنفسها. هذا الانتظار الطّويل لبداية الحرب ترك لها الفراغ. ونعلم هذه المرّة أنّ أولئك الجنود الّذين ينتظرون العدو على خطّ ماجينو، هم أنفسهم أولئك التّجار الصّغار في الأصل، الموظّفون الصّغار زمن السّلم. والمؤكّد أنّهم يفكّرون -وعادة ما يفكّرون بشكل جيّد- أنّ هذه الفئات من الناس صالحة وكافية للحاجة الحربيّة. لكنّ الفصل بين مختلف أشكال الشّجاعة والحركة. فهذا الجنديّ الّذي يرتجف أمام قائد، هو بطل في مدّ المساعدة. ذلك أنّ مدّ يد المساعدة يرتكز على قاعدة لعب-المباغنة، المحاصرة، طلقات بندقيّة وليس التحام جسم بجسم. بإمكان البقال إن كان مؤطّراً بشكل جيّد أن يقدّم يد المساعدة. غير أنّ هذا لن يجعله قادراً على العراك كما ينبغي بقبضات اليد. فهو لم يصبح فجأة مقدّساً، ولن يبحث عن تمييز بريق جهوح في عينيه. وإن فكّرنا أنّه أنجز على أكمل وجه مهنته كإنسان هناك، علينا أن نفكّر أنّه قد استفد قواه في نوع من إنسانيّة الشّخص الطّيّب؛

وبالتدقيق تلك الإنسانية التي ساعدته على تحمل الصّربات القويّة لزمن السّلم وهو
عني الرّقة. هذا ما أسمّيه ضدّ-البطوليّة. وأمة مسلحة ديمقراطية واعية بنفسها كما
هي، أعتقد أنّها على الطّرف الآخر التّقيض للبطوليّة. ذلك أنّ البطوليّة كانت دائماً
ويجب أن تكون شأن المختصّين. عليها أن تظّل محاطة بهالة من العجيب ولا يمكن
ولوجها. لكن إن اكتشفنا كما يقول فولكنر أنّ كلّ واحد بإمكانه أن يختار في البطوليّة،
لن يكون هناك بطل على الإطلاق إذن. الأمة المسلّحة مُدْمِرة للامتياز المقدّس
للحرب، لأنّها في اتجاه أن تمائل وظيفة المحارب بالخدمة المدنيّة. من خلال هذا تمّددن
الحرب لقد بقوا في بادئ الأمر على مسافة محترمة من المجنّدين. وتلامذتي شوفار
وكانابا⁽⁴³¹⁾ كتبوا لي وقتها: من الصّعب أن يكتب شخص غير مجنّد لشخص مجنّد. غير
أنّا الآن أكبر منهم بكثير وهذا جيّد. ما الذي سيؤول إليه كلّ هذا إن بلغنا درجة
الموت، لا أعلم. لكن ما أعرفه هو أنّ الجنود يشكون بلطف من الوديّة التّهكّمة
والسّاخرة للمدنيّين تجاههم. وهذا قاتل، لأنّ المدنيّ يشغل، وهو يمارس مهنة يفتخر
بها، يقدّم من خلالها أفضل ما لديه. لكن كفت الجنديّ على أن يكون بطلاً، فما هو إلّا
كسول رغم أنفه، ولم يعد محتويّ ومُنقّذا من متطلبات مهنة فنية، يقومون فقط
بتغذيتها كي لا يقوم بأيّ شيء. باختصار، كما يقول ذلك الآخر، إنّها هو مجرد عاطل
فقط. وعليه أن يستمتع بذلك رغم هذه الأحقاد التي تتراكم في قلب الجنود، لأنّ هذا
يؤدّي بدوره أيضاً إلى قتل الحرب.

حين أبتهج لهذا الانحلال للروح العسكريّة، إنّما أقول فقط ما أراه، لا أكثر ولا
أقلّ. أعرف أنّ هذه الروح في ألمانيا مختلفة تماماً. إن لم أتحدّث عنها، فلأنّني لا أعرفها.
لكن أعرف أنّ هذا التّغيير الذي تعلنه الروح الفرنسيّة يتبع انتصار الديمقراطيّات.
وإن هُزمتنا، فسوف يكون العكس تماماً، وسيبقى في ذلك مؤرّخ مُقبل، صاحب تفكير
متشدّد، دليلاً، وسبباً أساسياً لهزيمتنا. هكذا يتّضح أنّ المعنى العميق للروح السّعيّة

431 يقصد ربيه جوزيف شوفار الذي أصبح ممثلاً فيما بعد- أتى دور خادم الطوابق في فيلم خلف
الأبواب المغلقة وجان كانبا الذي أصبح فيما بعد صحافي شيوعي والذي سوف يختلف معه سارتر
سياسياً سنة 1954 ("عملية كانابا" في الأزمنة الحديثة مارس 1954 تمت إعادة طبعها في موافق)

ملتبس. إن كان الأمل في الانتصار التّهائي للبلوتو ديمقراطيات [البلوتو إشارة إلى تنفّذ حكم الأثرياء وبلوتو مشتقة من اليونانية في الأصل] فلن أعوّل على بطوليتها بل على ثرواتها. أتوقّع حربا دونها أيّ هيبة، حرب اقتصادية بالخصوص. يمكن أن يظل الانحلال في هذه الحالة غير مؤذ وعاملا ملائما. كلّ المسألة تخوم حول هذا السؤال: هل هناك قانون حديديّ في التاريخ يريد أن تُلتهم المتحضرة جدّا، والمسالمة جدّا، بفعل هذه الحضارة؟ فإمّا أن لا قيمة لهذا القانون سوى في العصر الحربيّ، أي بالنسبة إلى الحقبة المنتهية حين كانت المسائل العسكرية والاقتصادية منفصلة عن بعضها نسبيّا. إن كان القانون الحديديّ موجودا إلى الآن، فنحن إزاء هذا اللّامعنى بشكل أنّ جرعة من الخشونة العبيّة متضمّنة أسطورة البطل وعصمة القائد العسكريّ، سوف تكون ضرورية لصحة الأّمة، محكومة بالسبب وهكذا، فكّل حكم معقول، بإضعاف هذه الخشونة، يُضعف أيضا الأّمة ويُضعف السّلم. وبالتالي ف صحة أّمة تصبح شكلا من أشكال التّوازن بين جرعة ما من الوحشية البدائية والعقل. لكن؛ ماذا لو أنّ الاستخفاف المادّي الاقتصاديّ يقطع أجنحة المحارب، فإن كان التّفط ضروريّا للحرب أكثر من الشّجاعة، فإنّ ما سوف يبدو من جبن ضار ملطف للناس المتحضرين جدا يمكن أن يصبح روحا جديدة. والحقق دون هيبة للمحارب من طرف الجبناء يصبح بدوره القانون الحديديّ الجديد. فالملوّرخ الذي يقيّم الايديولوجيا بحسب نجاحها، عليه أن يرى في هذه الايديولوجيا المزعومة المنحلة متناقضات الرأسمالية المعاصرة التي أدّت إلى الحرب ولا تستطيع أن تخوض فيها. ويمكن أن تكون هذه الايديولوجيا عامل تطوّر إذا كان الانتصار من نصيب الغنيّ وليس من نصيب من هو أشجع. سوف يظلّ الأمر صائبا، لهذا السّبب ولعدّة أسباب أخرى، إنّنا فعلا عند المنعطف، لأنّ الانتصار وحده سوف يحدّد قيمة ايديولوجيتنا أو الايديولوجيا النّازية.

1888 - خطاب بيسمارك على منر الرايختاغ. يعبر فيه لأخر مرّة عن تصوّره للأّمة المسلّحة من خلال التّصور البالي لسلاح المهنة.

إن أردنا نحن في ألمانيا أن نخوض حربا والحصول على كلّ ما ننتظره بواسطة قوّة

أمتنا؛ يجب أن تكون هذه الحرب حرباً شعبية. حرب لن تكون مكرهين فيها من خلال إرادة الشعب، سوف نخوضها، إن آمنت الشبكات القديرة بها وأعلنتها حرباً ضرورية. غير أنه سوف ينقصنا منذ البداية الحماس والاندفاع... من الطبيعي أن يعتقد كل جندي أنه متفوق على منافسه، سوف يكف عن أن يكون جديدا مستعملا إن لم يرغب هو بنفسه في الحرب وإن لم يؤمن بالانتصار... (432)

نحن لا نعتقد في تفوقنا على الجنود الألمان، نحن لا نرغب في هذه الحرب، بل نحاول تجنبها إلى أبعد حد. نأمل في الانتصار ولدينا انطباع أن هذا الانتصار مرتبط بالظروف التي لا علاقة لها البتة بقيمتنا العسكرية، لا سيما منها الجانب الاقتصادي، ورغم هذا نحن على كل حال جنود مستعملون.

أنا متأكد من أنني الإنتاج المتوخس للرأسمالية، للبرلمانية، للمركزية والتوظيفية. وبسبب من هذا الرباعي أجدي هنا، في الرأسمالية يجب أن أكون مقطوعاً عن الطبقات العمالية، دون أن أظفر بمعبر للأوساط التي تسيّر السياسة والاقتصاد. وفي البرلمانية أجدي لدينا لفكرة الحريات المدنية، التي هي أصل شغفي المهووس بالحرية. وأما المركزية فقد جعلتني جاهلاً بالأشغال الفلاحية، كارها للريف، وأبعد ما أكون عن أي تعلق جهوي، وحساساً في مقابل ذلك أكثر من أي شخص آخر لأسطورة باريس-المدينة-الكبرى، كما يقول ذلك كايو (433). وفي التوظيفية أنا مدين بهذه اللاكفاءة التامة في مادة الأموال التي هي التحوّل الأخير للتزاهة و عدم الاهتمام. لعائلة الموظفين، فالوظف في فرنسا، هو بتول العقلانية. لكل هذه التجريدات المطروحة جمعاً، عليّ أن أكون تجريدياً ومنبتاً. كان بالإمكان إنقاذي لو كانت عندي موهبة الحساسية، غير أنني بارد. ها أنا ذا في الريح، لم أعرف الوحدة مع الأرض من خلال الأشغال في الحقول، ولا الوحدة مع طبقة ما من خلال تضامن المنافع، ولا

432. في كتاب بيسمارك لإيميل لودفيغ.

433. اطرا التدوية 1 ص 424.

الوحدة مع الجسد من خلال المتعة. موت أبي، زواج أمي الثاني وتناثر مشاعري تجاه جدي أشياء كان من شأنها أن تنزع عني مبكرا التأثير العائلي، بأسبابه وظواهره، وأما قساوة رفاقي في لاروشيل فقد علمتني الانطواء على نفسي. جسدي سليم، قوي، وديع ومتكتم، باستثناء أنه يمر أحيانا بضوضاء خلال أزمة مغص كلوي. لست متضامنا مع أي شيء، ولا حتى مع نفسي. لست في حاجة لأي شخص ولا لأي شيء، تلك هي الشخصية التي جعلتها لنفسي خلال الأربع وثلاثين سنة المنقضية من عمري. وهو ما يسميه النازيون بالفعل رجل البلوتو ديمقراطيات المجرد. ليس لي أي تعاطف مع هذه الشخصية وأريد أن أغير. ما فهمته، هو أن الحرية ليست مجرد الانفصال بعزم شديد عن الغراميات والممتلكات. بل بالعكس، فالحرية تقترح تجذرا عميقا في العالم، ونحن في الجانب الآخر من هذا التجذر أحرار، في الجانب الآخر من الحشد، من الوطن، من الطبقة، من الأصدقاء... أنا وحيد تماما. عوض أن أؤكد أن عزلي وحررتي هما ضد الحشد، الوطن، إلخ. كتبت لي الكاستور أن الأصالة لا تتمثل في أن يملأ المرء حياته بكل شيء أو أن يجعل بينها وبينه مسافة لبقيمها، أو في التحرر منها في كل لحظة، بل بالعكس في الغوص فيها والانصهار معها. غير أنه من السهل قول كل هذا على القيام به، حين أكون قد بلغت الرابعة والثلاثين من عمري مقطوعا عن كل هذا، حين أكون نبتة هوائية. كل ما يمكنني فعله الآن، هو نقد هذه الحرية الطائشة التي ظفرت بها بعد نفاذ صبري، مع تمسكي الشديد بضرورة التجذر. لا أقصد من كلامي هذا أنه من الضروري التمسك ببعض الأشياء، لأنني متمسك بكل قوتي بعدة أشياء لكنني أريد أن أقول إنه يجب أن يكون للشخصية محتوى. وهو ما يوجب أن تكون من طين، أما أنا فإني مكوّن من الريح. دون أي شغف اجتماعي، أحيأ خارج طبقتي وخارج زمني، شبيها بأرنب كلود برنار، متروكا عند نهايات التجارب، بلا غذاء يجتر نفسه بنفسه.

الحرية مثل العقل لا توجد ولا تتجلى إلا من خلال الازدراء المتواصل للانتجات الذاتية، لهذا السبب كان التهمك أسلوب العبقرية الفلسفية والليبرالية، بصمة الروح البشرية، والأداة التي لا تقهر للتطور. (برودون: اعترافات ثوري).

أقرأ باهتمام بالغ غيوم الثاني دي لودفيغ⁽⁴³⁴⁾ أحاول من خلاله أن أعود وأردّد في ذهني مسألة تربيكتي منذ مدّة - منذ سبتمبر 1938 تحديداً. وقد تحدّثت أنا والكاستور بشأنها عدّة مرّات: أتفق مع آرون أنّه في التفسير كما في فهم الحدث التاريخيّ يمكن أن نعثر على طبقات متعدّدة للمعنى. وتتيح طبقات المعنى المتعدّدة هذه إمكانية وصف الطريفة الكافية لتطوّر التمثليّ التاريخيّ، كلّ طبقة في مستواها المخصوص. غير أنّ هذه المعاني متوازية، ومن غير الممكن العبور من معنى إلى آخر. بهذا الشكل يمكن تفسير حرب 1914 من خلال التنافس الإمبرياليّ الألمانيّ الإنفليزي. نحن على أرضية التفسير الماركسيّ والاقتصاديّ. بما يجعلنا نعود إلى كتاب لينين حول الإمبريالية والرأسمالية⁽⁴³⁵⁾. لكن من الممكن أيضاً تفسير الحرب متموقعين على أرضية معنى تاريخيّ بحت، بإبراز أنّ رابطة الشعوب الجرمانية كتعبير للامتداد الألمانيّ تنمّة لمشروع الوحدة الذي بدّاه بيسمارك، وعلى نفس المستوى، يمكننا آخذين بعين الاعتبار المسؤوليات الألمانية وحدها، الإشارة إلى أنّ سيطرة بروسيا مساوية لسيطرة الطبقة النّيلية من اليونكر [لقب يطلق على الإقطاعيّين الأثرياء في بروسيا] المسلّحين. وعند مستوى معيّن من المعنى الديبلوماسيّ، يمكن أن نبرز كيف أنّ قطيعة تحالفات بيسمارك مع روسيا والنمسا - تحالفات كان الهدف منها إيقاف تمدّد هاتين القوتين، اللّتين كانتا على استعداد دائم للهجوم بخصوص البلقان - دفعت بروسيا للتحالف مع فرنسا بما يعيد المجال للصراع الروميّ النمساويّ مجدّداً. لنصل في نهاية المطاف لقصر الإمبراطور غيوم، لحكومته، لمستشاريه، لشخصيّته. هكذا يتّضح أنّ تحليل التمثليّ مقبول على أيّ مستوى من المستويات، ومن الممكن أن نجد الأسباب كما يقول آرون وفق عبارة فير⁽⁴³⁶⁾، ينكشف السبب إن استطعنا البرهنة على أنّه في

434 منشورات بابو. باريس. 1930.

435 الإمبريالية بوصفها المرحلة الأخيرة للرأسمالية مكتبة الإيمونايق 1925 باريس.

436 درس ريمون آرون "سوسيولوجيا ماكس فير" في مقالة حول نظرية تاريخ ألمانيا المعاصرة في كتابة فلسفة التاريخ فيرن. 1938.

غياب الظاهرة المتبصر فيها، فالاحتمال الأكبر هو أن هذه الظاهرة لا وجود لها أصلاً⁽⁴³⁷⁾. ومن المستحيل مقابلة هذه التفسيرات والتحليلات، إلى بعضها البعض والجمع بينها. الخطأ الشائع عند المؤرخين، أن يضعوا هذه التفسيرات على نفس المستوى ويلحقون به ثم كما لو أنهم من خلال تجميعهم هذا، يجب أن تنبثق كلمة منظمّة، بطبقات مترتبة، لتصبح الظاهرة نفسها محتوية على أسبابها ومختلف تمثيلاتنا. بينما نطلّ المعاني في الحقيقة منفصلة. من الممكن، في نظام آخر للأفكار، إقامة رابط الفهم بين الأصلي الجيني في لروسو والعقد الاجتماعي - أي تأليف العقد الاجتماعي انطلاقاً من التيارات الإيديولوجية في جينيف. كما يمكنكم اشتقاق العقد الاجتماعي من خلال شخصية روسو، أي أن نبرز من خلال شخصية روسو أنه لمن توجب عليه كتابة العقد الاجتماعي فعليه أن يكتبه كما هو. بذلك نتبع سمة من أسلوب روسو إلى درجة انعكاسه في العقد الاجتماعي كما يمكننا أن نفسر الكتاب انطلاقاً من مؤلفات روسو السابقة عليه ومن خلاله هو نفسه. أن نستدرج هذا المؤلف انطلاقاً من الأفكار السابقة لروسو، أو بتفسير فصل ما من المؤلف من خلال التلاحم الداخلي للكتاب بضرورة المنطق. لكن لا يمكن في كل الأحوال أن تكون هذه التفسيرات متزامنة. إنها تخص مناطق وجود مستقلة بذاتها، وفي كل جهة منها يتخذ المؤلف طابعاً مختلفاً. فمن البديهي أننا حين نفسر العقد الاجتماعي، بجينيف مثلاً نمحي شخصية روسو، إذا أصبح وقتها الضمير المجرد فقط، الوسيط المعنوي حيث يتحدد الرباط بين الإيديولوجيا الجينية والعقد الاجتماعي بوصفه مؤلفاً قانونياً، تأليف من مجموع تأليفات أخرى لهذه التيارات الإيديولوجية، غير أنني متى تبصرت جيداً العقد الاجتماعي انطلاقاً من روسو، فإنه يصبح مجرد امتداد لشخصيته، مجرد إسقاط لامتداداته الشخصية، باختصار يصبح موضوعاً ذاتياً بحثاً ولا مجال لمقارنته بأي أمر آخر. وتصبح الروابط الشاملة التي تجمع روسو بكتابه في هذه الحالة قضية نفسية

437 صياغة سارتر للعكرة هنا غير واضحة؛ إن قبلنا بأن حدثاً تاريخياً لن يحدث في غياب ظاهرة مسبقة، فإنه من حقنا أن نعتبر هذه الظاهرة الأخيرة سبب لهذا الحدث: لا يمكن للمسببة التاريخية وفق ماكس فيبر أن تكون موضوع معرفة مطلقة. هو حساب لاحتمال مرتب إلى الماضي

صرفا. ولونأملنا الكتاب ضمن مجموع مؤلفات روسو ومن خلال روسو نفسه؛ سوف نجد أنفسنا في مواجهة أفكار تتطور وفق منطقها المخصوص، وبطريقتها المميّزة، والمستقلة. من المؤكّد أنّ الكتاب هو كلّ هذا، غير أنّه ليس كلّ هذا في الوقت نفسه. من هنا مبعث شكوكية آرون التاريخية.

كنت مقتنعا بكلّ هذا في سبتمبر 1938. أتذكّر الصعوبة التي اعترضتني والكاستور، حين أردنا فهم أسباب الحرب المهدّدة. ليس لأنّها عديمة الأسباب، بالعكس. لكن وفق أيّ مبادئ يمكن التنسيق بينها وترتيبها؟ كيف يمكن المرور من صراع الشعوب البروليتارية مع البلوتوديمقراطيات إلى شخصيّة هتلر نفسه؟ إضافة إلى ذلك فإنّ ما هو مدعاة أكثر من غيره للاضطراب أنّ هتلر ومستشاريه كانت أمامهم فرص متعدّدة بين السّلم والحرب. وما زال هذا ممكنا إلى حدّ الآن في سبتمبر 1939، إذ تكفي محرّد حركة لإنقاذ السّلم وإحلاله. وأرى اليوم أنّ نقاشهم حول أهداف الحرب متأّت من أنّ المميّزين يتموقعون كلّ حسب فلسفته الخاصة، كما قال آرون، في مستوى ما من المعنى لتحديد مسؤوليات الحرب. فإن أرداوا تجنبها في المستقبل لا بدّ من ضربها في صميم سببها. ذاك الذي سوف يكتفي بالنظر لانهيار الاشتراك الوطني إنّما يتموقع على مستوى المعنى الفرديّ: المسؤولون، وهم هتلر وملازموه. انحوا هتلر وسوف تعمّ السّلم. أمّا الذي هو عكس ذلك فيريد تمزيق ألمانيا وتبعيّة الضّفة اليسرى للراين، مصرّحا أنّ الشعوب مسؤولة على تصرّفات حكوماتها، إنّها يتموقع على مستوى «الجماعة التاريخية». يستطيع أن يفعل ذلك بشيء ما من السّعادة، سواء بتكرار خرافة البوش الشّري، ويعتقد في مبدأ فطريّ للشّرّ الفاسد لروح أيّ ألمانيّ، أو يستند إلى اعتبارات تاريخيّة واقعيّة: أصول الوحدة الألمانيّة، التّهديد المستمرّ الذي تمثّله إمبراطورية مركزيّة، الموقع الجغرافي لألمانيا، الذي يجعلها في خطر دائم ويجعل منها خطيرة أيضا، إلخ. أخيرا حين يؤكّد فالّوا⁽⁴³⁸⁾ أنّه لا يمكن

438 انظر النّدوينة 1 صفحة 252. بروميتيوس منتقبرا أو تفسير الحرب لجورج فالّوا طباعة لبرتي باريس داب جورج فالّوا على كتابة ورقة يومية بعنوان عصر جديد والتي كان سارتر يواظب على قراءتها في ذلك الوقت.

الحصول على السلم إلا من خلال ثورة اقتصادية حقيقية ونوع جديد من تنظيم الإنتاج والاستهلاك، فهو يعتبر الحرب إحدى تبعات الأزمة الاقتصادية للقرن العشرين، ومقاومة الأمم الجديدة والبروليتارية ضد الامبراطورية الإنجليزية الفرنسية الضخمة. ويتجلى فيما سبق التفسير المادي. ودونها شك يجب أن نقول إنه يلزم في حالة انتصارنا في الحرب، الإطاحة بهتلر وفي الوقت نفسه اتخاذ احتياطات تجاه الأمة الألمانية وتحقيق توزيع أفضل للثروات. لكن، من وجهة نظر منطقية، لن تظل هذه الأفكار مستقلة. والمثال على ذلك، أنه ليس الشيء نفسه أن نعتبر هتلر مغتصبا استولى على السلطة من خلال اضطرابات شعب مهزوم، وبيارس سلطته بإثارة الرعب - كما لو أنه انبعاث جديد للأمة الألمانية، وتعبير مناسب وتام للرغبات والاحتياجات الجرمانية، تجسد هذا الشعب⁽⁴³⁹⁾، أو كأداة يمكن تعويضها، لتطور اقتصادي هائل. لو أقمنا السلم ونحن نأخذ بعين الاعتبار هذه المتطلبات الثلاثة التي نصصت عليها، سوف يكون تبعا للآيتين حيث يلزم المسؤولون العامل الحقيقي للحرب.

رغم، أن كل هذا يبدو لي صحيحا تماما، لكنه غير كاف على الإطلاق، لأننا نكون قد أخطأنا إن نسينا أن هذه الفروقات في مختلف طبقات المعنى هي بالأساس بشرية، وهي كما هي، متنوعة وقائعية تتأرخ. لقد كتب ماركس مثلا في بؤس الفلسفة أنه يمكن للبؤس أن يكون ثورة فأجابه ألبير أولفييه في كتابه (الكومونة)⁽⁴⁴⁰⁾ إن فعل البؤس لوحده لا يمكن أن يكون إلا معرقلا. فلكي يصبح البؤس قوة ثورية، يجب أن يكون مدركا ومتحملا من البائس باعتباره بؤسه الخاص. وليس هذا فقط بل أن يكون مدركا كموقف يجب أن يحدث تغييرا. أي أن يوقعه البائس في قلب عالم غير متسامح على نحو ملائم. لكن البؤس لوحده لم يكن أبدا غير متسامح: إنه لاشيء على نحو ملائم. لقد كان عمال 1935 في مستوى عيش منخفض بشكل لافت مقارنة

439 يعيد سارتر التفكير في مسألة "التجسد" في التاريخ في نقد العقل الجنلي (1960) بالخصوص المجلد الثاني "معضولية التاريخ" (نشر بعد موته) غاليمار 1985.

440. عن دار غاليمار 1939.

بمستوى عيش الأقل حظاً منهم اليوم ويرونه غير مقبول. ورغم ذلك صبروا عليه لأنهم تعاملوا معه كموقف عرضي، أحياناً، وغير عرضي أخرى. الشيء نفسه بالنسبة إلى الذي يُبين القوى الاقتصادية سواء كانت متنافسة فيما بينها أو متكافئة، لا يجب عليه أن ينسى أن هذه القوى بشرية. حين، نتحدث عن تنافسية الأسواق، أو حتى عن الوضع الجغرافي لبلد ما، حين تُبين أن الوضع الجغرافي لألمانيا محدد لتاريخها، لا يجب أن ننسى أن هذه التنافسيات هي أيضاً بشرية وأنه ليس هنا موقف، جغرافي أو أي شيء آخر، إلا بالنسبة إلى وقائعية تلقي بنفسها من خلال هذا الموقف نحو نفسها. ليس هناك موقف غير متحمّل على الإطلاق. لو كان الإنسان وجوداً وسط هذا العالم، لن يكون هناك أي موقف، سوف تكون هناك وضعيات فقط ولن تقوم الوقائعية بتفريخ الموقف فقط من خلال هجمة في العالم، لكنّها لوحدها تتخذ قراراً بشأن معنى هذا الموقف. هكذا، تكون هناك قوة ميكانيكية واحدة تتخذ قراراً بخصوص التاريخ، وهو ما يجعلنا نأخذ بعين الاعتبار بمعنى آخر بالجملة المشهورة لماركس، التي من خلالها يؤكد أن الناس وحدهم مؤلفو دراما حياتهم الخاصة، وممثلوها. غير أن هذا يجعل من توازي المعاني التاريخية أكثر إزعاجاً، إن كانت كلّ المعاني بشرية وإن كان الإنسان كلّاً موثقاً، كيف يمكن فهم هذا الانفصال القاطع، غير القابل للتّرميم بين مختلف طبقات المعاني.

المسألة أكثر تعقيداً من وجود الإنسان خاضعاً لقانون *Mitsein*⁽⁴⁴¹⁾ [بالألمانية في الأصل: عبارة هايدجير استعملها في كتابه الوجود والزّمن ويقصد بها الوجود-مع]، كلّما حاولنا العثور في شخص ما عن حدث اجتماعي، يُلقى بنا منه إلى أشخاص آخرين. لقد خسر نابليون معركة واترلو لأنّه قرّر خوضها قبل الأوان. نعم، لكن لو أن غروشي.. إلخ، نابليون رغم أنّه أساء خوض الحرب، ربّما كان بإمكانه أن يربحها، فهل مازلتنا سنقول إنّ خاضها قبل الأوان؟ ثمّ وكما يقول بيير فولو لم يكن ويلينغتون ساذجاً جدّاً، كان يمكنه أن يتبّه مبكراً أنّه مهزوم لينسحب طبقاً لقواعد اللعبة، عوض أن يعاند بغباء على ساحة المعركة، وهو ما كان سوف يمنحه النّصر في نهاية

المطاف. هكذا، يتمّ الإرسال من ضمير إلى ضمير آخر دون العثور على الضمير المريح، الضمير الفعال، دونما وجود جمع للضمائر يمكنه أن يُشكل كلاً عضوياً. هناك صعوبة ثانية: تتلاءم النسبية التاريخية على طريقة سيغال⁽⁴⁴²⁾ جيداً مع جعل الحدث يتلاشى في تمثلات، وهو ما سوف يعطي في المحصلة قاعدة نظرية للشكوكية التي كنا بصدد الحديث عنها، مع السماح له بالبقاء في مجال الحدود البشرية. لكن من البديهي، رغم أن الحدث بشريّ، أي محسوس ومعيش على طريقة الوجود - لذاته، فهو في الأثناء مشدود من الخلف بالوجود في ذاته. أي أنّه لا يمكنه أن يختزل نفسه في نظرات الضمائر لبعضها البعض. ينفلت - ويجعل الضمائر تسمو إلى ما هو وجود مباغت متبادل لهذه الضمائر. لقد عاجلت هذا في الدفتر 12. في تلك اللحظة، ورغم أنّ الحدث يمتلك الإنسان مؤلفاً وممثلاً، لكنّه يفلت منه ويهيمن عليه فجأة. وفي سياق متابعة مقارنة ماركس، أتحيل مؤلفاً - ممثلاً مثل شكسبير أو مولير، وإضافة إلى كلّ هذا مخرجاً مسرحياً، يكتب، يُخرج ومُمثل مسرحية ما. كلّ شيء من تفكيره هو. إن أردت تجربته من شيء ما، سوف أقع بسرعة على ضمائر الممثلين الآخرين وفي الأخير على ضمائر المتفرّجين. رغم أنّ هناك شيئاً ما فيها وراء كلّ هذا. لن أقول إنّ هذا الشيء هو القطعة المسرحية بأكملها. المؤكّد، أنّ المؤلّف - الممثل ليس بداخلها، ولا بقية الممثلين، ولا الجمهور المتفرّج. إنّها قدامهم وإن شئتاهي بين الرّكح وصفّ الأنوار. مع أنّها شيء، فهي شيء من أجل الضمائر. إنّها وحدة الضمائر المتعالية التي تتجمّع في اتجاهها، وهي لا توجد إلّا بالنسبة إلى ضمائر. لكن ما هو أقلّ بشريّة وعقلانيّة، هو ما يشدّ مؤلفاً، متفرّجين وممثلين عدم تمييز وجود في الذات، فحقيقة الأمر أنّ كلّ الضمائر تجمّعت في اتجاه القطعة نفسها يوم 6 ماي 1680 بأوتيل دي بورغونبي. والأوتيل دي بورغونبي شأنه شأن 6 ماي هل تخففاً من وجود هنا الجوهرى لمجرد ملاحظة أنّه لن يكون هناك لا أوتيل ولا تاريخ إلّا من أجل الضمائر، لن يبقى من ذلك سوى الأقلّ في جريان غير مؤرّخ، إنّ وحدة تأليفية من الضمائر قد وُجدت على طريقة الوجود - في - ذاته. وهذه الوحدة مكثّفة لا تنفذ؛ إنّها المطلق الحقيقيّ. أضيف

أن محتواها بشريّ بالكامل غير أن الوحدة في ذاتها، كوجود في الذات، لاشريّة تماماً. إنّها وقائيّة ل-الغير. لا يمكن للإنسان أن يوجد إلا باعتباره وجوداً -لذاته أو ل-الغير. غير أنّه ينفلت من نفسه عبر وقائعيّته التي تغطّي هذا الوجود-لذاته بتكثيف ما للوجود-في-ذاته. الشّيء نفسه بالنسبة إلى العلاقات المتبادلة ل-الغير. هذا هو الحدث في وجوده المطلق الذي يقصده المؤرّخ. يكفي فقط النّظر في طريقته في الحديث. انظروا إلى لودفيغ، متحدّثاً عن الخلافات التي تحدث دائماً بين هولستين وأولنبرغ: لقد تمّ جرّ السياسة الخارجيّة للإمبراطوريّة الألمانيّة طوراً إلى اليمين وطوراً إلى اليسار. من البديهيّ، أنّ عليه حتّى يتحدّث بهذا الشكل، أن يعني ما لم يستطع أحد هذين الضّميرين أن يدركه، عليه أن يستند على حقيقة ليست مضمونة من خلال بديهيّة الوجود-لذاته. الشّيء نفسه إن كتب لم تفعل أمّه أيّ شيء لتغيّر رأيه، من المؤكّد، أنّ لديه ضماناً هنا، وهو الضّمير الذي يقول لنفسه لن أفعل أيّ شيء لأغيّر رأيه لكننا، نرى أنّه يصعد أعلى من هذا الضّمير إلى درجة تتفهي فيها مسؤوليّة الإمبراطورة -طالما أنّه فعل. يظلّ المؤرّخ دائماً عند مستوى الوقائيّة. يبقى أنّ الالتباس الأساسيّ في البحث التاريخي، أنّه يريد أن يؤرّخ لهذا الحدث المطلق، أي أنّه يعيد موقعه ضمن أبعاد بشريّة، بينما هو الوجود-في-ذاته اللّابشريّ للوقائيّة. وهو إذ يفكّر بهذا الشكل، ذلك أنّ هذا الحدث اللّابشريّ له، أولاً محتوى بشريّ، ثمّ سوف تقع استعادته، تحمّله، إعلاؤه بواسطة ضمائر أخرى، تلقّي به إلى ما وراء وقائيّة الحدث وتحوّله إلى موقف. هذا هو في نهاية المطاف اللّابشريّ في التاريخ. لاشريّ ميتافيزيقيّ- وليس الوجود الجغرافيّ لأبار البترول في رومانيا أو في المكسيك. لأنّ أبار النفط هي أصلاً- موجودة -في- العالم حين تقوم هجمة لآنية تفرخها لنفسها. في حين أنّ الحدث التاريخيّ هو في الجانب الآخر من عالم محتمل.

إنّ الإنسان في نهاية المطاف يتصرّف بشكل الحدث نفسه لم يذهب بيار بالأمس إلى تيريز والحقيقة أنّه يعاني من ثقب في الحرقف الأيسر. وهو في الحاليتين يعتبر نفسه في حضور الوجود-في-ذاته. ويرهن على ذلك من خلال أعماله. يبقى أنّ الوجود -في-ذاته اللّابشريّ في هذا الفعل أصبح بشريّاً، تمت إعادة موقعه في العالم، تمّ تحمّله ومن

ثمّ إعلاؤه: لم يذهب ييار إلى تيريز؟ حسناً، مازال عندي الوقت لأجري مكالمه هاتفيّة، إلخ. هكذا يصبح الحدث ملتبساً: لاشريّ بما أنّه محاصر ويتجاوز كل آنيّة، بما أنّ الوجود-في-ذاته يعيد إمساك الوجود-لذاته الذي يفلت منه حين يعدم نفسه - بشريّاً، بما أنّه حالماً يظهر يصبح من العالم بالنسبة إلى آنيّات أخرى تجعله يفرخ لذاته، وتعمل على إعلائه ليتحوّل إلى موقف. يصبح الحدث متعلّداً للوصف على نحو ملائم وهو الذي عاش في الوحدة المُعدّمة للوجود -لذاته، مشدوداً ثانية في الدّبق اللّابشريّ للوجود-في-ذاته، مأخوذاً ومُتجاوزاً-مثل كلّية الوجود-في-ذاته-بضمير آخر. والمؤرّخ نفسه يتحرّك على ثلاثة مستويات: مستوى الوجود-لذاته أين يحاول أن يبيّن كيف يظهر القرار لنفسه عند الشخصيّة التاريخيّة، - والذي هو للوجود-في-ذاته حيث هذا القرار مطلق، زمنيّ لكن غير مؤرّخ -وهو في نهاية المطاف للوجود-للغير، أين يكون الحدث الصّافي مشدوداً، مؤرّخاً ومتجاوزاً كما لو أنّه من العالم، بضائير أخرى. وهو ما يتّضح حين يجهد مؤرّخ نفسه على سبيل المثال أن يفصل ما حدث في ذاته خلال الاستيلاء على الباستيل وما فعلوه بهذا الاستيلاء. وإلّا، لن يكون النقاش مرتكزاً على أسس سليمة: لن يتميّز الحدث عمّا يمكن أن نفعله به إن كان المؤرّخ نسبياً على طريقة سيال.

لكن بما أنّه قد تمّ وضع هذا اللّباس الجوهريّ جانباً، ألا يمكن إجراء تحويل شبيه بذلك الذي قام به أوغست كونت، حين يبيّن أنّ علم الاجتماع، آخر العلوم التي ظهرت، وتتعلّق بها كلّها، تلتفت إلى العلوم لتعانقها وتذييها في تعقدها الفرديّ؟ ألا يمكن محاولة تبين لبس الموقف المؤثر على الإنسان وهو ما سوف يؤدي إلى تفكّك طبقات ذات معنى؛ لكنّ الإنسان وقد ألقي بنفسه من خلال المواقف يحياها في وحدة الآنيّة؟ ألنّ نصل بهذا الشّكل إلى تحقيق وحدة غير منتظرة لطبقات ذات معنى؟ فبالنسبة إلى مؤرّخ كلاسيكيّ مثلاً، يرى أنّ سياسة غيوم الثّاني تجاه أنفلترا من جهة وضمور يده اليسرى من جهة أخرى يمثلان نوعين من المؤثرات النّفسانيّة مختلفين عن بعض. لكن لأننا بدأنا بطرح ضمور اليد اليسرى كحدث، ووجود علاقات أنقليزيّة -ألمانيّة كحدث آخر مختلف. لنفترض أنّنا نطلق من غيوم الثّاني كآنيّة تلقي

بنفسها من خلال سلسلة مواقف. ما أدرانا أننا لن نجد علاقة تفاهم داخلي بين هذه السياسة الإنكليزية وهذه اليد الضامرة؟ يتيح لنا لودفيغ فرصة الوثوق في ذلك. فقط، لا يجب الأخذ بوجهة نظر التحليل النفسي، الذي هو أيضا حتمية وهو مضاد للتاريخية - رغم أنه يفتخر بإدماج التفسير بالتاريخ في حياة الفرد. لا يمكن فهم التاريخ إلا عبر استعادة تحمّل الآثار. ليس هناك من تاريخ إلا حينها يكون هناك تحمّل للماضي وليس مجرد حركة سببية صرف لهذا الأخير. أريد هنا من خلال تأويلات لودفيغ محاولة رسم بورترية غيوم الثاني كآنية متحملة متعالية المواقف، لرؤية ما إذا كانت مختلف الطبقات ذات المعنى (بما في ذلك الطبقات الجغرافية والاجتماعية) لا توجد موحدة في قلب المشروع نفسه، ومن ثمة تحديد إلى أي درجة، يمكن اعتبار غيوم الثاني سببا لحرب 1914. سوف أقوم إذن بتخطيط نوع آخر من التحليل التاريخي، يقلب التفسير ويذهب من الإنسان إلى الموقف وليس من الموقف إلى الإنسان. من غير المهم أن تكون تأويلات لودفيغ غير صحيحة تماما، يكفي التعامل معها على أنها حقيقة، كفرضية عمل، لأن الأمر متعلق بتقديم مثال طريقة وليس لاكتشاف حقيقة تاريخية للحدث. والحقيقة؛ ليس المقصود تماما نهية تمثيلات تستفيد من التاريخ، بل تأسيس شكل من ميثافيزيقيا التاريخية وتبين كيف أن الإنسان التاريخي يتأرجح بشكل حر في إطار عدة مواقف. سوف أحاول هذا الأمر غدا، دونها أدنى شك.

شاهدني شاب هزيل، على هيئة غبي معتاد على التذاكبي، يضع نظارة، أقرأ كومونة أوليفيه وبادرني بالحديث حذرا، ثم كشف لي أنه اشتراكي و يهتم الآن بالحركة العمالية بشكل نشيط، وصف لي مطولا اضطراب، الأحزاب العمالية وتشاؤمها. إتهم مترعجون جدا من الحرب إلى درجة أنه لو جلب دالاديه السلم لنصّبه إلهاء، ويستطيع أن يفعل ما يشاء وسوف تلجّم البروليتاريا نفسها. قلت له لأختبره من حسن الحظ، إذن، أنه قادر على ذلك. غير أنه لم يواصل طرح عميق أفكاره. كان عائدا للتو من الرخصة وشاهد عددا لا بأس به من المعيّنين المخصّصين يعملون في مصانع المنطقة الباريسية. قال لي: «إنه الرعب في المصانع، ما أن يشتكي عامل ما على

الملا، هوب، يلجمونه ويتم إرساله دونها محاكمة إلى معتقل. العمال، مهزومون ومرتعبون». بدت لي المعلومة ثمينة جدًا، لكن الشخص الذي أوردتها يقلل من قيمتها؛ قال لي هيئة متآمر: وهل يسمح لك رؤساؤك الضباط أن تقرأ هنا؟ ألا تختبئ قليلا... احتياطا؟ أتصور أن هذا الشاب إذا لم يكن قد خضع لنظام من الرعب، فسوف يتكر رعبا على مقاسه. أنهى حديثه بنغمة متفائلة: لقد أفسدت الشيوعية الحركة العمالية حتى النخاع، وقريبا ستتهار روسيا وتستعيد الحركة العمالية عافيتها. كان شديد الاحتراز متى تعلّق الأمر بقرارات الحكومة، يثبت بحسن نية الفشل الجزئي للحصار، يصبح ساذجا جدًا حين يتعلّق الأمر بالبروليتاريا، ومازال يعتقد في حدوث ثورة شعبية بألمانيا.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الجمعة 8 مارس

ذكر جاك شاردون في واقعة خاصّة⁽⁴⁴³⁾ مؤرخا لم يذكر اسمه: دائها ما ينقضي كل شيء بشكل سئ.

ما يحاول المؤرخ الكلاسيكي ملاحظته في البدء، أن التاريخ لغيوم الثاني يفترض الوعي بالأحداث التي سبقت ميلاده، مما يفترض تأثيرها على بناء شخصيته. وهي أحداث على درجة من الصلابة، وقد يعسر على الباحث ترتيبها حسب الأهمية، وتبدو للوهلة الأولى كما لو أنها تنتمي لطبقات من المعاني من المتعذر اختزالها. وإذا كان لابد من ترتيب، فلا شك أن أكثر هذه الأحداث أهمية هو حدث الإمبراطورية، هذه السلطة المقدسة التي تنتظره في المستقبل، دون أن يكون له أي تميز طبيعي. والأمر لا يتعلّق بأي إمبراطورية كانت، بل هي إمبراطورية قائمة الذات، ملموسة، حديثة العهد، ترسخت نهائيا سنة 1870. والبطل الإمبراطوري هو أيضا قائد دولة حربية، إنّه ملك بروسيا. وبهذا الشكل سوف يكون قائدا للجيش وقائد حرب [بالألمانية في الأصل] مثل جدّه. من الضروري أن نحدّد هنا بدقّة السلطات التي وهبها الدستور

443 منشورات سنوك 1940.

الألمانيّ له، لكي تكون لدينا فكرة واضحة عن هذه الوظيفة الامبراطورية التي صنعها بيسمارك له، وتنتظره.

ويتعلّق الحدث الثّاني بعائلته. علينا أن نظهره أولاً حفيداً لغيوم الأوّل من جهة، ومن جهة أخرى هو حفيد الملكة فيكتوريا من الأمّ. وهو ابن أخت إدوارد السّابع. ابن لبروسي ضعيف وغيبيّ، ولأمّ أنقليزية متعصّبة لأنقلترا حوّلت ابنها إلى الليبرالية. يجب التّأكيد على التّسلوك المخصوص جدّاً للأب كرونبرنز الخالد [فريديرخ فيلهلم فيكتور أوغست إرنست من بروسيا وليّ عهد ألمانيا] ذلك الّذي ذبل في ظلّ العرش. وهو ما يعني أنّ غيوم الثّاني ليس ابناً للملك، ولكنّه حفيد للملك. قفزت الوراثة جيلاً بأكملها. حين وصل أبوه إلى العرش يعرف الجميع أنّه في مرحلة الموت.

الحدث الثّالث، في علاقة بهذا الخلوّ من جيل الانتقال. ذلك أنّ الإطار المسير لا يتناسب مع عمر الملك القادم. يتعلّق الأمر في أغلب الحالات بعجائز عادة ما يكونون ثمانين، كما هو الأمر في زمن قصر الملك لويس الرّابع عشر، سنة 1713. فلن يستطيع امبراطور شابّ أن يحكم مع إطار طاعن في السّن. إنّ حدث مستقبلّي لكنّه حدث متوقّع جدّاً وعليه أن يجدّه. لكن وبما أنّ المعلّم الأقوى في ألمانيا هو بيسمارك، فسيتخذ التّجديد طابع الثّورة في القصر، لأنّ بيسمارك، رئيس الإطار المشرف، لن يترك نفسه للطّرد إلّا من خلال ثورة.

الحدث الرّابع، هو أنّ آلة الحكومة صنعها بيسمارك من أجل بيسمارك. وضعف هذه المؤسّسة متأتّ من أن لا معنى لها إلّا إذا راقبها بيسمارك وصيّرها بنفسه. لقد وجد غيوم الثّاني الرّايخ كما أعدّها له الرّعب اليسماركيّ. يعترف بيسمارك بهزيمته ويكشف عن ذلك قاتلاً: لقد حاربت دون هوداة ولسنوات طويلة الرّايخ. وانتبهت إلى أنّ هذه المؤسّسة قد ضعفت في مقاومتها للإمبراطور غيوم الأوّل ومعني أنا... كنّا في حاجة لهواء المناقشات العمومية النّقيّ. فالّذي يتتظر غيوم الثّاني ليست بدلة ملكية متقدمة، تآكلت لكثرة مستعمليها السّابقين، بل بدلة جديدة جدّاً مفضّلة لشخص آخر.

الأحداث التّالية يمكن لكلّ شيء أن يفسّرها: الوضع الجغرافي، الاقتصاديّ،

الاجتماعي، الثقافي لألمانيا ذلك الوقت: قفزة الصناعة، مشكلة الولادات، نمو الاشتراكية-الديمقراطية.

الحدث الأخير وهو داخلي وخارجي في الوقت نفسه، ويتعلق بشخصية الإمبراطور: الضمور الخلقي لديه اليسرى.

هذه الأحداث متعددة كما أنها دونها ترتيب (سوف يشرح المؤرخ برسم دولة ألمانيا، مارًا بالعرش، إلى منجز بيسمارك، إلى الإطار المشرف، إلى العائلة وفي الأخير إلى العيب الجسدي - الذي سوف يقدم من خلاله بعض الأفكار العامة عن سلوك الإمبراطور - المنتمي إلى طبقات ذات معنى شديدة الاختلاف. مصدوما بكل الطبقات المختلفة على أنها مستقلة عن تصرف الإمبراطور يقدمها المؤرخ كمسيبات لهذا التصرف. لن يقدم سلوك الإمبراطور كما لو أنه شمع نقي، غير أن تحليله النفسي سوف يكون غامضًا جدًا كي يستطيع تقديم هذا السلوك كما لو أنه مضبوط بحركة هذه القوى المختلفة.

أؤكد في البدء أن شخصية أمير وارث تتحدد قبل كل شيء بالتأج المستقبل، ومن العبث تمييز سلوك الدوفان [كنية لولي العهد في فرنسا] كما جرت العادة. سيظهر الضعف والتردد على مستوى العلاقة البدئية بين الشخص والتأج، وما لها من خلفيات. فما يفرقنا عنه أننا نمرّ خلال وجودنا بوضعيات متعددة، تكيفنا مع الواقع على المستوى الاجتماعي، أو المهني، وفي المقابل فإنّ الدوفان متمخض منذ مجيئه إلى العالم، لا يحيد عنه ولا فرار، فوجوده وجود للحكم، مثلما أنّ وجود الإنسان هو وجود للموت. ولئن كان هناك دوفانات لا تريد أن تحكم، فعليهم أن يقرّروا لأنفسهم مصيرهم الأساسي، لن يكون بإمكانهم التملّص من الوجود للحكم، ليس باستطاعتهم أن لا يكونوا دوفانات في عمق أعماق طبيعتهم، أقصى ما يمكنهم فعله أن يجعلوا من الوجود للحكم ميزة متوارية. ليس لمستقبلهم الأسلوب العرضي لمستقبلنا-الذي يجب أن نربحه وحتى إن ربحناه، يفلت منا، وهو بين يدي الله. أما مستقبلهم فحتى لو كان عرضيًا، فإنّ الملكية تنتظرهم. كثيرًا ما كنّا نقول إنّ الملوك وحيدون. وهذا حقيقي، لأنهم مجرورون دائمًا إلى الامتلاء بفردانيّتهم، منفلتون

بطبيعتهم من نحن التفاهة اليومية، وحيدون مثل شخص يتأمل موته. المستقبل الوحيد الذي يمكن أن يستحقوه هو مستقبل الملك الأعظم. اسم سوف يكتسبونه بعد التتويج ويعود إلى الخلف حول هذا التتويج ذاته، لتبريره. اسم سوف يكون لهم في النهاية مجتمعا - لأننا ملوك عظام ضمن الملوك - لكن دون أن يتم سحبهم من انعزالهم. على أن هذا الموقف الأول غير مُحتمَل فهي ليست صفة يتم استقبالها بشكل سلبى، بل هو الضغط الأول، المشروع الأصلي والحر نحو مستقبل محدد نتجاوزه في اتجاه ذاتنا. الملكية هي - كما يقول هايدجير عن العالم - التي من خلالها يعلن الحاكم المستقبلي عن هويته. يبدو لي أن الحرية الأولى لغيوم الثاني تسمى ملكية. علاوة على أن الحرية تتدخل أيضا في طريقة الوجود للحكم. أرى أن غيوم يريد أن يكون أولا ملكا عظيما. لكن هذا نفسه يتطلب تحليلا. يمكن للمرء أن يرغب في أن يكون ملكا عظيما ليعتذر على أن يكون مجرد ملك فقط. يمكن أن يستعمل الملكية ليكون عظيما. غير أن غيوم يعتبر العيبة مثل الفردانية في الملكية. يريد أن يكون عظيما ليكون هذا الملك ها هنا. لكي يكون ملكا بشكل أساسي أكثر فردانية، كي يتملك أكثر بقلب ملك. ووفق هذه الشروط، من الطبيعي جدا، أن يمسك الملك بهذا الموقف الأصلي بشكل حر على شكل حق مساوي. وهي حال غيوم الثاني إذ ليس له سوى أن يسبح على هذا الحدث طابعا أسطوريا، فهو الوحيد من دون الناس جميعا، من يتمتع بوجود للحكم. وهو الذي يحكم فيه. وهذا يؤكد في وجوده، يتزامن فهمه الماقبل أنطولوجي مع مشروع الذات نفسها نحو التتويج. في التركيبة نفسها لوجوده كوجود للحكم، يبقى الدوفان حرا ليتحمل وقائعته (أنا هنا لأحكم لكن وجودي نفسه لا مبرر له) أو ليجعل له قناعا (أساس وجودي هو الحكم - إني هنا لأحكم لكنني موجود لأحكم) يغلق الحق السماوي هنا دائرته، والملك المستقبلي ينغلق على نفسه في عزلة لا أصيلة. ها هو مسؤول بشكل كامل وأساسي في وجوده على ما يقدمه لنا المؤرخ كحدث خارجي وعرضي. ليس الحكم شيئا من الخارج عند غيوم الثاني. ليس أيضا تمثلا داخليا يحظى بامتيازات. الحكم هو غيوم.

نشير هنا إلى أن الإنسان الذي سوف يحكم هو إنسان يعاني من عاهة. فذراع

ضامرة. أريد أن ألفت الانتباه أنّ هذه العادة لا يمكن مقارنتها بأيّ شكل من الأشكال بعاهات جسديّة مماثلة بإمكانها أن تحدث لمواضيع أو مواطنين عاديين. الإعاقة بالنسبة إلى مواطن مستقبليّ حرّ مُدرّكة كمرقل غير محدّد، يلغي صنفًا من الإمكانيات تمّ الإعداد لها بشكل سيّئ. لكن في نفس الوقت الذي يلغيها هو يعيد توجيهها، حينها يتمّ الإمساك به وتعليته، نحو إمكانيات أخرى. سلوكي في وجود ذراعي ضامرة. أن أعطي ظهري لمسيرتي العسكرية وأنحلّ في نفس الوقت عن الرياضة، بل وربما أكره شتّى أنواع الرياضة وأن انطلق في الجانب الآخر من إعاقتي إلى الدّراسة والمهن الليبراليّة، الفنّ، إلخ. بوجود عيني الميته، فإنّ طريقي في تجاوز عاهتي، تتمثل بالأساس في أن أكسب محبة الآخرين عبر الإغراء الذّهنيّ، أن أرفض ما لا يلائمني كما رفضت أسفا متابعة حصص أناغليفي [العبارة هنا مأخوذة من اللاتينية ولعلّ سارتر يقصد هنا حصص دراسة التّواءات البارزة في المنحوتات الأثريّة] والنظر عبر المجسّمات. وإنّني لذلك بقدر ما أختاره فيما وراء هذه العين المطفأة. لكن ماذا عن ملك مستقبليّ أتى له أن يتحمّل إعاقته؟ وبتراثيّة ما، فالأمر لا يبدو ذا بال، لقد وُجد الملك ليحكم وليس ليكون معاقا. إذ سوف تنكشف الإعاقة على خلفيّة الحقّ السّماويّ. وعلينا أن نوكّذ أنّ الوجود للحكم هنا يتّصف بميزة خاصّة. فكرامة ملك بروسيا تعطي لهذا الحكم طابعا عسكريّا. الملك هو ملك - جنديّ. لذلك لا يمكن للإعاقة أن تظهر بصفته تأكيدًا لما يحيط بحياة ما، بشطب بعض أصناف الإمكانيات. لا يجب لهذه الإعاقة أن تمنعه من الحكم، لكن لن تمنعه من الموت. إنّها تنضوي خلال الملكية، وهي المانع الدائم الذي يجب في آن تحمّله، واعتباره أمرا غير مقبول. لأنّ القبول هو المعادل للتخلّي عن بعض الإمكانيات التي ركبها غيوم بشكل حرّ. الموقف المتخذ هنا بشكل حرّ هو الرّفص، لأنّ الإعاقة هي الإهانة السّريّة للملكيّة. إنّها الفضيحة وهي بالضبط الوقائع التي يريدون إنكارها. لن يقبل غيوم إذن إلّا بتغطيتها وتعويضها. لا يتعلّق الأمر هنا بتمشّ سحريّ. لكن لو استعملنا هنا عبارة مركب نقص، فسيكون الأمر سيّان لملك كما هو الشّأن لمواطن عاديّ، ذلك أنّه يظهر عند الملك على خلفيّة وجود للحكم. يتعلّق الأمر في معنى ما

بنقص مطلق، ليس أمام أيّ كان بما أنّ أيّ مقارنة ممنوعة في هذا المجال (وهو ما لا يستثني بطبيعة الحال، بعض الأسف الكئيب أمام ذراعين صلبة ونشيطة لضابط في القيادة العامة). من هنا تنشأ الرغبة في المحافظة على كلّ إمكانيّاته الأساسية رغم نقصه الجسديّ. من هنا الفلاح الخاصّ لتغطية الذراع اليسرى، والشهوة الزائدة المثيرة للانتباه نحو التمرينات العسكرية والرياضيّة ونحو الصيد، وآلاف الحيل: تعلّم بكثير من المهارة كيف يضغط بيده اليسرى على نطاقه وكيف يضعها في جيبه، وكيف يمرّر اللجام من اليد اليمنى إلى اليد اليسرى، كيف يتخلّص من مساعدة خادمه للقيام بعدّة أشياء، وهذا ما جعل الذراع اليمنى أشدّ ثقلاً، إلى درجة أنّ هذا الثّابّ البائس غالباً ما يميل إلى اليمين وهو على فرسه. من هنا أيضاً أكاذيب عميقة. بالخصوص تلك المتعلّقة بالصيد. فالإمبراطور لا يستطيع الصيد بالفعل: فحرسه الشّخصي مضطرّ لتمديد الذراع اليمنى مستندة إلى عصا طويلة لتصلح دعامة لبندقية الأمير. ورغم ذلك يريد أن يكون الصّيّاد الأوّل في الإمبراطوريّة. ما جعله يحوّل كلّ خرجة صيد إلى غارة: جيش نشيط من حرس-الصيد، على الدّراجات، في الحافلات، على أحصنه، مترجّلين بشكل جعل كلّ نقطة صيد في مجال الملاحظة المستمرّة... كانت عمليّات الصيد رهية... والفريسة المسكينة مختبئة في فضاء كبير محاط بأسيجة انتصب وسطه قناصون ماهرون. ليس لهم إلّا أن يصوّبوا تجاه الحيوانات البائسة وقد ضاقت أنفسهم وهي تركض على طول السّياج دون جدوى والقناصون يطلقون الرصاص فتسقط كلّ الفرائس قتيلة. من غير المعقول أن لا يعرف غيوم الثّاني نواطؤ مرافقيه في هذه الحال كما في حالات أخرى. ورغم ذلك بإمكانه وهو في الثّالثة والأربعين من عمره أن ينقش على كتلة من الغرانيت بحروف من ذهب: هنا قتل جلالته الإمبراطور فريسته الـ 50000 طائر تدرّج أبيض. إن كان هناك كذب على الذات، فهو كذب قد تمّ مع كلّية الآنيّة، كذب ملكيّ. ذلك أنّ الحقّ السّماويّ وهو يفصل تميّزه عن بقيّة النّاس، إنّما يمنحه حقّاً لتواطؤ مقدّس. يمثل الكذب الشّعائري جزءاً من الاحتفالات التي من خلالها يتواصل الرعايا مع المسكوت عنه. وهو ردّ اعتبار ينتظره صاحب العرش من الآخرين. ودرجة الإيمان التي يتعلّقون من خلالها به. إنّ إيمان

احتفالي إلى درجة أن صاحب العرش لديه علاقات احتفالية مع نفسه. كَلِيَّة علاقاته بتداخل ضمائره، على مستوى يكون فيه الوعي وعيا بالذات، ذلك هو المقدس. يجب على الرعية أن تكذب ويجب على صاحب العرش أن يُصدق. لأن العلاقات البشرية الوحيدة التي تحرّم الكذب هي علاقات المساواة، وصاحب العرش لا يريد أن يضاهيه أحد. على أن هذه الطريقة في تغطية إعاقة ليست هرويا فقط، فهي جهد حرّ متقد لتجاوزه. ولوديفيغ معه حقّ حين كتب: القلّة القليلة التي استطاعت تقدير أهمية هذا الانتصار المعنويّ على الضعف الجسديّ، تشعر أنّه بإمكانها منذ تلك اللحظة أن تعلّق آمالا كبيرة على هذه الشخصية. وللحقّ فإنّ هذا الانتصار المعنويّ الذي كسبه الأمير ضدّ إعاقة سوف يكون سببا في خسارته. رغبته المتكبّرة في ترك انطباع عميق لدى عائلته وهو يركض بزيه البراق على رأس الجيش، هذه الكبرياء لم تكن إلا استهلالا لفسحات بلا عدد، استعراضات، خطابات ضجّاجة، قبضات مهذّدة لسنوات متعدّدة يحاول من خلالها تبرير نفسه بنفسه لنفسه...

نص آخر يسمح بفهم ما معنى ضعف غيوم الثاني: وحدهم أولئك الشاهدون خلال شبابه على مقاومته الدائمة لهذه الإعاقة العرضية، سوف يفهمون فيها بعد كيف يفقد الإمبراطور التّحكّم في أعصابه الشّديدة التوتّر، هذا الجهد المستمرّ ضدّ ألم مرثي قد يعاينه كلّ شخص، من الأفضل إبرازه بشكل طبيعيّ، هذه المقاومة التي لا تهدأ ولو للحظة، خلال كامل الحياة من أجل إخفاء عاهة خلقية لا يمكن تجنّب تأثيرها على التكوين الشامل لسلوكه. مدركا لضعفه، يحاول أن يبالغ في قوّته، لكن عوض أن يستعملها في المجال الذهنيّ، أين كان بإمكان ذكائه الدافع أن يساعده، فإنّ التقاليد والطموح حرّضاه على أن يظهره من خلال موقف بطوليّ لضابط.

لم يجانب لودفيغ الصّواب هنا حين تعامل مع غيوم كما لو أنّه مجرد مواطن عاديّ، وما كان ليستغرب محاولته أن يخفي ألما مرثيا قد يعاينه كلّ شخص. كلّ احتفالية بالنسبة إلى غيوم، مسخرة فحسب لتغطية ألم بارز، ولا بدّ من حدوث ذلك بشكل سحريّ، وأن تتوارى تستتر نظرات النّاس بالضباب. سوء النية المقدّس عند غيوم هو غرور - قائم على حقّ مساويّ - قائم على سوء نية رعاياه. إضافة إلى ذلك ما كان عليه

أن يقول بعبارات السببية الوقحة، إن التقاليد والطموح يحترضانه، لتعويض إعاقته من خلال الهيئة البطولية لضابط. ذلك أن لوديفيغ ينظر لإعاقة الامبراطور بشكل معزول. فهو لا يعالجها انطلاقاً من الوجود-للحكم للإمبراطور. الوجود-للحكم في بروسيا، مثل ملك-جندى. لا يمكن اتخاذ الخيار الحرّ على مستوى الهيئة تجاه الإعاقة. إنه أكثر كلفة بما أنه يتخذ إزاء الوجد-للعرش. أمّا بخصوص غيوم فيبحث عن النجاح في مجال الذهن، ولن يكون مجرد إنسان عاديّ فقط بل سوف يكون ملكاً آخر، يختار حكماً آخر وبروسيا أخرى- بمجهداً نفسه من أجل تغييرها- وهذا التغيير كان من الأهمية بمكان أن لوديفيغ يرى بنفسه أن المجرى المتتالي للتاريخ تمّ تحويره. إنه على مستوى المشروع الحرّ لوجوده-في-العالم كان خياراً ممكناً، ومن وقتها ألقى غيوم الثاني بنفسه كشخص آخر في الجانب الآخر من إعاقته، يعاني من إعاقة أخرى. يبقى أن الخيار الذي يلزم كلفة الشخصية يظلّ ممكناً. وهو ما يسمح لنا أن نقول إن غيوم اختار ضعفه. لا يجب القول مثلما قال لوديفيغ: مدركاً لضعفه، حاول أن يبالغ في قوته بما أنه استطاع أن يصبح سيداً في المجال الثقافي كاشفاً بشكل متهور إعاقته، أن يكون قوياً بشكل واقعيّ. لكن بالأحرى، أن يفهم نفسه بنفسه أنه إمبراطور-جندى للحقّ السأويّ، عليه أن يتجاوز إعاقته وينكرها باعتبارها فضيحة من خلال جهد مستمرّ. لقد اختار أن تكون قوته ضعفاً، لقد اختار الإهانة السريّة. لقد جعل من نفسه ضعيفاً. غير أن نصّ لوديفيغ الذي جئنا على ذكره يبيّن لنا بشكل معتبر أن إعاقة غيوم ليست سوى ألم جسديّ مرئيّ، ضمور ما في الذراع. وهو ينظر إليها بهذا الشكل مثل أيّ مؤرّخ كلاسيكيّ، غير ذات صلة بسياسة غيوم تجاه أنقلترا مثلاً. لا يمكن أن توجد بالنسبة إليه إلا باعتبارها موقفاً ذا معنى. بل إن لوديفيغ يكشف لنا من خلالها الخطابات، القبضات المهدّدة، الاستعراضات، الفسحات. كما لو أنّها ليست سبباً أو دافعاً لهذه التظاهرات. لكنّ هذه التظاهرات بالعكس، تمثّل الطريقة لضبط الإعاقة كموقف. من هنا نفهم على سبيل المثال معنى البرقية التي أرسلها غيوم إلى كروجر⁽⁴⁴⁴⁾ باعتبارها طريقة الوجود-الذاتيّ-بالإعاقة.

غير أن كل هذا لن يكون كافيا. وسوف نرى انطلاقا من هنا طبقات معنى تبدو في الظاهر غير قابلة للاستيعاب مرتبطة بشكل مفاجئ بهذه الإعاقة الفطرية. فمما لا شك فيه أن غيوم يرى إعاقة انقلترا والانتصار عليها، انتصارا على الإعاقة. سوف أواصل غدا.

البورجوازية هي التي استبعدت الحرب في 1938، وقررت استسلام ميونيخ، خوفا من الانتصار لا خوفا من الهزيمة. فهي تخشى أن تكون الحرب لصالح الشيوعية. عكس ما حدث في سبتمبر 1939، فالحرب مرحب بها من قبل البورجوازية لأن الاتفاقية الروسية -الدرمانية قللت من خطر الشيوعية، ونعرف الآن أن هذه الحرب التي يتم خوضها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة ضد السوفييات، سوف تكون مصحوبة لا محالة بعملية بوليسية داخلية. سوف يقع حل الحزب الشيوعي. ما لم تقدر على فعله السياسة مدة عشر سنوات سوف تفعله الحرب في أقل من شهر. ذلك في تقديري هو السبب الرئيسي لانخراط البورجوازية في الحرب. خلف مظاهر هذه الحرب القومية هناك حرب أهلية. فبينما يحارب الكثير منا ضد الإيديولوجيا هتلرية يتم بشكل خفي تصفية ما تبقى من الإيديولوجيا الشيوعية. كان بإمكان حرب 1938 أن تكون سببا في ثورة. 1940 كانت فرصة الثورة المضادة. كان يمكن لحرب 1938 أن تكون حرب اليسار - حرب 1939 هي حرب اليمين. لقد أعمت رعونة هتلر بصره، فلم ير أن الديمقراطية الرأسمالية كانت في سنة 1938 تدافع على جبهتين: مهتدون في إمبرياليتهم بالطموحات النازية، ومهتدون في مؤسستهم الداخلية بالحركة الشيوعية. لم تكن البورجوازية تريد الحرب حتى لا تضطر للدفاع على جبهتين في الوقت نفسه. بدافعهم على جبهة واحدة ضد ستالين فقط، يريهم هتلر بإتاحة الفرصة لهم أن يطردوا الشيوعية التي يعتبرونها

تقع في شرق جنوب افريقيا احتلتها انقلترا سنة 1877] والتي تعرضت لهجمات من قطع عسكرية موالية لانقلترا واستطاعت هذه الجمهورية [ليس هناك ما يشير في التاريخ إن هذه المقاطعة تحولت إلى جمهورية؟] أن تصد الهجمات بدون أي مساعدة فأرسل الامبراطور غيوم في جانفي 1896 برقية تهينة لرئيسها بول كروجري حركة تحد وهو ما أفسد العلاقات الألمانية الانقليزية.

تهديدا مستقبليًا خارجيًا. ودون أدنى شكّ كان يريد المحافظة على الجبهتين، فقد كان يعوّل على تراجع الجبهة المعنوية. لكن، كيف لم يضع بعين الاعتبار القمع السريع الذي سوف تنفّذه الحكومات البورجوازية بسعادة بالغة؟

اقرأ الكتاب الأصفر الفرنسي⁽⁴⁴⁵⁾ وأشير إلى أنّه لم يكن هناك إطلاقاً للمسألة الشهيرة انقلاب 2 جويلية محاولة مزعومة للانقلاب في دانتريغ التي كان سببها تراجع ألماني⁽⁴⁴⁶⁾. رغم أنّ الحديث حول هذا الأمر سري كثيرا في ذلك الوقت وردّت أصداؤه طبعاً الصحافة طابوي⁽⁴⁴⁷⁾. في إحدى الاجتماعات التي كنت أحضرها بالمجلة الفرنسية الجديدة كان ذلك في 1 جويلية على ما اعتقد، قال لي بول نيزان «نخشى أن تندلع الحرب غدا». ويدولي أنّ سبب هذه الإشاعة هو تقرير أعدّه كولوندر⁽⁴⁴⁸⁾ بتاريخ 27 يونيو ينبّه فيه إلى إمكانية إلحاق دانتريغ بدعم من الداخل إضافة إلى إشارة من جورج بونيه⁽⁴⁴⁹⁾ إلى السفير الفرنسي بلندن يطلب فيها منه أن يدعو اللورد هاليفاكس⁽⁴⁵⁰⁾ أن يبطل المؤامرة بمناسبة خطابه يوم 29 يونيو⁽⁴⁵¹⁾ - حادث على الحدود تمكّ إخفاؤه من الصحافة الألمانية والبولونية (جماعة من أتباع

445 نشرته لو كاي دورصاي سنة 1939. لنذكر إنه يعنوي على أهم وثائق المبادلات الدبلوماسية منذ معاهدات ميونيخ إلى وقت إعلان الحرب.

446 تمت محاولة الانقلاب في 2 جويلية 1939 بسبب خطأ إجبار بولونيا على قبول تبعية المدينة الحرة دانتريغ للرايخ. عمل هتلر وقتها بكل جهد لإنشاء حركة "شعبية" مشابهة لانقلاب في هذه المدينة حيث كان النازيون هم الأغلبية.. (رسائل للكاستور جويلية 1939 صفحة 235-238 المجلد الأول)

447 جنيفاف طابوي صحفية تعليقاتها الإذاعية بخصوص السياسة الخارجية كانت مشهورة جدا

448. سفير فرنسا بـبرلين في ذلك الوقت.

449. وزير الشؤون الخارجية الفرنسي في ذلك الوقت.

450 سكرتير الشؤون الخارجية والكونموالث لإنجلترا.

451 "يبدو لي إنه من المستحب كثيرا، إن اللورد هاليفاكس في الخطاب الذي سوف يلقيه هذا المساء، يستطيع أن يجد القرصة ليرسل للمسؤولين في الرايخ تنبها واضحا حول الموقف النهائي الموحد للحكومتين للقيام بواجهتهما بشا، مساعدة بولونيا، مهما كانت الوسائل المنحرفة التي تعتمد عليها ألمانيا وتستعملها في تحركاتها من أجل إحداث لبس يغطي أسلوبيها الواقعي لحركتها" من جورج بونيه إلى كوربين سفير فرنسا بلندن 29 جوان 1939 الكتاب الفرنسي الأصفر.

هتلر يونغ تجاوزوا الحدود في بوميرانى)، ومقابلة بونيه مع السفير الألماني بباريس.

السبت 9 مارس

أعود إلى غيوم. أريد أن أقول إنه ليس تبعا لأحداث خارجية تصرف بذلك الشكل تجاه شخصيته، لكن لأنه هو نفسه كلبية في موقف، والمواقف لا توجد إلا عن طريق انعكاسه بنفسه كلبية من خلالها. أريد أن أيتن أن إعاقته ليست عيبا جسديا فقط، بل موقفا ذا معنى. لقد سبق وبيئت كيف أتها تعني فسحات على الفرس واستعراضات وقبضات متشددة. أريد أن أيتن علاقة هذه الإعاقة الدالة مع السياسة الانقليزية لغيوم. يجب أن نمرّ أولا عبر العائلة. العامل مختلف تماما عن رعاياه هنا. غيوم هو حفيد الملكة فيكتوريا وحين تؤتبه هذه الأخيرة بسبب موقفه تجاه اللورد ساليسبري، نكتب: لم يحدث أبدا أن تحدث ملك بنبرة مثل هذه مع ملك آخر، وبشكل أقل مع جدته أيضا. علاقات السلطة بالنسبة إلى العامل علاقات عائلية أيضا. مع أنه لا يجب أن نتعامل بمفهوم العائلة بالمعنى الذي نتعامل به مع المواطنين العاديين. يمكن أن نقول إن العلاقات العائلية هي علاقات سلطة. رسالة فيكتوريا دالة. ما تؤاخذه على غيوم أولا، أنه أخطأ في تصرفه بين الملوك خلال الاحتفاليات. وحقيقة أن إحدى هذه الشخصيات الحاكمة هي جدة الآخر، تُقدّم إذن كظروف متشددة للمعاقبة. لا يمكنني مقارنة هذه الحادثة إلا بالاحترام الذي يطلبه مني ضباطنا: يجب أن أحترم عقيدي لأنه عقيد. وإن كان فوق ذلك كله شيئا في الخامسة والستين من عمره، لهذا الظرف الأخير دوره أيضا، لكن زيادة على ذلك هي مثل علامة فارقة لاحترامي. سوف أراني أسوء التصرف لو قلت له مثلا: أنا مدين لك باحترامي كعجوز طاعن في السن وليس كعقيد. ها هنا تفرد إذا- من خلال حادثة أن غيوم، إمبراطور يافع، يشعر عمه إدوارد الذي مازال وقتها مجرد وريث للعرش بشرفه خلال زيارته لفينا، اشترط الإمبراطور الشاب أن يتم استقباله وحده. رفض عرض إدوارد الذي أراد أن يستقبله في محطة فيينا بزيت بروسي رسمي، وأجبره على مغادرة فيينا لمدة أسبوع والسفر إلى المجر. رغم أن إدوارد يفوق غيوم بأكثر من عشرين سنة. تتدخل

العلاقات العائلية لتلّون العلاقات بين الملوك، تؤكّد بشكل ملموس أنّ الملوك أُنْداد؛ ولو أنّ هذه المساواة لا تقصي العزلة، لأنها مساواة مقدّسة. علاوة على ذلك فكُلّ اجتماع عائليّ يتّخذ دلالة عالمية وديبلوماسية. وتدلّ على تقارب، مثال ذلك عارضة الملكة فيكتوريا سنة 1899 زيارة حفيدها لها في عيد ميلادها الرابع والثمانين. في المحصّلة في الوجود -للحكم لكلّ يُعطى الوجود- للحكم للغير تحت غطاء للغير. وهذا الغير الذي يحكم يمتلك الرّابط الملموس ملكيّة وجود عائلته. وكما أنّ كلّ واحد في وجوده -للحكم بحقّ سبائقيّ هو الدّولة التي يحكمها، فعلاقات الملك مع بقية الممالك الأخرى هي علاقات عائلية. غيوم الثاني إنكليزيّ من جهة أمّه، لو كنّا نتحدّث عن مجرّد مواطن عاديّ. والحقيقة أنّ هذه الصّيغة إنّ متّت عاهلا فهي صادمة. فهو ليس إنكليزيّا لأنّه إمبراطور أولا. وبما أنّه إمبراطور فهو جزء من عائلة كبيرة ممّن يعيشون عزلتهم وحدهم، وكلّ عضو منهم هو بلد لوحده، وعلاقات بين كلّ عاهل ببقية البلدان الأخرى محدّدة بهذا الشّكل: إنهم ملموسون، فردانيّون، حسّاسون، عاطفيّون ومقدّسون. ها هنا قرابة دمويّة بين العاهل وبقية الأمم. يتضمّن الوجود -للحكم على ألمانيا لغيوم الثاني منذ الأصل الأوّل قرابة دمويّة غريبة مقدّسة وعاطفيّة مع أنقلترا مثلا. منذ الأصل الأوّل هناك جغرافيّة عائليّة مقدّسة عند غيوم الثاني، ممائلة لرائعتي بروست جانب من منازل سوان وجانب من غيرمانت وهو حقيقة فضاء هودولوجيّ [مصطلح استخدمه عالم النّفس كورت ليفين يعبر به عن الشّخص الذي يسيطر على ما يحيط به من خلال تفاعل شبكات التّواصل في تداخل اتّجاهاتها بداخله وقد استعمل سارتر هذا المصطلح بكثافة في كتابه المتخيّل] مقدّس وبدائيّ شبيه جدا بالعشائر الأسترالية. النمسا، روسيا، أنقلترا كلها وهات مقدّسة واتّجاهات متجانسة. لقد أكّد لودفيغ على هذا الطّابع المميز للعالم: قال الإمبراطور لجنرالاته في نفس اللحظة: «تريد روسيا احتلال بلغاريا، وتطلب منا البقاء على الحياد، غير أنّي أقسمت على الوفاء للملك النمسا وأجبت القيصر، إنّي لن أنخلّي إطلاقا عن النمسا... صداقة الإمبراطور للنمسا التي سوف تنتهي بتدمير ألمانيا، كانت قائمة على المنزل الإقطاعيّ لعائلة «هابسبورغ»، ولم يكن سوف يوافق إطلاقا

على كنفدرالية على غرار سويسرا، وليس أكثر لو شكّلت الدول الثماني للمملكة
 جمهورية اتحادية... صداقته لهابسبورغ وللسلطان كانت أقل من أن تكون ذات أولوية
 سياسية مقارنة بعواطف السلالة التي يسببها بقيم مع الأباطرة الاثنى عشر علاقات دائما.
 لم يكن لغيوم الثاني أي شعور صادق مثل هذه الفكرة المشؤومة وفاء أخوي: منح
 الإمبراطور هذه العاطفة ليس لشعب في جزء كبير منه ألماني ولكن لأمر مساو له.
 هذا هو السبب الذي من أجله كان الإمبراطور في صراع دائم بين فيينا
 وبيترسبورغ.

ذلك أن هذه الفكرة المشؤومة للوفاء الأخوي لم تكن شعورا: بل موقفا مُدركا
 أصلا في المشروع الحر للذات-نفسها في اتجاه الحكم. التوجه الفضائي معطى في
 الوجود-للحكم مثلما أن الوجود-للغير أصلي. ومن الطبيعي أن تقيم الجمهوريات
 في هذه الخريطة الجغرافية والسلالية مناطق محجوزة ومنعومة. سوف نرى الأصل
 العائلي للخوف والكرهية التي يحملها لهم الإمبراطور. لكن قبل كل كراهية، ففي
 مشروع الذات-نفسها في اتجاه الحكم؛ تُعطى الجمهوريات كمناطق مبنية منطقة
 محرمة. [سوف أواصل الكتابة بعد الغداء].

أقطع هنا لأدون محادثة بين ثلاثة قناصين يجلسون خلفي أحدهم قال: «لقد قال
 الضابط نبذة مهددة: سوف أمنحكم فرصة لتستردوا شرفكم، ثقوا بي. يا صاحبي لو
 عثرت على حفرة، كيف سوف أختبئ داخلها، لست في حاجة لاسترداد شرفي».
 شخص آخر: طبعاً لتسترد شرفك لا بد أنه قد تم بيعك: «أنا لم بيعني أحد».

لأول مرة يعجبني مونتييلان (المجلة الفرنسية الجديدة)⁽⁴⁵²⁾: مُذكّرة حول
 الأولمبيين: (اللعب هو الشكل الوحيد للحركة الذي يكون دفاعيًا، الشكل الوحيد
 الجدير بالإنسان لأنه ذكي وبناء في الوقت نفسه)⁽⁴⁵³⁾ وقد قيل هذا سابقاً: ليس
 الإنسان إنساناً بامتلاء إلا عندما يلعب (شيللر).

452 عدد مارس 1940.

453 في النص الأصلي: غريزي.

لماذا عليه أن يضيف بغباء إن هذا الشكل من الحركة هو الوحيد الذي يجب أخذه بجديّة؟ كيف لا يمكنه أن يفهم أنّ اللّعب بطبيعته يقضي فكرة الجدّيّة ذاتها؟ إن كان هناك بعض الوثام في حياتي، فذلك لأنني لم أكن أريد أن أعيش بجديّة إطلاقاً. لقد استطعت أن ألعب الكوميديا، عرفت التأثير والقلق والبهجة. لكنني، لم أعرف أبداً الجدّيّة. كلّ حياتي لم تكن سوى لعب، طويل أحياناً، منقر أحياناً، بطعم سيّئ - غير أنّه لعب وهذه الحرب بالنسبة إليّ لعب. ثمة ضرب من الحزم الواقعيّ، وهو أشبه ما يكون بكعكة كمثري، ومن حسن حظّي أنّي لا أعرفه. وجب في هذا المستوى أن أتوقف على تحديد الذات في صلتها باللّعب، فإذا كان اللّعب هو التحوّل السعيد للعرضيّ إلى اعتباريّ، فلم يعد تحمّل الذات لعباً؟⁽⁴⁵⁴⁾. تستولي عليّ في هذه اللّحظة حالة وجدانيّة شاقّة؛ هناك بيانو في إحدى زوايا المبيت، خلف الستائر السوداء، كان أحدهم يعزف عليه - يعزف بشكل جيد - نغمات جاز. يذكرني هذا في النور الحلبيّ الذي يغمر ليالي الصّيف، عازفي البيانو في كوليج - إيين، كنّا جالسين أنا وفاندا في البار. تنزاح ستارة المدخل من حين لآخر على ليل مستدير وأزرق، كما لو أنّها كرة أرضية، يعمتها السّلام.

استلمت رسالة من أدريان مونييه⁽⁴⁵⁵⁾ كتبت لي فيها: لقد تغيّر توقيعك قليلاً. أصبحت ج. ب. شيئاً ما يدعو للاستغراب شيء ما... هوائي - إنّه تأثير الإرساد الجويّ! عجزت أن لا أندesh. رأيت في ذلك علامة على التّغيرات التي أعمل جاهداً من أجل حدوثها لي علامة ووعداً.

كم أنا مغتاظ لأنني لست شاعراً، لأنني ملت بثقل نحو التّشر. أريد أن أمتلك القدرة على ابتكار قصائد من هذه الأشياء الملتزمة والعبيّة، قصائد شبيهة ببأخرة في قارورة قصائد تكون مثل أبدية اللّحظة، غير أنّ بداخلي شيئاً كسيحاً، رصانة مكتومة، نهكاً تعلّمته لمدة طويلة، ثمّ هناك سوء الحظّ أيضاً؛ لم تجد مشاعري لغة، إنّي أحسّها،

454 بخصوص اللعب وذهنية الجدية الجزء الرابع الفصل الثاني "عمل وامتلاك" الوجود والعدم

455 مديرة "دار أصدقاء الكتاب" مكتبة شهيرة توجد بشارع الأوديون كان سارتر كثيراً ما يرتادها مثله مثل بقية الكتاب

أقدم أصبعا محتشمة وما أن ألمسها، أحولها إلى نثر. يخونني اختيار الكلمات. حين أبدأ، حين أعر على جملة شعرية، تسلل إليها كلمة وتمزقها، كلمة حادة جدًا، صريحة جدًا، حركة الجملة خطائية، تدور - وحين أريد إيقافها، تثقل، وتجمد، وتبجح. لا أعرف ما الذي يجب أن أفعله. ربما أتخذ من الإيقاعات المضبوطة سندًا. أو بالأحرى لا أعرف الشيء الكثير: عليّ أن أصمت. أقول كل هذا وأنا أقرأ هذه الأبيات، لا أعرف لمن ربها هي لأراغون - أعيد كتابتها هنا لأنها جميلة وتميّت أن أكتب مثلها - : رد فعل فوري، لن أنسخها، فهي تضايقني الآن، ليست نقيّة تمامًا. أحب أكثر هاتين البيتين المستلين من أغنية على ما يبدو:

مكتبة

t.me/soramnqraa

هناك حصى على كل الطرقات

على كل الطرقات هناك شجن... (456)

الأحد 10 مارس

رسالة من دي بوان (457) إلى بايات (458) حول الوفرة:

456 أو بالأحرى أشجان من أغنية مارشة عسكرية معروفة. تستعملها حركات الشباب ومشاة الجندية من خلال إلزا تروليب و التي هو بصدد قراءة ما كتبت في عدد مارس الأخير من المجلة الفرنسية الجديدة "ذكريات حرب 1939 الجزء الثالث" وقد ذكر سارتر البيت الأول والثاني وهما لازمة القصيدة أما بالنسبة إلى الأبيات التي أوشك أن يعيد كتابتها، فهي الأبيات الأخيرة من قصيدة لأراغون مجيدا والتي ذكرتهما إلزا "العشاق المنفصلون"

سوف تبدو هذه اللازمة تراديرديرا [أغنية مشهورة زمن الحرب Traderidera لكن ربما حين يوشوش ذات يوم بالكلمات

ويمتلكها هذا القلب المنكسر هذا القلب الساذج سوف تكون نسيم

عالم بديع أت وحدك تعرقينه

فإذا أشرقت الشمس وارتجف القلب

فذلك لأنه من دون حق ن أو من بالربيع

فقد قلت منذ الخريف تراديرديرا مثل شخص ما .

غصة عليمار 1940.

(32) ورد هذا النص في "صفحات محايدة" للكاتب السويسري راميز المجلة الفرنسية الحديثة

مارس 1940

لا تبطئ الحرب إيقاع التطور التقني، بل تزيد في سرعة نسقه. يوجد في العالم 25 مليون مجند: متوجههم صفر. وهناك أيضا 75 مليون رجل يصنعون أسلحة وذخائر، وإذا كان إنتاجهم يهتأ من زاوية نظر مخصوصة، وضروريا إلى حد ما، فإنه عديم الفائدة. ثمة في المجموع 100 مليون رجل خارج الإنتاج المفيد، لكنهم يعيشون من عمل الآخرين. فهؤلاء يستجدون بتقنيات أشد قوة وصلابة لتعويض نقصهم العددي.

ما يهمني في هذا النص: هو الحرب بوصفها ظاهرة عالمية: 100 مليون رجل خارج دائرة العمل الناجع، منهم 25 مليون رجل مُدمرين. في قرابة مع هذه الملاحظة لراميز (المجلة الفرنسية الحديثة عدد مارس): لاتناسق: هناك تفاوت كبير بين أن نفعل وأن نخرب، أن نبني وأن ندمر. يجب أن نفهم ذلك من خلال معرفة الوقت الذي يأخذه الإنسان ليشيد شيئا ما، والوقت الذي يستغرقه ليمحو ذلك الشيء. يتطلب تشييد منزل فريقا كاملا من البنائين لمدة أسبوع أو أشهر، وتكفي لحظة واحدة لنسفه وجعله ركاما. ولو كان للطبيعة أن تماثل هذا الأمر لما تأخرت، سواء تعلق الأمر بعنصر منها كالجبال، تبتيها وتدمرها، أو ما تعلق بالإنسان، تبنيه ببطء، ولكن عادة ما لا تدمره إلا شيئا فشيئا⁴⁵⁷.

قريبا؛ سيتم استدعاؤنا إلى الخلف. كتب القائد مونييه للعقيد ويسينبرغ يشير له أننا زائدون، وعليه أن يجرّدنا من أسلحتنا، وهو ما ردّ عليه ويسينبرغ قائلا: من المستحيل استعادة البنادق، لكنني سوف أستعيد الرجال. سوف يجدون هذه البنادق الصغيرة غير الصالحة للاستعمال، رجالا يناسبونها، شبابا في الخدمة. بالنسبة إلينا نحن، أين سنذهب؟ إن كان إلى تور- أو إلى أيّ مركز آخر من نفس النوع- فسوف يسعدني

457 اقتصادي ومنظر للفراه من أهم ما كتب المناوبة الكبيرة للآلة عن الرجال (1933) في الطريق باتجاه الوفرة.

458 أستاذ وناشر (1880-1960) سوف يتولى ألبير بايات فيديريالية الإعلام السري تحت الاحتلال

459 ورد هذا النص في "صفحات محايد" للكاتب السويسري راميز المجلة الفرنسية الحديثة مارس 1940

ذلك، يمكنني الذهاب متى شئت إلى باريس كما يمكنني استدعاء أصدقائي من هناك. غير أنني أتساءل إن كنت سوف أحافظ على الكتابة في هذه الدفاتر، التي تزيد من حدة عزلي هنا، وتحدث قطيعة بين حياتي الماضية والراهنة. طالما مازلت على خط النار، على بعد 10 كيلومترات من المراكز المتقدمة، فأنا معرض للقصف، وربما، وجب وضع نقطة نهاية لإعادة النظر هذه حين أكون في الخلف، وإعادة البناء مجددا: الانتهاء من روايتي-كتاب فلسفة العدم. هنا أيضا، وأنا أرى كل يوم قناصين، ضباطا، إلخ.. عائدين من المراكز المتقدمة، أجدي مورطا في الحرب. هل سأكون كذلك في الخلف؟ وهل يستحق الأمر كتابة تفاهات دون أي أهمية؟ وإن واصلت كتابة هذه اليوميات سوف يكون ذلك لبعض الفترات فقط. في جميع الأحوال، يستوجب الأمر انتظار شهرين آخرين للعودة إلى الداخل. إني مبتهج لأن شيئا ما قد انتهى: فترتي الأولى في الحرب.

أعود لغيوم. دونت علاقاته العائلية الغريبة التي تميز العاهل. لكن ما هو أهم في حالة غيوم، أن أنقلترا كانت في منزله. أمه انكليزية متعصبة. وأنقلترا هي أمه قبل كل شيء. لكن هذه الأم تحقره وتكرهه لأنه معاق. فيكتوريا الطموحة، ابنة الملكة العظمى لأنقلترا من زوجها المهذب، لن تغفر لابنها إطلاقا أنه معاق... وهي فضلا عن ذلك، تعتبر دم زوجها أقل أصالة من دم أبيها، كان قلبها مليئا بالغيظ على هذا الطفل المسخ، ابنها البكر، وكانت تفضل إخوته عليه. إهانات الطفولة. إهانات إنكليزية، فهذا الطفل تربى على الطريقة الإنكليزية ويكره التربية الإنكليزية. ورغم ذلك يظل تحت نفوذ التعجرف الإنكليزي، عقدة نقصه هي تجاه إنقلترا. غير أنه عثر في فرادة وجوده-للحكم شكلا من أشكال الانتقام. فأبوه فريدريك غيوم يحتضر في ظل العرش، ليس ملكا، ولن يكون كذلك أبدا، على الأقل ليس لوقت طويل؛ فولي العهد الحقيقي هو غيوم. لقد فهم نفسه كما هو، فهو لم يعد وريث الأب، والتاج سيمر من الجد إلى الحفيد، لا يضع نفسه في محل متلق حق في الحكم من الأب؛ ففي داخله شكل من أشكال التجايل العفوي للحق الساموي الذي هو بلا جذور. ألقى بنفسه في الحكم ضد والديه. من الواضح جدا أن هذه الضد ملتبسة: يريد أن يسيطر

عليهم وفي الوقت نفسه يتنزع منهم إعجابهم به. وهو ما يسم وجوده-للحكم منذ البداية بأسلوب حاد، محير غير مضمون. هذا الحق السماوي هو انتقام. سوف يحكم ضد هذا الأب وهذه الأم اللذين لم يتمكنوا من بلوغ العرش أو لن يتمكنوا من الحصول عليه إلا بالركض. حكمه مخالف للتقاليد، وهو الوافد الجديد على العرش، رغم أنه يحكم وفق الحق السماوي. في وجود غيوم هناك الوجود-للحكم كوافد جديد للحق السماوي. لكن وفق هذا الأمر هو-للحكم-شابا. كتب لودفيغ أنه من المؤسف جدا بالنسبة إليه أن يتولى العرش وهو في الثلاثين من عمره، قبل النضج. غير أنه قضى وقتا لا بأس به يتهيا للحكم شابا. هذا التتويج السابق لأوانه لم يكن حدثا مفاجئا. إنه موقف معيش مسبقا ومنذ زمن طويل وهو موقف بناء لوجود غيوم نفسه، وقد اكتشفه شيئا فشيئا منذ مراهقته. إنها إمكانيته الذاتية التي يعيشها منذ خمسة عشر عاما وها هو في النهاية يحققها. وهل كان ذلك سوف يحدث لو أن فريدريك-غيوم عوض أن يقتله، يشفيه طبيب ألماني؟ لا أعرف. لكن في جميع الأحوال، فهذه الهيئة الجديدة لغيوم يكون محكوما عليه أن يظل لوقت طويل وليا للعهد، وهو ما يجعل هذه الهيئة ضمن المكونات الأساسية للإمكانية المحسوسة أن يتولى غيوم مقاليد الحكم وهو شاب، والتي ظلت على الأقل إمكانيته الذاتية. لقد جعل من نفسه ملكا طبقا للحق السماوي، جعل من نفسه شابا ملكا قبل زمن طويل من أن يصبح كذلك بالفعل. ملك ضد أبيه، ضد أمه، ضد أنقلازا، وفي الوقت نفسه، بضربة واحدة من تلقاء نفسه، قبل أن يفهم كل شيء ضد الأفكار الليبرالية التي حاولت أمه أن ترسخها في أبيه. وشيئا فشيئا أصبح منيعا بقدر ما يحاول والداه أن يجعلوا منه ليبراليا. بكاسيل (وعمره وقتها إثنتي عشرة سنة) تأكد وقتها أنه الإمبراطور القادم. هذه الكراهية لليبرالية والتي سوف تترجم فيما بعد بالحكم-ضد-الليبرالية. كله كتلة كراهية تجاه أنقلازا ورفض البحث عن اللجوء إلى الحياة الذهنية ضد هذه الإعاقة، الحتمية الأصلية للحكم على الطريقة البروسية.

نفهم كيف أن العرش والإعاقة مرتبطين في مشروع الذات الذي يعود من العرش إلى الإعاقة ويحدد الوجود-للحكم علامة فارقة انطلاقا من الإعاقة. نفهم أنه لا

عرش، لا تتويج سابق لأوانه، لا عائلة، لا تشوّه، هي أحداث عرضيّة، لا يمكن أن تكون شيئاً آخر وتؤثر من الخارج على غيوم أو أنه يمكننا تصوّر غيوم مختلفاً رغم كلّ تماثل في داخله إن كانت هناك أحداث أخرى أثّرت عليه. في الحقيقة من المستحيل تصوّر غيوم آخر إلاّ ذلك الذي انطلق من خلال هذا الموقف، وهو مشروع حرّ لنفسه في هذا الموقف. ليس سلوكه شيئاً ما ووجوده-للحكم شيئاً آخر مختلفاً، ليس مزاجه شيئاً وإعاقته شيئاً آخر.. هناك كلّية بشرية حرّة هي لا شيء في حدّ ذاتها، في محايثة تقريبيّة هي بكلّها ضمن مشروعه.. وبهذا المعنى يمكننا أن نقول عن حكم الوجود-للحكم ليس -كما يقول هايدجير عن العالم- ليس موضوعياً وليس ذاتياً: ليس ذاتياً: فهو ليس ملكيّة داخلية لغيوم، شيء ما سيكون في حياته الدّاخلية كصفة- ليس موضوعياً: ليس حدثاً خارجياً لأنّ الوجود-للحكم وحدة وأنّ يحكم لا يمكن أن تنفصل عن الوجود-للحكم. بلغة أخرى ليس غيوم سوى الطريقة التي يضع بها نفسه في التاريخ. ونرى أنّه في وحدة وضع نفسه في التاريخ هناك طبقات معاني شديدة الاختلاف مترابطة. فالحكم يكشف الإعاقّة التي تخبر بدورها عن دور العائلة، دور أنفلقتر، دور معارضة الليبرالية وعسكريّة بروسيا. لا يتعلّق الأمر بشيء واحد فقط، بل بمواقف تأخذ صبغة تراثيّة بدرجات متفاوتة حسب وحدة نفس المشروع الأصليّ (تجديد إطار أصبح متقادماً جدّاً - بما أنّه معاصر للجدّد - وهذا في حدّ ذاته ثورة. لو كان الأب هو الذي يحكم فسيكون نموّاً بطيئاً. ولأنّ الأمير يدرك جيّداً أنّه الوافد الجديد طبق الحقّ السّماويّ، فهذه الثّورة هي عند قمة مشروعه مهما كانت تنوّعات موقفه تجاه بيسمارك) كيف يمكن فهم موقف الأمير من البروليتاريا (حقّد وخوف من الاشتراكيّ-الدّيمقراطيّ، محاولة لكسب العمّال) في سياق المشروع الأوّل، بما هو مشروع الدّات في العالم والسياسة المتغيرة والهشّة للأمير تجاه أنفلقتر، تجاه روسيا، تجاه البروليتاريا، ليس كلّ هذا مؤثراً على سلوك غيوم الثّاني ولكنّه يضع نفسه تاريخيّاً في العالم. يبدو كلّ هذا مجانياً للصواب لو أخذنا بعين الاعتبار التحليلات السّابقة، ويجب بالطبع-وهي عشرة خطيرة في هذه المقالة- معالجة الميولات اللّوطينيّة عند غيوم ورؤية إن كا يمكن أن تكون مُدرّكة في وحدة المشروع

الأول وعلاقتها التراتبية مع الوجود- للحكم. ما معنى ملك لواطى- ما معنى ملك روسي لواطى؟ ولئن لم أعالجها فليست غلطني: ذلك أن لودفيغ غامض ومتكتم جدًا بخصوص هذا الأمر. ما أردت فقط أن أبينه هو أن الطريقة التاريخية والأفكار النفسانية المسبقة التي تتحكم فيه - وليس بنية الأشياء- هي التي تنتج تجزئة عوامل التاريخ إلى طبقات دالة متوزاة يمحى هذا التوازي إن عاجلنا الشخصية التاريخية انطلاقاً من وحدة وضعه لنفسه في التاريخ. غير أنني اعترف أنني قد أكون بينت أنه غير صالح في هذه الحال حيث الدراسة التاريخية هي دراسة أحادية تُظهر الفرد بوصفه حرفياً لمصيره الشخصي. يبقى أنه يترك أثراً على الآخرين. سوف أحاول في الأيام القادمة - إن أتاح لي ذلك كتاب لودفيغ- أن أفكر في مسؤولية غيوم الثاني خلال حرب 1914.

رأيت سين، نائب وكالة هافاس. شخص ضخم جميل بشعر أبيض، كان سيثبه غاري كوبر لو لم يكن لدينا شيئاً ما. كان كعادته على مسافة من الآخرين، إذ لم يكن محبوباً. تكشف ملامحه بوقاحة أنه من جوهر مختلف، يتنازل أحياناً ليكلمني أو يمسّ يدي، ويبحث عني -لأن خمولي وقلة وُدِّي للذكور يجعلانني لا ألقى عليه التحيّة حين يعترضني متظاهراً أنني لم أراه؛ يأتييني بفتور زورق شراعي. من جهتي أشعر بشيء من التساهل معه لأنه جميل. لو كان بشعاً لما احتملته. لقد سبق وفُسر وفوق أي آلية يتم الأمر معي. بل هو الذي كنت قد أشرت إليه سابقاً في أحد دفاتري قائلاً إنني أشعر بنفسي منجذباً إليه بشكل غامض بسبب جماله. هي دائماً نفس الرغبة عندي لأخضع للجمال أينما كان، خشية أن يتركبني، فهي رغبة في امتلاكه عن طريق شخص وسيط. لكن حين يتعلّق بذكر فالأمر لا يذهب بعيداً. لا يبدو شخصاً ساذجاً، إلا إن كان يظهر بمظهر برّاق، عكس ما يضمّر، وهو يفخر بأنّه مجاز في الآداب. في ذلك اليوم كنّا في دار الإقامة وناداني بصوت مرتفع ليظهر لي بإهمال متصنّع عدداً من مجلّة ماتش ملقى على إحدى الطاؤولات شبه ممزّق وهو يقول لي: أنا هنا، نظرت في صورة يظهر فيها مدير وكالة هافاس ومساعدوه، ومن بينهم هو. فخم في بدلة سوداء برقبة صلبة، منحنية شيئاً ما نحو المدير. أعجبتني سذاجته. كان يلبس

زياً مدنياً وفي عالم مدنيٍّ مَيّت حيث وجد مكانه؛ لم يرد أن يكفي بغبطته مفرداً، بل أراد تسريبها إلى شخص آخر. على طريقة الكاستور شيئا ما التي سوف تصاب بالهلع إن ماتت ولا يوجد شخص حذوها ليؤكد ذلك. فلن يكون الانبعاث من ماضيه كلياً، إن لم يكن هناك شاهد على ذلك.

كنت جالسا اليوم في دار الإقامة على كرسيٍّ قرب آلة التدفئة بينما كان الجنود منهمكين في تغطية النوافذ استعدادا لحصة السّينما. كانت الساعة تشير إلى الواحدة بعد الزّوال. في الخارج الشّمس مشرقة، وغبش شبه ذهبيّ داخل القاعة الكبيرة المقفلة. جوّ ما قبل العرض، وكنت جذلان، ولو أنّي كنت قد قرّرت مغادرة المكان قبل بدء العرض. لم أكن أريد مشاهدة عصفور نادر⁽⁴⁶⁰⁾ ولا حتّى وثائقاً حول خطّ ماجينو. لكن في هذا الدّخان المظلم والذهبيّ، ظلّ هناك شيء ما قائما، يشبه التذكّر الغامض لتلك المساءات في فصل الرّبيع (مساءات أيام الأحاد مثل هذه الأمسية) التي كنّا نقضيها أنا والكاستور منذ ستّ أو سبع سنوات في قاعة سينما إيرسيلين، رطبة ومظلمة، مدرّكين جيّدا لشُبوب الشمس الهابط بالخارج؛ كما يقول سان جون برس، لم تكن الشّمس مُعيّنة لكنّ حضورها كان بيننا⁽⁴⁶¹⁾. كنت أقرأ، مفكّرا في مفهوم الموقف، كنت قد أمسكت بفكرة ولكنّ تدخّل سين، جعلني أضيّعها. سوف أعثر عليها مجدّدا من خلال الكلام المعاد. نحن نفكّر دائما من خلال الكلام المعاد، فكرة منسيّة لن تضيع أبدا: لا نجدها حين نبحث عنها لكن سوف تأتي فكرة أخرى، جديدة تماما - لكنّها هي نفسها.

رأيت من يجرّ نفسه ناحيتي وتظاهرت أنّي لم أره، خفضت رأسي وفي النهاية لمحت جزمته قدامي. تبادلنا التّحية في لامبالاة مدروسة. باح لي بسرّ روحه المريرة: يبدو أنّك سترحل إذن؟ - نعم، - أنا أفضل البقاء هنا، إن كان لابدّ من ممارسة الغباء

460 حسب رسالة إلى الكاستور بتاريخ ذلك اليوم شاهد سارتر في نهاية الأمر جزءا من هذه الكوميديا من إخراج رنشار بونتييه (1935) سيناريو وحوار جاك بريفارمن تمثيل ماكس دايرلي. بيار براسور ومونيك رولان

461. "والشمس لم تكن قط مُعيّنة لكن قوتها كانت بيننا" في أناباز 1924

فالأفضل أن أمارسه هنا - نعم. إننا أكثر حرّية. لكن تذكّر الصعوبات التي لاقيتها من أجل استقدام زوجتك، لو كنت بالخلف لاستطعت التصرف مع عائلتك. هو بنبرة جافّة: ليست العائلة كلّ شيء. هناك دائماً ما يشبه التّداعي السّريّ في قلب هذه الجمل القاسية. شرع الجنود في الدّخول إلى القاعة والجلوس. صوت ارتطام كراسي. يتابع حديثه دون أن ينظر ناحيتي، كان يقف على جنب ورأيت ذقنه: لا أريد أن أفعل أيّ شيء، غسلت يدي من كلّ شيء، إن كانت السلطات العسكريّة في حاجة إلى مجاز في الآداب لإيقاد آلات التّدفئة، فلتحمّل المسؤولية، فأنا لن أتحرك - قلت: حسناً، لكن كان يمكن أن تستدعيك وكالة هافاس في مهمّة خاصّة. إنّه الشّخص الوحيد هنا الذي أتحدّث معه بضمير الجمع وهو يعاملني بالمثل. في الأوّل كنت أحدّثه بضمير المخاطب المفرد، لكن طالما يصّر على مناداتي بالجمع، تراجعت وعاملته بالمثل قال: «نعم» واستدرك بسرعة: «لم يعد لهافاس نائب مدير». سكّت قليلاً ثمّ أضاف بجفاف: هم يعرفون إن كانوا في حاجة إلّي. أمّا أنا فلن أعاذر مكاني... أن أتابع دروساً لأصبح ضابطاً... أمّا أن أعبر إلى الجهة الأخرى من السّياج... فلا. ها هو ذا إذن: سوف أظلّ في البروليتاريا الجنديّة حيث وضعوني. باختصار يبدي استياءه وهذا هو لبّ المسألة عنده: كان يرغب في أن يحصل على نقلة خاصّة أو تتمّ ترقّيته إلى رتبة ملازم يقدمونها على طبق من فضّة، يقترب بعد قليل هانتزيغر بوجهه الشّبيه في شكله بالكمشري وبعينيه المحمّرتين بلا أهداب وهي تطرف، وقال وهو يوشوش في نبرة ترج يستخدمها عادة لطلب خدمة ما: «إن ذهبت إلى هافاس في رخصة اجلب لي جريدة أنقليزيّة أو كنديّة يا سين». - ردّ سين بالنّبرة الكثيبة نفسها: لا أعرف إن كنت سوف أعود إلى هافاس. حينما نشغل في عمل لا يجب أن نعود إليه مجدّداً. نصبح مصدر ضيق. فهناك جمع كبير من الموظّفين الجدد، ونحن وراءهم كامل اليوم، هذا ما يعرفون أن يقولوه لنا، قال هانتزيغر - «إنّه لأمر محزن بالفعل انظر، كلّ هؤلاء الجدد الذين أخذوا أماكننا، إذا حلّت السّلم كيف سيتمّ التخلّص منهم إذن؟» احتدّ مزاج سين السيّ والكثيب: لا تشغل بالك. سوف يقومون بعملية التّفرغ ويكنسون كلّ هذا. فالرّجال الذين سيعودون من الحرب لن يكونوا في حالة مرح وطنيّة غيّبة مثلها

جنود 1914. سوف يعودون بنية الدفاع عن أنفسهم: لقد طال اعتبارهم لنا كحمقى، سوف نكسر لهم عن أنيابنا. سوف يكون ذلك من السهل جداً لو كانوا متضامنين بقوة معا. ليس مثل أولئك المحاربين القدامى الذين يقدمون استعراضات تحت سيرك دي تريومف. بل: تضامن المطالبة. ولو ظهرت مجموعة لتنظيم مثل هذا سوف نرى الجديد.

أدّون هنا قذارة صغيرة غريبة، تعودت عليها وأعرف مصدرها. تابعة للتصور: هبة غير مقدرة ورد الاعتبار. لقد تحدثت عن أهمية هذا التصور الذي يحملني في صباي، إلى أحلام ذات طابع مازوشي- لكن ليس مازوشياً بأنتم معنى الكلمة. لقد سكبت بعض الدموع على غريزيليديس⁽⁴⁶²⁾ واليوم أنا أيضاً مندهش بكورديليا، ابنة الملك لير. أولاً، ها هنا خطأ قانوني أو آخر - وكارثة أن يتحمل الشخص بشرف وفي صمت. ومن هنا يأتي التعظيم الذي يلد من تحليه ومن صمته. لهذا فإن السقطة الأشدّ هو أن لا تحمل في داخلها مكافأتها. ليس للتجربة أي شيء من المسيحية لأنه ليس من إله يقوم بتنسيب السعادة النهائية حسب الآلام المحتملة: فهذا يأتي من تلقاء نفسه. المكافأة هي الاكتمال الطبيعي للتجربة. أما عن توحيدي خلال التجربة فهو متميز جداً، وبالأساس هو قريب جداً من استياء سين.. على سبيل المثال. لن ندافع، ننسحب - تماماً بهذا الشكل. لقد دوتتها سابقاً هنا ومدارها أن أجعل بيني وبين بقية الرجال مسافة: وسوف يكون أول مبرر يخطر على بالي جيداً لأنزوي جانبا؛ هي ذي كبريائي دائماً. ولكي أنتهي من الأمر أنتظر أن يبادروا بالمجيء، لقد انتظرت كامل حياتي مجيئهم، لم يحدث لي أن قمت بالخطوة الأولى، أريد دائماً أن أكون محلّ توسّل. كنت في الرابعة عشرة من عمري وحدث أن مررت بجانب مجموعة من الرفاق متظاهراً أنني لم أراهم متظراً أن يدعوني إليهم. من سوء الحظ اخترت الوقت الخطأ

462. غريزيليديس البطلة الشهيرة لقصة بوكاس كانت مادة موضوع لعديد القصص والمسرحيات والعنايات إلج. والمؤكد إن سارتر وهو صبي قد قرأ نسخة شارل بيرو للحكاية والتي عنوانها الماركيز دي صاليساو صبر غريزيليديس. "ما يعجبني في هذه القصة غير المنصوح بها كثيراً، هو سادية الضحية وهذه الفصلية العنيدة التي تنتهي بإلقاء الزوج الجلاد على قدميه" الكلمات 1964

فلقد كنت بالنسبة إليهم ضحية بلا أهمية؛ وكانت النتيجة أنهم لم يدعوني إليهم. قمت بدورة سريعة للعودة ناحيتهم، حتى أمنحهم فرصة ثانية. وكررت الفعل مرارا، إلى أن قال لي أحدهم: «أيها الغبي، ما الذي يجعلك تدور من حولنا لأكثر من ثلاثة أرباع الساعة؟»، ولم أستبعد حينها أن أتعرض لأذاهم، أو أن يذهب بهم الأمر إلى الإجهاز عليّ. لم تكن هذه العزلة نقيّة: يرحل بطل أوهامي ليس هربا من أناس نهائيا، لكن بقناعة أنّ الناس سوف تحزّ نفسها إليه وتحشو عند قدميه ذات يوم. كبرياء، عزلة مزيفة، تفاؤل، من الغريب أنّ كلّ هذا يوجد في أحلامي الصّيبانية. واعتقادا منّي أنّي ذو هبة، كنت أنتظر المكافأة دائما. لقد ترسّخ الأمر في ذاكرتي، أريد أن أقول إنّني قد عرفت بالعين الثابتة نوعا من الألم القاسي الذي هو نسيان الذات، وهو أمر غير سهل إطلاقا. وهذا ما أحترمه الأكثر. غير أنّه كان هناك دائما ملاك ينحني على بعض أحزاني. يترأى لي أنّ خطوة من القدر سوف تجعل أجل مكافأة تلد من هذا الحزن ذاته: لكلّ حزن حلّ ما لعقدته الخاصّة. وبالأساس بدت لي الحرب سريعة جدًا من خلال هذا التّصوّر. سنوات التّجارب والهبة، التي سوف أكافأ من خلالها بتجدد آخر وشباب آخر. ليس أنا من يعتقد في مشاقّ الحرب، وآلام الحبّ الضائعة. هذا ما أردت أن أصل إليه بالأمس مكتبا تماما، لأنني لست شاعرا، شرعت في كتابة أنّني مكتئب في هذا الدّفق. وكان هناك جناح ملاك يداعب هذا الاكتئاب، يحمل هذا الاكتئاب في طيّاته الأمل المغلف إلى درجة أنّ الفقرة ذاتها حيث أكتب حزني لأنني لست شاعرا، وبمكافأة عفوية بزغت من بين أصابعي أجل الجمّل الثريّة، دون أن أنتبه لذلك، بعد لحظات قليلة وأنا أعيد قراءة هذه الشّكوى السّخيفة والمتواضعة، اكتشفت بدهشة عجيبة أنّني ابتكرت بشري أجل الأشياء، الباخرة في القارورة التي طلبتها عبثا من الشّعور، لا أستطيع أن أقول إنّ هذا الأمل الدّني هو الدّافع الذي جعلني أكتب. لا، الحمد لله. لكنّه يُلَوّن كتابتي. وما أدراني إن كنت سوف أنتبه لذلك. في جميع الحالات ها إنّنا نرى التّصوّر: أن يقع أحدهم في قاع اليأس لأنّه ليس موسيقارا، إنّما يظهر وجعه، ووجعه هو بالضبط موسيقى، يبدو أنّ هذا التّشكيّ اللفظ والبريء هو أجل الهارمونيّات.

أردت نسخ فقرة من يوميات أندريه جيد حول قليل من الواقعية⁽⁴⁶³⁾، ولقد أخطأت أنني لم أفعل ذلك. يفسّر لروجي مارتن ديغارد أنه ينقصه معنى ما للواقعي وأن الأحداث المهمة جدًا تبدو له تافهة⁽⁴⁶⁴⁾ أنا هكذا ودنبا شك من هنا يأتي طيشي. لمدة طويلة شككت إن لم يكن هذا سلوكا مميزا عند بعض الناس أنا واحد منهم، أو إن لم يكن كل واحد ليس بهذا السلوك، إن لم تكن الواقعية مثالية يستحيل الشعور بها وتوضع في اللانهائي. وحتى اليوم لا أعرف عن ذلك الشيء الكثير غير أنني أؤكد أن أندريه جيد، كان، شأنه في ذلك شأن البورجوازيين الكبار، وأنا باعتباري موظفا، من عائلة موظفين، لم تكن مهيتين لاتخاذ الواقعي كديكور. في نهاية المطاف لم يصبني كما جيد، ما يتعذر ترميمه، لم أستشعر ذلك إلا عندما شارفت على الجنون، أو كذلك بدا لي. في تلك اللحظة اكتشفت أنه من الممكن أن يحدث لي كل شيء. شعور ثمين جدًا وضروري للأصالة، وأجهد نفسي كثيرا للمحافظة عليه بقدر ما أستطيع. غير أنه غير ثابت، إلا في المصائب الكبرى أو في حالة تركيز مخصوصة قصد استبقائه في الذات، وفي ذلك الجنون المزعوم، يخنق ضميري المطلق، وأجدي مضطرا لانتشال النفس من ذاك القلق، بالاندراج خلال قدرتي، في وعي سام، مطلق، أحقق من خلاله ذاتي، وفراحتي. يمكن للشيء أن يمحي، ولا يمس ذلك الوعي في شيء. أما شخصي فلم يكن أكثر من تجسيد انتقالي لهذا الوعي، ومن رابط يشده إلى العالم مثل منطاد مقيد. إن كان مصدر هذا الموقف التأملي وظيفتي التأملية كحارس للثقافة في قلب المجتمع، كما صرح بذلك دون مواربة أحد الماركسيين، أو أنه يمثل مشروعا أوليا لوجودي (وبالتأكيد سوف نعر بدخله على الكبرياء، الحرية، الانفصال عن ذاتي نفسها، الرواقية التأملية والتفأولية، أي كل ما يشكل مشروعَي الأول) وهو ما لا

463 من المؤكد إن سارتر أخذ هذه الكلمة من أندريه بروتون الذي كتب مقدمة لخطاب حول القليل

من الواقعية 1927

464 "افتقد للشعور بالواقعية. يترأى لي إننا نتحرك كلنا في فسحة فانتاستيكية" يوميات أندريه

جيد 20 ديسمبر 1924.

أريد أن أقرّ به هنا. من المؤكّد أنّ هذه الطّريقة في لجوئي إلى أعلى البرج، حين تتّم مهاجمة ما هو أسفل، ومتابعة ما يحدث في الأسفل من الأعلى، دون أن أحرك أهدابي، بعينين كبيرتين من الخوف، ذلك هو الموقف الذي اتّخذته في 1938-1939 أمام التّهديدات الحربيّة. هذا الموقف نفسه هو ما أوحى لي كتابة مقالة تسامي الذات، أين وضعت بكلّ بساطة الآنّا عند باب الوعي، مثل زائر خفيّ. لم يكن عندي مع نفسي ذاتها هذه الحميميّة المداعبة الّتي تشير أنّ هناك التّحامات، كما يقال في الطّب، من الآنّا إلى الوعي، ونخشى إن حاولنا انتزاعها أن نمزّقها. لقد كان في الخارج، أو أنّي كنت أنظر إليه من خلال زجاج النّافذة بكلّ هدوء، بكلّ قسوة. بل إنّني لزمّن طويل اعتقدت أن ليس في إمكاننا مصالحة وجود سلوك ما مع حرّية الوعي؛ كنت أفكر أنّ السّلوّك ليس شيئاً آخر سوى باقة حكم معنوية أكثر منها جسديّة، حيث يمكن للجار أن يلخّص تجربته من خلالنا. ظلّ الوعي -الملجأ كما هو بلا لون بلا رائحة ولا طعم. في هذه السّنة فقط بمناسبة الحرب فهمت الحقيقة: لا يجب خلط السّلوّك بكلّ حكم -قائمتين الأخلاقيّين إنّّه غضوب، إنّّه كسول، إلخ، لكنّه المشروع الأوّل والحرّ لوجودنا في العالم. لقد حاولت أن أبيّنه بالنّسبة إلى غيوم الثّاني. باختصار وجود الوعي -الملجأ يسمح لي أن أقرّر على هواي درجة الجديّة الّتي تستوجب الانتباه إلى موقف؛ كنت مثل ذلك الّذي وجد نفسه في أنعس المغامرات لا يحسّ كثيراً، لأنّه اكتسب مناعة ضدّ كلّ أذى. وتحضّرني في هذا الصّدّد، شخصيّة في رواية الوضع البشريّ، تدعى كتاو⁽⁴⁶⁵⁾ تستمدّ قوّتها من وضع السّم لأصدقائها. يترأى لي أنّه آنيّة فلا شيء يشدّه خارج العالم، فهو في الدّاخل بامتلاء، حرّ وبلا أيّ إمكانيّة للدّفاع عن نفسه، العبور من الحرّية المطلقة نحو حرّية مجرّدة من السّلاح وبشريّة، رفض السّم، كلّ هذا حدث خلال هذه السّنة بضربة واحدة، أتصوّر الآن مستقبلي باعتباره منتهيا. وتدرّبي الجديد يتمثّل بالتّدقيق في الشّعور أنّي في الخصم بلا أيّ دفاع. إنّها، الحرب وهايدجير من وضعاني على الدّرب؛ هايدجير مبرزا لي أنّه ليس هناك أيّ شيء فيها وراء المشروع بها يجعل الآنيّة تحقّق ذاتها نفسها. هل يعني هذا أنّي سوف أترك الآنّا

465. رواية أندريه مالرو الّتي نشرتها غاليمارسنة 1933.

يدخل؟ لا، طبعاً. غير أن الإنثية أو كلية الوجود—للذات ليست الأنا ورغم ذلك هي الشخص. إنني في العمق بصدد التدرّب على أن أكون شخصاً. غير أن هذا ليس هدف خطتي الحالية. أردت أن أشير، إلى أنه طالما لم أكن وسط المعمعة، طالما لم أشعر أنني مسؤول، طالما لم تكن عندي هواجس حول المال، فإنني لن آخذ هذا العالم بشكل جدّي. كان يمكن لكلّ هذا أن يحملني في زمن آخر نحو التّصوّف، ذلك أن الذين لا يكفّهم أبداً القليل من الواقعية، مستعدّون ليكونوا سيراليين. وأنصوّر، أنه منذ خمسة عشر عاماً، كان هذا مصدر العقيدة السيراليّة لدى الكثيرين (ولكن ليس للجميع: يبدو لي أن تأثير الحرب الذي عادة ما يتمّ ذكره كان حاسماً بالنسبة إلى الرّعاء). غير أنني كنت ملحداً بسبب كبريائي. لا بسبب الشّعور بالكبرياء، بل إنّ وجودي نفسه كان متكبراً، كنت الكبرياء. لم يكن ثقة مكان الله بجانبني. كنت دائماً منبعي الخاصّ، لا أرى سبباً لوجود الله الأكبر في هذه الحكاية. وعلى إثر ذلك انتهت الفكرة الدّينية البائسة إلى تعزيز إلحادي. الإيثار غيبي أو هو سوء نية. لقد استطاعت أمي الإمساك بشيء ما من هذا البرود الطّائش إزاء العالم، إذ كانت تستمتع بترديد، كنت سأكون كاهنة قبل بضع قرون من الآن. بسبب انعدام الإيثار، اقتضرت على فقدان الجدّيّة. على العموم، هناك جدّيّة، حيناً نرحل من العالم وحين نسلم العالم بواقعية أكثر ممّا نسلم به الذات—أو على الأقلّ، حين نضفي على أنفسنا واقعية بقدر ما ننتمي إلى العالم. ليس من باب الصدفة أن المادّيّة جدّيّة؛ وليس من باب الصدفة أن نجد هذه المادّيّة نفسها دائماً وفي كلّ مكان المذهب الفلسفيّ المتفق للثوريين. لأنّ الثوريين جادّون. يعرفون أنفسهم أولاً لأنهم مهتمّون من العالم، يعرفون أنفسهم انطلاقاً من هذا العالم الذي همّهم ويريدون تغييره. وفي هذا، هم يجدون أنفسهم على اتّفاق مع كلّ منافسيهم القدامى، المملّكين، الذين هم بدورهم يعرفون أنفسهم ويقدرّونها انطلاقاً من موقفهم في العالم. أكره الجادّ. من خلال همّ جاد مهندس يمرّ العالم بأكمله، بجهاديته، بقوانينه بكثافته العنيدة؛ يضخّم العالم كلّ فكرة جادة ويخترها؛ فهي استقالة الإنسان لصالح العالم. انظروا إلى هذا الرّجل الذي يحرك رأسه قائلاً: خطير! خطير جداً!، وحاولوا أن تفهموا ما الذي يقصده بتحريك رأسه: هذا

يعني أن العالم يهيمن على هذا الرجل، إن هناك قوانين وقواعد من الضروري الانتباه إليها - خارجة عنا تماما، متقدمة متحجرة - وعليها أن تعطي نتيجة مشجعة. وسوف تحل المصيبة حين يتم اختراق القواعد، ويمجد الإنسان نفسه بلا ملجأ. ذلك أنه لم يعد له أي لجوء إلى ذاته: إنه من العالم، استقر العالم بداخله وهذا المقدس المخترق، هو مخترق في داخله أيضا. نحن جادون حتى حين لا نفكر في إمكانية الخروج من هذا العالم، حين يحاصرك العالم من كل ناحية بجباله، وصخورها، بحفره وأحواله، بكل اتساعاته العنيدة، حين نعطي لأنفسنا نوع وجود الصخرة، الصلابة، الجمود، الكثافة؛ إنسان جاد: هو وعي متخترق؛ يكون المرء جادا، حين ينكر الذهن. هؤلاء المنكرون الذين تحدث عنهم أفلاطون في السفسطائي والذين لا يعتقدون إلا فيما يمسونه، هؤلاء قدامى الذهن الجاد، إنه لأمر عادي جدا أن الإنسان الجاد، بما أنه من العالم، ليس له أدنى وعي بحريته، أو بالأحرى لديه وعي به، غير أنه يختفي منطقيا داخل نفسه، مثل قاذورة. مثل الصخرة، مثل الذرة، مثل النجمة، إنه متحقق. ولئن تميز ذهن الجاد بالتطبيق الذي من خلاله يضمن نتائج أفعاله، ذلك أن كل شيء بالنسبة إليه نتيجة. الإنسان الجاد ذاته هو نفسه نتيجة، لنتيجة غير محتملة، وليس مبدأ. وهو مأخوذ إلى اللامتناهي عبر سلسلة من النتائج ولا يرى سوى نتائج على مرمى البصر. لهذا كان المال علامة كل شيء في العالم، نتيجة ونتيجة عنه، المال هو الشيء الجاد بامتياز. باختصار، لقد وضع ماركس المبدأ الأول للمجدية حين أكد أولوية الشيء على الموضوع. ويكون الإنسان جادا حين ينسى نفسه، حين يجعل من الموضوع شيئا، حين يعتبر نفسه شعاعا قادما من العالم: المهندسون، الأطباء، الفيزيائيون، البيولوجيون، كل هؤلاء جادون.

كنت محميا مما هو جاد لأنني قلت. أو بالأحرى كثيرا ولكن ليس بالقدر الكافي: لست من العالم لأنني حرّ وهي بداية أولى. ليس من الممكن أن نمسك بذاتنا كوعي دون التفكير أن الحياة لعب.

في الواقع؛ ما اللعب، إن لم يكن نشاطا مصدره الأول الإنسان، والإنسان هو من يضع مبادئه ولا يمكن أن تكون له نتائج إلا تبعا لهذه المبادئ. وما أن يدرك الإنسان

نفسه حرًا ويريد استعمال هذه الحرية، يصبح كل نشاطه لعبًا: فهو المبدأ الأول لهذا اللعب، يفلت بطبعه من العالم، يضع بنفسه قيمة وقواعد أفعاله ولا يقبل بالدفع إلا طبقا لهذه القواعد التي وضعها وحددها هو نفسه. من هنا واقعية العالم القليلة وغياب الجدّة. لم أكن أريد أبدا أن أكون جادا، كنت أشعر أنني حرّ كثيرا. كتبت قصيدة مطوّلة زمن غرامياتي مع تولوز⁽⁴⁶⁶⁾، أعتقد أنها كانت قصيدة رديئة جدا بعنوان بيتر بان، أغنية الطفل الصغير الذي لا يريد أن يكبر⁽⁴⁶⁷⁾. كذلك هو دائما، هؤلاء الصبيان الصغار، و الفتيات الصغيرات، وهذه الكلمات المبتذلة لعلاقاتنا الغرامية. أجد هذا من جهة شاب قوي في العشرين من عمره، وفتاة مكتنزة في الثالثة والعشرين من عمرها أكثر ارتكابا للمحارم من الأم التي يتنهد بها روسو لمدام دي وارينز [فرانسوا لويز دي وارينز عشيقة جان جاك روسو ووليّة التي أمره نعتدت برعايته مذ كان في السادسة عشرة، وأصبحت عشيقته، وكان يعتبرها في الوقت نفسه أمّه]. ليس هذا موضوعي الآن. عموما، لم يكن هذا الصبي يريد أن يكبر خشية أن يصبح جادا. بإمكانني أن أطمئن فلقد بلغت الرابعة عشرة ولم أصبح جادا. باستثناء إحدى المرات بين جدران مقبرة تطوان، لأنّ الكاستور أرادت أن تضع لي قبعة من قش، ولم أكن راغبا. لطالما رمت أن أتحمّل مسؤولية أفعالي، مع شعوري بالإفلات منها نهائيا بعد ذلك. بسبب برج الوعي، حيث يمكنني الصعود متى شئت.

غير أنّ المسألة التي تعنيني اليوم هي هذه: الأصالة، مغلقا وإلى الأبد باب البرج، هل بإمكانها أن تأتيني بالذهن الجاد؟ أعتقد أنّه ليس هناك أيّ إجابة: لا، على الإطلاق. ذلك أنّ المرء يدرك نفسه كشخص، ممّا يعني أنّه في الجهة المقابلة تماما يدرك نفسه انطلاقا من العالم. وفيما يخصّ أننا أصيلون، فلسنا في ذلك أقلّ حرّة - بل أكثر حرّة ممّا في فرضيّة البرج - بما أننا مُلزمون بحرّة بلا ظل ولا عذر. وفي نهاية المطاف؛ ليس الوجود - في - العالم هو الوجود من العالم. بل بالعكس تماما. في التخلّي عن البرج

466 تولوز: كيبه سيمون جوليفه. الدفتر الثالث.

467 كتب سارتر هذه القصيدة في معهد المعلمين وأعطاهم لرايمون آرون الذي نشرها في كتابات الشباب تحت عنوان "هواي هو".

العاجي أريد أن يظهر لي العالم في واقعيتَه الكاملة والمهدّدة، غير أنني لا أَرغب أن تتوقف الحياة عن كونها لعباً من أجل هذا. لهذا السبب أجد نفسي بالكامل في جملة شيللر: ليس الإنسان إنساناً تماماً إلّا حين يلعب.

الثلاثاء 12 مارس

قد نساfer الجمعة أو السبّبت إلى برومات، وذلك لترك مكان لا محالة لفرقة قادمة من الدّاخل سوف تصعد إلى الخطّ، أشعر بسعادة للعودة مجدّداً إلى برومات لقد احتفظت منها بذكرى شاعرية إلى أبعد حدّ. أمّا مورسبرون فلقد احتفظت منها بصورة مذهشة وجليديّة، قاسية جدّاً، الثلج بشاعرية قويّة غير أنّها، ممتلئة بالريّح. لقد بدت لي برومات مثل نور مغربل ورقيق. ها إنّني أرى مجدّداً تلك الصّباحات اللّطيفة من حانة لاروز، والمساءات الطّويلة من قاعة المدرسة. برومات بالنّسبة إليّ هي رحلة الكاستور، وعودتي خلال اللّيل بعد أن تركتها بالمحطّة - وبرومات هي أيضاً أزميتي الغرامية تجاه فانداء، وهذا العالم التراجيديّ الجديد الذي عشته، دليلي فيه سانت اوكزبري وكوستلر. هناك استشعرت ما هي الأصالة (في الأيام الأخيرة بحانة الليون دور)، هناك سلّخت جلدي القديم. بي لفقة لرؤية الإكريفيس مرّة أخرى، بناءة الاستحمام، أساءل عن التّأثير الذي سوف يحدثه في داخلي كلّ هذا. من جهتي لن أبقى إطلاقاً. لو وصلنا هناك يوم 17، لن أمكث أكثر من ثمانية أيام. بعد ذلك، سوف أسافر في رخصة وعند عودتي سوف يتمّ الاستدعاء لا محالة إلى الدّاخل. ها أنا ذا أتحلّص ببطء من مقادير الفرقة مثل قشرة متأكّلة - لما يحدثونني عن قدرها - قد تنتقل إلى بيتش - يجعلني كلّ هذا جافاً ومغبراً، فهذا كلّه لم يعد أنا. أحتفظ ببعض الصّور لبستان فاكهة على خاصرة منحدر، يشبه كثيراً إيل دي فرانس وهي ترمز عندي لمستقبلي القادم. وهو ما يعني: مركز إرصاد جوّي بالخلف، فحين كنت أبأشر مهمّتي بالخدمة العسكريّة في مركز الإرصاد الجوّي بسانت -سيمفوريون، أعلى مدينة تور، كان السيّد ليدووهو بدوره رجل إرصاد يعتني بحديقته غير بعيد عن المركز عموماً، أنا في حالة انتظار غامضة وغنية لمركز تور. يقول لي عقلي بطبيعة الحال

بإمكانهم أن يرسلوني إلى أي مكان آخر عدا هذا المكان.

ألمانيا -مقالة تفسير لإيدموند فرماي: أطروحته العامة هي التالية/ ما هو موبوء ومتحمس، وبالتالي خطر في القومية الألمانية، في حلمه المهتاج بالطائفة الدينية العرقية الموجهة لممارسة سيطرة مطلقة على القارة العجوز، يمكن تفسيره بالتجزئة الإقليمية في السابق وتعدد المؤسسات، بالتمددات والأحزاب التي تلت ذلك في إطار الإمبراطورية البيساركية، ودستور فيمار. بلغة أخرى رابطة الشعوب الجرمانية هو الوجه الآخر للألمانيات⁽⁴⁶⁸⁾. جيد جدًا هذا الطرح وهو يديهي إلى درجة أنني فكرت فيه بدوري، أنا الذي لم أكن ضليعا في التفسيرات التاريخية. ثمة علاقة فهم بين طبيعتين إحداها حدث: وجود حدث تجزئة سياسية وإدارية - والآخر مثالي: ف الطائفة تظهر كإمكانية خاصة بالأمة الألمانية باعتبارها طائفة مسيرة لأوروبا. وهو ما يجعلني أنتبه بسرعة للعلاقة بين هذه الدلالات: يتجاوز الطموح للوحدة مجرد توحيد الألمانيات - بل يهدف إلى توحيد الألمانيات باعتبارها وحدة موحدة لأوروبا. سوف تبدو ظاهرة التوحيد بلا معنى في علاقة بكامل القارة، يمنح التوحيد نفسه هدفا يتجاوز، استعجاله، وينتميه في آن. إنه توحيد للهيمنة. حسنا جدًا: غير أن هذا لا يقنعني أيضا: فلست أرى أن تجزئة الألمانيات بإمكانها أن تنتج تمثلا أسطوريا. يكون التنسيق بهذا الشكل: تجزئة-رابطة الشعوب الجرمانية ليس دالا إلا لأنه بشري. لا بد من تصوّره كموجود من خلال الناس الذين يضعون تاريخا لأنفسهم. غير أنه ليس جديرا بالقبول إلا إذا تحركت التجزئة ومارست تأثيرها من الخارج على بعض الأذهان، لكي تدفعها لنحت تمثل أسطوري للوحدة يلغيها. التجزئة في حد ذاتها لا شيء، ولا تأثير لها، وكل ما يمكن أن تفعله هو أن تتجزأ إلى ما لا نهاية. لن ينفع في أي شيء أن نظهر حلم الوحدة ينبثق من الصعوبات التي تعترض القوى الوحيدة (اقتصادية، ثقافية، دينية)، في مواجهة هذه التجزئة والصراع الذي سوف ينتج عن كل هذا. هناك عامل آخر ينقص هذه الجدلية، وهو نفسه دائما؛ لا بد من أن تكون

468 يذكر سارتر الإعلان الذي نشرته المجلة الفرنسية الحديثة في عدد مارس استعدادا لصدور الكتاب عن منشورات غاليمار. يسطر سارتر الجملة الأخيرة من النص.

المقاومة محسوسة، لا بدّ من أن تكون القوى الاقتصادية التي تلقي بنفسها من خلال التجزئة بشرية، لا بدّ من العودة للإنسان. بلغة أخرى، فهذا التنسيق الطبيعي يمنح نفسه بكلّ بداهة للفهم، وهو في حدّ ذاته تابع⁽⁴⁶⁹⁾ [بالألمانية في الأصل: unselbständig] يحيل على الآنية لكي يوجد: ليس هناك سوى تفسير واحد: التجزئة موقف ورابطة الشعوب الجرمانية هي الإمكانية التي سوف تلقي الآنية بنفسها نحوها. بهذا الشكل، فإنّه من خلال إعلاء التجزئة نحو رابطة الشعوب الجرمانية تشكّله الآنية كموقف وتمسك به كما هو هكذا. دون هذا التجاوز الحزّ، لن يكون موقفاً أو حتّى تجزئة حدث. وإن تمّ إدراكه كتجزئة صافية؟ مستحيل -أو على الأقل مستحيل أولاً. فلم يتمّ إدراكه كتجزئة، إلّا ليكون آنية تتجاوزه نحو شيء آخر: نحو الفيديريّة مثلاً. لكن أن يتمّ اعتباره تجزئة صافية، حدث تجزئة، فعلى الذهن أن يُجرى تراجعاً تأمليّاً. أن يحاول تفكيك الموقف، واستخراج المعطى منه وتحويله إلى وضعية. هناك مكان للجوء إلى هذه القوى الغامضة التي يتمّ استحضارها عادة من الحكمة الديبلوماسية، مثال ذلك هذه الجاذبية التي لا تقاوم، وهي توجد بين أجزاء بلد مجزّأ وتقودها بشكل حتمي نحو الوحدة. نحن على عكس النظرية الماركسيّة للأسطورة. فالأسطورة من وجهة نظر المؤرّخين الماركسيّين هي إنتاج حركة واقع الحال على الضمائر. إنّ واقع الحال في حدّ ذاته لا يمكن أن يتشكّل إلّا بمشروع آنية من خلاله يتجه نحو الأسطورة التي بدورها تشكّل إمكانيّته الخاصّة. لكن أيّ آنية؟ لقد تمت إحالتنا إلى الفردانية التاريخيّة، التي تتلاءم بشكل سيّئ مع طبائعها الجمعيّة. فحين يشتقّ فرماي رابطة الشعوب الجرمانية من تجزئة الألمانيّات. فهو بعيد جدّاً عن الأفراد. لا يتعلّق الأمر طبعا بمعرفة ما يمكن أن يدركه ييار أو بول من الموقف: فنحن على مستوى الجمعيّة القوميّة. رغم ذلك أكرّر أن ليس هناك سوى أفراد. كيف الخروج من المأزق إذن؟ من خلال مفهوم الموقف ذاته، الذي استنجدنا به أولاً. فلئن كان الفرد يحيل على الموقف والموقف يحيل على الفرد، فهذا لا يعني أنّنا نستطيع إدخال الموقف في الفرد، بشيء من الدّفع. ليس أكثر من أن لا يعني الوجود -في العالم

469 تابع (غير قائم من خلال ذاته نفسها).

أنّ العالم يمكن أن يظلّ قائما في الفرد. في الواقع هناك رابطة للشعوب الجرمانية لأنّ هناك رابطات للشعوب الجرمانية لكن هناك رابطة واحدة للشعوب الجرمانية. المواقف المتلازمة لمشروع فرد يلقي بنفسه في العالم من خلال الوجود- مع- *mit* *seen* تقترح نفسها كمواقف للآخرين ولا يمكن أن نكون ذواتنا نحن إلّا بانعكاسنا من خلال المواقف التي يكونها مشروع الغير. كلّ فرد يجد نفسه في مواجهة أعمدة الإشارة لن تدلّ إلّا من خلاله. غير أنّ تلك الإشارة قام بتركيبها آخرون. فالتجزئة ورابطة الشعوب الجرمانية لا يمكن أن يبرز منها إلّا عبر الإرادة، لكن طبيعتهما تتجاوز كلّ فرد- ولا يجب أن يتمّ خلطها، لا مع مجرد جموع رابطات الشعوب الجرمانية - ولا مع ما لا أعرفه من وعي جمعيّ سوف يمسك بالأفراد من الخلف ويتشكّل بمعزل عنهم. كلّ ألمانيّ يولد في العالم قبل الحرب يجد نفسه قبالة رابطة الشعوب الألمانية كموقف. بإمكانه أن يقرّر طوعا أن يدرك هذا الموقف بأيّ طريقة كانت (الرفض، الازدراء، العراك، التّنبّي، التّقبّل، متابعة الحركة عن بعد برعاية، إلخ). لكن من المستحيل أن ينكر أنّ رابطة الشعوب الألمانية لم تكن موقفا بالنسبة إليه، كما أنّه لا ينشط الرّابط التّفاهميّ تجزئة-رابطة الشعوب الألمانية. ويأخذ هذه الوضعيّة ذاتها - التي كانت هي نفسها تماما - يثري الموقف للغير، سوف يجلي الموقف عن نفسه غنيا، أكثر طواعية، أكثر استعجالية للغير. يعالج المؤرّخ وهو يصف علاقات الدلالة بين الأفكار، والحركات، والموقف السياسيّ، والامتدادات أو المطالب، أشياء واقعيّة لها صفة التّبعيّة - *unselbständigkeit* [بالألمانية في الأصل] وروابط المنطق الملموس التي يجدها فيهم محيلة، على آنية تعبّرها في صمت. وهو حقها؛ فليس لها تمّش آخر. لكن الخطأ التي ترتكبه فيما بعد يتمثّل في إظهار هذه الروابط كما لو إنها مستقلة وتمارس تأثيرها فيما بعد على الناس، بينما لا وجود لها بدون الناس وليست هي في الحقيقة سوى ما ما ينعكسون عليه ويجعلونه يوجد من خلال انعكاسها فقط. بهذا المعنى، فإنّ تحليل التّطوّر الملموس لإيديولوجيا ما انطلاقا من المعطيات السياسيّة عليه أن يكون مصحوبا بدراسة تاريخيّة أحاديّة لإحدى الشّخصيّات المهمّة لتلك الفترة لإبراز الإيديولوجيا كموقف معيش، متكوّن من

موقف عبر مشروع بشري. سوف نربح لو رأينا عوض؛ مجرد تخطيط نصوري تجريدي (مثل: تجزئة -رابطة الشعوب الألمانية) تأليف دلالات تنتمي للطبقات الأشد اختلافا حيث يكون المخطط التصوري التجريدي مجرد المحور والبنية المركزية. في العموم، هو تصحيح تألفي للتفكك التجريدي، شبه شيئا ما بما هو عند كونت في العلوم المحسوسة، إعادة تركيب تألفي للواقعي من خلال الاستعمال المتزامن لمختلف العلوم التجريدية - فالعلوم التجريدية ليست سوى دراسة شروط إمكانية ظاهرة عامة. يمكننا أن نقول بهذا المعنى أيضا إنه ليس هناك غرابة كبيرة ولا صعوبة أكبر في فصل هذه الدلالات إلى طبقات متوازية. وهي ليست بهذا الشكل إلا لأن المؤرخ يدرس شروط الإمكانية التجريدية لظاهرة محسوسة وبشرية، مزجيا البشري من حيث المبدأ. المجاعة، هزيمة فرنسا والإتحادية البرودونية [نسبة إلى بيير جوزيف برودون سياسي ومنظر فلسفي فرنسي عاش بين 1805 و1865 كان ينادي باللاسلطة ويطلق على نفسه اتحادي] كل هذه الأشياء متوازية ولا يمكنها أن تلتقي أبدا إذا لم نقم بتجريدها أولا، كشروط إمكانية الكومونة. لكن في المشروع الكلّي للذات ما الذي يمكن أن يفعله عامل بيال فيل في 18 مارس⁽⁴⁷⁰⁾، لقد اجتمعت كل هذه العوامل في وحدة حركة واحدة⁽⁴⁷¹⁾.

حارسان متنقلان كانا بصدد لعب كرة البينغ بونغ في دار الإقامة. اقترب مني ملازم دنوبي الملامح كنت قد تحدثت عنه سابقا، وقال بصوت ملاطف: «لنر هل أنت ماهر لالتقاط الكرات التي التقطها هؤلاء الأوغاد».

قرأت أنجليكا لليو فيرو⁽⁴⁷²⁾ رواية ضعيفة بحبكة بليدة: إنه خطأ أورلاندو، إن فشل في إنجاز تحرره. الواجب الأول لكل ثوري قام بالثورة، هو الاستيلاء على

470 تدخل الجيش في 18 مارس 1871 لاستعادة المدافع التي استولى عليها الثوريون واضطر للتأخي مع الشعب الثائر بعدها بقليل تشكلت أول كومونة.

471 من خلال ردود فعله على الفرد والتاريخ بدأ سارتر مشروع تصويره للجدلية والتي لم يمتلكها جيدا إلا في دراسته حول فلوير أبله العائلة (1971-1972 غاليمار).

472 صدرت عن دار ريدرسنة 1934.

السلطة. حتى وإن كانت هذه الثورة قد قامت من أجل إعادة الحرية للشعب. تحرير أمة من طاغية، ثم حرمانه من قائد دونما تدريبه على استعمال الحرية، رفض مسؤوليات السلطة فذلك يعني تسليمها مقيدة السيقان والأيدي لطاغية آخر. ليس هناك ثورة من دون ديكتاتور. ضاع زعماء الكومونة لأنهم أخطؤوا في تصرفهم كديكتاتوريين أولاً.

الأربعاء 3 مارس

تغير غريب في مزاجي، بالأمس عند السادسة مساء بدأت عيناى تطرف، فجأة انطفأت جزئياً، وشعرت بقلق عصبي فارغ لما يزيد عن الربع ساعة، القلق ذاته الذي اعتقدت أنه جنون سنة 1935. مرَّ كلُّ هذا وتركني هامداً بلا حراك. أفقت هذا الصباح مبتهجاً، يملؤني نوع من السعادة الغريب بعينين معصبتين، أو هو ما يشبه السعادة. أنا الذي كنت إلى حدِّ الأمس حساساً وامتدداً في كلِّ عالمي مثل نسيج العنكبوت - أقلُّ بكثير في حاضري الضيق، ما يكفي للشعور بمرور الوقت، ها أنا أجمع نفسي، كسولاً، مقتصداً، بل وشحيحاً أيضاً، لعدم قدرتي على نفخ آدابي حسب سَلَم حياتي الواقعية؛ لم أعد أنشغل لا بباريس، ولا بمستقبلي، ولا بالتشاركية التي أنتمي إليها. في حالة ترقب كسول في عالم مختصر، أشعر بنوع من الإرادة الطائشة والمقطبة كي لا أترك أيَّ شيء يضايقني. فتور مبتهج ورغبات أبله: أملأ الكلمات المتقاطعة لمجلة ماريان⁽⁴⁷³⁾ بوعي. وجدت الكانار أونشيني طريفة. تفتنني كلُّ الأشياء التي تحيط بي وتحملق فيّ، أغوص بداخلها. مازالت عيناى مرهقتان.

أنزل عبر مسار مختصر موحل، بين جدارين عالين، كي أوصول رسائلي إلى مركز البريد، أرى الأرض السوداء حيث انتشرت قطع النباتات الصغيرة، كانت الذكريات هناك. تذكرت فسحة مع أولغا على الساعة الرابعة صباحاً خلال شهر يونيو بشارع أو-دي-ريبليك؛ لم نتم في تلك الليلة. ثم تذكرت بعد ذلك فسحة رفقة الكاستور على طريق داركاشون مغطى بأبر الصنوبر، كنا نتمشى محاطين بصمت مصدور، رائحة

473. أسبوعية سياسية وأدبية أسسها إيمانويل بيرل.

البحر، والرمل الساخن والصَّمْغ. حاولت أن أفكر لقد حصلت على هذا، مثل روكتان الذي رأى نهر الغانج ومعبد الأنغاكور، ولم يفده ذلك في أي شيء. ما كنت أريده بالأخص هو الشعور بهذه الشخصية العابسة والمتيِّسة - التي تحمل ككل يوم رسائل إلى البريد - يغطيه الشَّغف وشيء من اللطف الذي قد أحصل عليه هذا المساء في روان. لقد كانت لحظة من حياتي ذات قيمة. إنني أتذكر كل شيء: درنا في الظلام حول المسبح الجديد وحارس الليل خرج هائجا يصيح ممنوع، لن تنجوا لو أطلقت رصاصة عليكم، عدنا أكثر من عشرين مرة في المكان نفسه ورأيتهم يغتسلون في بيت الحمام وبنامون، مقهى فيكتور التي تلتصق بكل أنوارها، قبالة ملصقة إعلانات ضخمة تتأرجح، كان المقهى قد أغلق والكراسي تكذبت فوق بعضها محدثة ظلاً صينياً على الواجهة البلورية، على الأنوار الباهتة للداخل، حيث كانت القابضة تقوم بحساباتها والخدم يتزعون مناديلهم ويطوونها. ثم انطقات تلك الأنوار وأصبحت الواجهات البلورية سوداء، كامدة، تم نقل الكراسي من أمام المقهى لأنها كانت على ملك الأرضفة خلال الليل، مثل المرافق الثابتة للمباني. تلك الكراسي كانت أقل من كراس، لقد أصبحت خردة شيئاً ما. غير الأوصايونيك أربع أو خمس مرات زبائنه، العاهرات الجميلات اللواتي يصلحن كمدرجات في مرقص المدينة الكبير (نسبت اسمه) واللواتي رأيناهنَّ مجمعات الشعر مجصصات، متملقات، على وجوههن بودة الأرز، ينزلن عند الساعة الثامنة من غرفهن بالأوصايونيك، كي يتناولن في البار وجبة أكل صلبة، رأيناهنَّ ثانية عند منتصف الليل، أو الواحدة صباحاً، بتصبين عرقاً حراوات مشعّات الشعر، يتعشّين مع رواد المكان. ثم أغلق الأوصايونيك هو أيضاً؛ من خلال فرجات السناثر الخشبية رأينا خطوطاً ضوئية أعلمتنا أنه لا يزال مفتوحاً. للمدريين، لأصدقاء مالك المحل الذي كان غليظاً، كثير الصمت ويسمونه الكندي. لكم مشينا في أزقة ضيقة معتمة، حيث الخطى تردّد صداها، نتحدّث بصوت خفيض، عفويا ونوشوش خفية. وقصدنا بعد ذلك نيكود بار، الحانة الوحيدة التي تظل مفتوحة كامل الليل في روان، حيث الجوّ شاحب وفتحُ بإضاءة كشافات تعمي العيون في صالة، تراحم فيها الموسيقيون الذين غادروا المرقص مع قرويين

نورمانديين ينتظرون قطار أول الصباح. وهنا مرضت فجأة. واختفت للحظة ثم عادت. قلت لها: هل أنت مريضة؟، فقالت لي: «لقد تقيأت، أشعر بالكثير من الانجذاب نحوك هذا المساء، ولا أقوى على مداراة ذلك»، قالت ذلك بشكل هزلي مضحك وجذاب، جعل قلبي يرتجف. ثم غادرنا المكان وانطلقنا. كنا في شارع أو-دي-روبيك. حين طلع النهار، عدنا لشارع جان-دارك، وتوقفنا عند أول الصباح نشاهد الأحذية المعروضة في واجهات بائعي الأحذية، لأنها كانت كثيرا ما ترد أن أحذيتها بشعة. لقد كان مشهدا فريدا من نوعه، تلك الأحذية التي كانت البارحة مبهرة من خلال مصابيح الإنارة القوية، وها هي الآن تظهر من خلال الضوء الرمادي لأول الصباح، كامدة بلا ماكياج، ميتة، ورغم ذلك فقد بدت لي جديدة جدا مقارنة بما يُعرض في المغازة الفارغة السوداء. صعدنا حيث المحطة، جلسنا على كرسي جادة المارن ولعبنا الورق.

تلك الليلة ظلت محطّة، لم أكن سعيدا جدا، ولم يكن عندي أي أمل غير أننا كنا معا، وكانت هي لي كامل الليل، وحاصرنا الليل من كلّ جهة، من العبث البحث عما سوف يأتي به الصباح، اعتقد بالفعل أن تلك الليلة كانت لحظة مميزة جدا، ولست أعرف بأي ذكرى ظلت أولغا تحتفظ، أرجح أنها لم تحتفظ بشيء يذكر، لعلها كانت تحمل أفكارا مسبقة لم أنفطن إليها، لعلّه كره الغد غلّف لها التخلي عن تلك الليلة. ثم، إنها ليست أولغا التي أعرفها أنا وتعرفها هي، وأنا أيضا لم أعد نفسي. هذا ما أردت أن أدوّنه هنا -ثم تركتني أنداعى لوصف تلك الليلة. حين عادت تلك الذكرى أرسلت إليها طلب نجدة، تمّيت أن تلومني خفية، أن تخرجني من الجندي ذي الجلد القدر المتسخ. وقد استجاب لي، بمعنى ما. ومنحني نفسه بقدر ما يستطيع مثل أم ولادة [gigogne شخصية خرافية مشهورة في المسرح الفرنسي ترمز لكثرة الإخصاب وصارت مستعملة أكثر في مسرح العرائس]، فأنفلتت منه الكثير من الذكريات الصغيرة. غير أنّه لم يفعل ما طلبته منه، ولم يحدث أثرا فيّ. كلّ ما أردت أن أكونه في الجملة، هو الشخص الذي عاش في تلك الليلة. لم أكن أريد تمثّل تلك الليلة قدامي. كما لو أنها مجتزأ من وقت ضائع. غير أنّ شغفي في ذلك الوقت كان في داخلي مثل

فضيلة. أردت أن لا يكون ذلك الوقت الضائع الذي عشته بكل امتلاء مجرد وقت ضائع فقط. ولأكون صريحاً، أردت أن يتفعني كما يقولون كل إذن، لا يمكننا أن نسيء إليك فهذا سوف ينفعك، وأنا أعبر ذلك الدرب الموحد كنت أشعر بالبرد القاسي وهزالي الشديد، تماماً مثل جندي سيضع رسائله في مركز البريد، هذا هو فقط، كنت أريد أن أعطني بكل غرامياتي وآلامي الماضية. لكن دون جدوى: لقد شعرت بنفسني حراً تماماً قبالة هذه الذكريات. هذه فدية الحرية، نحن دائماً في الخارج. مثلما أن الدوافع منفصلة باللاشيء، كذلك نحن منفصلون عن الذكريات، ليس هناك من فترة في الحياة يمكننا الالتصاق بها. مثلما تلتصق القشرة بقعر الآنية. لاشيء يثبت، نحن في انفلات دائم، نحن دائماً الشيء نفسه قبالة ما كنا عليه: لاشيء. كنت أشعر بنفسني لا شيء قبالة تلك الليلة الماضية، لقد كانت بالنسبة إلي ليلة شخص آخر. لقد حدثت هذا الضعف الأعزل، في الغثيان، غير أنني لحقت ذلك بشكل سيئ، فقلت إن الماضي يحول نفسه إلى عدم. وهذا ليس صحيحاً، فهو بالعكس يواصل وجوده في الذات. غير أنه لا يمارس تأثيره علينا كما لو أنه غير موجود. لم يعد للأمر أي أهمية أن يكون للمرء هذا الماضي أو ذاك. ولكي يوجد، علينا أن نلقي بأنفسنا من خلاله نحو مستقبل ما: علينا أن نعيده لحسابنا من أجل مستقبل أبعد. هو فعل حرية يقرر في كل مرة فعاليته، بل وحتى معناه. غير أن ذلك لن ينفع في شيء، أن نركض عبر العالم، مأخوذين بالأهواء الأشد عنفاً، فسوف نظل دائماً، حين يستوجب الأمر، ذلك الجندي الخاوي السائس، الذي يحمل رسائله ليضعها في صندوق البريد. كل تضامتنا مع الماضي مُقرر في الحاضر من خلال رضانا بالذات.

منذ خمسة أيام، تلقيت رسالة من كاييه دو باري⁽⁴⁷⁴⁾. لقد تم اختيار اسمك سيدي مع مجموعة من الأسماء الأخرى لنيل جائزة الرواية الشعبية. سوف نعرف لك بما تنفضل به علينا من جميل إن رغبت في المشاركة، أن ترسل لنا نسخة من كتابك لأعضاء لجنة التحكيم، مع رسالة طلب مشاركة.

طبعاً، أنا راض: غير أنني بعيد، مجتهد، ولا أستطيع أن أخوض في هذا الأمر. دائماً هو هذا الشعور بالكبرياء الذي يجعلني لا أطلب أي شيء. سوف يسعدني كثيراً لو حصلت على هذه الجائزة بقيمة ألفي فرنك. أعدت قراءة الرسالة وانتبهت -مصيبة- إنني يجب أن أرسل طلب مشاركة. لقد انهارت كل هذه الكبرياء المعزولة وما عدت أستطيع أن أتطهر منها. فهمت أن الجائزة شعبية، وهو ما يعني أن أكون تحت يافطة الشعبين. ولذلك قررت أن أرفض. لكن السبب الحقيقي أنني أردت الظفر بالجائزة على طبق من ذهب، دون أن أتورط في إرسال طلب مشاركة. وهو ما أصنّفه حسب وجهة نظري ضمن الزيف والآصال. ففي نهاية المطاف، إن كنت أحتقر الجائزة، يجب أن أرفضها. وإن كنت أرغب في ذلك، عليّ أن أحتال عليهم، والحيلة هي تغطية هذه الهجمة للكبرياء بغطاء رفض الجائزة الشعبية وهو ما دفعني للكتابة للكاستور واستشارتها في الأمر. من الطبيعي أن استشير الكاستور؛ فعادة ما أفعل ذلك في مثل هذه الحالات. لكن لمجرد أن أطلب منها المشورة، أقلب كل شيء، لأنني أعرف جيداً ما الذي سوف تقوله لي. أصيلة هي الكاستور دونها أن تقوم بجهد لتكون كذلك، بل سوف أقول: هي بطبعها كذلك، إن كانت الأصالة تجد مصدرها الأول في الطبيعة. كنت أعرف أنها سوف تحييني بكل بساطة: ليس بهم عنوان الجائزة، نحن في حاجة للمال. حاول أن تتحصل عليه حين تحين الفرصة. وأنا أكتب لها رسالة الاستشارة كنت مقتنعا إلى حد ما بما يمكن أن تكون إجابتها. ها هنا دناءة أخرى مني: كنت أعرف أن الكاستور سوف تنظر للأمر من زاوية مردوده المالي فقط، وبطلبي منها هذه الاستشارة، فإنها أنا بدوري أنظر إليه من نفس الزاوية، وبالتالي فإنني لن أختلف معها في الرأي. من هنا إمكانية زخرفة قبول مفترض بالتهكم: إن ما أفعله هو من أجل المال، ومن الممكن القيام بتمش فيه شيء من الإهانة لكسب المال. كانت هذه طريقة أخرى للإفلات ولإرضاء كبريائي: فالأمر لا يتعلق بالخضوع لتقييمات كتاب أكبر سناً مني ولكن لسحب ألفي فرنك من سُدج. كنت أغمز بعيني وأنا أفكر في هذه المسألة، وأردد بيني وبين نفسي: الأغبياء الطيبون. وهو ما سهّل لي الشعور - شعور لا يبارحني - إن أولئك الذين يأخذون كتبي مأخذ الجد هم ناس أغبياء. وبطبيعة الحال

مأني هذا الشعور من قلة الواقعية، واستحالة أن أكون جادا. لكن هل أنا في الحقيقة واضح؟ ماذا تعني الجوائز بالنسبة إلي؟ فمن جهة؛ تتوتر أعصابي كثيرا، حين أتخيل كل ذلك الصخب الذي يحدثه تصفيق دون توقف لجائزة الغونكور مثلا. ومن جهة ثانية لا أحتمل فكرة أنني أستحق هذه الجائزة لمجرد تقييمها من البعض. رأيت صورة في مجلة ماتش يظهر فيها الشيخ روسني⁽⁴⁷⁵⁾ عني ترويا⁽⁴⁷⁶⁾ المتوج. كان ترويا منحنيا، محترما بابتسامة حذرة، تلك الابتسامة التي يرسمها الشخص حين يريد أن يفهم كلمات شيخ جليل برغوة لعبه في فمه وهو يقول: أحسنت جدا أيضا أيها الشاب، واصل. أشعر بالغثيان. تفرني الجائزة وهي تُعطي بهذا الشكل. بل إنني على يقين، أن من يستلمها سوف يفقد مزاجه الصافي حين يلقب باسم جائزة كذا، جائزة رينادو، جائزة غونكور. هو توزيع فتاة خجولة، وذلك الذي يتوج سوف يظل لديه الشعور أنه فتاة خجولة، طالما لم تمح الذكرى. غير أنني لست أعرف هناك ما يشبه الوساطة، طريقة ما تجعل من الجائزة ظاهرة اجتماعية. بشكل مستقل تماما عمن يعطي الجائزة، فهذه الجائزة مثل مهرجان سنوي أو شمسي يتم وضعه فوق رأس منتخب وباعتبارها بهذا الشكل، أي أنها تكسب كل سنة مؤسسة شرفية، فهي لا تعجبني، هكذا، يغطي التهكم رغبة ساذجة في التكريس. هكذا يغطي التهكم رغبة تافهة للتكريس. يبقى أن كبرائي الجميلة مازالت تنزف قليلا فقد كنت أعلم أنني لن أحصل على تلك الجائزة. لقد لعبت رغما عني الدور الهزلي للمترشح الدائم بين 1938-1939. تحدثت الصحف عني بخصوص الغونكور. ثم أهداني بول نيزان تقريبا الرينادو بما أن شارنصول وديكاف⁽⁴⁷⁷⁾ قالوا له إن «المسألة محسومة». على إثر هذين الإخفاقين، تحركت المجلة الفرنسية الحديثة لتكون جائزة الرينوسونس من نصيبي. وكان إخفاقا ثالثا. جاءت الحرب بعد ذلك ونسيت كل شيء بما في ذلك

475. روسني الأكبر (1856-1940) روائي ورئيس أكاديمية غونكور.

476. كانت جائزة غونكور سنة 1938 من نصيب هنري ترويا عن روايته العنكبوت.

477. جورج شارنصول أحد أعضاء نوفيل ليتيراير ناقد فني، وبيير دي كاف صحفي وروائي والإنسان

من أعضاء لجنة تحكيم جائزة بيوفراست رينودو.

الجوائز وتفاجأت بشكل هزلي لما عرفت أن اثنين من المعترضين منحاني صوتيهما، دون تدخل أي شخص لجائزة رينودو 1939. غير أن كل هذا ما عاد يثيرني بما أنه يحدث بعيدا عني. لكن، هل سأشارك للمرة الخامسة وأنطلق لأرى منافسا يتقدمني بخمسة أسواط؟ لقد أصبح هذا الأمر من قبيل الشجاعة البائسة. رغم أنه كان هناك شيء من الثقة الغامضة تملؤني، فهذه المرة سوف أفوز بالفعل. وفي هذا السياق؛ قرأت مقالة ماتش وذكرت أن ترويا قد نال هذه الجائزة الشعبية وهو ما جعلني أتخلص من مبرري الأول: «ليس في أدب ترويا أي نزوع نحو الأدب الشعبي، ثم لجنة التحكيم المتكونة من (دوهمال، جالو، رومان) وهؤلاء الثلاثة لا يكتبون الأدب الشعبي». باختصار كنت مزعزعا من الداخل، وقد نفعني كثيرا ذلك البورترية الذي حاولت رسمه عني في هذا الدفتر: أتذكر أنني كتبت عن حيل كبريائي واتخذت قرارا، إن شجعتني الكاستور، أن أفعل بشجاعة وأنقدم بالطلب رغم المخاطر والمهالك. وصل رد الكاستور وكان متطابقا مع توقعاتي- وكتبت سبع عشرة رسالة ترشح، إلى درجة أن يدي تعبت من الكتابة، وقد عملت على أن تكون صيغ جملي مبتسرة، رقيقة كي أعطي انطباعا لنفسي أنني أقدم أقل ما يمكن للحصول على ما أرغب فيه (478).

في الوقت نفسه، وبشكل متواز، وبعد أن تم إرضاء غروري ليشتهي الأمر بشكل تراجيدي، من خلال ترتيب كوميديا أخرى خفيفة. قبل أيام قليلة من صدور كتابي المتخيل؛ كتب لي بولمان يوم 7: يُفكر واهل في تسميتك دكتورا رغم أنفك، بالاتفاق مع برونشيفيغ، يتعلق الأمر بتحويل المتخيل إلى أطروحة، لا يمكنك فعل أي شيء إزاء هذا الوضع إلا بتأخير صدور الكتاب. هكذا، أحب طبعاً أن يعاملونني؛ أن يمنحوني شرفا رغما عني، كما لو أنهم تقريبا يعتذرون مني. أتخيل واهل وهو يتحدث إلى برونشيفيغ كما تحدث فافر (479) عن روشفور (480) يوم 4 سبتمبر 1870 قائلا: من

478 حصل كتاب سارتر الجدار على جائزة الرواية الشعبية في أبريل.

479 المقصود به الجمهوري جول فافر الذي كان له نصيب في اليوم الثوري 4 سبتمبر 1870.

480 هنري روشفور مؤسس لا لانتارن جريدة أسبوعية نقدية معارضة للابوليون، ناصرت الحكومة المنسقة عن ثورة 4 سبتمبر 1870 لبعض الأيام.

المستحسن أن نكسبه في الدّاخل على أن يكون بالخارج. كتبت رسالة تعبّر عن غبطتي بالقبول. لكن ما حَوَّل الأمر إلى مهزلة صدور كتاب المتخيّل في الأثناء. أشكّ في حقيقة نوايا بولهان الذي انتظر صدور الكتاب ليكتب لي قبل أن أوافيه برّد منّي، وهو يتصرّف بهذا الشكل لأسباب ماكيفيلّيّة في سياسته. هكذا قمت بخيانة كبريائي مرّتين، أو بالأحرى ليست كبريائي بل غروري.

علمت عن طريق اللّاسلكيّ بالاستيلاء على فنلندا عند الساعة 19 و45 دقيقة، وداهمني شعور مومج.

الخميس 14 مارس

غدا بعد الزوال نرحل إلى برومات. يبدو أنّ الأهلّي هناك مبتهجون لعودتنا. كتبت بوبيت التي ترقن عصر العقل للكاستور قائلة: يجعلني رقن كتابات سارتر دائما كئيبة. لن أنكر أنّي أرتاح للحديث معه، كما أرتاح حين أقرأ كتاباته، وأفكر في شيء آخر إثر ذلك. غير أنّه مريع جدًا أن أعيش داخله إلى أبعد حدّ. أرجو أنّه لا يعيش داخله هو أيضا مثلما يرسم النّاس في كتبه، إذ لن تكون حياته محتملة أبدا.

دفعني هذا للتّفكير؛ لماذا أنتوان روكتان وماتيو، كتيبان جدّا بيننا الحياة يا إلهي لا تمثّل لي كلّ هذا السّوء؟ لأنهم الأنيسيانات [الأنيسيان الشّكل المصغرّ من المخلوق البشريّ، اشتهر في نظريّة التّكوين المسبق والتّراث المبكر والتّقاليد الخيميائيّة] هكذا أتصوّر. والدّلّيل على ذلك أنّي أنا، الذي انتزعوا منه المبدأ الحيويّ. الفارق الجوهريّ بيني وبين أنتوان روكتان، هو أنّي من كتب قصّة أنتوان روكتان. يحدث هنا شيء من التّمائل لتفتّت هذه الوظائف الدّاخلية، يفسّر به مورغ⁽⁴⁸¹⁾ الهلوسات. هناك مُكوّن للحزن المريع في كلّ أفكارنا، في كلّ مشاعرنا. لكن يصبح هذا الحزن غير مؤذ حين يكون الدّمج التّراتبيّ صليبا، والتّنظيم الدّاخلّي مضمونا بمبادئ تأليفه. يذوب

481 كتب راوول مورغ بالخصوص كتاب علم أعصاب الهلوسات (لامرّتين 1932 دروكسيل) ذكره

سارتر في المتخيّل.

هذا الحزن في المجموع، مثل الظل وهو يتعلّق بالتور. غير أنّ هذه البنى الثانوية التي كانت تخدم الكلّ تبدأ في الوجود لوحدها ما إن نستخرج من المزيج مبدأ رئيسيًا. يطرح الحزن الهزليّ نفسه للذات. هذا ما فعلته: نزعته عن شخصيّاتي شغفي الهوسيّ بالكتابة، غروري، إيباري، قدري، تفاؤلي المتفايزيقي وبهذا الفعل أحدثت بداخلهم كآبة متكاثرة. هم؛ أنا مقطوع الرأس. وبما أنّه لا يمكن المسّ من الكلّ التآلفيّ دون إحداث تصدّع بداخله، فإنّ أبطال غير قابلين للحياة. أرجو أن لا يكونوا مثل المخلوقات الروائية والمتخيّلة، فهم لا يستطيعون الوجود إلّا في البثية المصطنعة التي ابتكرتها حولهم ومنها يتغذّون: إضافة لحزن التفتّت الذي جثت على ذكره منذ حين، فلديهم حزن آخر أعمق، حزن مليء بمؤاخذه ومرارة الأنيسيان في قارورته؛ هم يعلمون أنّهم غير قابلين للحياة، تدعمهم تغذية اصطناعية بقدر ما يكونهم القارئ حسب وقته، وهو يشعر بنفسه وقد تمّ إيلاجه من طرف الحزن المتفايزيقيّ لحيوانات ما قبل التاريخ منذورة لغياب قادم، بسبب نقص في تكوينهم. عكس فابريس في دير بارما حتّى في انعس حالات يأسه هو بالنسبة إلى قارته منبعًا لا يتوقف للسعادة لأنّه مستقلّ (بالألمانية في الأصل *selbständig*) قائم على قدميه، وهو قابل للحياة، ليس هناك أيّ تفتّت في داخله. أقول هذا، دونها غيره أو تواضع: إن كان ستاندال متفوقا عليّ فذلك لدوافع أخرى. بالفعل، ليس لنا الهدف نفسه. رواياتي تجارب وهي غير ممكنة إلّا من خلال التفتّت. يبدو لي أنّ مجموع كتبي سيكون متفائلًا لأنّه بهذا المجموع سوف يُعاد تكوّن الكلّ. لكنّ كلّ واحد من شخصياتي هو مشوّه. إحقاقًا للحقّ، سوف يصبح ماتيو كُلاًّ في مجلّدي الأخير، غير أنّه سرعان ما سيموت بعد ذلك. أعتقد أنّ ذلك هو السبب الذي من أجله أستطيع كتابة كتب كثية، دون أن أكون أنا نفسي حزينا ولا دجّالا ولا معتقدا فيما أكتبه.

لقد حافظت كلمة تكاثر التي توجد بكثرة في كتاباتي وقد استعملتها في الصّفحة السابقة، على جاذبيّتها التي لازمتني خلال طفولتي. ليست من الكلمات التي تعلمتها، بل التقيت بها صدفة. وأنا أفتح ذات يوم جيل كتابا حول تاريخ فرنسا به

رسومات لبوتي دي مونفيل⁽⁴⁸²⁾ (كان عمري ست سنوات)، رأيت رسماً كبيراً بالألوان يمثل أطفالاً شقراً محاطين بخنازير وردية ونظيفة. كان خليطاً شهياً: الخنازير تدوس على أقدام الصبية، والصبية يجذبون ذبولها، كل هذا في منظر بهيج وما قبل تاريخي، كانت الأشجار الجميلة والخضرة ترسم البهجة والصخور الكبيرة الرمادية التي تحفر كهوفاً ترسم ما قبل التاريخ. قرأت في المفتاح أسفل الرسم: إنها تتكاثر الخنازير الصغيرة. لم أكن أعرف الكلمة وكان هذا كافٍ لأراها بعينين منذهلتين، في تفرد الصافي [يتحدث سارتر هنا عن إعجابه بكلمة - *pullu* في تجانسها وتماثل جرسها الموسيقي مع كلمة أخرى *bull* تعني فقاعة] كان للخنازير الصغيرة الخفة، والنظافة الهوائية للفقاعات. فالكلمة في آخر الأمر، قبل أن تفهم كسبت دلالة مؤثرة، حافظت عليها إلى الأبد: الكثرة المتعددة الألوان والنقية لهذه الكرات التي يعرضها بائع متجول مشدودة إلى عصا طويلة في حديقة اللوكسمبورغ. نريد أن نكتب بهذه الكلمات فقط، غير أننا لسنا متأكدين أنها سوف تحدث عند القارئ الانطباع نفسه، ثم لا بد من دعاءات، نسيج ضام للكلمات ذو قيمة دلالية محض. أفنتني هذه التجربة ولقاءات أخرى مماثلة بنظافة الخنازير الشديدة عكس ما هو سائد في العادة. وهذا الاقتناع ليس غريباً عني بما آتي أحب أكل لحم الخنزير، عوض لحم العجل الشاحب والحزين، والمقرّز أحياناً.

السخط الذي يثيره الجبن السويدي⁽⁴⁸³⁾ في الصحافة الفرنسية هو نفس السخط الذي أثير منذ ثلاث سنوات بسبب موقفنا من إسبانيا.

رسالة دالة جداً من غيوم الثاني إيان سفره الأخير (1912) إلى أنقلترا: إنني مقيم بقصر ويندسور في غرف والدي أين كنت عادة ما ألاعب وأنا صبي... ذكريات متعددة تخترق قلبي... توقظ من جديد شعوري القديم الذي يشدني بشكل لصيق إلى

482. أخطأ سارتر إذ إن جوب هو صاحب رسومات الكتاب الذي تذكره وعنوانه فرنسا تاريخها لجورج مونتيورغاي (بوافين 1889) قراءات سارتر. أما بوتيه دي مونفيل فهو رسام ومصوّر لكتب أطفال (1913-1815).

483. ظلت السويد محايدة خلال الحرب العالمية الثانية.

هذا المكان، ويجعلني شخصيًا شاقًا، من وجهة النظر السياسية، فخور بأن أسمي هذا المكان وطني الثاني، أن أكون فردًا من هذه العائلة الملكية... عثرت في ذكرياتي على المكان الذي كنت عانيت فيه من عسر هضم هائل بعد أن أكلت الكثير من البودنغ [حلو من دقيق ولبن وبيض وفاكهة.

استلمت عدد مارس من المجلة الفرنسية الحديثة وأعدت قراءة مقالتي حول جيرودو⁽⁴⁸⁴⁾. كان لا بد أن أصرّ على عقلانية التهذيب عالم جيرودو هو عالم الأشياء المُصنَّعة. لأنّ لها أربع سيقان، نقول عن طاولة إتّها طاولة. للإقتراب من انتصار الرّأسالية وظهور المقالة متسلسلة، تصدر مُحَقِّقة، دون أن يكون عمل الإنسان مُنفَّذ عليها.

استلمت أيضًا ال 180 صفحة من روايتي التي رقتها بوبيت. خيبة أمل: غنائية مبالغ فيها، تسلسل الفصول غير واضح. تردّدات حول سلوك ماتيو وانجذابات. لا نشعر بالكثير من الماضي خلف حاضر كلّ شخصية. ستكون منذورة، لإعادة الكتابة مجدّدًا.⁽⁴⁸⁵⁾

هبت رياح قويّة هذا المساء؛ قطعت الأسلاك الكهربائية فغطست المدينة في الظلام. أكتب هذا على ضوء شمعة، إنارة غير مألوفة لكن جذابة.

الجمعة 15 مارس

الانطلاق إلى برومات على الساعة الثانية والتّصف بعد الزّوال - الوصول على الساعة الخامسة مساء. وجدنا المدرسة لكنّ مكاتبنا تحوّلت إلى الطّابق الأوّل.

484 عنوان المقالة "جان جيرودو وفلسفة أرسطو بخصوص خيار المنتخبين" نُشر في عدد مارس بالمجلة صدرت رواية جان جيرودو خيار المنتخبين سنة 1939 عن دار غراسيه.

485. في استهلال سوف يشرع في كتابته سارتر منذ الغد سوف يضفي الكثير من السمك على شخصياته من خلال التوسع في ماضيا "سوف يكون 10 جوان 1928 (بذلك يكون عمر الحكاية 10 سنوات) () هكذا سوف يشعر القاريء بشهوة وعمر العقل بعد ذلك.. "رسالة للكاستور بتاريخ 15 والرسائل التي بعدها.

ليياتر⁽⁴⁸⁶⁾ وبول⁽⁴⁸⁷⁾ غرف في المدينة أما أنا فأنام بالمكتب.

السبت 16 مارس

هذا الصباح عدت لحانة لاروز. في شهر نوفمبر كان بها خادمة شقراء جذابة وغبية، كثيرة النوم تسمى جانيت. كنت أحب النظر إليها دائما. هاهي الآن مشعثة الشعر، تبالغ في زيتتها وتضع فستانا رفيع الحياطة وتقول "بقُ!" (الفرقة التي كانت قبلنا هنا من الجنوب). أما أليس الفتاة السمراء البدينة التي وهبت جسدها لمن هبَّ ودبَّ، فتدخل الحانة عند الساعة الثامنة وعشرين دقيقة بشكل صاخب وهي تضع معطف فرو أسود يفوح منه العطر بشكل قوي. لقد تزوجت أحد الجنود. نودين الذي ضاجعها إحدى المرات يزعم قائلا: هناك ما هو جيد للخونة.

أثارت العودة لهذا الحوض والاغتراب انطبعا سيئا سيئا ما. لقد تم استقبال الجنود بالأحضان، وعثر كل على صاحبه، أو على أصحاب الإقامة التي كان يقيم بها، لتطفر دموعه من عينيه تنزل بغزارة للقاء مجددا، كل هذا اللعب كان يتم دوني، فلا أحد يعرفني، ولم أعر على أي أحد. باستثناء العجوز البدينة صاحبة حانة لاروز التي صافحتني بحرارة.

أفضل ما عثرت عليه هو صرير الباب خلال الليل في المدرسة المظلمة الجمهورية. لقد كان لكل شيء هنا معنى عجيب ومعروف، مثل وعد من الذاكرة، يختص به المكان ويميزه. يقولون إننا لن نبقي هنا أكثر من ثمانية أيام وهو ما يحيرني قليلا فيما يخص رخصتي. لأول مرة منذ زمن بعيد أشعر هذا الصباح بالوقت يمر ببطء شديد.

486 رغم الانتقادات اللاذعة أحيانا التي كتبها سارتر حول سلوك بياتر فقد ظلّا قريبين من بعضهما خلال هذه المغامرة التجنيدية: سوف يلتقيان معا في معتقل الأسرى في جوان 1940 ويحافظان على نفس علاقة الصداقة بينهما حتى بعد انتهاء الحرب أوى بياتر بشخصية شاربو وروكلو في روايته الموت في الروح (صدرت عن غاليمار سنة 1949).

487 بعض شخصيات الموت في الروح مدينة كثيرا "للرفاق" فلقد أوى بول لسارتر شخصية العريف بياربي

كتب ألبير أوليفيه في الكومونة ص 221:

ليست الليبرالية الوسيلة الأفضل لضمان الحرية، على الكومونة أن تأخذها على عاتقها... ليس التساهل في العادة سوى انتهازية لا تريد أن تقول اسمها.

شدت انتباهي ملاحظة ممتازة جدًا في الأوفر:

من أسوأ الشعارات التي شهدت ولادة الحرب. الوقت يعمل لصالحنا، هذه إحدى العبارات الشهيرة المثيرة للغضب.

«يقولونها بمزاج رائق، وهم يغمزون أعينهم. وسوف يضيفون “الوقت يعمل، دعوه يفعل ذلك، ولنحترم كي لا نزعجه»!

كيف لا نضع في حسابنا، أن أفضل وسيلة لإثارة التراخي، نقص التخيل، نقص المبادرة؟

هل يخدم الوقت لصالحنا حين تخرج السويد والنرويج من معسكر الديمقراطيين لتنضم إلى معسكر هتلر؟

هل يخدم الوقت لصالحنا حين يتحمل الشعب الفنلندي البطل الأمر المفروض الروسي-الألماني⁽⁴⁸⁸⁾

وهذه الملاحظة لديات: منذ الآن النيكل والحديد على ملك ألمانيا، أصبحت البلدان السكندنافية زبائن ستالين وهتلر خاصة. وسوف تأوي المضائق البحرية السكندنافية الغواصات الألمانية، في انتظار تركيز القواعد الجوية على هذه الأراضي المروضة. لقد خسرنا البلدان الاسكندنافية. وإن أصررنا على هذا الموقف سوف ينتهي بنا الأمر أن نخسر دول البلقان، علينا القيام بشيء من اثنين لا ثالث لهما: إما أن نناور بالأجنحة، بالأسلوب العسكري، بما أن الضربة العنيفة مرفوضة الآن. ونستعمل الأجنحة طالما ثمة وقت. أو لقبّل بأنّه ليس هناك أجنحة⁽⁴⁸⁹⁾ وتصبح كلّ

488. من مقالة غير موقعة بعنوان “الشعار الفاسد” في الأوفربتاخ 16 مارس. للتذكير لقد انهرمت

فلندا أمام الاتحاد السوفياتي.

489 النص الصحيح هو “طالما مازال هناك. أو نقبل إنه لم يعد هناك.”

عملية ممنوعة. وفي هذه الحالة، منحوض حربا أخرى. ليست أقل صعوبة، ليست أقل خطورة ليست أقل شمولية. لكن تتطلب ديبلوماسية أخرى، تنظيما اقتصاديا آخر، عقلية أخرى، دعاية مغايرة، وأساليب أخرى في الحكم.

كتب شوميكس في (باري صوار): إنها هزيمة مؤكدة لفرنسا وأنجلترا⁽⁴⁹⁰⁾

تم استقبال هزيمتنا الأولى بنوع من الإهمال. قالوا: «والآن سوف تدوم الحرب لأكثر من عشر سنوات».

الأحد 17 مارس

بصدد قراءة الحياة الأدبية، بقلم أناتول فرانس المجلد الرابع⁽⁴⁹¹⁾ وقد لاحظت باستغراب أنه يكتب مثلما يتكلم برشو في سدوم وعاتورية، من المؤكد أنه صلح كنموذج لبروست؛ الهاجس نفسه في خلط التفصيلة المحسوسة التي تجعل منه عارفا بالحياة المعاصرة، بالتبحر الأدبي، للفوز على الجانبين، نفس التأثير بالأسرية مع الرجال المرموقين. والطريقة نفسها في تسمية شكسبير بـ ويل العظيم، نفس البشاعة الرهيبة والعميقة في اصطناعية الأسلوب. إنه لأمر مريع حقاً. علاقات بريشو مع مدام فرديرين في جزء منها، مستوحاة من علاقات فرانس مع مدام دي كايفات.

الاثنين 18 مارس.

لابدّ لكورسي من أن يحدث ضجيجا ليطمئن أنه موجود. يمشي وهو يضرب برجليه على الأرض، ينفخ في ضجيج وهو ينفث كل نفس من البيه، يصبح وسط الصمت: ما الذي تريدون أن تفعله الخادمة؟ أو إذن يا صاحبي؟ أو أيضا أوه يقولها باليابانية، كل حركة من حركاته، إضافة؛ مهمتها المتفرّدة، الهدف منها أن يتأكد أنه موجود. أو يكرّر بشكل دائم أنا أشرب إذن أنا موجود، أنا أدخن إذن أنا موجود،

490 يتعلق الأمر بهزيمة فنلندا. أندريه شوميكس صحفي وكاتب. مدير مجلة لي دو موند

491 الحياة الأدبية كتابا لمتابعات كُتبت لفائدة لوطون في أربعة مجلدات كالمات - ليفي (1892-1888)

إلخ. ها هو الآن يمشي طولاً وعرضاً، يقضم فولا سودانياً، يفكر أنه يقضم فولا سودانياً. كنت منهمكاً في الكتابة، وهاتزيفر يطبطب على الطاولة، غرينير يقرأ. لا أحد يهتم به. قال بصوت متفجّر، الرّأس فارغة تماماً: ليست مزحة، لكن هناك رغبة في الظهور بشكل هتليريّ ثم يفكر بشكل غامض فيما قاله منذ قليل. لأنّه يحدث حركات وهو يتحدث، ثمّ يتصرّف وفق هذه الحركات: فعلاً، حين نرى كيف يحدثت هذه «اليحدث» تهكميّة. هدفه أن يملأ فمه بصوت الحرف الذي ينطقه، وهو ما يسمح للسان والحنك للتثبت من وجودهما. -وفي الوقت نفسه؛ رفع كلّ حدّية عمّا يقوله، لأنّه سوف يرتجف من الخوف إن تمّ اعتباره ذهناً مدمراً أو مجرد شخص يمكنه أن يفكر بنفسه. يلتزم في تهذيب وغباء أن يقول كلمة طائفة أو متفائلة لكل واحد. مثال ذلك ما قاله لي هذا الصّباح فجأة دون أن ينتظر منّي إجابة: إذن أيها المقدّس الجليل. تنتظر الرّخصة في القريب العاجل، ومن حين إلى آخر يمارس عنف اللفظ وحده: تبا! كم يعذبوننا هنا يا صاحبي! لكن بتخاذل مدروس بعناية، وبشكل من التفكّه. كما لو أنّه ينسى هذا التفجّر الذي لا يهتم سوى فمه.

خلاصة هذه الحكاية التي سميتها كآبة الرّخص: كتبت أُمّي أنّي نعرف عدل المحكمة العسكريّة: الجنديّ الذي خنق تلك الفتاة الصّغيرة، حُكم عليه بالإعدام، وكان يعوي مثل حيوان، وهو يتابع الاستعدادات من ثقب في الجدار.

استلمت رسالة من بونافيه⁽⁴⁹²⁾: من أين لك أن تعرف أنّ كتاباتك (وشخصك) ينقصهما هذا الودّ الفياض، الذي هو كالاختضان في العرق والدّم، مازالت القفّازات تغطّي القبضات، حين تلاكمو؟ هذا ما تملكه أنت الأكثر ولا يعرف عنه السيّد أندريه روسو شيئاً

هو متأكد أنّه يراني كذلك -وأنا معه على هذا الرّأي لأنني أشعر نحوه بالصدّاقة الحقّ. هل أنا مخطئ؟ هل بالغت وأنا هذا المحاط برجال من نوع كورسي الذي لا أستطيع أن أكنّ له أيّ ودّ هو متأكد أنّ هذا البورترية الذي رسمه لي صدفة أصبح

بشكل آلي لفائدي. لم أعد أكتب كثيرا في هذا الدفتر لأنني منشغل جدًا بكتابة استهلال عصر العقل. منشغل، نشيط، سعيد. ما أدراني إن لم تكن كل هذه التدوينات متشابهة لتلك اللحظات التي كان فيها توترتي معتدلا، وإن لم أقم برسم لي وأنا في مثل هذا التوتر. عموما؛ هذا هو عيب اليوميات. مبتهج لعودتي إلى بروماث. فبوكسيويلر تشعرني بالاكثاب.

أحد الضباط الإنجليز قال لصاحبة محل إقامة الأكراسية: «لقد انتهت الحرب يا سيديتي. لكن لا يجب أن يعرف الناس ذلك».

الأربعاء 20 مارس

أعدت قراءة يوميات جول رونار⁽⁴⁹³⁾. شخص غريب وكاتب غريب. يعاني من تناقض مزدوج. التناقض الأول ذاتي، ذلك أنه موجود ليسكت؛ خلفه أجيال من الصمت. أمه تتحدث بلهجة قروية، أكثر امتلاء وأشد قسرا من الآخرين. أما أبوه فأحد أصوله ريفية حيث كان جدّي لأبي الذي لم يوجه ثلاث كلمات إلى جدّي على مدى أربعين سنة وكانت تناديه: موظفي. قضى كامل طفولته بين القرويين الذين يصف صمتهم وجهودهم بشكل جيد. وبشكل أو بآخر هم كلّهم يعلنون أن لا فائدة من الكلمات.

ما أن يعود القروي إلى منزله، يتوقف عن أي حركة ويتكاسل. يحب الظلمات ليس فقط اقتصادا في الإنارة ولكن رغبة منه. عيناه أحرقتهما الشمس وتريدان أن يستريحيا⁽⁴⁹⁴⁾.

أو أيضا وصف للأب بولو عند قدوم خادمة جديدة

في اليوم الأول سأله قائلة

493 تمثل الصفحات من 20 إلى 23 مارس بداية دراسة حول جول رونار بعنوان "الإنسان المقيد"

مواقف 1

494 يوميات جول رونار 16 جانفي 1889

ما الذي سوف أعدّه لك للأكل

- حساء البطاطا

في اليوم الثاني سألته مجدداً.

ما الذي سأطبخه لك

- لقد سبق وقلت لك ذلك : حساء بطاطا⁽⁴⁹⁵⁾.

في اليوم الثالث أعادت السؤال نفسه، وقدم الإجابة نفسها. هكذا فهمت كل شيء وأصبحت من وقتها تعدّ له يومياً حساء البطاطا⁽⁴⁹⁶⁾.

لقد كانت هذه السكوتات الفائضة والشحيحة مشهد طفولته. لقد كان شعيرة الجزر [وهذا عنوان سيرته الذاتية] صامتا وإن كان رونار مهابا وغير محبوب كثيرا في الأوساط الأدبية، ذلك لأنه ذهب ليستعرض أمام هؤلاء المثرثرين في ديارهم حقوق الصمت. لقد خلق ليكون أصيل قرية؛ كان بداخله نوع من الشراسة الأصلية وشيء ما معقود ومعزول ينتمي للأب بولو. غير أن هذا الأصيل كان يحب الكتابة، وجاء يؤذي دور الأصيل بباريس، لتأكيد عزله في الرفقات التي يبحث عنها، لقد جاء صامتا عن طريق الكتابة. من هنا ذلك البحث عن حلّ لهذا التناقض، البحث عن صيغة أدبية معادلة للصمت ألا وهي: الاقتضائية. الجملة الأقصر والأكثف، تلك التي تتضمن أقل عددا وتكون أشد ثراء، وهي في الوقت نفسه الجملة التي تتجنب متوالية أخرى من الجمل مثل جملة الأب بولو حساء البطاطا، التي تقوم على نوع من التقشف. من هنا وهم رونار الكبير حول الأسلوب: الأسلوب، بالنسبة إليه، فنّ القصر. موضوع دراسته هو مجموع الوسائل التي تمسك بأكثر عدد ممكن من الأفكار في جملة واحدة: أي كيف يمكن ترتيب الأفكار في جملة واحدة. معضلة السلة: كيف يمكن وضع أكثر عدد ممكن من الأجرات في سلة واحدة. من هنا يأتي اعترافه: ما

495 حساء البطاطا لقد سبق أن قلت لك ذلك "وردت بهذه الصيغة في النص الأصلي

496 25 جانفي 1893.

يعنيه في الروايات هي طرائف الأسلوب⁽⁴⁹⁷⁾. ونعرف جيّداً أنّه من الغباء البحث عن طرائف الأسلوب في الروايات، ففي الروايات يكون الاهتمام أقلّ بالأسلوب، بما أنّ الأسلوب يُمحي في الرواية الجيّدة خلف الحكاية، كما أنّ الاهتمام بالأسلوب قد يتلف الرواية ويجعلها غير مفهومة. غير أنّ رونار لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك؛ يرغم أنّه يشعر بالفرف من الشعر لأنّ بيتاً واحداً، هو أيضاً طويل جداً⁽⁴⁹⁸⁾. هذا بالنسبة إلى النحو، بالنسبة إلى تركيب الجملة الداخلي. أمّا بالنسبة إلى العناصر، للكلمات يجب أن تكون مشحونة بالمعنى، ممتلئة جداً، دون أيّ فراغ. أي لا يجب التوقّف عند دلالة مخصّصة للفكرة، بل إثراؤها بما هو أبعد بالهارمونية. يطلب السجدة من الهارب: الدور الجميل الذي يمكن أن يقوم به الهارب في تلك اللحظة!، من كلمة واحدة في مكانها يعلم القدرة ويلقي ببقية الكلمات الركيكة مثل حيوانات هلامية في سلة المهملات⁽⁴⁹⁹⁾. أكثر ما يمكن من معنى ممكن في الكلمات، أكثر ما يمكن من معنى ممكن في الجملة، في الفواصل. سوف يحدث كلّ هذا إشباعاً زائداً دالاً. يتبلّر كلّ شيء. كلّ جملة هي صمت مغلق على نفسه ومشبع بشكل زائد. والأطراف من ذلك أنّ رونار المتحمّس جداً لقول أشياء كثيرة بأقلّ عدد ممكن من الكلمات، لم يكن له ما يقوله. لم يكن ذكياً جداً ولم يكن عميقاً أيضاً. وهو يبحث عن الاقتصاد في الكلمات ليس من منطلق وفرة الأفكار. بل بالعكس، يبحث عن الاقتصاد من أجل الاقتصاد، مدفوعاً بالرغبة في الصمت، هو يبحث عن الجملة ليستك؛ ومن أجل الجملة يبحث عن الفكرة.

كم هي عبثية الفكرة! بدون الجملة، سوف أذهب لأنام⁽⁵⁰⁰⁾.

لأنّ لديه رأياً ساذجاً وهو أنّ الفكرة محدّدة بالجملة التي تعبّر عنها. تبدو له الجملة بين النقطتين اللتين تحدّدانها، الجسد الطبيعي للفكرة. لا يتناهى إلى ذهنه أنّ فكرة ما

497 "طرائف الجملة" هكذا وردت في النص الأصلي.

498 13 أكتوبر 1892

499 9 أوت 1893

500 1 ديسمبر 1891

قد تستدعي فصلا كاملا، مجلدا كاملا للتعبير عنها، كما يمكن أن تكون غير قابلة للتعبير بالمعنى الذي يتحدث عنه بروشيفيغ عن الفكرة الناقدة، وتستعرض طريقة في تصوّر المسائل. الفكرة بالنسبة إليه هي صيغة مؤكدة تكثف جملة من التجارب. فكرة: كثافة تجارب-جملة: كثافة الأفكار.

مثل: من دواعي غبطتي أن أكون طيبا⁽⁵⁰¹⁾

ذلك هو السبب الأول لتفيطية رونار، تأسره اقتضائته في الجملة. الجملة هي وحدة القياس لأسلوبه. من جملة إلى أخرى ليس هناك من حركة عنده ولا ممر. لاشيء: الفراغ. فهو بطبيعته منذور للمقطع. وذلك واحد من الأسباب -وليس السبب الرئيسي- لبحته الدؤوب عن الصورة. من خلال الصورة نعبر عن الفكرة وما بعدها الهارموني؛ نريح الوقت ونريح كلمات أيضا. مثل: هذا الرجل العبقري هو نسر ساذج مثل إوزة⁽⁵⁰²⁾، نرى جيد ماذا تعني العلاقة بين النسر والإوزة، كلّ ما يجنبنا التقريب. الصورة بالنسبة إلى رونار طريق مختصرة للفكرة ومن هنا هذا الأسلوب الحكيم. فهذه الخطاطة التي يتحدث عنها آرين⁽⁵⁰³⁾، تتعلق بالحديث الشفوي الأسطوري، والأمثال الشعبية للقرويين. كلّ جملة من هذه الجمل هي خرافة لوحدها.

صامت في الصالة، معقود الحاجبين، مزاجه متعكر، وكلّ ما فيه يصبح أنا ساكت، انظروا لي كم أنا ساكت، وفي هذا الصمت المرغوب فيه، المدروس، يغطي الفنان صمّا لا إراديا، أعزل من ذلك الإنسان الذي لا شيء عنده ليقوله.

وبأني التناقض الثاني الذي يفسر شخصية رونار من وسطه الأدبي. نصل هنا إلى التفكك الكامل للواقعية. لقد تحولت طبيعة فلوير وزولا إلى واقعية موباسان، ومن موباسان تناسل رونار. لقد رغبوا في التخلص من الرومنطقية المخفية تحت يافطة

501 25 فيبري 1892

502 8 فيبري 1890

503. بول آرين (1843-1896) كاتب ريفي فحسب رأيه لا يمتلك إرنست ريفان "خطاطة الفنان" (أقوال

اقتبسها رونار في يوميات 17 أكتوبر 1892

الطَّبِيعِيَّة، لا سِمْيًا أَنَّ الجَدَارِيَّات الكُبْرَى لِلقَدَامَى جَاءَت عَلَى كُلِّ الْمَوَاضِع. لَقَدْ تَمَّتْ
مَعَالِجَةُ كُلِّ الْمَوَاضِع بِشَكْلِ حَاسِمٍ مِنْ قَبْلِ إِيْمِيل زَوْلَا، وَلَيْسَ لِلْوَاقِدِينَ الْحَدَدَ طَرِيقَةً
تَسْمَحُ لَهُمْ بِتَجْدِيدِهَا. لَقَدْ انْتَقَدَ رُونَارُ زَوْلَا، وَسَخَّرَ مِنْ هُوسِ التَّوْثِيقِ، وَرَغْمَ ذَلِكَ
يَعْتَرِفُ أَنَّهُ يَبْحِثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ مِثْلَ الطَّبِيعِيِّينَ. الشَّيْءُ نَفْسُهُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى أَوْصَافِ فُلُوْبِيرٍ
وَبَارْنَاسٍ الَّتِي تَقُومُ بِإِحْصَاءِ مِمْتَدَّ مَا هُوَ وَاقِعِيٌّ، (لَوْحَا بَيْسَمَاتٍ عَرِيضَةٍ)، عَلَى سَبِيلِ
الْمِثَالِ، وَصَفَ الْمَرْكَبَ الْبَخَارِيَّ مَفْتَحَ رَوَايَةِ التَّرْبِيَةِ الْعَاطِفِيَّةِ يَعْبَرُونَ عَنِ الْحَاجَةِ
لِلدَّخُولِ أَكْثَرَ فِي الشَّيْءِ، لِلإِمْسَاكِ بِهِ عَنْ قَرَبِ، الشَّجَرَةِ، كَأَسِ الطَّائِلَةِ، لَوْلُوجِ
عَجِينَةِ الْوَاقِعِيِّ، غَيْرِ أَتَمِّمْ مَشْدُودُونَ بِالْوَاقِعِيَّةِ ذَاتَهَا، فَلْتَحْقِيقِ هَذِهِ الْوَحْدَةِ مَعَ
الْوَاقِعِيِّ، يَجِبُ التَّوَقُّفُ عَنْ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ وَاقِعِيًّا. بِإِمْكَانِ بَرُوسْتِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ
لَأَنَّهُ لَيْسَ وَاقِعِيًّا، وَآخَرُونَ يُمْكِنُهُمْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَبْحَثُونَ عَنِ الْجَوْهَرِ. نَشْعُرُ بِهَذَا
الْبَحْثِ عِنْدَ رُونَارٍ غَيْرِ أَنَّهُ يَكْبِجُ نَفْسَهُ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِدْرَاكَ شَيْءٍ آخَرَ عِدا وَاقِعِيَّةِ
الْمَظَاهِرِ. مِنْ هُنَا الْمَعْنَى الْعَمِيقُ لِتَشْبِيهَاتِهِ: هِيَ مَجْعُولَةٌ لِلإِمْسَاكِ بِالْوَاقِعِيِّ عَلَى مَسْتَوَى
تَدْفِقِهِ عَلَى مَسْتَوَى جَوْهَرِهِ. غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَقَارَنَاتِ سُرْعَانِ مَا تَنْقَسِمُ نَحْوَ التَّقْرِيبِ
الْبَسِيطِ لِأَنَّهَا مَسْحُوبَةٌ نَحْوَ الْخَلْفِ، أَوْ مِنْ جِهَةٍ جَانِبِيَّةٍ بِالْمِيتَافِيزِيْقِيَا التَّابِئَةِ [نَسْبَةٍ إِلَى
هِيُولِيْتِ تَيْنِ نَاقِدِ أَدْبِيٍّ وَفِيلَسُوفِ فَرَنْسِيٍّ، وَيَرَى أَدُورْنُو أَنَّ تَيْنَ هُوَ مِنْ أَدْمَجِ الْمَحِيطِ
لِدِرَاسَةِ الْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلْكَاتِبِ أَوْ الْفَنَّانِ]. هُنَاكَ فِي الْأَصْلِ هَذَا الْجُهْدُ الْكَبِيرُ لِنَحْتِ
الْأَدَاةَ الَّتِي سَتَنْغَرَسُ بَعْمَقَ فِي الْمَادَّةِ. كَمَا يَتَضَعُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ التَّدْوِينَاتِ
الْبَسِيطَةِ: الرَّائِحَةُ الْقَوِيَّةُ لِحَزْمِ الْحَطَبِ الْيَابِسَةِ، نَبْضُ الْمَاءِ تَحْتَ الْجَلِيدِ⁽⁵⁰⁴⁾. أُنْعَاطُفُ
كَثِيرًا مَعَ جَهْدِهِ الْخَرْقَاءِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُدْمِيَ الْأَشْيَاءَ. رُونَارُ هُوَ بَرُوسْتِ مَلْجَأٌ،
بَرُوسْتِ نَاقِصًا، لِأَنَّهُ ظَلَّ عَلَى مَسْتَوَى الْمَلَاخِظَةِ. أَدْرَكَ تَجْرِبَةُ الْمَلَاخِظَةِ وَفِي الْوَقْتِ
نَفْسَهُ التَّوْثِيقَ. تِلْكَ كَانَتْ حِكْمَةُ ذَلِكَ الزَّمَنِ، نَسْخَةُ أَدْبِيَّةٍ مِنَ التَّجْرِبِيَّةِ. تَخْلُصُ مِنْ
التَّوْثِيقِ لَكِنَّهُ ظَلَّ يَلَاخِظُ. الْبَائِسُ كَانَ يَلَاخِظُ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا. فِي 17 يَنَايِرِ
يَتَحَدَّثُ عَنْ نَبْضِ الْمَاءِ تَحْتَ الْجَلِيدِ، وَفِي 13 مَآيِ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْإِلْتِهَابِ الْفَطْرِيِّ فِي
الْفَمِ. لَا يَتَجَرَّأُ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْجَلِيدِ فِي يَوْمِ صَيْفٍ قَانِظٍ مِثْلَمَا يَفْعَلُ بَرُوسْتِ، لَنْ يُقَدِّمَ

على إعادة البناء مجدداً. هكذا يتوقف عند مسّ الأشياء. لكن، ليمسّ الأشياء عليه أن يكون أكثر قرباً منها، غير أنّه يستعمل الصورة ليلتحم بمنحنيات وحركاتها. تلك كما عند رونار هي تقريبية تركيبية: تنزلق عنكبوت على خيط لامرئي كما لو أنّها تسبح في الهواء⁽⁵⁰⁵⁾، لفعل السباحة هنا وظيفة تجعل من المقاومة فعلاً غير عاديّ بما أنّ الهواء يعترض بها على العنكبوت، وهو ما لا يعترض به إطلاقاً على الذبابة مثلاً، وإننا لا نستطيع -ورونار أيضاً لا يستطيع- أن ندركه إلّا من خلال تحويل للعناصر. لكن، ومن أجل إيصال الأشياء نحو الأبعد الممكن يجب أن ندرك كما هو الشأن عند بروسست أن ليس هناك تحوّل، وأنّ مفاهيم الهواء والماء تمّ تعلّمها وهي ليست مجرد عناوين مألوّفة، وأنّ الشّيء هو فيما وراء كلّ المفاهيم، التي يمكن أن نستعملها بشكل مخالف، بشرط أن تعيد لنا الشّعور الأوّليّ. واقعية رونار، هي واقعية العلم وحسن النية، وكذلك تشبيهاته هي علاقات من عبارتين، واحدة مُسيّجة، محدّدة مفسّرة علمياً، مطروحة بشكل صلب (عنكبوت ينزلق على خيط لا مرئيّ: يشرحون لنا سبب الشّعور الذي سيتجّ عن ذلك، بل يقترحون علينا الخيط الذي لا نراه) - والعبارة الثانية هوائية أو بالأحرى هي في الهواء، لا قاعلة لها، فانتاستيكية ومرتصّدة بالسحريّ. ها هنا مكنم العوج الذي يهدّد كل صور رونار. في (11 جويلية 1892) كتب: تعويض القوانين القائمة بقوانين غير موجودة، وبهذا الشكل صنع رونار الصّور: من جهة القانون القائم، الشّيء. ومن جهة أخرى القانون غير الموجود: التشبيه. وفي نهاية المطاف، تلتزم الصورة بابتكار عالم تخيليّ حيث تسبح العناكب في الهواء، حيث يغمى عليها، أي أن تغرق في الهواء الحرّ، حيث الثّور مبلّل في الماء⁽⁵⁰⁶⁾ إلخ. إنّ ذوق المسخرة والطرافة عند رونار. إنّ يرى أنّ ما يكتبه هو شعر، غير أنّه لا يدرك أنّه يُضَيّع نفسه. يحدث له أن يجد في عبارة سانت-بول رو تبادل الأشجار العصافير كما تبدّل الكلمات⁽⁵⁰⁷⁾ شيئاً لذيذاً. وهو لا يعرف أنّه لا يمتلك القوّة

505 17 ماي 1889

506 13 ديسمبر و5 نوفمبر 1887.

507 7 ماي 1894

الضرورة لإعادة بناء الواقع بتشبيهات صارمة التصفية (مثل بروس) ومهياة كلها لخدمة هذه المحاولة لإعادة البناء - ولا يمتلك الجسارة للتخلي عن الأساس المادي والأرض المغلفة للمعنى الجمعي، وابتكار ما فوق واقعي [سوريالية] مثل رامبو. التشبيه عند رونار؛ مؤخرة بين كرسيتين. وينتهي به الأمر لكتابة هذا الذي هو مريع وغبي، خاصة أنه لا يدل على أي شيء، فالصورة تتطور من خلال ثقلها الذاتي: بدت الأدغال ثملة من الشمس، تتحرك من هواء متوَعك وتقيؤ الزعرور، زيد أبيض⁽⁵⁰⁸⁾. التشبيه عند رونار يؤثر نفسه، كما يقول أندريه جيد. إنه تردّد. يريد الإمساك بأجزاء نافهة لا شأن لها من الواقع سليخة ذبابة - لكنّه لا يستطيع أن يقول شيئاً عن الواقعي، إنّنا نأتي متأخرين جداً إن لم نكن نملك ميتافيزيقيا مختلفة تماماً، أمّا اللاواقعي فهو خطير جداً، يبعث على الخوف؛ لا يريد رونار أن يتوه ولا بدّ من التيه للقبض عليه.

جول رونار ضحية عجز عصره. يمثل بشكل جيّد انحلال الطّبيعية. لأنّه يذهب مثل معاصريه من التّمدجة إلى الشّخصنة، من المتواصل إلى المتقطع. لقد ولّى زمن النّماذج الكبرى: المحاسب، المرأة اللّعوب. استهلكه زولا وأتباع المذهب الطّبيعيّ الكبار. يبقى التفصيل، الشّخصي. 17 يناير: وضعها أوّل مفتاح الكتاب: لم أر نماذج، بل أشخاصاً. الحكيم يُعمّم، والفنان يُشخص، رغم أنّ هذه الجمل التي كتبت سنة 1889 تميّز بأسبقية في الذّوق على مهن الإيوان الجيديّ [نسبة إلى أندريه جيد] التي تطالب بالدراسات التاريخيّة الأحادية. فإنّني أرى فيها اعترافاً بالعجز. ينجذب جيد إليها لأنّه يرى الإيجابي فيها هو شخصي. أمّا بالنسبة إلى رونار ومعاصريه، فالشّخصي هو ما يتبقّى وليس هو العام ولا النموذج، مادّة تعرّض إليها القدامي. والدليل هو اللّابقيّن التّام حين يمسّ رونار طبيعة هذا الشّخصي. تضايق رونار سنة 1889 من دوبيس⁽⁵⁰⁹⁾، ولديه أيضاً نظريّات حول النّساء! ألم تنته إلى الآن النّظريّات

508. 1889 نفس المصنر.

509. شاعر وصحفيّ أحد مؤسسي مركز دي فرانس. (87) 29 (88) ماي 1894.

حول النساء؟⁽⁵¹⁰⁾ هكذا ينطفيء الشّخصي بشكل خفيّ ونعثر على النموذج حين يتمّ التفتيش جيّداً داخله. هذا الميل نحو الشّخصيّ استفاد من التّصوّر الجمعيّ، المتشائم من الحقيقة، والنّاتج عن صعوبات اعترضت العلوم كلّ علم في مجاله. كتب رونار: لقد رأى أجدادنا الأسلوب، النموذج المتواصل... أمّا نحن فلقد رأينا النموذج المتقطع في هدايته وأزماته، لحظات طبيته ولحظات قساوته⁽⁵¹¹⁾. لم تعد هناك حقيقة واحدة للإنسان، هناك حقائق متعدّدة. من الطّريف ملاحظة أنّ أناطول فرانس معاصره كتب في الفترة نفسها تقريبا في الحياة الأدبية⁽⁵¹²⁾ (في 1891 - والجملة ذكرها جول رونار 1892):

لقد قيل إنّ كانت هناك أدمغة ذات حواجز سميكة محكمة. التّسرّب الذي يملأ إحدى المقصورات من المستحيل أن ينفذ إلى الأماكن الأخرى. ومثلما استغرب عقلائيّ متحمّس أمام السيّد تيوديل ريبو من أنّ هناك رؤوسا خلّقت هكذا، أجابه معلّم الفلسفة التجريبيّة سرور لطيف قائلا: لا شيء خلّق ليفاجئ، أليس عكس ذلك أن يعمل تصوّر ذهنيّ على بناء وحدة داخل الذّكاء البشريّ؟ لماذا لا تريد أن يصبح شخص ما مضاعفا، ثلاثيا، رباعيا؟

صفحة ثمينة في غيابها، لأنّها تبين لنا التّأثيرات الفلسفيّة التي مورست مباشرة أو بطريقة غير مباشرة على أدبه: ريبو. ولأنّها تظهر أيضا أنّ هذا الجمع التجريبيّ كان موجّها بشكل متعجّل ضدّ العقلايّة. كلّ هذا التّوجّه التّشاؤميّ وجب أن ينتهي عند لاهارمونيّة الطّبيعة البشريّة لميتشنيكوف⁽⁵¹³⁾ وبالفعل هي لاهارمونيّة الطّبيعة، التي يريد رونار أن يستعيدها. وهو ما يبرّر أنّه لا يأخذ سوى اللّحظات الفوريّة، يصبح

510. يوميات جول رونار 19 نوفمبر 1889.

511 29 (89) فيفري 1892.

512 في مقالة بعنوان "بلاز باسكال والميد جوزيف برتران"

513 ي الإنسان حسب هذا البيولوجي "لاهارمونيّة" ورثها أعضاء وحشرات غير متألّفة مع بيئته ويمكن للعلم أن يلمع هذه اللاهارمونيّة في كتابه "دراسات حول الطّبيعة البشريّة، مقالة في الفلسفة التّفاؤلية" صدر عن دارماسون وشركائه سنة 1903

قائلا: في قطع صغيرة، في قطع متناهية الصغر⁽⁵¹⁴⁾، ها نحن نعود، عبر مسلك آخر يسميه هو بكلّ فخر علميّة، إلى الجملة، مدرّكة لوحدها كمنجز فنيّ. ومن هذا المنطلق، إن كانت الطّبيعة كلّها فوضى ولا هارمونيّة، فسوف تكون الرواية مستحيلة. كتب رونار إنّ الرواية صنعت زمانها لأنّها تطوّر متواصل. إن كان الإنسان سلسلة مبتورة من الأفضل كتابة قصص قصيرة كتابة مجلّد من قصص قصيرة جدّا، وعنونتها بصقاله الورق.⁽⁵¹⁵⁾

الشيء نفسه دائما: عصفور في اليد، ولا ثلاثة في السماء.

الخميس 21 مارس

وما أجهز نهائيّا على جول رونار، فكرة أنّه كان فنانا. فكرة الفنّان هذه جاءت من آل غونكور فبصمتها واضحة في هذه الفكرة الغريبة الوقحة. جدليّا هي ما يتبقّى من الشّاعر العرّاف عند هوغو والشّاعر الملعون في الفترة الرومنطيّة. لعنة بيضاء، متبرّجة مريجة: ليست إطلاقا لعنة المعزول الدّاعي للعنات، ولكنّها تلك التي تعتمد على النّخبة، سعيد شقيّ ذاك الذي يختزل نفسه في أن تكون له أعصاب مثل الدانتيل، وغنيخ لائق جدّا كما يقول آل غونكور. ها هو غوتيه صاحب الفنّ من أجل الفنّ، فلوير وأسلوبه الجميل المزيف قد مرّا من هنا. وعليه فإنّ مفهوم الفنّان بهذا الشّكل ليس فقط البقاء على قيد الحياة لأسطورة كبيرة شبه دينيّة، الأسطورة الرومنطيّة للشّاعر، إنّما هو أيضا ذلك الذي من خلاله يكتب ويشاهد نفسه ضمن نخبة ذلك المجتمع الصّغير، من البورجوازيين الهانئين والمثّقين. وهذا المجتمع يتوفّر بداخله على أخطاء المجتمع الأوسع، وعيوبه. زمن غريب يعيش فيه الكتاب بين بعضهم لأنّهم لا يريدون أن يكونوا ناسا عاديين من ضمن الآخرين. لا يبدو لي أنّ الكتاب

514 يوميات رونار 11 جويلية 1892.

515 26 أكتوبر 1893.

على تواصل اليوم مع بعضهم البعض، بل إنهم لا يرون أن هذه المهنة الجماعية سبب كاف للتقارب فيما بينهم. في ذلك الزمن كان الكتاب يشعرون بأنفسهم خبراء مطلعين، ومن واجبه ألا يتحدثوا إلا فيما بينهم. كلمة رونار لأحدهم هلاً مكثت قليلاً؟ سوف نتحدث حول الأدب. لأن المقصود بأن نتحدث حول الأدب، هو التدافع والكرهية، نشعر أننا منبوذون شيئاً ما من الآخرين، الذين يعيشون بشكل عادي، لكننا نبذهم بشكل زائد. لسنا متواصلين جداً مع ذاتنا ولكننا حساسون. وهذا ما يفاجئ اليوم: يطالب الكاتب بأن يكون فتاناً شأنه في ذلك شأن النحات أو الموسيقار. لم أفكر يوماً أنني فتان. وليس للكلمة أصلاً من معنى عندي. وها إنني أرى أن رونار يحتاج لأن أعازف كما يزعم أنه يشعر بمتعة فنية أقوى بكثير مما يشعر بها كاتب: مقارنة بين الموسيقى والأدب. يريد هؤلاء الناس أن يشعرونا أن انفعالاتهم أشد اكتمالاً من انفعالاتنا... أجد صعوبة في الاعتقاد أن هذا الرجل الطيب الصغير الذي بالكاد يحيا، يمكنه الذهاب أبعد من فيكتور هوغو أو لامارتين اللذين لا يحبّان الموسيقى، في المتعة بالفن⁽⁵¹⁶⁾.

الفنان لا يتميز فقط بما ينجزه من أعمال فنية كما نعتقد ذلك بسذاجة، ولكن لأنه يشعر بمتعة بالفن. النخبة دائماً. وهذه الحساسيات الفنية تتشكل جميعاً. من هنا الفكرة المتحفظة عند رونار، وعند معاصريه حول الجمال. المادّة مكدرّة وكثيية. هذه هي حساسيات النخبة، إنها ترتجّ للجملة التي تعبر بيهاء عن فقرها. لقد تمّ إنقاذ الواقعية الأكثر سطحية بيهاء الشكل. تغلت منهم فكرة أن مادّة المنجز الفني يجب أن تكون جميلة أيضاً إذ هي تلازمهم مثل الندم. الواقعية! الواقعية! اعطوني واقعا جميلا سوف أشتغل وفقه. (30 ماي 1890). لاشيء كان أكثر غلطا من هذا التّصور الاجتماعي للكاتب بوصفه عضوا في مدرسة للفنانين - ولا أكثر تزييفا من هذا التّصور للجمال باعتباره تبيلا للواقع.

جول رونار شخص مقيد تماماً، مقيد بعائلته، بالطرق الأدبية، زواجه، باقتضابيته،

عافر بيوميّاته. ليس له من منابع إلّا في الحلم (وهو في الغالب حلم سطحيّ لمراهق صغير لا يتجاسر على القيام به).

الرغبة في الأصالة مهما كان الثمن عند رونار ردّ فعل ضدّ هؤلاء الأسلاف المزعجين، الذين لم يتركوا له شيئاً يفعله - وضدّ نزوعه الملح للتقليد.

الجمعة 22 مارس

استلمت رسالة من موريس صاييه⁽⁵¹⁷⁾: أدرب نفسي على أن أصبح مجنّداً حقيقيّاً -نوع نادر جدّاً، إن أمكن، أن يكون المتوفّر ناتجاً عن التغذية.

مكتبة

t.me/soramnqraa

السبت 23 مارس

قال غرينر سَبَّاك ألزاسي: «لن يطول الأمر أكثر من مائة وسبع سنوات.

أنا: «لا، بل سوف يطول الأمر أكثر ممّا ذكرت».

هو: «لا أحد هنا يشعر بذلك».

أنا: «ومن بعد؟ كلّ من سوف يصرخ سوف يلصقونه قبالة الحائط مثلما حدث في 1917».

هو: «لن أقول. ليس الآن. لكن سوف ترى؟ كما هو الأمر عندهم هو عندنا.

أنا: عندهم».

هو: «كلّ ما هناك. أنّهم منضبطون أكثر ممّا. لكن لا تشغل بالك. إن اضطرب الحال عندنا فسوف يضطرب عندهم. لن يطول الأمر على هذه الحال».

أشياء كثيرة تحدث لي، مثلما في شهر ديسمبر، وعندني الكثير من الأفكار. غير أنّني

517. مساعد أدريان مونييه (انظر التدوينة 1 ص 594) سوف يصبح فيما بعد مؤسس كوليج

الباطافيزيك كنيته: جوستين صاجييه.

أنكاسل لتسجيلها. هذا الدفتر يموت من الفتور، إلا إذا حدث تغيير ما في حياتي.⁽⁵¹⁸⁾

بالنسبة إلى رونار تغيير البيئة ذلك هو حدث حياته الذي لم يدركه. يمرّ من الوسط الذي شكّله آل غونكور إلى وسط المسرح: روسطان- كاييس⁽⁵¹⁹⁾ - برتران - غيتري⁽⁵²⁰⁾. كان في حاجة لحرارة غيتري ليحيا. كلّ حياته يمكن تلخيصها في هذا المقطع لشووب⁽⁵²¹⁾ لقد فضّل الصداقة على الحبّ احترازا وإبقاء للعاطفة المثلية التي عاشها خلال شبابه.

الحياة المربعة لجول رونار.. ليست يومياته ثمارين في القسوة الصّافية بل هي زاوية شراكة خجولة وحنونة مع نفسه. إنّه الوجه الآخر لسكونات في عائلة السيد لوبيك⁽⁵²²⁾، لقد فكّ الأزرار - وهو ما لا يوحى بذلك لأنّ أسلوبه يضع الشّباب كاملة.

هاهو مقطع من جريدة آل غونكور يؤكّد ما كنت أقول حول جيل رونار:

قدم إيميل زولا لتناول الغداء في بيتي، أخبرني بسلسلة من الروايات التي يريد أن يكتبها، ملحمة من عشرة مجلّدات، حكاية عادية واجتماعية لإحدى العائلات. قال لي: «بعد ما قام به فلوير من تحاليل دقيقة للعاطفة في مدام بوفاري، وما أمكن لك تحقيقه من تحليل للأشياء الفنّية التشكيلية والعصية، بعد هذه الأعمال الجلييلة، والمجلّدات المشغولة بدقّة فائقة، لم يعد هناك من مكان للشّباب؛ لا شيء؛ لإعادة بنائه، لبناء شخصية، وجه: لا يمكن أن نتحدّث للجمهور إلّا من خلال كمّيّة كبيرة من

518 من الممكن لضرورة "القوضيب" حين يكتب سارتر عن علاقاته بالمقربين إليه، والحال إن هذا موضوع عدم رضا واستياء من نفسه. هذا ما لا يشجعه على مواصلة الكتابة في هذه الدفاتر

519. الفريد كاييس مؤلف مشهور لكوميديات حول الأخلاق (1858-1922).

520. لوسيان غيتري (1860-1925) ممثل مشهور أب الفنان ساشا غيتري.

521 مارسيل شووب (1867-1902) حكاء وصديق لجول رونار وبول لهوطار مؤلف حيوات متغيلة وكتاب مونيل

522 شخصية شعيرة جزر رواية لجول رونار.

لكن بعد هذه الملاحم في عشرة مجلدات؟ ما الذي سوف يتبقى؟ في تلك اللحظة ظهر جول رونار. فهو الذّيل الخلفي لهذا الأدب الذي يذهب من فلوير إلى موباسان، مروراً بآل غونكور وزولا. إنه مجرد مختصر. بل قضي كامل حياته مختصر. ورغم ذلك كان له التأثير الأعظم على كلّ أدب ما بعد الحرب.

من المذهل حقاً، أن يكون المرء على مذهبي، وأن يرى كلّ الاتجاهات حرّة، في الكتابة والتّفكير، وكلّ شيء قابلاً للتّقصّص، وللإعادة والتّغيير، في كلّ اختيار جديد، شعور سينتابنا، باقتطاع ألف إمكانيّة عذراء، ومن دواعي الاستغراب أن تقرأ يوميات لشخص يؤكّد في كلّ صفحة منها أن كلّ الاتجاهات مغلقة وآته لا بدّ من عرق الجبين، للظّفّر بالأصالة.

الأربعاء 27 مارس

فقدت الرّغبة للكتابة في هذه الدّفاتر خلال كلّ هذه الأيام الأخيرة: أنهيت بسرعة استهلال عصر العقل لأنني سوف أخرج في رخصة. الآن أشعر بشيء من القرف من روايتي: تبدو لي خرقاء وفارغة. على كلّ حال هو عمل بدايات: بداياتي في الرواية. يجب إعادة كتابتها.

مبتهج لأنني سوف أخرج في رخصة، لكنّها لن تكون كسابقتها. بي رغبة فقط أن أرى الناس وباريس. كلّ شيء صار بسيطاً، كلّ شيء، خفّ ضغط كلّ شيء منذ شهر فيفري. انتهى ذلك التّوتر الذي لازمني خلال الأشهر الأولى. اليوم أشتغل، أعيش الحياة يوماً بيوم، تألّفت مع نمط الحياة هنا دون أن انتبه لذلك. انتهت الأزمنة البطوليّة لهذه الحرب الغريبة. لم أعد منشغلاً بالأصالة منذ زمن - ولا بالعدم. أعتقد أنّني أقلّ قيمة ممّا كنت عليه في مورسبورن مثلاً. صرت شخصاً عادياً جداً.

بعد أن أنهيت قراءة يوميات جول رونار، قرأت مقطعاً من يوميات آل غونكور متعلّق بسنوات 1870-1871. حسبت في البدء بشكل مبهج أنّني قد عثرت على

صفحات ملأى بعد ذلك الاستعراض المرهق للصفحات الفارغة عند رونار. كان هناك حديث عن حصار باريس، عن الكومونة. واستطاع غونكور أن يحوز إعجابي وتقديري. غير أنني سرعان ما أحبطت. غز هذا الشاب، الخواف، النحاب الأناني والمهووس. وبالعكس فما يحكيه مستنيرا بكتب ديفو ودوليفيه يستدعي الاهتمام.

بدأت بإعادة قراءة الوضع البشري⁽⁵²³⁾، أصابني ضيق من التشابه الأخوي بين التمثيلات الأدبية لمارلو وغمشاتي، كان هناك عالم من القتل وبقي هناك كالحرارة، كان بإمكانني أن أكتب هذا. لم أكن يوما متأثرا به لكننا تحمّلنا نفس التأثيرات الجماعية - تأثيرات لم تكن أدبية. نفس طريقة الاعتماد على التفصيلة المحسوسة (التي يقدمها بول نيزان بشكل فائق) واستعادة النفس عن طريق رسم الأجواء. نفس الطريقة الصبورة في اختيار التفصيلة الدقيقة (لم يتعرف كيو إلى صوته ترسله الأسطوانة، لأننا نسمع أنفسنا عن طريق الحنجرة) وتفخيم ذلك من صفحة إلى أخرى إلى درجة ترميزه. نفس الطريقة متعثرة أحيانا في الولوج مباشرة إلى الأسلوب المباشر والخروج منه. ألا أنني أرى الكثير من الحيل؟ ليس هناك أي تأثيرات. لا أشعر بأي شيء. ورغم ذلك هو مقطع جميل جدًا (وهذا أيضا يشبه مونولغات ماتيو مثلا: بأذاننا نسمع أصوات الآخرين، أما أنا فأسمع بحنجرتي. نعم حتى حياته، نسمعها عن طريق الحنجرة...؟ في البدء كانت هناك العزلة الثابتة خلف التعدد الموتي مثل اللبلة البدائية الهائلة خلف تلك اللبلة الكثيفة والواطنة، ومن تحتها ترصد المدينة المقفرة مليئة بالأمل والكراهية. لكن أنا، بالنسبة إليّ أنا، ماذا أمثل بالنسبة إلى الحنجرة؟ نوع من التأكيد المطلق، التأكيد المجنون، كثافة أشد عمقا من كل ما هو باق. بالنسبة إلى الآخرين أنا ماذا أفعل، لم يكن ما قد فعله بالنسبة إلى مي فقط، بل كان من من أجله هو فقط، كانت شيئا آخر مختلفا تماما عن سيرة حياتها. العناق الذي من خلاله يشد الحب الناس بعضهم إلى بعض ملتحمين ضد العزلة، لم يكن هذا العناق يقدم مساعدته

523 بعد أن وعد سارتر جان بولهان بكتابة مقالة حول روايات أندريه مالرو للمجلة الفرنسية الحديثة بداية من فيمري 1939 تراجع عن ذلك كما تراجع أيضا عن كتابة مقالة حول يوميات أندريه

للإنسان، للمجنون، للوحش الذي لا شبيه له، المفضل لدى الجميع، كل كائن هو نفسه ويسقط في قلبه. منذ وفاة أمه. كانت مي هي الكائن الوحيد كي لا يجعل من نفسه كيو جيزور [كيو جيزور بطل رواية مصير الرجل لأندرية مالرو الصادرة سنة 1934] غير أنها كانت الشراكة الأشد التحاما. شراكة مقبولة، جذابة، مختارة، هكذا كان يفكر، ليس الناس أشباهي، هم أولئك الذين ينظرون إليّ ويقيموني؛ أشباهي، هم أولئك الذين يحبّونني ولا ينظرون إليّ، يحبّونني ضدّ كل شيء، يحبّونني ضدّ النقصان، ضدّ التفاهة، ضدّ الخيانة، يحبّونني أنا، لا ما أفعل، أو ما سأفعله، يحبّونني بقدر ما أحبّ نفسي- إلى درجة الانتحار، مفهوم... معها وحدها أجد هذا المشترك من الحبّ الممزق أو غير الممزق، كما كان لآخرين معا أطفال مرضى وسوف يموتون.

في أحد الأيام شعرت كم أنّ شلومبرغ⁽⁵²⁴⁾: معاصر لأندرية جيد. وأحسّ أيضا بقوة كم أنا معاصر له (حتى ثقافيا). يجب أن أقول إنّه لاشيء متعلّق بالكمال. غالبا ما يكون النّحو جباناً، الكلمات بشعة وملتبسة. أشعر أنّي بصدد قراءة مسودّتي الأولى.

الخميس 28

وزارة راينو⁽⁵²⁵⁾. استطاع هذا الذي يعيش عزلة في اليمين أن يكون بقوة الأشياء أغلبية في الجبهة الشّعبية، في حين أنّ دالاديه رئيس أكبر حزب كوّن الجبهة الشّعبية، يحكم بأغلبية الكتلة القوميّة. فطنة الاشتراكيّين الذين تركوا متابعة انحلال الحزب الشيوعيّ بأنّ حرموه أصواتهم، ثمّ قبلوا بعد ذلك المشاركة. هل ستستمرّ هذه الحكومة؟ لا أعرف إلى الآن كيف تمّ قبولها هنا؟ الضّباط الرّجعيّون يعيرون على راينو ولاءه لروسيا. يبدو أنّ من أسباب سقوط حكومة دالاديه موقفه المتقلّب تجاه

524 جون شلومبرغ (1877-1968) روائي وناقد وأحد مؤسسي المجلة الفرنسية الحديثة

525 بول رابو حلف دالاديه في 21 مارس.

روسيا. تذكير سوريتز⁽⁵²⁶⁾ الذي طالبت به حكومة الدالديه⁽⁵²⁷⁾ يبدو أن الغاية منه القبول باليمين.

أسافر في رخصة بعد منتصف النهار.

يعيب الجنود هنا على راينو أنه لم يقل كلمة واحدة خلال خطاب مراسم تنصيبه المذاع حول بطولية الجنود الأشاوس، ما كان دالديه يغفل عن هذا إطلاقاً، قال أحدهم متأثراً.

محادثة مطولة بالأمس مع غرينر. مع هذا الشخص القظّ والماجن الذي يضرط ويتجشأ كما يتنفس، ولأنه في الأصل عامل أتصنع الودّ، كان أول أمس راقداً تحت تأثير السكر على كرسيّ ويشخر، بينما كنت أكتب. فجأة، استفاق بعينين محمّرتين نصف مغمضتين، مجنوناً التفت جهة الجدار، فكّ أزرار فتحة بنطاله وشرع في التبول. اندفعت نحوه صائحا ألم تنته أيها القذر غمغم: اغلق فمك، وواصل، وأنا أمسك بأطرافه وأرّجّه. أنهى تبوله وانهار مجدداً على الكرسيّ وعاد للشخير من جديد وللتأوه والتقلب. غير أنّي أريد أن أكون محلّ إعجابه رغم التفور من جسده بسبب رائحته وقذارته، ولقد نجحت في ذلك دونما صعوبة، لأنه يشعر بالزهو حين أتحدّث إليه. بالأمس كان فصيحاً. كانت الكلمات تنساب كما لو أنها مجرورة بثقلها الخاص من وجهه الجامد والثقيل. لديه دائماً هذه التبرة المحتدة المتواصلة. سكوتات متقطعة، لإعادة بناء احتياطيّه من الكلمات، ثم يعود الانسياب مجدداً. من حين إلى آخر يشرب نبيذاً أحمر وتتضاعف حدّته. لا أجد صعوبة في الاستماع إليه، بل يهمني كثيراً. يكره ويزدري السكرتاريين ويشرح لي غروره في أنّ كلّ ما يقوله هو من عنده هو أولئك الآخرون، لو فقدوا مهنتهم ما الذي تراهم يفعلون؟ إنهم لا يعرفون أن يشتغلوا بأيادهم، سوف يتسوّلون. أمّا أنا فإني أساوي أكثر منهم بكثير، أعرف القيام بكلّ شيء. إن قالوا لي: خذ الفأس، سوف آخذ الفأس؛ خذ المنشار، سوف آخذ المنشار،

526 أرسل جاكوب سوريتز سفير الاتحاد السوفياتي ببريس برقية لحكومته حول الحرب الفنلندية - الروسية وفيه انتقاد لاذع لسياسة فرنسا.

527 خطأ من سارتر: إذ إن حكومة راينو هي التي طالبت بتذكير سفير الاتحاد السوفياتي في 26 مارس.

كنت أقطع الخشب لعدة سنوات طويلة خارج أوقات العمل أياه! بهذا الشكل استطعت اشتراء منزل وبقرتين. لن تفهم هذا أنت، حين يملك المرء بقرتين فقد نجا أشعر جيّدا بافتخاره لأنّه محاط بالأشياء، وهو مدين لها بوجوده، وقد وفرّ متوجا بشكل مباشر أو غير مباشر، عن طريق قوّة ذراعيه؛ ثمّ هناك إحساسه بالأمان تجاه الضربات القويّة: باستطاعته التخلّص من كلّ المضائق لأنّه يستطيع فعل أيّ شيء، إحساسه بالحياة في طبيعة متوحّشة وكارثيّة، هذا الإحساس الذي دفعه لترويض هذه الطّيعة وازدراؤه من السّكرتاريّين الحقيرين، هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يعيشوا إلّا في أعلى هرم المجتمع مُنجلدين ومرتبّين. ولهذا هو يزعم ويشنّكي -على طريقة القرويين، وليس مثل العمّال، يقول: يهزؤون بهتler ولكنّ ما فعله جيد، يهزؤون بالسّوفيات ولكن جيّد ما فعلوه أيضا.

كانت ردّة فعل ابنه ذي الإثني عشر عاما، والفاشل في دراسته، أن واجهه قائلا: لست في حاجة إلى كلّ هذا لأكون عاملا، ذهب الأب لمقابلة المعلّم وقال له: «اضربه». لقد ضايقوني كثيرا عندما كنت صبيّا في مثل سنّه. عليه أن يتضايق هو بدوره (528).

528 سوف يحرج سارتر في رخصة من 28 مارس إلى 9 أبريل للمرة الثانية والأخيرة.

ملاحق

الملحق الأول

الأيام من 25 أكتوبر إلى 11 نوفمبر

الدِّفتر 2 برومات

25 أكتوبر

كتب سارتر البارحة أربع صفحات إضافية في دفتره الجديد حول الحوافز والدوافع. اليوم اشتغلت بشكل أقل وتركزت جانباً مطلع فكرة حول- *umwelt* ⁽⁵²⁹⁾ بوداعة. لم أفعل شيئاً باستثناء كتابة روايتي.

26 أكتوبر

كتبت عشر صفحات أخرى حول التأريخية. بدأت أعرف نفسي (...). عندي أفكار كثيرة الآن وأنا سعيد لأنني أكتب في هذا الدِّفتر؛ فهو مولد لكل هذه الأفكار (...). يمنحني حياة سرّية، موازية لحياتي العادية بما فيها من مباحج وتحيرات وندامات، وما كنت لأعرف حتّى نصفها لولا هذا الشّيء الصغير من جلد أسود.

يفكر سارتر في نشر هذه الدِّفاتر في المستقبل. يريد أن تطلّع عليها بيانكا رغم بعض

529 البيئة، المحيط: مصطلح فلسفي ألماني، استعمله هومرل ومايدجار. الجزء الرابع من الوجود

والعدم. الفصل الأول "حرية ووقائمية: الموقف"

الإيماءات السلبية حولها: المقاطع حولها وحول فاندا متعددة دون أي أهمية (تسجيلات انقلابات مفاجئة للمزاج مع اعتبارات نفسانية، باختصار حكايات زمن السلم) وبما أنني أنوي نشر هذه الذفاتر، من المستحسن شطب المقاطع ذات الصلة.

قراءات: العقيد جاك (ديغو) أطفال الطمي (530)

27 أكتوبر

لا يزال سارتر منشغلا بحياته الثلاثية؛ يحس نحوها برجع من الحنين: فيما يخص زمن ما بعد الحرب (...) لن أترك من يأكلني. من المؤكد أن لفاندا وبيانكا حقوقا عليّ (ليس الأمر كذلك فيما يخص فاندا): حقوق الوفاء.

30 أكتوبر

أنفهم جيدا يا حبي حاجتك إلى الترتيبية - رغم أنني كتبت لك بالأمس ماذا يعني هذا. لكن عليك أن تعرفي، لا يجب أن تكوني غيورة من عاطفة بيانكا نحوي (...) لا مجال للمقارنة.

ما زال الشغل متواصلا حول التأريخية: أحوم حول فكرة مركزية تسمح لي بمحو اللأوعي، بمصالحة هايدجير وهوسرل وأن أفهم تأريخيتي. لكنها مستديرة تماما دون أبواب ولا ووافذ، لا أعرف من أين أمسك بها.

الاستعداد للزيارة السرية التي سوف تقوم بها سيمون دي بوفوار إلى برومات.

31 أكتوبر

حاولت مصالحة هايدجير وهوسرل في حانة السيرف وفشلت. بذلت جهدا كبيرا مصرا في عناد، غير أنني لم أتقدم، وشعرت بعد السادسة صباحا بالقرف. لا بد من إعادة الاشتغال على كل شيء. نفس الفكرة المستديرة التي لا أعرف من أي طرف أخوضها، أمسكها جيدا

بيدي غير أنها تنسرب من بين أصابعي مثل كرة مزينة.

قدوم سيمون دي بوفوار هذا المساء إلى برومات.

5 نوفمبر

شرح سارتر في دراسة حول نفسه (انظر التلميحات إلى ذلك في الدفتر الثالث بتاريخ 2 ديسمبر).

6 نوفمبر

البارحة رحلت سيمون دي بوفوار: (...) قضيت كامل الصباح أخريش في دفترتي. لكن ليس حول ما قيل؛ الأمر بالأساس بسيط: لقد كنت سعيدا بعمق وبهدوء ولا أريد أن أشعر الآن بأي أسف (...) هذا ما لم أكتبه. غير أنني واصلت من الساعة 9 إلى الساعة 11 (...) الانشغال بورق أزمنة مراهقتي (...)

قراءات لعدد نوفمبر من المجلة الفرنسية الحديثة: أخبار كايردال لأندريه سواريز، ومقاطع من يوميات تولستوي.

7 نوفمبر

واصلت اليوم الكتابة حول الاجتماعي. بدأت أشعر بالقرص من نفسي لما أبذله من جهد للكتابة عني، لقد نال مني التعب، ولم يعد يروقني ما أكتبه. سوف أنتهي من الأمر غدا وأعود للاشتغال على روايتي (...) وفق لعبة الأرجوحة الشهيرة، فكّرت أنه يمكنني أن أهمل الدفتر لبعض الوقت عدا حالات طارئة.

8 نوفمبر

لقد اشتغلت إلى حد الآن وقمت بدراسة جيّدة حول نفسي، أعطت نتائج مُبهجة.

9 نوفمبر

يحضر سارتر تسليم الأسلحة مع حفل توصيم: كنت أسجل من جهتي كلمة بكلمة، كلّ
عادثات الزّفاق والسّكريتاريّن. قرأتها على مسامعهم فيما بعد، فضحكوا واحتاجوا.

10 نوفمبر

يشتغل سارتر على روايته (...) أعتقد أنّها جيّدة جدّاً لكن بجرأة (...) سوف يُقال:
«هناك صورة...»

11 نوفمبر

رواية: إعادة كتابة شخصية مارسيل.⁽⁵³¹⁾

قراءة: الحياة العاطفية لبرليوز.⁽⁵³²⁾

لم يعد يشعر بالحبّ تجاه بيانكا.

531 صديق ماتيو بطل الرواية.

532. كتاب إتهان راي فلاماريون 1919.

الملحق الثاني

الدَفتر الرَّابِع (من 8 ديسمبر إلى 16 ديسمبر) الذي يبدو أنَّ سارتر خصَّصه كلّهُ للفلسفة مفقود. للأسف لم يخبر سارتر سيمون دي بوفوار بمتابعته فيما كتبه حول الحرّية والوقائعية بعد 9 ديسمبر. بعض الإشارات لما كتبه في هذا الدَفتر، وأنشطته الكتابيّة والقرائيّة، من خلال رسائل إلى الكاستور....

11 ديسمبر

صفحات وصفحات حول الحياة والجوهر

12 ديسمبر

نقاش مع الرّفاق حول قيمة القسم، في علاقة بحالة وعي مطروحة على ميستلر. اتّضح أنَّ أحد السّكريتاريّين أحد تلامذته.

يكتب بأسلوب بول موران، الذي قرأ له مغلقي في اللّيل⁽⁵³³⁾.

قراءات أخرى: صلبان الغابة لدورجيليس؛ عدد ديسمبر من المجلّة الفرنسيّة الحديثة.

13 ديسمبر

كتبت مطولا حكاية ميستلر في الدَفتر (...)

14 ديسمبر

بإيجاء من نظريّة الحفل⁽⁵³⁴⁾ لكايو أعددت نظريّة حول الحرب والأخلاق. أعتقد في ذلك

533 أحب سارتر كثيرا موران ونمسخ بعض قصائده حين كان عمره ثمانية عشر سنوات (كتابات الشباب). هاهو اليوم يجد الكتاب "مُسنا"

شيئا ما، أمر مبهر. غير أنني لاحظت وأنا أكتب كم يمكنني ابتكار نظرية لدقيقة واحدة في زمن شابي المجنون وإلى أي فئة من الإيمان ينتمي هذا الأمر عندي.

15 ديسمبر

(..) لقد جعلتموني أقع في مهاوي ارتباكات ومتاهات تدوينات على دفثري : هل أنا أقوم فقط بعمل إحصائي، أم إنني لا أأمل التخلص من شخصيتي المتصلبة شبه الميتة مثل السلم؟ وما الذي أريده أكثر؟ أن أنطور طبعاً، تلك هي فكرتي الثابتة، لكن إلى أي مآل؟ لقد حلصت إلى أن المسألة متعلقة بتغيري بقدر ما عليّ أن أتمسك بي، وبهذا المعنى أنت على حق، هو إحصاء، ولم يكن من الأخلاقي أن أريد شيئاً آخر غيره.⁽⁵³⁵⁾

الرواية: اللقاء بين مارسيل وماتيو ينتهي اليوم دوناً شك.

قراءات: أربعة كوية [قلب] رواية بوليسية ل إيليري كوين.

16 ديسمبر

شرعت في الفصل الأخير من روايتي (...). وفي الوقت نفسه أقرأ رواية كولومبا الرائعة، ومفهوم القلق حيث توجد الكثير من الأشياء تحت غطاء لاهوتي متجههم نوعاً ما. ليس هناك أي شك من تأثر هايدجير بذلك. (...) لقد أنهيت دفثرا آخر.

534 فرأ منها الجزء الأول في عدد ديسمبر من المجلة الفرنسية الحديثة.

535 في بعض فقرات الدفاتر. يحدد سارتر دوراً لتزوع نحو الذات أكثر تطرفاً؛ الدفثر الرابع عشر بتاريخ 10 مارس: "كانت دلالتها الأساسية تشديد تلك العزلة التي كنت فيها والقطيعة بين حياتي الماضية وحاضري".

الملحق الثالث

الفترة الموافقة للدفاتر الخمسة المفقودة

من 23 ديسمبر إلى 31 يناير (536)

24 ديسمبر

اشتغلت قليلا في دفثري. وأشرع في الدفتر السادس.

25 ديسمبر

يشتغل سارتر على المشهد المهم بين دانيال وماتيو في روايته.

27 ديسمبر

ينقل للكاستور مقطعا من الدفتر الرابع:

يقوم كيلر من حين لآخر بمشييات على أطراف الأصابع فوق الطاولة. عادة مدنية. إني أراه في بيته وقد أبعد الصحن، العين فارغة، يطبطب فوق القماش اللّماع بينا زوجته تجلي الأواني. غير أنّ الطّريف في الأمر أنّه لا يفعل ذلك هنا فحسب. أتخيّل أنّه قد فعل ذلك قبل الحرب، وخلال فترة تجنيده في سبتمبر، منطلقا في مغامرة التجنيد بداية من سبتمبر. نسي في لحظة تعجّله أن يحمل معه أغلب عاداته الصّغيرة. بقيت تلك العادات بمنزله، وحين عاد من الرّخصة استعادها وأتى بها هنا، لأنّه يعلم جيدا أيّ حياة رهبانية وإدراية سوف يجدها هنا. غالبا ما يتخذ المجتهدون هيئاتهم المدنية حين يعودون من رخصهم.

يتمنّى حينها ينتهي من روايته، التّركيز على الكتابة الجادة: (...) كنت أكتب الأدب

الفاتاستيكيّ لبعض الوقت (...) هذا أفضل من أن أكتب المسرح: تجارب من قبيل دعه- يعمل.

يقرأ كوميديا دي شارل روال دريو لاروشال "ريفيات لجيردو" - وهو ما سوف يدعوه للحديث في دفتره عن تأثير جول روناو على هذا الكاتب: ثورة العدمية لروخينغ. الحياة العاطفية: تصالح تماما مع فاندو وأصبح شيئا فشيئا يشعر أنه بعيد عن بيانكا في رسائله من 20 إلى 24 ديسمبر. ينسب هذا البرود للقصص التي تحكيها له الكاستور عن أفعال هذه الشابة وحركاتها: تمتلك فن إغراق الناس.

28 ديسمبر

قرأت روخينغ الذي فتنتي، (...) أوحى لي قراءته ردود فعل جلييلة حول العنف كوسيلة في خدمة الأخلاق، واستخلصت من ذلك أنه لا بد من استعمال العنف (...) ومن هنا نحددون أنني كتبت أربعين صفحة في الدفتر حول العنف.

29 ديسمبر

(...) لم أكتب أي شيء في دفثري، لأنّ الرواية تجذبني، ثم لأسباب من نوع صحي: حين نتغلق مثل الأمس لوحدها مع دفتر دون مُلطف من العالم، نشعر في الغليان ونصبح في حاجة إلى صمّام. ذلك ما حدث لي بالأمس، كان عندي تصوّر للعالم متغلّقا على نفسي مكتسبا. في العادة أنا في منأى عن أفكارٍ خارجها وهنا، لا: كنت داخلها. قراءات: يوميات ستاندال ومازلت أقرأ روخينغ.

30 ديسمبر

(...) استعدت الدفتر الصّغير. اليوم سوف أكتب نظرية حول سوء النية: كانت ناضجة وعليّ أن اقطعها؛ سوف أواصلها غدا" يكتب أيضا: بعض ردود الفعل الاقتصادية.

31 ديسمبر

537. غاليمار 1934.

538 برار غراسيه 1909.

539 فينومونولوجيا سوء النية مركزة في الوجود والعدم تسمح بضبط بني الوعي بين العدم والوجود الجزء الأول من هذا الكتاب الفصل الثاني.

يستعيد سارتر للكاستور مشهد إخفاق طريف:

هل تعلمين أنني انتهيت من الرواية؟ أثبتت كلمة نهاية أسفل الورقة. وماذا بعد. مفتخرا
بأنني انتهيت، مزّقت بعناية هذه الورقة وورقتين قبلها في قطع صغيرة. وألقيت بالقطع في
سطل الفحم⁵⁴⁰

ينوي عنوانه المجلد التالي التابع عصر العقل: سبتمبر (والحقيقة أنّ عنوان القسم الثاني من
دروب الحرية سوف يكون الإرجاء: وهو متعلّق بالأسبوع الأخير من سبتمبر 1938 قبل
اتفاقيات ميونيخ)

يواصل كتابة نظريته حول سوء النية.

7 يناير 1940

يعيد سارتر كتابة بعض الفقرات من روايته. ينوي دراسة الليالي واستهلاكات شوبين.
يجد متعة في قراءة يوميات ستاندال (المجلد الثالث من الطبعة الصادرة عن دار
غاليار 1936) كما يجد متعة أيضا في مواصلة قراءة روخينغ الذي سوف يلخصه في دفتره
(وفي الأثناء يواصل الكتابة حول سوء النية) كما يستمتع بقراءة ريفيات لجيرودو، وجاك
القدرى (ديدرو).

2 يناير

أنقن الرواية -الخاتمة- وأشعر بشيء من القرف منها. وها إني أرغب مجدداً في كتابة قطعة
مسرحة.

يتصفّح الكاهن⁵⁴¹ ويقرأ الشيطان العاشق لكازوط.

3 يناير

(...) اليوم مقالة قصيرة من 22 صفحة حول الثّور، نجد فيها هذه الجملة التي لم
تعجبني البتّة: هل تقول، وفق هذا الأمر إن كنا ننفر من البراز فذلك لأننا نرغب في الأكل؟
أجبت: طبعاً (...) أكبر متعني تأتيني من الكتابة في الدّفتر وكتابة روايتي عوض أن أسكبها

540 لنذكر بالأسطر الأخيرة من هذه الرواية: "ماتيو) يردد على مسامعه وهو يتألم. "بالفعل.

بالفعل تماما إنه عصر العقل " رد فعل البطل هذا ليس غريبا عن المشهد المخفق.

541. رواية اللويس حكاهما أنتونين أرطو عن داردانويل وميتيل 1931 باريس.

في الدفتر والرواية. وأخشى ألا تكون الرواية تعاني من بعض العجز، فلا تدهشني (...). ولكي أكون عادلا، يجب أن أقول إنه منذ ثلاثة أو أربعة أيام تملكني نوع من الهالة النبوية، بخصوص كتاب روخينغ الذي استولى عليّ؛ رأيت ألمانيا أخرى، فهمت دورها وتهديدها وشعرت بتأريخيتها، جعلني كلّ هذا أفهم الأمور بشكل أفضل. لهذا الأثر هيبته، التي من شأنها أن تقارع ما آمنّا به من أفكار، ويدعونا إلى مراجعتها. نهيل على أفكارنا شيئا من الإطلاقة، لأنها نتاج لحرّيتنا، وليس إيماننا بها إلا نتيجة لإيماننا بالمنظومة التي سوف تكونها إن لم تأكلني الخنازير الصغيرة. غير أنّ هذه الخنازير عادة ما تأكل الناس قبل تكوّن المنظومة.

4 يناير

(...) استعرضت (ليانكا) بعض أفكارى الجديدة حول الوعي، لن أخبرك عنها، لأنك سوف تقرئنها في الدفاتر (...).

5 يناير

شرح سارتر في قراءة سيرة هنري هابن⁵⁴² الذي سوف يغذي ردّ فعله حول وضع الإنسان اليهودي ومعاداة السامية. يبدو أنّه دوّن تعليقاته بخصوص هذا الموضوع. يحبّ بشكل أقلّ بقية يوميات ستاندال الذي يجد معه نفسه فيها يخصّ التلاعب العاطفي.

اليوم ذهبت للقيام بحجّ آخر⁽⁵⁴³⁾ (...) رغبة منّي في أن أتبلّ قليلا وأتخلّص من جفاف الأيام المنقضية.

6 يناير

يعود سارتر لكتابة المشهد الأخير بين ماتيو ودانيال في روايته.

كتبت ما يقارب الثلاثين صفحة في دفترك الليلي الأزرق الجميل⁽⁵⁴⁴⁾ (...) كان ذلك بخصوص يوميات ستاندال - وما أفكر فيه بخصوص الشرّ. قرأت حياة هابن (البداية فقط) وهو ما أوحى لي ردود فعل غريبة. لقد تحمّل تبعات وضعه كيهودي، وأنفهم بجلاء أنّ اليهود العقلانيين من نوع يياتر أو برونشيفغ⁽⁵⁴⁵⁾ كانوا لا أصيلين فيما يفكّرونه عن

542 هنري هابن لأوتونينا فالنتين عن دار غاليمار 1934.

543 إلى بفاينهويفس مهد عائلة شوبتر.

544 استلمه البارحة ودنما شك هو الدفتر الثامن.

545 مؤرخ شاب تعرف إلّاه في برلين سنة 1933.

أنفسهم كأناس، قبل أن يكونوا يهودا، جاءتني هذه الفكرة في شكل نتيجة قاسية عليّ أن أحمّلها بوصفي فرنسيًا (...). أتساءل إلى أين نذهب من خلال هذا، وسوف أهتم بالأمر غدا. منذ أن تجاوزت عقد نقصي تجاه اليسار المتطرف، أشعر بحرية تفكير لم تنتهني أبدا من قبل. وكذلك هو الأمر تجاه الظواهراتيين أيضا (...). أعتقد أنه بالإضافة إلى الحرب، وإعادة النظر، فإنّ شكل الدفتر، على قدر كبير من الأهمية، فهذا الشكل الحرّ وتلك القطع لا يخدمان الأفكار السابقة (...). سأرجع كلّ مراجعة أو تدقيق إلى زمن أنسب.

7 يناير

(...) منذ صباح أمس كتبت 81 صفحة في الدفتر الليلي الأزرق (...) ال 39، صفحة التي كتبتها اليوم، هي حول ما يصلني بفرنسا (...) مازلت في ما هو تاريخي وغدا أشرع في النظري.

8 يناير

حول علاقاته بفرنسا: النظرية مُعدّة ومُعدّة بشكل جيد. لكن اطمئنوا لن أصبح فاشيًا، فأنا أبعد ما أكون عن ذلك.

يعلن سارتر أنّ لديه نظرية حول الوعي - العدم.

9 يناير

يمرّ بأزمة ارتياب في نفسه. مستاء من روايته: ربّما عانى هذا الكتاب قليلا، ليس من الحرب مباشرة، لكن من تغييرات وجهات نظري حول كلّ شيء، كنت أغلب الوقت جافًا تجاهه. وهو أمر غريب خاصّة بعد أن قرأت منه 150 صفحة في نوفمبر. رغم أنّك أثبتت عليه. لا أعرف ما طرأ على أفكاري من تحولات، وإني أتساءل، إذا كان ضروريًا أن أغير في سلوك مارسيل⁽⁵⁴⁶⁾؟ (...) رغبت أن يكون جيدًا وجاذًا. اسمعيني. أعلم جيدا أننا لا نكفّ في رواية ما عن الكذب. نكذب على الأقل لنكون حقيقيين. ويبدو لي أنّ هذه الرواية كلّها، كذبة اعتباطية. مستاء من المحتوى الفلسفي للدفاتر الخمسة الأخيرة التي أعاد قراءتها: يترأى له أنّه لم يفعل غير أن يتوسّع بجذّ فيما قاله هايدجير في عشر صفحات حول التاريخيّة. لقد ضاعفت قراءة سيرة هاین هذا الكثر الحزين: لقد وجدت نفسي تافها قدام

546 هي التي يشكل معها بطل رواية عصر العقل ثنائي.

هذا الشخص، الذي قام بالكثير من القذارات (...) لكنه كما تقولين عاش بشكل جيد من أجل موقف.

الشعور من جديد بالاختناق في حياة هو الذي شكّلها (الدّفق الثالث الصّفحة 272) هل يكون قد كتب ذلك في دفتره؟

10 يناير

الحرارة -12 درجة بمرسبرون يكتب سارتر عن الإحساس بالبرد. يحلم بكتابة قطعة مسرحية.

أريد مكانا في المدينة، مذابح، من أين لي أن أعرف ماذا أريد؟ لا أستحضر الموضوع. هكذا شرعت فجأة، ماذا إذن؟

حكايات للعم جول⁽⁵⁴⁷⁾. شرعت فيها بشيء من الندم أولا لأنها تافهة. لكن شيئا فشيئا جاءني فكرة أن أضع فيها حشدا من الأشياء على شكل خيزرانة، واستمتعت في نهاية المطاف بذلك كثيرا، وتحمّست له.

قراءات: يوميات ستاندال، عدد يناير من المجلة الفرنسية الحديثة.

11 يناير

قدّم سارتر درسا حول الأدب الأمريكي لميستلر؛ يشرح للكاستور مشروعه الأدبي الجديد (حكايات العم جول) الذي يرى مجلدا صغيرا حول النقد الأدبي يستعرض قوانين الأنواع، ويدعمه بنصوص من ابتكاره: حكايات ساحرات، قصص، فصول من روايات.

جعله تبادل رسائل مع بيانكا حول مسألة الوضع اليهودي يفكر⁽⁵⁴⁸⁾. المسألة بالطبع هي تحديد الواجبات التي يمنحها لك التّحمّل. أن تتحمّل نفسك كيهودي، فهل يعني ذلك الرغبة في أن تكون للطائفة اليهودية وللإهود باعتبارهم يهودا، نفس الحقوق التي يتمتع بها أعضاء الطائفة الموسعة؟ أم أنّ عليهم أن يؤاخذوا أنفسهم لأنهم يهود، وأن يعملوا على الإلغاء اللاحق للتمييزات الإثنية؟ لتدعم كل واحدة الأخرى.

12 يناير

547 اليوم التالي

548. للتأكيد ببيانكا يهودية.

منذ حين مرّقت الصفحات الست الأولى من حكايات للعمّ جول (...) لقد انطلقت في الكتابة بكلّ امتلاء، وبحماس من أجل صناعة بروميثيوس ديكتاتور للحرية (...) وفي أول ردة فعل نفرت من سلوك بروميثيوس (...) لقد أفسدته كثيرا أيام شبابي ومازلت أعاني عسر الهضم منه.

ملاحظات مخصوصة متقرزة حول عواطف فاندّا وبيانكا نجاهه: فاندّا بخارية، وبيانكا نفس. (549)

13 يناير

تحدّث بياتر بشكل لافت عن حياة مستعمرة اليهود بشارع دي روزيه، وموتها، إذ يبدو أنّ كلّ شيء قد انتهى الآن.

لعلّ سارتر درّج كالعادة حكايات بياتر. لقد كتب مطوّلا حول القدر: إنّها التّاريخيّة من جديد (...) وفي نهاية المطاف أنا موسوس في الوقت الحاضر، ليس بما هو اجتماعي بل بالوسط البشري.

14 يناير

قضيت كامل اليوم منغمسا في موضوع قطعة مسرحيّة (...) فكّرت في كلّ شيء لكنني لم أحتفظ بأيّ شيء، منذ بروميثيوس إلى هذه الباخرة الممتلئة باليهود، التي أغرتني فكرة أن أكتبها⁽⁵⁵⁰⁾ (...) لم أكتب أيّ شيء تقريبا في الدفتر.

549 هل لديه ارتباب من الحب الذي تكنه له كل من بيانكا وفاندّا بل حول هذه الامكانات التي يمكن ان توجي بالحب وبالرغبة؟ سيكون هناك عنصر يفسر الالّا نتيجة العاطفية

550. المقصود به سان لويس الذي تابع سارتر مأساته التراجيدية في وسائل الإعلام. حكاية باخرة ممتلئة بما يقارب ألف يهودي هاربين من النازية انطلقت من هامبورغ في 30 ماي 1939 في اتجاه كوبا أين أرست بأحد موانئها غير إن قانون الهجرة تغير في هذا البلد وبعد فشل جميع المفاوضات مع السلطات الكوبية عادت الباخرة لتخوض غمار البحر مجددا في اتجاه فلوريدا، ورفضت السلطات الأميركية بدورها استقبال اللاجئين مما جعل الباخرة تعود أدراجها في اتجاه أوروبا مما نتج عنه معاناة كبيرة للمسافرين الذين فقدوا الأمل في كلّ شيء.. انظر رحلة الملاعين لتوماس ومورغان عن دار النشر بلغون باريس 1976 وقد تم تحويل هذه الحكاية إلى فيلم من إخراج ستوارت روزنبرغ في نفس السنة

أعدت هذا الصّباح قراءة محاضرة هايدجير ما هي الميتافيزيقيا؟، وصرفت ما تبقى من اليوم، من أجل أن أتخذ وضعية تجاهه، فيما يخص مسألة العدم. من المفروض أن يانكا قالت لك «إنني أعددت نظرية بخصوص العدم. لم تكن متقنة جيّداً، وها هي اليوم قد صارت مكتملة» (...). لقد كتبت اليوم أنّ فلسفتي، تتملّك ما به تغري الآخرين، لقد استطاعت أن تلعب دوراً مركزياً في حياتي، يتجاوز أنساقها ومفاهيمها، إلى حمايتي من حالات الكدر، والاكثاب التي رافقتني، ومن أحزان الحرب، فضلاً عن أن لا رغبة لي الآن في أن أجعلها مبرراً لحياتي، لأنّ الفلسفة والحياة واحد⁽⁵⁵¹⁾. وهو ما لا يعني شيئاً لأنّه بالنسبة إلى الجمهور المثقّف، هناك مقاطع مزعجة. وبدأت تظهر فيها أشياء مؤنسة في المقابل: هناك مقطع ما حول الحفر عموماً، وآخر مخصّص للشرح والحبّ على الطّريقة الإيطالية (...). بدأت في كتابة دفثري التاسع.

16 يناير

يشغل سارتر على نظرية العدم في دفثره: 1* تلغي لجوء هوسيرل إلى لاهيل⁽⁵⁵²⁾-2* تفسر الوحدة في العالم من خلال تعددية الضمائر-3* تسمح بتعلية الواقعة والمثالية نهائياً (...). لن أفسرها لك لأنني أريدك أن تتابعي ولادتها بقدر ما أكتبها في الدفاتر.

يدقّق للكاستور فكرته عن وضع الإنسان اليهودي: أليس من الممكن (...) أنّه بتحمّل شخص ما نفسه كيهوديّ، نعرّف بالقيمة الثقافية والإنسانية لليهوديّة، ومنه نستوحي المبدأ الذي بواسطته نقوم ضدّ اللاساميّة، ليس من منطلق أنّ اليهوديّ هو إنسان، ولكنّه يهوديّ لأنّه يهوديّ.⁽⁵⁵³⁾

551. بالفعل هناك توتر ذاتي حماس جدا في الوجود والعدم ناتج عن هذه الدفاتر فهناك وصف درامي للوجود الفينومونولوجي للوجود المغير للأنية: الوقائعية. دوامات سوء النية معترعتهما بالأنا الفردية لهذا السبب جذب الكتاب أنصارا جندا للفلسفة، مدعوين للفهم من خلال خيط البحث الحيوي جدا للكاتب برغم صعوبات النص.

552. انظر التدوينة 4 صفحة 405.

553. كانت هناك في الغالب مؤاخذات كثيرة على ردود فعل حول المسألة اليهودية (1946) خاصة خلال سنوات السبعينيات. تصوّره "للهودي الأصيل" التي تقوم بتجرد اليهودية "باعتبارها قيمة إنسانية" ولقد اعترف سارتر بذلك وفسر وجهة نظره بأن اليهود مباشرة بعد الحرب وخاصة أولئك

الرواية: يكتب فصلا حول شخصية بوريس ويعتزم إعادة كتابة نص عصر العقل.

مكتبة

t.me/soramnqraa

قراءات: هايدجير وبينما كنت أحتضر لفولكنر⁽⁵⁵⁴⁾.

17 يناير

يكتب سارتر ردًا على رسالة مارتين بوردان، التي عاش معها مغامرة عاطفية السنة الماضية يكتبه بأسلوب العاشق، وهو ما ستجذر عنه أزمة علاقة مع فانداء، وبطريقة غير مباشرة مع سيمون دي بوفوار (رسائل للكاستور بداية من 23 فيفري)

دفت: كتابات حول الحرب، وتصور للتحالفات.

18 يناير

(...) شرعت في تدوين بعض الأشياء القصيرة حول البراءة...

قراءة: القسم 22 لأرنست غلايزر⁽⁵⁵⁵⁾ بالألمانية.

19 يناير

كتبت شيئا ما عن المساعد ثم كتبت عن العزلة، وجدت متعة في ذلك (...) كتبت بشكل مطول في الدفت (...) أعطيت ليستلر درسا حول الجنس هذا المساء أمام الرفاق.

20 يناير

بالنسبة إليّ فقد انطلقت في الميتافيزيقيا. إنها شاقة وصعبة لكنها تستحق العناء، وتجاوب مع الأخلاق، سوف تكون هذه الدفاتر مقالة في الفلسفة. اشتغلت كامل ما بعد الظهر، ليس بنجاح كبير حول «mit-seen»⁽⁵⁵⁶⁾ عموما ما نحن بصدد فعله إلى حد الآن كظاهراتين صغار هو الأنطولوجيا. نبحث عن ماهيات الوعي مع هوسرل، وعن وجود الموجود مع هايدجير. أما الميتافيزيقيا فهي كينونة (...) لا تعطي قيمة للماهيات (...) بل

الدين يعاشرهم كانوا قلقين من أن يعترفوا بهم كأناش وكمواطنين بحقوق كاملة أكثر من كونهم أسماء على اليهودية. وهو ما يجعلنا نستنتج إن ردود فعل سارتر الأولى تفكر في الانسان اليهودي تحت غطاء يوم محسوس.

554 غاليمار 1934

555. نشرت دار فيكتور اتينغر القسم 22 بالفرنسية سنة 1929.

556 الوجود-مع هايدجير.

21 يناير

(...) كتبت حول الميتافيزيقيا حتى منتصف النهار، إنها لا تشبه في شيء الفينومونولوجيا الموسرلية، ولا الهايدجيرية، ولا أي شيء. لا تشبه كل أفكارى القديمة حول الإدراك الحسي والوجود، أفكار ميتة قبل أن تولد، لقلة التقنية، لكن يمكنني الآن أن أتوسع مع كل التقنية الفينومونولوجية والوجودية (...). بعد الظهيرة اشتغلت على الرواية، وعند المساء قدم ميسترلر، وحدثت الجميع عن حرب إسبانيا. والآن كما هو معلوم: يأتون عند المساء بلتر من النيد الأبيض، يتحلقون من حولي، أنا أخطب وهم ينصتون. شيء طريف، كم أن علاقاتي مع الناس في (معهد المعلمين برلين - هنا) تتكرر متشابهة عبر تنوعات العمر والتجمعات...)

22 يناير

يعلن سارتر في رسالته للكاستور بتاريخ اليوم (ملغاة في طبعتها رسائل للكاستور وآخرين) استعادة ردود فعله حول الأخلاق، محرّضا برسالة من بيانكا حدثته فيها عن مسألة الأخلاق والاستحقاق:

(...) أردت أن أعرف من أين يأتي في داخلي (من جهة الدوافع) هذا المفهوم لأخلاق دون استحقاق (...) أخذت دفترتي وقتها وبدأت أكتب. غير أن الوقت تأخر جدا، فلقد اشتغلت طويلا على روايتي. كنت في البداية أكتب مترددا، ثم انغمست في الكتابة ولم أتوقف إلا قرابة منتصف الليل.

تشغله فرضي غرامياته وتبليبه. بدت سيمون دي بوفوار متقدمة جدا لبيانكا التي لا تحبها، أصبح من الضروري أن يقطع سارتر علاقته بها لكن ذلك يعذبه. حذرا؛ يدعو الكاستور لإعادة التفكير في مبدأ الحياة الفردية في ثنائيتها: تعجيبني كثيرا وهذا مما لاشك فيه (...) يبقى أنه يخامرني وسواس: حين غضبت منذ سنة أو مستين معتدة أنك شيء ما في حياتي (...) وليس حياتي كلها، ألا تتموقعين شيئا ما في زاوية التكافل التي تضايقت جدا عند بيانكا؟ أكتب لك كل هذا ببرودة وليس للدفاع عن التي أغرقتها، إلى درجة أنني لم أعد أستطيع الكتابة إليها، لكن حبا للاطلاع واعتبارا لك أنت فقط. أريد أن أعرف إن كنت في هذا الغضب الغرامي سيئ النية، أم أن حياتنا المتفردة مختلفة بشكل قطعي عن التكافل الذي

تحلم به بيانكا (عوض أن تكوني أعلى منها تراثياً في النوع نفسه)

23 يناير

(..) قضيت كامل الصباح أكتب حول فكرة الكلية والأخلاق دون استحقاق، وهو ما سبق أن تحدثنا بخصوصه.

24 يناير

اشتغلت على روايتي. الفصل المتعلق بيوريس مكتمل البناء، وقد كتبت قليلا حول الميتافيزيقيا، أعتقد حقيقة أن ما أكتبه جيد جدا. وأنا أعبر الفينومونولوجيا عثرت على اللوغمائية، احتفظت بكل هوسيرل الوجود-في-العالم، ورغم ذلك بلغت إلى واقعية جديدة مطلقة (أين أدمجت النظرية الجشطالتيّة (...)) كل شيء مرتب بحكمة حول فكرة العدم أو حدث صاف في قلب الوجود.

يقرأ سارتر جيل دي دريو لا روشيل، الذي لا يحبّه، يتصفّح روايتي حول رومان اللتين تأنيان بعد فردان: فورج ضدّ كينات ونعومة الحياة.

25 يناير

(...) ملأت ثمانين صفحة من الدفتر (...) لأنني هذا الصباح وأنا أستفيق من النوم حدثت بالطريقة التي أؤلف بها رواية ما كنت أتخيلها؛ صدمني الأمر (ما قاله ليفي جديني: من أنني لا أمتلك مخيلة روايتي وأعرف أنك ناقشت الأمر مع بيانكا، وقلت لها إننا نحس جيدا ما هو مبتكر عند فولكتر). وأردت أن أدون هذا في دفترتي (...) شرع يياتر في قراءة نعومة الحياة التي تبدأ بتقد لاذع لليوميّات الحميمية، وهو ما جعله يدفع الكتاب مفتوحا على الصفحة التي توقّف عندها أمام ناظري، وعلى وجهه ابتسامة مأكرة. نقلت المقطع في دفاتري لأنه صحيح جدا، لكنني أريد أن أدافع عن نفسي⁽⁵⁵⁷⁾.

طلبت مجلة بحوث فلسفية مقالة من سارتر للنشر: «لن يسلمها مقطعا من دفاتره حول العدم، إلا إذا كان من الضروريّ خلال النشر شطب الصفحات، التي تتضمن مقاطع

557. للتذكير إن نعومة الحياة رواية في شكل يوميات لجاليزوالتي تبدأ بتفسير اشمترازه من اليوميات الحميمية "يدولي إنه لاجمال للمقارنة بينها وبين القوة. غزارة الذهن والروح التي لا تتماشى مع (...) دونما ثقة تجاه مستقبل غير مهيء غير مختل ..."

فلسفية تقنية إلى أبعد حد: وفي المقابل إن رأيتم أن حكاية أفكارني حول العدم التي دوّنتها يوما بيوم، هي أيضا مهمة أكثر من الأفكار، فذلك أمر آخر» (558).

26 يناير

يكتب سارتر في دفتره حول جيل، رواية دي دريو دي لاروشيل التي صدرت مؤخرا: ثم أنقّز كثيرا من شخص يشتكي دائما من زمنه. يُنفّرني حين يتحدث عن معاصريه قائلا: لقد تركت نفسي أُسرق منهم، كنت سوف أخجل في مكانه، ففي آخر الأمر لم يكن مجرا. بل سوف أخجل أكثر إلى درجة أنني لن أتهم معاصري بل أتهم نفسي (...).

28 يناير

لاحظت أنه في بداية هذه الحرب صدر كتابان يُفسدان، لأسباب مختلفة السببرالية: كتاب رومان، وكتاب دريو، وعملت على قول ما أنا مدين به للسببرالية (...).

أحاسيس: أحبك كثيرا يانكا. ها هي الآن مهذبة، مهمومة، لأنها ليست أصيلة. يجعلني هذا أضحك لأنه يصنع قدرة الكلمة (...) الأصالة مفهوم لم يتحدّد بعد بشكل جيّد، أنت لا تسمعيه دون شكّ بنفس الطريقة التي أسمعها بها، لو نحن الإثنين بنفس طريقة هايدجار (...) سوف أكتب لها ليس لأنها ليست أصيلة بل لأننا نحن الإثنين لسنا كذلك، لأنه في آخر الأمر؟

29 يناير

يستعدّ سارتر للكتابة عن تابعه ميستلر الذي يراه مطيعا جدّا.

30 يناير

الرواية: أنهيت مقطعا حول بوريس ولقائه بدانيال (...).

قراءات: جورج ضدّ كينات (رومان) ومسافرو الامبريال (أراغون في عدد يناير من المجلة الفرنسية الحديثة).

558. يمكر سارتر إذن في نشر هذه الدفاتر، رغم أنه في البداية كان معترضا على ذلك على أن تنشر

بعد موته.

الملحق الرابع

فترة الدفتر الثامن

من خلال رسائل إلى الكاستور

من 1 إلى 5 مارس

29 مارس

يو اصل سارتر تحليل علاقاته مع الغير:

تحبكي كتبت بخصوص هذا الموضوع مائة صفحة أول أمس، ولم أخلص منه. للأسف، غير أنه من المفروض أن أتحدث عن أولغا، عن بومست، عنك أنت، عن فاندا، عن بيانكا. وهو ما جعلني أزيّف حقائق كثيرة عن غير جدارة. قبل حكاية أولغا كتبت جملاً غامضة حول فاندا معلناً نحولاً كلياً مفاجئاً فيما بعد (...). لقد انتهت جيداً لمتابع سلطتي (...) وفي الوقت الحالي لن أفكر أبداً في نفسي، لقد دفنت كل هذه الحكايات، ولن أعيد الحديث عنها إلا معك أنت حين نلتقي.

3 مارس

عدت لكتابة روايتي وأهملت الدفتر.

قراءات لكتب تاريخ: الرحلة إلى المكسيك لإيميل أوليفيه ويسهارك لدولودفيك.

الملحق الرابع

قال ل 10 أبريل

من خلال رسائل إلى الكاستور

يبدو أن سارتر لم يياشر الكتابة في دفاتره على إثر عودته مباشرة من الرخصة.

10 أبريل 1940

علم بهجوم الألمان على الدانمارك والترويج في قطار العودة. يقرأ سيرة لدوستوفسكي وعلى الأرجح هي من تأليف هنري ترويا.

11 أبريل

توقفت عن الكتابة نهائياً في الدفتر.

12 أبريل

يغمرني ارتياح كبير أن الدفاتر أعجبتك (...) غير أنه ولعلمك، لقد توقفت نهائياً عن الكتابة فيها. أستعجل الانتهاء من روايتي.

13 أبريل

أشتغل اليوم على موت لولا⁽⁵⁵⁹⁾

يستمتع سارتر لأخبار إذاعية متضاربة حول حرب الترويج. منذ مدة أنغمس في لعب الشطرنج مع بياتر بشكل هوسي، ولم يعد يراه مجرد رفيق بل هو صديق حقيقي.

قراءات: الوضع البشري.

14 أبريل

أعدت كتابة كامل المقطع الذي يتحدث عن موت لولا، وأصلحت بعض الهنات الأخرى. الجذاب في كل هذا، أنني أعيد الكتابة وأنا مستمتع؛ وإذا وجدت أن شيئاً ما غير مقنع أعيد كتابة شيء آخر.

15 أبريل

قراءات: زمن الازدراء لأندرية مالرو⁽⁵⁶⁰⁾ مستواها أقل بكثير من الوضع البشري.

559. الفصل السابع من رواية عصر العقل. لولا لن تموت في الحقيقة وهو يقصد هنا الفصل الذي اعتقد فيه عشيقها أنها ماتت.

الرواية: شرعت في كتابة الحوار الذي سوف يختم اللقاء بين ماتيو ودانيال. أنغمس فيه كثيرا، وأعتقد أنه جيد رغم صعوبته. استعدت كل رغيتي التي كنت أشعر بها السنة الماضية في الترقب، وصارت تلازمي كامل اليوم.

الدّفر: فكّرت أن أدون هذا بدفترتي، غير أنني عدلت عن ذلك وفكّرت أن أحكيه لك، أفضل من كتابته في الدّفر (الدّفر يتوجع): أكنس بمكر، يلزميني شعور بالقيام بخدعة متقنة للضّباط، وأن أجعلهم يعتقدون أنني أكنس. أتقن خدعتي بحب كبير إلى درجة أن مكاتبهم صارت في نهاية المطاف، غاية في النّظافة.

قراءات: الأمل لأندريه مالرو.

17 أبريل

(...) لم أعد أفتح دفترتي الصّغير. لأنّ الرأس فارغة. للحقيقة أشعر أنه يمكن أن تمتلئ لوفتحت الصّنوبر وقتها سوف يمتد الأمر لسنة شهور. غير أنّ ذلك لم يعد يهمني إطلاقا: فأنا مشغول جدا بمرجعة روايتي.

سوف يتم سارتر إلى حدود 25 أبريل ببناء شخصية مارسيل التي تضايقه منذ زمن طويل: صحيح أنها عكس شخصية إيفيش-المستوحاة من الأختين كوزاكيفتش - وعكس شخصية ماتيو، فهي تعكس ما يفكره هو حول نفسه، شخصية مارسيل عشيقته مبتكرة (رغم أنّ في علاقتها بعض خصوصيات علاقاته بسيمون دي بوفوار⁽⁵⁶¹⁾). لم يكن يعرف يوم 25 نوفمبر إن كانت امرأة قوية أو ضعيفة (رسالة إلى الكاستور) المشكل أنّ ماتيو هذا الشخص الباحث عن الحرّية الحقيقية يجب أن تكون عنده أسباب للتعلم بعشيقته في حين أنها يجب أن تكون رمزا لكلّ هذه الحياة النّاعمة بالارتياح الفكري والأخلاقي، حيث لن يكون حرا.

18 أبريل

561. حقيقة إنها «شاهدة» هذه التهمة الضّبحية «لامرأة جميلة» تكون شكلا من أشكال الخكم-الشاهد لحياته هو حاضريه منذ مراهقته (في كتابات الشباب «دفتر مهدي») وسوف تلج عليه هذه التهمة حتى أثناء بلوغه من الرشد، مثلا حراس التونا.

لم أعد أفكر أبدا. ورغم ذلك أنا نشيط كامل اليوم سيّد آتي فقدت نهائيا الوهم بخوض الحرب - بسبب روايتي.

19 أبريل

تخوّف جديد من الجنون.

حلمت بشيء بريء جدّا حول لندن، وشعرت بجوّ يتغيّر دون أن يحدث أمر مرعب في حلمي. كان معنى الأشياء هو الذي يتغيّر. هو الشيء نفسه، كالعادة، ليل لندن في أزقتها المقفرة، في تناقض غريب يجعل من تلك الليلة تافهة ومحيّرة، إذ كانت تتّصف بنوع من الانعكاس المحرق لمتصف النهار في شهر يونيو. أفقت بحذر قبل رؤية مجرمين يظهرن أو كلابا مسعورة قد تكون مصحوبة بتغيّر في المناخ⁽⁵⁶²⁾. وجدت آتي أخفي بداخلي فقاعة قلق نقيّ يبدو أنها استقرّت في جسدي (...) ثم تركّز هذا القلق على كلمة واحدة: مجنون. .. سرعان ما أصبحت غير مسالمة بلا صور ولا غمّلات بأيّ شكل من الأشكال (...) عند هذا الحدّ تبخّر كلّ شيء وانفلقت الفقاعة ونمت.

21 أبريل

يحكي سارتر بشكل مطوّل سهرة البارحة في مسرح الجنود. كان قد أشار في دفتره منذ أسابيع مضت إلى هذا الفصل من الحياة العسكرية ويلخصها في رسالته إلى الكاستور.

23 أبريل

تدفعه جملة من أندريه مارو في روايته الأمل (يعود الأساسي من جديد... يجب أن يتم تأسيس العقل مجدّدا) إلى تقييم سلبيّ لروايته هو:

تعليمين، أنّ هذا هو بالضبط ما أفكر فيه، أفكر هذه الأيام أنّه الآن فقط سوف نجني نتائج انعدام الإيمان. لكن لا شيء من كلّ هذا يظهر في الرواية وهو محزن لي جدّا. ليس هذا بسبب خطأ تقنيّ، لكنّه في الحقيقة بسبب ذلك التلوّث الذي كنت فيه حين انفجرت الحرب.

562. ربما نتجت هذه التهمة المتعلّقة عن هذا الحلم الذي يبدو نذيرا (لندن في خطر) إن هتلر يصعد في خطاباته من كرهه المهيد لإنجلترا أكثر من تهديده لبقية البلدان التي تهمة بأنه المسؤول الأول عن الحرب.

حساس، وبصياغة غير واضحة، بدا سارتر في رسالته لذلك اليوم متشائما حول مصير الحرب الجارية.

25 أبريل

حديث عن حضوره لمتابعة محكمة عسكرية جرت عند الصّباح.

26 أبريل

عليك أن تتخيّل، لقد عدت للكتابة شيئا ما في الدفتر. فقط لتدوين ملاحظات بخصوص أندريه مالرو، أنّ الأصناف الرئيسيّة لعلم الأخلاق هي: أن تكون، أن تملك، أن تعمل. وأنّ الرّوابط الديالكتيكية الممكنة بينها موجودة. مثال ذلك: مالرو: لا بدّ من الاختيار بين الوجود والعمل - روجومون [دينيس روجومون مفكّر ومترجم سويسري] يقول بخصوص دون يونيو إنّ لم يكن بالقدر الذي يمكنه أن يملك به⁽⁵⁶³⁾. وأنا أتوغّل في تحليل الفكرة أسرّب تدوينه. غير أنّ مجموع ما كتبته منذ عودتي من الرّخصة لا يتجاوز عشر صفحات. وهو أمر جيّد. سوف أحصل على ثلاثة أشهر إجازة، وأنفّرغ لإنهاء الرّواية. وبعدها سوف أعاود الكتابة في الدفتر. سوف أكون جديرا للعودة للكتابة فيه مجددا وستكون 15 التي كتبها⁵⁶⁴ في ذمّة الماضي. إنّهُ لدعاة للضحك أن يعيش أحدهم حياة طبيعية وليس له دفتر خلفه، مثلما تنطفئ الحرائق حالما نعيشها، مثلما الأصالة بالأساس، وبمعنى ما هي مسألة يوميّات حميمة (لا تعتقدي أنّي سوف أبصق كل شيء بداخلها)

28 أبريل

هل سيروق لك أن أضع الهية عنوانا للسلسلة الكاملة لماتيو؟ (...) لأنّ المسألة في نهاية الأمر تتعلّق بالأصالة أكثر منها بالحرية بصفة أدقّ.

30 أبريل

عودة مع فرقته إلى مورسبرون. يعتقد أنّه انتهى من بناء سلوك مارسيل.

7 ماي

563. الحب والشرق عن داريلون 1939 قدّم سارتر عرض قراءة لهذا الكتاب في عدد 15 جوان 1939

مجلة أوروبا (أعاد نشره في كتاب مواقف 1).

564. هو بصدد الشروع في الخامس عشر.

قرأ سارتر في دريدة باري-ميدي ليوم 25 أبريل، ملاحظة حوله حيث هناك إشارة لوجود الدفاتر.⁽⁵⁶⁵⁾

2 ماي

بواصل الاهتمام بغيوم الثاني الذي قرأ عنه سيرة أخرى، كتبها موريس موريه⁵⁶⁶، لا يبدو أنه كتب عنها في دفتره.

3 ماي

يلقي سارتر بنفسه في دوامة عاطفية ملتبسة تكشف مدى تعلقه بأولغا، دون أن يقر بذلك، وقد علم من الكاستور أن الفتاة الشابة تعيش مغامرة عاطفية مع أنثوي جميل، يشتد هيجانه ضد الأختين إلى درجة أنه يفكر في قطع علاقته بفاندا التي يعتقد -ربما خطأ- أنها اشتغلت دور الوصيعة المصاحبة لأختها.

4 ماي

قطع علاقتي بفاندا سيكون مسخرة لأن أختها خانت حبیبها⁽⁵⁶⁷⁾.

5 ماي

قراءات: جريدتا حرب. أربعة أشهر ملاحظات عون اتصال⁽⁵⁶⁸⁾ لأندريه شامصون ولوميار بلو. 25 أوت-25 ديسمبر 1939 لشارل يرايبلن⁽⁵⁶⁹⁾ عزلة جماعية لمارغريت كينيدي⁽⁵⁷⁰⁾؛ «يوميات صامويل بييس»⁽⁵⁷¹⁾.

565 يعلن البلاغ المفتضب في إحدى الصحف وعنوانه "مُتَوَجَّع غير عادي" وموقع باسم "الحارس" إن الجائزة الشعبية كانت من نصيب الجدار: هذا الكتاب الذي تم استقباله إبان صدره بحركات متعددة وهو ذو تأثير - وجراة- لافت (...) والمتوج بصفته المدنية هو أستاذ فلسفة وهو اليوم في جهة ما مُجْتَنَد. يتأمل الكواكب ويقيس درجة سرعة الرياح، ويقال إنه يكتب في نفس الوقت يومياته التي قد تصدر بعد الحرب. ومن المكد إن قراءة هذه اليوميات سوف تكون بنكهة مختلفة "

566. أرتام فايار 1940.

567. أولغا هي عشيقة جاك لورين بوست وسوف تزوجه فيما بعد.

568. فلانماريون 1940

569. فايار 1940

570. بلون 1939

تلقى سارتر كلمة من بول نيزان الذي انضم إلى كتبية أنغليزية (سوف يُقتل في 23 ماي).

وقد أتم ترتيب عواطفه، يحاول سارتر أن يُثني الكاستور عن الكتابة لبوست المجند بدوره، الذي عاشت معه أولغا مغامرة عاطفية؛ يدافع عنها: هل نحن الذين صنعناك (...) ضحيّتنا الوحيدة بل الأكبر.

قراءات: مديح التهور لمارسيل جوهاندو⁽⁵⁷²⁾.

لقد تمّ اليوم الهجوم على بلجيكا وهولندا (...) الانطباع غريب هنا ومختلف جدًا عما ساد إبان الهجوم على الترويج: كما لو أنه مجرد عزاء. الانطباع يلمس الواقع -حتى وإن كان كارثيًا- بعد ثمانية أشهر من حرب عنيفة (...)

يفكر سارتر في مصادر اللغة المخصصة بها وذلك بمناسبة ملاحظة لموريس باراين حول المدعوة سيمون دي بوفوار.

هيجان مفاجئ لسارتر على إثر استلامه رسالة من فاندا المرتعبة من الأحداث الجارية، وربما تكون شديدة المرض:

كفي لا يجب أن أتركها تقع هذه المرة. ولا يجب أن أساندها بمجرد كلمات طيبة.

ها قد انتهت من الكتابة إليها الآن وقلت لها إنني مستعد أن أتزوجها إن شاءت، وإن لم تكن الإجراءات طويلة جدًا. سوف أتدبر الأمر لرخصة بثلاثة أيام. أعتقد أنك لن تقبلي هذا القرار⁽⁵⁷³⁾ (...) ها قد قلته لك وقد قررت ذلك: منذ الآن أريد أن أقوم بكل ما أستطيع فعله من أجل فاندا.

571 غاليمار 1937 و1940

572 لي كاييه دي صيد 25 أفريل 1932 مارسيليا.

573 رسائل سيمون دي بوفوار إلى سارتر من 24 مارس إلى 10 جويلية مفقودة.

يسمع المدفعية تقصف في محوره ويعتقد أن الكارثة على الأبواب: ألا يتطلب الأمر منه في الأخير أن يقوم بفعل ما، قبل أن يغيب؟

من 13 إلى 23 ماي

تبادل إطلاق نار بين المدفعية الفرنسية والطيران الحربي الألماني: بقية الوقت نعيش كأن لا شيء يحدث.

يواصل سارتر كتابة روايته خاصة الفصول التي تحضر فيها مارسل.

من حين لآخر أجدي متحمسا للكتابة في دفثري. ولقد واصلت الكتابة أثناء الجزر الجزئي للحرب، وأهملتها في اللحظة المناسبة.

في 17 ماي كتب إلى فاندا يعلمها أنه تم إلغاء رخص الزواج، لن تتلقى الشابة هذه الرسالة التي حصلت عليها الكاستور (عن طريق الخطأ؟) وقرأتها رسائل للكاستور بتاريخ 25 ماي.

رغم دخول الجيش الألماني إلى فرنسا، مازال سارتر يعتقد أن الحرب لم تحسم بعد.

24 ماي

إنه شيء آخر يحدث الآن شيء آخر، غير ما كان يحدث خلال الأيام العشرة الأخيرة، إنها المعركة بالفعل، هذه المرة (...) خلال يوم أو يومين (...) منذ يومين أو ثلاثة لم أتصور أن يحدث هذا حتى في المستقبل البعيد: كيف يمكن العيش بعد كل هذا... وتصب مني عرق بارد. لذلك قرأت هتلر قال لي. قرأت أيضا حول التهجير المنهجي الذي يمارسه الألمان في بولونيا (في مجلة باريس عدد 1 ماي...) وهو ما زاد في ضيق القلب. والآن منذ يومين أو ثلاثة تغير الأمر. فأنا بالأساس رائق مع انفعالات عصبية مفاجئة شبه استبطانية. هناك الكثير من الإرهاق، لقد كان بول وبياتر ودودين معا إلى أبعد حد، لكن ليس الحال نفسه مع البقية، ولا أستطيع أن أتحدث عن ذلك⁽⁵⁷⁴⁾ سوف أعود للكتابة في الدفتر بعد أيام قليلة وسوف أتحدث عن ذلك بشكل أدق. هناك الكثير مما يجب أن يقال أكثر مما يمكن أن أقوله هنا.

بداية الكارثة العسكرية: أتخيل أن الرقابة لن تدع مجالا لوصول أي شيء: كل شيء يمضي كالمعتاد هنا (...) في الانتظار نحن هنا لسنا في المحور. وهو ما يجعلنا في حرية تامة. قراءات: حكاية مقتضبة من الترويج كي أكون على علم بما يحدث⁵⁷⁵.

ها إنني صرت وبالقوة أنقى حين أكتب، لم أشعر بذلك الغرور وتخلصت من تلك الآمال الصغيرة لمن يرى نفسه كاتباً، والتي ما كنت أستطيع مقاومتها بداخلي (...) وفي جميع الأحوال أنا أكتب، هذا ضد إفلاس الديمقراطية والحرية، ضد هزيمة الحلفاء-رمزياً- ساعيا في ذلك إلى أبعد حد كما لو أن، كل شيء سوف يعود إلى مكانه الطبيعي.

مداخلة إذاعية لبول راينو يعلم من خلالها سارتر بهزيمة بلجيكا: (...) يبدو أننا نخوض مغامرة وحياتنا الشخصية تم اختزالها في الخمول: أكل، نوم -عمل قليل- ولا شيء من هذه الزاوية يميز يوماً عن آخر. إنها حالة غريبة...

لست متضيقاً وحياتي ليست قائمة كما تعتقدين. وجدتي في البدء مأخوذا بلعبة الشطرنج في شغف مهووس يستبدني أحيانا وتكرهينه أنت. ثم هذه المعركة التي غرقنا فيها عبر الراديو، وفيها شيء ما كارثي وفاتن.

(...) ماذا عن دفاتري؟ هل هي مدفونة بجهة ما في الأرض ممزقة قطعاً أم أن بيست الصغير أنقذها⁽⁵⁷⁶⁾ إن كانت قد ضاعت، ليس ذلك مهماً، ذلك أنها لا يجب أن ترى النور،

575. هو يقصد تقريباً: الترويج نظرة تاريخية جغرافية، سياسية اقتصادية مخاصرة لجاكوب

فيدناس أوصلو 1934

576. تركت الكاستور لبوست خلال زيارته له في مخيمه يوم 17 مارس بعض الدفاتر وهي على الأرجح الخامس، السابع، التاسع والعاشر والأكيد إن هذه الدفاتر قد ضاعت بنهاية شهر ماي، حين جرح الشاب في جهة سيدان.

ولن يجعلني ذلك بائساً. وإن كانت سليمة فبؤدي أن أعرف ذلك (...) ما يمكن أن أعدم عليه هو كتاباتي الفلسفية الأخيرة أكثر من كتاباتي الشاقة مع نفسي. وفي الأصل لا بد أن هناك الكثير من هذه الكتابات الفلسفية في دفاتر تحتفظين بها عندك، بما يمنحني إمكانية التصرف.

2 يونيو

بخصوص كتاب عصر العقل الذي مازال يشغل عليه إلى الآن: (...) يجب على الآخرين أن يفهموا، إن كنا أحرارا، فنحن أحرار ليس فقط في اختيار أفعالنا ولكن أيضا الخير لنا، على أنه (كافكا، كيركيغارد) لا يجب على الخير أن يكون تعسفيا، رغم أننا سوف نكون متهمين باختيارنا له. كما هذا المثل الواضح: أن يتزوج ماتيو مارسيل أو لا يتزوجها، فهذا واضح جدا وليس فلسفيا..

5 يونيو

لا يجب أن تكوني مضطربة جدا يا صغيرتي الرقيقة بسبب الدفاتر. لا يمكنك أن تتخيلي بأي شكل من البهجة قد أتعقل فكرة ضياعها. إن أهم ما بقي عالقا في ذهني في النهاية هو العدم - وسوف يكون موضوع كتاب. وفيما يتعلق بالحرب فإن الكثير من الملاحظات حولها لا معنى لها. يبقى سلوكي. فهو لن يضيع أيضا (...) إننا نعيش مقطوعين عن مستقبلنا - خاصة الأدبي - ومن العبيثي الآن الكتابة في الدفاتر لذلك لست نادما. أريد فقط أن أعرف هل مازالت هذه الدفاتر موجودة، في حال فكرت في مواصلة هذا العمل بعد الانتهاء من روايتي.

قراءات بالصدفة: سيرة لاو (577)

8 يونيو

الرواية: أستمتع وأنا أكتب اللقاء الأخير، والمشهد الهائل بين ماتيو ومارسيل.
قراءات: مدام بوفاري، عدد ماي من المجلة الفرنسية الحديثة، خاصة مقالة جورج برنانوس: إننا نعود إلى الحرب.

ما كتبت لي حول هذه الغرابة التي قد تحدث إن تحقق الأسوأ، أحسست به فعلا (...) ما

بين 18 و20. لقد عشت الأسوأ بالفعل، وكنت قد أعددت نفسي لذلك. لازمتمني فكرة (...). أن كل حواجزنا الإيديولوجية التي ساعدتنا في أن نعتقد أن الألمان مجانين وحقيرون ليس لها أي أهمية أمام الضرورة التاريخية التي قد تضعها في صفوف الأتباع المستهين لو أن الألمان منتصرون (...). لم يكن لدي ما أتعلق به سوى أصالتي النقية والبسيطة.

9 يونيو

أخيرا راضي سارتر عن شخصية مارسيل.

يبدو لي أن مارسيل حيّة الآن، فتية، عقلانية، ورغم ذلك مأكرة، شغوفة، مريضة، جادة جميلة وبلا رحمة، مغرورة على طريقة جدتي في الجانب السلبي. يدون لأول مرة منذ 26 أبريل أنه كتب شيئا ما في دفتره: (...). بعض الصفحات حول العدم.

غادرت كتيبة سارتر مورسرون في حدود 10 يونيو. تم أسره على إثر بعض المصاعب في 21 يونيو ببادو وهو دائما برفقة بول وبياتر.

23 جويلية 1940 مازال يكتب في دفاتره بمعقل الأسرى في باكارات :

(...) حلت بنا كارثة لأكثر من عشرة أيام أوصلنا إلى نواحي إيبينال وهي دونها شك واحدة من أغرب الحكايات التي قرأتها أو سمعتها. دوت كل شيء في دفاتري، التي مازلت أكتب فيها حتى وأنا هنا، إن كان هناك شيء ما يجب أن أقوله. أنهى روايته وعثر على عنوان مناسب لكتابه الميتافيزيقي الذي خطط له في الدفاتر: الوجود والعدم.

مكتبة

t.me/soramnqraa

telegram

جان بول سارتر

@soramnqraa دفاتر الحرب الغريبة

أنفّرْس في حاضري من وجهة نظر الموت؛ فهو يتزعّ معناه حتى من إدراكي، من أفكاري، من رغباتي الطارئة؛ فكل هذا هو في الحقيقة انتظار. أكثر تمثّلاتي المؤقّته إنني كنت موجودًا. كل حاضر يُعوّل على المعبر المؤدّي إلى الماضي ليجد عزاءه.



لا يمكن أن نمسك بالموت جيّدًا إلا بالنظر إليه من خلال الحياة، في كل لحظة من هذه الحياة كما في التجمّعات الحيوية والعاطفية، وليس فقط في اللحظة التي يظهر فيها كحدث زمني. فهم رائع لـ «هايدجر». لكن الموت ليس احتمالًا من احتمالاتي: إنه الانهيار القادم من خارج كل إمكانيّاتي، بما فيها تلك التي كنت عليها. هذا الانهيار يستمر دائمًا، إنه الفراغ العميق الذي في قلب كل إمكانيّاتي، إنه حضور الخارج في أبعد أعماقي. إنه اللا- أنا فيّ أنا، أو، إن أردنا، إسقاط لإحاطة العالم بي في قلبي أنا نفسي. إنّه يعد لنا إن لم نأخذ حذرنا ضده. وهذا الحذر يستوجب أن نحدّد أنفسنا في كل لحظة بشكل يقضي أن حياتنا إن توقفت هنا، فستمثّل وقتها كُليّة مصحوبة بنهاية. يتعلّق الأمر هنا بتحديد وجودي طبعًا.

ISBN 978-603-93551-9-5



9 786039 355195

WWW.PAGE-7.COM

